

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

(٥٢٢٤ - ٥٢١٠ هـ)

تحقيق

الدكتور عبد بن عبد المحسن التركي

بالتعاون مع

مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية

بدار هجر

الدكتور عبد السند حسن يمامة

الجزء الخامس

هجو

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

القاهرة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية

بدار هجر

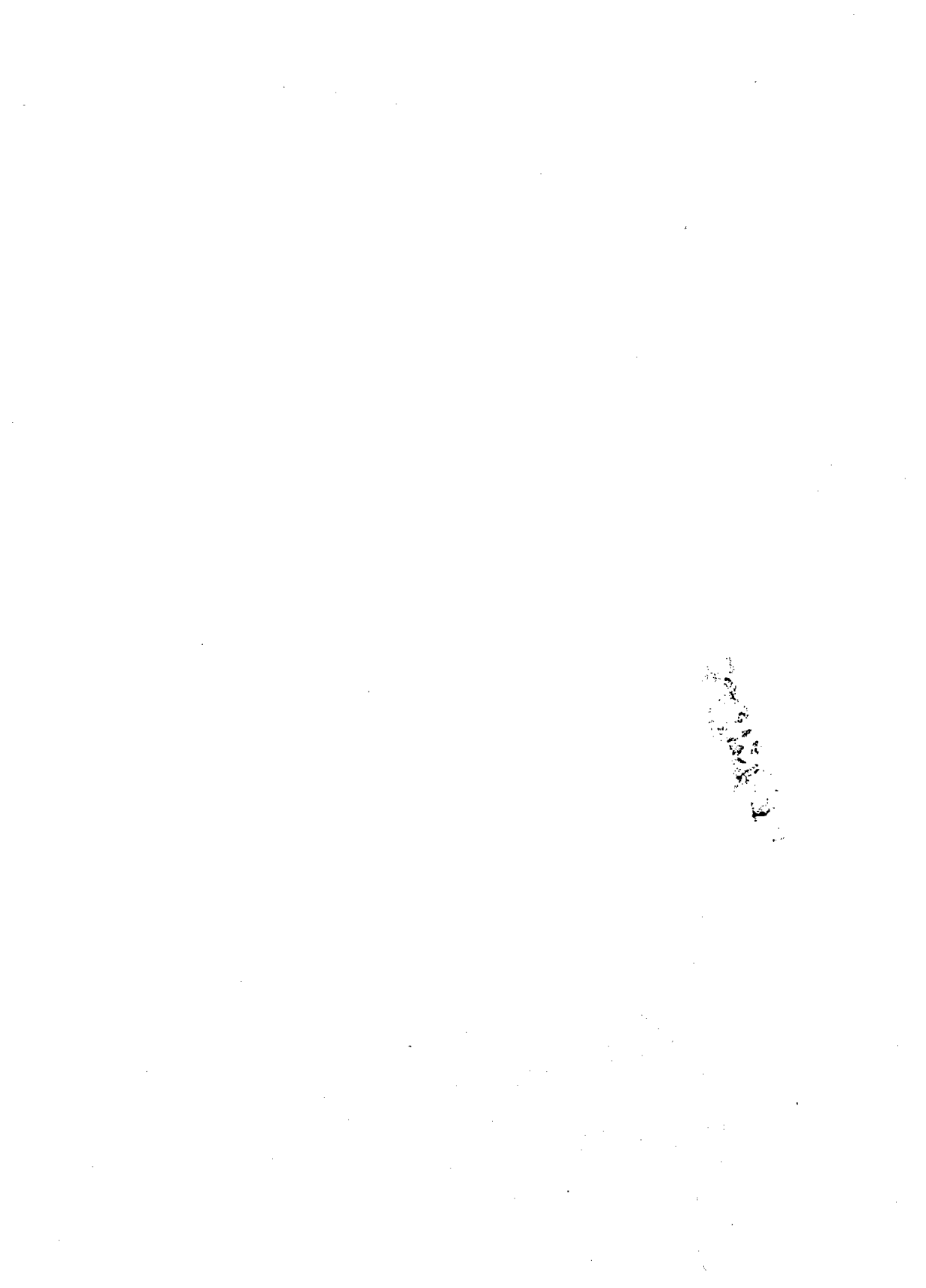
الدكتور عبد السند حسن يمامة

مكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة

ت : ٣٢٥١٠٢٧

مطبعة : ٣٢٥٢٥٧٩ - فاكس : ٣٢٥١٧٥٦

تفسير الطبري
جامع البيان عن تأويل آي القرآن



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿[٥١/٨] الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكره: الشيطان يعدكم أيها الناس بالصدقة وأدائكم الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم، أن تفتقروا، ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ . يعنى: ويأمركم بمعاصي الله، وترك الصلاة، و^(١) طاعته، ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ . يعنى أن الله تبارك وتعالى يعدكم أيها المؤمنون أن يستر عليكم فحشاءكم، بصفحكم عن / عقوبتكم عليها، فيغفر لكم ذنوبكم بالصدقة التي تتصدقون، ٨٨/٣ ﴿وَفَضْلًا﴾ . يعنى: ويعدكم أن يخلف عليكم من صدقاتكم، فيفضل عليكم من عطايه، ويسبغ عليكم في أرزاقكم .

كما حدثنا محمد بن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: اثنان من الله، واثنان من الشيطان، ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ . يقول: لا تنفق مالك وأمسكه عليك؛ فإنك تحتاج إليه، ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ على هذه المعاصي، ﴿وَفَضْلًا﴾ في الرزق^(٢) .

(١ - ١) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٠، ٥٣١ (٢٨١١، ٢٨١٦، ٢٨١٩) من طريق الحسين بن واقد

به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٨/١ إلى ابن المنذر .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدُ، عن قتادةَ قوله: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾. يقول: مغفرةً لفحشائكم، وفضلًا لفقركم^(١).

حَدَّثَنَا هَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ، قَالَ: ثنا أبو الأحوص، عن عطاءِ بنِ السائبِ، عن مُرَّةَ، عن عبدِ اللهِ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَمَةً مِنْ ابْنِ آدَمَ، وَلِلْمَلِكِ لَمَمَةً، فَأَمَّا لَمَمَةُ الشَّيْطَانِ، فإِيعَادُ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبُ بِالحَقِّ، وَأَمَّا لَمَمَةُ الْمَلِكِ فإِيعَادُ^(٢) بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقُ بِالحَقِّ^(٣)، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ، وَلْيُحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ». ثم قرأ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾^(٤).

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا الحَكَمُ بْنُ بَشِيرِ بْنِ سَلْمَانَ، قَالَ: ثنا عمرو، عن عطاءِ ابنِ السائبِ، عن مُرَّةَ، عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ، قال: إنَّ لِلإنْسَانِ مِنَ الْمَلِكِ لَمَمَةً، وَمِنَ الشَّيْطَانِ لَمَمَةً، [٥١/٨ ظ] فَاللَّمَمَةُ مِنَ الْمَلِكِ إِيعَادُ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقُ بِالحَقِّ، وَاللَّمَمَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِيعَادُ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبُ بِالحَقِّ. وتلا عبدُ اللهِ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾. قال عمرو: وسمِعْنَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ كَانَ يَقَالُ: إِذَا أَحْسَسَ أَحَدُكُمْ مِنْ لَمَمَةِ الْمَلِكِ شَيْئًا، فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ، وَلْيَسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَإِذَا أَحْسَسَ مِنْ لَمَمَةِ الشَّيْطَانِ شَيْئًا، فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَلْيَتَعَوَّذْ^(٤) مِنَ الشَّيْطَانِ.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٠/٢ (٢٨١٧) من طريق سعيد به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٤٨ إلى عبد بن حميد.

(٢) (٢ - ٢) في الأصل، ت ١، ت ٢، ت ٣: «بالحق وتصديق بالخير».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٨٨)، والنسائي في الكبرى (١١٠٥١)، وأبو يعلى (٤٩٩٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥٢٩/٢ (٢٨١٠)، وابن حبان (٩٩٧) من طريق هناد بن السري به، وأخرجه البيهقي في الشعب (٤٥٠٦) من طريق أبي الأحوص به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٤٨ إلى ابن المنذر.

(٤) في الأصل: «يتعوذ».

حدّثني يعقوب ، قال : ثنا ابنُ عُليّة ، قال : ثنا عطاءُ بنُ السائب ، عن أبي الأحوص ، أو عن مرّة ، قال : قال عبدُ الله بنُ مسعود : ألا إن للملّك لمة ، وللشيطانِ لمة ، فلمّة الملّك إيعادُ بالخيرِ وتصديقُ بالحقّ ، ولمةُ الشيطانِ إيعادُ بالشرِّ وتكذيبُ بالحقّ ، ذلكم بأن الله عز وجل يقول : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ . فإذا وجدتم من هذه شيئًا فأحمّدوا الله عليه ، وإذا وجدتم من هذه شيئًا فتعوّذوا بالله من الشيطان .

حدّثنا الحسن بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن عبد الله بن مسعود في قوله : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ . قال : إن للملّك لمة ، وللشيطانِ لمة ، فلمّة الملّك إيعادُ بالخيرِ وتصديقُ بالحقّ ، فمن وجدها فليحمّد الله ، ولمةُ الشيطانِ إيعادُ بالشرِّ وتكذيبُ بالحقّ ، فمن وجدها فليستعذ بالله ^(١) .

/ حدّثني المثني ، قال : ثنا الحجاج بنُ المنهال ، قال : ثنا حماد بنُ سلمة ، قال : ٨٩/٣ أخبرنا عطاء بنُ السائب ، عن مرّة الهمداني ، أن ابن مسعود قال : إن للملّك لمة ، وللشيطانِ لمة ، فلمّة الملّك إيعادُ بالخيرِ وتصديقُ بالحقّ ، ولمةُ الشيطانِ إيعادُ بالشرِّ وتكذيبُ بالحقّ ، فمن أحسّ من لمة الملّك شيئًا ، فليحمّد الله عليه ، ومن أحسّ من لمة الشيطانِ شيئًا ^(٢) ، فليتعوّد بالله منه . ثم تلا هذه الآية : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

حدّثنا المثني ، قال : ثنا سويد بنُ نصر ، قال : أخبرنا ابنُ المبارك ، عن فطير ، عن

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٠٩ ، وأخرجه ابن مردويه في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير ١/٤٧٥ من طريق الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن مسعود مرفوعًا نحوه .

(٢) سقط من : الأصل .

المسيب بن رافع ، عن عامر بن عبدة ، عن عبد الله بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن مرة بن شراحيل ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : إن للشيطان لمة ، وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فتكذيب بالحق وإيعاذ بالشر ، وأما لمة الملك فإيعاذ بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ، وليحمد الله عليه ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان [٥٢/٨] الرجيم . ثم قرأ : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بذلك : والله واسع الفضل^(١) الذى يعدكم أن يُعطيكموه من فضله وسعة خزائنه ، عليكم بنفقاتكم وصدقاتكم التى تُنفقون وتصدقون بها ، يُحصيها لكم حتى يجازيكم بها عند مقدمكم عليه فى آخرتكم .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : يُؤتى الله الإصابة فى القول والفعل من يشاء من عباده ، ومن يُؤت الإصابة فى ذلك منهم فقد أُوتى خيراً كثيراً .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : الحكمة التى ذكرها الله تبارك وتعالى فى هذا الموضع هى القرآن والفقهُ به .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن

(١) فى الأصل : « للفضل » .

ابن عباس في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: يعنى المعرفة بالقرآن؛ ناسخه ومنسوخه، ومُحكّمه ومتشابهه، ومُقدّمه ومؤخّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله^(١).

حدّثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾. قال: الحكمة القرآن والفقّه في القرآن^(٢).

حدّثنا بشر بن معاذ، [٥٢/٨ ظ] قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن ٩٠/٣ قتادة قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: والحكمة الفقه في القرآن^(٣).

حدّثنى محمد بن عبد الله الهلالى، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا مهدى بن ميمون، قال: ثنا شعيب بن الحبحاب، عن أبى العالىة: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. قال: الكتاب والفهم به^(٤).

حدّثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ الآية. قال: ليست بالنبوة، ولكنه القرآن والعلم والفقّه^(٥).

(١) أخرجه ابن أبى حاتم في تفسيره ٥٣١/٢ (٢٨٢٢) والنحاس في ناسخه ص ٥٠ من طريق عبد الله بن صالح به. وعزاه السيوطى في الدر المنثور ٣٤٨/١ إلى ابن المنذر.

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٠٩.

(٣) عزاه السيوطى في الدر المنثور ٣٤٨/١ إلى عبد بن حميد.

(٤) فى م: «فيه».

والأثر ذكره ابن كثير فى تفسيره ٤٧٦/١، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٨/١ إلى المصنف.

(٥) أخرجه ابن أبى شيبه ٧/٢٣١، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣١/٢ (٢٨٢٣)، والخطيب فى الفقيه والمتفقه (١٠٦) من طريق جرير به، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية ٣/٢٩٢، والخطيب (١٠٥، ١٠٧) من طريق ليث به.

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : الفقهُ في القرآنِ ^(١) .

وقال آخرون : معنى الحكمة الإصابةُ في القولِ والفعلِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ مُجَاهِدًا قَالَ : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ ﴾ . قَالَ : الإِصَابَةُ ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾ . قَالَ : يُؤْتِي إِصَابَتَهُ مِنْ يَشَاءُ ^(٣) .

وَحَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حذيفةُ ، قَالَ : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مُجَاهِدٍ : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾ . قَالَ : الْكِتَابُ ، يُؤْتِي إِصَابَتَهُ ^(٤) مِنْ يَشَاءُ .

وقال آخرون : هي العلمُ بالدينِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : الْحِكْمَةُ الْعَقْلُ فِي

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٤٨ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٥٣٢ (٢٨٢٥) من طريق سفيان به .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٤٥ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٤٨ إلى عبد بن حميد .

(٤) سقط من : م .

الدين . وقرأ : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾^(١) .

وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قلت لملك : ما الحكمة ؟ قال : المعرفة بالدين ، والفقهُ فيه ، والاتباعُ له .
وقال آخرون : الحكمةُ الفهمُ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي حمزة ، عن إبراهيم ، قال : ^(٢) هو الفهم . يعني ^(٣) الحكمة^(٢) .
وقال آخرون : هي الخشية .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ [٥٣/٨]

/حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ٩١/٣ في قوله : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ ﴾ الآية . قال : الحكمةُ الخشيةُ ؛ لأن رأس كلِّ شيءٍ خشيةُ الله . وقرأ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٤) [فاطر : ٢٨] .

وقال آخرون : هي النبوءة .

(١) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ : « حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الحكمة العقل » .
وتقدم هذا الأثر والأثر بعده في ٥٧٦/٢ .
(٢ - ٢) في م : « الحكمة هي الفهم » .
(٣) في ص ، ت ، ١ : « بمعنى » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٢/٢ (٢٨٢٦) من طريق سفيان به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣١/٢ (٢٨٢٤) من طريق أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٤٧٦/١ عن أبي العالية ، وذكره القرطبي في تفسيره ٣٣٠/٣ عن الربيع مختصراً بلفظ : الحكمة الخشية .

ذِكْرٌ مَن قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدئي قوله : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ ﴾ الآية . قال : الحكمة هي النبوة^(١) .

وقد بيننا فيما مضى معنى «الحكمة» ، وأنها مأخوذة من الحكم وفصل القضاء ، وأنها الإصابة ، بما دلَّ على صحته ، فأغنى ذلك عن تكريره في هذا الموضع^(٢) .

وإذا كان ذلك^(٣) معناه ، كان جميع الأقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك ، داخلاً فيما قلنا من ذلك ؛ لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة ، وإذا كان ذلك كذلك ، كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره ، فهما خاشياً لله ، فقيهاً عالماً ، وكانت النبوة من أقسامه ؛ لأن الأنبياء مُسَدَّدُونَ مُفَهَّمُونَ مُوَفَّقُونَ لإصابة الصواب في الأمور ، فالنبوة بعض معاني الحكمة .

فتأويل الكلام : يُؤْتِي اللَّهُ إِصَابَةَ الصَّوَابِ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ مَن يَشَاءُ ، وَمَن يُؤْتِهِ اللَّهُ ذَلِكَ فَقَدْ آتَاهُ خَيْرًا كَثِيرًا .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بذلك : وما يتعظ بما وعظه به ربُّه في هذه الآيات التي وعظ فيها المُتَنَفِّقِينَ أموالهم ، بما^(٤) وعظهم به وغيرهم^(٥) فيها وفي غيرها من آي كتابه ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٢/٢ (٢٨٢٨) من طريق عمرو به .

(٢) ينظر ما تقدم في ٥٧٧/٢ .

(٣) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « كذلك » .

(٤ - ٥) في م « وعظ به غيرهم » .

فَيَذَكِّرْهُ وَعَدِّهِ وَوَعِيدِهِ فِيهَا ، فَيَنْزِجُ عَمَّا زَجَرَهُ عَنْهُ رَبُّهُ ، وَيُطِيعُهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ ﴿ إِلَّا أُولَ الْأَنْبِيَاءِ ﴾ . يعنى : [٥٣/٨ ظ] إِلَّا أُولُو الْعُقُولِ الَّذِينَ عَقَلُوا عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ .
فَأُخْبِرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ الْمَوَاعِظَ غَيْرُ نَافِعَةٍ إِلَّا أُولَى الْحِجَابِ وَالْحُلُومِ ، وَأَنَّ الذِّكْرَى غَيْرُ نَافِعَةٍ إِلَّا أَهْلَ التَّهَى وَالْعُقُولِ .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ .

يعنى جلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ : وَأَيُّ نَفَقَةٍ أَنْفَقْتُمْ . يعنى : أَيُّ صَدَقَةٍ تَصَدَّقْتُمْ ، أَوْ أَيُّ نَذْرٍ نَذَرْتُمْ . يعنى بالنذر ما أوجبته المرء على نفسه ، تبرزاً فى طاعة الله ، وتقرباً به إليه من صدقة أو عملٍ خيرٍ ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ أَيُّ : إِنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ بَعْلَمِ اللَّهِ ، لَا يُعْزُبُ عَنْهُ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَلَا يُخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّهُ يُحْصِيهِ أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ ، حَتَّى يُجَازِيَهُ ^(١) جَمِيعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ ، فَمَنْ كَانَتْ نَفَقَتُهُ مِنْكُمْ وَصَدَقَتُهُ وَنَذْرُهُ ابْتِغَاءً مَرْضَاةَ اللَّهِ وَتَشِيئاً مِنْ نَفْسِهِ ، جَازَاهُ بِالذِّى وَعَدَّهُ مِنَ التَّضْعِيفِ ، وَمَنْ كَانَتْ نَفَقَتُهُ وَصَدَقَتُهُ رِيَاءَ النَّاسِ ، وَنَذْرُهُ لِلشَّيْطَانِ ، جَازَاهُ بِالذِّى أَوْعَدَهُ مِنَ الْعِقَابِ وَالْأَلِيمِ الْعَذَابِ .

/ كالذى حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن ٩٢/٣
أبى نجیح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ ﴾ . قال ^(٢) : فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَيُحْصِيهِ ^(٣) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد مثله .

(١) فى ص . م . ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ « يجازيكم » .

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣٥/٢ (٢٨٤١) من طريق ابن أبى نجیح به ، وعزاه السيوطى فى

الدر المنثور ٣٥٠/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

ثم أوعد جل ثناؤه من كانت نفقته رياءً، ونذوره طاعةً للشيطان، فقال: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾. يعنى: وما لمن أنفق ماله رياءً الناس وفي معصية الله، وكانت نذوره للشيطان وفي طاعته، ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ وهم جمع نصير، كما الأشراف جمع شريف.

ويعنى بقوله: ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾: مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَدْفَعُ عَنْهُمْ عِقَابَهُ يَوْمَئِذٍ بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ بَطْشٍ، وَلَا بِفِدْيَةٍ^(١) وَلَا حِيلَةٍ.

وقد دللنا على أن الظالم هو الواضع الشيء في غير موضعه^(٢)، وإنما سُمي الله المنفق ماله رياءً الناس، والناذر في غير طاعته ظالماً؛ لوضعه إنفاق ماله في غير موضعه، ونذره في غير ما له وضعه فيه، فكان ذلك ظلمه.

فإن قال قائل: فكيف قال: ﴿فَاتُ اللَّهُ يَعْلَمُهُ﴾. ولم يقل: يعلمهما. وقد ذكر النذر والنفقة؟

قيل: إنما قال: ﴿فَاتُ اللَّهُ يَعْلَمُهُ﴾ لأنه أراد: فإن الله يعلم ما أنفقتم [٥٤/٨] أو نذرتم. فلذلك وحّد الكناية.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

يعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ﴾: إِنْ تُغْلِقُوا الصَّدَقَاتِ، فَتُعْطُوهَا مَنْ تَصَدَّقْتُمْ بِهَا عَلَيْهِ، ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾. يقول: فَنِعَمَ الشَّيْءُ هِيَ، ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا﴾. يقول: وَإِنْ تَشْتَرُوهَا فَلَمْ تُغْلِقُوهَا، ﴿وَتُؤْتُوهُا الْفُقَرَاءَ﴾. يعنى:

(١ - ١) سقط من: ص، م، ت، ١، ٢، ٣.

(٢) ينظر ما تقدم في ٥٥٩/١، ٥٦٠.

(٣) في ص، م، ت، ١، ٢، ٣: «فلن».

وتعطوها الفقراء في السر، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. يقول: فأخفاؤكم إيّاها خيرٌ لكم من إعلانها، وذلك في صدقة التطوع.

كما حدّثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: كلُّ مقبولٍ إذا كانت النيّة صادقة، وصدقة السرّ أفضل، وذُكر لنا أنّ الصدقة تطفئُ الخطيئة كما يُطفئُ الماءُ النارَ^(١).

حدّثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابنُ أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. قال: كلُّ مقبولٍ إذا كانت النيّة صادقة، والصدقة في السرّ أفضل. وكان يقول: إنّ الصدقة تُطفئُ الخطيئة كما يُطفئُ الماءُ النارَ^(٢).

حدّثني المثنى، قال: ثنا عبدُ الله بنُ صالح، قال: ثنى معاوية، عن علي، عن ابنِ عباسٍ قوله: ﴿إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: فجعل الله صدقة السرّ في التطوع تفضّلُ علانيّتها بسبعين ضعفاً، وجعل صدقة الفريضة علانيّتها أفضلَ من سرّها. يقال: بخمسة وعشرين ضعفاً، وكذلك جميعُ الفرائضِ والنوافلِ والأشياءِ كلّها^(٣).

/حدّثني عبدُ الله بنُ محمدٍ الحنفى، قال: ثنا عبدُ الله بنُ عثمان، قال: أخبرنا ٩٣/٣

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٥٣ إلى المصنف وعبد بن حميد. وقوله: الصدقة تطفئُ الخطيئة... أخرجه الترمذى (٦١٤) مرفوعاً من حديث كعب بن عجرة، وينظر ما أخرجه أحمد (٣٣٢/٢٢) (١٤٤١) من حديث جابر.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٣٧ (٢٨٤٩) من طريق ابن أبى جعفر به.

(٣) فى الأصل، م: «فى».

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٣٦ (٢٨٤٧) من طريق أبى صالح به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٥٣ إلى ابن المنذر.

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارِكِ ، قَالَ : سَمِعْتُ سَفِيَانَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ . قَالَ : يَقُولُ : هُوَ سَوَى الزَّكَاةِ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّمَا عَنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ : إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ عَلَى أَهْلِ الْكُتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، فَنِعِمَّا هِيَ ، وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا فُقَرَاءَهُمْ ، فَهُوَ خَيْرٌ [٥٤/٨ ظ] لَكُمْ . قَالُوا : وَأَمَّا مَا أُعْطِيَ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ زَكَاةٍ وَصَدَقَةٍ تَطَوُّعٍ ، فِإِخْفَاؤُهُ أَفْضَلُ مِنْ إِعْلَانِهِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شُرَيْحٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ يَزِيدَ بْنَ أَبِي حَبِيبٍ يَقُولُ : إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ فِي الصَّدَقَةِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ^(٢) .

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَنْفِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَثْمَانَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارِكِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ لَهَيْعَةَ ، قَالَ : كَانَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ يَأْمُرُ بِقَسْمِ الزَّكَاةِ فِي السَّرِّ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَحَبُّ أَنْ تُعْطَى فِي الْعَلَانِيَةِ . يَعْنِي الزَّكَاةَ .

وَلَمْ يَخْصُصِ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ . ^(٣) صَدَقَةٌ دُونَ صَدَقَةٍ ^(٣) ، فَذَلِكَ عَلَى الْعُمُومِ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ زَكَاةٍ وَاجِبَةٍ ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٦/٢ (٢٨٤٥) من طريق ابن المبارك به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٩/٢ (٢٨٦٣) عن يونس بن عبد الأعلى به .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

فإنَّ الواجبَ من الفرائضِ قد أجمَعَ الجميعُ على أن الفضلَ في إعلانِه وإظهارِه ، سوى الزكاةِ التي ذكرنا اختلافَ المختلفينَ فيها ، مع إجماعِ جميعهم على أنها واجبةٌ ، فحكمُها في أن الفضلَ في أدائها علانيةً حكمٌ سائرِ الفرائضِ غيرها .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ .

اختلفتِ القراءةُ في قراءةِ ذلك ؛ فزوى عن ابن عباسٍ أنه كان يقرؤه : (وتُكفِّرُ عنكم) بالتاء^(١) . ومن قرأه كذلك ، فإنه يعنى به : وتُكفِّرُ الصدقاتُ عنكم من سيئاتكم .

وقرأ آخرون : ﴿ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ ﴾ . بالياء^(٢) . بمعنى : ويكفِّرُ اللهُ عنكم بصدقاتكم ، على ما ذكر في الآية من سيئاتكم .

وقرأ ذلك بعدُ عامةُ قراءَةِ أهلِ المدينةِ والكوفةِ والبصرةِ : (وتُكفِّرُ عنكم) بالنونِ وجرِّمِ الحرفِ^(٣) ، بمعنى : وإن تُخفوها وتؤثوها الفقراءَ ، تكفِّرُ عنكم من سيئاتكم . بمعنى مجازاةِ اللهِ عزَّ وجلَّ مُخْفِيِ الصدقةِ بتكفيرِ بعضِ سيئاتِه بصدقته التي أخفاها .

وأولى القراءاتِ في ذلك عندنا بالصوابِ قراءةُ من قرأ : (وتُكفِّرُ عنكم) . بالنونِ وجرِّمِ الحرفِ ، على معنى الخبرِ من اللهِ جلَّ ثناؤه عن نفسه أنه يُجازي المُخْفِيِ صدقته التطوُّعَ ؛ ابتغاءً [٥٥/٨] وجهه من صدقته ، بتكفيرِ سيئاتِه . وإذا قرئ كذلك فهو مجزومٌ على^(٤) التَّنْشِقِ على^(٤) موضعِ الفاءِ في قوله : ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ . لأنَّ الفاءَ هنالك حلَّت محلَّ جوابِ الجزاءِ .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف اخترتَ الجزمَ على التَّنْشِقِ على موضعِ الفاءِ ، وتركتَ

(١) ينظر البحر المحيط ٣٢٥/٢ ، وهي قراءة شاذة ، لم يقرأ بها أحد من العشرة .

(٢) وهي قراءة ابن عامر وحفص . حجة القراءات ص ١٤٨ .

(٣) وهي قراءة نافع وحزمة والكسائي ، ولم يذكر المصنف قراءة من قرأ بالنون ورفع الراء ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وأبي بكر . المصدر السابق ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٤) (٤ - ٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ . (تفسير الطبري ٢/٥)

اختياراً نَسَقَهُ على ما بعدَ الفاءِ ، وقد علمتُ أن الأَفْصَحَ من الكلامِ في النَسَقِ على جوابِ الجزاءِ الرَّفْعِ وإنما الجزمُ تَجْوِيزٌ؟

قيل : اخترنا ذلك لِيُؤْذَنَ بجزمه أن التَكْفِيرَ - أعنى تَكْفِيرَ اللَّهِ مِنْ سِيئَاتِ الْمُتَصَدِّقِ - لا محالةً داخلٌ فيما وَعَدَ اللَّهُ / الْمُتَصَدِّقَ أن يُجَازِيَهُ به على صَدَقَتِهِ ؛ لأن ذلك إذا جزم مُؤْذَنٌ بما قلنا لا محالةً ، ولو رُفِعَ كان قد يَحْتَمَلُ أن يكونَ داخلًا فيما وَعَدَهُ اللَّهُ أن يُجَازِيَهُ به ، وأن يكونَ خبرًا مستأنفًا ، أنه يكفِّرُ من سيئاتِ عباده المؤمنين ، على غيرِ المجازاةِ لهم بذلك على صدقاتِهِمْ ؛ لأن ما بعدَ الفاءِ في جوابِ الجزاءِ استئنافٌ ، فالمعطوفُ على الخبرِ المستأنفِ في حكمِ المعطوفِ عليه ، في أنه مُستأنفٌ^(١) غيرُ داخلٍ في الجزاءِ ، ولذلك من العلةِ اخترنا جزمَ (نُكْفَرُ) عطفًا به على موضعِ الفاءِ من قوله : ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ . وقراءته بالنون .

فإن قال قائلٌ : وما وجهُ دخولِ (مِنْ) في قوله : (وَنُكْفَرُ عَنْكُمْ مِنْ سِيئَاتِكُمْ) ؟ قيل : وجهُ دخولها في ذلك بمعنى : وَنُكْفَرُ عَنْكُمْ مِنْ سِيئَاتِكُمْ ما نشاءُ تَكْفِيرَهُ منها دونَ جميعِها ؛ ليكونَ العبادُ على وَجَلٍ من اللَّهِ فلا يَتَّكِلُوا على وعده ما وَعَدَ على الصدقاتِ التي يُخْفِيها المتصدقُ ، فيجتَرئوا على حدودِهِ ومعاصِيهِ . وقد قال بعضُ نحوِيِّ البصرة : معنى ﴿ مِنْ ﴾ الإسقاطُ في هذا الموضعِ . وتأوَّل معنى ذلك : وَنُكْفَرُ عَنْكُمْ سِيئَاتِكُمْ .

القولُ في تأويلِ قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ .

يعنى بذلك جَلَّ ثَنَاؤُهُ : وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ في صدقاتِكُمْ ، من إخفائها وإعلانِ وإسرارِ بها ووجهِها ، وفي غيرِ ذلك من أعمالِكُمْ ، ﴿ خَبِيرٌ ﴾ يعنى بذلك : ذو خبرةٍ وعلمٍ ، [٥٥ / ٨ ظ] لا يَخْفَى عليه شيءٌ من ذلك ، فهو بجميعِهِ محيطٌ ، ولكلِّه محصٍ

على أهله ، حتى يوفّيهم ثواب جميعه ، وجزاء قليله وكثيره .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَا كِنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٢٧١) .

يعنى تعالى ذكره بذلك : ليس عليك يا محمد هدى المشركين إلى الإسلام ، فتمنعهم الصدقة التطوع ، ولا تعطيتهم منها ؛ ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها ، ولكن الله هو يهدى من يشاء من خلقه إلى الإسلام فيوفّقهم له ، فلا تمنعهم الصدقة .

كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد^(١) ، قال : كان النبي ﷺ لا يتصدّق على المشركين ، فنزلت : ﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ . فتصدّق عليهم^(٢) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو داود ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : كانوا لا يرضخون^(٣) لقراياتهم من المشركين ، فنزلت : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَا كِنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾^(٤) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : كانوا يتقون أن يرضخوا لقراياتهم من المشركين حتى نزلت : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَا كِنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « شعبة » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٥٧ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) الرضخ : العطية القليلة . اللسان (ر ض خ) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٥٣٧ (٢٨٥٢) من طريق أبي داود به ، وأخرجه النسائي في الكبرى (١١٠٥٢) ، والطبراني (١٢٤٥٣) ، والحاكم ٢/٢٨٥ ، والبيهقي ٤/١٩١ ، من طريق سفيان به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٥٧ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والضياء .

/حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَأَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَا : ثنا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : ثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن جعفرِ بنِ إِيَّاسٍ ، عن سَعِيدِ بنِ جَبْرِ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كانوا لا يَرْضَخُونَ لِأَنْسِبَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فنزلت : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَا كُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ الآية . فرخص لهم ^(١) .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا سُؤَيْدٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارِكِ ، عن سفيانَ ، عن الأعمشِ ، عن جعفرِ بنِ إِيَّاسٍ ، عن سَعِيدِ بنِ جَبْرِ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كان أناسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَهُمْ أَنْسَاءٌ وَقَرَابَةٌ مِنْ قُرَيْظَةَ وَالتَّضْيِيرِ ، وكانوا يَتَّقُونَ أَنْ يَتَصَدَّقُوا عَلَيْهِمْ ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُسَلِّمُوا ، فنزلت : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ الآية ^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عن قتادةَ : وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا : أَنْتَصَدَّقُ عَلَى مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ دِينِنَا ؟ [٥٦/٨] فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ الْقُرْآنَ : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الرِّبِّيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَا كُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ . قَالَ : كان الرجلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِذَا كان بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّجُلِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَرَابَةٌ وَهُوَ مُحْتَاجٌ ، فلا يَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ ، يَقُولُ : لَيْسَ مِنْ أَهْلِ دِينِي . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ الآية ^(٤) .

حَدَّثَنِي ^(٥) مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عن

(١) أخرجه البزار (٢١٩٣ - كشف) ، والحاكم ١٥٦/٤ من طريق أبي أحمد الزبيرى به .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٧/١ إلى المصنف .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٧/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٤ - ٤) فى ص ، م : « محمد » .

الشدي قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِن خَيْرٍ نَّلَانفُسِكُمْ﴾: ﴿أَمَّا ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ فيعني المشركين، وأما النفقة فبيّن أهلها^(١).

حدّثني المثنى، قال: ثنا الحِمَاني، قال: ثنا يعقوبُ القُمي، عن جعفرِ بنِ أبي المغيرة، عن سعيدِ بنِ جبيرة، قال: كانوا يتصدّقون^(٢) على فقراءِ أهلِ الذمّة، فلمّا كثر فقراءُ المسلمين، قالوا: لا نُعطِيها إلاّ المسلمين، فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾. قال: فكانوا بعدُ يُعطونهم^(٣).

حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابنُ وهب، قال: قال ابنُ زيد في قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾. قال: يقول: إنّما لها ثوابُ نفقتها، وليس لها من عمليّة شيء، لو كان خيرُ أهلِ الأرض لم يكن لها من عمليّة شيء، إنّما لها أجرُ نفقتها، ولا تُسألُ عمّن تريدُ تضعُ نفقتها فيه، فليس لها من عمليّة شيء، إنّما لها ثوابُ نفقتها، ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾.

حدّثنا أحمدُ بنُ إسحاق، قال: حدّثنا أبو أحمد، قال: حدّثنا جريرُ بنُ عبد الحميد، عن أشعثِ بنِ إسحاق، عن جعفرِ بنِ أبي المغيرة، عن سعيدِ بنِ جبيرة، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: « لا تصدّقوا إلاّ على أهلِ دينكم ». فأنزل اللهُ تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾^(٤).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٨/٢ (٢٨٥٦) من طريق عمرو به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٧/١ إلى ابن المنذر.

(٢ - ٢) سقط من: ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٧/١ إلى ابن المنذر.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ١٧٧/٣ عن جرير به.

١) وأما قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾. فإنه يعنى جل ثناؤه: وما تصدقون به من مال - والمال هو الخير الذي ذكره الله جل ثناؤه في هذه الآية. وقوله: ﴿فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ تنفقون؛ ليكون لكم ذخراً عند الحاجة إليه في معادكم. وأما قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفِّ إِلَيْكُمْ﴾ فإنه يعنى جل جلاله: وما تصدقوا به من مال فإنكم تُوفون، فيرجع إليكم جزاؤه تاماً وافياً، فلا تمثنوا على أحد بما تصدقتم به عليه، ولا تمتنعوا من إعطائتها من امتنعتم من إعطائه إياها من مشركي أهل الكتاب وغيرهم من أهل الإسلام، فإنكم لا تُظلمون أجرها فتُبخسوه، ولا تُنقصونه، بل على الله أن [٥٦/٨ ظ] يوفيقكم أجوركم وجزاءكم عليها^١.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾. قال: هو مردود عليك، فما لك ولهذا تؤذيه وتمن عليه؟ إنما نفقتك لنفسك، وابتغاء وجه الله، والله يجزيك^(٢).

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

٩٦/٣ /أما قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. فبيان من الله تعالى ذكره عن سبيل النفقة ووجهها. ومعنى الكلام: وما تُنْفِقُوا من خير فلا أنفسكم، تُنْفِقُونَ للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله.

واللام التي في «الفقراء» مردودة على موضع اللام من قوله: ﴿فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾. كأنه قال: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ يعنى به: وما تصدقوا به من مال للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله. فلما اعترض في الكلام بقوله: ﴿فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾. فأدخل الفاء التي هي جواب الجزاء فيه، تركزت إعادتها في قوله:

(١ - ١) سقط من: ص، م، ت، ١، ٢، ٣.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٥٧، ٣٥٨ إلى المصنف.

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ . إذ كان الكلام مفهوماً معناه .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله :
﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
فَلَأَنْتُسِكُمْ﴾ : أمّا ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ . فيعني المشركين ، وأمّا النفقة فيبين
أهلها ، فقال : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١) .

وقيل : إنّ هؤلاء الفقراء الذين ذكرهم الله في هذه الآية هم فقراء المهاجرين
خاصة^(٢) دون غيرهم من الفقراء .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ،
عن مجاهد في قوله : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ :
مهاجرى قريش بالمدينة مع النبي ﷺ ، أمر بالصدقة عليهم^(٣) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه قوله :
﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية . قال : هم فقراء
المهاجرين بالمدينة^(٤) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿لِلْفُقَرَاءِ
الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ . قال : فقراء المهاجرين^(٥) .

(١) تقدم تخريجه في ص ٢١ .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عامة » .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٤٥ ، ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٤٠/٢ (٢٨٦٥) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٨/١ إلى المصنف من قول الربيع .

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٢/٢٦١ ، وتفسير القرطبي ٣/٣٩٩ .

[٥٧/٨] القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكره : الذين جعلهم جهادهم عدوهم يُحْصِرُونَ أنفسهم ، فيحسبونها عن التصرف ، فلا يستطيعون تصرفاً .

وقد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى الإحصارِ تصييرُ الرجلِ المُحصِرِ مرضه أو فاقتُه أو جهادُه عدوّه ، وغير ذلك من علله ، إلى حالةٍ يحبس فيها نفسه عن التصرف في أسبابه ، بما فيه الكفاية فيما مضى قبل^(١) .

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم في ذلك بنحو الذي قلنا فيه .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ . قال : حصروا أنفسهم في سبيل الله للغزو^(٢) .

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ . قال : كانت الأرض كلها كفرة ، لا يستطيع أحد أن يخرج بيتعى من فضل الله ، فإذا خرج / خرج في كفر . وقيل : كانت الأرض كلها حرباً على أهل هذا البلد ، وكانوا لا يتوجهون جهة إلا لهم فيها عدو ، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي

٩٧/٣

(١) ينظر ما تقدم في ٣٤٢/٣ وما بعدها .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٠٩ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٥٤٠ (٢٨٦٧) عن الحسن بن يحيى به .

سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١﴾ . الآية . كانوا هلهنا فى سبيلِ الله (١) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الذين حَصَرهم المشركون فمَنَعوهم التصرف .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ : حَصَرهم المشركون فى المدينة (٢) .

ولو كان تأويلُ الآية على ما تأوَّله السُّدِّى ، لكان الكلامُ : للفقراءِ الذين حُصِرُوا فى سبيلِ الله . ولكنه ﴿أُحْصِرُوا﴾ . فدلَّ ذلك على أن خوفهم من العدوِّ الذى صيَّر هؤلاء الفقراءِ إلى الحالِ التى حَبَسوا - وهم فى سبيلِ الله - [٥٧/٨ ظ] أنفسهم ، لا أن العدوَّ هم كانوا الحابِسيهم ، وإنما يقالُ لمن حَبَسه العدوُّ : حَصَره العدوُّ . وإذا كان الرجلُ المُحْبَس من خوفِ العدوِّ ، قيل : أُحْصِره خوفُ العدوِّ . القولُ فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ .

يعنى بذلك جلُّ ثناؤه : لا يستطيعون تقلُّبًا فى الأرضِ ، وسفرًا فى البلادِ ؛ ابتغاءَ المعاشِ ، وطلبَ المكاسبِ ، فيستغنوا به (٣) عن الصدقاتِ ، رهبةً العدوِّ ، وخوفًا على أنفسهم منهم .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٨/١ إلى المصنف إلى قوله : خرج فى كفر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤٠/٢ (٢٨٦٨) من طريق عمرو به .

(٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾ : حصروا^(١) أنفسهم في سبيل الله للغزو^(٢) ، فلا يستطيعون تجارة^(٣) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدي : ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني : التجارة^(٤) .

وحدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله : ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾ : كان أحدهم لا يستطيع أن يخرج بيتي من فضل الله^(٥) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ .

يعنى بذلك : يحسبهم الجاهل بأمرهم وحالهم أغنياء من تعففهم عن المسألة ، وتركهم التعرض لما فى أيدي الناس ؛ صبراً منهم على البأساء والضراء .

كما حدثنا^(٦) بشر بن معاذ ، قال : حدثنا^(٦) يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ ﴾ . يقول : يحسبهم الجاهل بأمرهم أغنياء من التعفف .

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « حبسوا » .

(٢) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « للعدو » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٠٩ .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٥٨ إلى المصنف .

(٥) تقدم فى ص ٢٤ .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

ويعنى بقوله: ﴿ مِنْ التَّعَفُّفِ ﴾ : من ترك مسألة الناس ، وهو « التَّفَعُّلُ » من العَفَّةِ عن الشيء ، والعَفَّةُ عن الشيء تركه ، كما قال زُؤْبَةُ^(١) :

فَعَفَّ عَنْ أَسْرَارِهَا بَعْدَ الْعَسَقِ^(٢)

يعنى : ترك^(٣) وتجنَّب .

[٥٨/٨] القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : تعرفهم يا محمد ﴿ بِسِيمَاهُمْ ﴾ ، يعنى : بعلامتهم وآثارهم ، من قول الله عزَّ وجلَّ : / ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [٩٨/٣] [الفتح : ٢٩] . وهذه لغة قريش ، ومن العرب من يقول : بسيمائهم . فيمُدُّها ، وأما تَقْيِيفٌ وبعضُ أسيد فإنهم يقولون : بسيمائهم ، ومن ذلك قول الشاعر^(٤) .

غُلامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحُسْنِ يافِعًا لَهُ سِيْمِيَاءٌ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ
وقد اختلف أهل التأويل فى السِّيماءِ التى أخبر الله جل ثناؤه أنها لهؤلاء الفقراء الذين وصف^(٥) صفتهم ، وأنهم يُعرفون بها ؛ فقال بعضهم : هو التخشُّع والتواضع .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ،

(١) تقدم البيت فى ٤/ ٢٧٩ .

(٢) فى ص ، م : « الغسق » ، وفى ت ٢ : « العشق » .

(٣) فى ص ، م ، ت ٢ ، « برئ » ، وفى ت ١ : « يروى » .

(٤) هو ابن عطاء الفزارى ، والبيت فى الكامل ١/ ٢٢ ، وأمالى القالى ١/ ٢٣٧ ، والمؤتلف والمختلف للامدى

ص ٢٣٨ ، والأغانى ١٩/ ٢٠٨ .

(٥) فى ص ، م ، ت ٢ : « وصفت » .

عن مجاهد في قوله: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾^(١). قال: التخشُّع^(١).
وحدَّثنا المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن
مجاهد مثله.

حدَّثني المُثَنَّى،^(٢) قال: حدثنا إسحاق^(٢)، قال: ثنا ابنُ أبي جعفر، عن أبيه، عن
ليث، قال: كان مجاهدٌ يقول: هو التخشُّع.
وقال آخرون: يعنى بذلك: تعرِّفهم بسيماء الفقيرِ وجهدِ الحاجةِ في
وجوههم.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن الشَّدْيِ: [٥٨/٨]
﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾: بسيماء الفقيرِ عليهم^(٣).
حدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابنُ أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع
في قوله: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾. يقول: تعرِّف في وجوههم الجَهْدَ من
الحاجةِ^(٤).

وقال آخرون: يعنى بذلك: تعرِّفهم برثاءة ثيابهم. وقالوا: الجوعُ خفيٌّ.

(١) تفسير مجاهد ص ٢٤٥، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٤١/٢ (٢٨٧٢)، وأخرجه عبد الرزاق
في تفسيره ١٠٩/١ عن معمر، عن مجاهد.

(٢-٢) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، وفي الأصل: «قال: حدثنا أبو إسحاق». وهو إسناد
دائر، وتقدم على الصواب في ص ٢٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٤١/٢ (٢٨٧٣) من طريق عمرو به.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٤١/٢ (٢٨٧٤) من طريق ابن أبي جعفر به.

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ . قَالَ : السِّيْمَا : رَثَائَةُ ثِيَابِهِمْ ، وَالْجَوْعُ خَفِيُّ عَلَى النَّاسِ ، وَلَمْ تَسْتَطِعِ الثِّيَابُ الَّتِي يَخْرُجُونَ فِيهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ ^(١) .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله عز وجل أخبر نبيه ﷺ أنه يعرفهم بعلاماتهم وآثار الحاجة فيهم ، وإنما كان النبي ﷺ يُدرك تلك العلامات والآثار منهم عند المشاهدة بالعيان ، فيعرفهم وأصحابه بها ، كما يُدرك المريض فيعلم أنه مريض بالمعاينة .

وقد يجوز أن تكون تلك السیما كانت تخشعاً منهم ، وأن تكون كانت أثر الحاجة والضّر ، وأن تكون كانت رثائَةَ الثياب ، وأن تكون كانت جميع ذلك ، وإنما تُدركُ علاماتُ الحاجةِ وآثارُ الضّرِّ في الإنسانِ ، ويُعلمُ / أنها من الحاجةِ والضّرِّ ، ٩٩/٣ بالمعاينةِ دونَ الوصفِ ، وذلك أن المريضَ قد يصيرُ به في بعضِ أحوالِ مرضه من المرضِ ، نظيرُ آثارِ المجهودِ من الفاقةِ والحاجةِ ، وقد يلبسُ الغنى ذوالمالِ الكثيرِ الثيابِ الرثَّةَ ، فيتزيّاً بزئى أهلِ الحاجةِ ، فلا يكونُ في شيءٍ من ذلك دَلالةٌ بالصفةِ على أن الموصوفَ به مختلٌ ذو فاقةٍ ، وإنما يُدركُ ^(٢) ذلك عندَ المعاينةِ بسيماهُ ، ^(٣) كما وصفهم اللهُ به ، نظيرَ ما يُعرفُ المريضُ بأنه مريضٌ ^(٤) عندَ المعاينةِ ، دونَ وصفه بصفتهِ .

[٥٩/٨] القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا ﴾ .

^(٤) يعنى جل ثناؤه بذلك : لا يسألون الناس إلحاقاً^(٤) . يقال : قد ألحف السائل

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٨/١ إلى المصنف .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « يدرى » .

(٣ - ٣) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « كما وصفهم الله نظير ما يعرف أنه مريض » .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

في مسألته ، إذا ألح ، فهو يُلحِفُ فيها إلحافًا .

فإن قال قائلٌ : أفكان هؤلاء القومُ يسألون الناسَ غيرَ إلحافٍ ؟

قيل : غيرُ جائز أن يكونوا كانوا يسألون الناسَ شيئًا على وجه الصدقةِ إلحافًا ^(١) وغيرَ إلحافٍ ، وذلك أن الله عزَّ وجلَّ وصفهم بأنهم كانوا أهلَ تعقُّفٍ ، وأنهم إنما كانوا يُعرفون بسيماهم ، فلو كانت المسألة من شأنهم لم تكن صفتهم التعقُّفَ ، ولم ^(٢) تكن بالنبيِّ ﷺ إلى معرفتهم بالأدلة والعلاماتِ حاجةً ، إذ كانت ^(٣) المسألة الظاهرة تُنبئُ على حالهم وأمرهم .

وفى الخبرِ الذى حدثنا به بشرُّ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : ثنا سعيدُ ابنُ أبي عروبةٍ ، عن قتادةٍ ، عن هلالِ بنِ حصينٍ ، عن أبي سعيدٍ الخدرىِّ ، قال : أعوزنا مرةً ، فقيل لى : لو أتيت رسولَ الله ﷺ فسألته . فانطلقتُ إليه مُعيقًا ^(٤) ، فكان أول ما واجهنى به . « من استعفَّ أعفَّهُ الله ، ومن استعنى أغناه الله ، ومن سألنا لم نَدخِرْ عنه شيئًا نجده » . قال : فرجعتُ إلى نفسى ، فقلتُ : ألا أستعِفُّ فيُعفِّنى الله ! فرجعتُ ، فما سألتُ رسولَ الله ﷺ شيئًا بعد ذلك من أمرِ حاجةٍ ، حتى مالت علينا الدنيا فغزقتنا ، إلا من عصم الله ^(٥) - الدلالة الواضحة على أن التعقُّفَ معنى ينفى معنى المسألة من الشخص الواحد ، وأن من كان موصوفًا بالتعقُّفِ ، فغيرُ موصوفٍ بالمسألة إلحافًا ^(٦) وغيرَ إلحافٍ .

(١ - ١) كذا فى النسخ ، ولعل الصواب : « ولا غير إلحاف » . ينظر معانى القرآن للفراء ١ / ١٨١ ، وما سياتى فى الصفحة التالية .

(٢ - ٢) فى ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « ولم يكن بالنبي ﷺ إلى علم معرفتهم بالأدلة » ، وكذا فى م ، وزاد : « والعلامة حاجة وكانت » .

(٣) أى : مسرعا . النهاية ٣ / ٣١٠ .

(٤) أخرجه الطحاوى فى شرح معانى الآثار ١٦ / ٢ من طريق يزيد به ، وأخرجه أبو يعلى (١٢٦٧ ، ١١٢٩) من طريق قتادة به ، وأخرجه أحمد ٤٨٨ / ١٧ (١١٤٠١) من طريق هلال به .

فإن قال قائلٌ : فإن كان الأمرُ على ما وصفتَ ، فما وجهُ قوله : ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُ الْنَّاسَ إِلَّا حَقًّا ﴾ . وهم لا يسألون الناسَ إلحافًا ولا^(١) غيرَ إلحافٍ ؟ قيل له : وجهُ ذلك أن الله تعالى ذكره لما وصفهم بالتعففِ ، وعرفَ عباده أنهم ليسوا أهلَ مسألةٍ بحالٍ ، بقوله : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ . وأنهم إنما يُعرفون بالسيما ، زاد عباده إبانةً لأمرهم ، وحسنَ ثناءٍ عليهم ، بنفيِ الشرِّه والضراعةِ التي تكونُ في الملحين من السُّؤالِ عنهم ،^(٢) وقد كان بعضُ القائلين يقولُ في ذلك : هو نظيرُ قولِ القائلِ^(٣) : قلِّما رأيتُ مثلَ فلانٍ . ولعله [٥٩/٨ ظ] لم يرَ مثله أحدًا ولا له^(١) نظيرًا .

وبنحوِ الذي قلنا في معنى « الإلحافِ » قال أهلُ التأويلِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُ الْنَّاسَ إِلَّا حَقًّا ﴾ . قال : لا يُلجِفون في المسألةِ .

/ وحدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُ الْنَّاسَ إِلَّا حَقًّا ﴾ : هو الذي يُلجِحُ في المسألةِ^(٣) .

وحدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُ الْنَّاسَ إِلَّا حَقًّا ﴾ : ذُكِرَ لنا أن نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقولُ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَلِيمَ »

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢ - ٢) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « وقال كاد بعض القائلين يقول في ذلك نظير قول القائل » . وفي م : « وقال كان بعض القائلين يقول في ذلك نظير قول القائل » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٩/١ إلى المصنف .

الْحَيِّىُّ^(١) الْغَنِىُّ الْمُتَعَفِّفُ ، وَيُبَغِّضُ الْغَنِىَّ الْفَاحِشَ الْبَذِىءَ السَّائِلَ الْمُلْحِفَ^(٢) .
 قال : وَذَكَرْنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا ؛^(٣) قِيلَ وَقَالَ^(٤) ،
 وَإِضَاعَةَ الْمَالِ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ^(٥) . فَإِذَا شِئْتَ رَأَيْتَهُ فِي قَيْلٍ وَقَالَ يَوْمَهُ أَجْمَعَ وَصَدَرَ
 لَيْلِيهِ ، حَتَّى يُلْقَى جِيفَةً عَلَى فِرَاشِهِ ، لَا يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ مِنْ نَهَارِهِ وَلَا لَيْلِيهِ نَصِيبًا ،
 وَإِذَا شِئْتَ رَأَيْتَهُ ذَا مَالٍ يُنْفِقُهُ^(٥) فِي شَهْوَتِهِ وَلَذَائِهِ وَمَلَاعِيهِ ، وَيَعْدِلُهُ عَنْ حَقِّ
 اللَّهِ ،^(٦) وَكَبُرَتْ بَتْلُكَ^(٦) إِضَاعَةُ الْمَالِ ، وَإِذَا شِئْتَ رَأَيْتَهُ بَاسِطًا ذِرَاعِيهِ ، يَسْأَلُ النَّاسَ
 فِي كَفْيِهِ ، فَإِنْ أُعْطِيَ أَفْرَطَ فِي حَمْدِهِمْ^(٧) ، وَإِنْ مُنِعَ أَفْرَطَ فِي ذَمِّهِمْ .

وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ أَيْمَنَ بْنِ نَابِلٍ* ،
 قَالَ : حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ سُؤَيْدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : « لَيْسَ الْمَسْكِينُ بِالطَّوَائِفِ الَّذِي
 تَرُدُّهُ الْأَكْلَةُ وَالْأَكْلَتَانِ ، وَلَكِنَّ الْمَسْكِينِ الْمُتَعَفِّفُ فِي بَيْتِهِ ، لَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا ، تُصَيِّبُهُ
 الْحَاجَةُ » . اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا ﴾^(٨) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ

عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ۞ .

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٥٩ ، ٣٦٣ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣ - ٣) في الأصل ، ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قِيلَا وَقَالَا » .

(٤) وأصل الحديث عند البخارى (١٤٧٧) ، ومسلم (١٧١٥) من حديث المغيرة ابن شعبة .

(٥) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٦ - ٦) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « وَكَثُرَتْ بِذَلِكَ » ، وفي م : « فَذَلِكَ » .

(٧) في م : « مَدْحُهُمْ » .

* من هنا حرم في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ إلى ص ٣٥ .

(٨) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/٤٨٠ عن المصنف ، وفيه : الحسن بن ماتك . مكان : أَيْمَنَ بْنِ نَابِلٍ . وأصل

الحديث في البخارى (٤٥٣٩) ، ومسلم (١٠٣٩) .

يعنى بذلك جل ثناؤه: وما تُنفِقُوا أيها الناس من مالٍ ، فتصدَّقوا على أهلِ ذمتِكُم تطوعًا منكم ، أو تُعْطُوهُ مَنْ أَمَرَكم رَبُّكم بِإِعْطَائِهِ مِنَ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ [٦٠/٨] اللَّهُ مِمَّا فَرَضَهُ اللَّهُ لَهُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ ذَلِكَ عَلِيمٌ ، يُخَصِّصُهُ لَكُمْ ، وَيُدْخِرُ ثَوَابَهُ عِنْدَهُ لَكُمْ ، حَتَّى يُؤْفِقَكُمْ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ أُجُورَكُمْ ، وَيُعْظِمَ لَكُمْ عَلَيْهِ فِي الْمَعَادِ جَزَاءَكُمْ .

القولُ في تأويلِ قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢٧٤) .

يعنى جلَّ ثناؤُهُ بذلك: مَنْ يُنْفِقُ مَالَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَيَتَصَدَّقُ بِهِ ابْتِغَاءً لِلَّهِ وَطَلَبَ ثَوَابِهِ ، فَلَهُ أَجْرٌ صَدَقَتِهِ مَذْخُورًا لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ حَتَّى يُؤْفِقَهُ إِيَّاهُ فِي مَعَادِهِ يَوْمَ بَعْتِهِ ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِقَابِهِ وَعَذَابِهِ ، وَلَا فِي أَهْوَالِ قِيَامَتِهِ ، وَلَا هُوَ يَحْزَنُ عِنْدَ مَقْدَمِهِ عَلَيْهِ بِمُعَايَنَتِهِ مِنْ عَظِيمِ كَرَامَةِ اللَّهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لَهُ عَلَى مَا خَلَّفَ وَرَاءَهُ فِي الدُّنْيَا .

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أنزلت فيه هذه الآية؛ فقال بعضهم: أنزلت في علي بن أبي طالب رحمه الله .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ قال : نزلت في علي ؛ كانت معه أربعة دراهم ، فأنفق بالليل درهماً ، وبالنهاري درهماً ، وسراً درهماً ، وعلانيةً درهماً^(١) .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٠٨ ، ومن طريقه الطبراني في الكبير (١١٦٤) ، والواحدى في أسباب النزول ص ٦٤ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/٣٠٦ (مخطوط) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٤٣٥ =

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ مُجْرِيحٍ قَوْلَهُ : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ قَالَ : كَانَ لِرَجُلٍ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمٍ ، فَأَنْفَقَ دَرَاهِمًا بِاللَّيْلِ ، وَدَرَاهِمًا بِالنَّهَارِ ، وَدَرَاهِمًا سِرًّا ، وَدَرَاهِمًا عَلَانِيَةً ^(١) .

وقال آخرون : نزلت هذه الآية في التَّفَقُّةِ عَلَى الْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

[ظ٦٠/٨] ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي رَجَالٌ ^(٢) مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شُرَيْحٍ ، عَنْ قَيْسِ بْنِ الْحَجَّاجِ ، عَنْ حَنْشِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ الْآيَةَ : إِنَّهَا فِي عَلْفِ الْخَيْلِ ^(٣) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ - يَعْنِي ابْنَ شُرَيْحٍ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشِيرِ الْغَافِقِيِّ ، أَنَّهُ أَشَارَ إِلَى بَعْضِ خَيْلِ كَانَتْ فِي الْجَبَانَةِ ، فَأَشَارَ إِلَى عِتَاقِ تِلْكَ الْخَيْلِ ، فَقَالَ : أَصْحَابُ هَؤُلَاءِ ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ .

قال - يعني عبد الرحمن بن شُرَيْحٍ - : وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عَمْرٍو الْمَعَاوِرِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ بِنَحْوِ ذَلِكَ ^(٤) .

وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ بْنُ رِبِيعَةَ ، عَنْ رَجَائِ بْنِ أَبِي سَلْمَةَ ،

= (٢٨٨٣) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ٦٤ ، وابن عساكر فى الموضوع السابق من طريق عبد الوهاب عن مجاهد قوله ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٦٣ إلى عبد ابن حميد وابن المنذر .

(١) ذكره القرطبي فى تفسيره ٣/٣٤٧ .

(٢) فى الأصل : « رجل » . ولعل المثلث هو الصواب .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٤٣ (٢٨٨١) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ٦٣ من طريق عبد الرحمن بن شريح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٦٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/٢٦٨ ، والقرطبي فى تفسيره ٣/٣٤٦ .

عن العجلان بن سهيل ، عن أبي أمامة في تفسير هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالْتِهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ . قال : نزلت في أصحاب الخيل في من
لم يَرْتَبِطْهَا خِيْلَاءَ وَلَا مِضْمَارٍ ^(١) .

وحدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا يعقوبُ القُميُّ ، عن سعيد ، عن الحسن ، عن
الأوزاعي : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالْتِهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ .
قال : هم الذين يَرْتَبِطُونَ الخَيْلَ خاصةً في سبيلِ الله ، يُنْفِقُونَ عليها بالليلِ
والنَّهَارِ ^(٢) .

وحدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا أبو صالح ، قال : حدَّثني أبو شريح عبد الرحمن
ابن شريح المعافري ، عن قيس بن الحجاج ، عن حنّس الصنعاني أنه قال : حدَّث ابن
عباس في هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالْتِهَارِ ﴾ قال : في
عَلْفِ الخَيْلِ ^(٣) .

* و حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن رَشْدِينِ بن
سعيد ، قال : أخبرني شيخ من غافقي ^(٤) ، أنَّ أبا الدرداءِ كان ينظرُ إلى الخيلِ مرَّبوطةً بينَ

(١) المِضْمَارُ : المكان تَضْمُرُ فِيهِ الخَيْلُ أَوْ تَتَسَابَقُ .

والأثر أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١١/٤٥٦ - مخطوط من طريق ضمرة بن ربيعة به ، وأخرجه الواحدى
في أسباب النزول ص ٦٤ ، وابن عساكر ١١/٤٥٧ - مخطوط من طريق زيد بن الحباب عن رجاء بن أبي سلمة
عن سليمان بن موسى عن عجلان به .

(٢) ذكره البغوى في تفسيره ١/٣٤٠ ، والقرطبي في تفسيره ٣/٣٤٦ .

(٣) أخرجه الواحدى في أسباب النزول ص ٦٣ من طريق عبد الله بن صالح به .

* هنا نهاية الحرم المشار إليه في ص ٣٢ .

(٤) غافقي بن الشاهد : بطن من علك من الأزد ، من القحطانية ، وهم بنو غافقي بن الشاهد بن علك بن عدنان
ابن عبد الله بن الأزد . واليهم تنسب الحصن ولهم خطة بمصر ، وكان منهم في الإسلام رؤساء وأمرء . معجم
قبائل العرب ٣/٨٧٥ ، تاج العروس (غ ف ق) .

البراذين والهجن، فيقول: أهل هذه - يعنى الخيل - من ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^(١).

وقال آخرون: عنى بذلك قوماً أنفقوا فى سبيل الله، فى غير إسرافٍ ولا تقتير.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿ الَّذِينَ
يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾: هؤلاء أهل الجنة^(٢).
ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «المكثرون هم الأسفلون». قالوا: يا نبي
الله، إلا من؟ قال: «المكثرون هم الأسفلون». قالوا: يا نبي الله، إلا من؟
قال: «المكثرون هم الأسفلون». قالوا: يا نبي الله، إلا من؟ حتى خشوا أن
تكون قد مضت فليس لها رد، حتى قال: «إلا من قال بالمال هكذا وهكذا،
عن يمينه وعن شماله، وهكذا بين يديه، وهكذا خلفه، وقليل ما هم»^(٣). هؤلاء
قوم أنفقوا فى سبيل الله التى افترضوا وتضى، فى غير سرفٍ ولا إملاق، ولا
تبذير ولا فساد^(٤).

وقد قيل: إن هذه الآيات من قوله: ﴿ إِنْ تَبَدُّوا لَصَدَقْتَ فَنِعْمَ هِيَ ﴾.
إلى قوله: ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾. كان مما يعمل به قبل

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦٣/١ إلى المصنف.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤٣/٢ (٢٨٨٥) من طريق يزيد به.

(٣) أخرجه أحمد ٣٢٢/١٥ (٩٥٢٦)، وابن ماجه (٤١٣١) من حديث أبى هريرة مرفوعاً.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦٣/١ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر.

نزول ما في سورة « براءة » من تفصيل الزكوات^(١) ، فلما نزلت « براءة »
قَصَرُوا عَلَيْهَا .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِّي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، ١٠١/٣
عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ إِنَّ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ : فَكَانَ هَذَا يُعْمَلُ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ « بَرَاءة » ،
فَلَمَّا نَزَلَتْ « بَرَاءة » بِفَرَائِضِ الصَّدَقَاتِ وَتَفْصِيلِهَا انْتَهَتْ الصَّدَقَاتُ إِلَيْهَا^(٢) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا
يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ .
يَعْنَى بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : الَّذِينَ يُرْبُونَ .

والإرباءُ : الزيادةُ على الشيء ، يقال منه : أربى فلانٌ على فلانٍ ، إذا زادَ عليه ،
يُرْبِي إرباءً ، والزيادةُ هي الربا . وربا الشيء ، إذا زادَ على ما كان عليه فَعَظُمَ ، فهو
يُرْبُو رَبْوًا . وإنما قيلَ للرابيةِ : رابيةٌ^(٣) ؛ لزيادتها في العَظْمِ والإشْرَافِ على ما استوى
مِنَ الأَرْضِ مِمَّا حَوْلَهَا ، مِنْ قَوْلِهِمْ : رَبَا يُرْبُو . وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ : فلانٌ في ربا قومه . يُرَادُ
به أَنَّهُ فِي رِفْعَةٍ وَشَرَفٍ مِنْهُمْ ، فَأَصْلُ الرِّبَا الإِنْفَاقَةُ وَالرِّيَاضَةُ ، ثُمَّ يُقَالُ : أَرْبَى فلانٌ .
أى : أَنَفَ^(٤) غَيْرَهُ و^(٤) صَبَّرَهُ زَائِدًا . وَأَمَّا قِيلَ لِلْمُرْبِي مُرْبِيًّا ؛ لِتَضْعِيفِهِ [٦١/٨ ط] المَالِ

(١) يشير إلى الآية ٦٠ من سورة التوبة .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٥/٢ (٢٨٤٣) عن محمد بن سعد به .

(٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

الذى كان له على عَرْمِهِ حلالاً^(١) ، أو لزيادته عليه فيه بسبب الأجل الذى يُؤخّره إليه ، فيزيده إلى أجله الذى كان له قبل حلّ دَينِهِ عليه . ولذلك قال جلّ ثناؤه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾ [آل عمران : ١٣١] .
وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال فى الرِّبَا الذى نهى الله عنه : كانوا فى الجاهلية يكونون للرجل على الرجل الدَّيْنُ ، فيقول : لك كذا وكذا ، وتؤخّر عنى . فيؤخّر عنه^(٢) .
وحدّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

وحدّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة أنّ ربّا أهل^(٣) الجاهلية ؛ يبيع الرجل البيع إلى أجلٍ مُّسمّى ، فإذا حلّ الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاءً زاد وأخّر عنه .

فقال جلّ ثناؤه : الذين يُزبون الرِّبَا الذى وصفنا صِفَتَهُ ، فى الدنيا ، ﴿ لَا يَأْمُرُونَ ﴾ فى الآخرة من قبورهم ﴿ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ . يعنى بذلك : يتخبّطه الشيطان فى الدنيا ، وهو الذى يتخفّفه^(٤)

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « حلالاً » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٥ ، ومن طريقه أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤٨/٢ (٢٩١٢) ، والبيهقى ٥/٢٧٥ .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « يتخبطه » .

فِيضْرَعُهُ ، ﴿ مِنْ أَلْمَسِ ﴾ يَعْنِي : مِنَ الْجَنُونِ .

وَبِمَثَلِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي ١٠٢/٣
نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا
كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ : يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فِي أَكْلِ الرِّبَا فِي
الدُّنْيَا ^(١) .

... حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، عَنْ شَبْلِ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ
مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الْحَجَّاجُ بْنُ الْمُنْهَالِ ، قَالَ : ثنا رَيْبَعَةُ بْنُ كَلْثُومٍ ، قَالَ : ثنا
أَبِي ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا
كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ . قَالَ : ذَلِكَ حِينَ يُبْعَثُ مِنْ
قَبْرِهِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا رَيْبَعَةُ بْنُ كَلْثُومٍ ، قَالَ : ثنا
أَبِي ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا أَكَلَ الرِّبَا : خُذْ
سِلَاحَكَ لِلْحَرْبِ . وَقَرَأَ : ﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ
مِنَ الْمَسِّ ﴾ . قَالَ : ذَلِكَ حِينَ يُبْعَثُ مِنْ قَبْرِهِ ^(٣) .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٤٥ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٦٤ إلى ابن المنذر وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٠/٢ (٢٩٢٠) من طريق ربيعة به ، دون آخره .

حدثنا ابنُ حُميدٍ، قال: ثنا جريرٌ، عن أشعثٍ، عن جعفرٍ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ الآية. قال: [٦٢/٨] يُعْثُ أَكْلُ الرِّبَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْنُونًا يُخْنَقُ^(١).

حدثنا بشرٌ بنُ معاذٍ، قال: ثنا يزيدٌ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةٍ قوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾: وتلك علامة أهل الرِّبَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُعْثُوا وبهم خَبَلٌ مِنَ الشَّيْطَانِ.

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى، قال: أخبرنا عبدُ الرزاقِ، قال: أخبرنا معمرٌ، عن قتادةٍ في قوله: ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾. قال: هو التخجيلُ الذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْجَنُونِ^(٢).

حدثت عن عمارٍ، قال: ثنا ابنُ أبي جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ في قوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾. قال: يُعْثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وبهم خَبَلٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وهى فى بعضِ القراءة: (لا يَقُومُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(٣).

حدثنا المثنيُّ، قال: ثنا إسحاقُ، قال: ثنا أبو زهيرٍ، عن جُوَيْرٍ، عن الضحاكِ في قوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾. قال: مَنْ مات وهو يأكلُ الرِّبَا، بُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُتَخَبِّطًا، كالذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٥٦٢/٦ عن جرير به.

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١١٠.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٦٤ إلى المصنف. وهذه القراءة ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز

٢٧٠/٢ عن ابن مسعود.

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي :
﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ ﴾ ^(١) «يوم القيامة» ﴿ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ . يعنى : من الجنون ^(٢) .

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله :
﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ
مِنَ الْمَسِّ ﴾ . قال : هذا مثلهم يوم القيامة ، / لا يقومون يوم القيامة مع الناس ، إلا ^(٣)
كما يقوم الذي يُخنق مع الناس ، يقوم ^(٤) يوم القيامة كأنه خنق ، كأنه مجنون .

ومغنى قوله : ﴿ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ : يَتَخَبَّطُهُ مِنْ مَسِّهِ إِيَّاهُ . يقال
منه : قد مُسَّ الرجلُ ^(٥) وألْسَ ^(٥) وألَّقَ ، فهو ممسوس ^(٦) ومألوس ^(٦) ومألوق . كلُّ ذلك
إذا ألمَّ به اللَّمْمُ فجَنَّ . ومنه قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّا الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ
طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا ﴾ [الأعراف : ٢٠١] ، ومنه قولُ الأعشى ^(٧) :

وَتُضْبِحُ عَنْ ^(٨) غِيبِ الشَّرِيِّ وَكَأَمَّا أَلَمَّ بِهَا مِنْ طَائِفِ الْجَنِّ أَوْلَقُ
فإن قال لنا قائلٌ : أفرأيت من عمِلَ ما نهى الله عنه من الربا في تجارته ولم
يأكله ، أيسحق هذا الوعيد من الله ؟

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٤٤/٢ عقب الأثر (٢٨٨٩) من طريق عمرو به .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٧) ديوانه ص ٢٢١ .

(٨) في الديوان : « من » .

قيل: نعم، وليس المقصودُ من الرِّبَا في هذه الآية^(١) النهي عن أكله خاصةً، دون النهي عن العملِ به، وإنما خصَّ الله وصفَ العاملين به في هذه الآية^(٢) بالأكل^(٣)؛ لأن^(٤) الذين نزلت [٦٢/٨ ظ] فيهم هذه الآيات يومَ نزلت، كانت طُعْمَتُهُمْ ومَأْكُلُهُمْ من الرِّبَا، فذَكَرَهُمْ بِصِفَتِهِمْ، مُعْظِماً بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَمْرَ الرِّبَا، وَمُقَبِّحاً إِلَيْهِمُ الْحَالَ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا فِي مَطَاعِمِهِمْ. وفي قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ ﴿ الآية. ما يُنبئ^(٥) عن صحَّة ما قلنا في ذلك، وأنَّ التحريمَ مِنَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ كَانَ لِكُلِّ مَعَانِي الرِّبَا، وَأَن سِوَاءِ الْعَمَلِ بِهِ وَأَكْلِهِ وَأَخْذُهُ وَإِعْطَاؤُهُ، كَالَّذِي تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ: «لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدِيهِ إِذَا عَلِمُوا^(٦) بِهِ»^(٧).

القول في تأويل قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾.

يَعْنِي بِقَوْلِهِ^(٧): ﴿ذَلِكَ﴾: الَّذِي وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ قِيَامِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُبُورِهِمْ، كَقِيَامِ الَّذِي يَتَخَبَّئُهُ^(٨) الشَّيْطَانُ^(٩) مِنَ الْجَنُونِ، فَقَالَ: هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا أَنَّهُ

(١ - ١) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٢) في م: «الأكل».

(٣) في م: «إلا أن».

(٤) في الأصل، ص، ت، ١: «بين».

(٥) في ص: «عملوا».

(٦) أخرجه البخارى (٢٠٨٦) من حديث أبي جحيفة، ومسلم (١٥٩٧)، وأبو داود (٣٣٣٣)، والترمذى

(١٢٠٦)، وابن ماجه (٢٧٧٧)، وغيرهم من حديث عبد الله بن مسعود.

(٧) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «بذلك جل ثناؤه».

(٨) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «يتخبطه».

(٩) بعده في م: «من المس».

يُصِيبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُبْحِ حَالِهِمْ ، وَوَحْشَةِ قِيَامِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ ، وَسُوءِ مَا حَلَّ بِهِمْ ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَكْذِبُونَ وَيَقْتَرُونَ وَيَقُولُونَ : ﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ ﴾ الذى أَحَلَّهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ ﴿ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ . وذلك أَنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَأْكُلُونَ الرِّبَا مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، كَانَ إِذَا حَلَّ مَالٌ أَحَدِهِمْ عَلَى غَرِيمِهِ يَقُولُ الْغَرِيمُ لِصَاحِبِ ^(١) الْحَقِّ : زِدْنِي فِي الْأَجْلِ وَأَزِيدَكَ فِي مَالِكَ . فَكَانَ يُقَالُ لَهُمَا إِذَا فَعَلَا ذَلِكَ : هَذَا رَبًّا لَا يَحِلُّ . فَإِذَا قِيلَ لَهُمَا ذَلِكَ قَالَا : سِوَاءَ عَلَيْنَا زِدْنَا فِي أَوَّلِ الْبَيْعِ أَوْ عِنْدَ مَحَلِّ الْمَالِ . فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ فِي قِيْلِهِمْ ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢٧٥) .

يعنى ^(١) بقوله : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾ : وأحلَّ ^(٢) الأرباحَ فى التجارة والشراء والبيع ، ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ ، يعنى الزيادة التى يُزادها ربُّ المالِ بسببِ زيادته غريمه فى الأجلِ وتأخيرِهِ دَيْنَهُ عليه . يقولُ تعالى ذكره : فليست الزيادةتان اللتان / إحداهما ١٠٤/٣ من وَجْهِ الْبَيْعِ وَالْأُخْرَى مِنْ وَجْهِ تَأْخِيرِ الْمَالِ وَالزِّيَادَةِ فِي الْأَجْلِ ، سِوَاءَ ، وَذَلِكَ أَنَّي حَرَّمْتُ إِحْدَى الزِّيَادَتَيْنِ - وهى التى مِنْ وَجْهِ تَأْخِيرِ الْمَالِ وَالزِّيَادَةِ فِي الْأَجْلِ - وَأَحَلَّلْتُ الْأُخْرَى مِنْهُمَا - وهى التى مِنْ وَجْهِ الزِّيَادَةِ عَلَى رَأْسِ الْمَالِ الَّذِي ابْتِاعَ بِهِ الْبَائِعُ سِلْعَتَهُ الَّتِي يَبِيعُهَا فَيَسْتَفْضِلُ فَضْلَهَا - فقال اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لهم ^(٣) : ليست الزيادةُ مِنْ وَجْهِ الْبَيْعِ نَظِيرَ الزِّيَادَةِ مِنْ وَجْهِ الرِّبَا ؛ لِأَنَّي أَحَلَّلْتُ الْبَيْعَ وَحَرَّمْتُ الرِّبَا ،

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « لغريم » .

(٢ - ٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « جل ثناؤه وأحل الله » .

(٣) زيادة من : الأصل .

والأمر أمرى ، والخالق خلقى ، أفضى فيهم ما أشاء ، وأستعبدهم بما أريد ، ليس لأحد منهم أن يعترض فى حكمى ، ولا أن يخالف أمرى ، وإنما عليهم طاعتى والتسليم لحكمى .

ثم قال جل ثناؤه : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى ﴾ . يعنى بالموعظة التذكير والتخويف الذى ذكرهم وخوفهم به فى آي القرآن ، وأوعدهم على أكلهم الربا من العقاب . يقول جل ثناؤه : فمن جاءه ذلك ، ﴿ فَاَنْتَهَى ﴾ عن أكل الربا ، وازتدع عن العمل به ، وانزجر عنه ، ﴿ فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ ، يعنى : ما أكل وأخذ ، فمضى قبل مجيء الموعظة والتحريم من ربه فى ذلك ، ﴿ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ ، يعنى : وأمر أكله إلى الله بعد مجيئه الموعظة من ربه والتحريم ، وبعد انتهاء أكله عن أكله ، ﴿ إِلَى اللَّهِ ﴾ فى عزمته وتوفيقه ، إن شاء عصمه عن أكله ، وثبته فى انتهائه عنه ، وإن شاء خذله عن ذلك ، ﴿ وَمَنْ عَادَ عَادَ ﴾ ، يقول : ومن عاد لأكل الربا بعد التحريم ، وقال ما كان يقوله قبل مجيء الموعظة من الله بالتحريم من قوله : ﴿ إِنَّمَا أَلْبَسُوا بِهِنَّ أَوَافَاتٍ لِيُبْدِيَ لَهُنَّ أَضْغَانَهُنَّ وَإِنْ تُبْدِي لَهُنَّ أَضْغَانَهُنَّ فَلْيَنْكِحْنَهُنَّ وَمَنِ اتَّبَعْتَهُمْ غَوَّاتٍ يَدْعُونَ ﴾ ، ﴿ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ : يعنى ففاعلو ذلك وقائلوه هم أهل النار ، يعنى نار جهنم ، ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ، " يعنى : دائمو البقاء فيها ، لا يموتون فيها ولا يخرجون منها " .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ مَا قُلْنَا فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى ﴾ .

[٦٣/٨] حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا

أسباط، عن الشدى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾: أما الموعظة فالقرآن، وأما ﴿مَا سَلَفَ﴾: فله ما أكل من الربا^(١).

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (٢٧٧).

يعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾: يَنْقُصُ اللَّهُ الرِّبَا فَيُذْهِبُهُ.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾. قال: يَنْقُصُ^(٢).

وهذا تَطْيِيرُ الخبر الذي روى عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ فَاِلَى قُلٍّ»^(٣).

وأما قوله جل ثناؤه: ﴿وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾. فإنه تعالى ذكره يعنى: أنه يُضَاعِفُ أجْرَهَا لِرَبِّهَا، وَيُنْمِيهَا لَهُ.

وقد بينا معنى الرِّبَا قَبْلُ، والإرباء، وما أصله، بما فيه الكفاية من إعادته.

فإن قال قائل: وكيف إرباء الله الصدقات؟

قيل: إضعافه الأجر لربها، كما قال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ ١٠٥/٣

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٤٥/٢، ٥٤٦، ٥٤٧، (٢٨٩٤)، عقب الأثر (٢٨٩٨) من طريق عمرو بن حماد به.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٦٥/١ إلى المصنف وابن المنذر.

(٣) القل: القلة، كالذل والذلة، أى أنه وإن كان زيادة في المال عاجلا فإنه يؤول إلى نقص. ينظر النهاية ٤/١٠٤. والحديث أخرجه أحمد ٢٩٧/٦، ١٢٦/٧، (٣٧٥٤)، (٤٠٢٦)، وابن ماجه (٢٢٧٩)، والحاكم

٣٧/٢، ٣١٧/٤، والطبراني (١٠٥٣٨)، (١٠٥٣٩).

[البقرة: ٢٦١] ، وكما قال : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ .

وكما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا عبادُ بنُ منصورٍ ، عن القاسم ، أنه سمعَ أبا هريرةَ يقولُ : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ ، فَيُزِيئُهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرِيي أَحَدُكُمْ مَهْرَهُ ، حَتَّى إِنْ اللَّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحْدٍ »^(١) .^(٢) وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ : « وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ »^(٣) ، وَ﴿ يَمْحُو اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ ﴾^(٤) .

حدثني سليمان بنُ عمر بنِ خالد بنِ^(٥) الأقطع الرقي ، قال : ثنا ابنُ المبارك ، عن سفيان ، عن عبادِ بنِ منصورٍ ، عن القاسمِ بنِ محمدٍ ، عن أبي هريرةَ ، ولا أراه إلا قد رفعه ، قال : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا^(٦) إِلَّا الطَّيِّبَ »^(٧) .

(١) أخرجه الترمذى (٦٦٢) عن أبي كريب به . وأخرجه ابن أبي شيبة ١١١/٣ ، وأحمد ١٠٥/١٦ (١٠٠٨٨) ، وابن خزيمة (٢٤٢٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥٤٧/٢ (٢٩٠٨) ، ١٨٧٧/٦ من طريق وكيع به . وأخرجه أبو عبيد في الأموال ص ٤٣٧ (٨٩٦) ، وأحمد ١٣٨/١٥ (٩٢٤٥) ، ١٠٥/١٦ (١٠٠٨٨) ، وابن زنجويه في الأموال ٧٥٩/٢ (١٣٠٢) - ومن طريقه البغوي في شرح السنة (١٦٣٠) - وابن خزيمة (٢٤٢٧) من طريق عباد بن منصور به .

(٢) (٢ - ٢) لعل هذه الزيادة إدراج في متن هذا الحديث . وقد أدرجت هذه الزيادة أيضًا - دون لفظ آية التوبة - في الحديث الذي رواه القاسم عن عائشة .

(٣ - ٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ » ، واضطرب فيها ناسخ النسخة ٢ ، والمثبت من الأصل ، وهو موافق لرواية المسند والترمذى كما في تحفة الأحوذى ، وهو خلط بين الآية ١٠٤ من سورة التوبة وبين الآية ٢٥ من سورة الشورى ، وليست هذه الآية موضع استشهاد في الحديث ههنا . وهذا الخطأ الذى ثبت فى الأصل هنا وفى هذه المصادر خطأ قديم ، فقد ثبت هذا الخطأ فى جامع المسانيد ٣٢٠/٧ (نقلا عن الشيخ شاكر) ، وقال عنه العراقى - كما فى تحفة الأحوذى ٢٣/٢ - : فى هذا تخليط من بعض الرواة ، والصراب ... وقد روينا فى كتاب الزكاة ليويسف القاضى على الصواب .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٥) زيادة من : ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٦) جزء من الحديث السابق ، وسيأتى بالإسناد نفسه فى سورة التوبة الآية (١٠٤) .

وحدَّثني محمد بنُ عمر^(١) بنِ عليّ المقدَّمي، قال: ثنا رِيحَانُ بنُ سَعِيدٍ، قال: ثنا عبادُ، عن القاسمِ، عن عائشةَ، قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ [٨/٦٤] الصَّدَقَاتِ^(٢)، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا إِلَّا الطَّيِّبَ، وَيُزِيهَهَا لِصَاحِبِهَا^(٣) كَمَا يُرِيي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ أَوْ فَصِيلَهُ، حَتَّى إِنْ اللَّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحْدٍ»، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿يَمَحِقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾^(٤).

حدَّثني محمد بنُ عبدِ الملكِ، قال: ثنا عبدُ الرزَّاقِ، قال: أخبرنا معمرٌ، عن أيوبَ، عن القاسمِ بنِ محمدٍ، عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَصَدَّقَ مِنْ طَيِّبٍ، تَقَبَّلَهَا^(٥) اللَّهُ مِنْهُ، وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ، وَيُزِيهَهَا كَمَا يُرِيي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ أَوْ فَصِيلَهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَصَدَّقُ بِاللُّقْمَةِ فَتَرُوهُ فِي يَدِ اللَّهِ - أَوْ قَالَ: فِي كَفِّ اللَّهِ - حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ أُحْدٍ، فَتَصَدَّقُوا»^(٦).

حدَّثنا محمد بنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا المُعْتَمِرُ بنُ سَلِيمَانَ، قال: سَمِعْتُ يُونُسَ، عن صاحبٍ له، عن القاسمِ بنِ محمدٍ، قال: قال أبو هريرةَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا إِلَّا مَا كَانَ طَيِّبًا، وَاللَّهُ يُرِيي لِأَحْدِكُمْ لُقْمَتَهُ، كَمَا يُرِيي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ وَفَصِيلَهُ، حَتَّى يُوَافِيَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ - وَهِيَ أَعْظَمُ مِنْ أُحْدٍ».

(١) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «عمرو».

(٢) في الأصل: «قالنا». وفي الحاشية: «في الأم: قال: عمر بن علي المقدمة». وينظر: تهذيب الكمال ١٧٤/٢٦.

(٣) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «الصدقة».

(٤) في الأصل: «لصاحبه».

(٥) أخرجه أحمد ٢٥١/٦ (الميمنية) من طريق القاسم به.

(٦) في الأصل، ت، ١: «يقبلها».

(٧) أخرجه معمر في جامعه (٢٠٠٥٠) عن أيوب به، وأخرجه أحمد ٧٣/١٣ (٧٦٣٤)، وابن خزيمة (٢٤٢٦) من طريق عبد الرزاق به.

وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ . فإنه يعنى به : والله لا يحبُّ كلَّ مُصِرٍّ على كُفْرٍ^(١) ، مُقيمٍ عليه ، مُستحلُّ أكل الرِّبَا وإطعامه ، ﴿أَثِيمٍ﴾ : مُتَمَادٍ فى الإثمِ بِرَبِّهِ^(٢) فيما نهاه عنه من أكل الرِّبَا والحرامِ وغير ذلك من معاصيه ، لا يَزِجِرُ عن ذلك ، ولا يزعوى عنه ، ولا يتعظُّ بموعظة ربِّه التى وعظه بها فى تنزيهه وآي كتابه .

١٠٦/٣ / القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٧٧) .

وهذا خبرٌ من الله جل ثناؤه بأنَّ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، يعنى : الذين صدَّقوا بالله وبرسوله ، وبما جاء به من عنده ربِّه^(٣) ، من تحريم الرِّبَا وأكله وغير ذلك من سائر شرائع دينه ، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ التى أمرهم الله بها ، والتى ندبهم إليها ، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضة بحدودها ، وأدوها بسنتها^(٤) ، ﴿وَأَتَوُا الزَّكَاةَ﴾ المفروضة عليهم فى أموالهم ، بعد الذى سلف منهم من أكل [٦٤/٨] الرِّبَا ، قبل مجيء الموعظة فيه من عند ربِّهم ، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ، يعنى ثواب ذلك من أعمالهم وإيمانهم وصدقهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يوم حاجتهم إليه فى معادهم ، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ يومئذٍ من عقابه على ما كان سلف منهم فى جاهليتهم وكفرهم ، قبل مجيئهم موعظة ربِّهم ، من أكل ما كانوا أكلوا من الرِّبَا ، بما كان من إنائيتهم ، وتوبيخهم إلى الله من ذلك عند مجيئهم الموعظة من ربِّهم ، وتصديقهم بوعد الله ووعيده ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على تركهم ما كانوا تركوا^(٥) فى الدنيا ، من أكل

(١) بعده فى م : «بربه» .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : «ربهم» .

(٤) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : «بسنتها» .

(٥) بعده فى ت ٢ : «من ذلك» .

الرِّبَا وَالْعَمَلِ بِهِ ، إِذْ عَايَنُوا جَزِيلَ ثَوَابِ اللَّهِ لَهُمْ ^(١) عَلَى تَرْكِهِمْ مَا تَرَكُوا مِنْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا ، ابْتِغَاءَ رِضْوَانِهِ فِي الْآخِرَةِ ، فَوَصَلُوا إِلَى مَا وَعَدُوا عَلَى تَرْكِهِ .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١٧٨) .

يعنى جلَّ ثناؤه ^(٢) : يأيتها الذين ^(٣) صدَّقوا بالله وبرسوله ، ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ . يقولُ : خافوا الله على أنفسكم ، فاتقوه بطاعته فيما أمركم به ، والانتهاه عما نهاكم عنه ، ﴿ وَذَرُوا ﴾ . يعنى : ودَعُوا ﴿ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ . يقولُ : اتزكوا طلب ما بقى لكم من فضيل على رءوس أموالكم التى كانت لكم قبل أن تُزبوا عليها ، ﴿ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ : إن كنتم مُحققين إيمانكم قولاً ، وتصديقكم بألسنتكم بأفعالكم .

وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم أسلموا ، ولهم على قوم أموال من ربّا كانوا أربوه عليهم ، وكانوا قد اقتضوا ^(٤) بعضه منهم ، وبقي بعض ، فعفا الله عزَّ وجلَّ لهم عما كانوا قد اقتضوه قبل نزول هذه الآية ، وحرم عليهم اقتضاء ما بقى منه .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ إلى ﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ . قال : نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب ورجلٍ من بنى المغيرة ، كانا شريكين في الجاهلية ، يُسلفان ^(٥) [٦٥/٨] فى الربا إلى ناسٍ من

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « وهم » .

(٢) بعده فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « بذلك » .

(٣) بعده فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « آمنوا » .

(٤) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « قبضوا » .

(٥) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « سلفا » .

١٠٧/٣ ثقيف، من / بنى غيرة^(١)، وهم بنو عمرو بن عمير، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا، فأنزل الله: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ﴾ من فضل كان في الجاهلية ﴿مِنَ الرِّبَا﴾^(٢).

وحدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. قال: كانت ثقيف قد صالحت النبي ﷺ على أن ما لهم من ربا على الناس^(٣) فهو لهم^(٣)، وما كان للناس عليهم من ربا فهو موضوع، فلما كان الفتح، استعمل عتاب بن أسيد على مكة، وكانت بنو عمرو بن عمير بن عوف يأخذون الربا من بنى المغيرة، وكانت بنو المغيرة يُزبون لهم في الجاهلية، فجاء الإسلام ولهم عليهم مال كثير، فأتاهم بنو عمرو يطلبون رباهم، فأبى بنو المغيرة أن يعطوهم في الإسلام، ورفعوا ذلك إلى عتاب بن أسيد، فكتب عتاب إلى رسول الله ﷺ، فنزلت: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِؕ﴾، إلى ﴿وَلَا تظلمون﴾، فكتب بها رسول الله ﷺ إلى عتاب، وقال: «إِنْ رَضُوا وَإِلَّا فَاذْنُهُمْ بِحَرْبٍ». قال ابن جريج، عن عكرمة قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾. يقول: لبنى عمرو بن عمير^(٤). قال: كانوا يأخذون الربا على بنى المغيرة، يزعمون أنهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة؛ بنو عمرو بن عمير، فهم الذين كان لهم الربا على بنى المغيرة، فأسلم عبد ياليل وحبيب وربيعة وهلال ومسعود^(٥).

(١) في ص، م، ت، ١، ت ٢، س: «عمرة»، وفي م: «عمرو». وينظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٦٧، ٢٦٨.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٥٤٨/٢ (٢٩١٣) من طريق عمرو بن حماد به.

(٣ - ٣) سقط من: ص، م، ت، ١، ومكانه بياض في ت ٢.

(٤ - ٤) سقط من: ص، م، ت، ١، ت ٢.

(٥) ذكره الحافظ في الإصابة ٥٥١/٦، ٥٥٢، والسيوطي في الدر المنثور ٣٦٦/١، وعزياه إلى المصنف.

وقال الحافظ: وفي ذكر مصالحة ثقيف قبل قوله: فلما كان الفتح. نظر، ذكرت توجيهه في أسباب النزول.

وحدثنى يحيى^(١) بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . قال: كان رباً يتبايعون به في الجاهلية، فلما أسلموا أمرُوا أَنْ يأخذوا رُءوس أموالهم^(٢).
القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

[٦٥/٨] يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ : فإن لم تَذَرُوا ما بقى من الربا .

واختلف القراءة في قراءة قوله: ﴿ فَأْذَنُوا ﴾ ؛ فقراءته عامة قراءة أهل المدينة: ﴿ فَأْذَنُوا ﴾ بقصر ألف^(٣) ، وفتح ذالها، بمعنى: كونوا على علم وإذن . وقراءة آخرون - وهي قراءة عامة قراءة الكوفيين - : (فأذنوا) بمد الألف من قوله: (فأذنوا) وكسر ذالها، بمعنى: فأذنوا غيركم: أعلموهم وأخبروهم بأنكم على حذرهم^(٤) .

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ: ﴿ فَأْذَنُوا ﴾ بقصر ألفها وفتح ذالها، بمعنى: أعلموا ذلك واستيقنوه، وكونوا على إذن من الله لكم بذلك . وإنما اخترنا ذلك لأن الله جل ثناؤه إنما أمر نبيه ﷺ أن ينبذ إلى من أقام على

(١) في م، ت، ١، ت، ٢، س: «على» .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٥٥١/٢ (٢٩٢٩) من طريق جويبر به بنحوه . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٦٦/١ إلى عبد بن حميد .

(٣) في الأصل، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «الألف»، وفي م، ت، ٣: «الألف من» .

(٤) بقصر الألف وفتح الذال قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي وابن عامر، وكذا روى حفص والمفضل عن عاصم، ومد الألف وكسر الذال قرأ عاصم في رواية أبي بكر، وحزمة، ومن طريق أبي يوسف الأعشى عن أبي بكر عن عاصم بالوجهين . السبعة لابن مجاهد ص ١٩٢ .

١٠٨/٣ شرِكِه ، الذى لا يُقَرُّ على المقامِ عليه ، وأن يُقتل المرتدَّ عن / الإسلامِ منهم بكلِّ حالٍ ، إلا أن يُراجعَ الإسلامَ ، أدَّنه المشركون بأنهم على حربِه أو لم يُؤذئوه ، فإذا كان المأمورُ بذلك لن يخلو من أحدٍ أمرين ؛ إما أن يكونَ كان مُشركًا مُقيمًا على شرِكِه الذى لا يُقَرُّ عليه ، أو يكونَ كان مسلمًا فازتدَّ^(١) عن إسلامِه^(٢) فأذن بحربٍ ، فأى الأمرين كان ، فإنما يُبدَّ إليه بحربٍ ، لا أنه أمرٌ بالإيدانِ^(٣) بها إن عزمَ على ذلك ؛ لأنَّ الأمرانِ كان إليه ، فأقام على أكلِ الربا مُستجلاً له ، ولم يُؤذِنِ المسلمين^(٤) بالحربِ ، لم يلزمهم حربُه ، وليس ذلك حُكمه فى واحدةٍ من الحالتين ، فقد علم أنه المأذونُ بالحربِ لا الآذِنُ بها . وعلى هذا التأويلِ تأوَّله أهلُ التأويلِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ صالح ، قال : ثنا معاويةُ بنُ صالح ، عن عليِّ بنِ أبي طلحة ، عن ابنِ عباسٍ فى قوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ إلى : ﴿ فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ : فمن كان مقيمًا على الربا لا ينزِعُ عنه ، فحقَّ على إمامِ المسلمين أن يَشْتَبِيه ، فإن نزع ، وإلا ضربَ عنقه^(٥) .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا مُسلمٌ بنُ إبراهيم ، قال : ثنا ربيعةُ بنُ كلثوم ، قال : ثنا أبى ، عن سعيدِ بنِ جببير ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : يقالُ يومَ القيامةِ لا كِلِ الرِّبا : حُذِّبَ سلاحك للحزبِ^(٥) .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س .

(٢) فى ص ، ت ، ١ ، س : « بالإنذار » .

(٣) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « المسلمون » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٠/٢ (٢٩١٩) من طريق أبى صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر

المنثور ٣٦٦/١ إلى ابن المنذر .

(٥) تقدم تخريجه فى ص ٣٩ .

وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا ربيعةُ بنُ كُلثومٍ ، قال : ثنا أبي ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ ، عن ابنِ عباسٍ مثله .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ [٥٦٦/٨] تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ : أَوْعَدَهُمُ اللَّهُ بِالْقَتْلِ كَمَا تَسْمَعُونَ ، فجعلهم بهرجاءً^(١) أينما تُقِفُوا^(٢) .

وحدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُليَّةَ ، عن سعيدِ بنِ أبي عروبةَ ، عن قتادةَ مثله .

وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ قال : أَوْعَدَ^(٣) أَكَلَ الرِّبَا بِالْقَتْلِ^(٤) .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ قوله : ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ : فاستيقنوا بحربٍ من الله ورسوله^(٥) .

وهذه الأخبارُ كلها تُنبئُ عن أنَّ قوله : ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ إيدانٌ مِنَ اللَّهِ لهم بالحربِ والقَتْلِ ، لا أمْرٌ لهم بإيدانٍ غيرهم بذلك^(٦) .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَإِن تَبَتُّمُ فَلكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ .

(١) البهرج : الشىء المباح ، يقال : بهرج دمه : أهدره . التاج (بهرج) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٥٥٠/٢ (٢٩٢٢) من طريق شيبان عن قتادة به .

(٣) بعدها إحالة غير واضحة في الأصل .

(٤) عزاه ابن كثير في تفسيره ٤٩٠/١ إلى المصنف .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦٦/١ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وذكره ابن أبي حاتم فى

تفسيره ٥٥٠/٢ عقب الأثر (٢٩٢٢) معلقاً عن ابن جريج ، عن ابن عباس .

(٦) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س .

يَعْنَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ: ﴿وَإِنْ تُبْتِغُوا﴾ فتركتهم أكل الربا، وأنبتتم إلى الله عز وجل ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾. يعنى^(١): من الديون التي لكم على الناس دون الزيادة التي أخذتموها^(٢) على ذلك ربا منكم.

كما حدثنا ابن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَإِنْ تُبْتِغُوا فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾: «والمال»^(٣) الذي لهم على ظهور الرجال، جعل لهم رؤوس أموالهم حين نزلت هذه الآية، فأما الربح والفضل فليس لهم، لا ينبغي لهم أن يأخذوا منه شيئا^(٤).

وحدثني المشني، قال: ثنا عمرو بن عوف، قال: ثنا هشيم^(٥)، عن جوير، عن الضحاك، قال: وضع الله الربا، وجعل لهم رؤوس أموالهم^(٦).

وحدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علقمة، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة في قوله: ﴿وَإِنْ تُبْتِغُوا فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾. قال: ما كان لهم من دين، فجعل لهم أن يأخذوا رؤوس أموالهم، لا يزدادوا عليه شيئا.

وحدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن الشدي: ﴿وَإِنْ تُبْتِغُوا فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾: التي^(٧) أسلفتم، وسقط الربا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ذكر لنا أن نبي

(١) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، س.

(٢) في س: «أخذتموها».

(٣ - ٣) في م: «المال».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٥٥١/٢ (٢٩٢٦) من طريق يزيد به.

(٥) في الأصل: «هشام».

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٠/٢ (٢٩٢٣) من طريق جوير به بنحوه.

(٧) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، س: «الذي».

اللَّهُ ﷻ [٦٦/٨ ط] قال في خُطْبَتِهِ يَوْمَ الْفَتْحِ: «أَلَا إِنَّ رَبَّ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، وَأَوَّلُ رَبِّهَا أَتَدِيءُ بِهِ رَبَّ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»^(١).

وحدَّثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابنُ أبي جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيع، أن رسولَ اللهِ ﷻ قال في خُطْبَتِهِ بِمَنَى^(٢): «إِنَّ كُلَّ رَبِّهَا^(٣) فِي الْجَاهِلِيَّةِ^(٤) مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رَبِّهَا يُوضَعُ رَبِّهَا^(٥) الْعَبَّاسِ».

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿لَا تَطْلُمُونَ وَلَا تُتْلَمُونَ﴾ ﴿٢٧٩﴾.

يعنى بذلك^(٦): ﴿لَا تَطْلُمُونَ﴾ بأخذكم رُءُوسَ أموالكم التي كانت لكم قبل الإزباءِ على غُرمائكم منهم، دونَ أربابِها التي زدتموها ربَّاً على^(٧) من أخذتم ذلك منه من غُرمائكم، فتأخذوا منهم ما ليس لكم أخذه، أو لم يكن لكم قبل، ﴿وَلَا تُتْلَمُونَ﴾ يقول: ولا الغريمُ الذي يُعطِيكم ذلك دونَ الربح^(٨) الذي كنتم ألزمتُموه من أجل الزيادة في الأجل، يبيخسكم حقاً لكم عليه، فيمنعكموه؛ لأنَّ ما زاد على رءوسِ أموالكم لم يكن حقاً لكم عليه، فيكون بمنعه إيتاكم ذلك ظالماً لكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابنُ عباسٍ يقول فيه وغيره من أهل التَّأويل.

(١) لم نقف عليه بهذا الإسناد، وأصل الحديث عند مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رضى الله عنه، وغيره.

(٢) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، س.

(٣ - ٣) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، س.

(٤) في ت ٢: «ما».

(٥) في ص، م، ت، ٢، س: «بقوله»، وفي ت ١: «قوله».

(٦) زيادة من: م.

(٧) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، س: «الربا».

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِنْ تَبْتِمُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ ﴾ : فْتَرْبُونَ ، ﴿ وَلَا تَظْلَمُونَ ﴾ فْتَقْصُونَ ^(١) .

وحدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ . قال : لا تُنْقِصُونَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ ، ولا تأخذون باطلاً لا يحلُّ لكم .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : [٦٧/٨] ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ .

١١٠/٣ / يعني جلَّ ثناؤه بذلك : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ﴾ ممن تقبضون منه من غرمائكم رُءُوسَ أَمْوَالِكُمْ ﴿ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ ، يعني مُعسرًا برؤوسِ أَمْوَالِكُمْ التي كانت لكم عليهم قَبْلَ الإزْبَاءِ ، فَأَنْظِرُوهُمْ إِلَى مَيْسَرَتِهِمْ .

وقوله : ﴿ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ مرفوعٌ بـ ﴿ كَانَتْ ﴾ ، والخبرُ متروكٌ ، وهو ما ذكرنا . وإنما صلح ترك خبرها من أجلِ أَنَّ النكراتِ تُضمِرُ لها العربُ أخبارَها . ولو وُجِّهَتْ ﴿ كَانَتْ ﴾ في هذا الموضعِ إلى أنها بمعنى الفعلِ المُكْتَفَى بنفسه التامُّ ، لكان وجهُها صحيحًا ، ولم تكنْ بها حاجةٌ حينئذٍ إلى خبرٍ ، فيكونُ تأويلُ الكلامِ عندَ ذلك : وَإِنْ وُجِدَ ذُو عُسْرَةٍ مِنْ غَرْمَائِكُمْ بِرُءُوسِ أَمْوَالِكُمْ ، فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ .

وقد ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ : (وَإِنْ كَانَ ذَا عُسْرَةٍ) ^(٢) بمعنى : وَإِنْ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٥٥١/٢ (٢٩٣٠) من طريق أبي صالح به .

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ١/١٨٦ ، وذكر أنها قراءة ابن مسعود أيضا .

كان الغريمُ ذا عُسرَةٍ ، فنَظَرَةٌ إلى مَيْسِرَةٍ . وذلك وإن كان في العربية جائرًا ، فغيرُ جائزة القراءة به عندنا ؛ لخلافه خطوطُ مصاحفِ المسلمين .

وأما قوله : ﴿ فَنَظَرَةٌ إِلَى مَيْسِرَةٍ ﴾ . فإنه يعنى : فعليكم أن تُنظروه إلى مَيْسِرَتِهِ ، كما قال : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ ﴾ . وقد ذكرونا وجهَ رفعِ ما كان من نظائرِ هذا فيما مضى قَبْلُ^(١) ، فأعنتى ذلك عن تَكَرُّرِهِ .

والمَيْسِرَةُ : المَفْعَلَةُ مِنَ التَّيْسِرِ ، مثلُ المَرْحَمَةِ وَالمَشَامَةِ .

ومعنى الكلامِ : وإن كان من غُرْمَائِكُمْ ذُو عُسرَةٍ ، فعليكم أن تُنظروه حتى يُوسِرَ بما^(٢) لكم ، فيصيرَ من أهلِ التَّيْسِرِ به .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي وَاصِلُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسرَةٍ فَنَظَرَةٌ إِلَى مَيْسِرَةٍ ﴾ . قَالَ : نَزَلَتْ فِي الرَّبَا^(٣) .

[٦٧/٨ ظ] وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هِشَامٌ ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ ، أَنَّ رَجُلًا خَاصَمَ رَجُلًا إِلَى شُرَيْحٍ ، فَقَضَى عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِحَبْسِهِ ، قَالَ :

(١) ينظر ما تقدم فى ٣/٣٥٧ ، ٣٥٨ .

(٢) بعده فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « ليس » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٥٢ (٢٩٣٤) من طريق محمد بن فضيل به ، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (تفسير - ٤٥٤) من طريق يزيد بن أبى زياد به .

فقال رجلٌ عند شريح : إنه مُعَسِّرٌ ، والله يقول في كتابه : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : فقال شريح : إنما ذلك في الرِّبَا ، وإن الله قال في كتابه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء : ٥٨] . وَلَا يَأْمُرْنَا اللَّهُ بِشَيْءٍ ثُمَّ يُعَذِّبُنَا عَلَيْهِ ^(١) .

وحدثني يعقوب ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أَخْبَرَنَا مُغِيرَةُ ، عن إبراهيم في قوله : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : ذلك في الرِّبَا ^(٢) .

وحدثني يعقوب ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أَخْبَرَنَا مُغِيرَةُ ، عن الحسن ^(٣) ، أَنَّ الرَّبِيعَ بْنَ خُنَيْمٍ ^(٤) كان له على رجلٍ حقٌ ، فكان يأتيه ، فيقومُ على بابِه ، ويقول : أَتَمَّ ^(٥) فلانٌ ؟ إِنْ كُنْتَ مُوسِرًا فَأَدِّ ، وَإِنْ كُنْتَ مُعَسِّرًا فإِلَى مَيْسَرَةٍ ^(٦) .

/ وحدثني يعقوب ، قال : ثنا ابنُ عُليَّةَ ، عن أيوبَ ، عن محمدٍ ، قال : جاء رجلٌ إلى شريح ، فكلَّمه ، فجعل يقول : إنه مُعَسِّرٌ ^(٧) ، قال : فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُكَلِّمُهُ فِي مَحْبُوسٍ ، فقال شريح : إِنْ الرِّبَا كَانَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ . وقال الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا

١١١/٣

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٥٣ - تفسير) من طريق هشيم عن هشام وعن يونس معًا ، دون قوله بعد الآية .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٥٢ - تفسير) عن هشيم به .

(٣) كذا في الأصل ، م ، وفي ص ، ت ، ٢ ، س : « الحسى » ، وفي ت ١ : « الحشنى » ، ورجح الشيخ شاكر أنها الشعبية ، وذكر محقق تفسير سعيد بن منصور أن رسمها عنده : الحجى ، واستشكلها ثم قال : ولم أجد الحديث عند غيرهما حتى أتكن من حل هذا الإشكال .

(٤) في الأصل : « جبير » ، وفي م ، ت ، ١ ، ٢ ، س : « خيشم » .

(٥) في م : « أى » .

(٦) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٥٢ - تفسير) عن هشيم به ، وفيه الإشكال المتقدم في الراوى عن الربيع .

(٧) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، س : « إنه معسر » .

الْأَمْنَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴿١﴾ . فما كان الله ليأمرنا بأمرٍ ثم يُعذِّبنا عليه ، أدوا الأماناتِ إلى أهلها^(١) .

حدَّثنا يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُليَّةَ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ في قوله : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : فنظرةٌ إلى ميسرةٍ برأسِ ماله^(٢) .

وحدَّثني محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ : إنما أمر في الرِّبَا أَنْ يُنظَرَ المعسرُ ، وليست النظرةُ في الأمانة ، ولكن تُؤدَّى^(٣) الأمانة إلى أهلها^(٤) .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن الشُدِّيِّ : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ ﴾ برأسِ المالِ ﴿ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ . يقولُ : إلى غنى^(٥) .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ : هذا في شأنِ الرِّبَا^(٦) .

حدَّثتُ عن الحسينِ ، قال : سمعتُ أبا معاذٍ ، قال : أخبرنا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمعتُ الضحَّاكَ في قوله : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ : هذا في شأنِ الرِّبَا ، وكان أهلُ الجاهليةِ [٦٨/٨ و] بها يتبايعون ، فلمَّا أسلمَ من أسلمَ

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣٠٥/٨ (١٥٣٠٩) ، ووكيع في أخبار القضاة ٣٦٠/٢ ، والنحاس في ناسخه ص ٢٦٣ من طريق أيوب به بنحوه .

(٢) تقدم بمعناه في ص ٥٤ .

(٣) في ص ، ت ٢ : « مؤدى » ، وفي م ، ت ١ ، س : « يؤدى » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٢/٢ (٢٩٣٥) عن محمد بن سعد به .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٣/٢ (٢٩٤٠) من طريق عمرو بن حماد به .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٦٨/١ إلى ابن المنذر .

منهم ، أمروا أن يأخذوا رءوس أموالهم ^(١) .

وحدثني المشني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ دُوْا عُسْرَةً فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ : يعني المطلوب ^(٢) .

وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر في قوله : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ دُوْا عُسْرَةً فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : الموت ^(٣) .

وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن محمد بن علي ^(٤) مثله .

وحدثني المشني ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ دُوْا عُسْرَةً فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : هذا في الربا .

وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن إبراهيم في الرجل يتزوّج إلى ميسرة ، قال : إلى الموت أو إلى فرقة . وحدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : ذلك في الربا ^(٥) .

/ وحدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا منذل ، عن ليث ، عن مجاهد : ١١٢/٣

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٦٨ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٢/٢ (٢٩٣٢) من طريق أبي صالح به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٣/٢ (٢٩٣٩) من طريق وكيع به .

(٤ - ٤) في الأصل : « بن محمد عن » .

(٥) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٥٢ - تفسير) عن هشيم به .

﴿فَنظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ . قال: يُؤَخِّرُهُ وَلَا يَزِدُّ عَلَيْهِ، وَكَانَ إِذَا حَلَّ دَيْنٌ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَجِدْ مَا يُعْطِيهِ، زَادَ عَلَيْهِ وَأَخْرَه .

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ، قَالَ: ثَنَا أَبُو نَعِيمٍ، قَالَ: ثَنَا مِنْدَلٌ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ . قَالَ: يُؤَخِّرُهُ وَلَا يَزِدُّ عَلَيْهِ .

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هَذِهِ الْآيَةُ عَامٌّ^(١) فِي كُلِّ مَنْ كَانَ لَهُ قِبَلِ رَجُلٍ مُعْسِرٍ حَقٌّ، مِنْ أَيْ وَجِهٍ كَانَ ذَلِكَ الْحَقُّ، مِنْ دَيْنٍ حَلَالٍ أَوْ رَبًّا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

^(٢) حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ، قَالَ: قَالَ لِي عَطَاءٌ: ذَلِكَ فِي الرِّبَا وَالذَّيْنِ، فِي كُلِّ ذَلِكَ^(٣) .

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا جُوَيْرِيُّ، عَنْ الضَّحَّاكِ، قَالَ: مَنْ كَانَ ذَا عُسْرَةٍ ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ . قَالَ: وَكَذَلِكَ كُلُّ دَيْنٍ عَلَىٰ مُسْلِمٍ، فَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ لَهُ دَيْنٌ عَلَىٰ أَخِيهِ يَعْلَمُ مِنْهُ عُسْرَةٌ أَنْ يَشْجُنَهُ، وَلَا يَطْلُبَهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُيَسِّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا جَعَلَ النَّظِرَةَ فِي الْحَلَالِ فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْ الدِّيُونُ عَلَىٰ ذَلِكَ^(٣) .

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: ثَنَا ابْنُ فَضَيْلٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ

(١) فِي م: «عامة» .

(٢) (٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ: ص، م، ت، ١، ت، ٢، س .

وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٥٢/٢ (٢٩٣٧) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ جَرِيرٍ بِهِ .

(٣) عَزَاهُ السِّيَوِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ١/٣٦٨ إِلَى الْمَصْنَفِ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ .

مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾. قال: نزلت في الدين^(١).

والصواب من القول في قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾. أنه يعنى به غرماء الذين كانوا أسلموا على عهد رسول الله ﷺ، ولهم عليهم ديون قد أربوا فيها [٦٨/٨ ظ] في الجاهلية، فأدركهم الإسلام قبل أن يقبضوها منهم، فأمر الله بوضع ما بقي من الربا بعد ما أسلموا، واقتضاء^(٢) رءوس أموالهم من كان منهم من غرمائهم مؤسرا، وإنظار من كان منهم مُعسرا برءوس أموالهم إلى ميسرتهم، فذلك حكم كل من أسلم وله ربا قد أربى على غريم له، فإن إسلامه يُبطل عن غريمه ما كان له عليه من قبل الربا - ويُلزِمه أداء رأس ماله الذي كان أخذ منه، أو لزمه من قبل الإرباء - إليه إن كان مؤسرا، وإن كان معسرا كان مُنظرا برأس مال صاحبه إلى ميسرته، وكان الفضل على رأس المال مُبطلا عنه، غير أن الآية وإن كانت نزلت في من ذكرونا، وإيأهم عنى بها، فإن الحكم الذي حكم الله به في إنظار المعسر برأس مال المرابي بعد بُطول الربا عنه حكم واجب لكل من كان عليه دين لرجل قد حل عليه، وهو بقضائه معسر، في أنه به مُنظَر إلى ميسرته؛ ولأن دين كل ذي دين في مال غريمه، وعلى غريمه قضاؤه منه، لا في رقبته، فإذا عُدم ماله، فلا سبيل على رقبته بحبس ولا بيع، وذلك أن مال رب الدين لن يخلو من أحد وجوه ثلاثة؛ إما أن يكون في رقبته غريمه، أو في ذمته يقبضه^(٣) من ماله، أو في مال له بعينه؛ فإن يكن في مال

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٢/٢ (٢٩٣٤) من طريق ابن فضيل به، وأخرجه سعيد بن منصور (٤٥٤ - تفسير) من طريق يزيد بن أبي زياد به وعندهما بلفظ: الربا. وينظر الدر المنثور ٣٦٨/١ فقد عزاه إلى ثلاثهم بلفظ: الربا.

(٢) في م: «قبض».

(٣) في ص، م، ت، ١، ت، ٢: «يقبضه».

له بعينه ، فمتى بطل ذلك المأل وعُدم ، فقد بطلَ دَيْنُ رَبِّ المَالِ ، وذلك ما لا يقوله أحدٌ ، أو يكونُ في رقبته فإن يكنْ ذلك كذلك فمتى عُدِمَت نفسه فقد بطلَ دينُ رَبِّ الدِّينِ وإن خَلَفَ الغريمُ وفاءً بحقِّه وأضعافَ ذلك ، وذلك أيضًا ما لا يقوله أحدٌ ، فقد تبَيَّنَ إذا إذ كان ذلك كذلك ، أن دَيْنَ رَبِّ المَالِ في ذمَّةِ غريمِهِ ، يقضيه من ماله ، فإذا عُدِمَ ماله فلا سبيلَ له على رقبته ؛ لأنه قد عُدِمَ ما كان له عليه أن يُؤدِّيَ منه حقَّ صاحبه لو كان موجودًا ، وإذا لم يكنْ على رقبته سبيلٌ ، لم يكنْ إلى حيسه وهو ١١٣/٣ مُعَدِّمٌ^(١) بحقه سبيلٌ ؛ لأنه غيرُ مانعه حقًا له إلى قضائه سبيلٌ ، فيعاقبَ بظلمه إيَّاه بالحبس .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨٠) .

يعنى جلّ ثناؤه بذلك : وأن تصدّقوا برعوسِ أموالكم على هذا المعسرِ ، ﴿ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ أيها القومُ من أن تُنظروه إلى ميسرته لتقبضوا رعوسَ أموالكم منه إذا أيسرَ ، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٦٩/٨ و] موضعَ الفضلِ في الصدقةِ ، وما أوجبَ اللهُ من الثوابِ لمن وَضَعَ عن غريمه المعسرِ دينه .

واختلفَ أهلُ التأويلِ في تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك : وأن تصدّقوا برعوسِ أموالكم على الغنيِّ والفقيرِ منهم خيرٌ لكم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَّيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ وَإِنْ تَبْتَدُوا فَلَكُمْ رُعُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ : والمالُ الذي لهم على ظهورِ الرجالِ ،

جَعَلَ لَهُمْ رَعُوسَ أَمْوَالِهِمْ حِينَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، فَأَمَّا الرِّيحُ وَالْفِضْلُ فَلَيْسَ لَهُمْ ، لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ، ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ . يقول : وَأَنْ تَصَدَّقُوا بِأَصْلِ الْمَالِ خَيْرٌ لَكُمْ ^(١) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُثَيْبَةَ ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا ﴾ أَى : بِرَأْسِ الْمَالِ ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ .

وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا سَفِيَّانُ ، عَنْ مَغِيرَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ : ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ . قَالَ : مِنْ رَعُوسِ أَمْوَالِكُمْ .

وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى ، عَنْ سَفِيَّانَ ، عَنْ مَغِيرَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بِمِثْلِهِ . وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ ، قَالَ : ثنا سَفِيَّانُ ، عَنْ مَغِيرَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ : ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ : قَالَ : " رَعُوسِ الْأَمْوَالِ " ^(٢) .

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مَغِيرَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ : ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ . قَالَ ^(٣) : أَنْ تَصَدَّقُوا بِرَعُوسِ أَمْوَالِكُمْ .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : وَأَنْ تَصَدَّقُوا بِهِ عَلَى الْمُعْسِرِ خَيْرٌ لَكُمْ . نَحْوَمَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أُسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ :

(١) تقدم تخريجه في ص ٥٤ دون آخره ، وعلقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٣/٢ عقب الأثر (٢٩٤١) .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٣/٢ (٢٩٤١) من طريق سفيان به .

﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ . قال : وَأَنْ تَصَدَّقُوا بِرِعْوَسِ أَمْوَالِكُمْ عَلَى الْفَقِيرِ ،
فهو خيرٌ لكم . فتصدق به العباس^(١) .

وحدثني المشنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن
الربيع : ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ . يقول : وَإِنْ تَصَدَّقْتَ [٦٩/٨ ظ] عليه برأس مالك فهو خيرٌ لك^(٢) .

وحدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعتُ أبا معاذ ، قال أخبرنا عبيد بن
سليمان قال : سمعتُ الضحَّاك في قوله : ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ : يعنى ١١٤/٣
على المعسر ، فأما المويسر فلا ، ولكن يؤخذ منه رأس المال ، والمعسر الأخذ منه
حلالٌ ، والصدقة عليه أفضل .

وحدثني المشنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هُشَيْمٌ ، عن جُوَيْرِ ،
عن الضحَّاك : ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾^(٣) من رِعْوَسِ^(٣) أموالكم ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من نظرة
إلى ميسرة ، فاختار الله عز وجل الصدقة على النظرة .

وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله :
﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ قال : من
النظرة ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

وحدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جُوَيْرِ ، عن
الضحَّاك : ﴿فَنظَرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ : والنظرة واجبة ،

(١) أخرجه بنحوه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٣/٢ عقب الأثر (٢٩٤١) من طريق عمرو به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٣/٢ عقب الأثر (٢٩٤١) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣ - ٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : «برعوس» .

وخيّر^(١) الله الصدقة على النظرة، والصدقة لكل معسر، فأما الموسر فلا .

وأولى التأويلين بالصواب تأويل من قال: معناه: وأن تصدقوا على المعسر بربوس أموالكم خير لكم . لأنه يلي ذكر حكمه في المعسر^(٢)، وإلحاقه بالذي يليه أولى^(٣) من إلحاقه بالذي بعد منه .

وقد قيل: إن هذه الآيات في أحكام الربا هنّ آخر آيات نزلت من القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشر، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن سعيد، وحدثني يعقوب ابن إبراهيم، قال: ثنا ابن علقمة، عن سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، أن عمر بن الخطاب قال: كان آخر ما أنزل الله من القرآن آية الربا، وإن نبي الله ﷺ قبض قبل أن يفسرها، فدعوا الربا والرّيبة^(٤) .

وحدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا داود بن أبي هند، عن عامر، أن عمر رضي الله عنه قام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد، فإنه والله ما أدرى، لعلنا نأمركم بأمر لا يصلح لكم، وما أدرى لعلنا ننهاكم عن^(٥) أمور تصلح لكم، وإنه كان من آخر القرآن تنزيلاً آيات الربا، فتوفى رسول الله ﷺ قبل أن يبينه لنا، فدعوا ما يريثكم إلى ما لا يريثكم^(٦) .

(١) خير: فضل . ينظر النهاية ٢/ ٩١ .

(٢) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، س: «المعنين» .

(٣) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، س: «أحب إلى» .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٢٧٦) من طريق سعيد به .

(٥ - ٥) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، س: «أمر يصلح» .

(٦) عزاه الحافظ في الفتح ٢٠٥/٨ إلى المصنف .

حدَّثني أبو زيدٍ عُمَرُ بْنُ شَبَّهَةَ ، قال : ثنا قَبِيصَةُ ، قال : ثنا سَفِيانُ الثَّورِيُّ ، عن عاصِمِ الأَحْوَلِ ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ ، قال : آخِرُ ما أُنْزِلَ على رَسولِ اللَّهِ ﷺ آيةُ الرِّبا ، وإِنَّا لَنَأْمُرُ بالشَّيْءِ لا نَدْرِي لعلَّ به بأسًا ، ونَنْهَى عن الشَّيْءِ لعلَّه ليس به بأسٌ ^(١) .

القول في تأويل قوله عز وجل : [٧٠/٨] ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

وقيل أيضًا : إِنَّ هذه الآيةَ آخِرُ آيةٍ نزلت من القرآن .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا أبو ثَمِيلَةَ ، قال : ثنا الحسينُ بنُ واقدٍ ، عن يزيدِ النَحْوِيِّ ، عن عكرمةَ ، / عن ابنِ عَبَّاسٍ ، قال : آخِرُ آيةٍ أُنْزِلت على النَبِيِّ ﷺ : ١١٥/٣ ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ ^(٢) .

وحدَّثني محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية : فهي آخِرُ آيةٍ من الكتابِ أُنْزِلت ^(٣) .

(١) أخرجه أبو عبيد في الفضائل ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، والبخارى (٤٥٤٤) ، والبيهقي في الدلائل ١٣٨/٧ من طريق قبصة به ، وعند البخارى إلى قوله : آية الربا . وقال الحافظ في الفتح ٢٠٥ / ٨ : المراد بالآخريه في الربا تأخر نزول الآيات المتعلقة به من سورة البقرة ، وأما حكم تحريم الربا فنزوله سابق لذلك بمدة طويلة ، على ما يدل عليه قوله تعالى في آل عمران في أثناء قصة أحد : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ﴾ . الآية .

(٢) أخرجه النسائي (١١٠٥٧ ، ١١٠٥٨ - كبرى) ، والطبراني (١٢٠٤٠) ، والبيهقي في دلائل النبوة ١٣٧/٧ من طريق الحسين به .

(٣) أخرجه الطبراني (١٢٣٥٧) بسند آخر إلى ابن عباس .

وحدثني محمد بن عُمارة، قال: ثنا^(١) سهل بن عامر، قال: ثنا مالك بن مَعُول، عن عطية، قال: آخر آية أنزلت: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٢).

وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشدّي، قال: آخر آية نزلت: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية^(٣).

وحدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو ثُمَيْلَةَ، عن عُبَيْدِ بْنِ سَلِيمَانَ، عن الضحّاك، عن ابن عباس، وحجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: آخر آية نزلت من القرآن: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ قال ابن جريج: يقولون: إن النبي ﷺ مكث بعدها تسع ليالٍ، وبُدئ^(٤) يوم السبت، ومات يوم الاثنين^(٥).

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: ثنى سعيد بن المسيّب، أنه بلغه أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين^(٦).

يعنى بذلك جل ثناؤه: واخذروا أيها الناس يوماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ، فَتَلْقَوْنَهُ

(١) بعده في ص، م، ت، ١، ت، ٢، س: «إسماعيل بن».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/٥٤١، ١٤/١٠٥ من طريق مالك به.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/٥٤٠، ١٤/١٠٤ من طريق وكيع به.

(٤) في النسخ: «بدا». والثبت من فضائل القرآن، وتفسير ابن كثير ١/٤٩٤. ويُدعى فلان: مرض. النهاية ١/١٠٤.

(٥) أخرجه الواحدي في تفسيره ١/٣٩٩ من طريق الضحاك به، وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص

٢٢٤ عن حجاج به.

(٦) ذكره ابن كثير ١/٤٩٥ عن المصنف بسنده، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٧٠ إلى المصنف،

وأخرجه أبو عبيد في الفضائل ص ٢٢٤ من طريق عقيل عن ابن شهاب قوله.

وقال الحافظ في الفتح ٨/٢٠٥: وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في

الربا، إذ هي معطوفة عليهن.

فيه، أى^(١) تردوا عليه بسيئات تَهْلِكُكُمْ، أو بمخزيات تُخْزِيكُمْ، أو بفاضحات^(٢) تَفْضُحُكُمْ، فَتَهْتِكُ أَسْتَارَكُمْ، أو بموبقات تُوبِقُكُمْ، فتوجب لكم من عقاب الله ربكم ما لا يقبل لكم به، فإنه يوم مجازاة بالأعمال، لا يوم استعتاب، ولا يوم استقالة وتوبة وإنابة، ولكنه يوم جزاء وثواب ومحاسبة، تُوفى فيه^(٣) كل نفس أجرها على ما قدمت واكتسبت من سيئ وصالح، لا يُعَادِرُ فيه صغيرة ولا كبيرة من خيرٍ وشرٍ إلا أُحْضِرَتْ فُوقَيْتِ^(٤) جزاءها بالعدل من ربها، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، كيف يُظْلَمُ مَنْ جُوزِيَ بِالْإِسَاءَةِ مِثْلَهَا، وبالْحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا؟ كلا بل عدل عليك أيها الميسر، وتكرم عليك، فأفضل وأسبغ أيها المحسن، فاتقى امرؤ ربّه، [٧٠/٨ ظ] وأخذ منه جذره، وراقبه قبل^(٥) أن يهجم عليه يومه، وهو من الأوزار ظهره ثقيل، ومن صالحات الأعمال خفيف، فإنه تعالى ذكره قد حذر فأعذر^(٦)، ووعظ فأبلغ.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

/يعنى بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ ١١٦/٣
يعنى: إذا تبايعتم بدین أو اشترتكم به، أو تعاطيتم، أو أخذتم به، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾. يقول: إلى وقت معلوم وقتموه بينكم، وقد يدخل في ذلك القرض

(١) فى ص، م، ت، ١، ت، ٢، س: «أن».

(٢) فى م: «بفضيحات».

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى ص، ت، ١، ت، ٢، س: «فوقيت»، وفى م: «فتوفى».

(٥) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، س.

(٦) فى س: «فأعذر».

وَالسَّلَامُ فِي كُلِّ مَا جاز السَّلَامُ^(١) فِيهِ ؛ لِأَنَّ السَّلَامَ^(١) شَرَاءُ أَجَلٍ بِنَقْدٍ^(٢) يَصِيرُ دَيْنًا عَلَى بَائِعٍ مَا أَسْلَمَ إِلَيْهِ فِيهِ . وَيَحْتَمِلُ بَيْعَ الْحَاضِرِ الْجَائِزِ بِيَعُهُ مِنَ الْأَمْلاكِ بِالْأَثْمَانِ الْمُؤَجَّلَةِ ، كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الدِّيُونِ الْمُؤَجَّلَةِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، إِذَا كَانَتْ آجَالُهَا مَعْلُومَةً بِحَدِّ مَوْقُوفٍ عَلَيْهِ . وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي السَّلَامِ خَاصَّةً .

ذَكَرَ الرِّوَايَةَ عَنْهُ بِذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ عَيْسَى الرَّمْلِيُّ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ . قَالَ : السَّلَامُ فِي الْحِنِطَةِ ، فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُخْرَمِيُّ^(٤) ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ الصَّامِتِ^(٥) ، قَالَ : ثنا ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ ﴾ قَالَ : نَزَلَتْ فِي السَّلَامِ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ^(٦) .

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ : ثنا زَيْدُ^(٧) بْنُ أَبِي الزَّرْقَاءِ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ أَبِي

(١ - ١) سقط من ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بِيَعُهُ » ، وفي س : « مَعَهُ » .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤٩٥/١ عن سفيان به . وأصله في الصحيحين وغيرهما من رواية سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن عبد الله بن كثير ، عن أبي المنهال ، عن ابن عباس . البخاري (٢٢٣٩ ، ٢٢٥٣) ، ومسلم (١٦٠٤) .

(٤) في الأصل : « المخرومي » .

(٥) في م : « الصامح » .

(٦) عزاه السيوطي في الدر ٣٧٠/١ إلى عبد بن حميد والمصنف .

(٧) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يزيد » . ينظر تهذيب الكمال ٧٠ / ١٠ .

حَيَّانَ ، عن رجلٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : نزلت هذه الآيةُ : ﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينِكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾^(١) فِي السَّلْفِ^(٢) فِي الْحِنْطَةِ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْلُومٍ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَبَّبٍ ، قَالَ : ثنا سَفِيَانُ ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ التَّمِيمِيِّ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : نزلت هذه الآيةُ : [٧١/٨] ﴿ يَتَّأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينِكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ فِي السَّلْفِ فِي الْحِنْطَةِ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْلُومٍ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا مُعَاذُ بْنُ هَشَامٍ ، قَالَ : ثنى أَبِي ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَبِي حَسَّانَ^(٣) ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ السَّلْفَ الْمَضْمُونِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، أَنَّ اللَّهَ ۙ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَحَلَّهُ ، وَأَذِنَ فِيهِ . وَيَتْلُو هذه الآيةُ : ﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينِكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾^(٤) .

فإن قال قائلٌ : وما وجهُ قوله : ﴿ بِدِينِكُمْ ﴾ وقد دلَّ بقوله : ﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ ﴾ عليه ، وهل تكونُ مُداينةٌ بغيرِ دينٍ فاحتيج إلى أن يقال : ﴿ بِدِينِكُمْ ﴾ ؟

قيل : إن العربَ لما كان مقولاً عندها « تدايئنا » ، بمعنى : تجارزينا . وبمعنى : تعاطينا الأخذَ والإعطاءَ بدَّينٍ - أبان الله جل ثناؤه بقوله : ﴿ بِدِينِكُمْ ﴾ المعنى الذى قصد^(٥) تعريفَ عباده^(٥) من قوله : ﴿ تَدَايَنْتُمْ ﴾ حُكْمَهُ ، وأغْلَمَهُمْ أَنَّهُ^(٦) « عنى به^(٦) »

(١) فى ص ، م ، س : « السلم » .

(٢) أخرجه البيهقى ١٨/٦ من طريق سفيان به .

(٣) فى م : « حيان » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٥٥٤/٢ (٢٩٤٨) من طريق هشام الدستوائى به .

(٥ - ٥) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « تعريفه » .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، م ، س .

حُكْمِ الدِّينِ دُونَ حَكْمِ الْمُجَازَاةِ .

وقد زعم بعضهم أن ذلك تأكيدٌ، كقوله: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةَ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر: ٣٠، ص: ٧٣]، ولا معنى لما قال من ذلك في هذا الموضع .
القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ فَاسْتُؤْتِبَهُ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿ فَاسْتُؤْتِبَهُ ﴾ : فاستئوبوا الذين الذى تداينتموه إلى
أجلٍ مُسَمًّى ، من بيع كان ذلك أو قرض .

واختلف أهل العلم في اكتاب الكتاب بذلك على من هو عليه ^(١) ، هل هو
واجب أو هو نذبة ؟ فقال بعضهم : هو حق واجب ، وفرض لازم .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنى المشنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جُوَيْرِ ، عن
الضَّحَّاكِ فى قوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَاسْتُؤْتِبَهُ ﴾ قال : من باع إلى أجلٍ مُسَمًّى أمره الله أن يكتب ، صغيراً كان أو
كبيراً ، إلى أجل [٧١/٨ ظ] مُسَمًّى ^(٢) .

حدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَوْلَهُ :
﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاسْتُؤْتِبَهُ ﴾ قَالَ : فَمَنْ
أَدَانَ دَيْنًا فَلْيَكْتُبْ ، وَمَنْ بَاعَ فَلْيُشْهَدْ ^(٣) .

(١) سقط من : الأصل .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم ٥٥٥/٢ (٢٩٥٢) من طريق جوير به بنحوه .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٤٩٦/١ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينِ الْإِلَهِ أَجَلِ مُسَمًّى فَآكُتُبُوهُ ﴾ : فكان هذا واجبا^(١) .
 وَحَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ بِمِثْلِهِ ، وَزَادَ فِيهِ : قَالَ : ثُمَّ جَاءَتِ الرَّخْصَةُ وَالسَّعَةُ ، قَالَ : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أَوْثَمَنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مَعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ أَبَا سَلِيمَانَ الْمَرْعَشِيِّ^(٣) كَانَ رَجُلًا صَحْبًا كَعْبًا ، فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ تَعْلَمُونَ مَظْلُومًا دَعَا رَبَّهُ فَلَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ ؟ قَالُوا : وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : رَجُلٌ بَاعَ^(٤) بَيْعًا إِلَى أَجَلٍ مَسْمُومٍ^(٥) ، فَلَمْ يَكْتُبْ وَلَمْ يُشْهِدْ ، فَلَمَّا حَلَّ مَالُهُ جَحَدَهُ صَاحِبُهُ ، فَدَعَا رَبَّهُ ، فَلَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ عَصَى رَبَّهُ^(٥) .

/وقال آخرون : كان اكتاب الكتاب بالدين فرضا ، فنسخه قوله : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ ١١٨/٣ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أَوْثَمَنَ أَمْنَتَهُ ﴾ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ^(٦) وَمَعْمَرٌ^(٦) ، عَنْ ابْنِ شُبْرَمَةَ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : لَا بَأْسَ إِذَا أَمِنْتَهُ أَلَّا تَكْتُبَ وَلَا تُشْهِدَ ، لِقَوْلِهِ : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾ قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : قَالَ ابْنُ شُبْرَمَةَ ، عَنْ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٥/٢ (٢٩٥٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٢٨٦ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٢/٣٤٣ .

(٣) في الأصل : « المرعش » ، وفي ص : « المدعس » ، وفي ت ١ ، س : « المرعس » .

(٤ - ٤) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « شيئا » .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤٩٦/١ عن قتادة به .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

الشَّعْبِيُّ : إلى هذا انتهى^(١) .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر في هذه الآية : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُوبُوهُ ﴾ حتى بلغ هذا المكان : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ ﴾ قال : رُحِّصَ في ذلك ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَأْتِمَرَ صَاحِبَهُ فَلْيَأْتِمِرْهُ^(٢) .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا هارونُ ، عن عمرو ، عن عاصم ، عن الشَّعْبِيِّ ، قال : إن أئتمنه فلا يُشهدُ عليه ولا يَكُتُبُ .

حدَّثت عن عمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ ، عن الشَّعْبِيِّ ، قال : فكانوا يَرَوْنَ أن هذه الآية : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ نسخت ما قبلها من الكتابة والشهود ، رُحِصَةً ورحمةً من الله^(٣) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال غيرُ عطاءٍ : نسخت الكتاب والشهادة : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾^(٤) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زبيدٍ : نسخ ذلك قوله : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ ﴾ [٧٢/٨] قال : فلولا هذا الحرفُ لم ينبغِ^(٥) لأحد أن يَدَّانَ بدينٍ إلا بكتابٍ وشهداء ، أو برهنٍ ، فلمَّا جاءت هذه

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٠/٢ (٣٠٤٢) عن الحسن به .

(٢) أخرجه البيهقي ١٠/ ١٤٥ من طريق داود به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٧٣ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه بنحوه الثوري في تفسيره ص ٧٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧١/٢ (٣٠٤٦) ، وابن الجوزي

في النواسخ ص ٢٢١ من طريق إسماعيل بن أبي خالد به .

(٤) ينظر النواسخ ص ٢٢٢ .

(٥) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يبع » .

نسخت هذا كله، وصار إلى الأمانة^(١).

حدثني المثني، قال: ثنا حجاج، قال: ثنا يزيد بن زريع، عن سليمان التيمي، قال: سألت الحسن قلت: كل من باع بيعاً يتبغى له أن يشهد؟ فقال: ألم تر أن الله عز وجل يقول: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِينَ الَّذِينَ أَوْثِنَ آمَنَتُهُ﴾^(٢).

^(٣) حدثنا محمد بن المثني، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عامر في هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكُتُبُوهُ﴾ حتى بلغ هذا المكان: ﴿فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّ الَّذِينَ أَوْثِنَ آمَنَتُهُ﴾ قال: رخص في ذلك، فمن شاء أن يآتمن صاحبه فليأتمنه^(٤).

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن داود، عن الشعبي في قوله: ﴿فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ قال: إن أشهدت فحزمت، وإن لم تشهد ففى حل وسعة^(٥).

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: قلت للشعبي: رأيت الرجل /يستدين^(٦) من الرجل الشيء، أحتم عليه أن ١١٩/٣ يشهد؟ فقال: «ألا ترى^(٧) إلى قوله: ﴿فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾؟ قد نسخ ما كان قبله.

حدثنا عمرو بن علي، قال: ثنا محمد بن مروان العقيلي، قال: ثنا عبد الملك

(١) ينظر تفسير ابن كثير ١/٤٩٦.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في التواضع ص ٢٢٠، ٢٢١ من طريق سليمان التيمي به.

(٣- ٣) تقدم هذا الأثر في الصفحة السابقة، وشيخ المصنف هناك المثني وهنا محمد بن المثني.

(٤) أخرجه البيهقي ١٠/١٤٥ من طريق داود به.

(٥) في الأصل: «يشترى».

(٦- ٦) في م، ت ٢: «فقرأ» ومكانها بياض في ص، ت ١، ت ٣، س.

ابن^(١) أبي نَصْرَةَ ،^(٢) عن أبيه^(٣) ، عن أبي سعيد الخدري أنه قرأ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُكُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال: فقرأ إلى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ قال: هذه نسخت ما قبلها^(٤).

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه: وليكتب كتاب الدين إلى الأجل المسمى بين الدائن والمدين ﴿كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ يعنى: بالحق والإنصاف فى كتابه الذى يكتبه بينهما، بما لا يتحيف ذال الحق حقه، ولا يفتحسه، ولا يؤجب له حجة على من عليه دينه فيه بباطل، ولا يلزمه ما ليس عليه.

كما حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة فى قوله: ﴿وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ قال: اتقى الله كاتب فى كتابه، فلا يدع عن منه حقاً، ولا يريدن فيه باطلاً^(٥).

وأما قوله: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ فإنه يعنى: ولا يأبى كاتب اشتكيب ذلك أن يكتب بينهم كتاب الدين، كما علمه الله كتابته فخصه بعلم ذلك، وحرمه كثيراً من خلقه.

[٧٢/٨ ظ] وقد اختلف أهل العلم فى وجوب الكتابة^(٥) على الكاتب إذا

(١) بعده فى ت ١، س: «فضالة» .

(٢) (٢ - ٢) سقط من: ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س، وينظر الجرح والتعديل ٥/٣٧٠.

(٣) أخرجه ابن الجوزى فى التواسخ ص ٢٢٢ من طريق عمرو بن على به . وأخرجه البخارى فى التاريخ ١/٢٣٢، وابن ماجه (٢٣٦٥)، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٧٠/٢ (٣٠٤١)، والنحاس فى ناسخه ص ٢٦٧، والطبرانى فى الأوسط (١٥٥٨)، وابن عدى ٢٢٦٧/٦، والبيهقى ١٤٥/١، والمزى ١٨/٤٢٨ من طريق محمد بن مروان العقيلي به، وعزاه السيوطى فى الدر المشور ١/٣٧٣ إلى أبى نعيم .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٨/٢ (٢٩٦٩) من طريق يزيد بن زريع به .

(٥) فى ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «الكتاب» .

اسْتُكْتِبَ ذَلِكَ ، نَظِيرَ اِخْتِلَافِهِمْ فِي وُجُوبِ الْكِتَابَةِ^(١) عَلَى الَّذِي لَهُ الْحَقُّ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ ﴾ قَالَ : وَاجِبٌ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَكْتُبَ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِعَطَاءٍ : قَوْلُهُ : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ ﴾ أَوْاجِبٌ أَلَا يَأْتِي أَنْ يَكْتُبَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : وَقَالَ مُجَاهِدٌ : وَاجِبٌ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَكْتُبَ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ بِمِثْلِهِ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ جَابِرٍ ، عَنْ عَامِرٍ وَعَطَاءٍ : قَوْلُهُ : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ قَالَا : إِذَا لَمْ يَجِدُوا كَاتِبًا فُدْعِيَتْ ، فَلَا تَأْبَ أَنْ تَكْتُبَ لَهُمْ^(٥) .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ : هِيَ مَنْسُوخَةٌ

قَدْ ذَكَرْنَا جَمَاعَةً مِنْ قَالَ : كُلُّ مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْأَمْرِ بِالْكِتَابَةِ وَالْإِشْهَادِ وَالرَّهْنِ

(١) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « الْكِتَابِ » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٥٦/٢ (٢٩٥٩) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ بِهِ ، وَعَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٣٧٠/١ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٣) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي مُصَنَّفِهِ (١٥٥٦٠) عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ بِهِ .

(٤) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ ، ص ، س .

(٥) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٥٦/٢ عَقِبَ الْأَثَرِ (٢٩٦٠) مَعْلَقًا .

منسوخ بالآية التي في آخرها . وأذْكَرُ قولَ مَنْ تَرَكَنا ذَكَرَهُ هنالك لبعض^(١) المعاني .

١٢٠/٣ / حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جُوَيْرِ ، عن الضحَّاكِ : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ ﴾ قال : كانت عزيمةً فمسختها : ﴿ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾^(٢) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ وَيَكْتُبُ بَيْنَكُمْ ﴾ [٧٣/٨] كَاتِبٌ بِالْمَعْدَلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ : فكان هذا واجباً على الكُتَّابِ^(٣) .

وقال آخرون : هو على الوجوب ، ولكنه واجبٌ على الكاتبِ في حالِ فراغه .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ قوله : ﴿ وَيَكْتُبُ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْمَعْدَلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ يقول : لا يَأْبَ كاتبٌ أَنْ يَكْتُبَ إِنْ كَانَ فَارِعًا^(٤) .

والصوابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَ الْمُتَدَايِنِينَ إِلَى أَجْلِ مَسْئَلِي بَاكْتِتَابِ كُتْبِ الدِّينِ بَيْنَهُمْ ، وَأَمَرَ الْكَاتِبَ أَنْ يَكْتُبَ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ ، وَأَمَرَ اللَّهَ فَرَضَ لَازِمًا ، إِلَّا أَنْ تَقَوْمَ حُجَّةً بِأَنَّهُ إِرْشَادٌ وَنَدْبٌ ، وَلَا دَلَالَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَمْرَهُ جَلٌّ ثَنَاؤُهُ بَاكْتِتَابِ الْكُتْبِ فِي ذَلِكَ ، وَأَنْ تَقَدِّمَهُ إِلَى الْكَاتِبِ أَلَا يَأْتِي كِتَابَةَ ذَلِكَ -

(١) في ص ، م : « بعض » ، وفي س : « ببعض » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٧٠ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٢/٥٥٧ (٢٩٦٥) من طريق ابن أبي جعفر به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور

١/٣٧٠ إلى ابن المنذر .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٥٥٧ (٢٩٦٢) من طريق عمرو بن حماد به .

ندب وإرشاد، فذلك فرض عليهم لا يسعهم تضييعه، ومن ضييعه منهم كان حرباً بتضييعه.

ولا وجه لاعتلال من اعتل بأن الأمر بذلك منسوخ بقوله: ﴿فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ﴾؛ لأن ذلك إنما أذن الله تعالى ذكره به حيث لا سبيل إلى الكتاب أو إلى الكاتب، فأما والكتاب والكاتب موجودان، فالفرض - إذا كان الدين إلى أجل مُسمى - ما أمر الله تعالى ذكره به في قوله: ﴿فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ وإنما يكون الناسخ ما لم يجز اجتماع حكمه وحكم المنسوخ في حال واحدة، على السبيل التي قد بيناها، فأما ما كان أحدهما غير نافٍ حكم الآخر، فليس من الناسخ والمنسوخ في شيء.

ولو وجب أن يكون قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ﴾ ناسخاً قوله: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾. لوجب أن يكون قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٦] ناسخاً الوضوء بالماء في الحضر عند وجود الماء فيه، وفي السفر الذي فرضه الله عز وجل بقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾. وأن يكون قوله في كفارة الظهار: ﴿فَمَنْ لَمْ يَحِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ [المجادلة: ٤] ناسخاً قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَبَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾ [المجادلة: ٣]. فيسأل القائل: إن قول الله عز وجل: ﴿فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ﴾ ناسخٌ قوله:

﴿ إِذَا / تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكْتَسِبُوهُ ﴾^(١) - الفرق^(١) بينه وبين قائل في التيمم وما ذكرنا قوله فرغم أن كل ما أتيح في حال الضرورة لعلّة الضرورة، [٧٣/٨] ناسخ حكمه في حال الضرورة حكمه في^(٢) كل أحواله، نظير قوله في أن الأمر باكتساب كتب الديون والحقوق منسوخ بقوله: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ .

فإن قال: الفرق بيني وبينه أن قوله: ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ كلام منقطع عن قوله: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ وقد انتهى الحكم في السفر إذا عديم فيه الكاتب بقوله: ﴿ فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ وإنما عنى بقوله: ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾: إذا تداينتم بدّين إلى أجل مسمى فأمن بعضكم بعضاً فليؤدّ الذي أوّتمن أمانته .

قيل له: وما البرهان على ذلك من أصل أو قياس، وقد انقضى الحكم في الدّين الذي فيه إلى الكاتب^(٣) والكتاب سبيل بقوله: ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ؟

وأما الذين زعموا أن قوله: ﴿ فَآكْتَسِبُوهُ ﴾ وقوله: ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ ﴾ . على وجه التّدبّ والإرشاد، فإنهم يُسألون البرهان على دعواهم في ذلك، ثم يعارضون بسائر أمر الله عزّ وجلّ الذي أمر في كتابه، ويُسألون الفرق بين ما ادّعوا في ذلك، وأنكروه في غيره، فلن يقولوا في شيء من ذلك قولاً إلا ألزموا في الآخر مثله .

(١) في م: «ما الفرق»، وفي ص، ت، ١، ت، ٢، س: «والفرق» .

(٢) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، س: «و» .

(٣) في الأصل: «الكتاب» .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ : الْعَدْلُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَليَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْعَدْلِ ﴾ : الْحَقُّ^(١)
 حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَّادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
 أَسْبَاطُ ، عَنِ السَّدِيِّ قَوْلَهُ : ﴿ وَليَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْعَدْلِ ﴾ يَقُولُ :
 بِالْحَقِّ^(١) .

القولُ في تأويلِ قولِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ فليَكْتُبْ وَلِيُمَلِّلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلِيَتَّقِ
 اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ .

يعنى بذلك : فليَكْتُبِ الكَاتِبُ ، وَلِيُمَلِّلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ، وهو الغريمُ المَدِينُ ،
 يَقُولُ : لِيَتَوَلَّ المَدِينُ إِمْلَالَ كِتَابٍ مَا عَلَيْهِ مِنْ دَيْنِ رَبِّ المَالِ عَلَى الكَاتِبِ ، وَلِيَتَّقِ رَبَّهُ
 المُمَلَّى الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ، [٧٤/٨] فليُخَذَرُ عِقَابَهُ فِي بَخْسِ الَّذِي لَهُ الْحَقُّ مِنْ حَقِّهِ
 شَيْئًا ، أَنْ يَنْقُصَهُ مِنْهُ ظَلْمًا ، أَوْ يَذْهَبَ بِهِ مِنْهُ تَعَدُّيًا ، فَيُؤْخَذَ بِهِ حَيْثُ لَا يَقْدِرُ عَلَى
 قَضَائِهِ إِلَّا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، أَوْ أَنْ يَتَحَمَّلَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ .

كما حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ :
 ﴿ فليَكْتُبْ وَلِيُمَلِّلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾ : فَكَانَ هَذَا وَاجِبًا ﴿ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ
 وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ يَقُولُ : لَا يَظْلِمُ مِنْهُ شَيْئًا^(١) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا
 يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ . قَالَ : لَا يَنْقُصُ مِنْ حَقِّ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا إِذَا أَمَلَ^(١) .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٦/٢ (٥٩٥٨) من طريق عمرو به .

(٢) تقدم تخريج أوله في ص ٧٣ ، وأخرج آخره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٨/٢ عقب الأثر (٢٩٧١) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : «أملى» . (تفسير الطبري ٦/٥)

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمِلْ وَإِيَّاهُ بِالْعَدْلِ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا ﴾ : فإن كان المدين الذى عليه المال ﴿ سَفِيهًا ﴾ . يعنى جاهلاً بالصواب فى الذى عليه أن يُمِلَّهُ على الكاتب .

١٢٢/٣ / كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : ﴿ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا ﴾ . قال : أمّا السفية فالجاهل بالإملاء والأمور^(١) .

وقال آخرون : بل السفية فى هذا الموضع الذى عناه الله : الطفل الصغير .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدى ، قال : ﴿ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا ﴾ : أمّا السفية فهو الصغير^(٢) .

حدثنى يحيى بن أبى طالب ، قال : أخبرنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : ﴿ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا ﴾ قال : هو الصبى الصغير ، فليُمِلْ وإيَّاهُ بالعدل^(٣) .

وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال : السفية فى هذا الموضع الجاهل بالإملاء وموضع صواب ذلك من خطئه . لما قد بيئنا قبل من أن معنى السفية فى كلام العرب

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٩/٢ (٥٩٧٣) من طريق أبى حذيفة به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٩/٢ (٢٩٧٤) من طريق عمرو به .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٣٧/١ إلى المصنف .

الجهل^(١).

وقد يَدْخُلُ في قوله: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ كلُّ جاهلٍ بصوابٍ ما يُمِيلُ من خطيئه، من صغيرٍ وكبيرٍ، وذكرٍ وأنثى. غير أن الذي هو أوْلَى بظاهر الآية أن يكون مرادًا بها كلُّ جاهلٍ [٧٤/٨ ط] بموضعٍ خطأً ما يُمِيلُ وصوابه، من بالغي الرجال الذين لا يُؤَلَّى عليهم، والنساء؛ لأنه جل ذكره ابتدأ الآية بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾. والصبيُّ ومن يُؤَلَّى عليه لا يجوزُ مداينته، وأن الله عزَّ وجلَّ قد استثنى من الذين أمرهم بإملاَلِ كتابِ الدِّينِ مع السفيهِ الضعيفِ ومن لا يستطيعُ إملاَلَه، ففي فصله جلَّ ثناؤه الضعيفَ من السفيهِ ومن لا يستطيعُ إملاَلِ الكتابِ،^(٢) في الصفة^(٣) التي وصف بها كلَّ واحدٍ منهم - ما أتى عن أن كلَّ واحدٍ من الأصنافِ الثلاثةِ الذين بيَّن صفاتهم، غير الصنفين الآخرين.

وإذا كان ذلك كذلك، كان معلومًا أن الموصوفَ بالسَّفَهِ منهم دونَ الضعيفِ، هو ذو القُوَّةِ على الإملاَلِ، غير أنه وُضِعَ عنه فرضُ الإملاَلِ بجهله بموضعِ صوابٍ ذلك من خطيئه، وأن الموصوفَ بالضعفِ منهم، هو العاجزُ عن إملاَلِه، وإن كان شديدًا^(٤) رشيدًا، إما لِعِيٍّ لسانه أو خَرَسٍ به، وأن الموصوفَ بأنه لا يستطيعُ أن يُمِيلَ، هو الممنوعُ من إملاَلِه، إما بالحسِّ الذي لا يَقْدِرُ معه على حضورِ الكاتبِ الذي يَكْتُبُ الكتابَ فيميلُ عليه، وإما لِعَيْبِهِ عن موضعِ الإملاَلِ، فهو غيرُ قادرٍ من أجلِ عَيْبِهِ عن إملاَلِ الكتابِ، فوَضَعَ اللهُ عزَّ وجلَّ عنهم فرضَ إملاَلِ ذلك؛ للعللِ التي وصفنا إذا كانت بهم، وعدَّهم بتركِ الإملاَلِ من أجلِها، وأمرَ عندَ سقوطِ فرضِ ذلك عنهم^(٤) وليَّ الحقِّ بإملاَلِه، فقال: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ

(١) ينظر ما تقدم في ٣٠٢/١، ٦١٥/٢.

(٢) زيادة من: م.

(٣) في ص، م، ت، ٢، س: «شديدًا».

(٤) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، س: «عليهم».

ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمِلْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ ﴿٣﴾ : يعنى وليُّ الحقِّ .

ولا وجه لقول من زعم أن السفية في هذا الموضع هو الصغير ، وأن الضعيف هو الكبير الأحمق ؛ لأن ذلك - إن كان كما قال - يُوجِبُ أن يكون قوله : ﴿ أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ ﴾ هو العاجز من الرجال العقلاء - الجائزى الأمر في أموالهم وأنفسهم - عن الإملال ، إمَّا لعله بلسانه ، من خرس أو غيره من العليل ، وإما لغيبته عن موضع الكتاب . وإذا كان كذلك معناه ، بطل معنى قوله : ﴿ فَلْيُمِلْ وَلِيَّهُ / بِالْعَدْلِ ﴾ ؛ لأن العاقل الرشيد لا يُؤلَّى عليه في ^(١) ماله وإن كان أخرس أو غائبًا ، ولا يجوزُ حكمُ أحدٍ في ماله إلا بأمره ، وفي صححة معنى ذلك ما يُقضى على فسادِ قولٍ من زعم أن السفية في هذا الموضع هو الطفل الصغير ، أو الضعيف ^(٢) الكبير الأحمق .

١٢٣/٣

ذَكَرُ مَنْ قَالَ فِي ذَلِكَ مَا قَلْنَا

[٧٥/٨] حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ،

عَنْ الرَّبِيعِ : ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمِلْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ ﴾ يَقُولُ : وَلِيُّ الْحَقِّ ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عَمِي ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ

أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمِلْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ ﴾ قَالَ : يَقُولُ : فَإِنْ عَيِيَ عَنْ ذَلِكَ ، أَمَلَّ

(١) زيادة من : م .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره ٣/٣٨٨ .

صاحبُ الدِّينِ بِالْعَدْلِ^(١) .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ: غُنِيَ بِالضَّعِيفِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْأَحْمَقُ. وَبِقَوْلِهِ:
﴿فَلْيَمْلِكْ وَليُّهُ بِالْعَدْلِ﴾: وَلِيُّ السَّفِيهِ وَالضَّعِيفِ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا إِسْحَاقُ، قَالَ: ثنا أَبُو زُهَيْرٍ، عَنْ جُوَيْرٍ، عَنْ الضَّحَّاكِ: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَليُّهُ﴾. قَالَ: أَمْرٌ وَلِيُّ السَّفِيهِ أَوْ الضَّعِيفِ أَنْ يُمِلَّ بِالْعَدْلِ^(١).

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: ثنا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: ثنا أَسْبَاطُ، عَنْ السُّدِّيِّ: أَمَا الضَّعِيفُ فَهُوَ الْأَحْمَقُ^(٢).

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ، قَالَ: ثنا شَبْلٌ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: أَمَّا الضَّعِيفُ فَالْأَحْمَقُ^(٣).

حَدَّثَنَا يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا﴾: لَا يَعْرِفُ، فَيُنْبِتُ لِهَذَا حَقَّهُ، وَيَجْهَلُ ذَلِكَ، فَوَلِيَّهُ بِمَنْزِلَتِهِ، حَتَّى يَضَعَ لِهَذَا حَقَّهُ.

وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَى أَوْلَى الْقَوْلَيْنِ^(٤) بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فَلْيَمْلِكْ وَليُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي: بِالْحَقِّ.

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٧١ إلى المصنف.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٩/٢ عقب الأثر (٢٩٧٥) من طريق عمرو بن حماد به.

(٣) في الأصل: «الحق».

والأثر ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٩/٢ عقب الأثر (٢٩٧٥) معلقًا.

(٤) في ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «القراءتين»، وفي م: «التأويلين».

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ .
 [٧٥/٨ ط] يعني بذلك جل ثناؤه: واستشهدوا على حقوقكم شاهدين .
 يقال: فلان شهيدى على هذا المال، وشاهدى عليه .

وأما قوله: ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ . فإنه يعنى: من أحراركم المسلمين، ودون عبيدكم، ودون أحراركم الكفار .

كما حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبى، عن سفيان، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ . قال: الأحرار^(١) .
 وحدثنى يونس، قال: أخبرنا على بن سعيد^(٢)، عن هشيم، عن داود بن أبى هند، عن مجاهد مثله^(٣) .

/القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ .

١٢٤/٣

يعنى بذلك: فإن لم يكونا رجلين فليكن رجلاً وامرأتان على الشهادة عليه^(٤) .
 ورفع «الرجل» و «المرأتين» بالرد على «الكون» . وإن شئت قلت: فإن لم يكونا رجلين فليشهد رجلاً وامرأتان على ذلك . وإن شئت: فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يشهدون عليه . وإن قلت: فإن لم يكونا رجلين فهو رجل^(٥) .

(١) تفسير سفيان ص ٧٣، ومن طريقه سعيد بن منصور فى سنه (٤٥٦ - تفسير)، والبيهقى ١٠/١٦١، وأخرجه ابن أبى شيبة ٦/٧٨ عن وكيع به، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٦٠ (٢٩٨٤) من طريق ليث، عن مجاهد وفيه زيادة، وعزه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٧١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .
 (٢) فى الأصل: «معبد» .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور (٤٥٧ - تفسير) - ومن طريقه البيهقى ١٠/١٦١ - عن هشيم به نحوه .

(٤) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س .

(٥ - ٥) فى ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «فرجل» .

وامراتان . كان صوابًا ، كل ذلك جائزٌ . ولو كان : « فرجلًا وامرأتين »^(١) . نصبًا ، كان جائزًا ، على تأويل : فإن لم يكونا رجلين فاستشهدوا رجلًا وامرأتين .
وقوله : ﴿ وَمَنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ . يعنى : من العدول المُرْتَضَى دِينُهُمْ وصلاحُهُمْ .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ . يقول : فى الدِّينِ ، ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾ وذلك فى الدِّينِ ، ﴿ وَمَنْ تَرْضَوْنَ مِنْ الشُّهَدَاءِ ﴾ يقول : عدولٌ^(٢) .

وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضحاک : ﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ : أمر الله أن تُشْهِدُوا^(٣) ذَوَى عَدْلِ مِنْ رِجَالِكُمْ^(٤) ، ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾^(٥) .

القول فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا فَتُكْرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى ﴾ .

اختلفت القراءة فى قراءة ذلك ؛ فقرأته عامَّةُ قُرَاةِ أَهْلِ الْحِجَازِ وَالْمَدِينَةِ وَبَعْضُ أَهْلِ

(١ - ١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ت ، ٣ : « فرجل وامرأتان » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٧١ إلى المصنف مقتصرًا على آخره ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٦١ (٢٩٨٧) من طريق ابن أبى جعفر به مقتصرًا على قوله : وذلك فى الدين .

(٣) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ت ، ٣ : « يشهدوا » .

(٤) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ت ، ٣ : « رجالهم » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٦١ (٢٩٨٦) من طريق إسحاق به .

العراق: ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ بفتح الألفِ من ﴿ أَنْ ﴾ ، ونصبِ ﴿ تَضِلَّ ﴾ و ﴿ فَتُذَكِّرَ ﴾ ^(١) . بمعنى : فإن لم يكونا رجلين فرجلٌ وامرأتان ، كى تُذَكِّرَ إحداهما الأخرى إن ضلَّت . وهو عندهم من المُقَدِّم الذى معناه التأخير ؛ لأن التذكير عندهم هو الذى يَجِبُ أن يكونَ مكانَ ﴿ تَضِلَّ ﴾ ؛ لأن المعنى ما وصفنا فى قولهم . وقالوا : إنما نصبنا ﴿ فَتُذَكِّرَ ﴾ ؛ لأن الجزاء لما تقدَّم اتَّصل ^(٢) بما قبله ، فصار جوابه مردوداً عليه ، كما تقول فى الكلام : إنه ليُعجِبُنِي أن يسألَ السائلُ فيُعْطَى . بمعنى : إنه ليُعجِبُنِي أن يُعْطَى السائلُ إن سأل . أو : إذا سأل . فالذى يُعجِبُك هو الإعطاء دون المسألة ، ولكن قوله : أن يسأل . لما تقدَّم اتَّصل بما قبله ، وهو قوله : يُعجِبُنِي ^(٣) . ففتَحَ « أن » ^(٤) ونصب بها ، ثم أتبع ذلك قوله : فيُعْطَى . فنصبه بنصبِ قوله : ليُعجِبُنِي أن يسأل . نشقاً عليه ، وإن كان فى معنى الجزاء .

وقرأ ذلك آخرون كذلك ، غير أنهم كانوا يقرءونه بتسكينِ الدالِ من (تُذَكِّرَ) وتخفيفِ كافِها ^(٥) .

وقارئو ذلك كذلك مختلفون فيما بينهم فى تأويلِ قراءتهم إياه كذلك ، وكان بعضهم يُوجِّهه إلى أن معناه : فنصِّيرُ إحداهما الأخرى ذكراً باجتماعِهما . بمعنى أن شهادتها إذا اجتمعت وشهادة صاحبتها ، جازت كما تجوزُ شهادةُ الواحدِ من الذكور فى الدَّينِ ؛ لأن شهادة كلِّ واحدةٍ ^(٦) منهما منفردةٌ غيرُ جائزةٍ فيما جازت فيه من الدَّيونِ ، إلا باجتماعِ اثنتين على شهادةٍ واحدٍ ، وتصيرُ شهادتهما حينئذٍ بمنزلةِ

(١) وهى قراءة نافع وعاصم وابن عامر والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ١٩٤ .

(٢) فى ص ، س ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أن تضل » .

(٣) فى م : « ليعجبني » .

(٤) سقط من : الأصل ، ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٥) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو . المصدر السابق .

(٦) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « واحد » .

شهادةٍ واحدٍ من الذكور. فكأنَّ كلَّ واحدةٍ منهما - في قولٍ مُتأوِّلى ذلك بهذا المعنى - صيِّرتُ صاحبتهما معها ذكراً، وذهب إلى قولِ العربِ: لقد أذكرتُ بفلانٍ أمه، أى: ولدتَه ذكراً، فهى تُذَكِّرُ به، وهى امرأةٌ مُذَكِّرٌ^(١)، إذا كانت تَلِدُ الذُّكُورَ مِنَ الأولادِ. وهذا قولُ يُروى عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ أنه كان يقولُه.

حُدِّثْتُ بذلك عن أبى عُبيدِ القاسمِ بنِ سلامٍ أنه قال: حُدِّثْتُ عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ أنه قال: ليس تأويلُ قولِه: ﴿فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾. من الذُّكْرِ بعدَ النسيانِ، إنما هو من الذُّكْرِ، بمعنى أنها إذا شهدت مع الأخرى صارت شهادتهما كشهادةِ الذُّكْرِ^(٢).

وكان^(٣) آخرون منهم يُوجِّهونه إلى أنه بمعنى الذُّكْرِ بعدَ النسيانِ.

وقرأ ذلك آخرون^(٤): (إِنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى). بكسرِ (إِنْ) من قولِه: (إِنْ تَضِلَّ)، ورفعِ (تُذَكِّرُ) وتشديدِ كَافِهِ^(٥)، بمعنى ابتداءِ الخبرِ عمَّا تَفَعَّلُ المرأتانِ إِنْ نَسِيَتْ إِحْدَاهُمَا شَهَادَتَهَا^(٦) وذَكَرَتَهَا^(٦) الأخرى، من تثبيتِ الذاكرةِ النَّاسِيَةَ^(٧) وتذكيرِها^(٧) ذلك، وانقطاعِ ذلك عما قبله.

ومعنى ذلك^(٨) عندَ قارئى ذلك كذلك: واستشهدوا شهيدين من رجالكم،

(١) فى ص، م، ت، ١، ٢، ٣، س: «مذكرة».

(٢) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/٢٩٣، والقرطبى فى تفسيره ٣/٣٩٧.

(٣) فى ص، م، ت، ١، ٢، ٣، س: «قال».

(٤) هو حمزة. ينظر السبعة الموضع السابق.

(٥ - ٥) فى ص، م، ت، ١، ٢، ٣، س: «وتشديده كأنه».

(٦ - ٦) فى ص، ت، ١، ٢، ٣: «وذكرها»، وفى م: «تذكرها».

(٧ - ٧) فى ص، ت، ١، ٢، ٣: «وتنكيرها».

(٨) فى ص، م، ت، ١، ٢، ٣، س: «الكلام».

فإن لم يكونا رجلين ، فرجلٌ وامرأتان ممن تَرْضَوْنَ من الشهداءِ ، فإنَّ إحداهما إن ضلَّتْ ذكَّرتها الأخرى . [٧٦/٨ظ] على استثنافِ الخبرِ عن فعلهما^(١) إن نسيبت إحداهما شهادتها ، من تذكيرِ الأخرى منهما صاحبتهما الناسية .

وهذه قراءةٌ كان الأعمشُ يَقْرُؤها^(٢) وَمَنْ أَخَذَهَا عَنْهُ ، وَإِنَّمَا نَصَبَ الْأَعْمَشُ (تَضِلُّ) ؛ لِأَنَّهَا فِي مَحَلِّ جَزْمٍ بِحَرْفِ الْجَزَاءِ ، وَهُوَ (إِنْ) . فتأويلُ^(٣) الكلامِ على قراءته : إِنْ تَضَلَّ . فَلَمَّا انْدَغَمْتَ إِحْدَى اللَّامَيْنِ فِي الْأُخْرَى ، حَرَكَهَا إِلَى أَحْفَ الحركاتِ ، وَرَفَعَ^(٤) (تُذَكِّرُ) بِالتَّاءِ^(٥) ؛ لِأَنَّهُ جَوَابُ الْجَزَاءِ بِالْفَاءِ^(٦) .

والصوابُ من القراءةِ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ قِراءَةٌ مِنْ قِراءَةٍ بِفَتْحِ ﴿أَنْ﴾ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿أَنْ تَضَلَّ إِحْدَهُمَا﴾ . وَبِتَشْدِيدِ الْكَافِ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿فَتُذَكَّرُ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى﴾ . وَنَصَبِ الرَّاءِ مِنْهُ ، بِمَعْنَى : فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ ، فَلْيَشْهَدْ رَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ، كَيْ إِنْ ضَلَّتْ إِحْدَاهُمَا ذَكَّرَتْهَا الْأُخْرَى .

وَأَمَّا نَصَبُ ﴿فَتُذَكَّرُ﴾ فَبِالْعَطْفِ عَلَى ﴿تَضَلَّ﴾ ، وَفُتِحَتْ ﴿أَنْ﴾ لِحُلُولِهَا^(٧) مَحَلَّ «كَيْ» ، وَهِيَ فِي مَوْضِعِ جَزَاءٍ ، وَالْجَوَابُ بَعْدَهُ ، اكْتِفَاءً بِفَتْحِهَا ، أَعْنَى بِفَتْحِ ﴿أَنْ﴾ مِنْ «كَيْ» ، وَنَسَقَ بِالثَّانِي ، أَعْنَى ﴿فَتُذَكَّرُ﴾ عَلَى

(١) فِي ص ، م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : «فعلها» .

(٢) يَنْظُرُ الْبَحْرُ الْمَحِيطَ ٣٤٨/٢ .

(٣) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : «تأويله» .

(٤) فِي ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : «وقع» .

(٥) فِي م : «بِالفاء» .

(٦) سَقَطَ مِنْ : م .

(٧) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : «بحلولها» .

﴿تَصَلَّ﴾ ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّ الَّذِي قَامَ مَقَامَ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِيهِ وَهُوَ ظَاهِرٌ ، قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ وَأَدَّى
عَنْ مَعْنَاهُ وَعَمَلِهِ ، أَعْنَى ^(١) عَنْ « كَى » .

وإنما اخترنا ذلك في القراءة لإجماع الحجّة من قُدَمَاءِ الْقِرَاءَةِ وَالتَّأخِرِينَ عَلَى
ذَلِكَ ، وَانْفِرَادِ الْأَعْمَشِ وَمَنْ قَرَأَ قِرَاءَتَهُ فِي ذَلِكَ بِمَا انْفَرَدَ بِهِ عَنْهُمْ ، وَلَا يَجُوزُ تَرْكُ
قِرَاءَةِ جَاءَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ مُسْتَفِيضَةً بَيْنَهُمْ إِلَى غَيْرِهَا .

وَأَمَّا اخْتِيَارُنَا ﴿فَتَذَكَّرَ﴾ بِتَشْدِيدِ الْكَافِ ؛ فَلِأَنَّهُ بِمَعْنَى تَرْدِيدِ ^(٢) الذُّكْرِ مِنْ
إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى ، وَتَعْرِيفِهَا بِإِيَّاهَا ^(٣) ذَلِكَ لِتَذَكَّرَ ، فَالتَّشْدِيدُ بِهِ أَوْلَى مِنَ
التَّخْفِيفِ .

وَأَمَّا مَا حُكِيَ عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ مِنَ التَّأْوِيلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ، فَتَأْوِيلٌ خَطَأٌ لَا مَعْنَى لَهُ ؛
لَوْجُوهُ شَتَّى : أَحَدُهَا : أَنَّهُ خِلَافٌ لِقَوْلِ جَمِيعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ .

وَالثَّانِي : أَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ ضَلَالَ إْحْدَى الْمَرَاتِينِ فِي الشَّهَادَةِ الَّتِي شَهِدَتْ عَلَيْهَا ، إِنَّمَا
هُوَ ذَهَابُهَا ^(٤) عَنْهَا وَنَسْيَانُهَا بِإِيَّاهَا ، كَضَلَالِ الرَّجُلِ فِي دِينِهِ ، إِذَا تَحَيَّرَ فِيهِ فَعَدَلَ عَنْ
الْحَقِّ ، وَإِذَا صَارَتْ إِحْدَاهُمَا بِهَذِهِ الصِّفَةِ ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تُصَيِّرَهَا ^(٥) الْأُخْرَى ذَكَرًا
مَعَهَا ، مَعَ نَسْيَانِهَا شَهَادَتَهَا وَضَلَالِهَا فِيهَا ، وَالضَّلَالَةُ مِنْهُمَا فِي شَهَادَتِهَا حِينَئِذٍ لَا شَكَّ
أَنَّهَا إِلَى التَّذْكَيرِ أَحْوَجُ مِنْهَا إِلَى الإِذْكَارِ . إِلا أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنْ الذَّاكِرَةَ / إِذَا ضَعُفَتْ ١٢٦/٣
صَاحِبَتُهَا عَنْ ذِكْرِ شَهَادَتِهَا ، شَحَذَتْهَا ^(٦) عَلَى ذِكْرِ مَا ضَعُفَتْ عَنْ ذِكْرِهِ فَنَسِيَتِهِ ،

(١) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أَى » .

(٢) فِي ص ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « تَوْدِيَّة » ، وَفِي م : « تَأْدِيَّة » ، وَفِي س : « دَرِيَّة » .

(٣) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بِلَانِهَاء » .

(٤) فِي ص ، ت ، ١ ، س : « خَطَابُهَا » ، وَفِي م : « خَطْوُهَا » .

(٥) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « تَصِير » .

(٦) فِي م : « سَتَجْرَتْهَا » ، وَفِي ت ، ١ : « سَتَجَدَهَا » . وَشَحَذَتْهَا : قَوَّتَهَا . التَّاج (ش ح ذ) .

فقوتها^(١) بالذکر ، حتى صيرتها كالرجل في قوتها في ذكر ما ضعفت عن ذكره من ذلك ، كما يقال للشيء القوي في عمله : ذَكَرَ . وكما يقال للسيف الماضي في ضربيته : سيفٌ ذَكَرَ . ورجلٌ ذَكَرَ ، يُرادُ به ماضٍ في عمله ، قوي البطش ، صحيح العزم . [٧٧/٨] فإن كان ابنُ عُيينةَ هذا أراد ، فهو مذهبٌ من مذاهبِ تأويلِ ذلك ، إلا أنه إذا تُرُوِّلَ كذلك ، صار تأويله إلى نحوِ تأويلنا الذي تأوَّلناه فيه ، وإن خالفت القراءة بذلك المعنى القراءة التي اخترناها ، بأن تصير^(٢) القراءة حينئذٍ الصحيح^(٣) بالذي اختار قراءته من تخفيفِ الكافِ من قوله : (قُتِدِ كِرَ) . ولم نَعْلَمْ أحداً تأوَّل ذلك كذلك ، فنستحيز^(٤) قراءته كذلك بذلك المعنى .

فالصوابُ في قراءته^(٥) إذا كان الأمرُ على ما وُصِفنا ما اخترنا^(٦) .

ذَكَرُ مَنْ تَأَوَّلَ قَوْلَهُ : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ . نَحْوَ تَأْوِيلِنَا الَّذِي قَلْنَا فِيهِ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنْ أَلْشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ : عِلْمُ اللَّهِ أَنْ سَتَكُونَ حَقُوقٌ ، فَأَخَذَ لِبَعْضِكُمْ^(٧) مِنْ بَعْضِ الثَّقَةِ ، فَخُذُوا بِثِقَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ أَطْوَعُ لِرَبِّكُمْ ،

(١) في ص ، ت ، ١ : « فقوته » .

(٢) في ص : « يعين » ، وفي م ، ت ، ١ : « تغير » .

(٣) في ض ، م ، ت ، ٢ ، س : « الصحيحة » .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « ويستحب » .

(٥) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « قوله » .

(٦) في الأصل : « أخبرناه » ، وفي س : « أخذناه » .

(٧) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « لبعضهم » .

وأدرَكُ لأموالِكُم ، ولعمري لئن كان تقيًّا لا يَزِيدُهُ الكتابُ إلا خَيْرًا ، وإن كان فاجرًا فبالحرى أن يُؤدِّيَ إذا عليم أن عليه شهودًا .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى ﴾ . يقولُ : أن تنسى إحداهما فتذكرها الأخرى ^(١) .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا ﴾ . يقولُ : تنسى إحداهما الشهادة ، فتذكرها الأخرى ^(٢) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهيرٍ ، عن جويرٍ ، عن الضحاكِ : ﴿ أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا ﴾ . يقولُ : أن تنسى إحداهما فتذكرها الأخرى ^(٣) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى ﴾ . [٧٧/٨ ط] قال : ^(٤) إن أخطأت الشهادة فذكرتها الأخرى . قال : و (تُذَكِّرُ) ، ف (تُذَكِّرُ) قال : كلاهما لغةٌ ، وهما سواءٌ ، ونحن نقرأ : ﴿ فَتُذَكِّرَ ﴾ .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ .

اختلف أهلُ التأويلِ في الحالِ التي نهى اللهُ الشُهَدَاءَ عن إِبَاءِ الإِجَابَةِ إِذَا دُعُوا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٢/٢ عقب الأثر (٢٩٩٢) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٢/٢ عقب الأثر (٢٩٩٢) من طريق عمرو بن حماد به .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٢/٢ عقب الأثر (٢٩٩٢) معلقا .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

بهذه الآية ؛ فقال بعضهم : معناه : ولا يَأْبُ الشَّهَادَةُ أَنْ يُجِيبُوا إِذَا دُعُوا لِيَشْهَدُوا
على الكتابِ والحقوقِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَلَا يَأْبُ
الشُّهَادَةَ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ : كَانَ الرَّجُلُ يَطُوفُ فِي الْحِوَاءِ ^(١) الْعَظِيمِ فِيهِ الْقَوْمُ ، فَيَدْعُوهُمْ
إِلَى الشَّهَادَةِ ، فَلَا يَتَّبِعُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ . قَالَ : وَكَانَ قَتَادَةُ يَتَأَوَّلُ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَلَا يَأْبُ
الشُّهَادَةَ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . لِيَشْهَدُوا لِرَجُلٍ عَلَى رَجُلٍ ^(٢) .

١٢ / حَدَّثَنَا عَنْ عِمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي
قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَادَةَ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ يَطُوفُ فِي الْقَوْمِ الْكَثِيرِ ،
يَدْعُوهُمْ لِيَشْهَدَهُمْ ^(٣) ، فَلَا يَتَّبِعُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَادَةَ
إِذَا مَا دُعُوا ﴾ ^(٤) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ
قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَادَةَ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . قَالَ : لَا تَأْبُ أَنْ تَشْهَدَ إِذَا دُعِيتَ
إِلَى شَهَادَةٍ ^(٥) .

وَقَالَ آخَرُونَ بِمَثَلٍ مَعْنَى هَؤُلَاءِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا : إِنَّمَا ^(٦) يَجِبُ فَرَضٌ ذَلِكَ عَلَى مَنْ
دُعِيَ لِلشَّهَادَةِ عَلَى الْحَقِّ إِذَا لَمْ يُوجَدْ غَيْرُهُ ، فَأَمَّا إِذَا وَجِدَ غَيْرُهُ ، فَهُوَ فِي الإِجَابَةِ إِلَى

(١) الحوَاء: بيوت مجتمعة من الناس على ماء، والجمع: أحوية. النهاية ١/ ٤٦٥.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٧٢ إلى عبد بن حميد.

(٣) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: « ليشهدوا ».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٣/٢ (٣٠٠١) من طريق عبد الله بن أبي جعفر به.

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٠.

(٦) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

ذلك [٧٨/٨] مُحَيَّرٌ، إن شاء أجاب وإن شاء لم يُجِبْ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: ثنا سَفِيَّانٌ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ . قَالَ: إن شاء شَهِدَ، وإن شاء لم يَشْهَدْ، فإذا لم يوجد غيره شَهِدَ^(١) .

وقال آخرون: معنى ذلك: ولا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا للشَّهَادَةِ عَلَى مَنْ أَرَادَ الدَّاعِيَ إِشْهَادَهُ عَلَيْهِ، وَلِلْقِيَامِ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الشَّهَادَةِ مِنَ الْإِجَابَةِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: ثنا أَبُو عَامِرٍ، عَنْ الْحَسَنِ: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ . قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ: الْإِقَامَةُ وَالشَّهَادَةُ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾: كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: جَمَعْتَ أَمْرَيْنِ: لَا تَأْبَ إِذَا كَانَتْ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ أَنْ تَشْهَدَ، وَلَا تَأْبَ إِذَا دُعِيَ إِلَى شَهَادَةٍ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: ثنى معاويةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ . يَعْنِي: مَنْ اخْتِيجَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ شَهِدَ عَلَى شَهَادَةٍ، أَوْ^(٣) كَانَتْ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ^(٤)، فَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٧٢/٧ من طريق سفيان به، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٣/٢ (٢٩٩٩) من طريق جابر به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٠ .

(٣) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «إن» .

(٤) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س .

يَأْبَى إِذَا مَا دُعِيَ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عمرو بنُ عونٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا هِشِيمٌ ، عَنْ يُونُسَ ، عَنْ الْحَسَنِ : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . قَالَ : لِإِقَامَتِهَا^(٢) وَلَا بُدَّائِهَا^(٣) ، إِذَا دَعَاهُ لِشُهِدَهُ ، وَإِذَا دَعَاهُ لِتَقِيمَهَا^(٤) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ : وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا لِلْقِيَامِ بِالشَّهَادَةِ الَّتِي عِنْدَهُمْ لِلدَّاعِي ، مِنْ إِجَابَتِهِ إِلَى الْقِيَامِ بِهَا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قَالَ : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . قَالَ : إِذَا شَهِدَ .

١٢٨/٣ / حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . قَالَ : إِذَا كَانُوا قَدْ شَهِدُوا قَبْلَ ذَلِكَ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أبي ، عن سفيانَ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . يَقُولُ : إِذَا كَانُوا قَدْ شَهِدُوا^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٣/٢ (٣٠٠٢) ، والبيهقي ١٦٠/١٠ من طريق عبد الله بن صالح به .
(٢) (٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ولا يبدأ بها » ، وفي م : « ولا يبدأ بها » ، وفي س : « ولا تبدأ بها » .
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٧١/٧ من طريق يونس به .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٧٣/٧ من طريق ابن أبي نجيح به .

(٥) في الأصل ، ص ، م ، ت ١ : « أشهدوا » .

والأثر أخرجه ابن أبي شيبة ٧٣/٧ عن وكيع به ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١١٠/١ عن

حدَّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابنُ عليَّة، عن ابنِ أبي نجیح، [٧٨/٨ظ] عن مجاهدٍ في قوله: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾. قال: إذا كانت عندك شهادةٌ فدُعيتَ^(١).

حدَّثني يعقوب، قال: ثنا ابنُ عُليَّة، قال: ثنا ليث، عن مجاهدٍ في قوله: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾. قال: إذا كانت عندك^(٢) شهادةٌ فأقمتها، فإذا دُعيتَ لتشهدَ، فإن شئتَ فاذهب، وإن شئتَ فلا تذهب^(٣).

حدَّثنا سَوَّازُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قال: ثنا عبدُ الملكِ بنُ الصَّبَّاحِ، عن عمرانِ بنِ حُدَيْرٍ^(٤)، قال: قلتُ لأبي مجلِّز: ناسٌ يدعونني لأشهدَ بينهم، وأنا أكرهُ أن أشهدَ بينهم؟ قال: دَع ما تكرهُ، فإذا أشهدتَ^(٥) فأجب إذا دُعيتَ^(٦).

حدَّثنا ابنُ وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيانَ، عن جابرٍ، عن عامرٍ، قال: الشاهدُ بالخيارِ ما لم يُشهد^(٧).

حدَّثني المثنى، قال: ثنا عمرو بنُ عَوْنٍ، قال: ثنا هُشَيْمٌ، عن يونسَ، عن عكرمةَ في قوله: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾. قال: لإقامةِ الشهادةِ^(٨).

حدَّثني المثنى، قال: ثنا عمرو بنُ عَوْنٍ، قال: أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، عن أبي

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٦٢ - تفسير)، وابن أبي شيبة ٧٠/٧ عن ابن علية به، ولفظ ابن أبي شيبة: فقد دعيت.

(٢) سقط من: ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س.

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٣/٢ عقب الأثر (٢٩٩٩) معلقاً.

(٤) في ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «جرير».

(٥) في م: «شهدت».

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة ٧١/٧، ٧٢ من طريق عمران به.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة ٧٢/٧ عن وكيع به وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٣/٢ (٣٠٠٠) من طريق جابر به.

(٨) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٦٠ - تفسير) عن هشيم به. (تفسير الطبري ٧/٥)

عامر، عن عطاء، قال: في إقامة الشهادة^(١).

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا أبو عامر المزني، قال: سمعتُ عطاءً يقول: ذلك في إقامة الشهادة. يعني قوله: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو حُرَّة^(٢)، أخبرنا عن الحسن أنه سأله سائل قال: أَدْعَى إِلَى الشَّهَادَةِ وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَشْهَدَ عَلَيْهَا؟ قال: فلا تُجِبْ إن شِئْتَ^(٤).

حدثنا يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، قال: سألتُ إبراهيم قلتُ: أَدْعَى إِلَى الشَّهَادَةِ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ أُنْسَى؟ قال: فلا تَشْهَدْ إن شِئْتَ^(٥).

حدثنا ابنُ بشار، قال: ثنا عبدُ الرحمن، قال: ثنا أبو عامر، عن عطاء، قال: للإقامة.

حدثنا ابنُ وكيع، قال: ثنا أبي، عن شريك، عن سالم الأقطس، عن سعيد بن جبير: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾. قال: إذا كانوا قد شهدوا^(٦).

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصير، قال: أخبرنا ابنُ المبارك، عن شريك، عن سالم، عن سعيد: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾. قال: هو الذي عنده

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٥٩ - تفسير) عن هشيم به.

(٢) في م، س: «مرة».

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٦٥ - تفسير) عن هشيم به، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٥٥٦٢) من طريق أبي حرة به.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٥٥٦١)، وسعيد بن منصور في سننه (٤٦٤ - تفسير) عن هشيم به.

(٥) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٦١ - تفسير) عن شريك به.

الشهادة^(١).

حدّثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدّي قوله: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾. يقول: لا يأب الشاهد أن يتقدّم فيشهد إذا كان فارغاً^(٢).

حدّثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال ثنى حجاج، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾. قال: هم الذين قد شهدوا. قال: ولا ١٢٩/٣ يضُرُّ إنساناً أن يأبى أن يشهد إن شاء. قال: قلت لعطاء: ما شأنه إذا دُعِيَ أن يكتب وحب عليه ألا يأبى، وإذا دُعِيَ أن يشهد لم يجب عليه أن يشهد إن شاء؟ قال: كذلك يجب على [٧٩/٨] الكاتب أن يكتب، ولا يجب على الشاهد أن يشهد إن شاء، الشهداء كثير^(٣).

حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾. قال: إذا شهد فلا يأب إذا دُعِيَ أن يأتي يُؤدّي شهادته ويُقيمها^(٤).

حدّثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ﴾. قال: كان الحسن يتأوّلها: إذا كانت عنده شهادة فدُعِيَ ليقيمها^(٥).

حدّثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾. قال: إذا كتب الرجل شهادته،

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٧/٧٢، والبعوى في المعديات (٢١٨١) من طريق شريك به.

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحیط ٢/٣٥٠ بنحوه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٥٥٦٠) عن ابن جريج به مختصراً.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٥٦٢ (٢٩٩٧) من طريق ابن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد، عن زيد ابن أسلم بنحوه.

(٥) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (تفسير - ٤٦٣) من طريق يونس، عن الحسن بنحوه.

أو أشهد الرجل فشهد ، والكاتب الذى يكتُب الكتاب ، إذا دُعوا إلى مقطعِ الحقِّ ، فعليهم أن يُجيبوا ، وأن يشهدوا بما أُشهدوا عليه ^(١) .

وقال آخرون : هو أمرٌ من الله عزَّ وجلَّ الرجلَ والمرأةَ بالإجابة إذا دُعِيَ لِيشْهَدَ على ما لم يُشْهَدَ عليه من الحقوقِ ابتداءً ، لا لإقامة الشهادة ، ولكنه أمرٌ نذِبٍ لا فرضٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى أبو العاليةِ العبدىُّ إسماعيلُ بنُ الهيثمِ ، قال : ثنا أبو قتيبةٌ ، عن فضيلِ بنِ مرزوقٍ ، عن عطيةِ العوفىِّ فى قوله : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . قال : أمرت أن تشهدَ ، فإن شئتَ فاشهدْ ، وإن شئتَ فلا تشهدْ .

حدَّثنى أبو العاليةِ ، قال : ثنا أبو قتيبةٌ ، عن محمدِ بنِ ثابتِ العبدىِّ ^(٢) ، عن عطاءِ بمثله ^(٣) .

وأولى هذه الأقوالِ بالصوابِ قولُ مَنْ قال : معنى ^(٤) ذلك : ولا يَأْبُ الشهداءُ من الإجابة إذا دُعوا لإقامة الشهادة وأدائها عند ذى سلطانٍ أو حاكمٍ ، يأخذُ من الذى عليه ما عليه للذى هو له .

وإنما قلنا : هذا القولُ بالصوابِ أولى فى ذلك من سائرِ الأقوالِ غيره ؛ لأنَّ الله تعالى ذكره قال : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . فإنما أمرهم بالإجابة للدعاءِ

(١) ذكره أبو حيان فى البحر المحيط ٢ / ٣٥٠ .

(٢) فى النسخ : « العصرى » . والمثبت من سنن سعيد بن منصور . وينظر تهذيب الكمال ٢٤ / ٥٥٤ .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٥٨ - تفسير) ، وابن أبى شيبة ٧٢ / ٧ من طريق محمد ابن ثابت به .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

للسهادة ، وقد ألزمهم اسم الشهداء ، وغير جائز أن يُلزمهم اسم الشهداء إلا وقد استشهدوا قبل ذلك ، فشهدوا على ما لزمهم بشهادتهم عليه اسم الشهداء ، فأما قبل أن يُستشهدوا فيشهدوا^(١) على شيء^(٢) ، فغير جائز أن يُقال لهم : شهداء . لأن ذلك الاسم لو كان يلزمهم ولما يُستشهدوا على شيء يستوجبون بشهادتهم عليه هذا الاسم ، لم يكن على الأرض [٧٩/٨ ظ] أحد له عقلٌ صحيحٌ إلا وهو مُستحقٌ أن يُقال له^(٣) : شاهدٌ . بمعنى أنه سيشهد ، أو أنه يصلح لأن يشهد ، فإن كان خطأً أن يُسمى بذلك الاسم إلا من عنده شهادة لغيره ، أو من قد قام بشهادة فلزمه لذلك هذا الاسم ، كان معلوماً أن المعنى بقوله : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ من وصفنا صفته ، ممن قد استزعى شهادة أو شهد فدعى إلى القيام بها ؛ لأن الذى لم يُستشهد ولم يُستزَع شهادة قبل الإشهاد ، غير مستحق اسم شهيد ولا شاهد ؛ لما قد / وصفنا قبل . ١٣٠/٣

مع أنّ فى دخول الألف واللام فى ﴿ الشُّهَدَاءُ ﴾ دلالة واضحة على أنّ المعنى^(٤) بالنهى عن ترك الإجابة للشهادة ، أشخاص معلومون قد عُرفوا بالشهادة ، وأنهم الذين أمر الله عزّ وجلّ أهل الحقوق باستشهادهم بقوله : ﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنْ أَلشُّهَدَاءِ ﴾ . وإذا كان ذلك كذلك ، كان معلوماً أنهم إنما أمروا بإجابة داعيهم لإقامة شهادتهم بعد ما استشهدوا فشهدوا ، ولو كان ذلك أمراً لمن اغترض من الناس ، فدعى إلى الشهادة يشهد^(٥) عليها ، ل قيل : ولا يَأْبَ شاهدٌ إذا ما دعى .

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢ - ٢) فى س : « قبل » .

(٣) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « المسمى » .

(٥) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « فشهد » .

غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن الذي نقولُ به في الذي يُدعى لِشهادةٍ يشهدُ عليها إذا كان بموضعٍ ليس به سواه مِّنْ يَصْلُحُ للشهادةِ ، فإن الفرضَ عليه إجابةٌ داعيةٌ إليها ، كما فَرَضَ على الكاتبِ إذا اشْتُكِبَ بموضعٍ لا كاتبَ به سواه ، ففَرَضَ عليه أن يَكْتُبَ ، كما فَرَضَ على مَنْ كان بموضعٍ لا أحدَ به سواه يَعْرِفُ الإيمانَ وشرائعَ الإسلامِ ، فحَصَرَهُ جاهلٌ بالإيمانِ وبفرائضِ اللّهِ ، فسأله تعليمه وبيانَ ذلك له أن يُعَلِّمَهُ وبيئته له . ولم نُوجِبْ ما أوجبنا على الرجلِ من الإجابةِ للشهادةِ إذا دُعِيَ ابتداءً لِيشهدَ على ما يُسْتَشْهَدُ^(١) عليه بهذه الآية ، ولكن بأدلةٍ سواها ، وهي ما ذكرنا .
(٢) وإنَّ^(٢) فَرَضًا^(٣) على الرجلِ إحياءَ ما قَدَرَ على إحيائه من حقِّ أخيه المسلمِ .

والشهداءُ جمعُ شهيدٍ .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُوبُوا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ولا تَسْمَعُوا أَيُّهَا الَّذِينَ تُدَايِنُونَ النَّاسَ إِلَىٰ أَجَلٍ أَنْ تَكْتُوبُوا صَغِيرَ الْحَقِّ ، يعنى قليله ، أو كبيره ، يعنى : أو كثيره ، ﴿ إِلَىٰ أَجَلِهِ ﴾ يعنى^(٤) : إلىٰ أَجَلِ الْحَقِّ ، فإن الكتابَ أَحْصَى^(٥) للأجلِ والمالِ .

كما حدَّثني المثنى ، قال : ثنا سويدٌ ، قال : أخبرنا ابنُ المباركِ ، عن شريكِ ،

عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا [٨/٨٠] تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُوبُوا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ﴾ . قال : هو^(٦) الحقُّ الذي بينهما^(٦) ، الدَّيْنُ .

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أشهد » .

(٢ - ٣) في م : « وقد » .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « فرضنا » .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س .

(٥) في حاشية الأصل : « في الأم : إحصاء » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

ومعنى قوله: ﴿وَلَا تَسْمَعُوا﴾: لا تَمَلُّوا. يقالُ منه: سَمِئْتُ فأنا أَشَامُ سَامَةً وسَامَةٌ، ومنه قولُ لبيد^(١):

ولقد سَمِئْتُ مِنَ الحَيَاةِ وطولِهَا
يعنى: مللتُ.

وقولُ زهير^(٢):

سَمِئْتُ تكاليفَ الحَيَاةِ ومن يَعِشُ
ثمانينَ حَوْلًا^(٣) لا أبا لَكَ يَسَامُ
وقال بعضُ نحوِيِّ البصريين: تأويلُ قوله: ﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾: إلى أَجْلِ الشَّاهِدِ. ومعناه: إلى الأَجَلِ الذِّى لا^(٤) تَجُوزُ شهادتُهُ فيه.
وقد بينَّا القولَ^(٥) فى ذلك.

١٣١/٣

/القولُ فى تأويلِ قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

يعنى جَلَّ ثَنَاؤُهُ بقوله: ﴿ذَلِكُمْ﴾: اكتتابُ كتابِ الدِّينِ إلى أَجَلِهِ. ويعنى بقوله: ﴿أَقْسَطُ﴾: أَعْدَلُ عِنْدَ اللَّهِ. يُقالُ منه: أَقْسَطُ الحَاكِمُ فهو يُقْسِطُ إِقْسَاطًا وهو مُقْسِطٌ. إذا عَدَلَ فى حَكْمِهِ، وَأَصَابَ الحَقَّ فيه. فإذا جَارَ، قيل: قَسَطَ فهو يُقْسِطُ قُسُوطًا؛ ومنه قولُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَأَمَّا أَلْفَسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥]. يعنى الجائرين.

(١) ديوانه ص ٣٥.

(٢) شرح ديوانه ص ٢٩.

(٣) فى ص، ت، ١، س: «عاما».

(٤) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س.

(٥ - ٥) فى ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «فيه» وينظر ما تقدم فى ص ٦٩ وما بعدها.

ويمثل ما قلنا في ذلك قال جماعة أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ قوله : ﴿ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ . يقول : أعدل عند الله ^(١) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وأصوب للشهادة . وأصله من قول القائل : أقمته من عوجه . إذا سوّيته [٨٠/٨ ظ] فاستوى .

وإنما كان الكتاب أعدل عند الله ، وأصوب لشهادة الشهود على ما فيه ؛ لأنه يحوى الألفاظ التى أقرّ بها البائع والمشتري وربّ الدين ، والمستدين على نفسه ، فلا يقع بين الشهود اختلاف فى ألفاظهم بشهاداتهم ؛ لاجتماع شهادتهم على ما حواه الكتاب ، وإذا اجتمعت شهادتهم على ذلك ، كان فصل الحكم بينهم أئين لمن احتكم إليه من الحكام ، مع غير ذلك من الأسباب ، وهو أعدل عند الله ؛ لأنه قد أمر به ، واتباع أمر الله لاشك أنه عند الله أقسط وأعدل من تركه والانحراف عنه .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَذَىٰ أَلَّا تَرَ تَابُوا ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَأَذَىٰ ﴾ : وأقرب ، من الذئب وهو القرب .

ويعنى بقوله : ﴿ أَلَّا تَرَ تَابُوا ﴾ : من ألا تشكوا فى الشهادة .

كما حدّثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ : ذلك

﴿ أَذَىٰ أَلَّا تَرَ تَابُوا ﴾ . يقول : ألا تشكوا فى الشهادة ^(٢) .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٤/٢ (٣٠٠٧) من طريق عمرو به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٥/٢ عقب الأثر (٣٠١٢) من طريق عمرو بن حماد به .

وهو «تفتعلوا»^(١) من الرئية .

ومعنى الكلام : ولا تملأوا أيها القوم أن تكتبوا الحق الذي لكم قبل من دأبتموه من الناس إلى أجل ، صغيراً كان ذلك الحق^(٢) أو كبيراً^(٣) ، فإن كتابكم ذلك أعدل عند الله ، وأصوب لشهادة شهودكم عليه ، وأقرب لكم ألا تشكوا فيما يشهد به شهودكم عليكم من الحق والأجل إذا كان مكتوباً .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ .

ثم استثنى جل ثناؤه مما نهاهم أن يسأموه من اكتاب كتب حقوقهم على غرمايهم من الحقوق التي لهم عليهم ، ما وجب لهم قبلهم من حق ، عن مبايعه بالنقود الحاضرة يدا بيد ، فرخص لهم في ترك اكتاب الكتب بذلك ؛ لأن كل واحد منهم ، أعنى من الباعة والمشتريين ، يقبض إذا كان التواجب بينهم فيما تبايعوه^(٤) / ١٣٢/٣ نقداً^(٥) ، ما وجب له قبل مبايعيه [٨١/٨] قبل المفارقة ، فلا حاجة بهم في ذلك إلى اكتاب أحد الفريقين على الفريق الآخر كتاباً بما وجب لهم قبلهم ، وقد تقابضوا الواجب لهم عليهم ، فلذلك قال تعالى ذكره : ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ . لا أجل فيها ولا تأخير ولا ثنيا^(٦) ، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ . يقول : فلا حرج عليكم ألا تكتبوها . يعنى التجارة الحاضرة .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

(١) فى ص ، س : «تفعل» ، وفى م : «تفتعل» .

(٢ - ٣) فى الأصل ، ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ : «قليلاً أو كثيراً» ، وكتب مقابله فى حاشية الأصل : «كبيراً» .

(٣ - ٣) ضبطها فى الأصل : «تجارة حاضرة» . بالرفع ، وهى القراءة التى اختارها المصنف كما سيأتى .

(٤) فى ص ، م ، ت ، ٢ ، ٣ : «يتبايعونه» ، وفى ت ، ١ ، س : «يتبايعونه» .

(٥) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : «بعد» .

(٦) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ : «نساء» ، وفى س : «شيا» .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَشْبَاهُ ، عَنْ السَّدِيِّ قَوْلَهُ : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴾ . يَقُولُ : معكم بالبلد تديرونها^(١) ، فتأخذُ وتُعطي ، فليس على هؤلاء جناحَ ألا يكتبوها^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا أَبُو زُهَيْرٍ ، عَنْ جُوَيْرٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ : ﴿ وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ﴾ . قَالَ : أَمَرَ اللَّهُ أَلَّا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ، وَأَمَرَ مَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ ؛ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا ، وَرَخَّصَ لَهُمْ أَلَّا يَكْتُبُوهُ^(٣) .

وَاخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَتْهُ الْقِرَاءَةُ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ وَعَامَةُ الْقِرَاءَةُ : (إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً) بِالرَّفْعِ^(٤) . وَانْفَرَدَ بَعْضُ قِرَاءَةِ الْكُوفِيِّينَ بِقِرَاءَتِهِ^(٥) بِالنَّصْبِ ، فَقَرَأَ : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً ﴾^(٦) . وَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ جَائِزًا فِي الْعَرَبِيَّةِ ، إِذْ كَانَتْ الْعَرَبُ تَنْصِبُ النِّكَرَاتِ الْمُنْعَوَاتِ^(٧) مَعَ « كَانَ » ، وَتُضْمِرُ مَعَهَا فِي « كَانَ » مَجْهُولًا ، فَتَقُولُ : إِنْ كَانَ طَعَامًا طَيِّبًا فَأَتَيْنَا بِهِ . وَتَرْفَعُهَا فَتَقُولُ : إِنْ كَانَ طَعَامًا

(١) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ت ، ٣ : « تَرُونَهَا » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٦٥/٢ (٣٠١٥) مِنْ طَرِيقِ عَمْرُو بِهِ مُخْتَصِرًا .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٦٦/٢ عَقِبَ الْأَثَرِ (٣٠٢٠) مَعْلَقًا .

(٤) زِيَادَةٌ مِنْ : م .

وَهِيَ قِرَاءَةٌ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرُو وَابْنُ عَامِرٍ وَحَمِزَةُ وَالْكَسَائِيُّ . يَنْظُرُ السَّبْعَةُ لِابْنِ مَجَاهِدٍ ص ١٩٤ .

(٥) فِي ص ، ت ، ١ ، ٢ ، ت ، ٣ : « فَقَرَأَتْهُ » ، وَفِي م : « فَقَرَأَهُ » .

(٦ - ٦) سَقَطَ مِنْ : م ، س .

وَقِرَاءَةُ النَّصْبِ هِيَ قِرَاءَةُ عَاصِمٍ . الْمَصْدَرُ السَّابِقُ .

(٧) فِي ص : « الْمَبْعُوثَاتُ » ، وَفِي م ، ت ، ٢ : « وَالْمُنْعَوَاتُ » ، وَفِي س : « الْمَتْبَعَاتُ » .

طَيْبٌ فَأَتْنَا بِهِ . فَتُتْبِعُ النِّكَرَةَ خَيْرَهَا بِمَثَلِ إِعْرَابِهَا - فَإِنَّ الَّذِي أُخْتَارَ مِنَ الْقِرَاءَةِ ، ثُمَّ لَا أُسْتَجِيزُ الْقِرَاءَةَ بغيره ، الرفعُ في « التجارة الحاضرة » ؛ لإجماع القراءة على ذلك ، وشذوذ مَنْ قرأ ذلك نَصْبًا عَنْهُمْ ، وَلَا يُعْتَرَضُ بِالشَّاذِّ عَلَى الْحُجَّةِ ^(١) . وَمَا جَاءَ نَصْبًا ^(٢) قَوْلُ الشَّاعِرِ ^(٣) :

أَعْيَيْتِي هَلَّا تَبْكِيَانِ عِفَاقًا ^(٤) إِذَا كَانَ طَعْنًا بَيْنَهُمْ وَعِنَاقًا
وقول الآخر ^(٥) :

وَلِلَّهِ قَوْمِي أَيُّ قَوْمٍ لِحِيْرَةٍ إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ أَشْعَا
/ وَإِنَّمَا تَفَعَّلَ الْعَرَبُ ذَلِكَ فِي النِّكَرَاتِ ؛ لِمَا وَصَفْنَا مِنْ إِتْبَاعِ أَخْبَارِ النِّكَرَاتِ ١٣٣/٣
أَسْمَاءَهَا ، وَ« كَانَ » مِنْ حَكْمِهَا أَنْ يَكُونَ مَعَهَا مَرْفُوعٌ وَمَنْصُوبٌ ، فَإِذَا رَفَعُوهُمَا
جَمِيعًا ^(٦) تَذَكَّرُوا إِتْبَاعَ النِّكَرَةِ خَيْرَهَا ، وَإِذَا نَصَبُوهَا ^(٧) تَذَكَّرُوا صُخْبَةَ « كَانَ »
مَرْفُوعٍ وَمَنْصُوبٍ ، وَوَجَدُوا النِّكَرَةَ يَتَّبِعُهَا خَيْرَهَا ، [٨١/٨ ظ] ^(٨) فَنَصَبُوا النِّكَرَةَ
وَأَتَّبَعُوهَا خَيْرَهَا ^(٩) ، وَأَضْمَرُوا فِي « كَانَ » مَجْهُولًا ؛ لِاحْتِمَالِهَا الضَّمِيرَ .

(١) قراءة النصب متواترة كقراءة الرفع .

وقد قال أبو جعفر النحاس : السلامة عند أهل الدين أنه إذا صحت القراءة عن الجماعة ألا يقال : أحدهما أجود ؛ لأنهما جميعا عن النبي ﷺ ، فيأثم من قال ذلك ، وكان رؤساء الصحابة رضوا الله عنهم ينكرون مثل هذا . البرهان للزركشي ١ / ٣٤٠ .

(٢) بعده في ص : « في ذلك » .

(٣) معاني القرآن للقراء ١ / ١٨٦ .

(٤) عفاق : اسم رجل أكلته باهلة في قحط أصابهم . اللسان (ع ف ق) .

(٥) معاني القرآن للقراء ١ / ١٨٦ ، ونسبه سيبويه في الكتاب ١ / ٤٧ إلى عمرو بن شأس ، ورواية الشطر الأول مختلفة عما هنا ، ونسبه في اللسان (ك و ن) إلى مقاس العائذي باختلاف أيضًا في الشطر الأول ، والشطر الثاني بالرفع .

(٦) في ص : « جميعها » ، وفي م : « جميعهما » .

(٧) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « نصبوهما » .

(٨ - ٨) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

وقد ظنَّ بعضُ الناسِ أن مَنْ قرأ ذلك: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾. إنما قرأه على معنى: إلا أن يكونَ الدَّيْنُ^(١) تجارةً حاضرةً. فزعم أنه كان يلزمُ قارئَ ذلك أن يقرأ: يكون بالياء، وأغفل موضعَ صوابِ قراءته من جهة الإعراب، وألزمه غير ما يلزمه. وذلك أن العرب إذا ذكروا^(٢) مع «كان» نكرةً مؤنثاً بنعتيها أو خبرها، أنثوا «كان» مرةً، وذكروها أخرى، فقالوا: إن كانت جاريةً صغيرةً فاشتروها، وإن كان جاريةً صغيرةً فاشتروها،^(٣) وإن كانت جاريةً صغيرةً فاشتروها، وإن كان جاريةً صغيرةً فاشتروها^(٤). تُدَكَّرُ «كان» - وإن نُصِبَت النكرة المنعوتة أو رُفِعَت - أحياناً، وتؤنثُ أحياناً.

وقد زعم بعضُ نحويي البصرة أن قوله: (إلا أن تكون تجارةً حاضرةً). مرفوعةٌ فيه التجارة الحاضرة لأنَّ «تكون» بمعنى التمام، ولا حاجة بها إلى الخبر، بمعنى: إلا أن تُوجد أو تقع أو تحدث. فالزعم نفسه ما لم يكن لها لازماً؛ لأنه إنما ألزم نفسه ذلك، إذ لم يكن يجدلُ «كان» منصوباً، ووجد التجارة الحاضرة مرفوعةً، وأغفل جوازَ قوله: ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أن يكون خبراً لـ «كان»، فيستغنى بذلك عن إلزامِ نفسه ما ألزم.

والذي قال من حكينا قوله من البصريين غيرُ خطأ في العريضة، غير أن الذي قلناه بكلامِ العربِ أشبه، وفي المعنى أصح، وهو أن يكونَ في قوله: ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾. وجهان؛ أحدهما،^(٥) أنه في موضع نصبٍ على أنه حلٌّ محلِّ خبرِ «كان»، والتجارة الحاضرة اسمها. والآخر، أنه في موضعِ رُفَعِ على إنباعِ التجارة

(١) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س.

(٢) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «جعلوا».

(٣ - ٣) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

الحاضرة ؛ لأنَّ خبرَ النكرة يتبعها ، فيكونُ تأويلُه : إلا أن تكونَ تجارةٌ حاضرةٌ دائرةٌ بينكم .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وأشهدوا على صغير ما تبايعتم وكبيره من حقوقكم ؛ عاجلِ ذلك وآجله ، ونقده ونسائه ، فإنَّ إزخاصى لكم فى تركِ اِكْتِتابِ الكُتُبِ بينكم ، فيما كان من حقوقِ تجرَى بينكم لبعضكم من قبل بعض ، عن تجارة حاضرة دائرة بينكم يدا بيدٍ ونقدًا ، ليس بإرخاص منى لكم فى تركِ الإِشهادِ منكم على مَنْ بَعَثْتُموه شيئًا ، أو ابْتَعْتُم منه ؛ لأن فى تركِكم الإِشهادَ على ذلك خوفَ المَصْرَةِ على كلا الفريقين ؛ أما ما على المُشْتَرى فأنَّ يَجْحَدَ البائعُ البيعَ ، وله بينةٌ على مُلْكِهِ ما قد باع ، ولا بينةٌ [٨٢/٨] للمُشْتَرى منه على الشراءِ منه ، فيكونُ القولُ حينئذٍ قولَ البائعِ مع يمينه ويُقضى له به ، فيذَهَبَ مالُ المُشْتَرى باطلاً . وأما ما على البائعِ فأنَّ يَجْحَدُ المُشْتَرى الشراءَ ، وقد زال ملكُ البائعِ عما باع ، ووجب له قِبَلِ المُبْتَاعِ ثَمَنٌ ما باع ، فيخِلِفَ على ذلك ، ويَطْلُ حَقُّ البائعِ قِبَلِ المُشْتَرى من ثمنِ ما باعه ، فأمرُ اللّهُ عز وجل الفريقين بالإِشهادِ ؛ لئلا يَضِيعَ حَقُّ أَحَدِ الفريقين قِبَلِ الفريقِ الآخرِ .

ثم اِخْتَلَفُوا فى معنى قوله : ﴿ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ . أهو أمرٌ مِنَ اللّهِ واجبٌ بالإِشهادِ عِنْدَ المَبَايَعَةِ أم هو نَدْبٌ ؟ فقال بعضهم : هو نَدْبٌ ، إن شاء أَشْهَدَ ، وإن شاء لم يُشْهَدِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

/ حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أبى ، عن الربيع ، عن الحسن ، وسفيان^(١) ، عن ١٣٤/٣ رجلٍ ، عن الشعبيِّ فى قوله : ﴿ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ . قالوا^(١) : إن شاء أَشْهَدَ ،

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « شقيق » .

وإن شاء لم يُشهد، ألم تسمع إلى قوله: ﴿فَإِنْ آمَنَ بِعُضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ﴾^(١)؟

حدّثني المثني، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا الربيع بن صبيح، قال: قلت للحسن: أرأيت قول الله عز وجل: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾؟ قال: إن أشهدت عليه فهو ثقة للذي لك، وإن لم تُشهد عليه فلا بأس.

حدّثني المثني، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن الربيع بن صبيح، قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد، قول الله عز وجل: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾. قلت: أبيع الرجل بنقدي^(٢)، وأنا أعلم أنه لا ينقذني^(٣) شهرين ولا ثلاثة، أترى بأساً ألا أشهد عليه؟ قال: إن أشهدت فهو ثقة للذي لك، وإن لم تُشهد فلا بأس.

حدّثني المثني، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا يزيد بن زريع، عن داود، عن الشعبي: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾. قال: إن شاعوا أشهدوا، وإن شاعوا لم يُشهدوا.

وقال آخرون: الإشهاد على ذلك واجب.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثني المثني،^(٤) قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَجْدِرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَلَّا

(١) ينظر ما تقدم في ص ٩٥، ٩٧.

(٢) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س.

(٣) في م: «ينقد»، وفي س: «ينفذ».

(٤) - ٤) سقط من: الأصل.

تَكْتُبُوهَا ﴿١﴾ : ولكن أشهدوا عليها إذا تبايعتم ، أمر الله ما كان يدا بيد أن تُشهد^(١) عليه ، صغيراً كان أو كبيراً^(٢) .

حدَّثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جُوَيْرِزٌ ، عن الضحاك ، قال : ما كان من بيع حاضر ، فإن شاء أشهد ، وإن شاء لم يُشهد ، وما كان من بيع إلى أجل ، فأمر [٨٢/٨ ظ] الله تبارك وتعالى أن يُكْتَبَ وأن يُشهد عليه ، وذلك في المقام .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن الإشهاد على كل مبيع ومُشْتَرَى حَقٌّ واجب ، وفرض لازم ؛ لِمَا قد بيَّنَّا من أن كلَّ أمرٍ لله ففرض ، إلا ما قامت حُجَّتُهُ من الوجه الذي يَجِبُ التسليم له بأنه ندبٌ أو إرشادٌ .

وقد دلَّلنا على وَهْيِ^(٣) قولٍ من قال : إنه منسوخ بقوله : ﴿ فَايُودِرُ الَّذِي أَوْثِنَ أَمْنَتُهُ ﴾ . فيما مضى ، فأغنى ذلك عن إعادته^(٤) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : ذلك نهى من الله الكاتب ، بين أهل الحقوق وشهيدَه أن يُضارَّ أهله ، فيكُتَبَ هذا ما لم يُمِلِّه المِملُّ ، ويشهد هذا بما لم يَشْتَشْهده المستَشْهَدُ^(٥) .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن ابن

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « يشهد » ، وفي م : « يشهدوا » .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٦/٢ عقب الأثر (٣٠٢٠) معلقاً .

(٣) سقط من : م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، وفي ص ، ت ، ١ : « وهاء » .

(٤) ينظر ما تقدم في ص ٧٣ - ٨١ .

(٥) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « الشهيد » .

١٣٥/٣ طاوس، عن / أبيه في قوله: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: لَا يُضَارَّ كَاتِبٌ فَيَكْتُبُ مَا لَمْ يَمَلِّ عَلَيْهِ، وَلَا شَهِيدٌ بِمَا لَمْ يُسْتَشْهَدْ^(١).

حدَّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن غلبية، عن يونس، قال: كان الحسن يقول: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ﴾ فَيَزِيدُ شَيْئًا أَوْ يُحَرِّفُ، ﴿وَلَا شَهِيدٌ﴾ قال: لَا يَكْتُمُ الشَّهَادَةَ، وَلَا يَشْهَدُ إِلَّا بِحَقٍّ^(٢).

حدَّثنا بشر، قال: ثنا يزيد،^(٣) قال: حدَّثنا سعيد^(٤)، عن قتادة، قال: اتَّقَى اللَّهُ شَاهِدًا فِي شَهَادَتِهِ، لَا يَنْقُضُ مِنْهَا حَقًّا، وَلَا يَزِدُّ^(٥) فِيهَا بَاطِلًا، اتَّقَى اللَّهُ كَاتِبًا فِي كِتَابِهِ، فَلَا يَدَعُنَّ مِنْهُ حَقًّا، وَلَا يَزِيدُنَّ فِيهِ بَاطِلًا^(٦).

حدَّثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾. قال: لَا يُضَارَّ كَاتِبٌ فَيَكْتُبُ مَا لَمْ يَمَلِّ عَلَيْهِ، وَلَا شَهِيدٌ فَيَشْهَدُ بِمَا لَمْ يَشْهَدْ^(٧).

حدَّثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارِكِ، عن معمر، عن قتادة نحوه.

حدَّثني يونس، قال: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَلَا

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٣٥٢/١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٧/٢ (٣٠٢٣) من طريق ابن عليه به.

(٣) (٣ - ٣) سقط من: ص، م، ت، ٢، ت، ٣، س.

(٤) في ص، م، ت، ١، ت، ٣: «يزيد».

(٥) أخرجه البيهقي ١٦١/١٠ من طريق سعيد به نحوه.

(٦) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «يستشهد».

والأثر في تفسير عبد الرزاق ١/١١٠، وفي مصنفه (١٥٥٦٣)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره

٥٦٧/٢ (٣٠٢٦).

يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴿١﴾ . قال : لا يُضَارُّ كَاتِبٌ فَيَكْتُبُ غَيْرَ الَّذِي أُمِّلَى عَلَيْهِ .
قال : والكَتَابُ يَوْمٌ قَلِيلٌ ، ولا يَدْرُونَ [٨٣/٨] أَى شَيْءٍ يُكْتَبُ ، فَيُضَارُّ فَيَكْتُبُ
غَيْرَ الَّذِي أُمِّلَى عَلَيْهِ فَيَبْطُلُ حَقُّهُمْ . قال : والشَّهِيدُ يُضَارُّ فَيَحْوُلُ شَهَادَتَهُ ، فَيَبْطُلُ
حَقُّهُمْ (١) .

فأصل الكلمة على تأويل من ذكرنا قوله من هؤلا: ولا يُضَارُّ كَاتِبٌ ولا
شَهِيدٌ . ثم أُدْغِمَتِ الرَّاءُ فِي الرَّاءِ ؛ لِأَنَّهُمَا مِنْ جَنَسٍ ، وَحُرِّكَتِ إِلَى الْفَتْحِ ،
وَمَوْضِعُهَا جُزْمٌ ؛ لِأَنَّ الْفَتْحَ أَخْفَى الْحَرَكَاتِ .
وقال آخرون مَن تَأَوَّلَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ هَذَا التَّأْوِيلَ : مَعْنَى ذَلِكَ : وَلا يُضَارُّ كَاتِبٌ
وَلا شَهِيدٌ ، بِالْإِمْتِنَاعِ عَلَى مَنْ دَعَاهُمَا إِلَى آدَاءِ مَا عِنْدَهُمَا مِنَ الْعِلْمِ وَالشَّهَادَةِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، عَنْ
عَطَاءٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . يَقُولُ : أَنَّ يُؤَدِّيَا مَا قَبْلَهُمَا (٢) .
حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال :
قلت لعطاء : ﴿ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ ؟ قال : لا يُضَارُّ أَنْ يُؤَدِّيَا مَا عِنْدَهُمَا
مِنَ الْعِلْمِ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ
يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ، عَنْ مِقْسَمٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : ﴿ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا

(١) ذكره الطوسي في التبيان ٣٧٦/٢ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٢٩٨/٢ عن ابن زيد بنحوه .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١١١/١ ومصنفه (١٥٥٦٤) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٧/٢ (٣٠٢٤)

عن الحسن به .

شَهِيدٌ ﴿١﴾ . قال : أن يدْعُوهُما فيقولان : إن لنا حاجة^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ الرزاقِ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ومجاهدٍ : ﴿ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . قالوا : واجبٌ على الكاتبِ أن يَكْتُبَ ، ﴿ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . قالوا : إذا كان قد شهد قبْلَهُ^(٢) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا يُضَارُّ المُشْتَكِّبُ والمُشْتَشْهِدُ الكاتبُ والشهيدُ . وتأويلُ الكلمةِ على مذهبهم : ولا يُضَارُّ . على وجه ما لم يُسَمَّ فاعلُهُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

١٣٦/٣ / حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عبدُ الرزاقِ ، عن ابنِ عُيَيْنَةَ ، عن عمرو ، عن عكرمة ، قال : كان عمرُ يَقْرَأُ : (ولا يُضَارُّ^(٣) كاتبٌ ولا شهيدٌ)^(٤) .

حدَّثتُ عن الحسينِ ، قال : سَمِعْتُ أبا مُعَاذٍ ، قال : أَخْبَرَنَا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سَمِعْتُ الضحَّاكَ ، قال : كان ابنُ مسعودٍ يَقْرَأُ : (ولا يُضَارُّ)^(٥) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : أَخْبَرَنِي [٨/٣٨٣ ظ] عبدُ اللَّهِ بنُ كثيرٍ ، عن مجاهدٍ أنه كان يَقْرؤها : (ولا يُضَارُّ كاتبٌ ولا شهيدٌ)^(٦) . وأنه كان يقولُ في تأويلها : يَنْطَلِقُ الذي له الحقُّ ، فيدْعُو

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٧/٢ (٣٠٢٢) ، والبيهقي ١٦٠/١٠ من طريق سفيان به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٢/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) مصنف عبد الرزاق (١٥٥٦٠) .

(٣) في ت ٢ ، س : « يضار » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١١١/١ ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٦٦ - تفسير) ، والبيهقي ١٦١/١٠ من طريق ابن عيينة به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٢/١ إلى سفيان وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٢/١ إلى المصنف . وينظر البحر المحيط ٣٥٤ / ٢ .

(٦) وهي شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة . النشر ٢٢٧/٢ ، ٢٢٨ .

كاتبه وشاهدَه إلى أن يَشْهَدَ ، ولعله أن يَكُونَ في شُغْلٍ أو حَاجَةٍ ؛ لِئَوْثَمَهُ إن ترك ذلك حينئذٍ لشغله وحاجته . وقال مجاهدٌ : لا يُقَمُّ عن شغله وحاجته ، فيجد في نفسه أو يحرص^(١) .

حدَّثني المثني ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالح ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالح ، عن عليِّ بنِ أبي طلحة ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ : والضَّارُّ أن يقولَ الرجلُ للرجلِ وهو عنه غنيٌّ : إن اللهَ قد أمرَكَ ألا تأتي إذا ما دُعيتَ . فيضارُه بذلك ، وهو مُكْتَفٍ بغيره ، فنهاه اللهُ عز وجل عن ذلك وقال : ﴿ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ سُوقٌ بِكُمْ ﴾^(٢) .

حدَّثني محمدُ بنُ سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . يقولُ : إنه يكونُ للكاتبِ أو الشاهدِ حاجةٌ ليس منها بُدٌ ، فيقولُ : خلُّوا سبيله .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيم ، قال : ثنا ابنُ عُليَّة ، عن يونس ، عن عكرمة في قوله : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . قال : تكونُ به العلةُ ، أو يكونُ مشغولاً ، يقولُ : فلا يضرُه^(٣) .

حدَّثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيلٌ ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن مجاهدٍ أنه كان يقولُ : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . يقولُ : لا تأتِ الرجلَ فتقولُ : انطلقْ فاكْتُبْ لي ، واشْهَدْ لي . فيقولُ : إن لي حاجةً فالتمسْ غيري .

(١) أخرجه البيهقي ١٦١/١٠ من طريق ابن جريج ، عن مجاهد .

(٢) أخرجه البيهقي ١٦٠/١٠ من طريق عبد الله بن صالح به .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٧/٢ عقب الأثر (٣٠٢٢) معلقاً .

فيقول: اتق الله، فإنك قد أمرت أن تكُتِبَ لى . فهذه المضارَّةُ، ويُقُولُ: دَعِهْ
والتَّمِسْ غيرَه، والشاهدُ بتلك المنزلة^(١).

حدَّثنى المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جوير، عن الضحاک
فى قوله: ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾. يقول: يدْعُو الرجلُ الكاتبَ أو
الشهيدَ، فيقولُ الكاتبُ أو الشهيدُ: إن لنا حاجةً. فيقولُ الذى يدْعُوهما: إن الله
عزَّ ذكره أمركما أن تُجيبَا فى الكتابةِ والشهادةِ. يقولُ اللهُ جل ثناؤه: لا
يضارُّهما^(١).

حدَّثتُ عن الحسين، قال: سمعتُ أبا معاذٍ، قال: ثنا عبيدُ بنُ سليمانَ، قال:
سمعتُ الضحاکَ فى قوله: ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: هو الرجلُ يدْعُو
الكاتبَ والشاهدَ وهما على حاجةٍ مهمةٍ، فيقولان: إننا على حاجةٍ مهمةٍ فاطلَّب
غيرنا. فيقولُ: ^(٢) «واللهُ لقد أمركما اللهُ أن تُجيبَا». فأمره أن يطلَّبَ غيرهما ولا
يضارُّهما، يعنى: ولا يشغلهما عن حاجتهما المهمةِ وهو يجدُ غيرهما^(٣).

١٣٧/٣ / حدَّثنى موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدىِّ قوله: ﴿وَلَا
يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾. يقولُ: ليس يُبْنِغى أن تُعْتَرِضَ رجلاً له حاجةٌ فتضارُّه،
فتقولُ له: اكُتِبْ لى. فلا تُتْرَكُه حتى يكتبَ لك، وتُقَوِّتَه حاجته، ولا شاهدًا من
شهودك وهو مشغولٌ، فتقولُ: اذْهَبْ فاشْهَدْ لى. فتحبسه عن حاجته وأنت تجدُ
غيرَه^(٤).

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٧/٢ عقب الأثر (٣٠٢٢) معلقًا.

(٢) (٢ - ٢) فى م: «اللهُ أمركما أن تجيبا».

(٣) فى الأصل: «غيرها».

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٧/٢ عقب الأثر (٣٠٢٢) من طريق عمرو بن حماد به.

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ، قَالَ: ثنا ابنُ أبي جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ قوله: ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾. قال: لما نزلت: ﴿وَلَا يَأْبُ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾. كان أحدُهم يَجِيءُ إلى الكاتبِ فيقولُ: اكْتُبْ لِي. فيقولُ: إني مَشغولٌ، أو: لِي حاجةٌ، فأنطَلِقُ إلى غيرِي. فيلزمُه ويقولُ: إنك قد أمرت أن تَكْتُبَ لِي. فلا يَدَعُه، ويضارُّه بذلك وهو يَجِدُ غيرَه، ويأتي الرجلُ فيقولُ: انطَلِقْ معي فأشهِدْك^(١). فيقولُ: [و٨٤/٨] انطَلِقْ إلى غيرِي، فإني مَشغولٌ، أو: لِي حاجةٌ. فيلزمُه ويقولُ: قد أمرت أن تَتَّبِعَنِي. فيضارُّه بذلك وهو يَجِدُ غيرَه، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾^(٢).

حَدَّثَنِي الْمُتَنِّي، قال: ثنا شويذٌ، قال: أخبرنا ابنُ المباركِ، عن معمرٍ، عن ابنِ طاووسٍ، عن أبيه: ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾. يقولُ: إن لِي حاجةٌ فدعني. فيقولُ: لا^(٣)، اكْتُبْ لِي. ولا شهيدٌ كذلك^(٤).

وأولى الأقوالِ في ذلك بالصوابِ قولُ من قال: معنى ذلك: ولا يضارُّ كاتبٌ ولا شهيدٌ. بمعنى: ولا يضارُّهما من استكُتِبَ هذا أو استشهدَ هذا؛ بأن يأتي على هذا إلا أن يَكْتُبَ له وهو مشغولٌ بأمرٍ نفسه، ويأتي على هذا إلا أن يُجيبَه إلى الشهادةِ، وهو غيرُ فارغٍ، على ما قاله قائلو ذلك، من القولِ الذي قد ذكرناه قبلُ. وإنما قلنا: هذا القولُ أولى بالصوابِ من غيره؛ لأن الخطابَ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ في هذه الآيةِ من مُبتدئِها إلى انقضائِها على وجه: افعلوا أو لا تفعلوا. وإنما هو

(١) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٧/٢ عقب الأثر (٣٠٢٢) من طريق ابن أبي جعفر به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٢/١ إلى المصنف.

(٣) سقط من: م.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١/١١١، وفي مصنفه (١٥٥٦٣) عن معمر بنحوه مختصراً.

خطابٌ به لأهلِ الحقوقِ ، والمكتوبِ بينهم الكتابُ ، والمشهودِ لهم أو عليهم بالذى تَدَايَنُوهُ بينهم مِنَ الدِّيُونِ . فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ أَوْ نَهْيٍ فِيهَا لِغَيْرِهِمْ ، فَإِنَّمَا هُوَ عَلَى وَجْهِ الأَمْرِ وَالنَهْيِ لِلْغَائِبِ غَيْرِ المَخَاطَبِ كَقَوْلِهِ : ﴿ وَلَيْكُتِبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا ﴾ . وكَقَوْلِهِ : ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ . وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . فَالوَاجِبُ إِذْ كَانَ المَأْمُورُونَ فِيهَا مَخَاطَبِينَ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ . ^(١) أَنْ يَكُونَ بِالرَّدِّ عَلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ . وَلَا تَضَارُّوا كَاتِبًا وَلَا شَهِيدًا ، ﴿ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ ^(١) . أَشْبَهُهُ مِنْهُ بِأَنْ يَكُونَ مَرْدُودًا عَلَى الكَاتِبِ وَالشَّهِيدِ . وَمَعَ ذَلِكَ أَنَّ الكَاتِبَ وَالشَّهِيدَ لَوْ كَانَا هُمَا المَنْهِيَيْنِ عَنِ الضَّرَارِ لِغَلِيظِ : وَإِنْ يَفْعَلَا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِهِمَا ؛ لِأَنَّهُمَا اثْنَانِ ، وَأَنْهُمَا غَيْرُ مَخَاطَبِينَ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَا يُضَارَّ ﴾ . بَلِ النُّهْيُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَا يُضَارَّ ﴾ . نَهْيٌ لِلْغَائِبِ غَيْرِ المَخَاطَبِ . فَتَوْجِيهُ الكَلَامِ إِلَى مَا كَانَ نَظِيرًا لِمَا فِي سِيَاقِ الآيَةِ ، أَوْلَى مِنْ تَوْجِيهِهِ إِلَى مَا كَانَ مُتَعَدِّلاً عَنْهُ .

القولُ في تأويلِ قولِهِ جَل ثناؤُهُ : ﴿ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ .

/ يَعْنِي بِذَلِكَ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَإِنْ تَضَارُّوا الكَاتِبَ أَوْ الشَّاهِدَ ، وَمَا نُهَيْتُمْ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ ، ﴿ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ . يَعْنِي : إِثْمٌ بِكُمْ وَمَعْصِيَةٌ .

١٣٨/٣

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ فِيهِ بِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِيهِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

[٨/٤٨٤ظ] حَدَّثَنِي المُنْثَى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا أَبُو زَهْرِيْرٍ ، عَنْ جُوَيْرِيْرٍ ،

عَنِ الضَّحَّاكِ : ﴿ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ . يَقُولُ : إِنْ تَفَعَّلُوا غَيْرَ الَّذِي

أمرُكم به ، فإنه فسوقٌ بكم^(١) .

حدّثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : حدّثني معاوية بن صالح ، عن عليّ ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ ﴾ : والفسوقُ المعصية^(٢) .

حدّثت عن عمار بن الحسين ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ ﴾ : والفسوقُ العصيان^(٣) .

وقال آخرون : معنى ذلك : وإن يضارَ كاتبٌ فيكتب غير الذي أملى المُلَي ، ويضارَ شهيدٌ ، فيحوّل شهادته ويُعَيِّرُها ، ﴿ فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ ﴾ . يعنى : فإنه كذبٌ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ﴿ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ ﴾ : الفسوقُ الكذب . قال : هذا فسوقٌ ؛ لأنه كذب الكاتب^(٤) فحوّل كتابه فكذب ، وكذب الشاهد فحوّل شهادته ، فأخبرهم الله عز وجل أنه كذبٌ .

وقد دللنا فيما مضى على أن المعنى بقوله : ﴿ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . إنما معناه : ﴿ لَا يُضَارُّهُمَا ﴾ المستكتبُ والمستشهدُ - بما فيه الكفاية . فقوله : ﴿ وَإِنْ تَفَعَّلُوا ﴾ . إنما هو إخبارٌ منه جل ثناؤه مُضَارُّهُمَا بحكميه فيهما ، وأنه بضرارهما قد

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٧٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم ٢/٥٦٨ (٣٠٢٩) ، والبيهقى ١٠/١٦٠ من طريق أبى صالح به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٦٨ عقب الأثر (٣٠٢٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « الكاذب » .

(٥ - ٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يضرهما » .

عصى ربّه وأثم به ، وركب ما لا يحلُّ له ، وخرج عن طاعة ربّه فى ذلك .
 القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَغَلِّبُوا اللَّهَ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢٨٧) .

يعنى جلُّ ثناؤه بقوله : ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ ﴾ : وخافوا الله أيها المتداینون فى الكتاب والشهود أن تضارّوهم ، وفى غير ذلك من حدوده أن تضییعوها .
 ويعنى بقوله : ﴿ وَغَلِّبُوا اللَّهَ ﴾ : ويبيّن الله لكم الواجب لكم وعليكم فاعملوا به ، ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ . يعنى : من أعمالكم وغيرها ، يُخصيها عليكم فيجازيكم بها .
 وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنى المنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك قوله : ﴿ وَغَلِّبُوا اللَّهَ ﴾ . قال : هذا تعلیم علمكموه فخذوا به .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنُ مَقْبُوضَةً ﴾ .

١٣٩/٣ / اختلفت القراءة فى قراءة ذلك ؛ فقرأته القراءة فى الأمصار جميعاً : ﴿ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا ﴾ . بمعنى : ولم تجدوا من يكتب لكم كتاب الدين الذى تداينتموه إلى أجل مسمى ، ﴿ فَرِهْنُ مَقْبُوضَةً ﴾ .

وقرأه جماعة من المتقدمين : (ولم تجدوا كتاباً)^(١) . بمعنى : ولم يكن لكم إلى

(١) فى الأصل ، ت ٢ : « كتابا » . والمثبت قراءة أين وابن عباس ومجاهد وأبى العالية - كما سيذكر المصنف - وقرأ ابن عباس أيضاً : « كتاباً » وهى شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة . وينظر البحر المحيط ٢ / ٣٥٥ .

اكتتابِ كتابِ الدِّينِ سبيلٌ ؛ إما بتَعَدُّرِ الدَّوَاةِ وَالصَّحِيفَةِ ، وإما بتَعَدُّرِ الكَاتِبِ وَإِنْ وَجَدْتُمُ الدَّوَاةَ وَالصَّحِيفَةَ .

والقراءةُ التي لا يَجُوزُ غيرها عندنا هي قراءةُ قِراءةِ الأَمْصَارِ : ﴿ وَكَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا ﴾ . بمعنى : مَنْ يَكْتُبُ ؛ لأن ذلك كذلك في مصاحفِ المسلمين ، ^(١) وغيرِ جَائِزَةِ القِراءةِ بِغيرِ ما في مصاحفِ المسلمين مُثَبَّتٌ مِنَ القِراءاتِ .

فإذا كان ذلك كذلك فتأويلُ الكلامِ ^(١) : وَإِنْ كُنْتُمْ أَيُّهَا المُتَدَانِيُونَ ^(٢) فِي سَفَرٍ بِحَيْثُ لَا تَجِدُونَ كَاتِبًا يَكْتُبُ لَكُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ إِلَى اِكْتِتَابِ كِتَابِ الدِّينِ الَّذِي تَدَايِنْتُمُوهُ إِلَى أَجَلٍ مَسْمُومٍ بَيْنَكُمْ ، الَّذِي أَمَرْتُكُمْ بِاِكْتِتَابِهِ وَالإِشْهَادِ عَلَيْهِ - سَبِيلٌ ، فَارْتَهِنُوا بِدِيُونِكُمْ الَّتِي تَدَايِنْتُمُوهَا إِلَى الأَجَلِ المَسْمُومِ رُهُونًا تَقْبِضُونَهَا مِنْ تَدَايِنُونَهُ كَذَلِكَ ؛ لِيَكُونَ ثِقَةً لَكُمْ بِأَمْوَالِكُمْ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ

حَدَّثَنِي المُنْثَى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا أَبُو زَهْرِيْرٍ ، عَنْ جُوَيْرِيْرٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ [٨/٨٥٠ظ] قَوْلَهُ : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً ﴾ : فَمَنْ كَانَ عَلَى سَفَرٍ فَبَايَعَ بَيْعًا إِلَى أَجَلٍ فَلَمْ يَجِدْ كَاتِبًا ، فَزُخِّصَ لَهُ فِي الرِّهَانِ المَقْبُوضَةِ ، وَلَيْسَ لَهُ إِذْ وَجَدَ كَاتِبًا أَنْ يَزِيْتَهُنَّ ^(٣) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبِيِّ قَوْلَهُ : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا ﴾ . يَقُولُ : كَاتِبًا يَكْتُبُ لَكُمْ ، ﴿ فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً ﴾ .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) في م : « المتدانيون » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٩/٢ (٣٠٣٩) من طريق جويرير به بمعناه . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٣/١ إلى المصنف .

مَقْبُوضَةٌ ﴿١﴾ .

حدَّثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، قال: ما كان من يبيع إلى أجل، فأمر الله عز وجل أن يُكْتَبَ ويُشْهَدَ عليه، وذلك في المقام، فإن كان القوم على سفرٍ فبايعوا إلى أجلٍ فلم يجدوا كاتباً^(١)، فرهاً مقبوضةً.

ذَكَرُ مَنْ تَأَوَّلَ ذَلِكَ عَلَى الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى^(١) الَّتِي حَكَيْنَاهَا

حدَّثنا أبو كريب، قال: ثنا هُشَيْمٌ، قال: أخبرنا يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس: (فإن لم تجدوا كاتباً): يعني بالكتاب الكاتب والصحيفة والدواة والقلم^(٢).

حدَّثني يعقوب، قال: ثنا ابنُ عُليَّةَ، قال: أخبرنا ابنُ جريج، قال: أخبرني أبي، عن ابن عباس أنه قرأ: (فإن لم تجدوا كاتباً). قال: ربما وجد الرجل الصحيفة ولم يجد كاتباً^(٣).

حدَّثني يعقوب، قال: ثنا ابنُ عُليَّةَ، قال: أخبرنا ابنُ أبي نجيح، أن مجاهدًا كان يقرؤها: (فإن لم تجدوا كاتباً). ويقول: ربما وجد الكتاب^(٤) ولم توجد الصحيفة والمداد. ونحو هذا من القول^(٥).

حدَّثني المثني، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن

(١) سقط من: ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٦٨ - تفسير) عن هشيم به.

(٣) ينظر فضائل القرآن لأبي عبيد ص ١٦٧.

(٤) في ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «الكاتب»، وفي س: «المكاتب».

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١٦٧ عن ابن علي به.

مجاهد : (وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كِتَابًا) يقول : مِدَادًا . يَقْرَؤُهَا كَذَلِكَ ، ١٤٠/٣ يقول : فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مِدَادًا ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَكُونُ الرَّهُونُ الْمَقْبُوضَةُ . (فَرَهْنٌ ^(١)) مقبوضةٌ) . قال : لَا تَكُونُ الرَّهْنُ إِلَّا فِي السَّفَرِ ^(٢) .

حدَّثني المتنبي ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ^(٣) ، عن شعيبِ بنِ الحَبَابِ ، أن أبا العالية كان يَقْرَؤُهَا : (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا كِتَابًا) . قال أبو العالية : قد تُوجَدُ الدِوَاةُ وَلَا تُوجَدُ الصَّحِيفَةُ ، ^(٤) وربما وُجِدَ الْكَاتِبُ وَلَا تُوجَدُ الصَّحِيفَةُ ^(٥) .

واختلفت القراءَةُ في قراءة قولهِ : ﴿ فَرَهْنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ ؛ فقرأ ذلك عامة قِراءة [٨/٨٦٧و] الحجازِ والعراقِ : ﴿ فَرَهْنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ ^(٥) . بمعنى جِماعِ رَهْنٍ ، كما الكِبَاشُ جمعُ كَبِشٍ ، والبِغَالُ جمعُ بَغْلٍ ، والتَّعَالُ جمعُ نَعْلٍ .

وقرأ ذلك جماعة آخرون : (فَرَهْنٌ مَقْبُوضَةٌ) ^(٦) . على معنى جِماعِ رِهَانٍ ، ورَهْنٌ جمعُ الجِمعِ . وقد وَجَّهَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا جِمعُ رَهْنٍ ، مثلُ سَقْفٍ وَسَقْفٍ . وقرأه آخرون : (فَرَهْنٌ) . مخففةُ الهاءِ ، على معنى جِماعِ رَهْنٍ ، كما يُجْمَعُ السَّقْفُ سَقْفًا . قالوا : وَلَا نَعْلَمُ اسْمًا عَلَى فَعْلٍ يُجْمَعُ عَلَى فَعْلٍ وَفُعْلٍ ، إِلَّا الرَّهْنُ وَالرَّهْنُ ، وَالسَّقْفُ وَالسَّقْفُ .

والذي هو أولى بالصواب في ذلك قراءة من قرأه : ﴿ فَرَهْنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ ؛ لأن ذلك الجمعُ المعروف لما كان من اسمٍ على فَعْلٍ ، كما يقالُ : حَبْلٌ وَجِبَالٌ ، وَكَعْبٌ

(١) في ص ، م ، س : « فرهان » . وهما قراءتان ، وسيذكرهما المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٩/٢ (٣٠٣٨) من طريق أبي حذيفة به مقتصرًا على آخره بنحوه .

(٣) في الأصل : « يزيد » . وينظر تهذيب الكمال ٢٣٩/٧ - ٢٤٣ .

(٤ - ٥) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٩/٢ عقب الأثر (٣٠٣٥) من طريق الربيع عن أبي العالية .

(٥) وهى قراءة نافع وعاصم وحزمة والكسائي وابن عامر . السبعة لابن مجاهد ص ١٩٤ .

(٦) وهى قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، على خلاف عنهما فى ضم الهاء وتسكينها . المصدر السابق .

وِكَعَابٌ ، ونحو ذلك من الأسماءِ . فأما جمعُ الفَعْلِ على الفُعْلِ أو الفُعْلِ ، فشاذُّ قليلٌ ، إنما جاء في أحرفٍ يسيرةٍ ، وقيل : سَقَفٌ وسُقْفٌ وسُقْفٌ ، و : قَلْبٌ وَقُلْبٌ وَقُلْبٌ ، من قَلْبِ النخْلِ ، وَجَدٌّ وَجُدٌّ ، للجدِّ الذي هو بمعنى الحظِّ . وأما ما جاء من جمعِ فَعْلِ على فَعْلِ فـ « نَطٌّ وَنُطٌّ » ، وَوَزْدٌ وَوُزْدٌ ، و « جَوْنٌ وَجَوْنٌ »^(١) .

وإنما دعا الذي قرأ ذلك : (فَرُهْنٌ) . إلى قراءته - فيما أُظُنُّ - كذلك ، مع شدوذه^(٢) في جمعِ فَعْلِ ، أنه وجد الرّهانَ مستعملةً في رِهَانِ الخيلِ ، فأحبُّ صرفَ لفظِ ذلك عن اللفظِ المتبسيّةِ برِهَانِ الخيلِ ، الذي هو بغيرِ معنى الرّهانِ ، الذي هو جمعُ رَهْنٍ ، ووجد الرّهْنُ مَقُولًا في جمعِ رَهْنٍ ، كما قال قَعْنَبٌ^(٣) :

بَانَتْ سَعَادُ وَأَمْسَى دُونَهَا عَدْنُ وَعُغْلَقَتْ^(٤) عِنْدَهَا مِنْ قَلْبِكَ الرَّهْنُ
القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُوَدِّ الَّذِي آوَتْهُنَّ
أَمْنَتُهُ وَيَلْتَقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن كان المدينُ أمينًا عند ربِّ المالِ والدينِ ، فلم يَزْتَهِنُ منه في سفره رَهْنًا بدينيه ؛ لأمانته عنده على مالِهِ وثِقته به ، فليَتَقِ اللَّهَ المدينُ ﴿ رَبَّهُ ﴾ . يَقُولُ : فليَخَفِ اللَّهَ رَبَّهُ في الذي عليه من دينِ صاحبه أن^(٥) يَجْحَدَهُ ، أو يُلْطَّ^(٦) دُونَهُ به ، أو يُحاوِلَ الذهابَ [٨ / ٨٦ ظ] به ، فيَتَعَرَّضَ من عقوبةِ اللَّهِ ما لا قِبَلَ له به ، وليُوَدِّ دينَهُ الذي ائْتَمَنَهُ عليه إليه .

(١ - ١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « خود وخود » .

(٢) وليست قراءة من قرأ : (رُهْنٌ) . شاذة ، بل هي متواترة ، وليست قواعد النحو والصرف أصلا للقرآن ، بل القرآن أصل لهما .

(٣) البيت في اللسان (ر ه ن) وفيه : قبلك . بدلا من : قلبك .

(٤) غلق الرهن في يد المرتهن : استحققه المرتهن ، وذلك إذا لم يفتك في الوقت المشروط . اللسان (غ ل ق) .

(٥) في س : « أو » .

(٦) لظ الغريم بالحق : دافع ومنع ، ولظ حقه ولظ عليه : جحده . اللسان (ل ط ط) .

وقد ذكرنا قولَ مَنْ قال: هذا الحكمُ مِنَ اللَّهِ ناسخُ الأحكامِ التي في الآيةِ قبلها، مِنْ أمرِ اللَّهِ بالشهودِ والكتابِ، ودلُّنا على أولى ذلك بالصوابِ مِنَ القولِ فيه، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع^(١).

/ وقد حدَّثني يحيى بنُ أبي طالبٍ، قال: أخبرنا يزيدُ، قال: أخبرنا جويبرٌ، ١٤١/٣
عن الضحاكِ في قوله: ﴿فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَمِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾: إنما
يعنى بذلك في السَّفَرِ، فأما الحَضْرُ فلا، وهو واجدٌ كاتباً، فليس له أن يَزْتَهِنَ ولا
يَأْمَنَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ.

وهذا الذي قاله الضحاكُ مِنْ أنه ليس لربِّ الدَّينِ ائتمانُ المدينِ وهو واجدٌ إلى
الكتابِ والكتابِ والإشهادِ عليه سبيلاً، وإن كانا في سَفَرٍ، فكما قال؛ لما قد دلُّنا
على صحته فيما مضى قبلُ.

وأما ما قال، مِنْ أن الأمرَ في الرهنِ أيضاً كذلك مثلُ الائتمانِ، في أنه ليس
لربِّ الحقِّ الارتهانُ بما له إذا وجدَ إلى الكتابِ والشهيدِ سبيلاً في حَضْرٍ أو سَفَرٍ - فإنه
قولٌ لا معنى له؛ لصحة الخبرِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه اشترى طعاماً نساءً، ورهنَ به
دِرْعاً له^(٢). فجائزٌ للرجلِ أن يَزَهِنَ^(٣) بما عليه، وَيَزْتَهِنَ بما له مِنْ حقِّ في السفرِ
والحَضْرِ؛ لصحة الخبرِ بما ذكرنا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، وأن معلوماً أن النبيَّ ﷺ لم
يكنْ حينَ رهنَ ما^(٤) ذكرنا غيرَ واجدٍ كاتباً ولا شهيداً؛ لأنه لم يكنْ مُتَعَدِّراً عليه
بمدينته في وقتٍ مِنَ الأوقاتِ الكتابِ والشاهدُ، غيرَ أنهما إذا تابعا برهنَ، فالواجبُ

(١) ينظر ما تقدم في ص ٧٣ - ٨١.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٦٨، ٢٠٩٦، ٢٢٠٠)، ومسلم (١٦٠٣).

(٣) في ص، ت ١، س: «يرتهن».

(٤) في ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «من».

عليهما إذا وجد سبيلاً إلى كاتب وشهيد ، وكان البيع أو الدين إلى أجل مسمى ، أن يكتب ذلك ويشهدا على المال والرهن ، وإنما يجوز ترك الكتاب والإشهاد في ذلك ، حيث لا يكون لهما إلى ذلك سبيل .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءِثْمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (٢٨٣) .

وهذا خطاب من الله ، جل ثناؤه ، الشهود الذين أمر المستدين ورب المال [٧٨/٨] بإشهادهم ، فقال لهم : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ ، ولا تكتُموا أيها الشهود بعد ما شهدتم شهادتكم عند الحاكم ، كما شهدتم على ما شهدتم عليه ، ولكن أجبوا من شهدتم له ، إذا دعاكم لإقامة شهادتكم على خصمه على حقه عند الحاكم الذي يأخذ له بحقه ، ثم أخبر الشاهد جل ثناؤه ما عليه في كتمان شهادته ، وإبائه من أدائها والقيام بها عند حاجة المشتهد إلى قيامه بها عند حاكم أو ذى سلطان ، فقال : ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا ﴾ . يعنى : ومن يكتُم شهادته ، ﴿ فَإِنَّهُ ءِثْمٌ قَلْبُهُ ﴾ . يقول : فاجر قلبه ، مكتسب بكتمانه إياها معصية الله .

كما حدثنا المثني ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءِثْمٌ قَلْبُهُ ﴾ : فلا يحل لأحد أن يكتُم شهادة هي عنده ، وإن كانت على نفسه والوالدين ، ومن كتّمها فقد ركب إثماً عظيماً^(١) .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله : ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءِثْمٌ قَلْبُهُ ﴾ . يقول : فاجر قلبه^(٢) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧١/٢ (٣٠٥٠) من طريق ابن أبي جعفر به نحوه .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٢/٢ (٣٠٥٣) من طريق عمرو به .

حَدَّثَنِي الْمُتَنِّي ، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثنا معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ ، قَالَ : أكبرُ الكبائرِ الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ ؛ لأنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾ [المائدة : ٧٢] . وشهادةُ الزورِ ، وَكِتْمَانُ الشَّهَادَةِ ؛ لأنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتَمُّ قَلْبُهُ ﴾ ^(١) .

/ وقد رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أَنَّهُ كان يَقُولُ : على الشَّاهِدِ أَنْ يَشْهَدَ حَيْثُما ١٤٢/٣ اسْتُشْهِدَ ، وَيُخْبِرَ بِها حَيْثُما اسْتُخْبِرَ .

حَدَّثَنِي الْمُتَنِّي ، قَالَ : ثنا سويدٌ ، قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارِكِ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قَالَ : إِذَا كانتِ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ ، فَسأَلْتُك عنها ، فَأخْبِرْهُ بِها ، وَلَا تَقُلْ : أَخْبِرْ بِها عِنْدَ الْأَمِيرِ . أَخْبِرْهُ بِها ، لَعَلَّهُ يَرْجِعُ أَوْ يَزْعُمُ ^(٢) .
وأما قولُهُ : ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي بِذَلِكَ : بما تَعْمَلُونَ فِي شَهَادَتِكُمْ ، مِنْ إِقامَتِها وَالقيامِ بِها ، أَوْ كِتْمَانِكُمْ إياها عِنْدَ حاجَةٍ مِنْ اسْتِشْهَادِكُمْ إِيَّها ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سرائِرِ أَعْمالِكُمْ وَعِلانِيَتِها ، ﴿ عَلِيمٌ ﴾ يُحْصِيهِ عَلَيْكُمْ لِيَجْزِيَكُمْ بِذَلِكَ كُلَّهُ جِزاءً كَمْ ؛ إِمَّا خَيْرًا وإِمَّا شَرًّا ، على قَدْرِ اسْتِحْقادِكُمْ .

القولُ فِي تَأويلِ قولِهِ جَلَّ ثَناءُؤُهُ : ﴿ لِلَّهِ ما فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَرُوا [٨/٨٧ظ] ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

يعنى جَلَّ ثَناءُؤُهُ بِقولِهِ : ﴿ لِلَّهِ ما فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ : لِلَّهِ مَلِكٌ كُلُّ ما

(١) فِي النسخِ : « وَمَنْ » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابنُ أَبِي حاتمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٧١/٢ (٣٠٥١) ، وَالطَّبْرانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ٢٥٢/١٢ (١٣٠٢٣) مِنْ طَرِيقِ أَبِي صَالِحٍ بِهِ ، وَهُوَ عِنْدَ الطَّبْرانِيِّ مَطْوَلٌ .

(٣) أَخْرَجَهُ عبدُ الرزاقِ فِي مِصْنَفِهِ (١٥٥٥٩) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمٍ بِهِ ، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابنُ عبدِ البرِّ فِي التَّمْهِيدِ

فى السماواتِ وما فى الأرضِ ، مِن صغيرٍ وكبيرٍ ، «وَقَلِيلٍ وَكَثِيرٍ» ، وإليه تديروا جميعه ، ويديه صرّفه وتقلّيبه ، لا يَخْفَى عليه منه شىءٌ ؛ لأنه مدبره ومالكه ومصرفه .

وإنما عنى بذلك جلّ ثناؤه كتمانَ الشهودِ الشهادةَ ، يقولُ : لا تَكْتُمُوا الشَّاهِدَةَ أَيُّهَا الشُّهُودُ ، فإنه من يَكْتُمُهَا يَفْجُرْ قَلْبَهُ ، ولن يَخْفَى على كتمانهِ ذلك ؛ لأنى بكلِّ شىءٍ عليهم ، ويبدى صرفُ كلِّ شىءٍ فى السماواتِ والأرضِ وملئكه ، أعلمُ^(٢) خفى ذلك وجلّيته ، فاتقوا عقابى إياكم على كتمانكم الشهادةَ . وعيدًا من الله بذلك من كتمها ، وتخوفًا منه له به .

ثم أخبرهم عما هو فاعلٌ بهم فى آخرتهم ، وبمن كان من نظرائهم ممن أنطوى كشحًا على معصية فأضمرها ، أو أظهر موبقة فأبداها من نفسه ، من المحاسبة عليها ، فقال : ﴿ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ . يقولُ : وإن تُظهِرُوا فيما عندكم من الشهادةِ على حقِّ ربِّ المالِ الجحودَ والإنكارَ ، أو تُخفوا ذلك فتضمره فى أنفسكم ، وغير ذلك من سئى أعمالكم ، ﴿ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ . يعنى بذلك : يَحْتَسِبُ به عليه من أعماله ، فمجازٍ من شاء منكم من المسيئين سوءَ عمله ، وغافر لمن شاء منكم من المسيئين .

ثم اختلف أهل التأويل فيما عنى بقوله : ﴿ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ ؛ فقال بعضهم بما قلنا ، من أنه عنى به الشهود فى كتمانهم الشهادةَ ، وأنه لاحقٌ بهم كلُّ من كان من نظرائهم ممن أضمر معصيةً أو أبداها .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : «أعلمه» .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي أَبُو زَائِدَةَ زَكْرِيَا بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، قَالَ: ثنا ^(١) ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾. قَالَ: يَعْنِي فِي الشَّهَادَةِ ^(٢).

/ حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: ثنا أَبُو أَحْمَدَ، قَالَ: ثنا سَفِيَّانُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، ١٤٣/٣
عَنْ مِقْسَمٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوهُ﴾.
قَالَ: فِي الشَّهَادَةِ ^(٣).

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا عَبْدُ الْأَعْلَى، قَالَ: سَمِعْتُ دَاوُدَ عَنْ قَوْلِهِ:
﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾. فَحَدَّثَنَا
عَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ: هِيَ الشَّهَادَةُ إِذَا كَتَمْتَهَا.

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ^(٤)، قَالَ: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: ثنا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو أَبِي
سَعِيدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عِكْرَمَةَ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ
تَخَفُوهُ﴾. قَالَ: فِي الشَّهَادَةِ ^(٥).

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: ثنا أَبُو أَحْمَدَ، قَالَ: ثنا سَفِيَّانُ، عَنْ السُّدِّيِّ، عَنْ الشَّعْبِيِّ
فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوهُ﴾. قَالَ: فِي الشَّهَادَةِ ^(٦).

(١ - ١) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «أبو نفيل». وينظر تهذيب الكمال ٢٦/٢٩٣.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٢/٢ (٣٠٥٦) من طريق ابن فضيل به، وأخرجه سعيد بن منصور في
سننه (٤٧٣ - تفسير) من طريق يزيد بن أبي زياد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٧٣ إلى ابن المنذر.
(٣) أخرجه الطحاوي في المشكل ٤/٣١٥ عقب الحديث (١٦٢٩) من طريق يزيد به، وعزاه السيوطي في
الدر المنثور ١/٣٧٣، ٣٧٤ إلى ابن المنذر.

(٤) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «ابن المثني».

(٥) بعده في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «و».

(٦) أخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ٣٩٤، وابن الجوزي في النواسخ ص ٢٣٤ من طرق عن عكرمة.

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٢/٢ عقب الأثر (٣٠٥٦) معلقا. (تفسير الطبري ٩/٥)

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ ، عَنْ مِقْسَمٍ ،
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفَوْهُ
يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ . قَالَ : نَزَلَتْ فِي كَيْمَانَ الشَّهَادَةِ وَإِقَامَتِهَا ^(١) .

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُوَيْرٌ ، عَنْ
عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ .
يعنى : كَيْمَانَ الشَّهَادَةِ وَإِقَامَتِهَا عَلَى وَجْهِهَا .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِعْلَامًا مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِبَادَهُ أَنَّهُ مُؤَاخِذُهُمْ
بِمَا كَسَبَتْهُ أَيْدِيهِمْ ، وَحَدَّثْتَهُمْ بِهِ أَنْفُسُهُمْ مِمَّا لَمْ يَعْمَلُوهُ .

ثُمَّ اخْتَلَفَ مَتَأُولُو ذَلِكَ كَذَلِكَ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : ثُمَّ نَسَخَ اللَّهُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ لَا
يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ بْنُ سَلِيمَانَ ، عَنْ مِصْعَبِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ الْعَلَاءِ
ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ .
فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْقَوْمِ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا لُمُؤَاخِذُونَ بِمَا نُحَدِّثُ بِهِ أَنْفُسَنَا ! هَلَكْنَا .
فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ الْآيَةَ ، إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ رَبَّنَا لَا
تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ . قَالَ أَبِي : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ
اللَّهُ : نَعَمْ » . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ إِلَى
آخِرِ الْآيَةِ . قَالَ أَبِي : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ اللَّهُ : نَعَمْ » ^(٢) .

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي نَاسِخِهِ ص ٣٩٣ ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي النَّوَاسِخِ ص ٢٣٤ مِنْ طَرِيقِ هُشَيْمٍ بِهِ .
(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ١٩٨/١٥ - ٢٠٠ (٩٣٤٤) ، وَمُسْلِمٌ (١٢٥) ، وَأَبُو عَوَانَةَ ٧٦/١ ، وَ٧٧ ، وَالطَّحَاوِيُّ =

حدَّثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، وحدثنا سفيان بن وكيع، قال: ثنا^(١) أبي، عن^(٢) سفيان، عن آدم بن سليمان، مولى خالد بن خالد، قال: سمعت سعيد بن جبير يحدث، عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾. دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها من شيء، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا^(٣): سمعنا وأطعنا وسلَّمنا». [٨٨/٨] قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم. قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿ءَاْمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾. قال أبو كريب: فقرأ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ -^(٤) وقال ابن وكيع: إلى قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ -^(٥) قال: فقال: قد فعلت. ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ مَا عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾. قال: قد فعلت^(٦). ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْكٰفِرِيْنَ﴾ قال: قد فعلت^(٧).

حدثني أبو الرِّدَادِ المِصْرِيُّ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ السَّلامِ، قال: ثنا أبو زرعة وهبُ اللهِ ابنُ راشد، عن حنيفة بن شريح، قال: سمعت يزيد بن أبي حبيب يقول: قال ابن شهاب: حدثني سعيد بن مَرْجَانَةَ، قال: جئتُ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ، فتلا هذه الآية:

= في المشكل (١٦٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٤/٢، ٥٧٥، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، (٣٠٦٠، ٣٠٦١، ٣٠٩٤، ٣٠٩٩، ٣١٠٣، ٣١١١)، وابن حبان (١٣٩)، والبيهقي في الشعب (٣٢٧)، والواحدى في أسباب النزول ص ٦٦، وابن الجوزى في النواسخ ص ٢٢٦، ٢٢٧ من طريق العلاء ابن عبد الرحمن به، وعزاه السيوطى في الدر المنثور ٣٧٤/١ إلى أبى داود فى ناسخه وابن المنذر.

(١ - ١) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س.

(٢) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س.

(٣) بعده فى ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «ربنا لا تحملنا مالا طاقة لنا به قال قد فعلت».

(٤) أخرجه مسلم (١٢٦) عن أبى كريب به بنحوه، وأخرجه أحمد ٤٩٧/٣ (٢٠٧٠)، ومسلم (١٢٦)، والنرمذى (٢٩٩٢)، والنسائى فى الكبرى (١١٠٥٩)، وأبو عوانة ١/٧٥، وابن حبان (٥٠٦٩)، والحاكم ٢/٢٨٦، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٤٥٣)، وفى الشعب (٢٤٠٧، ٢٤٠٨)، والواحدى فى أسباب النزول ص ٦٦، ٦٧ من طريق وكيع به، وأخرجه أبو عوانة ٧٥/١ من طريق سفيان به، وعزاه =

﴿وَأِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ . ثم قال ابن عمر: لئن آخذنا بهذه الآية لنهلكن . ثم بكى ابن عمر حتى سالت دموعه . قال : ثم جئت عبد الله بن العباس ، فقلت : يا أبا العباس ، إني جئت ابن عمر ، فتلا هذه الآية : ﴿وَأِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ الآية . ثم قال : لئن واخذنا بهذه الآية لنهلكن . ثم بكى حتى سالت دموعه ، فقال ابن عباس : يَغْفِرُ اللَّهُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ ، لَقَدْ فَرَّقَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا كَمَا فَرَّقَ ابْنُ عَمْرٍ مِنْهَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ . فنسخ الله الوسوسة ، وأثبت القول والفعل^(١) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن مَرَجَانَةَ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَيْنَا هُوَ جَالِسٌ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ الآية . فقال : والله لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن . ثم بكى ابن عمر حتى سُمِعَ نَشِيْجُهُ . فقال ابن مَرَجَانَةَ : فُقِّمْتُ حَتَّى أَتَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَذَكَرْتُ لَهُ مَا تَلَا ابْنُ عَمْرٍو ، وَمَا فَعَلَ حِينَ تَلَاهَا ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ : يَغْفِرُ اللَّهُ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، لَعَمْرِي لَقَدْ وَجَدَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا حِينَ أَنْزَلَتْ مِثْلَ مَا وَجَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلى آخر السورة . قال ابن عباس : فكانت هذه الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها ، وصار الأمر إلى أن قضى الله أن للنفس ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت في القول والفعل^(٢) .

= السيوطي في الدر المنثور ١/٣٧٤ إلى ابن المنذر .

(١) أخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ٣٩٦ ، والطبراني في الكبير (١٠٧٦٩) من طريق يزيد بن أبي حبيب به بنحوه .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : «سمع» .

(٣) أخرجه الطحاوي في المشكل (١٦٢٧) عن يونس به ، وأخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ ١/٤٠٤ ،

والطحاوي في المشكل (١٦٢٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره مرفقاً ٢/٥٧٨ ، ٥٧٩ ، (٣٠٨٧ ، ٣٠٩٠) ،

والطبراني (١٠٧٧٠) ، والبيهقي في الشعب (٣٢٩) من طريق الزهري به ، وعزه السيوطي في الدر =

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ الزَّهْرِيَّ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ تَبَدُّوْا مَا فِيْ أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوْهُ ﴾ . قَالَ : قَرَأَهَا ابْنُ عَمْرٍ ، فَبَكَى وَقَالَ : إِنَّا لَمَأْخُوذُونَ بِمَا نَحَدِّثُ بِهِ أَنْفُسَنَا . فَبَكَى حَتَّى سَمِعَ نَشِيْجَهُ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ عِنْدِهِ ، فَأَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ عَمْرٍ ، لَقَدْ وَجَدَ الْمُسْلِمُونَ نَحْوًا مِمَّا وَجَدَ ، حَتَّى نَزَلَتْ : ﴿ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا [١/٩٨] وَسَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سَلِيْمَانَ ، عَنْ حَمِيْدِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ مَجَاهِدٍ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَمْرٍ فَقَالَ : ﴿ وَإِنْ تَبَدُّوْا مَا فِيْ أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوْهُ ﴾ الْآيَةَ . فَبَكَى ، حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ ، فَضَحِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ عَمْرٍ ، أَوْ مَا يَدْرِي / فِيمَ ١٤٥/٣ أَنْزَلَتْ ^(٢) وَكَيْفَ أَنْزَلَتْ ^(٢) ؟ إِنْ هَذِهِ الْآيَةُ حِينَ أَنْزَلَتْ غَمَّتْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَمًّا شَدِيْدًا ، وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلَكْنَا . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قُولُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا » . فَسَخَّطَهَا : ﴿ ءَأَمِنَ الرَّسُوْلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءِ وَالْمُؤْمِنُوْنَ كُلُّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلْئِكَئِهِ وَرُسُلِهِ ءِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ ءِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ . فَتَجَوَّزَ لَهُمْ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَأَخَذُوا بِالْأَعْمَالِ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيْدُ بْنُ هَارُونَ ، عَنْ سَفِيَّانِ بْنِ حُسَيْنٍ ، عَنْ الزَّهْرِيَّ ، عَنْ سَالِمٍ أَنَّ أَبَاهُ قَرَأَ : ﴿ وَإِنْ تَبَدُّوْا مَا فِيْ أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ . فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، فَبَلَغَ صَنِيعُهُ ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ : يَرْحَمُ

= المنشور ١/٣٧٤ إلى عبد بن حميد وأبي داود في ناسخه .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١١٢ .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١١٣ ، ١١٤ . ومن طريقه أحمد ٥/١٩٤ ، ١٩٥ ، (٣٠٧٠) ، وابن الجوزي في

اللَّهُ أبا عبد الرحمن، لقد صنع كما صنع أصحاب رسول الله ﷺ حين أنزلت،
فنسختها الآية التي بعدها: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١).

حدثنا محمد بن بشار، قال حدثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن
السائب، عن سعيد بن جبير، قال: نسخت هذه الآية: ﴿وإن تُبَدُّوا مَا فِي
أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٢).

^٣ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن آدم بن
سليمان مولى خالد، عن سعيد بن جبير بمثله^{(٣(٤))}.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن آدم بن سليمان،
عن سعيد بن جبير، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وإن تُبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ
تُخَفُّوهُ﴾ قالوا: أنؤاخذ بما حدثنا به أنفسنا ولم نعمل به جوارحنا؟ قال: فنزلت
هذه الآية: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾. قال: ويقول: قد فعلت. ﴿رَبَّنَا وَلَا
تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾. قال: ويقول: فعلت^٣.
قال: فأعطيت هذه الأمة خواتيم سورة «البقرة»، لم تُعطها الأمم قبلها.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال ثنا إسماعيل، عن عامر: ﴿وإن
تُبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٧/١٤، والنحاس في ناسخه ٢٧٥، ٢٧٦، والحاكم ٢/٢٨٧، وابن الجوزي في
ناسخه ص ٢٢٩ من طريق يزيد بن هارون به.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في ناسخه ص ٢٣٠ من طريق سفيان به بنحوه.

(٣ - ٣) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س.

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٤/٢ عقب الأثر (٣٠٦١) معلقا.

يَشَاءُ ﴿٢٨٤﴾ قال : فنسختها التي بعدها ؛ قوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جريز ، عن مغيرة ، عن الشعبي : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ . قال : نسختها الآية التي بعدها : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [٨/٨٩ظ] وقوله : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا ﴾ . قال : يُحَاسِبُ بما أبدى من سرٍّ أو أخفى من سرٍّ ، فنسختها التي بعدها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا سيار ، عن الشعبي ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ . قال : فكان فيها شدة ، حتى نزلت هذه الآية التي بعدها : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ . قال : فنسخت ما كان قبلها ^(١) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن عون ، قال : ذكروا عند الشعبي : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ ﴾ . حتى بلغ : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ . قال : فقال الشعبي : إلى هذا صار ، رجعت إلى آخر الآية .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جويزي ، عن الضحاك ، في قوله : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ ﴾ . قال : فقال ابن مسعود : كانت المحاسبة قبل أن تنزل : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ . فلما

١٤٦/٣

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٨٠- تفسير) ، والنحاس في ناسخه ص ٢٧٦ ، وابن الجوزي في النواسخ ص ٢٣١ من طريق هشيم به . وعند النحاس : شيان . وعند ابن الجوزي : يسار . والصواب : سيار ، وهو أبو الحكم الواسطي العنزي . ينظر تهذيب الكمال ٣١٣/١٢ .

نزلت نسخت الآية التي كانت قبلها^(١).

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاک يذكر عن ابن مسعود نحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جريز، عن بيان، عن الشعبي، قال: نسخت: ﴿وَأَنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(٢).

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب، وسفيان، عن جابر، عن مجاهد، وعن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، قال: نسخت هذه الآية: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، ﴿وَأَنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ الآية^(٣).

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن عكرمة وعامر بمثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا حماد، عن^(٤) حميد، عن الحسن في قوله: ﴿وَأَنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ إلى آخر الآية. قال: نسختها^(٥): ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٨٢ - تفسير)، والطبراني في الكبير (٩٠٣٠) من طريق جوير به بنحوه.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٧٩ - تفسير) من طريق بيان به بنحوه.

(٣) أخرجه بن الجوزي في النواسخ ص ٢٣٠ من طريق سفيان به بنحوه.

(٤) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «بن».

(٥) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «محتها».

اَكْتَسَبَتْ ﴿١﴾ .

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدٌ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادة أنه قال: نسخت هذه الآية - يعنى قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ - الآية التي قبلها: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ ^(١) .

حدَّثنا ^(٢) الحسن بن يحيى ^(٣)، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمرٌ، عن قتادة في قوله: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ . قال: نسختها قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ^(٤) .

حدَّثني يونسٌ، قال: أخبرنا ابن وهبٌ، قال: ثنى ابن زيدٌ، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ إلى آخر الآية: اشتدت على المسلمين، وشقت مشقة شديدة، وقالوا: يارسول الله، لو وقع في أنفسنا شيء لم نعمل به، واخذنا الله به؟ قال: «فلعلكم تقولون [٩٠/٨] كما قالت بنو إسرائيل لموسى: سمعنا وعصينا». قالوا: بل سمعنا وأطعنا يارسول الله. قال: فنزل القرآن يفرجها عنهم: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ . قال: فصيره إلى الأعمال، وترك ما يقع في القلوب .

(١) أخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ٣٩٧ عن الحجاج به بنحوه . وأخرجه ابن الجوزى في النواسخ ص ٢٣٠ من طريق حماد بن سلمة به .

(٢) أخرجه ابن الجوزى في ناسخه ص ٢٣٠، ٢٣١ من طريق سعيد به بمعناه .

(٣ - ٣) في الأصل: «ابن حسين قال أخبرنا يحيى» .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١١ .

١٤٧/٣ حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الْحَجَّاجُ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، عَنْ سَيَّارٍ ^(١) أَبِي الْحَكَمِ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ أَبِي عُيَيْدَةَ بْنِ ^(٢) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ . قَالَ : نَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي بَعْدَهَا : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ قَوْلَهُ : ﴿ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ . قَالَ : يَوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ كَانُوا يُؤَاخِذُونَ بِمَا وَشَوْسَتْ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَمَا عَمِلُوا ، فَشَكُّوا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالُوا : إِنْ عَمِلْ أَحَدُنَا وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ أَخَذْنَا بِهِ ! وَاللَّهِ مَا نَمْلِكُ الْوَشْوَسةَ . فَنَسَخَهَا اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا بِقَوْلِهِ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ . فَكَانَ حَدِيثُ النَّفْسِ مِمَّا لَمْ يُطِيقُوا . الْآيَةَ .

حَدَّثَتْ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ قَتَادَةَ ، أَنَّ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ : نَسَخَهَا قَوْلُهُ : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ^(٤) . وَقَالَ آخَرُونَ - مِمَّنْ قَالَ : مَعْنَى ذَلِكَ الْإِعْلَامُ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِبَادَهُ أَنَّهُ مُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبَتْهُ أَيْدِيهِمْ وَعَمِلَتْهُ جَوَارِحُهُمْ ، وَبِمَا حَدَّثَتْهُمْ بِهِ أَنْفُسُهُمْ مِمَّا لَمْ يَعْمَلُوهُ - : هَذِهِ الْآيَةُ مُحْكَمَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ ، وَاللَّهُ مُحَاسِبٌ خَلَقَهُ عَلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ وَمَا لَمْ يَعْمَلُوهُ مِمَّا أَضَمَرُوهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَنَوَّوهُ وَأَرَادُوهُ ، فَيُغْفِرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَيُؤَاخِذُهُمْ بِهِ أَهْلَ الْكُفْرِ وَالنَّفَاقِ .

(١) بعده في م : « عن » .

(٢) في ت ١ ، س ، ونواسخ القرآن : « عن » .

(٣) أخرجه ابن الجوزي في النواسخ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ من طريق حجاج به بنحوه ، وأخرجه ابن أبي حاتم في

تفسيره ٥٧٨/٢ (٣٠٨٩) من طريق هشيم به .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٤/١ إلى المصنف .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثنى معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ : فَإِنَّهَا لَمْ تُنْسَخْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا جَمَعَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ : إِنِّي أَخْبَرْتُكُمْ بِمَا أَحْفَيْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ، مِمَّا لَمْ تَطَّلِعْ عَلَيْهِ مَلَائِكَتِي ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَيُخْبِرُهُمْ وَيَغْفِرُ لَهُمْ مَا حَدَّثُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ . يَقُولُ : يُخْبِرُكُمْ . وَأَمَّا أَهْلُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ فَيُخْبِرُهُمْ بِمَا أَخْفَوْا مِنَ التَّكْذِيبِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ . وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٥] [٨/٩٠ ظ] من الشكِّ والنفاق^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنى أَبِي ، قَالَ : ثنى عَمِي ، قَالَ : ثنى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ : فَذَلِكَ سِرُّ عَمَلِكِ وَعِلَانِيَتُهُ ، يُحَاسِبُكَ بِهِ اللَّهُ ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يُسِرُّ فِي نَفْسِهِ خَيْرًا لِيَعْمَلَ بِهِ ، فَإِنْ عَمِلَ بِهِ كُتِبَتْ لَهُ بِهِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وَإِنْ هُوَ لَمْ يُقَدِّرْ لَهُ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ كُتِبَتْ لَهُ بِهِ حَسَنَةٌ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ ، وَاللَّهُ يَرَوْصِي سِرَّ الْمُؤْمِنِينَ وَعِلَانِيَتَهُمْ ، وَإِنْ كَانَ سَوِيًّا حَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ أَطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، أَخْبَرَهُ بِهِ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ لَمْ يُؤَاخِذْهُ اللَّهُ بِهِ حَتَّى يَعْمَلَ بِهِ ، فَإِنْ عَمِلَ بِهِ تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَمَا قَالَ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾^(٢) [الأحقاف: ١٦] .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٢/٢ ، ٥٧٥ ، ٣٠٥٧ ، ٣٠٦٦ ، ٣٠٦٨ ، وابن الجوزي في النواسخ ٢٣٢ من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٥/١ إلى ابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٣/٢ ، ٣٠٥٨ عن محمد بن سعد به .

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ الآية. قال: قال ابن عباس: إن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة: إن كُتِّبَ لِم يَكْتُبُوا مِنْ أَعْمَالِكُمْ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا، فأما ما أَسْرَرْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ فَأَنَا أَحَاسِبُكُمْ بِهِ الْيَوْمَ؛ فَأَغْفِرُ لِمَنْ شِئْتُ، وَأَعَذِّبُ مَنْ شِئْتُ.

١٤٨/٣

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا علي بن عاصم، قال: أخبرنا بيان، عن بشر، عن قيس بن أبي حازم، قال: إذا كان يوم القيامة قال الله تبارك وتعالى يُسْمِعُ الْخَلَائِقَ: إنما كان كُتِّبَ يَكْتُبُونَ عَلَيْكُمْ مَا ظَهَرَ مِنْكُمْ، فأما ما أَسْرَرْتُمْ فَلَمْ يَكُونُوا يَكْتُبُونَهُ وَلَا يَعْلَمُونَهُ، أَنَا اللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ كُلَّهُ مِنْكُمْ، فَأَغْفِرُ لِمَنْ شِئْتُ، وَأَعَذِّبُ مَنْ شِئْتُ.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾: كان ابن عباس يقول: إذا دُعِيَ النَّاسُ لِلْحِسَابِ، أَخْبَرَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يُسِرُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا لَمْ يَعْمَلُوهُ، فيقول: إنه كان لا يَعْرُبُ عَنِّي شَيْءٌ، وَإِنِّي مَخْبِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تُسِرُّونَ مِنَ السَّوِّءِ، وَلَمْ تَكُنْ حَفَظْتَنِي عَلَيْكُمْ يَطَّلِعُونَ عَلَيْهِ. فهذه المحاسبة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو ثميلة، عن عبيد بن سليمان، عن الضحاك، عن ابن عباس نحوه.

حدثني المثني، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾. قال: هي مُحْكَمَةٌ لَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ، يقول: ﴿يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾. يقول: يُعْرِفُهُ اللَّهُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ أَخْفَيْتَ فِي صَدْرِكَ كَذَا وَكَذَا؛ لَا يُؤَاخِذُهُ ^(١).

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا إِسْحَاقُ، قَالَ: ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: هِيَ مُحْكَمَةٌ لَمْ تُنْسَخْ.

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، قَالَ: ثنا ابْنُ عُثَيْبٍ، قَالَ: ثنا ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾. قَالَ: مِنَ الشُّكِّ وَالْيَقِينِ ^(٢).

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ عَيْسَى، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾. يَقُولُ: فِي الْيَقِينِ وَالشُّكِّ.

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ [٨/٩١٠]: ثنا أَبُو حذيفة، قَالَ: ثنا شَيْبَلٌ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ.

فتأويل هذه الآية على قول ابن عباس الذي رواه علي بن أبي طلحة: وإن تبدوا ما في أنفسكم من سيئ ^(٣) الأعمال، فتظهروه بأبدانكم وجوارحكم، أو تخفوه فتسيروه في أنفسكم، فلم يطلع عليه أحد من خلقي، أحاسبتكم به، فأغفر كل ذلك لأهل الإيمان بي، وأعدب أهل الشك والنفاق في ديني.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٢/٢، ٥٧٤، (٣٠٥٥، ٣٠٦٥)، وابن الجوزي في النواسخ ص ٢٣٢ من طريق ابن أبي جعفر به.

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٧، ومن طريقه ابن الجوزي في النواسخ ص ٢٣٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٣/٢ (٣٠٥٩)، والنحاس في ناسخه ص ٢٧٤، وابن الجوزي في النواسخ ص ٢٣٤ من طريق ابن علي به.

(٣) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «شيء من».

وأما على الرواية التي رواها عنه الضحاكُ من رواية عُبيد بنِ سليمانَ عنه ، وعلى ما قاله الربيعُ بنُ أنسٍ ، فإن تأويلها : إن تُظهِروا ما في أنفسكم فتَعْمَلُوهُ مِنَ المعاصي ، أو تُضْمِرُوا إِرَادَتَهُ فِي أَنفُسِكُمْ فَتُخْفُوهُ ، يُعْلِمُكُمُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ .

وأما قولُ مجاهدٍ فشيبةٌ معناه بمعنى قولِ ابنِ عباسٍ الذي رواه عنه عليُّ بنُ أبي طلحةٍ .

١٤٩/٣ /وقال آخرون من قال : هذه الآيةٌ محكمةٌ ، وهي غيرُ منسوخةٍ . ووافقوا الذين قالوا : معنى ذلك أن الله أعلمَ عباده به ^(١) ما هو فاعلٌ بهم ، فيما أبدوا وأخفوا من أعمالهم - : معناها أن الله محاسبٌ خلقه بجميع ما أبدوه من سيئ أعمالهم وجميع ما أسروه ، ومعافيتهم عليه ، غير أن عقوبته إياهم على ما أخفوه مما لم يَعْمَلُوهُ ، ما يحدثُ لهم في الدنيا من المصائبِ والأمور التي يحزنون عليها ويألمون لها ^(٢) .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بنُ أبي طالبٍ ، قال : أخبرنا يزيدُ ، قال : أخبرنا جويرٌ ، عن الضحاكِ في قوله : ﴿ وَإِن تَبَدُّوْا مَا فِيْ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ الآية . قال : كانت عائشةُ تقولُ : مَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ مِثْلَ الَّذِي هَمَّ بِهِ مِنَ السَّيِّئَةِ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَكَانَتْ كِفَارَتَهُ ^(٣) .

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س . وبه أى بقوله .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « منها » .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٨١ - تفسير) من طريق جوير به بنحوه .

حَدَّثت عن الحسين، قال: سَمِعْتُ أبا معاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرَنَا عُبيدٌ، قال: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾. قال: كانت عائشةُ تقولُ: كلُّ عبدٍ يَهُمُّ بمعصيةٍ أو يُحَدِّثُ بها نفسه، حاسِبَهُ اللهُ بها في الدنيا، يَخَافُ وَيَحْزَنُ وَيَهْتَمُّ.

حَدَّثَنَا القَاسِمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: حدثنا أبو مُثَيْلَةَ، عن عُبيدٍ، عن الضَّحَّاكِ، قال: قالت عائشةُ في ذلك: كلُّ عبدٍ هَمٌّ بسوءٍ ومعصيةٍ، وحَدَّثَ بها نفسه، حاسِبَهُ [٩١/٨] اللهُ بها في الدنيا، يَخَافُ وَيَحْزَنُ وَيَشْتَدُّ هَمُّهُ، لا يَنَالُهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، كما هَمٌّ بالسوءِ ولم يَعْمَلْ مِنْهُ شَيْئًا.

حَدَّثَنَا الرِّبِيعُ بْنُ سَليمانَ، قال: ثنا أسدُ بْنُ موسى، قال: ثنا حمادُ بْنُ سلمَةَ، عن عليِّ بْنِ زَيدٍ، عن أُمَيَّةَ^(١). أنها سألت عائشةَ عن هذه الآية: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾، و﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]. فقالت: ما سألتني عنها أحدٌ مُذْ سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ، فقال: «يا عائشةُ، هذه متابعَةُ اللهِ العبدَ بما يُصِيبُهُ مِنَ الحَمَى والنكبةِ والشوكَةِ، حتى البِضَاعَةِ يَضَعُها في كَمِّهِ يَفْقِدُها، فَيَرَوُّعُ لها، فيجذُّها في ضَبِينِهِ^(٢)، حتى إن المؤمنَ لِيُخْرِجَ مِنْ دُنُوبِهِ كما يُخْرِجُ التَّبَرُّجَ الأَحْمَرُ مِنَ الكَبِيرِ^(٣)».

وأولى هذه الأقوال التي ذكرناها بتأويل هذه الآية قول من قال: إنها مُحْكَمَةٌ

(١) في ص، م: «أمة»، وفي س: «أبيه». وهي أمة بنت عبد الله، وينظر تهذيب الكمال ١٣٢/٣٥.

(٢) الضنين: الإبط وما يليه. اللسان (ض ب ن).

(٣) أخرجه الطيالسي (١٦٨٩)، وأحمد ٢١٨/٦ (الميمنية)، والترمذي (٢٩٩١)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٤/٢ (٣٠٦٢)، والبيهقي في الشعب (٩٨٠٩) من طريق حماد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٧٥ إلى ابن المنذر.

وليست بمنسوخة، وذلك أن النسخ لا يكون في حكم إلا ينفيه بأخر له نافي من كل وجهه، وليس في قوله جل ثناؤه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ نفى الحكم الذي أعلم عباده بقوله: ﴿أَوْ تَخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾؛ أن المحاسبة ليست بموجبة عقوبة الله، ولا مؤاخذة بما حوسب عليه العبد من ذنوبه، وقد أختبر الله جل ثناؤه عن المجرمين أنهم حين تُعرض عليهم كتب أعمالهم يوم القيامة يقولون: ﴿يَوْتِلْنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَنَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]. فأخبر أن كتبهم مُحصية عليهم صغائر أعمالهم وكبائرها، فلم تكن الكتب - وإن أحصت صغائر الذنوب وكبائرها - بموجب إحصاؤها على أهل الإيمان بالله ورسوله وأهل الطاعة له، أن يكونوا بكل ما أحصته الكتب من الذنوب معاقبين؛ لأنه عز وجل وعدهم العفو عن الصغائر باجتنايبهم الكبائر، فقال في تنزيهه: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. فكَذلك^(١) محاسبة الله عباده المؤمنين بما هو/ محاسبهم به من الأمور التي أخفتها أنفسهم، غير موجبة لهم منه عقوبة، بل محاسبته إياهم، إن شاء الله، عليها ليُعرفهم بفضله عليهم بعفوه لهم عنها، كما بلغنا عن رسول الله ﷺ في الخبر الذي حدثني به أحمد بن المقدام، قال: ثنا المُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قال: سَمِعْتُ أَبِي، عن قتادة، عن صفوان بن مُحَرِّزٍ، عن ابنِ عمرَ، عن نبيِّ اللهِ ﷺ، قال: «يُذْنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيَقْرُؤُهُ بِسَيِّئَاتِهِ، يَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: سَتَرْتَهَا فِي الدُّنْيَا وَأَعْفَرْتَهَا الْيَوْمَ. ثُمَّ يُظْهِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ [٨/٩٢و٩]، فَيَقُولُ: ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنَبَةُ﴾ [الحاقة: ١٩] - أو كما قال - وأما الكافر فإنه يُنادى به على

١٥٠/٣

(١) في ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «فذلك»، وفي م: «فذل أن».

رُعُوسِ الْأَشْهَادِ»^(١).

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَارٍ، قَالَ: ثنا ابْنُ أَبِي عَدَى، عَنِ سَعِيدِ وَهْشَامٍ، وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ عُليَّةَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، قَالَا جَمِيعًا فِي حَدِيثِهِمَا: عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحَرَّرٍ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نَطُوفُ بِالْبَيْتِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ وَهُوَ يَطُوفُ، إِذْ عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا بَنَ عَمَرَ، مَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَدْنُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَتْفَهُ، فَيَقْرُؤُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ كَذَا؟» فَيَقُولُ: رَبِّ، أَعْرِفُ^(٢). حَتَّى إِذَا بَلَغَ بِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتَلَعَّ بِهِ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ». قَالَ: «فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ أَوْ كِتَابَةً يَمِينِهِ. وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُعُوسِ الْأَشْهَادِ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾»^(٤).

قال أبو جعفر: إن الله جل ثناؤه يفعل بعبده المؤمن من تعريفه إياه سيئات أعماله، حتى يعرفه تفضله عليه بعبده له عنها، فكذلك فعله، تعالى ذكره، في محاسبته إياه بما أبداه من نفسه وبما أخفاه من ذلك، ثم يعفر له كل ذنب^(٥) بعد

(١) أخرجه أحمد ٣١٨/٩ (٥٤٣٦)، والبخاري (٢٤٤١)، وفي خلق أفعال العباد (٢٤٨ - ٢٥٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٠٤، ٦٠٥)، والآجری في الشريعة (٦١٩)، وغيرهم من طرق عن قتادة به.

(٢) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «و».

(٣) في ص، م: «اغفر».

(٤) أخرجه مسلم - كما في التحفة ٤٣٧/٥ - عن محمد بن بشار به، ومن طريق ابن أبي عدى عن سعيد وحده به. وأخرجه البخاري (٤٦٨٥)، وفي خلق أفعال العباد (٢٥١)، وابن منده في الإيمان (٧٩٠) من طريق سعيد وهشام به، وأخرجه مسلم (٢٧٦٨)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٣٧)، والنحاس في ناسخه ص ٢٧٧، وفي القطع والائتناف ص ٣٨٦، والآجری في الشريعة (٦١٨)، وابن منده (٧٩٠) من طريق ابن علي به، وأخرجه ابن منده (١٠٧٧) من طريق هشام به.

(٥) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «ذلك».

تعريفه بفضله وبكرمه عليه ، فيشتوه عليه . وذلك هو المغفرة التي قد وعد عباده المؤمنين ، فقال : ﴿ فَيَعْفُرْ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ .

فإن قال قائل : فإن قوله عز وجل : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ينبت عن أن جميع الخلق غير مؤاخذين إلا بما كسبته أنفسهم من ذنب ، ولا مثابين إلا بما اكتسبته من خير . قيل : إن ذلك كذلك ، وغير مؤاخذي العبد بشيء من ذلك إلا بفعل ما نهى عن فعله ، أو ترك ما أمر بفعله .

فإن قال : فإذا كان ذلك كذلك ، فما معنى وعيد الله عز وجل إيانا على ما أخفته أنفسنا بقوله : ﴿ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ إن كان ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ، وما أضمرتته قلوبنا وأخفته أنفسنا ؛ من هم بذنب ، أو إرادة لمعصية ، لم تكتسبه جوارحنا ؟

قيل له : إن الله جل ثناؤه قد وعد المؤمنين أن يعفو لهم عما هو أعظم من هم هم به أحدهم من المعاصي فلم يفعل ، وهو ما ذكرنا ، من وعده إياهم العفو عن صفات ذنوبهم إذا هم اجتنبوا كبائرهما ، وإنما الوعيد من الله جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ على ما أخفته نفوس الذين كانت أنفسهم تخفي الشك في الله والمرية [٨١] / ٩٢ في وحدانيته ، أو في نبوة نبيه محمد ﷺ ، وما جاء به من عند الله ، أو في ١٥١/٣ المَعَادِ والبعث من المنافقين ، على نحو ما قال ابن عباس ومجاهد ، / ومن قال بمثل قولهما ؛ من أن تأويل قوله : ﴿ أَوْ تَخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ على الشك واليقين ، غير أنا نقول : إن المتوعد بقوله : ﴿ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ . هو من كان إخفاء نفسه ما تخفيه الشك والمرية في الله ، وفيما يكون الشك فيه بالله كفرا ، والموعود العفران بقوله : ﴿ فَيَعْفُرْ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ هو الذي إخفاؤه ^(١) ما يخفيه الهمة

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أخفى و » .

بالتقدم على بعض مانهاه الله عنه ، من الأمور التي كان جائزاً ابتداءً تحليله وإباحته ، فحرّمه على خلقه جل ثناؤه ، أو على ترك بعض ما أمره الله بفعله ، مما كان جائزاً ابتداءً إباحة تركه ، فأوجب فعله على خلقه . فإن الذي يهّم بذلك من المؤمنين إذا هو لم يَصْحَحْ هَمَّهُ بما يهّم به ، ويَحْقُقْ ما أَحْفَتَه نفسه من ذلك بالتقدم عليه ، لم يَكُنْ مأخوذاً ، كما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ » ^(١) . فهذا الذي وصّفنا هو الذي يُحَاسِبُ الله تبارك وتعالى به مؤمنى عباده ، ثم لا يُعَاقِبُهُمْ عليه .

فأما من كان ما أَحْفَتَه نفسه شكاً في الله ، وازتياً في نبوة أنبيائه ، فذلك هو الهالك المَحَلَّدُ في النار ، الذي أُوْعِدَه جَلُّ ثناؤه أن يعذّبه العذاب الأليم بقوله : ﴿ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

فتأويل الآية إذن : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ أيها الناس فتظهِروه ﴿ أَوْ تَخْفَوْهُ ﴾ فتتطوى عليه نفوسكم ﴿ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ ، فيعرف مؤمنكم ^(٢) تفضّله بعفوه عنه ومغفرته له ، فيغفره له ، ويُعَذِّبُ مُنَافِقِكُمْ ^(٣) على شكّه ^(٤) الذي انطوت عليه نفسه في وُحْدَانِيَةِ خَالِقِهِ ونبوة أنبيائه .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : واللّه على العفو عما أَحْفَتَه نفس هذا المؤمن من الهمة بالخطيئة ، وعلى عقاب هذا الكافر على ما أَحْفَتَه نفسه من الشك في توحيد

(١) أخرجه نحوه مسلم (٢٠٦ ، ٢٠٧) من حديث أبي هريرة وابن عباس . وينظر ما تقدم في ٤١١ / ٢ .

(٢) في ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « مؤمنكم » .

(٣) في ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « منافقيكم » .

(٤) في ص : « شك » ، وفي م ، س : « الشك » .

[٩٣/٨] اللَّهُ وَنُبُوَّةَ أَنْبِيَائِهِ ، وَمُجَازَاةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، وَعَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ - قَادِرٌ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ .

يعنى جَلَّ ثَنَاؤُهُ بذلك : صدَّق الرسول ، يعنى : رسول الله ﷺ ، فَأَقَرَّ ﴿ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ ﴾ يعنى : بما أوحى إليه من عند ربه من الكتاب وما فيه من حلالٍ وحرام ، ووعيدٍ ووَعِيدٍ ، وأمرٍ ونهيٍ ، وغير ذلك من سائر ما فيه من المعانى التى حوَّاهَا .
وذكر أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية عليه قال : « يحقُّ^(١) له » .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ : ذكر لنا أن نبي الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال : « ويحقُّ^(١) له أن يؤمنَ^(٢) » .

وقد قيل : إنها نزلت بعد قوله : ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ / فَيَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ؛ لأن المؤمنين برسول الله ﷺ من أصحابه شقَّ عليهم ما توعدَّ الله به من محاسبتهم على ما أخفَّته نفوسهم ، فشكَّوا ذلك إلى النبي ﷺ ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « لعلكم تقولون : سمعنا وعصينا كما قالت بنو إسرائيل » . فقالوا :^(٣) بل نقول^(٣) : سمعنا وأطعنا . فأنزل الله لذلك من قول النبي ﷺ وقول أصحابه :

(١) فى الأصل : « لحق » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٧٦/٢ (٣٠٧١) من طريق يزيد به .

(٣) (٣ - ٣) سقط من : الأصل .

﴿ ءَاَمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَا اُنزِلَ اِلَيْهِ مِنْ رَّبِّهِ ۗ وَالْمُؤْمِنُوْنَ كُلُّ ءَاَمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ ۗ وَرُسُلِهِ ۗ ﴾ . يقول : وصدق المؤمنون ايضا مع نبيهم عليه السلام بالله وملائكته وكتبه ورسله ، الآيتين . وقد ذكرنا قائلى ذلك قبل^(١) .

واختلفت القراءة فى قراءة قوله : ﴿ وَكُتُبِهِ ﴾ فقرأ ذلك عائمة قرأة المدينة وبعض [٩٣/٨] قرأة أهل العراق ﴿ وَكُتُبِهِ ﴾^(٢) على وجه جمع الكتاب ، على معنى : والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وجميع كتبه التى أنزلها على أنبيائه ورسله . وقرأ ذلك جماعة من قراءة أهل الكوفة : (وكتابه)^(٣) . بمعنى : والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وبالقرآن الذى أنزله على نبيه محمد ﷺ .

وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك : (وكتابه)^(٤) . ويقول : الكتاب أكثر من الكتب . وكان ابن عباس يؤججه تأويل ذلك إلى نحو قوله : ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١﴾ إن الإنسان لفي خسر ﴿ [العصر : ١ ، ٢] . يعنى جنس الناس وجنس الكتاب ، كما يقال : ما أكثر درهم فلان وديناره . ويُراد به جنس الدراهم والدينار .

وذلك وإن كان مذهبا من المذاهب معروفا ، فإن الذى هو أعجب إلى من القراءة فى ذلك أن يُقرأ بلفظ الجمع ؛ لأن الذى قبله جمع ، والذى بعده كذلك - أعنى بذلك : ﴿ وَمَلٰئِكَتِهِ ۗ ﴾ ﴿ وَرُسُلِهِ ۗ ﴾ - فالحاق « الكتاب » فى الجمع لفظا به أعجب إلى من توحيدِهِ وإخراجه فى اللفظ به بلفظ الواحد ؛ ليكون لاحقا فى اللفظ والمعنى بلفظ ما قبله وما بعده ومعناه .

(١) ينظر ما تقدم ص ١٣٠ - ١٣٨ .

(٢) وهى قراءة نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر وأبى عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٣) وهى قراءة الكسائى وحمزة . المصدر السابق .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٧٧ - تفسير) من طريق عكرمة ، عن ابن عباس .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ .

وأما قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ . فإنه أخبر جل ثناؤه بذلك عن المؤمنين أنهم يقولون ذلك . ففي الكلام في قراءة من قرأ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ بالنون ، متروك قد استغنى بدلالة ما ذكر عنه ، وذلك المتروك هو « يقولون » .

وتأويل الكلام: والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، يقولون : لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ . وترك ذكر « يَقُولُونَ » لدلالة الكلام عليه ، كما ترك ذكره في قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٣ ، ٢٤] . بمعنى : يقولون : سلامٌ عليكم .

وقد قرأ ذلك جماعة من المتقدمين : (لا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ) بالياء^(١) ، بمعنى : والمؤمنون كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا يُفَرِّقُ الكُلُّ منهم بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ، فَيُؤْمِنُ مِنْ بَعْضٍ وَيَكْفُرُ بِبَعْضٍ ، وَلَكِنْهُمْ يُصَدِّقُونَ بِجَمِيعِهِمْ ، وَيُقَرِّبُونَ أَنْ مَا جَاءُوا بِهِ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَأَنْهُمْ دَعَوْا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى طَاعَتِهِ ، وَيُخَالِفُونَ فِي فِعْلِهِمْ ذَلِكَ الْيَهُودَ الَّذِينَ أَقْرَأُوا بِمُوسَى وَكَذَّبُوا بِعِيسَى ، وَالنَّصَارَى الَّذِينَ أَقْرَأُوا بِمُوسَى وَعِيسَى وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَجَحَدُوا بِنُبُوَّتِهِ ، وَمَنْ أَشَبَّهِهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بَعْضَ رُسُلِ اللَّهِ وَأَقْرَأُوا بِبَعْضٍ .

/ كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ : كما صنع القوم - يعني بنى إسرائيل - قالوا : فلان نبي وفلان ليس نبيا ، وفلان نؤمن به وفلان لا نؤمن به .

١٥٣/٣

(١) وهى قراءة ابن جبير وابن يعمر وأبى زرعة بن عمرو بن جرير ، ويعقوب ، ونص رواية أبى عمرو على أنها بالياء . البحر المحيط ٢ / ٣٦٥ . ويعقوب من القراء العشرة الذين تواترت قراءاتهم عند الجمهور .

والقراءة التي لا نستجيز غيرها في ذلك عندنا بالنون: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ ؛ لأنها القراءة التي قامت حجتها بالنقل المستفيض الذي يمتنع معه التشاعر^(١) والتواطؤ والسهو والغلط ، بمعنى ما وصفنا من : يقولون : لا نفرق بين أحد من رسله . ولا يعترض بشاذ من القراءة على ما جاءت به الحجة نقلاً وراثه^(٢) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (١٨٥) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وقال الكل من المؤمنين : سمعنا قول ربنا وأمره إيانا بما أمرنا به ، ونهيه عما نهانا عنه ﴿وَأَطَعْنَا﴾ . يعنى : أطعنا ربنا فيما ألزما من فرائضه واستعبدنا به من طاعته ، وسلّمنا له .

وقوله: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ . يعنى : وقالوا : غفرانك ربنا . بمعنى : اغفر لنا ربنا غفرانك . كما يقال : سبحانك . بمعنى : نُسبُحُك سبحانك .

وقد بيئنا فيما مضى أن الغفران والمغفرة الستر من الله عز وجل على ذنوب من غفر له ، وصفحُه له عن هتكِ ستره بها فى الدنيا والآخرة ، وعفوه عن العقوبة عليه^(٣) .

وأما قوله: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ . فإنه يعنى جل ثناؤه أنهم قالوا : وإليك ياربنا مرجعنا ومعادنا ، فاغفر لنا ذنوبنا .

فإن قال لنا قائلٌ : فما الذى نصب : ﴿غُفْرَانَكَ﴾ ؟

قيل له : وقوعه وهو مصدرٌ موقع الأمر ، وكذلك تفعل العرب بالمصادر

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : «التشاعر» . والتشاعر : التعالم . من «شعر» بمعنى : علم .

(٢) فى ص ، م ، س : «ورواية» .

(٣) ينظر ما تقدم ٧٢٠/١ ، ٧٢١ .

والأسماء إذا حلت محل الأمر وأدت عن معنى [٨/٩٤ظ] الأمر نصبتها ، فيقولون : شكر الله يا فلان ، وحمداله . بمعنى : اشكر الله واحمده . والصلاة الصلاة ، بمعنى : صلوا . ويقولون في الأسماء : الله الله يا قوم . ولو رفع بمعنى : هو الله ، أو هذا الله . ووجه إلى الخبر وفيه تأويل الأمر ، كان جائزا ، كما قال الشاعر^(١) :

إن قوماً منهم غميرٌ وأشبا ه غميرٍ ومنهم السَّفاح
لجديرون بالسوفاء إذا قا ل أخو التَّجدة السَّلاح
ولو كان قوله : ﴿ غُفْرَانِكَ رَبَّنَا ﴾ جاء رفعاً في القراءة لم يكن خطأ ، بل كان صواباً على ما وُصفنا .

وقد ذكر أن هذه الآية لما نزلت على رسول الله ﷺ ثناء من الله عليه وعلى أمته ، قال له جبريل ﷺ : إن الله عز وجل قد أحسن عليك وعلى أمتك الثناء ، فسئل ربك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جريز ، عن بيان ، عن حكيم بن جابر ، قال : لما أنزل على رسول الله ﷺ : ﴿ ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفِرُ بَيْنَ أَيْدِي مَنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ ١٥٤/٣ غُفْرَانِكَ / رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿ . قال جبريل عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك ، فسئل تُعْطَهُ . فسأل : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ﴿ إلى آخر السورة^(٢) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .

(١) البيتان في معاني القرآن للفراء ١/١٨٨ ، والخصائص ٣/١٠٢ ، والدرر اللوامع ١/١٤٦ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٥٧٥ (٣٠٧٠) من طريق جرير به . وأخرجه سعيد بن منصور (٤٧٨- تفسير) ، وابن أبي شيبة ١١/٥٠١ من طريق بيان به .

يعنى بذلك جل ثناؤه : لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا فِتْنَةً إِلَّا بِمَا يَسْعَى ، فلا يُضَيِّقُ عليها ولا يَجْهَدُهَا .

وقد بينا فيما مضى قبل أن الوُسْعَ اسْمٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : وَسِعَنِي هَذَا الْأَمْرُ ^(١) .
مثل الجُهدِ والوُجْدِ ، مِنْ : جَهَدَنِي هَذَا الْأَمْرُ ، وَوَجَدْتُ مِنْهُ .

كما حَدَّثَنِي [٩٥/٨] المثنى ، قال : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قال : ثنا معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .
قال : هم المؤمنون ، وَسِعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَمْرَ دِينِهِمْ ، فقال اللَّهُ جل ثناؤه : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] . وقال : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] . وقال : ﴿ فَانْقُضُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ^(٢)
[التغابن : ١٦] .

حَدَّثَنَا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن الزهريِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، قال : لما نَزَلَتْ ضَجَّ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهَا ضَجَّةً ، وقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا تَتَوَّبُ مِنْ عَمَلِ الْيَدِ وَالرَّجْلِ وَاللِّسَانِ ، فكيف تَتَوَّبُ مِنَ الْوَسْوسَةِ ؟ كيف تَمْتَنِعُ مِنْهَا ؟ فجاء جبريلُ عليه السلامُ بهذه الآية : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ . إنكم لا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَمْتَنِعُوا مِنَ الْوَسْوسَةِ ^(٣) .

حَدَّثَنِي موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ : ووسْعُها طاقتُها ، فكان حديثُ النفسِ مما لم يُطِيقوا ^(٤) .

(١) ينظر ما تقدم في ٢١٣/٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٧/٢ (٣٠٨٠) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٦/١ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٨/٢ عقب الأثر (٣٠٨٤) من طريق عمرو بن حماد به .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿لَهَا﴾ : للنفس التي أُخْبِرَ أنه لا يُكَلِّفُها إلا وسعها .
يَقُولُ : لكلِّ نفس ما اجْتَرَحَتْ وَعَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ . ﴿وَعَلَيْهَا﴾ . يعنى : وعلى كلِّ
نفسٍ ﴿مَا اكْتَسَبَتْ﴾ : ما عَمِلَتْ مِنْ شَرٍّ .

كما حدَّثنا بشر بن معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ قوله :
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أى : مِنْ خَيْرٍ ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا
اِكْتَسَبَتْ﴾ أى : مِنْ شَرٍّ . أو قال : مِنْ شَوْءٍ .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى : ﴿لَهَا مَا
كَسَبَتْ﴾ . يقولُ : ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ . يقولُ : وعليها ما
عَمِلَتْ مِنْ شَرٍّ .

/ حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ قَتَادَةَ مِثْلَهُ .

١٥٥/٣

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن
الزهرى ، عن [٩٥/٨ ظ] عبد الله بن عباس : ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ،
عَمَلُ الْيَدِ وَالرَّجْلِ وَاللِّسَانِ ^(١) .

فتأويلُ الآيةِ إذنٌ : لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا يَسْعُهَا فلا يَجْهَدُها ولا يُضَيِّقُ عليها فى أمرٍ
دينها ، فيؤاخذها بهمةٍ إن همَّتْ ، ولا يوسوسيةٍ إن عرَضَتْ لها ، ولا بخطرٍ إن خطرَتْ
بقلبيها ، ^(٢) ولكنه يؤاخذها بما عَمِلَتْ فتعمَّدت وقصدت عمله من خيرٍ أو شرٍّ ^(٣) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٥٧٨/٢ ، ٥٧٩ ، (٣٠٨٧ ، ٣٠٩٠) من طريق سعيد بن مرجانة ، عن
ابن عباس .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ .

وهو تعليم من الله عباده المؤمنين دعاءه ؛ كيف يدعونه ، وما يقولون في دعائهم إياه ، ومعناه : قولوا : ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا شيئاً فرضت علينا عمله فلم نعمله ، أو أخطأنا في فعلٍ شيءٍ نهيتنا عن فعله ففعلناه على غير قصدٍ منا إلى معصيتك ، ولكن على جهالةٍ منا به وخطأً .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ : إن نسينا شيئاً مما افترضته علينا ، أو أخطأنا شيئاً مما حرّمته علينا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ . قال : بلغني أن النبي ﷺ قال : « إن الله تبارك وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن نسيانها وما حدثت به أنفسها » ^(١) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، قال : زعم السدي أن هذه الآية حين نزلت : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ . قال له جبريل ﷺ : فَعَلَّ ^(٢) ذلك يا محمد ^(٣) .

فإن قال لنا قائلٌ : وهل يجوز أن يؤاخذ الله جل ثناؤه عباده بما نسوا أو أخطئوا ، فيسألوه ألا يؤاخذهم بذلك ؟

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١١٢ . والحديث أصله في البخارى (٢٥٢٨ ، ٥٢٦٩ ، ٦٦٦٤) ، ومسلم (١٢٧) من حديث أبي هريرة .

(٢) في م : « فقل » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٧٧ إلى المصنف .

قيل: إن النسيانَ على وجهين؛ أحدهما: على وجه التضييع من العبد والتفريط. والآخر: على وجه عجز الناس عن حفظ ما استُحفظ ووُكِّل به، وضعف عقله عن احتمالِه.

فأما الذي يكون من العبد على وجه التضييع منه والتفريط، [٩٦/٨] فهو ترك ما أمر بفعله، فذلك الذي يَرَعِبُ العبد إلى الله في تركه مؤاخذته به، وهو النسيان الذي عاقب الله به آدم صلوات الله عليه، فأخرجه من الجنة، فقال في ذلك: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]. وهو النسيان الذي قال جل ثناؤه: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: ٥١]. فرغبة العبد إلى الله عز وجل بقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ فيما كان من نسيان منه لما أمر بفعله، على هذا الوجه الذي وصفنا، ما لم يكن تركه ما ترك من ذلك تفريطاً منه فيه وتضييعاً، كفرًا بالله، فإن ذلك إذا كان كفرًا بالله، فإن الرغبة إلى الله في تركه المؤاخذة به غير جائزة؛ لأن الله جل ثناؤه قد أخبر عباده أنه لا يَغْفِرُ لهم الشرك به، فمسأله فعل ما قد أعلمهم أنه لا يفعلُه خطأً، وإنما تجوز^(١) مسأله المغفرة فيما كان^(٢) مثل نسيانه القرآن بعد حفظه بتشاغله عنه وعن قراءته، وبمثل نسيانه صلاة أو صياماً، باشتغاله عنهما بغيرهما حتى ضيعهما.

وأما الذي العبد به غير مؤاخذ لعجز بنيته عن حفظه، وقلة احتمال عقله ما وُكِّل بمراعاته، فإن ذلك من العبد غير معصية، وهو به غير آثم، فذلك الذي لا وجه لمسألة العبد ربه أن يغفره له؛ لأنه مسألة منه له أن يغفر له ما ليس له بذنب، وذلك مثل الأمر يغلب عليه وهو حريص على تذكره وحفظه، كالرجل يحرص على حفظه

١٥٦/٣

(١) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «يكون».

(٢) بعده في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «من».

القرآن بجِدِّ منه ، فيتقرؤهُ ثم يَنسَاهُ بغير تَشَاغُلٍ منه بغيره عنه ، ولكن لعجزِ بِنْيَتِهِ عن حفظِهِ ، وَقَلَّةِ احتمالِ عقلِهِ ذَكَرَ ما أودَعَ قلبه منه ، وما أشَبَهَ ذلكَ مِنَ النسيانِ ، فإن ذلكَ مما لا تجوزُ مسألةُ الربِّ مغفرتَه ؛ لأنه لا ذنْبَ للعبيدِ فيه فيُعَفَّرُ له باكتسابِهِ .

وكذلك للخطأ وجهان ؛ أحدهما : من وجهٍ ما نُهي عنه العبدُ ، فيأتيه بقصدٍ منه وإرادةٍ ، فذلك خطأً منه وهو به مأخوذٌ ، يُقالُ منه : خَطِئَ فلانٌ وأخطأ . فيما أتى من الفعلِ ، و:أثم ، إذا أتى ما يَأْتُمُّ فيه وركبه ، ومنه قولُ الشاعرِ ^(١) :

الناسُ يَلْحَوْنَ ^(٢) الأَمِيرَ إذا هم خَطِئُوا الصوابَ ولا يُلامُ المُرْشِدُ
بمعنى : أخطئوا الصوابَ . وهذا الوجهُ الذي يَزَعِبُ العبدُ إلى رَبِّهِ في صَفْحِ ما كان منه مِن إِثْمٍ عنه ، إلا ما كان مِن ذلكَ كَفْراً .

والبَاقِيُ مِنْهُمَا : ما كان منه على وجهِ الجهلِ [٨/٩٧ظ] به ، والظنُّ منه بأن له فِعْلُهُ ، كالذي يَأْكُلُ في شهرِ رمضانَ ليلاً وهو يَحْسَبُ أن الفجرَ لم يَطْلُعْ ، أو يُؤَخِّرُ صلاةً في يومٍ غَيمٍ وهو يَنْتَظِرُ بتأخيرِهِ إياها دخولَ وقتِها ، فيخْرُجُ وقتها وهو يَري أن وقتها لم يَدْخُلْ ، فإن ذلكَ مِنَ الخطأِ الموضوعِ عن العبيدِ الذي وَضَعَ اللَّهُ عز وجل عن عباده الإِثْمَ فيه ، فلا وَجَةَ لمسألةِ العبيدِ رَبَّهُ ألا يُؤاخِذَهُ به .

وقد زَعَمَ قومٌ أن مسألةَ العبيدِ رَبَّهُ ألا يُؤاخِذَهُ بما نَسِيَ أو أخطأ ، إنما هو فعلٌ منه لما أمره به رَبُّه تبارك وتعالى ، أو لما نَدَبَهُ إليه مِنَ التذلُّلِ له ، والخضوعِ بالمسألةِ ، فأما على وجهِ مسألةِ الصَّفْحِ عنه ، فما لا وَجَةَ له عندهم .

وللبَيانِ على ^(٣) هؤلاءِ كتابُ سنأتي فيه إن شاء اللَّهُ على ما فيه الكِفايةُ لمن وُفِّقَ لفهمِهِ .

(١) هو عبيد بن الأبرص الأسدي ، والبيت في ديوانه ص ٤٢ .

(٢) يلحون : يلومون .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « عن » .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه: قولوا: ربَّنَا ولا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا. ويعنى بالإصْرِ العهدَ، كما قال جل ثناؤه: ﴿قَالَ أَأَقْرَضْتُمُ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران: ٨١]. وإنما عني بقوله: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾: ولا تَحْمِلْ عَلَيْنَا عهدًا نَعْجِزُ عن القيام به ولا نَسْتَطِيعُهُ. ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ .
يعنى: على اليهود والنصارى الذين كُفِّوا أعمالًا، وأخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بها، فلم يَتَّقُوا بها، فَعُوْجِلُوا بالعقوبة، فعَلَّمَ اللهُ عَزَّ جَلَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ الرغبة إليه بمسألته ألا يَحْمِلَهُمْ مِنْ عهودِهِ ومواثيقِهِ على أعمالٍ - إن ضَيَّعُوا أو أَخْطَئُوا فيها أو نَشَوهَا - مثل الذى حَمَلَ مَنْ قَبْلَهُمْ، فيَجِلُّ بهم بخطيئتهم فيه وتَضْيِيعِهِمْ إِيَّاهُ مثل الذى أَحَلَّ مَنْ قَبْلَهُمْ.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى، قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قال: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عن قتادة فى قوله: / ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾. قال: لا تَحْمِلْ عَلَيْنَا عهدًا وميثاقًا ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾. يقول: كما غُلِّظَ على مَنْ قَبْلِنَا^(١).

حدَّثنا ابنُ وَكَيْعٍ، قال: ثنا أبى، عن موسى [٩٧/٨] بن قيسِ الحَضْرَمِيِّ، عن مُجاهِدٍ فى قوله: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾. قال: عهدًا^(٢).

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١١٢.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٧٧ إلى عبد بن حميد.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ عَيْسَى، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِصْرًا﴾. قَالَ: عَهْدًا.

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِصْرًا﴾. يَقُولُ: عَهْدًا^(١).

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: ثنا عَمْرُو، قَالَ: ثنا أَشْبَاهُ، عَنْ السُّدِّيِّ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ وَلَا عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾: وَالْإِصْرُ الْعَهْدُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَنَا مِنَ الْيَهُودِ^(٢).

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثنا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثَنَى حُجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾. قَالَ: عَهْدًا لَا نُطِيقُهُ وَلَا نَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِهِ، ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، فَلَمْ يَقُومُوا بِهِ، فَأَهْلَكْتَهُمْ^(٣).

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يَزِيدُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا جُوَيْرِيُّ، عَنْ الضَّحَّاكِ: ﴿إِصْرًا﴾. قَالَ: الْمَوَاقِيقُ^(٤).

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا إِسْحَاقُ، قَالَ: ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الرَّبِيعِ: الْإِصْرُ الْعَهْدُ، ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران: ٨١]. قَالَ: عَهْدِي.

^٥ حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ

(١) ذكره الحافظ في التعليق ١٨٧/٤ عن المصنف، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٠/٢ (٣٠٩٧) من طريق الضحاك، عن ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٠/٢ عقب الأثر (٣٠٩٧) من طريق عمرو بن حماد به.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٧/١ إلى المصنف.

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٠/٢ عقب الأثر (٣٠٩٧) معلقا.

(٥ - ٥) سقط من: ص، م، ١، ت، ٢، ت، ٣، س.

١) ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ . قال : عهدي ^{(١)(٢)} .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ . قال : عهدي ^(٣) .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولا تحمِلْ علينا ذنوبًا وإثمًا كما حملت ذلك على من قبلنا من الأمم ، فتمسحنا قردةً وخنزيرٍ كما مسحهم .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا بَقِيَّةُ بنُ الوليد ، عن علي بن هارون ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح في قوله : ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ . قال : لا تمسحنا قردةً وخنزير ^(٤) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قوله : ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ . لا تحمِلْ علينا ذنبا ليس فيه توبةٌ ولا كفارة ^(٤) .

وقال آخرون : معنى الإِصْرِ بكسر الألفِ : الثُّقْلُ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

/ حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ١٥٨/٣

قوله : ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [٩٧/٨] مِنْ

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٢ / ٣٢٠ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢ / ٦٩٥ (٣٧٦٥) عن محمد بن سعد به .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١ / ٣٧٧ إلى المصنف .

قَبْلِنَا ﴿١﴾ . يقول : التشديدُ الذي شَدَّدْتَهُ على مَنْ قَبْلَنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ .
 حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ - يَعْنِي مَالِكًا - عَنْ
 قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا ﴾ . قَالَ : الْإِصْرُ الْأَمْرُ الْغَلِيظُ ^(١) .
 فَأَمَّا الْأَصْرُ بِفَتْحِ الْأَلْفِ فَهُوَ مَا عَطَفَ بِهِ الرَّجُلُ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ رَجِيمٍ أَوْ قَرَابَةٍ ،
 يَقُولُ : قَدْ أَصْرْتَنِي رَجِيمِي بَيْنِي وَبَيْنَ فَلَانٍ عَلَيْهِ . بِمَعْنَى : عَطَفْتَنِي عَلَيْهِ ، وَ : مَا
 يَأْصِرُنِي عَلَيْهِ . أَيْ : مَا يَعْطِفُنِي عَلَيْهِ . وَ : بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَصْرَةٌ رَجِيمٍ تَأْصِرُنِي عَلَيْهِ أَصْرًا .
 يَعْنِي بِهِ : عَاطِفَةٌ رَحِمٌ تَعْطِفُنِي عَلَيْهِ .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ .
 يعني بذلك جل ثناؤه : وقولوا أيضًا : رَبَّنَا لَا تُكَلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا لَا نُطِيقُ
 القيامَ به لِثِقَلِ حَمَلِهِ عَلَيْنَا .
 وكذلك كانت جماعةُ أهلِ التأويلِ يَتَأَوَّلُونَهُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مَعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قَالَ : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا
 تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ : تشديدُ تُشَدِّدُهُ ، كما شَدَّدْتَ على مَنْ كان قَبْلَنَا ^(٢) .
 حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يزيدُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُوَيْرِيُّ ، عن
 الضَّحَّاكِ قَوْلَهُ : ﴿ وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ . قَالَ : لَا تُحْمَلُنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا
 لَا نُطِيقُ ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٠/٢ (٣٠٩٨) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) ينظر البحر المحيط ٣٦٩/٢ .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١١٢/١ عن معمر ، عن قتادة بمعناه .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٧/١ إلى المصنف .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ : لَا تَفْتَرِضْ عَلَيْنَا مِنَ الدِّينِ مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ فَتَعَجِزْ عَنْهُ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ : مَسْخُ الْقِرْدَةِ وَالْحَنَازِيرِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي سَلَامُ بْنُ سَالِمٍ الْخَزَاعِمِيُّ ، قَالَ : ثنا أَبُو حَفْصٍ عَمْرُ بْنُ سَعِيدِ التَّنُوخِيُّ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ شَابُورَ ^(٣) ، عن 'سَلَامِ بْنِ سَابُورَ' فِي قَوْلِهِ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ . قَالَ : الْعُلْمَةُ ^(٤) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : ثنا أَشْبَاهُ ، عن السدِّيِّ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ : مِنَ التَّغْلِيظِ وَالْأَغْلَالِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّحْرِيمِ ^(٥) .

وإنما قلنا : إن تأويل ذلك : ولا تُكَلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا لَا نُطِيقُ الْقِيَامَ بِهِ . على نحو الذي قلنا في ذلك ؛ لأنه عَقِيبُ مَسْأَلَةِ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ أَلَا يُؤَاخِذُهُمْ إِنْ نَسُوا أَوْ أَخْطَأُوا ، وَلَا يَحْمِلُ عَلَيْهِمْ إِصْرًا كَمَا حَمَلَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ،

(١) ينظر المحرر الوجيز ٢/٣٢١ ، والبحر المحيط ٢/٣٦٩ .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨١/٢ عقب الأثر (٣١٠٤) معلقا .

(٣) في م : « سَابُور » .

(٤) - ٤) في ص : « سَلَامُ بْنُ سَابُورًا » ، وفي م : « سَالِمُ بْنُ شَابُورٍ » .

(٥) العُلْمَةُ : هيجان شهوة النكاح من المرأة والرجل . اللسان (غ ل م) .

والأثر ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٣٢١ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٢/٣٦٩ ، عن سلام بن

سابور ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٧٧ إلى المصنف .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨١/٢ (٣١٠٧) من طريق عمرو به .

فكان إلحاق ذلك بمعنى ما قبله من مسألتهم التيسير في الدين [١٩٨/٨]، أولى مما خالف ذلك المعنى .

^(١) فإن قال قائل : أو كان جائزاً أن يُكَلِّفَهُمْ ما لا طاقة لهم به فيسألوه ألا يُكَلِّفَهُمْ ذلك ؟

قيل : إن تَكَلِّفَ ما لا يُطاق على وجهين :

أحدهما : ما ليس في بنية المكلف احتمالُه ، فذلك ما لا يجوزُ تكليفُ الربِّ عبده بحالٍ ، وذلك كتكليفِ الأعمى النَّظَرَ ، وتكليفِ المُقْعَدِ العَدْوَ ، فهذا النوعُ من التكليفِ هو الذى لا يجوزُ أن يُضَافَ إلى اللّهِ جلَّ وعزَّ ، ولا تجوزُ مسألتهُ صرفه وتخفيفه عنه ؛ لأن ذلك مسألة من العبدِ ربِّه - إن سأله - ألا يفَعَلَ ما قد أعلمه أنه لا يفَعُله به .

والوجهُ الثانى : ما في بنية المكلفِ احتمالُه ، غير أنه يَحْتَمِلُه بمشقةٍ شديدةٍ وكُلفةٍ عظيمةٍ ، مَخُوفٍ على مُكَلِّفه التَّضْيِيعُ والتَّفْرِيطُ ؛ لِغَلْظِ مِحْنَتِهِ عليه فيه ، وذلك كتكليفِ قَرُوضٍ من أصاب جسده بولٍ موضع البولِ الذى أصابه بمقراضٍ ، وكإقامة خمسين صلاةً فى اليومِ والليلىة ، وما أشبه ذلك من الأعمالِ التى وإن كانت الأبدانُ لها مُحْتَمِلَةً ؛ فإن الأغلبَ من أمرِها خوفُ التَّضْيِيعِ عليها والتَّقْصِيرِ ، فذلك هو الذى سأل المؤمنون ربَّهم ألا يُحْمَلَهُمْ ؛ ورغبوا إليه فى تخفيفه وتيسيره عليهم ؛ لأن ذلك من الأمورِ التى لو أمر اللّهُ تعالى ذكره بها عباده وتعبدهم بها كان عدلاً منه ، وتخفيفه ذلك عنهم فضلٌ منه تفضَّلَ به عليهم ، ورحمةٌ منه بهم ، فرغب المؤمنون إلى ربِّهم فى تَعَطُّفِهِ عليهم بفضله ورحمته ، وإن كانت المنزلةُ الأخرى عدلاً منه ، إذ كان فى تفضُّله عليهم التخفيفُ ، وفى عدله عليهم التشديدُ الذى لا يؤمِّنُ معه هلاكهم ^(١) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَعَفْنَا وَاعْفِرْنَا لَنَا﴾ .

وفى هذا أيضًا من قول الله جل ثناؤه خبرًا عن المؤمنين من مسألتهم إياه ذلك ،
الدلالة الواضحة أنهم سألوه تيسير فرائضه عليهم بقوله: ﴿وَلَا تُحِمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ
لَنَا بِهِ﴾ . لأنهم عقبوا ذلك بقولهم: ﴿وَأَعَفْنَا/عَنَّا﴾ . مسألة منهم ربهم أن يعفو
لهم عن تقصير إن كان منهم فى بعض ما أمرهم به من فرائضه ، فيصْفَحَ لهم عنه ،
ولا يُعَاقِبَهُم عليه ، وإن خفَّ ما كلفهم من فرائضه على أبدانهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله : ﴿وَأَعَفْنَا
عَنَّا﴾ . قال : اعْفُ عَنَا إِنْ قَصَرْنَا [٩٨/٨] عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ مِمَّا أَمَرْتَنَا بِهِ ^(١) .

وكذلك قوله : ﴿وَأَعْفِرْنَا لَنَا﴾ . يعنى : واسْتُرْ عَلَيْنَا زَلَّةً إِنْ أَتَيْنَاهَا فِيمَا بَيْنَنَا
وَبَيْنَكَ ، فَلَا تَكْشِفْهَا وَلَا تَفْضَحْنَا بِإِظْهَارِهَا .

وقد دللنا على معنى « المغفرة » فيما مضى قبل ^(٢) .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ﴿وَأَعْفِرْنَا
لَنَا﴾ : إِنْ أَنْتَهَكْنَا شَيْئًا مِمَّا نَهَيْتَنَا عَنْهُ .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَرْحَمْنَا﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : تَغَمَّدْنَا مِنْكَ بِرَحْمَةٍ تُنَجِّينَا بِهَا مِنْ عِقَابِكَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٧/١ إلى المصنف . وستأتى بقبته فيما يأتى .

(٢) تقدم فى ٧٢٠/١ ، ٧٢١ .

بِناجٍ مِنْ عِقَابِكَ أَحَدٌ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ إِياهِ دُونَ عَمَلِهِ ، وَلَيْسَتْ أَعْمَالُنَا مُنْجِيَتُنَا إِنْ أَنْتَ لَمْ تَرْحَمْنَا فَوْقُنَا لِمَا يُؤْضِيكَ عَنَا .

كما حدّثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلَى ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيْدٍ في قولِهِ : ﴿ وَأَرْحَمُنَا ﴾ . قال : يقولُ : لا ننالُ العَمَلَ بما أَمَرْتَنَا بِهِ ، ولا نَتْرُكُ ما نَهَيْتَنَا عَنْهُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ . قال : ولم يَنْجُ أَحَدٌ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ ^(١) .

القولُ في تأويلِ قولِهِ : ﴿ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ ٢٨٦ ﴾ .

يعنى بقولِهِ جَلَّ ثَناءُؤُهُ : ﴿ أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾ : أنتَ وليُّنا تليِّنا بنصركِ دُونَ مَنْ عاداكِ وكفَّرَ بِكَ ؛ لأنَّنا مُؤْمِنونَ بِكَ ومُطِيعوكِ فيما أَمَرْتَنَا ونَهَيْتَنَا ، فَأَنْتَ وليُّ مَنْ أطاعَكَ ، وعدُوٌّ مَنْ كفَّرَ بِكَ فعصاكِ ﴿ فَانصُرْنَا ﴾ ؛ لأنَّنا حِزْبُكَ ﴿ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ الذينَ جحدوا وحدانيتك ، وعبدوا الآلهةَ والأندادَ دونَكَ ، وأطاعوا في معصيتك الشيطانَ .

والمؤلى في هذا الموضعِ « المفعَلُ » ، من : ولي فلانٌ أمر فلانٍ ، فهو تليِّه وولايةٌ ، وهو وليُّه ومولاه . وإنما صارت الياءُ من « مولى » ألفاً لانفتاح اللامِ قبلها التي هى عينُ الاسمِ .

وقد ذُكرَ أنَ اللهُ جَلَّ ثَناءُؤُهُ لما أنزَلَ هذه الآيةَ على رسولِهِ ﷺ فتلاها رسولُ اللهِ ﷺ ، استجاب اللهُ له فى ذلك كلُّهُ .

ذِكْرُ الْأَخْبَارِ الَّتِي جَاءَتْ بِذَلِكَ

حدّثني المثنى بنُ إبراهيمَ ومحمدُ بنُ خليفِ العسقلانيّ ، قالوا : ثنا آدمُ العسقلانيّ ، قال : ثنا وَرْقَاءُ ، عن عطائِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جببيرِ ، عن ابنِ

عباس، قال: لما نزلت هذه الآية: [٨/٩٩] ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾. قال: قرأها رسول الله ﷺ، فلما انتهى إلى قوله: ﴿عُفْرَانَاكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾. قال الله: قد غفرت لكم. فلما قرأ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾. قال الله عز وجل: ^(١) لا أوأخذكم. فلما قرأ: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾. قال جل ثناؤه: لا أحمل عليكم. فلما قرأ: ﴿وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾. قال الله عز وجل: ^(٢) لا أحملكم. فلما قرأ: ﴿وَأَعْفُ عَنَّا﴾. قال الله عز وجل: قد عفوت عنكم. فلما قرأ: ﴿وَأَعْفِرْنَا﴾. قال الله عز وجل: قد غفرت لكم. فلما قرأ: ﴿وَأَرْحَمْنَا﴾. قال الله عز وجل: قد رحمتكم. فلما قرأ: ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. قال الله جل ثناؤه: قد نصرتكم عليهم ^(٣).

١٦٠/٣ / حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، قال: أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، قل: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾. فقال جبريل عليه السلام: قد فعل. وقال له: قل: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾. فقال جبريل عليه السلام: قد فعل. فقال: قل: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾. فقال جبريل: قد فعل. فقال: قل: ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَأَعْفِرْنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. فقال له جبريل عليه السلام: قد فعل ^(٣).

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أشباط، عن

(١ - ١) سقط من: ص، م، ١، ت، ٢، ت، ٣، س.

(٢) أخرجه أبو عوانة في مسنده ٧٦/١، والطحاوي في المشكل (١٦٣٠)، والطبراني في الأوسط (٩٣٠٨)، والبيهقي في الشعب ٤٦٣/٢ من طريق آدم به.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٨٣ - تفسير)، والبيهقي في الشعب (٢٤١٠) من طرق عن الضحاك بنحوه.

السدي أن هذه الآية حين نزلت : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ فقال له جبريل صلى الله عليهما وسلم : فعل ذلك يا محمد . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ . فقال جبريل في كل ذلك : فعل ذلك يا محمد^(١) .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا وَكِيعٌ ، و حَدَّثَنَا سَفِيَانٌ ، قال : ثنا أَبِي ، عن سُفْيَانَ ، عن آدم بن سليمان مولى خالد ، قال : سمعتُ سعيدَ بنَ جبْرِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : أنزل اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ . فقال : قد فعلتُ . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ . فقال : قد فعلتُ . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ قال : قد فعلتُ . ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ قال : قد فعلتُ^(١) .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ سليمانَ ، عن مُصْعَبِ بنِ ثابتٍ ، عن العلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ يعقوبَ ، عن أبيه ، عن أبي هريرةَ ، قال : أنزل اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ . قال أبي : قال أبو هريرةَ : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « قال اللهُ : نعم » .^(٢) ﴿ رَبَّنَا [٨ / ٩٩ ظ] وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ إلى آخر الآية . قال أبي : قال أبو هريرةَ : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « قال اللهُ عز وجل : نعم »^(٣) .^(٤)

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٧٧ إلى المصنف .

(٢) تقدم تخريجه في ص ١٣١ .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) تقدم تخريجه في ص ١٣٠ ، ١٣١ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ : ثنا أَبُو أَحْمَدَ^(١) ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَفِيَانُ ، عَنْ آدَمَ بْنِ سَلِيمَانَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قَالَ : وَيَقُولُ : قَدْ فَعَلْتُ . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ . قَالَ : وَيَقُولُ : قَدْ فَعَلْتُ . فَأُعْطِيَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ خَوَاتِيمَ سُورَةِ « الْبَقَرَةِ » ، وَلَمْ تُعْطَ الْأُمَّةُ قَبْلَهَا .

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ الْمُؤَصِّلِيُّ ، قَالَ : ثنا ابْنُ فَضِيلٍ ، قَالَ : ثنا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ عَفْرَانِكَ رَبَّنَا ﴾ . قَالَ : قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ . ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ ١٦١/٣ . قَالَ : لَا أُؤَاخِذُكُمْ . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا ﴾ . / قَالَ : لَا أُحْمِلُ عَلَيْكُمْ . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَأَعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ . قَالَ : قَدْ غَفَرْتُ عَنْكُمْ ، وَغَفَرْتُ لَكُمْ ، وَرَحِمْتُكُمْ ، وَنَصَرْتُكُمْ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ^(٢) .

وَرَوَى عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاهِمٍ أَنَّ إِجَابَةَ اللَّهِ^(٣) تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ كَانَتْ^(٤) لِلنَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُيَيْدُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ

(١) فِي ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س : « حَمِيدٌ » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٧٧/٢، ٥٧٩، ٥٨١، ٥٨٢ (٣٠٧٨، ٣٠٩٣، ٣٠٩٦) .

٣١٠٨، ٣١١٠، ٣١١٣) عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَرْبٍ بِهِ .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س .

أَخْطَأَنَا ﴿١﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ: فَإِنْ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقْرَأَهَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَهَا نَبِيَّ اللَّهِ رَبَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَأَعْطَاهَا إِيَّاهُ، فَكَانَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً^(١).

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: ثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، قَالَ: ثَنَا سَفِيَانُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ أَنْ مُعَاذًا كَانَ إِذَا فَرَّغَ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ: ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. قَالَ: آمِينَ^(٢).

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٨/١ إلى المصنف .

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١٢٥، وابن أبي شيبه ٤٢٦/٢ من طريق سفيان به، وفي إسنادهما: «عن أبي إسحاق عن رجل عن معاذ» .

وإلى هنا انتهى الجزء الثامن من المخطوط الأصل . وآخره: «آخر تفسير سورة البقرة والحمد لله رب العالمين كثيرا كما هو أهله وصلى الله على محمد وآله . تم السفر الثامن من جامع البيان عن تأويل آي الفرقان بحمد الله وعونه وصلى الله على محمد نبيه وعلى آله الطيبين وسلم تسليما يتلوه إن شاء الله أول تفسير آل عمران» . وسيجد القارئ أرقام أوراق المخطوطات ١ بين معكوفين .

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسْرٍ

أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد :

القول في تأويل قوله : ﴿ اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ﴾ .

قال أبو جعفر : قد أتينا على البيان عن معنى قوله : ﴿ اَللّٰهُ ﴾ . فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ^(١) ، وكذلك البيان عن قوله : ﴿ اَللّٰهُ ﴾ ^(٢) .

وأما معنى قوله : ﴿ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ﴾ . فإنه خبرٌ من الله عزَّ وجلَّ أخبر عباده أن الألوهة خاصةً به دون ما سواه من الآلهة والأنداد ، وأن العبادة لا تصلح ولا تجوزُ إلا له ، لانفراده بالربوبية وتوحيده بالألوهية ، وأن كلَّ ما دونه فيملكه ، وأن كلَّ ما سواه فخلقه ، لا شريك له في سلطانه وملكيه ؛ احتجاجاً منه تعالى ذكره عليهم ، بأن ذلك إذ كان كذلك ، فغيرُ جائزة لهم عبادة غيره ولا إشراك أحدٍ معه في سلطانه ، إذ كان كلُّ معبودٍ سواه فيملكه ، وكلُّ مُعَظَّمٍ غيره فخلقه ؛ وعلى المملوكِ إفرادُ الطاعةِ لمالِكِهِ ، وصرفُ خدمتهِ إلى مولاه ورازقهِ ، ومُعَرَّفًا ^(٣) مَنْ كان من خَلْقِهِ - يومَ أنزل ذلك إلى نبيِّه محمدٍ ﷺ ، بتنزيله ذلك إليه ، وإرساله به إليهم على لسانه ، صلواتُ الله عليه وسلامه - مُقيماً على عبادةِ وثْنٍ أو

(١) ينظر ما تقدم في ٢٠٤/١ - ٢٢٨ .

(٢) ينظر ما تقدم في ١٢١/١ - ١٢٤ .

(٣) في النسخ : « معرف » والصواب ما أثبتنا ، والسياق : « أخبر عباده أن الألوهة خاصة به دون ما سواه ... احتجاجاً منه ... ومعرفاً من كان من خلقه ... أنه مقيم على ضلالة » .

صنم ، أو شمسٍ أو قمرٍ ، أو إنسيٍّ أو ملكٍ ، أو غير ذلك من الأشياء التي كانت بنو آدمٍ مُقيمةً على^(١) عبادتها وإلهتها^(٢) ، ومُتخذةً^(٣) دونَ مالكه وخالقه إلهًا وربًّا أنه مُقيّمٌ على ضلالةٍ ، ومنعزلٌ عن المحجَّةِ ، وراكبٌ غيرَ السبيلِ المستقيمةِ ، بصرفه العبادة إلى غيره ، ولا أحد له الألوهةُ غيره .

وقد ذُكر أن هذه السورة ابتداءً للهِ بتنزيلِ فاتحتها ، بالذي ابتداءً به من نفي الألوهة أن تكونَ لغيره ، ووَصَفِه نفسَه بالذي وصفها به في ابتدائها ؛ احتجاجًا منه بذلك على طائفةٍ من النَّصارى قَدِمُوا على رسولِ اللهِ ﷺ من نَجْرَانَ فحاجَّوه في عيسى صلواتُ اللهِ عليه ، وأخذوا في الله ، فأنزل اللهُ عزَّ / وجلَّ في أمرهم وأمرِ عيسى من هذه السورة ، نيفًا وثلاثين آيةً من أولها ؛ احتجاجًا عليهم وعلى من كان على مثلِ مقاتلتهم لنبِيِّهِ محمدٍ ﷺ ، فأبوا إلا المقامَ على ضلالتهم وكفرهم فدعاهم إلى المباهلة^(٤) ، فأبوا ذلك وسألوا قبولَ الجزيةِ منهم ، فقبلها ﷺ منهم ، وانصرفوا إلى بلادهم . غيرَ أن الأمروان كان كذلك ، وإياهم قصَدَ بالحجاج ، فإنَّ مَنْ كان معناه من سائر الخلقِ معناه في الكفرِ بالله ، واتخاذِ ماسوى الله ربًّا وإلهًا معبودًا ، معومون بالحجَّةِ التي حجَّ اللهُ تبارك وتعالى بها من نزلتْ هذه الآياتُ فيه ، ومحجوجون في الفرقانِ الذي فرَّقَ به لرسوله ﷺ بينه وبينهم .

ذكرُ الروايةِ عن ذكرنا قوله في نزولِ افتتاحِ هذه السورة أنه نزل في
الذين وَصَفنا صِفَتَهُم من النَّصارى

حدَّثنا محمدُ بنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، قال : حدَّثني محمدُ

(١ - ١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عبادته وإلهته » .

(٢) سقط من : س ، وفي م : « متخذته » .

(٣) في س : « الإسلام » .

ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، قال : قَدِمَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وفدٌ نَجْرَانِ ، ستون راکبًا ، فيهم أربعة عشرَ رجلًا من أشرافهم ، في الأربعة عشرَ [٣٨٠/١] ثلاثة نفرٍ ، إليهم يقولُ أمرهم : العاقبُ ؛ أميرُ القومِ وذو رأيهم وصاحبُ مشورتهم ، والذي لا يصدرون إلا عن رأيهِ ، واسمُهُ عبدُ المسيح ، والسيدُ ؛ ثمَّالهم^(١) وصاحبُ رحلهم ومُجتمِعهم ، واسمُهُ الأيَّهم ، وأبو حارثة بنُ علقمة ؛ أحدُ^(٢) بكرِ بنِ وائلٍ ،^(٣) أسقفهم وخبرهم^(٤) وإمامهم وصاحبُ مدراسهم^(٥) .

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ، ودرَسَ كتبهم ، حتى حسن علمه في دينهم ، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومؤلوه وأخدموه وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ؛ لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم^(٥) .

قال ابنُ إسحاق : قال محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزبيرِ : قَدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ المدينة ، فدخلوا عليه مسجده حينَ صَلَّى العصرَ ، عليهم ثيابُ الجِبراتِ^(٦) جُبَّتْ وأرديةٌ ، في^(٧) جمالِ رجالٍ^(٧) بلحارثِ بنِ كعبٍ . قال : يقولُ بعضُ من رآهم من أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَئذٍ : ما رأينا بعدهم وفدًا مثلهم ، وقد حانت صلاتهم ، فقاموا يُصلُّون في مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعُوهم » . فَصَلُّوا إلى المَشْرِيقِ .

(١) الشمال : الغياث الذي يقوم بأمر قومه . تاج العروس (ث م ل) .

(٢) في م : « أخو » . وينظر سيرة ابن هشام ٥٧٣/١ .

(٣ - ٣) في س : « أشبيهم وخيرهم » .

(٤) المدراس : الموضع الذي يدرسون فيه كتابهم .

(٥) في م : « دينه » .

(٦) الحِبرَةُ : ضرب من برود اليمن مُنقَرَةٌ . تُجمع على : حِبرٍ وحِبراتٍ . يقال : برد حبير ، وبرد حِبرَةٌ .

(٧ - ٧) سقط من النسخ ، والمثبت من سيرة ابن هشام .

قال : وكانت تسمية الأربعة عشر منهم الذين يُقُولُ إليهم أمرهم : العاقب وهو عبدُ المسيح ، والسيدُّ وهو الأيهمُ ، وأبو حارثة بنُ علقمة أخو^(١) بكرِ بنِ وائلٍ ، وأوسُ ، والحارثُ ، وزيدُ ، وقيسُ ، ويزيدُ ، ونُبَيْةُ ، وخويلدُ ، وعمرو ، وخالدُ ، وعبدُ الله ، ويَحْنَسُ ، في ستين راکبًا ، فكَلَّمَ رسولَ اللَّهِ ﷺ منهم أبو حارثة بنُ علقمة ، والعاقبُ عبدُ المسيح ، والأَيهمُ السَّيِّدُ ، وهم^(٢) من النصرانية على دينِ الملكِ ، مع اختلافٍ من أمرهم يقولون : هو اللهُ . ويقولون : هو ولدُ اللهِ . ويقولون : هو ثالثُ ثلاثة . وكذلك قولُ النصرانية ، فهم يَحْتَجُّونَ في قولهم : هو اللهُ . بأنه كان يُحيى الموتى ، ويُبرئُ الأسقامَ ، ويُخبرُ بالغيوبِ ، ويخلقُ من الطينِ كهيئةِ الطيرِ ثم ينفُخُ فيه فيكونُ طائرًا ، وذلك كُلُّه بإذنِ اللهِ ، ليجعله آيةً للناسِ . ويَحْتَجُّونَ في قولهم : إنه ولدُ اللهِ . أنهم يقولون : لم يكنْ له أبٌ يُعَلِّمُ ، وقد تكَلَّمَ في المهيدِ ، شيءٌ^(٤) لم يَصْنَعْهُ أحدٌ من ولدِ آدمَ قبله . ويَحْتَجُّونَ في قولهم : إنه ثالثُ ثلاثة . بقولِ اللهِ عز وجل : فعلنا وأمرنا ، وخلقنا وقضينا . فيقولون : لو كان واحدًا ما قال إلا : فعلتُ وأمرتُ وقضيتُ وخلقْتُ ، ولكنه هو ، وعيسى ، ومريمُ . ففي كلِّ ذلك من / قولهم قد نزل القرآن ، وذكر اللهُ لنبِيِّهِ ﷺ فيه قولهم ، فلما كَلَّمَهُ الحَبْرَانِ ، قال لهما رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أسليما » . قال : « قد أسلمنا » . قال : « إنكما لم تُسليما ، فأسليما » . قال : « بلى ، قد أسلمنا قبلك » . قال : « كَذَّبْتُمَا ، يَمْتَعِكُمَا مِنَ الإِسْلَامِ دَعَاؤُكُمْ لِهَذَا عَزَّ وَجَلَّ وَوَلَدًا ، وعبادتُكُمَا الصَّليبِ ، وأكلُكُمَا الحَنْزِيرِ » . قال : « فمن

(١) كذا في السيرة وجميع النسخ ، وتقدم في الصفحة السابقة « أحد » . وهما واحد .

(٢) في النسخ : « ابن » . والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٣) في النسخ : « هو » . والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٤) في م : « بشيء » ، وفي السيرة : « وهذا » .

أبوه يا محمد؟ فصمت رسول الله ﷺ عنهما فلم يُجِبْهُمَا ، فأنزل الله في ذلك من قولهم ، واختلاف أمرهم كله ، صدر سورة « آل عمران » إلى بضْعِ وثمانين آيةً منها ، فقال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيمُ ﴾ . فافتتح السورة بتبئريته ^(١) نفسه تبارك وتعالى مما قالوا ، وتوحيده إياها بالخلق والأمر ، لا شريك له فيه ؛ ردًا عليهم ما ابتدَعوا من الكفر ، وجعلوا معه من الأنداد ، واحتجاجًا عليهم بقولهم في صاحبهم ، ليعرّفهم بذلك ضلالتهم ، فقال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أى ليس معه شريك في أمره ^(٢) .

حدّثني المشي ، قال : حدّثنا إسحاق ، قال : حدّثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ اَلَمْ يَلِدْ ﴾ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ . قال : إن النَّصَارَى أتوا رسول الله ﷺ فخاصّموه في عيسى ابن مريم ، وقالوا له : من أبوه ؟ وقالوا على الله الكذب والبُهتان - لا إله إلا هو ، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا - فقال لهم النبي ﷺ : « ألسنم تعلمون أنه لا يكون ولدًا إلا وهو يُشبهُ أباه ؟ » . قالوا : بلى . قال : « ألسنم تعلمون أن ربنا حتى لا يموت ، وأن عيسى يأتي عليه الفناء ؟ » . قالوا : بلى . قال : « ألسنم تعلمون أن ربنا قيّم على كل شيء ، يكلّؤه ويحفظه ويرزقه ؟ » . قالوا : بلى . قال : « فهل يملك عيسى من ذلك شيئًا ؟ » . قالوا : لا . قال : « أفلسنم تعلمون أن الله عز وجل لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ؟ » . قالوا : بلى . قال : « فهل يعلم عيسى من ذلك شيئًا إلا ما علّم ؟ » . قالوا : لا . قال : « فإن ربنا صوّر عيسى في الرّجيم كيف شاء » ^(٣) . قال : « ألسنم تعلمون أن ربنا لا يأكلُ الطعام ، ولا يشربُ

(١) في م : « بتبرئة » . وفي س ، والسيرة : « بتزيه » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٧٣ - ٥٧٦ ، وأخرجه البيهقي في الدلائل ٥/٣٨٢ من طريق يونس ، عن ابن إسحاق به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٢ إلى ابن المنذر . وسيدكر المصنف بقية مفرقة فيما سيأتي .

(٣) بعده في م : « فهل تعلمون ذلك ؟ قالوا : بلى » .

الشَّرَابِ ، وَلَا يُحَدِّثُ الْحَدِيثَ ؟ » . قالوا : بلى . قال : « أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عَيْسَى حَمَلَتْهُ امْرَأَةٌ كَمَا تَحْمِلُ الْمَرْأَةُ ، ثُمَّ وَضَعَتْهُ كَمَا تَضَعُ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا ، ثُمَّ غُدِّيَ كَمَا يُغَدِّي الصَّبِيُّ ، ثُمَّ كَانَ يَطْعَمُ الطَّعَامَ ، وَيَشْرَبُ الشَّرَابَ ، وَيُحَدِّثُ الْحَدِيثَ ؟ » . قالوا : بلى . قال : « فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟ » . قال : فعرفوا ثم أبوا إلا الجحودا ، فأنزل [٣٨١/١] اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ١ ﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿ ١ ﴾ .

القول في تأويل قوله : ﴿ ٢ ﴾ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿ ٢ ﴾ .

اختلفت القراءة في ذلك ؛ فقرأته قراءة الأمصار : ﴿ ٢ ﴾ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿ ٢ ﴾ .

وقرأ ذلك عمر بن الخطاب وابن مسعود ، فيما ذكر عنهما : (الحي القيوم) ^(١) .

وذكر عن علقمة بن قيس أنه كان يقرأ : (الحي القيوم) .

حدثنا بذلك أبو كريب ، قال : حدثنا عثام بن علي ، قال : حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، قال : سمعتُ علقمة يقرأ : (الحي القيوم) . قلت : أنت سمعته ؟ قال : لا أدري ^(٢) .

/ حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : حدثنا وكيع ، قال : حدثنا الأعمش ، عن ١٦٤/٣ إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن علقمة مثله .

وقد روى عن علقمة خلاف ذلك ، وهو ما حدثنا أبو هشام ، قال : حدثنا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٥/٢ (٣١٢٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) تنظر قراءة عمر في فضائل القرآن لأبي عبيد ص ١٦٨ ، وسنن سعيد بن منصور (٤٨٦ - تفسير) ، وقراءة ابن مسعود في سنن سعيد بن منصور (٤٨٩ - تفسير) ، والمعجم الكبير (٨٦٩٠) ، والمصاحف لابن أبي داود ص ٥٩ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢ إلى المصنف وابن الأنباري .

عبدُ اللهِ ، قال : حَدَّثَنَا شَيْبَانُ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيم ، عن أبي معمرٍ ، عن عَلْقَمَةَ أنه قرأ : (الْحَى الْقَيُّومُ)^(١) .

والقراءةُ التي لا يجوزُ غيرها عندنا في ذلك ما جاءت به قراءةُ المسلمين نقلًا مستفيضًا ، عن غيرِ تشاغرٍ^(٢) ولا تواطؤٍ ، وراثَةً ، وما كان مُثَبِّتًا في مصاحفِهِمْ ؛ وذلك قراءةً من قرأ : ﴿ الْحَى الْقَيُّومُ ﴾ .
القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ الْحَى ﴾ .

اختلفَ أهلُ التأويلِ في معنى قوله : ﴿ الْحَى ﴾ ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك من الله تعالى ذكره أنه وَصَفَ نفسه بالبقاءِ ، ونفى الموتَ الذي يجوزُ على مَنْ سواه من خلقه عنها .

ذكرُ من قال ذلك

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ بْنُ الْفَضْلِ ، قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ الْحَى ﴾ : الذي لا يموتُ ، وقدمات عيسى وُضِلِبَ في قولِهِمْ . يعنى في قولِ الأخبارِ الذين حاجُّوا رسولَ اللهِ ﷺ من نصارى أهلِ نَجْرَانَ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قال : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبِيعِ : ﴿ الْحَى ﴾ . قال : يقولُ : حَى لا يموتُ^(٤) .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢ إلى المصنف وابن الأبارى .

(٢) فى م : « تشاغر » .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٧٦/٢ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٨٦/٢ (٢٥٧١) من طريق ابن أبى جعفر به .

وقال آخرون : معنى « الحَيِّ » الذى غناه الله عزَّ وجلَّ فى هذه الآية ، ووصف به نفسه ، أنه المُتَّيِّسِرُ له تدبيرُ كلِّ ما أراد وشاء ، لا يمتنع عليه شيءٌ أرادَه ، وأنه ليس كمن لا تدبيرَ له من الآلهةِ والأندادِ .

وقال آخرون : معنى ذلك أن له الحياةَ الدائمةَ التى لم تزلْ له صفةً ، ولا تزالُ كذلك . وقالوا : إنما وصف نفسه بالحياة لأن له حياةً ، كما وصفها بالعلم لأن لها علماً ، وبالقدرة لأن لها قدرةً .

ومعنى ذلك عندى أنه وصف نفسه بالحياة الدائمة التى لا فناء لها ولا انقطاع ، ونفى عنها ما هو حالُّ بكلِّ ذى حياةٍ من خلقه ؛ من الفناء وانقطاع الحياة عند مجيئه أجله ، فأخبر عباده أنه المستوجبُ على خلقه العبادة والألوهة ، والحَيُّ الذى لا يموت ولا يبيدُ ، كما يموتُ كلُّ من اتَّخَذَ من دونه ربًّا ، ويبيدُ كلُّ من ادَّعى من دونه إلهًا ، واحتجَّ على خلقه بأنَّ من كان يبيدُ فيزولُ ويموتُ فيفنى ، فلا يكونُ إلهًا يستوجبُ أن يُعبَدَ دونَ الإله الذى لا يبيدُ ولا يموتُ ، وأنَّ الإله هو الدائمُ الذى لا يموتُ ولا يبيدُ ولا يفنى ، وذلك الله الذى لا إله إلا هو .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ الْقَيُّومُ ﴾ .

قد ذكرنا اختلافَ القراءة فى ذلك ، والذى نختارُ منه ، وما العلةُ التى من أجلها اخترنا ما اخترنا من ذلك .

فأمَّا تأويلُ جميعِ الوجوهِ التى ذكرنا أن القراءةَ قرأتُ بها ، فمفتقارُ ، ومعنى ذلك كله : القَيُّومُ بحفظِ كلِّ شيءٍ ورزقه وتدبيره ، وتصريفه فيما شاء وأحبَّ ، من تغييرٍ وتبديلٍ ، وزيادةٍ ونقصٍ .

/ كما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ١٦٥/٣

ابن ميمون ، قال : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ اَلْحَيُّ اَلْقَيُّومُ ﴾ . قال : القائمُ على كلِّ شَيْءٍ ^(١) .

حَدَّثَنِي المُنْثَى ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو حذيفةَ ، قال : حَدَّثَنَا شُبْلٌ ، عن ابنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ مثله ^(٢) .

حَدَّثَنِي المُنْثَى ، قال : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قال : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبِيعِ : ﴿ اَلْقَيُّومُ ﴾ : قَيِّمٌ على كلِّ شَيْءٍ ؛ يَكْلُؤُهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَرْزُقُهُ ^(٣) .

وقال آخرون : معنى ذلك : الْقِيَامُ على مكانه . ووجَّهوه إلى القيامِ الدائمِ ، الذى لا زوالَ معه ولا انتقالَ ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا نَفَى عن نفسه - بَوْصِفِهَا بذلك - التَغْيِيرَ وَالتَّنْقُلَ من مكانٍ إلى مكانٍ ، وحدثَ التبدُّلِ الذى يَحْدُثُ فى الأدميينِ وسائرِ خلقه غيرِهِم .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عن محمدٍ ^(٤) بنِ إِسْحَاقَ ، عن محمدِ بنِ جَعْفَرِ بنِ الرَّبِيعِ : ﴿ اَلْقَيُّومُ ﴾ : الْقِيَامُ على مكانه ، مَنْ سُلْطَانُهُ فى خَلْقِهِ لا يَزُولُ ، وقد زال عيسى فى قولِهِم - يعنى فى قولِ الأَحْبَارِ الذين حَاجُّوا النَّبِيَّ ﷺ من أَهْلِ نَجْرَانَ فى عيسى - عن مكانه الذى كان به ، وَذَهَبَ عَنْهُ إِلَى غيرِهِ ^(٥) .

وأولى التَّأْوِيلِينَ بِالصَّوَابِ ما قاله مجاهدٌ والرَّبِيعُ ، وَأَنَّ ذَلِكَ وَصِفٌ مِنَ اللَّهِ

(١) تفسير مجاهد ص ٢٤٨ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٨٦/٢ (٢٥٧٣) .

(٢) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٩٦) من طريق أبى حذيفة به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٨٦/٢ (٢٥٧٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) فى النسخ : « عمر » .

(٥) سيرة ابن هشام ١/٥٧٦ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٨٦/٢ (٣١٢٩) من طريق ابن إسحاق قوله .

تعالى ذكره نفسه بأنه القائم بأمر كل شئ في رزقه والدفع عنه ، وكلائه وتدييره ،
وصرفه في قدرته ، من قول العرب : فلان قائم بأمر هذه البلدة . تعنى بذلك : المتولى
تدبير أمرها . [٣٨١/١] فـ « القِيَوْمُ » - إذ كان ذلك معناه - « الفَيْعُولُ » ، من قول
القائل : الله يقوم بأمر خلقه . وأصله « القَيْوُومُ » ، غير أن الواو الأولى من
« القَيْوُومِ » ، لما سبقتها ياء ساكنة وهى متحرّكة ، قُلِبَتْ ياءً ، فُجِعِلَتْ هى والياء التى
قبلها ياءً مشددة ؛ لأن العرب كذلك تفعل بالواو المتحرّكة إذا تقدّمها ياءً ساكنة .
وأما « القِيَامُ » ، فإن أصله « القَيْوَامُ » ، وهو « الفَيْعَالُ » ، من : قام يقوم ،
سَبَقَتْ الواو المتحرّكة من « قِيَامٍ » ياءً ساكنة ، فُجِعِلْنَا جميعًا ياءً مشددة .

ولو أن القَيْوَمَ « فَعُولٌ » ، كان « الْقَوُومَ » ، ولكنه « الفَيْعُولُ » . وكذلك
« القِيَامُ » لو كان « الفَعَالُ » لكان « الْقَوَامَ » ، كما قيل : الصَّوَامُ والقَوَامُ . وكما قال
جل ثناؤه : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ [المائدة : ٨] . ولكنه
« الفَيْعَالُ » ، فقال : القِيَامُ .

وأما « القِيمُ » فهو « الفَيْعِلُ » ، من : قامَ يقوم ، سَبَقَتْ الواو المتحرّكة ياءً
ساكنة ، فُجِعِلْنَا ياءً مُشددة ، كما قيل : فلان سيّد قومه . من : سادَ يسودُ ، وهذا
طعام جيّد ، من : جادَ يجودُ ، وما أشبه ذلك .

وإنما جاء ذلك بهذه الألفاظ ؛ لأنه قصد به قصد المبالغة فى المدح ، فكان
« القَيْوَمُ » و « القِيَامُ » و « القِيمُ » أبلغ فى المدح من القائم . وإنما كان عمر رضى الله
عنه يختار قراءته ، إن شاء الله ؛ لأن ذلك الغالب على منطقي أهل الحجاز ،
فى ذوات الثلاثة من الياء والواو ، فيقولون للرجل الصَّوَاغ : الصَّيَاغُ . ويقولون
للرجل الكثير الدَّورَانِ : الدَّيَارُ . وقد قيل : إن قول الله جل ثناؤه : ﴿ لَا نَذَرُ عَلَى
الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] . إنما هو : « دَوَارًا » ، « فَعَالًا » ، من : دارَ

يُدَوِّرُ . وَلَكِنَّهَا نَزَلَتْ بِلُغَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ ، وَأَقْرَبَتْ كَذَلِكَ فِي الْمَصْحَفِ .

/ الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ .

١٦٦/٣

يقول جل ثناؤه : يا محمد ، إن ربك ورب عيسى ورب كل شيء ، هو الرب الذي أنزل عليك الكتاب ، يعني بـ « الكتاب » : القرآن ، ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ يعني بالصدق فيما اختلف فيه أهل التوراة والإنجيل ، وفيما خالفك فيه مُحاجُّوك من نصارى أهل نجران ، وسائر أهل الشرك غيرهم ، ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ ، يعني بذلك القرآن أنه مُصَدِّقٌ لما كان قبله من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه ورسله ، ومُحَقِّقٌ ما جاءت به رسل الله من عنده ؛ لأنَّ مُنَزَّلَ جميع ذلك واحدٌ ، فلا يكون فيه اختلافٌ ، ولو كان من عند غيره لكان فيه اختلافٌ كثيرٌ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . قَالَ : لِمَا قَبْلَهُ مِنْ كِتَابِ أَوْ رَسُولِ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَبْلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ : لِمَا قَبْلَهُ مِنْ كِتَابِ أَوْ رَسُولٍ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ أَى :

(١) تفسير مجاهد ص ٢٤٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٧/٢ (٣١٣٥) .

بِالصِّدْقِ فِيمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ ^(١) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ يَقُولُ : الْقُرْآنَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ قَبْلَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ : يَقُولُ : مُصَدِّقًا لِمَا قَبْلَهُ مِنْ كِتَابٍ وَرَسُولٍ ^(٣) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ ^(٤) مِنْ قَبْلِ هُدَى النَّاسِ ﴿ .

يعنى بذلك جَلَّ ثَنَاؤُهُ : وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ، وَالْإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى ، ﴿ مِنْ قَبْلِ ﴾ . يَقُولُ : مِنْ قَبْلِ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَهُ عَلَيْكَ .

ويعنى بقوله : ﴿ هُدَى لِّلنَّاسِ ﴾ : بَيَانًا لِلنَّاسِ مِنَ اللَّهِ فِيمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ ، وَتَصْدِيقِ رَسَلِهِ ، وَنَعْتِكَ ^(٤) يَا مُحَمَّدُ بِأَنَّكَ نَبِيُّ وَرَسُولِي ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ دِينِ اللَّهِ .

كَمَا حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ ^(٤) مِنْ قَبْلِ هُدَى لِّلنَّاسِ ﴿ : هُمَا كِتَابَانِ أَنْزَلَهُمَا اللَّهُ ، فِيهِمَا بَيَانٌ

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٧٦ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٥٨٧ (٣١٣٢) من طريق يزيد به مختصراً ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٥٨٧ ، عقب الأثر (٣١٣٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) سقط من س ، وفي ص : « حفيك » ، وفي م : « مفيداً » ، وفي ت ١ ، ت ٢ : « حفيد » والمثبت أقرب إلى الصواب .

من الله ، وعِصْمَةٌ لمن أَخَذَ به ، وصدَّقَ به ، وعَمِلَ بما فيه ^(١) .

١٦٧/٣ / حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ
ابنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ : التوراة على موسى ، والإنجيل على
عيسى ، كما أنزل الكتب على من كان قبله ^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بذلك : وأنزل الفصل بين الحق والباطل فيما اختلفت فيه
الأحزاب وأهل الملل في أمر عيسى وغيره .

وقد بيّنا فيما مضى أن الفرقان إنما هو الفعلان ، من قولهم : فرق الله بين الحق
والباطل ؛ يفصل بينهما بنصره الحق على الباطل ، إمّا بالحجة البالغة ، وإمّا بالقهر
والغلبة بالأيد والقوة ^(٣) .

وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، غير أن بعضهم وجه تأويله إلى أنه فصل بين الحق
والباطل في أمر عيسى ، وبعضهم إلى أنه فصل بين الحق والباطل في أحكام الشرائع .

ذكر من [٣٨٢/١] قال : معناه : الفصل بين الحق والباطل

في أمر عيسى والأحزاب

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ
ابنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ . أى : الفصل بين الحق والباطل ، فيما اختلف فيه

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٨/٢ (٣١٤١ ، ٣١٤٢) من طريق شيبان ، عن قتادة به ، وعزاه
السيوطي في الدر المنثور ٣/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) في م : « قبلهما » . والأثر في سيرة ابن هشام ٥٧٦/١ .

(٣) ينظر ما تقدم في ٩٣/١ وما بعدها .

الأحزاب من أمر عيسى وغيره^(١) .

ذكر من قال : معنى ذلك : الفصل بين الحق والباطل في الأحكام وشرائع الإسلام

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدٌ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ : هو القرآنُ ، أنزله على محمدٍ ، وفرق به بين الحق والباطلِ ، فأحلَّ فيه حلاله ، وحرَّم فيه حرامه ، وشرَّع فيه شرائعه ، وحدَّ فيه حدوده ، وفرض فيه فرائضه ، ويبيِّن فيه بيانه ، وأمر بطاعته ، ونهى عن معصيته^(٢) .

حدَّثني المنثي ، قال : حدَّثنا إسحاقٌ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ . قال : الفرقانُ القرآنُ ، فرق بين الحق والباطلِ^(٣) .

والتأويلُ الذي ذكرناه عن محمد بن جعفر بن الزبير في ذلك أولى بالصحة من التأويل الذي ذكرناه عن قتادة والربيع ، وأن يكون معنى الفرقان في هذا الموضع فصل الله بين نبيه محمد ﷺ والذين حاجوه في أمر عيسى وفي غير ذلك من أموره ، بالحجة البالغة القاطعة عذرهم وعذر نظرائهم من أهل الكفر بالله .

وإنما قلنا : هذا القول أولى بالصواب ؛ لأن إخبار الله عن تنزيله القرآن قبل إخباره عن تنزيله التوراة والإنجيل في هذه الآية ، قد مضى بقوله : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . ولا شك أن ذلك الكتاب هو القرآن لا غيره ، فلا

(١) سيرة ابن هشام ٥٧٦/١ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٨/٢ (٣١٤٦) من طريق شيبان ، عن قتادة ، وعزاه السيوطي في الدرر ٣/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٨/٢ (٣١٤٥) من طريق ابن أبي جعفر به .

وَجَهَ لِتَكَرِيرِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، إِذْ لَا فَائِدَةَ فِي تَكَرِيرِهِ ، لَيْسَتْ فِي ذِكْرِهِ إِيَّاهُ وَخَبْرِهِ عَنْهُ ابْتِدَاءً .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ .

يعنى بذلك جَلَّ ثَنَاؤُهُ : إن الذين جَحَدُوا أَعْلَامَ اللَّهِ وَأَدْلَتَهُ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَالْوَهْيَةِ ، وَأَنْ عَيْسَى عَبْدٌ لَهُ ، وَاتَّخَذُوا الْمَسِيحَ إِلَهًا وَرَبًّا ، أَوْ ادَّعَوْهُ لِلَّهِ وَلَدًا ، لَهُمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ شَدِيدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

و « الَّذِينَ كَفَرُوا » : هُمُ الَّذِينَ جَحَدُوا آيَاتِ اللَّهِ . و « آيَاتُ اللَّهِ » : أَعْلَامُ اللَّهِ وَأَدْلَتُهُ وَحُجَجُهُ .

١٦٨/٣ / وهذا القولُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُنْبِئُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ . أَنَّهُ مَعْنَى بِهِ الْفَصْلُ^(١) الَّذِي هُوَ حُجَّةٌ لِأَهْلِ الْحَقِّ عَلَى أَهْلِ الْبَاطِلِ ؛ لِأَنَّهُ عَقَّبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ . يَعْنِي : إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا ذَلِكَ الْفَصْلَ وَالْفُرْقَانَ الَّذِي أَنْزَلَهُ فَرَقًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْمُبْطِلِ ، ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ وَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ لِمَنْ عَانَدَ الْحَقَّ بَعْدَ وُضُوحِهِ لَهُ ، وَخَالَفَ سَبِيلَ الْهُدَى بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ عَزِيزٌ فِي سُلْطَانِهِ ، لَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ مِمَّنْ أَرَادَ عَذَابَهُ مِنْهُمْ ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَائِلٌ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَانِدَهُ فِيهِ أَحَدٌ ، وَأَنَّهُ ذُو انْتِقَامٍ مِمَّنْ جَحَدَ حُجَجَهُ وَأَدْلَتَهُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا عَلَيْهِ ، وَبَعْدَ وُضُوحِهَا لَهُ وَمَعْرِفَتِهِ بِهَا .

وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ

(١) بعده في النسخ : « عن » . ولا يستقيم بها الكلام .

جعفر بن الزبير : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو
 أَنْتِقَامٍ ﴾ . أى : إن الله منتقم من كفر بآياته ، بعد علمه بها ، ومعرفته بما جاء منه
 فيها ^(١) .

حدثنى المشئى ، قال : حدثننا إسحاق ، قال : حدثننا ابنُ أبى جعفر ، عن أبيه ، عن
 الربيع : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو أَنْتِقَامٍ ﴾ ^(٢) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
 السَّمَاءِ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الله لا يخفى عليه شيء هو فى الأرض ، ولا شيء
 هو فى السماء ، يقول : فكيف يخفى علىّ يا محمد ، وأنا علام ^(٣) جميع الأشياء ،
 ما يضاهى به هؤلاء الذين يُجادلونك فى آياتِ الله من نصارى نجران فى عيسى ابن
 مريم ، فى مقالتيهم التى يقولونها فيه ؟

كما حدثننا ابنُ حميد ، قال : حدثننا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
 محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ .
 أى : قد علم ما يُريدون وما يكيّدون وما يضاهون بقولهم فى عيسى ، إذ جعلوه ربّاً
 وإلهًا ، وعندهم من علمه غير ذلك ، غرّة بالله وكفراً به ^(٤) .

(١) سيرة ابن هشام ٥٧٦/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٨٩/٢ (٣١٥٣) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٢) هكذا فى النسخ ، لم يذكر المصنف نص الأثر ، وسيتكرر ذلك فيما سيأتى ، والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٨٩/٢ (٣١٤٩) من طريق ابن أبى جعفر به بلفظ : يعنى النصارى .

(٣ - ٣) فى س : « الغيوب » .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٦/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٠/٢ (٣١٥٥) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

القول في تأويل قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : الله الذي يُصَوِّرُكم فيجعلكم صُورًا أشباها في أرحام أمهاتكم كيف شاء وأحب ، فيجعل هذا ذكرا وهذا أنثى ، وهذا أسود وهذا أحمر . يُعْرِفُ عباده بذلك أن جميع من اشتملت عليه أرحام النساء فممن ^(١) صَوَّرَهُ وخلقهُ كيف شاء ، وأن عيسى ابن مريم من صَوَّرَهُ في رَحِمِ أمه ، وخلقهُ فيها كيف شاء وأحب ، وأنه لو كان إلها لم يكن ممن اشتملت عليه رَحِمُ أمه ؛ لأنَّ خَلْقَ ما في الأرحام لا تكون الأرحام عليه مشتملة ، وإنما تشتمل على المخلوقين .

كما حدَّثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ : قد كان عيسى من صَوَّرَ في الأرحام ، لا يدفَعون [٣٨٢/١] ذلك ولا يُنْكِرُونَهُ ، كما صَوَّرَ غيره من بنى آدم ، فكيف يكون إلها وقد كان بذلك المنزل ؟ ^(٢)

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ . أى : أنه صَوَّرَ عيسى في الرَّحِمِ كيف شاء ^(٣) .

وقال آخرون في ذلك ما حدَّثنا به موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدّي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ . قال : إذا وَقَعَتِ النطفة في

(١) في م : « ممن » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٧٦/١ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٠/٢ (٣١٥٧) من طريق ابن أبي جعفر به .

الأرحام ، طارت في الجسد أربعين يوماً ، ثم تكون علقة أربعين يوماً ، ثم تكون مضغة أربعين يوماً ، فإذا بلغ أن يُخلَق ، بعث الله ملكاً يصوِّرُها ، فيأتى الملكُ بترابٍ بين إصبعيه ، فيخلطه في المضغة ، ثم يعجنه بها ، ثم يصوِّرُها كما يؤمر ، فيقول : أذكر أو أنسى ؟ أشقى أو سعيد ؟ وما رزقه ؟ وما عمره ؟ وما أثره ؟ وما مصائبه ؟ فيقول الله ، ويكتب الملك ، فإذا مات ذلك الجسد ، دُفن حيث أخذ ذلك التراب^(١) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ : قادرٌ والله ربنا أن يصوِّرَ عباده في الأرحام كيف يشاء ؛ من ذكرٍ أو أنثى ، أو أسود أو أحمر ، تامٌ خلقه وغير تام^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

وهذا القول تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه أن يكون له في ربوبيته ندٌّ أو مثلٌ ، أو أن تجوز الألوهة لغيره ، وتكذيب منه للذين قالوا في عيسى ما قالوا ، من وفد نجران الذين قدّموا على رسول الله ﷺ ، وسائر من كان على مثل الذي كانوا عليه من قولهم في عيسى ، ولجميع من ادّعى مع الله معبوداً ، أو أقرُّ برُبوبيته غيره . ثم أخبر جل ثناؤه خلقه بصفته ، وعيِّداً منه لمن عبده غيره ، أو أشرك في عبادته أحداً سواه ، فقال : هو العزيز الذي لا ينصرُ من أراد الانتقام منه أحدٌ ، ولا يُنجاه منه وألٌ ولا لجأ^(٣) ، وذلك لعزته التي يذلُّ لها كلُّ مخلوق ، ويخضع لها كلُّ موجود . ثم أعلمهم أنه

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٢ إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٠/٢ (٣١٥٦) من طريق عمرو به من قول السدي . وأصل الحديث في البخاري (٣٢٠٨) ، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود مرفوعاً .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٠/٢ ، ٥٩١ (٣١٥٩) من طريق شيبان ، عن قتادة نحوه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) الوأل والموئل : الملجأ . واللجأ والوأل بمعنى . اللسان (ل ج أ ، و أ ل) .

الحكيم في تدبيره ، وإعذاره إلى خلقه ، ومتابعة حُججه عليهم ؛ ليَهلك من هلك منهم عن يئنة ، ويخيا من حي عن يئنة .

كما حدثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : ثم قال - يعنى الربَّ عزَّ وجلَّ - إنزأها لنفسه ، وتوحيداً لها مما جعلوا معه : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . قال : العزيزُ في نُصرتِه ^(١) ممن كفر به إذا شاء ، والحكيم في عُذره وحُجته إلى عباده ^(٢) .

١٧٠/٣ / حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . يقول : عزيزٌ في نِقْمته ، حكيمٌ في أمره ^(٣) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ .

يعنى بقوله جلَّ ثناؤه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ أن الله الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء هو الذى أنزل عليك الكتاب . يعنى بالكتابِ القرآن . وقد أثبتنا على البيانِ فيما مضى عن السببِ الذى من أجله سُمى القرآنُ كتاباً ، بما أَعْنَى عن إعادته فى هذا الموضع ^(٤) .

وأما قوله : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ . فإنه يعنى : من الكتابِ آياتٌ . يعنى بالآياتِ آياتِ القرآنِ . وأما المحكماتُ ، فإنهنَّ اللواتى قد أُحْكِمْنَ بالبيانِ والتفصيلِ ،

(١) كذا فى النسخ ، وعند ابنِ أبى حاتم : يريد : « فى انتصاره من كفر » . كما فى سيرة ابن هشام .
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٦ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩١/٢ (٣١٦١ ، ٣١٦٣) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .
(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩١/٢ (٣١٦٢ ، ٣١٦٤) من طريق ابن أبى جعفر ، عن أبى العالية قوله .
(٤) ينظر ما تقدم فى ١/ ٨٩ ، ٩٥ ، ٩٦ .

وَأُتِبَتْ مُحَجَّجَهُنَّ وَأَدْلَتْهُنَّ عَلَى مَا جُعِلْنَ أَدْلَةٌ عَلَيْهِ ؛ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ ، وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ ، وَثَوَابٍ وَعِقَابٍ ، وَأَمْرٍ وَرَجْرٍ ، وَخَيْرٍ وَمَثَلٍ ، وَعِظَةٍ وَعِيبٍ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .
 ثُمَّ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ الْحِكْمَاتِ بِأَنَّهُنَّ أُمَّ^(١) الْكِتَابِ ، يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُنَّ أَسْلُ الْكِتَابِ الَّذِي فِيهِ عِمَادُ الدِّينِ وَالْفَرَائِضُ وَالْحُدُودُ ، وَسَائِرُ مَا بِالْخَلْقِ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ ، وَمَا كُفِّفُوا مِنَ الْفَرَائِضِ^(٢) وَالْحُدُودِ ، وَسَائِرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ^(٣) فِي عَاجِلِهِمْ وَآجِلِهِمْ ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ لِأَنَّهُنَّ مُعْظَمُ الْكِتَابِ ، وَمَوْضِعُ مَفْرَعِ أَهْلِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ الْعَرَبُ ، تُسَمَّى الْجَامِعَ مُعْظَمَ الشَّيْءِ أُمَّةً لَهُ ، فَتُسَمَّى رَايَةَ الْقَوْمِ الَّتِي تَجْمَعُهُمْ فِي الْعَسَاكِرِ أُمَّةً ، وَالْمُدَبِّرَ مُعْظَمَ أَمْرِ الْقَرْيَةِ وَالْبَلَدَةِ أُمَّةً . وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِيمَا مَضَى بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ^(٤) .

وَوَحْدَ ﴿ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾ ، وَلَمْ يَجْمَعْ فَيَقُولَ : هُنَّ أُمَّةَاتُ الْكِتَابِ . وَقَدْ قَالَ : ﴿ هُنَّ ﴾ ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ : جَمِيعَ الْآيَاتِ الْحِكْمَاتِ أُمَّ الْكِتَابِ . لِأَنَّ كُلَّ آيَةٍ مِنْهُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ آيَةٍ مِنْهُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ، لَكَانَ لَا شَكَّ قَدْ قِيلَ : هُنَّ أُمَّةَاتُ الْكِتَابِ . وَنَظِيرُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾ - عَلَى التَّأْوِيلِ الَّذِي قُلْنَا فِي تَوْحِيدِ الْأُمَّةِ ، وَهِيَ خَيْرٌ^(٥) لِـ ﴿ هُنَّ ﴾^(٦) - قَوْلُهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ : ٥٠] . وَلَمْ يَقُلْ : آيَتَيْنِ . لِأَنَّ مَعْنَاهُ : وَجَعَلْنَا جَمِيعَهُمَا آيَةً . إِذْ كَانَ الْمَعْنَى^(٧) وَاحِدًا فِيمَا جُعِلَا^(٨) فِيهِ لِلْخَلْقِ عِبْرَةً ، وَلَوْ كَانَ مَرَادُهُ الْخَيْرَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى انْفِرَادِهِ بِأَنَّهُ جُعِلَ لِلْخَلْقِ عِبْرَةً ، لَقِيلَ : وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ

(١) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ٢ : « مِنْ » ، وَفِي م : « هُنَّ أُمَّ » .

(٢) (٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ ، ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٣) يَنْظُرُ مَا تَقَدَّمَ فِي ١ / ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٤) (٤ - ٤) فِي ص ، س ، ت ، ١ ، ت ٢ : « لَهُمْ » .

(٥) (٥ - ٥) فِي م : « وَاحِدَاتُهُمَا جَعَلْنَا » .

وأُمَّهُ آيَتَيْنِ . لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِهَمِّ عِبْرَةٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَرِيَمَ وُلِدَتْ مِنْ غَيْرِ رَجُلٍ ، وَنَطَقَ ابْنُهَا ، فَتَكَلَّمُ فِي الْمَهْدِ صَبِيئًا ، فَكَانَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلنَّاسِ آيَةٌ .

وقد قال بعض نحويي البصرة : إنما قيل : ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾ . ولم يُقَلْ : هُنَّ

أمهات الكتاب . على وجه / الحكاية ، كما يقول [٣٨٣/١] الرجل : ما لي أنصارًا . ١٧١/٣

فتقول : أنا أنصارك . أو : ما لي نظيرٌ . فتقول : نحن نظيرك . قال : وهو شبيهه : دَعْنِي مِنْ تَمْرَتَانِ . وَأَنْشُدْ لِرَجُلٍ مِنْ قَفْعَسٍ ^(١) :

تَعَرَّضْتُ لِي «بِمَكَانٍ حَلٍّ» ^(٢)

تَعَرَّضَ الْمُهْرَةَ فِي الطُّوَلِ ^(٣)

تَعَرَّضًا لَمْ تَأَلْ عَن «قَتْلًا لِي» ^(٤)

«قَتْلًا لِي» ^(٥) ، يَحْكِي بِهِ عَلَى الْحِكَايَةِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مَنْصُوبًا قَبْلَ ذَلِكَ ، كَمَا

يقول : نُودِيَ : الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ ، يَحْكِي قَوْلَ الْقَائِلِ : الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ . وَقَالَ : قَالَ

(١) هو منظور بن مرثد الفقعسي الأسدي ، ويعرف بـ : منظور بن حبة . وحبة أمه . والرجز في مجالس ثعلب ٦٠٢ / ٢ ، واللسان (ط و ل ، ق ت ل ، ع ر ض) .

(٢ - ٢) في ت ١ ، ت ٢ : «بِمَكَانٍ خَلِيٍّ» . وفي المجالس : «بِمَجَازٍ حَلٍّ» ، وفي اللسان : «بِمَكَانٍ حَلٍّ» . ومكان الحَلِّ : مكان الحلول والنزول . وينظر اللسان (ح ل ل) .

(٣) الطُّوَلُ : حبل طويل تشد به قائمة الدابة ، وقيل : هو الحبل تشد به ويمسك صاحبه بطرفه ويرسلها ترعى . وشدد الراجز الطُّوَلُ للضرورة . اللسان (ط و ل) .

(٤ - ٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ : «قتال» ، وفي اللسان : «قتل لي» ، وفي المجالس واللسان (ط و ل ، ق ت ل) «قَتْلِيٍّ» كأنه أدغم «قتل لي» ، ولا شاهد في كل ذلك . قال في اللسان : ويروى : «عن قتلاً لي» على الحكاية ، أي : عن قولها : قتلاً له .

والرواية التي أشار إليها صاحب اللسان هي رواية سر صناعة الإعراب ، كما ذكر ذلك محقق المجالس .

(٥ - ٥) في النسخ : «كل أي» ، وهي عبارة مضطربة ، ولعلها تحريف ما أثبتناه ، إذ لا يخفى أن الكلام منصب على مجيء «قتلاً» . على وجه الحكاية .

بعضُهم : إنما هي : أَنْ قَتَلَا لِي . وَلَكِنَّهُ جَعَلَهُ «عَيْنًا» ^(١) ؛ لِأَنَّ «أَنْ» فِي لُغَتِهِ تُجْعَلُ مَوْضِعَهَا «عَنْ» ، وَالنَّصْبُ عَلَى الْأَمْرِ ، كَأَنَّكَ قُلْتَ : ضَرْبًا لَزِيدٍ .

وهذا قولٌ لا معنى له ؛ لِأَنَّ كُلَّ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ الَّتِي اسْتَشْهَدَهَا ^(٢) ، لَا شَكَّ أَنَّهُنَّ حِكَايَاتٌ حَاكِيهِنَّ ^(٣) بِمَا حَكَى عَنْ قَوْلِ غَيْرِهِ وَأَلْفَاظِهِ الَّتِي نَطَقَ بِهِنَّ ، وَأَنْ مَعْلُومًا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَحْكُ عَنْ أَحَدٍ قَوْلَهُ : أُمُّ الْكِتَابِ . فَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ : أَخْرَجَ ذَلِكَ مُخْرَجَ الْحِكَايَةِ عَمَّنْ قَالَ ذَلِكَ كَذَلِكَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَأَخْرَجَ ﴾ فَإِنَّهَا جَمْعُ أُخْرَى ^(٤) .

ثم اختلف أهل العربية في العلة التي من أجلها لم يُصْرَفْ «أَخْرَجَ» ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَمْ يُصْرَفْ «أَخْرَجَ» ^(٥) ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا نَعَتْ ، وَاحْدَتُهَا «أُخْرَى» ، كَمَا لَمْ تُصْرَفْ «جَمَعَ» وَ «كُتِبَ» ؛ لِأَنَّهِنَّ نُعُوتٌ .

وَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّمَا لَمْ تُصْرَفِ «الْأَخْرَجَ» ؛ لِزِيَادَةِ الْبَاءِ الَّتِي فِي وَاحِدَتِهَا ، وَأَنْ جَمَعَهَا مَبْنِيٌّ عَلَى وَاحِدِهَا فِي تَرْكِ الصَّرْفِ . قَالُوا : وَإِنَّمَا تَرِكَ صَرْفُ «أُخْرَى» ، كَمَا تَرِكَ صَرْفُ «حَمَاءَ» وَ «بِيضَاءَ» فِي النُّكْرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ ؛ لِزِيَادَةِ الْمُدَّةِ فِيهَا وَالْهَمْزَةُ بِالْوَاوِ ^(٦) ، ثُمَّ افْتَرَقَ جَمْعُ «حَمَاءَ» وَ «أُخْرَى» ، فَبُنِيَ جَمْعُ «أُخْرَى» عَلَى وَاحِدَتِهِ ،

(١) فِي م : «عَنْ» .

(٢) فِي م : «اسْتَشْهَدَ بِهَا» .

(٣) فِي م : «حَالَتِهِنَّ» .

(٤) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ٢ : «أَخْرَجَ» .

(٥) سَقَطَ مِنْ : ص ، ت ، ١ .

(٦) الضمير في كلمة «فيها» يرجع إلى «حمراء وبيضاء» ؛ إذ القياس في همزتها عند التثنية أن تقلب واوًا ،

تقول : حمراوان وبيضاوان . ينظر ما لا ينصرف للزجاج ص ٣٢ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٤٤٥ ، ٤٤٦ .

فَقِيلَ : فَعَلُ «أَخْرُ» ، فَتَرِكَ صَرَفُهَا كَمَا تَرِكَ صَرَفُ «أُخْرَى» ، وَبُنِيَ جَمْعُ «حَمْرَاءَ» وَ «بِيضَاءَ» عَلَى خِلَافٍ وَاحِدِيَّةٍ ، فَصُرِفَ ، فَقِيلَ : حُمُرٌ وَبِيضٌ . فَلَاحْتِلَافٍ حَالَتَيْهِمَا فِي الْجَمْعِ ، اِخْتَلَفَ إِعْرَابُهُمَا عِنْدَهُمْ فِي الصَّرْفِ ، وَلا تَفَاقٍ حَالَتَيْهِمَا فِي الْوَاحِدَةِ ، اتَّفَقَتْ حَالَتَاهُمَا فِيهَا .

١٧٢/٣ / وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ مُتَشَابِهَةٌ ﴾ . فَإِنَّ مَعْنَاهُ : مُتَشَابِهَاتٌ فِي التَّلَاوَةِ ، مَخْتَلِفَاتٌ ^(١) فِي الْمَعْنَى ، كَمَا قَالَ جَلُّ ثَنَاؤِهِ : ﴿ وَأَتَوْنَا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ [البقرة : ٢٥] . يَعْنِي : فِي الْمُنْظَرِ ، مَخْتَلِفًا فِي الْمَطْعَمِ . وَكَمَا قَالَ مُخْبِرًا عَمَّنْ أَخْبَرَ عَنْهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ قَالَ : ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا ﴾ [البقرة : ٧٠] . يَعْنُونَ بِذَلِكَ : تَشَابَهَ عَلَيْنَا فِي الصِّفَةِ وَإِنْ اِخْتَلَفَتْ أَنْوَاعُهُ .

فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ : إِنْ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الْقُرْآنَ ، ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ بِالْبَيَانِ ، هُنَّ أَصْلُ الْكِتَابِ الَّذِي عَلَيْهِ عِمَادُكَ وَعِمَادُ أُمَّتِكَ فِي الدِّينِ ، وَإِلَيْهِ مَفْرَعُكَ وَمَفْرَعُهُمْ فِيمَا افْتَرَضْتُ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ ، وَآيَاتُ أُخْرَى هُنَّ مُتَشَابِهَاتٌ فِي التَّلَاوَةِ ، مَخْتَلِفَاتٌ فِي الْمَعَانِي .

وَقَدْ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَةٌ ﴾ . وَمَا ^(٢) الْمُحْكَمُ مِنْ آيِ الْكِتَابِ ؟ وَمَا الْمُتَشَابَهُ مِنْهُ ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْمُحْكَمَاتُ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ : الْمَعْمُولُ بِهِنَّ ، وَهِنَّ النَّاسِخَاتُ ، أَوْ الْمُثَبَّتَاتُ الْأَحْكَامُ ، وَالمُتَشَابِهَاتُ مِنْ آيِهِ : الْمَتْرُوكُ الْعَمَلُ بِهِنَّ الْمَنْسُوخَاتُ .

(١) فِي ت ٢ : «مختلفة» .

(٢) فِي ت ٢ : «أما» .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام ، عمن حدّته ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ قال : هي الثلاث الآيات التي هل هنا ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفٌّ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٥١] إلى ثلاث آيات ، والتي في بني إسرائيل ﴿ وَقَضَى رَبِّيَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء : ٢٣] إلى آخر الآيات ^(١) .

حدّثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ^(٢) ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ : المحكمات : ناسخه ، وحلاله ، وحرامه ، وحذوده ، وفرائضه ، وما يؤمن به ويعمل به . قال : ﴿ وَأَخْرَجَ مُتَشَدِّهَاتٌ ﴾ : والمتشابهات : منسوخه ، ومقدمه ، ومؤخره ، وأمثاله ، وأقسامه ، وما يؤمن به ولا يعمل به ^(٣) .

حدّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « الآية » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٢/٢ (٣١٦٩) من طريق هشيم به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢ - ٢) سقط من : ت ١ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٢/٢ ، ٥٩٣ ، (٣١٦٧ ، ٣١٧٤) من طريق أبي صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٢ إلى ابن المنذر .

(تفسير الطبري ١٣/٥)

إلى ﴿ وَأَخْرَجَ مُتَشَابِهًا ﴾ : فالمحكّمات التي هي أم الكتاب : الناسخُ الذي يُدانُ به ويُعمَلُ به ، والمتشابهاتُ : هنّ المنسوخاتُ التي لا يُدانُ بهنَّ^(١) .

حدّثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشّدّي في خبرٍ ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابنِ عباس ، وعن مُرّة الهمداني ، عن ابنِ مسعود ، وعن ناسٍ من أصحابِ النبي ﷺ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ إلى قوله : ﴿ كُلُّ مَن عِنْدَ رَبِّنَا ﴾ : أما الآياتُ المحكّماتُ ، فهنّ الناسخاتُ التي يُعمَلُ بهنّ ، وأما المتشابهاتُ ، فهنّ المنسوخاتُ^(١) .

حدّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ : والمحكّماتُ : الناسخُ الذي يُعمَلُ به ما أحلَّ الله فيه حلاله ، وحرّم فيه حرامه ، وأما المتشابهاتُ : فالمنسوخُ الذي لا يُعمَلُ به ويُؤمّنُ به^(٢) . ١٧٣/٣

/ حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ قال : المحكّم : ما يُعمَلُ به^(٣) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٢ إلى المصنف .

(٢) ينظر تفسير البغوي ٢/٣٣٥ ، والمحرر الوجيز ٨/٢ ، وتفسير القرطبي ٤/١٠٠ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١١٥ .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾
قال : المحكمات : الناسخُ الذي يُعْمَلُ به ، والمتشابهات : [٣٨٣/١] المنسوخُ الذي لا يُعْمَلُ به ، ويُؤْمَنُ به ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ قال : الناسخاتُ . ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ قال : ما نُسِخَ وَتُرِكَ يُثَلَّى ^(٢) .

حَدَّثَنِي ابْنُ وَكَيْعٍ ، قال : ثنا أبي ، عن سلمةَ بنِ نُبَيْطٍ ، عن الضَّحَّاكِ بنِ مُزَاحِمٍ ، قال : المحكمُ ما لم يُنسخْ ، وما تشابه منه : ما نُسِخَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي يحيى بنُ أبي طالبٍ ، قال : أخبرنا يزيدُ ، قال : أخبرنا جُوَيْرٍ ، عن الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ قال : الناسخُ ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ قال : المنسوخُ ^{(٢)(٣)} .

حَدَّثْتُ عَنْ الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمعتُ أبا مُعَاذٍ يحدثُ ، قال : أخبرنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ^(٤) ، قال : سمعتُ الضَّحَّاكَ يقولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٢/٢ ، ٥٩٣ عقب الأثر (٣١٦٧ ، ٣١٧٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) تفسير سفيان الثوري ص ٧٥ عن سلمة بن نبيط أو جووير به .

(٣) بعده في م : « حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ قال : المحكمات : الذي يعمل به » .

(٤) في ت ٢ : « سلمان » .

يعنى الناسخ الذى يُعْمَلُ به ﴿ وَأَخْرُ مُتَشَبِهَةً ﴾ يعنى المنسوخ ، يُؤْمَنُ به ولا يُعْمَلُ به .

حدَّثنى أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نعيمٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن الضَّحَّاكِ : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ قال : ما لم يُنسخْ ، ﴿ وَأَخْرُ مُتَشَبِهَةً ﴾ قال : ما قد نُسخ . وقال آخرون : المحكماتُ من آي الكتابِ ما أحكم اللهُ فيه بيانَ حلاله وحرامه ، والمتشابهةُ منها ما أشبهه بعضه بعضًا فى المعانى ، وإن اختلفت ألفاظه .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قوله : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ : ما فيه من الحلال والحرام ، وما سوى ذلك ، فهو متشابهة يُصدَّقُ^(١) بعضه بعضًا ، وهو مثلُ قوله : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَلْسِيقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦] . ومثلُ قوله : ﴿ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] . ومثلُ قوله : ﴿ وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ وَقَوْهُمْ ﴾^(٢) [محمد : ١٧] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثله^(٣) .

(١) فى ص : « يصرف » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٨ .

(٣) أخرجه عبد بن حميد فى تفسيره - كما فى تعليق التعليق ٤/١٩٠ - من طريق شبيل به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٢ إلى القرابى .

وقال آخرون : المحكمات من آي الكتاب ما لم يَحْتَمِلَ من التأويل غير وجه واحد ؛ والمتشابه منها : ما احتمل من التأويل أوجهًا .

/ ذكُرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

١٧٤/٣

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلْمَةُ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قال : ثنى مُحَمَّدُ ابْنَ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ : فِيهِنَّ حُجَّةُ الرَّبِّ ، وَعِصْمَةُ الْعِبَادِ ، وَدَفْعُ الْخِصُومِ وَالْبَاطِلِ ، لَيْسَ لَهَا تَصْرِيْفٌ وَلَا تَحْرِيفٌ عَمَّا وُضِعَتْ عَلَيْهِ ، ﴿ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٍ ﴾^(١) فِي الصُّدُقِ ، لَهِنَّ تَصْرِيْفٌ وَتَحْرِيفٌ وَتَأْوِيلٌ ، ابْتَلَى اللَّهُ فِيهِنَّ الْعِبَادَ ، كَمَا ابْتَلَاهُمْ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، لَا يُصَرَّفْنَ إِلَى الْبَاطِلِ وَلَا يُحَرَّفْنَ عَنِ الْحَقِّ^(٢) .

وقال آخرون : معنى المُحَكَمِ ما أَحْكَمَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ ، وَقَصَصِ الْأُمَمِ وَرَسُلِهِمُ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ ، فَفَصَّلَهُ بَيَانِ ذَلِكَ لِمُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ . وَالتَّشَابُهُ هُوَ مَا اشْتَبَهَتْ الْأَلْفَاظُ بِهِ مِنْ قِصَصِهِمْ ، عِنْدَ التَّكْرِيرِ فِي السُّورِ ، بِقِصَّةِ^(٣) بِاتِّفَاقِ الْأَلْفَاظِ وَاخْتِلَافِ الْمَعَانِي ، وَبِقِصَّةِ^(٤) بِاخْتِلَافِ الْأَلْفَاظِ وَاتِّفَاقِ الْمَعَانِي .

ذكُرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : قال ابنُ زيدٍ وقرأ : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ نَبِيٌّ مَنَّانٌ ﴾ : وَذَكَرَ حَدِيثَ رَسُولِ

(١) في م : «متشابهة» .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٧٦/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٢/٢ ، ٥٩٤ ، (٣١٧١ ، ٣١٧٧ ، ٣١٧٨) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٣) في م : «فقصة» .

(٤) في م : «قصة» .

اللَّهُ ﷺ في أربع وعشرين آية منها ، وحديث نوح في أربع وعشرين آية منها ، ثم قال : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ [هود : ٤٩] ، ثم ذكر : ﴿ وَإِلَى عَادٍ ﴾ [هود : ٥٠] فقرأ حتى بلغ ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ ^(١) ، ثم مضى ، ثم ذكر صالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً ، وفرغ من ذلك ، وهذا يقين ، وذلك يقين ﴿ أَحْكَمْتَ آيَاتِنَا ثُمَّ قُضِلْتَ ﴾ ^(٢) . قال : والمتشابه ذكر موسى في أمكنة كثيرة ، وهو متشابه ، وهو كله معنى واحد ، ^(٣) وهو مُتَشَابِهٌ ^(٤) : ﴿ فَاسْأَلْ فِيهَا ﴾ [المؤمنون : ٢٧] ، ﴿ أَحْمِلْ فِيهَا ﴾ [هود : ٤٠] ، ﴿ أَسْأَلْ يَدَكَ ﴾ [القصاص : ٣٢] ، ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ ﴾ [النمل : ١٢] ، ﴿ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ [طه : ٢٠] ، ﴿ تُعَبَّانُ مُبِينٌ ﴾ [الشعراء : ٣٢] .

قال : ثم ذكر هوداً في عشر آيات منها ، وصالحاً في ثمان آيات منها ، وإبراهيم في ثمان آيات أخرى ، ولوطاً في ثمان آيات منها ، وشعيباً في ثلاث عشرة آية ، وموسى في أربع آيات ، كل هذا يقضى بين الأنبياء وبين قومهم في هذه السورة ، فانتهى ذلك إلى مائة آية من سورة هود ، ثم قال : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُضُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٠] . وقال في المتشابه من القرآن : مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ الْبَلَاءَ وَالضَّلَالَهَ يَقُولُ : مَا شَأْنُ هَذَا ^(٥) لا يكون هكذا ؟ وما شَأْنُ هَذَا لا يكون هكذا ^(٥) ؟

(١) في النسخ : « واستغفروا ربكم » . وأثبتناه بدون الواو لما ذكر بعده قال : « ثم مضى ثم ذكر صالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً » . فيثبت أنه أراد التي من قول هود : « يا قوم استغفروا ربكم » ، لا التي من قول شعيب : « واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه » .


(٢) اليقين : تحقيق الأمر . ويقين ﴿ أَحْكَمْتَ ... ﴾ : تحقيقها . ينظر اللسان (ي ق ن) .

(٣ - ٣) في م : « ومتشابهه » .

(٤ - ٤) سقط من : ت ٢ .

(٥) في ت ٢ : « هذا » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٩٥/٦ من طريق أصبغ بن الفرج ، عن عبد الرحمن بن زيد به .

وقال آخرون : بل المُحَكَّم من آي القرآن ما عرّف العلماء تأويله ، وفهّموا معناه وتفسيره . والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيلٌ مما استأثر الله بعلمه دون خلقه ، وذلك نحو الخبر عن وقت^(١) مَخْرَج عيسى ابن مريم ، ووقت طلوع الشمس من مغربها ، وقيام الساعة ، وفناء الدنيا ، وما أشبه ذلك ، فإن ذلك لا يَعْلَمُهُ أحدٌ . وقالوا : إنما سَمَى اللهُ مِنْ آي الكتابِ المتشابهة الحروفَ المقطّعة التي في أوائلِ بعضِ سورِ القرآن ، من نحو ﴿المر﴾ ، و ﴿المص﴾ [الأعراف : ١] ، و ﴿المر﴾ [الرعد : ١] و ﴿الر﴾ وما أشبه ذلك ؛ لأنهنّ متشابهات في الألفاظ ، وموافقات حروف حسابِ الجُمَلِ^(٢) ، وكان قومٌ من اليهود على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ طمِعوا أن يُدْرِكُوا مِنْ قِبَلِهَا معرفةَ مدّةِ الإسلامِ وأهله ، وَيَعْلَمُوا نهايةَ أَكْلِ^(٣) محمدٍ وأُمَّته ، فأكذّب اللهُ أُوْحِدُوهُمْ بذلك ، وأَعْلَمَهُمْ أن ما ابْتَعَوْا عِلْمَهُ مِنْ [٣٨٤/١] ذلك من قِبَلِ هذه الحروفِ المتشابهة لا يُدْرِكُونَهُ ، ولا مِنْ قِبَلِ غَيْرِهَا ، وأن ذلك لا يَعْلَمُهُ/إِلا اللهُ . وهذا ١٧٥/٣ قولٌ ذَكَرَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَبَابٍ^(٤) أن هذه الآية نزلت فيه ، وقد ذَكَرْنَا الروايةَ بذلك عنه وعن غيره ممن قال نحوَ مقالته في تأويلِ ذلك في تفسيرِ قوله : ﴿المر﴾  ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴿ [البقرة : ١ ، ٢] .

وهذا القول الذي ذَكَرْنَاهُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أشبهُ بتأويلِ الآية ، وذلك أنّ جميعَ ما أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ مِنْ آيِ القرآنِ على رسولِهِ ﷺ فإنما أنزله عليه بيانًا له ولأُمَّته ، وهُدًى للعالمين ، وغيرِ جائزٍ أن يكونَ فيه ما لا حاجةَ بهم إليه ، ولا أن يكونَ

(١) سقط من : ت ٢ .

(٢) ينظر ما تقدم في ٢١٠/١ .

(٣) في م : «أجل» . والأُكْلُ : الرزق ، والحظُّ من الدنيا . ويقال : انقطع أَكْلُهُ : إذا مات . ينظر أساس البلاغة ، واللسان (أ ك ل) .

(٤) في م : «رباب» . وينظر أسد الغابة ٣٠٦/١ ، ٣٠٧ ، والإصابة ٤٣٣/١ .

فيه ما بهم إليه الحاجة ، ثم لا يكون لهم إلى علم تأويله سبيل .
 فإذا^(١) كان ذلك كذلك ، فكل ما فيه لخلقه^(٢) إليه الحاجة ، وإن كان في بعضه ما بهم عن بعض معانيه الغنى ، وإن اضطررته الحاجة إليه في معاني كثيرة ، وذلك كقول الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام : ١٥٨] . فأعلم النبي ﷺ أمته أن تلك الآية التي أخبر الله جل ثناؤه عباده أنها إذا جاءت لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ذلك ، هي طلوع الشمس من مغربها ، فإن الذي كانت بالعباد إليه الحاجة من علم ذلك هو العلم منهم بوقت نفع التوبة بصفته ، بغير تحديده^(٣) بعد السنين والشهور والأيام ، فقد بين الله ذلك لهم بدلالة الكتاب ، وأوضحه لهم على لسان رسوله ﷺ مفسراً ، والذي لا حاجة بهم إلى علمه منه هو العلم بمقدار المدة التي بين وقت نزول هذه الآية ، ووقت حدوث تلك الآية ، فإن ذلك مما لا حاجة بهم إلى علمه في دين ولا دنيا ، وذلك هو العلم الذي استأثر الله جل ثناؤه به دون خلقه ، فحجبه عنهم ، وذلك وما أشبهه هو المعنى الذي طلبت اليهود معرفته في مدة محمد ﷺ وأمته من قبل قوله : ﴿ الرَّءِىءُ ﴾ ، و ﴿ التَّمَصُّ ﴾ ، و ﴿ الرَّءِىءُ ﴾ ، و ﴿ التَّمَصُّ ﴾ ، ونحو ذلك من الحروف المقطعة المتشابهات ، التي أخبر الله ، جل ثناؤه ، أنهم لا يُدْرِكُونَ تأويل ذلك من قبله ، وأنه لا يعلم تأويله إلا الله .

فإذا كان المتشابه هو ما وصفنا ، فكل ما عداه فمُحَكَّمٌ ؛ لأنه لن يخلو من أن

(١) فى م : « فإذا » .

(٢) فى ص : « مخلقه » . بغير نقط .

(٣ - ٣) فى م : « بعد بالسنين » .

يكون مُحَكَّمًا ، بأنه بمعنى واحد ، لا تأويل له غير تأويل واحد ، وقد استُغْنِيَ بِسَمَاعِهِ
 عن بيان مُبَيِّنِهِ ، ^(١) «أَوْ يَكُونُ مُحَكَّمًا» ، وإن كان ذا وجوهٍ وتأويلاتٍ وَتَصَرُّفٍ فِي
 معانٍ كثيرة ، بالدلالة ^(٢) على المعنى المراد منه ، إما من بيان الله تعالى ذكره عنه ، أو
 بيان رسوله ﷺ لأُمتِهِ ، ولن يذهب علم ذلك عن علماء الأُمَّة ؛ لما قد بَيَّنَّا .

القول في تأويل قوله : ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِنَابِ ﴾ .

قد أتينا على البيان عن تأويل ذلك ، بالدلالة الشاهدة على صحة ما قلنا فيه ،
 ونحن ذاكرُو اختلاف أهل التأويل فيه ، وذلك أنهم اختلفوا في تأويله ؛ فقال
 بعضهم : معنى قوله : ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِنَابِ ﴾ : هن الآئ ^(٣) فيهن الفرائض والحدود
 والأحكام . نحو قولنا الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى الْقَرَازِيُّ ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا
 إِسْحَاقُ بْنُ سُؤَيْدٍ ، عن يحيى بن يَعْمَرَ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ مُحَكَّمَتٌ هُنَّ أُمَّ
 الْكِنَابِ ﴾ قال يحيى : هن اللاتي فيهن الفرائض والحدود وعماد الدين . وضرب
 لذلك مَثَلًا ، فقال : أُمَّ الْقَرَى مَكَّةَ ، وَأُمَّ خُرَاسَانَ مَرُوءَ ، وَأُمَّ الْمَسَافِرِينَ الَّذِي يَجْعَلُونَ
 إِلَيْهِ أَمْرَهُمْ ، وَيُعْنَى بِهِمْ فِي سَفَرِهِمْ . قال : فذاك أُمَّهُم ^(٤) .

/ حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ هُنَّ أُمَّ ﴾ ١٧٦/٣

(١ - ١) سقط من : ت ٢ .

(٢) في م : « فالدلالة » .

(٣) في م : « اللاتي » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٣/٢ (٣١٧٢) من طريق إسحاق بن سويد ، به ، وعزاه السيوطي في

الدر المنثور ٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن الضريس .

الْكِتَابِ ﴿١﴾ قال : هنَّ جِماعُ الكتابِ ^(١) .

وقال آخرون : بل يعنى ^(٢) بذلك فواتح السور التي منها يُسْتَخْرَجُ القرآنُ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا عمرانُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيد ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ سويد ، عن أبي فاختة أنه قال في هذه الآية : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكُمُ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾ قال : أم الكتابِ فواتح السور ، منها يُسْتَخْرَجُ القرآنُ ﴿ اَلَمْ ﴾ ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ منها اسْتُخْرِجَتْ « البقرة » ، و ﴿ اَلَمْ ﴾ ﴿ اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ﴾ منها اسْتُخْرِجَتْ « آل عمران » .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : فأما الذين في قلوبهم ميلٌ عن الحقِّ وانحرافٌ عنه ، يقالُ منه : زاع فلانٌ عن الحقِّ ، فهو يزيغُ عنه زَيْغًا وَزَيْغَانًا وَزَيْغُوعَةً وَزُيُوعًا ، وأزاعه الله ، إذا أماله ، فهو يزيغُه . ومنه قوله جل ثناؤه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا ﴾ . لا تُمِلِّها عن الحقِّ ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابنُ إسحاق ، عن محمد بنِ جعفر

(١) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٣٣٦ .

(٢) في م : « معنى » . وفي ت ٢ : « المعنى » .

ابن الزبير: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أى : مَيْلٌ عَنِ الْهُدَى ^(١) .

حدَّثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ قال : شَكٌّ ^(٢) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو [٣٨٤/١] حذيفة ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهدٍ مثله ^(٣) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليّ بن أبى طلحة ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ قال : مِنْ أَهْلِ الشُّكِّ ^(٤) .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ فى خبرٍ ذكره عن أبى مالكٍ ، وعن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مِرَّةَ الهَمْدَانِيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ من أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ : أَمَا الزَّيْغُ فَالشُّكُّ ^(٥) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن

(١) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٥/٢ (٣١٨٣) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٨ .

(٣) أخرجه عبد بن حميد - كما فى تغليق التعليق ١٩٠/٤ - من طريق شبل به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٥/٢ (٣١٨١) من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٢ إلى ابن المنذر .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٢ إلى المصنف .

مجاهد ، قال : ﴿ زَيْعٌ ﴾ : سَكٌّ . قال ابن جريج : ﴿ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْعٌ ﴾ : المنافقون ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ : ما تشابهت ألفاظه وتَصَرَّفَتْ معانيه بوجوه التأويلات ؛ لِيَحَقِّقُوا بِأَدْعَائِهِمُ الْبَاطِلَ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ فِي ذَلِكَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالزَّيْغِ عَنِ مَحَجَّةِ ^(٢) الْحَقِّ ، تَلْبِيسًا مِنْهُمْ بِذَلِكَ عَلَى مَنْ ضَعُفَتْ مَعْرِفَتُهُ بِوَجْهِ تَأْوِيلِ ذَلِكَ وَتَصَارِيفِ مَعَانِيهِ .

١٧٧/٣ / كما حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ : فَيَحْمِلُونَ الْمُحْكَمَ عَلَى الْمُتَشَابِهِ ، وَالمُتَشَابِهَ عَلَى الْمُحْكَمِ ، وَيُلْبِسُونَ ، فَلَبَسَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ ^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ أى : ما تحرف منه وتصرف ؛ ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا ، ليكون لهم حجة على ما قالوا وشبهة ^(٤) .

(١) تقدم قول مجاهد في الصفحة السابقة ، وقول ابن جريج عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٢ إلى المصنف .

(٢) فى ت ٢ : « الحجة » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٥/٢ (٣١٨٥) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٢ إلى ابن المنذر .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٦/٢ (٣١٨٨) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريج ، عن مجاهدٍ في قوله : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ قال : البابُ الذي ضَلُّوا منه وهلكوا فيه ابتغاءً تأويله ^(١) .

وقال آخرون في ذلك بما حَدَّثَنِي به موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في قوله : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ : يَتَّبِعُونَ المنسوخَ والناسخَ ، فيقولون : ما بالُ هذه الآيةِ عُمِلَ بها كذا وكذا مكانُ ^(٢) هذه الآيةِ ، فَتَرَكْتَ الأولى وعُمِلَ بهذه الأخرى ! هَلَّا كان العملُ بهذه الآيةِ قبلَ أن تَجِيءَ الأولى التي نُسِخَتْ؟ وما باله يُعَدُّ العذابَ من عَمِلَ عملاً يُعَدُّ به ^(٣) النارَ ، ^(٤) وفي ^(٤) مكانٍ آخرَ من عَمِلَه فإنه لم يُوجِبْ له ^(٥) النارَ؟ ^(٦)

واختلَفَ أهلُ التأويلِ في منْ عُنِيَ بهذه الآيةِ ؛ فقال بعضهم : عُنِيَ به الوفدُ من نصارىِ نَجْرَانَ الذين قَدِمُوا على رسولِ اللهِ ﷺ فحاجَّوه بما حاجَّوه به وخاصَّموه ، بأن قالوا : أَلَسْتَ تزعمُ أنَّ عيسى رُوحَ اللهِ وكلمتهُ؟ وتأوَّلوا ^(٧) في ذلك ما يقولون فيه من الكفرِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرِّبيعِ ،

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « مجاز » . وصواب قراءة ما فى « ص » هو ما أثبتنا .

(٣) فى م : « يُعَدُّ به » .

(٤ - ٤) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « فى » .

(٥) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٥/٢ ، ٥٩٦ ، (٣١٨٦) من طريق عمرو بن حماد .

(٧) فى ت : ٢ : « قالوا » .

قال : عمدوا - يعنى الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من نصارى نجران - فخاصموا النبي ﷺ ، فقالوا : ألسنت ترعّم أنه كلمة الله وروح منه ؟ قال : « بلى » . قالوا : فحسبنا . فأنزل الله عز وجل : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ . ثم إنَّ الله جل ثناؤه أنزل : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ [آل عمران : ٥٩] الآية^(١) .

وقال آخرون : بل أنزلت هذه الآية في أبي ياسر بن أخطب ، وأخيه حنيفة بن أخطب ، والتفر الذين ناظروا رسول الله ﷺ في قدرِ مدة^(٢) «أكله وأكل أمته» ، وأرادوا علم ذلك من قبل قوله : ﴿ الْمَرَّ ﴾ ، و ﴿ الْمَصَّ ﴾ ، و ﴿ التَّرَّ ﴾ ، و ﴿ الرَّرَّ ﴾ ، فقال الله جل ثناؤه فيهم : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ : يعنى هؤلاء اليهود الذين قلوبهم مائلة عن الهدى والحق ، ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ : يعنى معانى هذه الحروف المقطعة ، المحتملة التصريف في^(٣) الوجوه المختلفة^(٤) التأويلات ؛ ابتغاء الفتنة .

وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى قبل في أول السورة التي يُذكر فيها البقرة . وقال آخرون : بل عنى الله عز وجل بذلك كل مبتدع في دينه بدعة مخالفة لما ابتعث به رسوله محمد ﷺ ، بتأويل^(٥) يتأوله من^(٦) بعض آي القرآن المحتملة التأويلات ، وإن كان الله قد أحكم بيان ذلك ، إما في كتابه ، وإما على لسان رسوله .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٦/٢ (٣١٨٧) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢ - ٢) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «أجله وأجل» . وتقدم فى ص ١٩٩ .

(٣) سقط من : ت ٢ .

(٤) فى ت ٢ : «المحتملة» .

(٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «تأويل» .

(٦) فى ت ٢ : «فى» .

/ ذكُرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ . وكان قَتَادَةُ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ قَالَ : إِنْ لَمْ يَكُونُوا الْحُرُورِيَّةَ ^(١) وَالسَّبَائِيَّةَ ^(٢) ، فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ ؟ وَلَعَمْرِي لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ بَدْرٍ وَالْحُدَيْبِيَّةِ الَّذِينَ شَهِدُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، خَبِرْتُ لِمَنْ اسْتَحْبَرَ ، وَعِبْرَةٌ لِمَنْ اسْتَعْتَبَرَ ، لِمَنْ كَانَ يَعْقِلُ أَوْ يُبْصِرُ . إِنْ الْخَوَارِجُ خَرَجُوا وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ بِالْمَدِينَةِ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ ، وَأَزْوَاجُهُ [٣٨٥/١] يَوْمَئِذٍ أَحْيَاءُ ، وَاللَّهِ إِنْ خَرَجَ مِنْهُمْ ذَكَرٌ وَلَا أَنْتَى حَزُورِيًّا قَطُّ ، وَلَا رَضُوا الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ ، وَلَا مَالَتْوَهُمْ فِيهِ ، بَلْ كَانُوا يُحَدِّثُونَ بَعِيْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيَّاهُمْ ^(٣) ، وَنَعْتَهُ الَّذِي نَعْتَهُمْ بِهِ ، وَكَانُوا يُبْغِضُونَهُمْ بِقُلُوبِهِمْ ، وَيُعَادُونَهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَتَشْتَدُّ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ إِذَا لَقَوْهُمْ ، وَلَعَمْرِي ، لَوْ كَانَ أَمْرُ الْخَوَارِجِ هُدًى لاجْتَمَعَ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ ضَلَالًا فَتَفَرَّقَ ، وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ إِذَا كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ وَجَدْتَ فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَقَدْ أَلْضَوْا ^(٤) هَذَا الْأَمْرَ مِنْذُ

(١) الحرورية : هم فرقة الخوارج ، وسُموا بهذا الاسم لأنهم بعد خروجهم على عليٍّ رضي الله عنه ورفضهم التحكيم ، نزلوا بموضع قرب الكوفة يقال له : حروراء . ينظر مقالات الإسلاميين ٢٠٧/١ ، ومعجم البلدان ٣٣٦/٢ .

(٢) في م : « السبئية » .

والسبائية : إحدى فرق الشيعة الغالية ، وهي تنسب إلى عبد الله بن سبأ ، فبِحبه الله ، ومن جهالاتهم زعمهم أن عليا لم يمت ، وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلاً كما ملكت جوراً ، وأن علياً في السحاب ، والرعد صوته ، والبرق سوطه ... إلى غير ذلك من ترهاتهم . ينظر مقالات الإسلاميين ٨٦/١ ، والملل والنحل ٣٦٥/١ وما بعدها .

(٣) في م : « إياه » .

(٤) أَلْضَوْا الْأَمْرَ : أَدَارَهُ ، وَأَلْضَوْا فَلَتَاتًا عَلَى الْأَمْرِ : أَدَارَهُ عَلَيْهِ وَأَرَادَهُ مِنْهُ ، وَيُقَالُ : أَلْضَعْتُ أَنْ أَخَذَ عَنْهُ شَيْئًا : أَرَدْتُ . التاج (ل و ص) .

زمانٍ طويلٍ ، فهل أفلحوا فيه يوماً أو أُنْجَحُوا؟ يا سبحانَ الله ! كيف لا يُعْتَبَرُ آخِرُهُ هؤلاء القومِ بأُولئهِم ! لو^(١) كانوا على هُدًى قد أظهره اللهُ وأفلجَه^(٢) ونَصَرَه ، ولكنَّهُم كانوا على باطلٍ أكذبه اللهُ وأدحضَه ، فهم كما رأيتَهُم ، كلُّمَّا خرجَ لهم قَورُنٌ أدحضَ اللهُ حُجَّتَهُم ، وأكذَبَ أَعْدُوَّتَهُم ، وأهراقَ دماءَهُم ، وإن كَتَمُوا كانَ قَورُنًا في قلوبِهِم ، وغَمًّا عليهم ، وإن أظهرُوهُ ، أهراقَ اللهُ دماءَهُم ، ذاكُم ، واللهِ ، دينٌ سوءٍ فاجتنبُوهُ ، واللهِ إن اليهوديةَ^(٣) لِبِدْعَةٌ ، وإن النصرانيةَ لِبِدْعَةٌ ، وإن الحزوريةَ لِبِدْعَةٌ ، وإن السبائيةَ^(٤) لِبِدْعَةٌ ، ما نزلَ بهنَّ كتابٌ ، ولا سنَّهنَّ نبيٌّ^(٥) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ : طلبَ القومُ التأويلَ فأخطأوا التأويلَ ، وأصابوا الفتنةَ ، فاتبَعوا ما تشابهَ منه ، فهلكوا مِن ذلك ، لَعَمْرِي لقد كان في أصحابِ بدرٍ والحديبيةِ الذين شهدوا بيعةَ الرضوانِ . وذكرَ نحوَ حديثِ عبدِ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عنه .

حدَّثني محمدُ بنُ خالدِ بنِ خِدَاشٍ ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قالا : ثنا إسماعيلُ ابنُ عُليَّةَ ، عن أيوبَ ، عن عبدِ اللهِ بنِ أبي مُليكةَ ، عن عائشةَ قالت : قرأ رسولُ اللهِ ﷺ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ . فقال : « فإذا رأيتمُ الذين يُجادِلونَ فيه ، فهم الذين عَنَى اللهُ

(١) في ت ٢ : « ولو » .

(٢) في النسخ : « أفلحه » . وأفلجه : أظفره وغلبه وفضله ، وأفلج الله برهانه : قومه وأظهره . التاج (ف ل ج) .

(٣) في م : « اليهود » .

(٤) في س : « الصابئة » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١ / ١١٥ ، ١١٦ .

فاحذرُوهم»^(١) .

حدَّثنا ابنُ^(٢) عبدِ الأعلى ، قال : ثنا المُعْتَمِرُ بنُ سليمانَ ، قال : سَمِعْتُ أَيُوبَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبي مُلَيْكَةَ ، عن عائِشَةَ ، أنها قالت : قرأ نبيُّ اللَّهِ ﷺ هذه الآية : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ إلى : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ . قالت : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فإذا رأيتُم الذين / يُجَادِلُونَ فيه - أو قال : يَتَّجَادِلُونَ فيه - فهم الذين عَنَى اللَّهُ فاحذرُوهم » . قال مَطَرٌ ، عن أَيُوبَ أنه قال : « فلا تُجَالِسُوهم ، فهم الذين عَنَى اللَّهُ فاحذرُوهم »^(٣) .

١٧٩/٣

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الوهابِ ، قال : ثنا أَيُوبُ ، عن ابنِ أبي مُلَيْكَةَ ، عن عائِشَةَ ، عن النبيِّ ﷺ بنحوِ معناه^(٤) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن أَيُوبَ ، عن ابنِ أبي مُلَيْكَةَ ، عن عائِشَةَ ، عن النبيِّ ﷺ نحوه^(٥) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرنا الحارثُ ، عن أَيُوبَ ، عن ابنِ أبي مُلَيْكَةَ ، عن عائِشَةَ زوجِ النبيِّ ﷺ ، قالت : قرأ رسولُ اللَّهِ ﷺ هذه الآية : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ الآية كلها . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا رأيْتُم الذين يَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ منه والذين يُجَادِلُونَ فيه ، فهم الذين عَنَى اللَّهُ ، أولئك الذين قال اللَّهُ ، فلا

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٧) عن محمد بن خدش به . وأخرجه أحمد ٤٨/٦ (الميمية) عن إسماعيل ابن علي به .

(٢) سقط من : ت ٢ .

(٣) أخرجه ابن حبان (٧٦) من طريق المعتمر به .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٧) والآجزي في الشريعة (٧٦٩) ومحمد بن يحيى العبدى - كما في تفسير ابن كثير ٦/٢ - من طريق عبد الوهاب به .

(٥) سقط من : ت ٢ . والأثر في تفسير عبد الرزاق ١/١١٦ . (تفسير الطبري ١٤/٥)

تُجَالِسُوهُمْ»^(١) .

حدَّثنا ابنُ وَكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن ابن أبي مُليكة ، قال : سمعتُ القاسمَ بنَ محمدٍ يُحدِّثُ عن عائشةَ ، قالت : تلا النبي ﷺ هذه الآيةَ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ . ثم قرأ إلى آخر الآياتِ ، فقال : « إذا رأيتم الذين يتَّبِعُونَ ما تشابهَ منه ، فأولئك الذين سَمَى اللهُ ، فاخذروهم »^(٢) .

حدَّثنا عليُّ بنُ سهلٍ ، قال : ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عن حمادِ بنِ سلمةَ ، عن عبد الرحمنِ بنِ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، قالت : نزع^(٣) رسولُ اللهِ ﷺ : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ ما تشابهَ منه ﴾ فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « قد حدَّركم اللهُ ، فإذا رأيتموهم فاغروهم »^(٤) .

حدَّثنا عليُّ ، قال : ثنا الوليدُ ، عن نافعِ بنِ عمرَ ، عن ابنِ أبي مُليكةَ ، قال : حدَّثتني^(٥) عائشةُ ، قالت : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إذا رأيتموهم فاخذروهم » . ثم

(١) أخرجه الهروي في ذم الكلام (١ / ٣٦ ب - ٣٧ أ) من طريق الحارث بن نيهان به .

(٢) أخرجه الطيالسي (١٥٣٦) وأحمد ٢٥٦ / ٦ (الميمنية) ، والدارمي ٥٤ / ١ ، ٥٥ ، والبخاري (٤٥٤٧) ، ومسلم (٢٦٦٥) ، وأبو داود (٤٥٩٨) ، والترمذي (٢٩٩٣ ، ٢٩٩٤) ، والطحاوي في المشكل (٢٥١٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٥ / ٢ (٣١٨٤) ، وابن حبان (٧٣) من طريق يزيد بن إبراهيم به .

(٣) انتزع بالآية والشعر : تامل . ويقال للرجل إذا استنبط معنى آية : قد انتزع معنى جيداً . وهو مجاز . التاج (ن ز ع) .

(٤) أخرجه الأجرى في الشريعة (٧٧١) من طريق علي بن سهل به .

وأخرجه الطبراني في الأوسط (٦٣٠٤) من طريق الوليد بن مسلم به .

(٥) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٣ ، س : « عن » . وفي ت ٢ : « عن ابن » . والمثبت من شرح المشكل ، وينظر تهذيب الكمال ٢٩ / ٢٨٧ .

(٦ - ٦) سقط من النسخ ، والمثبت من شرح المشكل .

نَزَعَ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ ، ولا يَعْمَلُونَ بِمُحْكَمِهِ ^(١) .

حدَّثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : أخبرنا عمي ، قال : أخبرني شبيب بن سعيد ، عن رُوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عن ابنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، عن عائشةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ . فقال ^(٢) : « إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ ، فَهَمُّ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ ، فَاحْذَرُوهُمْ » ^(٣) .

حدَّثني محمد بن عبد الله بن عبد الحَكَمِ ، قال : ثنا خالد بن ^(٤) زيار ، عن نافع ، عن ابنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، عن عائشةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ الْآيَةَ يَتَّبِعُهَا يَتْلُوها ، ثم يقول : « إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ فَاحْذَرُوهُمْ ، فَهَمُّ الَّذِينَ [٣٨٥/١] عَنَى اللَّهُ » .

١٨٠/٣ / حدَّثنا ابن ^(٤) وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ ، عن ابنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، عن القاسم ، عن عائشةَ ، عن النبي ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ . قال : « هم الذين سَمَّاهُمُ اللَّهُ ، إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » ^(٥) .

قال أبو جعفر : والذي يدلُّ عليه ظاهرُ هذه الآية أنها نزلت في الذين

(١) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٥١٥) من طريق الوليد بن مسلم به .

(٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٦/٢ .

(٤) سقط من : ت ٢ .

(٥) أخرجه الطيالسي (١٥٣٥) ، وأحمد ١٢٤/٦ ، ١٣٢ (الميمنية) ، والدارمي ٥٥/١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٥/٢ (٣١٨٤) ، والآجزي في الشريعة (٧٧٠) ، وأبو نعيم في الحلية ١٨٥/٢ من طرق عن حماد به .

جادلوا رسولَ الله ﷺ بمتشابه ما أنزلَ إليه من كتابِ الله ؛ إما في أمرِ عيسى ، وإما في مُدَّةٍ «أُكَلِّهِ وَأُكَلِّهِ» (١) أُمَّتِهِ ، وهو بأن يكونَ في الذين جادلوا رسولَ الله ﷺ بمتشابهه (٢) في مدته ومدّة أُمَّتِهِ أَشْبَهُهُ ؛ لأنّ قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ . دالٌّ على أن ذلك إخبارٌ عن المدّة التي أرادوا عِلْمَهَا مِنْ قِبَلِ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ، فأما أمرُ عيسى وأَسْبَابِهِ (٣) ، فقد أَعْلَمَ اللَّهُ ذلكَ نبيّه محمدًا ﷺ وأُمَّتَهُ ، وَبَيَّنَّهُ لَهُمْ ، فمعلومٌ أنه لم يَغْنِ (٤) إلا ما كان (٥) خفيًا عن الآحاد .

القول في تأويل قوله : ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك : ابتغاء الشرك .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ قال : إرادة الشرك (٦) .

حدثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ : يعني الشرك (٧) .

(١ - ١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «أجله وأجل» .

(٢) في ت ٢ . «في متشابهه» .

(٣) في ت ٢ : «أشباهه» .

(٤) في ص ، ت ٢ : «يعره» .

(٥) بعده في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «عليه» . ولعل صوابها : «علمه» .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٦/٢ (٣١٩١) من طريق عمرو بن حماد به .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٦/٢ عقب الأثر (٣١٩١) من طريق ابن أبي جعفر به .

وقال آخرون : معنى ذلك : ابتغاء الشُّبُهَاتِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ اِبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ قَالَ : الشُّبُهَاتِ ، بِهَا أَهْلِكُوا ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ اِبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ : الشُّبُهَاتِ . قَالَ : هَلَكُوا بِهِ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ اِبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ قَالَ : الشُّبُهَاتِ . قَالَ : وَالشُّبُهَاتُ مَا أَهْلِكُوا بِهِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الرَّبِيعِ : ﴿ اِبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ أَى : اللَّبْسِ ^(٣) .

وَأَوَّلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ : مَعْنَاهُ : إِرَادَةُ الشُّبُهَاتِ وَاللَّبْسِ .

فمعنى الكلام إذن : فأما الذين فى قلوبهم مَيْلٌ عن الحقِّ وَحَيْفٌ عنه ، فَيَتَّبِعُونَ مِنْ آيِ الْكِتَابِ مَا تَشَابَهَتْ / أَلْفَظُهُ ، وَاحْتُمِلَ صَرْفُهُ فِي وَجْهِهِ ١٨١/٣ التَّأْوِيلَاتِ ، بِاحْتِمَالِهِ الْمَعَانِي الْمَخْتَلِفَةَ ؛ إِرَادَةَ اللَّبْسِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ ، احْتِجَاجًا بِهِ عَلَى بَاطِلِهِ الَّذِي مَالَ إِلَيْهِ قَلْبُهُ ، دُونَ الْحَقِّ الَّذِي أَبَانَهُ اللَّهُ ، فَأَوْضَحَهُ

(١) فى ت ٢ : « ابن » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٦/٢ (٣١٩٠) .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٧/٢ (٣١٩٢) من طريق سلمة به ، عن ابن إسحاق قوله .

بالمُحْكَمَاتِ مِنْ آيِ كِتَابِهِ .

وهذه الآية وإن كانت نزلت في من ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشُّرُكِ ، فإنه معنًى بها كلُّ مُبتدِعٍ في دينِ اللهِ بدعةً ، فمالَ قلبه إليها ، تأويلاً منه لبعضٍ متشابهِ آيِ القرآنِ ، ثم حاجَّ به وجادلَ به أهلَ الحقِّ ، وعدَلَّ عن الواضحِ من أدلَّةِ آيه المُحْكَمَاتِ ؛ إرادةً منه بذلك اللَّبَسَ على أهلِ الحقِّ من المؤمنين ، وطلباً لِعَلِّمِ تأويلِ ما تشابهَ عليه من ذلك ، كائناً مَنْ كان ، وأيَّ أصنافِ البدعةِ^(١) كان ؛ من أهلِ النصرانيةِ كان ، أو اليهوديةِ ، أو المجوسيةِ ، أو كان سبئياً ، أو حُزوريّاً ، أو قَدْرِيّاً ، أو جَهْمِيّاً ، كالذي قال ﷺ : « فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ بِهِ ، فَهَمُّ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ » .

وكما حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا سفيانُ ، عن مَعْمَرٍ ، عن ابنِ طاووسٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، وذُكِرَ عنده الخوارِجُ وما يَلْقَوْنَ عندَ القرآنِ^(٢) ، فقال : يُؤْمِنُونَ بِمُحْكَمِهِ ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ . وقرأ ابنُ عباسٍ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ الآية^(٣) .

وإنما قلنا القولَ الذي ذكرنا أنَّه أُوْلَى التَّأْوِيلِينَ بقوله : ﴿ اٰتِیَآءَ الْفِتْنَةِ ﴾ ؛ لأنَّ الذين نزلتَ فيهم هذه الآية كانوا أهلَ شُرُكٍ ، وإنما أرادوا بطلبِ تأويلِ ما طلبوا تأويله - اللَّبَسَ على المسلمين ، والاحتجاجَ به عليهم ، ليصدُّوهم عمَّا هم عليه من الحقِّ ، فلا معنًى لأنَّ يُقالَ : فعلوا ذلك إرادةً الشُّرُكِ . وهم قد

(١) البدعةُ ، فَعَلَّةٌ : المبتدعة .

(٢) في النسخ : « الفرار » . والمثبت من مصادر التخریج .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٣١٣/١٥ ، والآجری في الشريعة (٤٥) من طريق سفيان به .

كانوا مشركين .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَأَتَّبَعْنَا تَأْوِيلَهُ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في معنى « التأويل » الذي عنى الله جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَأَتَّبَعْنَا تَأْوِيلَهُ ﴾ ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك : الأجل الذي أرادت اليهود أن تعرفه من انقضاء مدة أمر^(١) محمد ﷺ وأمر أمته من قبيل الحروف المقطعة من حساب الجمل كـ ﴿ الم ﴾ ، و ﴿ المص ﴾ ، و ﴿ الر ﴾ ، و ﴿ المر ﴾ ، وما أشبه ذلك من الآجال .

ذكر من قال ذلك

حدثني المشي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : أما قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ يعنى : تأويله يوم القيامة ، إلا الله^(٢) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : عواقب القرآن . وقالوا : إنما أرادوا أن يعلموا متى ينجى ناسخ الأحكام التي كان الله جل ثناؤه شرعها لأهل الإسلام قبل مجيئه ، فنسخ ما قد كان شرعه قبل ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَأَتَّبَعْنَا تَأْوِيلَهُ ﴾

(١) سقط من : ت ٢ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٧/٢ (٣١٩٧) من طريق عبد الله بن صالح به .

تَأْوِيلُهُ ﴿١﴾ [٣٨٦/١] أَرَادُوا^(١) أَنْ يَعْلَمُوا تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ ، وَهُوَ عَوَاقِبُهُ ، قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ . وَتَأْوِيلُهُ : عَوَاقِبُهُ ؛ ^(٢) «مَتَى يَأْتِي» النَّاسُخُ مِنْهُ فَيَنْسَخُ الْمَنْسُوخَ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ : وَابْتِغَاءَ^(٤) تَأْوِيلِ مَا تَشَابَهَ^(٥) مِنْ آيِ الْقُرْآنِ يَتَأَوَّلُونَهُ ، إِذْ كَانَ ذَا وَجُوهِ وَتَصَارِيفَ فِي التَّأْوِيلَاتِ ، عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الرَّيْبِ ، وَمَا رَكِبُوهُ مِنَ الضَّلَالَةِ .

ذكر من قال ذلك

١٨٢/٣

حَدَّثَنَا أَبُو حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ : وَذَلِكَ عَلَى مَا رَكِبُوا مِنَ الضَّلَالَةِ فِي قَوْلِهِمْ^(٥) : خَلَقْنَا وَقَضَيْنَا^(٦) .

وَالْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، مِنْ أَنْ ابْتِغَاءَ التَّأْوِيلِ الَّذِي طَلَبَهُ الْقَوْمُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ هُوَ مَعْرِفَةُ انْقِضَاءِ الْمُدَّةِ ، وَوَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ ، وَالَّذِي ذَكَرْنَا عَنْ السَّدِيِّ مِنْ أَنَّهُمْ طَلَبُوا وَأَرَادُوا مَعْرِفَةَ وَقْتِ هَوَاجِئِ قَبْلِ مَجِيئِهِ ، أَوْلَى بِالصَّوَابِ ، وَإِنْ كَانَ السَّدِيُّ قَدْ أَغْفَلَ

(١) فِي ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، س : « وَأَنْ أَرَادُوا » .

(٢ - ٣) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، س : « حَتَّى يَنْسَخَ » .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٩٧/٢ ، ٥٩٨ ، ٣١٩٣ ، ٣٢٠٠ مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ حَمَادٍ بِهِ .

(٤ - ٥) فِي ت ٢ : « تَأْوِيلَهُ » .

(٥) فِي م : « قَوْلَهُ » .

(٦) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٥٧٧/١ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٩٧/٢ (٣١٩٦) مِنْ طَرِيقِ سَلْمَةَ ، عَنْ ابْنِ

إِسْحَاقَ قَوْلَهُ بِمَعْنَاهُ .

معنى ذلك من وجه صرفه إلى حضره على أن معناه أن القوم طلبوا معرفة وقت مجيء الناسخ لما قد أحكم قبل ذلك .

وإنما قلنا : إن طلب القوم معرفة الوقت الذي هو جاء قبل مجيئه ، المحجوب علمه عنهم وعن غيرهم بمتشابه آي القرآن ، أو لى بتأويل قوله : ﴿ وَأَبْتَعَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ ﴾ ؛ لما قد دللنا عليه قبل من إخبار الله جل ثناؤه أن ذلك التأويل لا يعلمه إلا الله ، ولا شك أن معنى قوله : وَقَضَيْنَا وَفَعَلْنَا . قد علم تأويله كثير من جهلة أهل الشرك ، فضلاً عن أهل الإيمان وأهل الرسوخ في العلم منهم .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بذلك : وما يعلم وقت قيام الساعة ، وانقضاء مدة أكل محمد وأُمَّته ، وما هو كائن ، إلا الله ، دون من سواه من البشر ، الذين أمّلوا إدراك علم ذلك من قبيل الحساب والتنجيم والكهانة ، وأما الراسخون في العلم فيقولون : آمنا به كل من عند ربنا . لا يعلمون ذلك ، ولكن فضل عليهم في ذلك على^(١) غيرهم ، العلم^(٢) بأن الله هو العالم بذلك ، دون من سواه من خلقه .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، وهل « الراسخون » معطوفون^(٣) على اسم « الله » ، بمعنى إيجاب العلم لهم بتأويل المتشابه ، أم هم مُستأنف ذكرهم بمعنى الخبر عنهم أنهم يقولون : آمنا بالمتشابه ، وصدقنا أن علم ذلك لا يعلمه إلا الله ؟ فقال

(١) فى ت ٢ : « إلى » .

(٢) سقط من : ت ٢ .

(٣) فى م : « معطوف » .

بعضهم : معنى ذلك : وما يعلم تأويل ذلك إلا الله وحده منفردًا بعلمه ، وأما الراسخون في العلم فإنهم اثبتوا الحبر عنهم بأنهم يقولون : آمننا بالمتشابه والمحكم ، وأن جميع ذلك من عند الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا خالد بن زيار ، عن نافع ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ﴾ . قالت : كان من رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه ، ولم يعلموا تأويله^(١) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، قال : كان ابن عباس يقول^(٢) : (وما يعلم تأويله إلا الله^(٣) ويقول الراسخون في العلم^(٣) آمنًا به)^(٤) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن أبي الزناد ، قال : قال

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٩/٢ (٣٢٠٨) من طريق نافع به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٢) كذا في النسخ . وفي مصادر التخريج : « يقرؤها » . ويقول هنا بمعنى : يقرأ .

(٣ - ٣) في النسخ : « يقول الراسخون » . وأثبتنا نص قراءة ابن عباس كما في مصادر التخريج ، وينظر تفسير البحر المحيط ٢/٣٨٤ .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/١١٦ ، ومن طريقه ابن أبي داود في المصاحف ص ٧٥ ، وأخرجه ابن الأنباري في الأضداد (ص ٤٢٦) من طريق الحسن بن يحيى به ، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٢/٢٨٩ ، من طريق معمر به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

هشامُ بنُ عُزْوَةَ : / كان أبى يقولُ فى هذه الآيةِ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ : إنَّ الراسخين ^(١) فى العلمِ لا يَعْلَمُونَ تأويله ، ولكنهم يقولون : ﴿ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ ^(٢) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا عُبيدُ اللَّهِ ، عن أبى نَهْيكِ الأَسَدِيِّ قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ . فيقول ^(٣) : إنكم تَصِلُونَ هذه الآيةَ ، وإنها مقطوعةٌ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ - ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ ، فانتهى علمُهم إلى قولهم الذى قالوا ^(٤) .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا ابنُ دُكَيْنٍ ، قال : ثنا عمرو بنُ عثمانَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مَوْهَبٍ ^(٥) ، قال : سمعتُ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ يقولُ : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ : انتهى علمُ الراسخين فى العلمِ بتأويلِ القرآنِ إلى أن قالوا : ﴿ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ ^(٦) .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا أشهبُ ، عن مالكٍ فى قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ قال : ثم ابتداءً فقال : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ . وليس يَعْلَمُونَ تأويله ^(٧) .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٩/٢ (٣٢٠٧) عن يونس به .

(٣) فى ت ١ ، ت ٢ : « فيقولون » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٩/٢ (٣٢٠٦) من طريق يحيى بن واضح به .

(٥) فى ت ١ ، ت ٢ : « وهب » . وينظر تهذيب الكمال ١٥٠/٢٢ .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢ ، ٧ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٧) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧/٢ إلى المصنف .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما يَعْلَمُ تأويلَ ذلك إلا الله والراسخون في العلم ، وهم - مع علمهم بذلك ورسوخهم في العلم - يقولون : ﴿ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ .

ذَكَرُ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : أَنَا مَنِ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ : ^(٢) يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ ، وَ ^(٣) يَقُولُونَ : آمَنَّا بِهِ ^(٤) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ : يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ ، وَيَقُولُونَ : آمَنَّا بِهِ ^(٥) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ : [٣٨٦/١] ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ : يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ ، وَيَقُولُونَ : آمَنَّا بِهِ ^(٦) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ﴾ ^(٧) «الَّذِي أَرَادَ ، مَا أَرَادَ» ^(٨) ! ﴿ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾

(١) أخرجه ابن الأنباري في الأضداد ص ٤٢٤ من طريق أبي عاصم به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧/٢ إلى ابن المنذر .

(٢ - ٣) سقط من : ت ٢ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ ، وأخرجه ابن الأنباري في الأضداد ص ٤٢٤ من طريق أبي عاصم به .

(٤) أخرجه عبد بن حميد في تفسيره - كما في التعليق ١٩٠/٤ - من طريق شبيل به .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧/٢ إلى المصنف .

(٦ - ٧) في ت ٢ : «الذي أراد» . وفي سيرة ابن هشام : «الذي به أرادوا ما أرادوا» . والمثبت موافق لما في

تفسير ابن كثير .

يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۖ ﴿١﴾ . ثم رَدُّوا تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ ^(٢) عَلَى مَا عَرَفُوا مِنْ تَأْوِيلِ الْمُحْكَمَةِ الَّتِي لَا تَأْوِيلَ لِأَحَدٍ فِيهَا إِلَّا تَأْوِيلٌ وَاحِدٌ ، فَاتَّسَقَ بِقَوْلِهِمُ الْكِتَابُ ، وَصَدَّقَ بَعْضُهُ بَعْضًا ، فَتَقَدَّتْ بِهِ الْحُجَّةُ ، وَظَهَرَ بِهِ الْعَدْرُ ، وَزَاحَ ^(٣) بِهِ الْبَاطِلُ ، وَدُمِغَ بِهِ الْكُفْرُ ^(٤) .

فمن قال القول الأول في ذلك ، وقال : إن الراسخين لا يعلمون تأويل ذلك ،

وإنما أخبر الله عنهم بإيمانهم / وتصديقهم بأنه من عند الله ، فإنه يَرَفَعُ « الراسخين في العلم » بالابتداء في قول ^(٥) البصريين ، وَيَجْعَلُ خَبْرَهُ ﴿ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۖ ﴾ . وأما في قول بعض الكوفيين فبالعائد من ذكرهم في : ﴿ يَقُولُونَ ﴾ . وفي قول بعضهم بجملة الخبر عنهم وهي ﴿ يَقُولُونَ ﴾ . ومن قال القول الثاني ، وزعم أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله ، عطف ب « الراسخين » على اسم « الله » ، فرفعهم ^(٦) بالعطف عليه .

والصواب عندنا في ذلك أنهم مرفوعون بجملة خبرهم بعدهم ، وهو :

﴿ يَقُولُونَ ﴾ ؛ لما قد بيَّنا قبل من أنهم لا يعلمون تأويل المتشابه الذي ذكره الله عز وجل في هذه الآية ، وهو فيما بلغنى مع ذلك في قراءة أُتِي : (ويقولُ ^(٧) الراسخون في العلم) ^(٨) . كما ذكرناه عن ابن عباس أنه كان يقرؤه . وفي قراءة عبد الله : (إن

(١) بعده في سيرة ابن هشام : « فكيف يختلف وهو قول واحد من رب واحد » .

(٢) في م : « المتشابهة » .

(٣) زاح الشيء : بَعُدَ وَذَهَبَ ، كَانَزَاحَ بِنَفْسِهِ ، تَقُولُ : أَزْحَحْتُ عِلْتَهُ فزاحت . التاج (زى ح) .

(٤) سيرة ابن هشام ١/٥٧٧ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٨/٢ عن ابن إسحاق به .

(٥) في ت ٢ : « قولى » .

(٦) في ت ٢ : « فرفعهم » .

(٧) في ت ٢ : « يقولون » .

(٨) ينظر المحرر الوجيز ٢/٣٤٢ ، وتفسير البحر المحيط ٢/٣٨٤ .

تَأْوِيلُهُ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ^(١) .

وأما معنى التأويل في كلام العرب ، فإنه التفسير والمزجج والمصير ، وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعمشى ^(٢) :

على أنها كانت تأوّل حُبّها تأوّل ^(٣) رِبعِي السَّقَابِ ^(٤) فأصْحَبَا
وأصله : من آل الشيء إلى كذا ، إذا صار إليه ورجع ، يُتَوَلُّ أَوْلًا ، وأولُّه أنا ،
صيرته إليه .

وقد قيل : إنَّ قوله : ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] أى : جزاءً ، وذلك أن
الجزاء هو المعنى ^(٥) الذى آل إليه أمر القوم ، وصار إليه .

ويعنى بقوله : تأوّل حُبّها : تفسير حُبّها ومرجعها . وإنما يُريدُ بذلك أنَّ
حُبّها كان صغيراً فى قلبه ، فال من الصّغر إلى العِظَم ، فلم يَزَلْ يَنْبُتُ حتى
أصْحَبَ ^(٦) فصار قديماً ، كالسَّقْبِ الصغير الذى لم يَزَلْ يَنْبُتُ حتى أصْحَبَ
فصار كبيراً مثل أمّه .

وقد يُنشدُ هذا البيت ^(٧) :

(١) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٣٤٢/٢ ، وأبو حيان فى البحر المحيط ٣٨٤/٢ ، وفى المصاحف لابن أبى داود ص ٥٩ : « وإن حقيقة تأويله ... » .

(٢) ديوانه ص ١١٣ .

(٣) فى م : « توالى » .

(٤) فى ت ٢ : « السقات » . والسقَاب : جمع السَّقْب ، وهو ولد الناقة الذكر ساعة يولد ، ولا يقال للأنتى : سقبة . ينظر التاج (س ق ب) .

(٥) سقط من : م ، س .

(٦) أصحَب : دَلَّ وانقاد . التاج (ص ح ب) .

(٧) رواية اللسان (ر ب ع ، و ل ي) :

ولكنها كانت نوى أجنبتية
توالى ربعي السقَاب فأصحبا =

على أنّها كانت تَوَابِعُ حُجَبِهَا تَوَالِي رِبْعِي السَّقَابِ فَأَصْحَبَا
الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ﴾ .

يعنى بالرّاسخين فى العلم العلماء الذين قد أتقنوا علمهم ، ووعّوه فحفظوه
حفظًا لا يندخلهم فى معرفتهم وعلمهم بما علموه شكًّا ولا لبسًا . وأصل ذلك من
رُسُوخِ الشَّيْءِ فى الشَّيْءِ ، وهو ثبوته وولُوجُه فيه ، يقالُ منه : رَسَخَ الإيمانُ فى قلبِ
فلانٍ ، فهو يَرَسُخُ رَسَخًا ورُسُوخًا .

وقد رُوِيَ فى نعتهم خبرٌ عن النّبىِّ ﷺ ، وهو ما حدّثنا موسى بنُ سهيل
الرملىّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ عبدِ الله ، قال : ثنا فياضُ بنُ محمدِ الرّقّىّ ، قال : ثنا عبدُ
الله بنُ يزيدِ بنِ آدمَ ، عن أبى الدرداءِ / وأبى أُمّامةَ ، قالَا : سئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ : مَنْ
الراسخُ فى العلمِ ؟ قال : « مَنْ بَرَّتْ يَمِينُهُ ، وَصَدَقَ لِسَانُهُ ، وَاسْتَقَامَ بِهِ قَلْبُهُ ، وَعَفَّ
بَطْنُهُ ، فَذَلِكَ الرَّاسِخُ فى الْعِلْمِ » ^(١) .

حدّثنى المثنى وأحمدُ بنُ الحسنِ الترمذىّ ، قالَا : ثنا نعيمُ بنُ حمادٍ ،
قال ^(٢) : ثنا فياضُ الرّقّىّ ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ يزيدِ الأودىّ - قال : وكان
أدركَ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ - قال : حدّثنا أنسُ بنُ مالكٍ وأبو أُمّامةَ وأبو

= قال الأزهرى : هكذا سمعت العرب تنشده ، وفسروا لى توالى السقاب أنه من الموالاة ، وهو تمييز شىء
من شىء . يقال : والينا الفصلان عن أمهاتها فتوالت ، أى : فصلناها عنها عند تمام الحول ويشد الموالاة
ويكثر حينها فى أثر أمهاتها ويتخذ لها خندق تحبس فيه ، وتسرح الأمهات فى وجه من مراتعها ، فإذا
تباعدت عن أولادها سرحت الأولاد فى جهة غير جهة الأمهات ، فترعى وحدها فتستمر على ذلك ،
وتُصحب بعد أيام ؛ أخبر الأعشى أن نوى صاحبه اشتدت عليه فحنّ إليها حين ربي السقاب إذا وولى
عن أمه . تهذيب اللغة ٢/٣٧٧ .

(١) أخرجه الطبرانى (٧٦٥٨) من طريق عبد الله بن يزيد به ، بزيادة أنس وواثلة .

(٢) فى ت ٢ : « قالَا » .

الدُّرْدَاءِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، فَقَالَ: «مَنْ بَرَّثَ يَمِينَهُ، وَصَدَّقَ لِسَانَهُ، وَاسْتَقَامَ بِهِ قَلْبُهُ، وَعَفَّ بَطْنَهُ وَفَرَّجَهُ، فَذَلِكَ الرَّاسِخُ فِي الْعِلْمِ»^(١).

وقد قال جماعة من أهل التأويل: إنما سُمِّيَ اللَّهُ عز وجل هؤلاء القومَ الراسخين في العلم، بقولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِءَ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ وَكَيْعٍ، قال: ثنا أُمِّي، عن سَفِيانَ، عن جَابِرٍ، عن مَجَاهِدٍ، عن ابنِ عَبَّاسٍ، قال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِءَ﴾ قال: الراسخون الذين يقولون: آمنا به كل من عند ربنا^(١).

حدَّثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: هم المؤمنون، فإنهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِءَ﴾ بناسخه ومنسوخه ﴿كُلُّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾^(٢).

حدَّثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، قال: قال ابنُ جُرَيْجٍ: قال ابنُ عَبَّاسٍ: قال عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: وَعِلْمُهُمْ قَوْلُهُمْ. قال ابنُ جُرَيْجٍ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِءَ﴾ وهم

(١) أخرجه ابن عساكر ٣٢٦/٣٩ - ٣٢٧ (طبعة مجمع اللغة بدمشق) من طريق نعيم به. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٩/٢ (٣٢٠٥) من طريق نعيم به عن أبي الدرداء وحده. وأخرجه ابن عساكر ٩١٧/١٥ (مخطوط) من طريق عبد الله بن يزيد الأودي، عن أنس وحده.

(٢) ينظر تفسير البغوي ١١/٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٠/٢ (٣٢١٢)، وعقب الأثر (٣٢١٤) من طريق عمرو به.

الذين يقولون : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ ويقولون : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ الآية .

وأما تأويل قوله : ﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ﴾ . فإنه يعنى أن الراسخين فى العلم يقولون : صدقنا بما تشابه من آي الكتاب ، وأنه حق وإن لم نعلم تأويله .

وقد حدثنى أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سلمة بن نبيط ، عن الضحاك : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ﴾ قال : المحكم والمتشابه .

القول فى تأويل قوله : ﴿ كُلُّ مَن عِنْدَ رَبِّنَا ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ كُلُّ مَن عِنْدَ رَبِّنَا ﴾ : كل المحكم من الكتاب والمتشابه منه من عند ربنا ، وهو تنزيله ووحيه إلى نبيه محمد [٣٨٧/١] ﷺ .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ كُلُّ مَن عِنْدَ رَبِّنَا ﴾ ^(١) قال : يعنى ما نُسِخُ منه وما لم يُنسخ ^(٢) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ : والراسخون فى العلم قالوا : ﴿ كُلُّ مَن عِنْدَ رَبِّنَا ﴾ ^(١) آمنوا بمتشابهه ، وعملوا بمحكمه ^(٢) .

(١ - ١) سقط من : ت ٢ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٠/٢ (٣٢١٤) من طريق وكيع به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٠/٢ (٣٢١٥) من طريق شيبان ، عن قتادة ، وفيه زيادة .

/حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا ﴾ يقولون : المحكَّم والمتشابه من عند الله ^(١) .

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ - كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا ﴾ : نُؤْمِنُ بِالْمَحْكَمِ وَنَدِينُ بِهِ ، وَنُؤْمِنُ بِالْمُتَشَابِهِ وَلَا نَدِينُ بِهِ ، وَهُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كُلِّهِ ^(٢) .

حدَّثنا يحيى بن أبي طالب ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا جويري ، عن الضحاك في قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ : يَعْمَلُونَ ^(٣) به ، يقولون : نَعْمَلُ بِالْمَحْكَمِ وَنُؤْمِنُ بِهِ ، وَنُؤْمِنُ بِالْمُتَشَابِهِ وَلَا نَعْمَلُ بِهِ ، وَكُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا ^(٤) .

واختلف أهل العربية في حكم « كل » إذا أضمر فيها ؛ فقال بعض نحويي البصريين : إنما ^(٥) جاز حذف المراد الذي كان معها ، الذي « الكل » إليه مضاف في هذا الموضع ؛ لأنها اسم ، كما قال : ﴿ إِنَّا كُلٌّ فِيهَا ﴾ [غافر : ٤٨] بمعنى : إِنَّا كُلُّنَا فِيهَا . قال : ولا يكون « كل » مُضْمَرًا ^(٦) فيها وهي صفة ، لا يقال : مَرَزَتْ بِالْقَوْمِ كُلًّا . وإنما يكون فيها مُضْمَرًا ^(٦) إذا جعلتها اسمًا ، لو كان : إِنَّا كُلًّا فِيهَا ، على الصفة ، لم يَجُزْ ؛ لأنَّ الإضمار فيها ^(٧) ضعيف ، لا يَتِمَّكُنُّ فِي كُلِّ مَكَانٍ .

وكان بعض نحويي الكوفيين يَرَى الإضمار فيها وهي صفة أو اسم سواء ؛ لأنه غير جائز أن يُحذف ما بعدها عنده إلا وهي كافية بنفسها عما كانت تُضاف إليه من

(١) في م : « ربنا » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠١/٢ (٣٢١٧) عن محمد بن سعد به .

(٣) في ت ١ ، ت ٢ ، س : « يعلمون » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٠/٢ (٣٢١٦) من طريق جويري به .

(٥) في م : « إذا » .

(٦ - ٦) سقط من : ت ٢ .

(٧) في ت ٢ : « فيه » .

المُضْمَرِ ، وغيرِ جائزٍ أن تكونَ كافيّةً منه في حالٍ ، ولا تكونَ كافيّةً في أُخْرَى .
وقال : سبيلُ « الكلِّ » و « البعضِ » في الدلالةِ على ما بعدهما بأنفسهما وكفائتهما
منه بمعنى واحدٍ في كلِّ حالٍ ، صفةً كانت أو اسماً .

وهذا القولُ الثانى أَوْلَى بالقياسِ ؛ لأنها إذا كانت كافيّةً بنفسها مما حُذِفَ منها
في حالٍ لدلالتها عليه ، فالحكمُ فيها أنها كلّمًا وُجِدَتْ دالّةٌ على ما بعدها ، فهى
كافيّةٌ منه .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٧) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وما يَذَّكَّرُ وَيَتَّعِظُ وَيَنْزِجُرُ عن أن يقولَ فى متشابهِ آيِ
كتابِ اللَّهِ ما لا علمَ له به ، إلا أولو العقولِ والنّهى .

وقد حدّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ
ابنِ الزبيرِ : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ يقولُ : وما يَذَّكَّرُ فى مثلِ هذا ، يعنى : فى
ردِّ تأويلِ المتشابهِ إلى ما قد عُرفَ من تأويلِ المُحكّمِ ، حتى يَنسَقا على معنى واحدٍ ، إلا
أولو الألبابِ ^(١) .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً
إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٨) .

يعنى بذلك جل ثناؤه أن الرّاسخين فى العلمِ يقولون : آمنا بما تشابهَ من آيِ
كتابِ اللَّهِ ، وإنه هو ^(٢) والمُحكّمُ من / آيِهِ من تنزيلِ رَبَّنَا ووَحْيِهِ . ويقولون أيضًا : ١٨٧/٣

(١) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠١/٢ (٣٢١٩) من طريق سلمة ، عن ابن
إسحاق قوله .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ يعني أنهم يقولون - رغبة منهم إلى ربهم في أن يَصْرِفَ عنهم ما ابْتُلِيَ به الذين زَاغَتْ قلوبهم من أتباعِ متشابهِ آي القرآن ؛ ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويله الذي لا يعلمه غيرُ الله - : يا ربنا ، لا تجعلنا مثل هؤلاء الذين زَاغَتْ قلوبهم عن الحقِّ ، فَصَدُّوا عن سبيلك ؛ ﴿ لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا ﴾ : لا تملها فتصرفها عن هُداك ، ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ له ، فوَقَفْتَنَا للإيمانِ بِمُحْكَمِ كِتَابِكَ ومتشابهه ، ﴿ وَهَبْ لَنَا ﴾ يا رَبَّنَا ، ﴿ مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾ يعني : من عندك رحمة . يعني بذلك : هَبْ لَنَا من عندك توفيقاً وثباتاً للذي نحن عليه من الإقرارِ بِمُحْكَمِ كِتَابِكَ ومتشابهه ، ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ أَوْهَابٌ ﴾ يعني : إِنَّكَ أَنْتَ الْمُعْطَى عِبَادَكَ التوفيقَ والسدادَ للثباتِ على دينك ، وتصديقي كتابك ورسلك .

كما حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاق ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ . أى : لا تملِ قلوبنا وإن ملنا بأحداثنا^(١) ، ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾^(٢) .

وفى مدحِ اللهِ جل ثناؤه هؤلاء القومَ بما مدحهم به - من رغبتهُم إليه فى ألا يُرِغَ قلوبهم ، وأن يُعْطِيَهُم رَحْمَةً منه ؛ معونةً لهم للثباتِ على ما هم عليه من حسنِ البصيرةِ بالحقِّ الذى^(٣) هم عليه مُقيمون - ما أبان عن خطأ قولِ الجهلةِ من القَدَرِيَّةِ : إِنَّ إِزَاغَةَ اللهِ لِقَلْبٍ مَنْ أَرَاغَ قَلْبَهُ مِنْ عِبَادِهِ عَنْ طَاعَتِهِ ، وإمالتَه^(٤) له عنها ، جَوْرٌ ؛ لأنَّ

(١) فى م : « بأجسادنا » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠١/٢ (٣٢٢١) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٣) فى ت ٢ : « الذين » .

(٤) فى ت ١ : « لا بامنه » ، وفى ت ٢ : « لا نامنه » ، وفى س : « بامنه » ، وكذا فى ص ولكن غير منقوطة .

ذلك لو كان كما قالوا لكان الذين قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ بالذمّ أوّلَى منهم بالمدح؛ لأن القول لو كان كما قالوا، لكان القوم إنما سألوا ربهم بمسألتهم^(١) إِيَّاهُ الْأَلَّا يُزِغَ قُلُوبَهُمْ، أَلَّا يَظْلِمَهُمْ وَلَا يَجُورَ عَلَيْهِمْ، وذلك من السائل^(٢) جَهْلٌ؛ لأن الله جل ثناؤه لا يَظْلِمُ عِبَادَهُ، ولا يَجُورُ عَلَيْهِمْ، وقد أَعْلَمَ عِبَادَهُ ذَلِكَ، ونفاه عن نفسه بقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. ولا وَجْهَ لمسألتِهِ أَنْ يَكُونَ بِالصَّفَةِ الَّتِي قَدْ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ بِهَا. وفي فساد ما قالوا من ذلك الدليل الواضح على أَنَّ عَدْلًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِزَاعَةٌ مِّنْ أَرَاغِ قَلْبِهِ مِنْ عِبَادِهِ عَن طَاعَتِهِ، فلذلك اسْتَحَقَّ الْمَدْحَ مَن رَغِبَ إِلَيْهِ فِي أَنْ لَا يُزِغَهُ، [٣٨٧/١] لتوجيهه^(٣) الرغبة إلى أهلها، ووضعه مسألتَهُ مَوْضِعَهَا، مع تظاهر الأخبارِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ برغبته إلى ربِّهِ فِي ذَلِكَ، مع محله منه وكرامته عليه.

حدَّثنا أبو كُريب، قال: ثنا وَكَيْعٌ، عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّثْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ». ثم قرأ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ إلى آخر الآية^(٤).

حدَّثنا أبو كُريب، قال: ثنا وَكَيْعٌ، عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن أسماء، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ بنحوه.

حدَّثنا المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا عبد الحميد بن بهرام

(١) في م، ت ٢، س: «مسألتهم».

(٢) في ص: «المسائل».

(٣) في ص، ت ١، ت ٢، س: «لتوجيهه».

(٤) أخرجه أحمد ٢٩٤/٦ (الميمنية)، وابن أبي حاتم ٢/٦٠١ - ٦٠٢ (٣٢٢٢) من طريق وكيع

الفزاري، قال : ثنا شهر بن حوشب، قال : سمعتُ أم سلمةَ تحدّثُ أن رسولَ الله ﷺ كان يُكثِرُ في دعائه أن يقولَ : « اللهم مُقَلِّبِ القلوبِ ثبِّتْ قلبي على دينك » . قالت : قلتُ : يا رسولَ الله ، وإنَّ القلبَ لَيُقَلِّبُ ؟ قال : « نعم ، ما خلقَ الله من بشرٍ من بنى آدمَ إلَّا إنَّ^(١) قلبه بين إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ ، / فَإِنْ شَاءَ أَقَامَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَرَاغَهُ ، فَسَأَلَ اللهُ رَبَّنَا أَلَا يُزِيغُ قلوبَنَا بعدَ إِذْ هَدَانَا ، ونسأله أن يَهَبَ لنا من لَدُنْهُ رحمةً ، إنه هو الوهابُ » . قالت : قلتُ : يا رسولَ الله ، أَلَا تُعَلِّمُنِي دعوةً أدعو بها لنفسي ؟ قال : « بلى^(٢) ، قولي : اللهم ربَّ النبيِّ محمدٍ ، اغفرْ لي ذنبي ، وأذهبْ غيظَ قلبي ، وأجزني من مُضَلَّاتِ الفِتَنِ^(٣) » .

١٨٨/٣

حدّثني محمدُ بنُ منصورِ الطوسي، قال : ثنا محمدُ بنُ عبدِ الله الزُّبيري، قال : ثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن أبي سفيانَ ، عن جابرٍ ، قال : كان رسولُ الله ﷺ يُكثِرُ أن يقولَ : « يا مُقَلِّبِ القلوبِ ثبِّتْ قلبي على دينك » . فقال له بعضُ أهله : تَخَافُ علينا وقد أَمَّنَّا بك وبما جِئْتَ به ؟ قال : « إنَّ القلبَ بين إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وتعالى ، يقولُ بهما^(٤) هكذا » . وحركَ أبو أحمدَ إصْبَعَيْهِ . قال أبو جعفرٍ : وإنَّ الطوسيَّ^(٥) وسقَّ^(٦) بين إصْبَعَيْهِ^(٧) .

(١) في م ، ومعجم الطبراني : « و » .

(٢) بعده في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « قال » .

(٣) أخرجه الطبراني ٣٣٨/٢٣ (٧٨٥) من طريق حجاج بن المنهال به . وأخرجه أحمد ٣٠١/٦ ، ٣٠٢ (اليمينية) ، وعبد بن حميد (١٥٣٢ - منتخب) ، وابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير ١٠/٢ - من طريق عبد الحميد بن بهرام به . وأخرجه ابن أبي شيبة ٢٠٩/١٠ ، ٢١٠ ، وأحمد ٣١٥/٦ (اليمينية) ، والترمذي (٣٥٢٢) ، والطبراني ٣٣٤/٢٣ (٧٧٢) من طريق شهر بن حوشب به .

(٤) في م : « به » .

(٥) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « أبا الطوسي » .

(٦) الوشق : ضم الشىء إلى الشىء . اللسان (و س ق) .

(٧) أخرجه أبو يعلى (٢٣١٨) ، والبيهقي في الشعب (٧٥٦) من طريق سفيان به .

حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ ، قَالَ : ثنا أَبُو معاويةَ ، قَالَ : ثنا الْأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي سَفِيَانَ ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَثِيرًا مَا يَقُولُ : « يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ تَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » . قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ آمَنَّا بِكَ ، وَصَدَّقْنَا بِمَا جِئْتَ بِهِ ، فَتَخَافُ عَلَيْنَا ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ ، يُقَلِّبُهَا ^(١) تَبَارَكَ وَتَعَالَى » ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ ، قَالَ : ثنا بَشْرُ بْنُ بَكْرٍ ، وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ : ثنا ^(٣) أَيُّوبُ بْنُ بَشِيرٍ ، جَمِيعًا ^(٤) عَنْ ابْنِ جَابِرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ بُشَيْرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ، إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ » . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ تَبَّتْ قُلُوبُنَا عَلَى دِينِكَ ، وَالْمِيزَانَ بِيَدِ الرَّحْمَنِ ، يَرْفَعُ أَقْوَامًا وَيَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » ^(٥) .

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الطَّائِي ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدَةَ ، قَالَ : ثنا الْجَرَّاحُ

(١) بعده في ص ، ت ٢ : « الله » .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٢٠٩/١٠ ، وفي الإيمان (٥٥) ، وأحمد ١٦٠/١٩ (١٢١٠٧) ، والترمذي (٢١٤٠) ، وأبو يعلى (٣٦٨٧ ، ٣٦٨٨) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٥) ، والحاكم ٥٢٦/١ من طريق أبي معاوية به .

(٣-٣) سقط من : س ، وفي ص ، ت ٢ : « بن جميعا » ، وفي ت ١ : « بن » وبعده بياض بمقدار كلمتين .

(٤) في م : « بشر » .

(٥) أخرجه الحاكم ٣٢١/٤ من طريق محمد بن عبد الله بن عبد الحكم به . وأخرجه أيضًا ٥٢٥/١ ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٩٩) من طريق بشر بن بكر به .

وأخرجه أحمد ١٧٨/٢٩ (١٧٦٣٠) ، وابن ماجه (١٩٩) ، والنسائي في الكبرى (٧٧٣٨) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢١٩) ، وابن خزيمة في التوحيد (٥٤) ، وابن حبان (٩٤٣) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٤١) ، من طريق ابن جابر به .

ابن مليح البهراني، عن الزُّبَيْدِيِّ، عن جُبَيْرٍ^(١)، عن سَمْرَةَ بنِ فَاتِكِ الأَسَدِيّ، وكان من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «الموازينُ بيدِ اللهِ، يَرْفَعُ قَوْمًا^(٢) وَيَضَعُ قَوْمًا^(٣)، وقلبُ ابنِ آدَمَ بينِ إصْبَعَيْنِ من أصابعِ الرحمنِ، إذا^(٤) شاء أزاغَهُ، وإذا^(٣) شاء أقامَهُ»^(٤).

حدَّثني المثنى، قال: ثنا سُويْدُ بنُ نصيرٍ، قال: أخبرنا ابنُ المبارك، عن حَيوَةَ بنِ شُرَيْحٍ، قال: أخبرني أبو هانئِ الخَوْلاني، أنه سمِعَ أبا عبدِ الرحمنِ الجُبَلِيّ يقولُ: «سمِعْتُ عبدَ اللهِ بنَ عمرو بنِ العاصِ يقولُ: سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إن قلوبَ بني آدَمَ كلَّها بينِ إصْبَعَيْنِ من أصابعِ الرحمنِ كقلبِ واحدٍ، يُصَرِّفُ كيف يشاءُ»^(٥). ثم يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ: «اللهمَّ مُصَرِّفَ القلوبِ صَرِّفْ قلوبنا إلى طاعتِكَ»^(٦).

حدَّثنا الربيعُ بنُ سليمانَ، قال: ثنا أسدُ بنُ موسى، قال: ثنا عبدُ الحميدِ بنُ بهرامَ، قال: ثنا شهرُ بنُ حوشبٍ، قال: سمِعْتُ أمَّ سلمَةَ تُحدِّثُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يُكثِرُ في دعائه أن يقولَ: «اللهمَّ تَبِّثْ قلبي على دينِكَ». قالت: قلتُ:

١٨٩/٣

(١) في م: «جوير»، وغير واضحة في ت ٢. وينظر تهذيب الكمال ٥٠٩/٤.

(٢) في م: «أقوامًا».

(٣) في م: «إن».

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٢٠)، وفي الأحاد والمثاني (١٠٤١، ١٠٤٢)، والطبراني (٦٥٥٧) من طريق جبير به.

(٥) في ص، ت ١، ت ٢، س: «شاء».

(٦) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٧٣٩) من طريق عبد الله بن المبارك به. وأخرجه أحمد ١٣٠/١١ (٦٥٦٩)، ومسلم (٢٦٥٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٢، ٢٣١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٩٨، ٧٤٠) من طريق حيوة بن شريح به.

يا رسولَ اللَّهِ ، وإنَّ القلوبَ لَتُغْلَبُ ؟ قال : « نعم ، ما مِن خلقِ اللَّهِ مِن بنى آدمَ بشرٌ إلا أن قلبه بين إضْبَعَيْنِ من أصابعِ اللَّهِ ، إن شاء أقامه ، وإن شاء أزاغَه ، فنَسألُ اللَّهَ رَبَّنَا ألا يُزِيغَ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يَهَبَ لنا من لَدُنْه رحمةً ، إنه هو الوهابُ ^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ أَلِيمَعَادَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه أنهم يقولون أيضًا - مع قولهم : آمنا بما تشابه من آي ^(٢) كتابِ رَبَّنَا ؛ كلُّ ^(٣) المحكمِ والمتشابهِ الذى فيه من عندِ رَبَّنَا - يا ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ أَلِيمَعَادَ ﴾ .

وهذا من الكلامِ الذى اشتغيتى بذكرِ ما ذُكِرَ منه عمَّا تركَ ذكره . وذلك أن معنى الكلامِ : رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فاغفرْ لنا يومئذٍ ، واعفُ عَنَّا ، فإنك لا تُخَلِّفُ وَعَدَّكَ أَنْ مَنْ آمَنَ بِكَ ، واتَّبَعَ رَسولَكَ ، [٣٨٨/١] وعَمِلَ بالذى أمرته به فى كتابِكَ ، أنك غافره يومئذٍ .

وإنما هذا من القومِ مسألةُ رَبِّهِمْ أن يُبَيِّنَهُمْ على ما هم عليه من حُسْنِ نُصْرَتِهِمْ ^(٤) بالإيمانِ باللهِ ورسوله ، وما جاءهم به من تنزيله ، حتى يَقْبِضَهُمْ على أحسنِ أعمالِهِمْ وإيمانِهِمْ ، فإنه إذا فعل ذلك بهم وجب لهم الجنةُ ؛ لأنه قد وعدَّ مَنْ فعل ذلك به من عبادِهِ ^(٥) أنه يُدْخِلُهُ الجنةَ . فالآيةُ وإن كانت قد خَرَجَتْ مَخْرَجَتْ الخَيْرِ ، فإنَّ تأويلها من

(١) فى ت ١ ، س : « التواب » . وينظر ما تقدم فى ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٢) بعده فى س : « القرآن » .

(٣) فى س : « كله » .

(٤) كذا فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، س ، وغير منقوطة فى ص ، ولعل الصواب : بصيرتهم .

(٥) فى ص ، ت ١ : « عبادته » .

القوم مسألة ودعاءً ورجبةً إلى ربهم .

وأما معنى قوله : ﴿ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . فإنه : لا شك فيه .

وقد بيّننا ذلك بالأدلة على صحته فيما مضى قبل^(١) .

ومعنى قوله : ﴿ لِيَوْمٍ ﴾ : فى يوم . وذلك يوم يجمع الله فيه خلقه لفصل

القضاء بينهم فى موقف العرَض والحساب .

والميعادُ : المفعالُ ، من الوعدِ .

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا

أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ : إن الذين جحدوا الحق الذى قد

عرفوه من نبوة محمد ﷺ ، من يهود بنى إسرائيل ومنافقيهم ، ومنافقي العرب

وكفارهم ، الذين فى قلوبهم زيغ ، فهم يتبعون من كتاب الله المتشابهة ابتغاء الفتنة وابتغاء

تأويله ، ﴿ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ . يعنى بذلك أن أموالهم

وأولادهم لن تُنجيهم من عقوبة الله إن أحلها بهم عاجلاً ، فى الدنيا على تكذيبهم بالحق

بعد تبئيرهم^(٢) ، واتباعهم المتشابهة طلب اللبس ، فتدفعها عنهم ، ولا يُعنى^(٣) ذلك

عنهم منها^(٣) شيئاً ، وهم فى الآخرة ﴿ وَقُودُ النَّارِ ﴾ يعنى بذلك : حطبها .

١٩٠/٣ / القول فى تأويل قوله : ﴿ كَذَابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

(١) ينظر ما تقدم فى ١/٢٣١ - ٢٣٣ .

(٢) فى م : « تبئيرهم » ، وفى س : « نبتهم » .

(٣) فى ت ٢ : « عنهم من ذلك » .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه: إنّ الذين كفروا لن تُغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً عند حلول عقوبتنا بهم، كسنة آل فرعون وعادتهم^(١)، والذين من قبلهم من الأمم الذين كذبوا بآياتنا، فأخذناهم بذنوبهم، فأهلكناهم حين كذبوا بآياتنا، «فلم تغن^(٢) عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً حين جاءهم بأسنا، كالذين عوجلوا بالعقوبة على تكذيبهم ربهم من قبل آل فرعون، من قوم نوح وقوم هود وقوم لوط وأمثالهم.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾؛ فقال بعضهم: معناه: كسنتهم.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنى المثنى، قال: ثنا إسحاق بن الحجاج، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾. يقول: كسنتهم^(٣). وقال بعضهم: معناه: كعملهم^(٤).

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنا محمد بن بشر، قال: ثنا مؤمّل، قال: ثنا سفيان، وحدّثنى المثنى، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان، جميعاً عن جوير، عن الضحاك: ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾. قال: كعمل آل فرعون^(٥).

(١) فى ص، ت ١، ت ٢، س: «دعائهم». وينظر مجاز القرآن ١/٨٧.

(٢-٢) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣: «فلن تغن»، وفى م، س: «فلن تغنى»، وأثبتنا ما يناسب السياق.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩/٢ إلى المصنف.

(٤) فى ت ٢: «كعملهم».

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٠٣، ٥/١٧١٨ عقب الأثر (٣٢٣٠، ٩١٧٧) معلقاً.

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قَالَ : ثنا جُوَيْرٌ ، عن الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ ﴾ . قَالَ : كَعْمَلِ آلِ فِرْعَوْنَ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ ﴾ قَالَ : كَأَعْمَالِهِمْ ^(١) ، كَفَعْلِهِمْ ، كَتَكْذِيبِهِمْ حِينَ كَذَّبُوا الرِّسْلَ . وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ : ﴿ مِثْلَ ذَابٍ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ [غافر : ٣١] . أَنْ يُصَيِّبَكُمْ مِثْلُ الَّذِي أَصَابَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ . قَالَ : الدَّأْبُ الْعَمَلُ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قَالَ : ثنا أَبُو ثُمَيْلَةَ يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد في قوله : ﴿ كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ ﴾ . قَالَ : كَفَعْلِ آلِ فِرْعَوْنَ ، كَشَأْنِ آلِ فِرْعَوْنَ ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْمُنْجَابِ ، قَالَ : ثنا بشرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عن أبي رَوْحٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ ﴾ . قَالَ : كَصُنْعِ آلِ فِرْعَوْنَ ^(٣) .
وَقَالَ آخَرُونَ : معنَى ذَلِكَ : كَتَكْذِيبِ آلِ فِرْعَوْنَ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثنا عمروُ بْنُ حَمَّادٍ ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عن السدِّيِّ : ﴿ كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ : ذَكَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا / فَقَالَ ^(٤) : تَكْذِيبُهُمْ كَمِثْلِ تَكْذِيبِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فِي الْجُحُودِ وَالتَّكْذِيبِ ^(٥) .

١٩١/٣

(١) سقط من : م .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٣/٢ ، ١٧١٨/٥ عقب الأثر (٣٢٣٠ ، ٩١٧٧) معلقاً .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٣/٢ ، ١٧١٨/٥ (٣٢٣٠ ، ٩١٧٧) من طريق المنجاب به .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « وأفعال » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٣/٢ (٣٢٣١) من طريق عمرو به .

وأصلُ الدَّأْبِ مِنَ : دَأَبْتُ فِي الْأَمْرِ دَأَبًا ، إِذَا أَدْمَنْتَ الْعَمَلَ وَالتَّعَبَ فِيهِ . ثُمَّ إِنَّ الْعَرَبَ نَقَلَتْ مَعْنَاهُ إِلَى الشَّأْنِ وَالْأَمْرِ وَالْعَادَةِ ، كَمَا قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ ^(١) :

وَإِنْ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ ^(٢) فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعْوَلٍ ^(٣)
 كَدَأْبِكَ ^(٤) مِنْ أُمَّ الْحَوَئِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمَّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلٍ
 يَعْنِي بِقَوْلِهِ : كَدَأْبِكَ . كَشَأْنِكَ ^(٥) وَأَمْرِكَ وَفَعْلِكَ . يُقَالُ مِنْهُ : هَذَا دَأْبِي
 وَدَأْبُكَ أَبَدًا . يَعْنِي بِهِ : فِعْلِي وَفَعْلُكَ ، وَأَمْرِي وَأَمْرُكَ ، وَشَأْنِي وَشَأْنُكَ . يُقَالُ مِنْهُ :
 دَأَبْتُ دُؤُوبًا وَدَأَبًا . وَحِكْمِي عَنِ الْعَرَبِ سَمَاعًا : دَأَبْتُ دَأَبًا . مُتَقَلَّةٌ مُحَرَّكَةٌ الْهَمْزَةُ ،
 كَمَا قِيلَ : هَذَا شَعْرٌ وَنَهْرٌ ^(٦) . فَتُحَرِّكُ ثَانِيَهُ ؛ لِأَنَّهُ حَرْفٌ مِنَ الْحُرُوفِ السِّتَةِ ^(٧) ، فَأُلْحِقَ
 الدَّأْبُ إِذْ كَانَ ثَانِيَهُ مِنَ الْحُرُوفِ السِّتَةِ ، [٣٨٨/١] ظ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ ^(٨) :

لَهُ نَعْلٌ لَا تَطْبِي ^(٩) الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ ^(١٠) بَيْنَ الْمَجَالِسِ ^(١١) شُمَّتِ
 وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ : وَاللَّهُ شَدِيدٌ عِقَابُهُ لِمَنْ كَفَرَ
 بِهِ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ ، بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ .

(١) ديوانه ص ٩ .

(٢) في الديوان : « إن سفحتها » .

(٣) معول : قيل : مَبْكِي ، وقيل : مستغاث ، وقيل : مخمل ومغتمد . اللسان (ع و ل) .

(٤) في الديوان : « كدينك » .

(٥) في ص ، ت ٢ : « كتابك » ، وفي ت ١ : « كفابك » .

(٦) في م : « بهر » .

(٧) الحروف الستة : هي حروف الحلق .

(٨) هو كثير عزة ، والبيت في ديوانه (مجموع) ص ٣٢٤ .

(٩ - ١٠) في الديوان : « إذا طرحت لم تطب » .

(١٠) طباه يطبوه ويطبويه : إذا دعاه . اللسان (ط ب ي) .

(١١ - ١١) في الديوان : « في مجلس القوم » .

القول في تأويل قوله: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ وَيَسَّ أَلْمِهَادُ ﴾ .

اختلفت القراءة في ذلك ؛ فقرأه بعضهم : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ ﴾ بالتاء ، على وجه الخطاب للذين كفروا بأنهم سيغلبون ^(١) . واحتجوا لاختيارهم قراءة ذلك بالتاء بقوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ . قالوا : ففي ذلك دليل على أن قوله : ﴿ سَتُغْلَبُونَ ﴾ . كذلك خطاب لهم ، وذلك هو قراءة عامة قراءة الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين . وقد يجوز لمن كانت نيته في هذه الآية أن المؤمنون بأن يغلبوا هم الذين أمر النبي ﷺ بأن يقول ذلك لهم ، أن يقرأه بالتاء والياء ؛ لأن الخطاب بالوحي حين نزل لغيرهم ، فيكون نظير قول القائل في الكلام : قلت للقوم : إنكم مغلوبون . وقلت لهم : إنهم مغلوبون .

وقد ذكر أنّ في قراءة عبد الله : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ تَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَكُمْ) ^(٢) . وهي في قراءتنا : ﴿ إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٣٨] .

وقرأت ذلك جماعة من قراءة أهل الكوفة : (سَيُغْلَبُونَ وَيُحْشَرُونَ) . على معنى : قُلْ لليهود : سيغلب مشركو العرب ، ويحشرون إلى جهنم . ومن قرأ ذلك كذلك على هذا التأويل ، لم يجز في قراءته غير الياء .

/ والذي نختار من القراءة في ذلك قراءة من قرأه بالتاء ، بمعنى : قل يا محمد للذين كفروا من يهود بني إسرائيل ، الذين يتبعون ما تشابه من أي الكتاب الذي أنزلته إليك ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله : ﴿ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسَّ أَلْمِهَادُ ﴾ .

١٩٢/٣

(١) هي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وعاصم وابن عامر ، وقرأ حمزة والكسائي بالياء ، وسيأتي . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٣ .

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ١/ ١٩٢ .

الْمَهَادُ ﴿١﴾ .

وإنما اخترنا قراءة ذلك كذلك ، على قراءته بالياء ، لدلالة قوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ . على أنهم بقوله : ﴿ سَتُغْلَبُونَ ﴾ مخاطبون خطابهم بقوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ﴾ . فكان إلحاق الخطاب بمثله من الخطاب أولى من الخطاب بخلافه من الخبر عن غائب .

وأخرى : أن أبا كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا ، قال : ثنا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد ، عن سعيد بن جبيرة ، أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر ، فقدم المدينة ، جمع يهود في سوق بني قينقاع فقال : « يا معشر يهود ، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً » . فقالوا : يا محمد ، لا تعرّتك نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا أعمارًا لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أن نحن الناس ، وأنت لم تأت^(١) مثلنا . فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم : ﴿ قُلْ لِلذَّيْبِ كَفْرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَهَادُ ﴾ إلى قوله : ﴿ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾^(١) .

حدّثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : لما أصاب الله قريشاً يوم بدر ، جمع رسول الله ﷺ يهود في سوق بني قينقاع حين قدم المدينة . ثم ذكر نحو حديث أبي كُرَيْبٍ ، عن يُونُسِ^(٣) .

حدّثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان من أمر بني

(١) في سنن أبي داود : « تلق » .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٠١) ، والبيهقي في الدلائل ١٧٣/٣ ، ١٧٤ من طريق يونس به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٤/٢ (٣٢٣٤) من طريق سلمة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور

٩/٣ ، ١٠ إلى ابن إسحاق .

فَيَقْتَاغُ ، أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوقِ بنى قَيْنُقَاعَ ، ثم قال : « يا معشر اليهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من التُّقْمَةِ ، وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أنى نبيِّ مُرْسَلٌ ، تجِدُونَ ذلكَ في كتابِكُمْ ، وعهدِ الله إليكم » . فقالوا : يا محمدُ ، إنك ترى أننا كقومك ^(١) ! لا يُعْرَفُكَ أنك لقيتَ قومًا لا عِلْمَ لهم بالحربِ ، فأصبَتَ فيهم فُرْصَةٌ ، إنَّا والله لقرن حارِبناك لتَعْلَمَنَّ أنَّا نحن الناسُ ^(٢) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبي محمدٍ مولى آلِ زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ما نزلتْ هؤلاء الآياتُ إلا فيهم : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبَسَّ الْيَمُّ عَلَىٰ الْكُفَّارِ ﴾ إلى ﴿ لَا أُبْصِرُ ﴾ ^(٣) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن عكرمةَ في قوله : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبَسَّ الْيَمُّ عَلَىٰ الْكُفَّارِ ﴾ . قال فنحاصُ اليهوديُّ في يومِ بدرٍ : لا يُعْرَفُ محمدًا أنْ غلبَ قريشًا وقتلهم ، إنَّ قريشًا لا تُحْسِنُ القتالَ . فنزلتْ هذه الآيةُ : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبَسَّ الْيَمُّ عَلَىٰ الْكُفَّارِ ﴾ ^(٤) .

قال أبو جعفرٍ : فكلُّ هذه الأخبارِ تُنبئُ ^(٥) عن أن المخاطبين بقوله : ﴿ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبَسَّ الْيَمُّ عَلَىٰ الْكُفَّارِ ﴾ هم اليهودُ المقولُ لهم :

١٩٣/٣

(١) في سيرة ابن هشام : « قومك » .

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٤ (٤٩٦) ، وسيرة ابن هشام ٤٧/٢ ، وأخرجه المصنف في تاريخه ٤٧٩/٢ .

(٣) ابن إسحاق ص ٢٩٤ (٤٩٧) ، وسيرة ابن هشام ٤٧/٢ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٥) في س : « تبين » .

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ الآية ، وتدلُّ على أن قراءة ذلك بالتاءِ أولى من قراءته بالياءِ .

ومعنى قوله : ﴿ وَتُحْشَرُونَ ﴾ : وَتُجْمَعُونَ فَتُجْلَبُونَ ^(١) ﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ .

وأما قوله : ﴿ وَيَيْسَ الْإِهَادُ ﴾ : وَيَيْسَ الْفِرَاشُ جَهَنَّمُ التي تُحْشَرُونَ إليها .

وكان مجاهدٌ يقولُ كالذي حدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ،

عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ في قوله : ﴿ وَيَيْسَ الْإِهَادُ ﴾ . قال :
بِسْمَا مَهْدُوا لِأَنْفُسِهِمْ ^(٢) .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شَيْبٌ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن

مُجَاهِدٍ مثله .

[٣٨٩/١] القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّتَقَتَا فِئَةٌ

تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ .

يعنى بذلك جَلَّ ثَنَاؤُهُ : قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْيَهُودِ ، الَّذِينَ بَيْنَ

ظَهْرَانِي بِلَدِكَ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ ، يعنى : علامةٌ ودلالةٌ على صدقِ ما

أقول ^(٣) : إنكم ستُغلبون . وعبرةٌ .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ قَدْ كَانَ

لَكُمْ آيَةٌ ﴾ : عِبْرَةٌ وَتَفَكُّرٌ ^(٤) .

(١) في ت ١ : « فيجلبون » ، وفي س : « فيلجئون » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٤/٢ (٣٢٣٥) .

(٣) بعده في س : « لكم » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٢ إلى المصنف .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثله ، إلا أنه قال : ومُتَّفَكِّرٌ^(١) .

﴿ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ . يعنى : فى فِئَتَيْنِ وَحِزْبَيْنِ . والفِئَةُ الجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ ، ﴿ اَلْتَقَاتَا ﴾ للحربِ ، وإحدى الفئتين رسولُ اللهِ ﷺ ومَن كان معه مَن شهد وَقَعَةَ بدرٍ ، والأخرى مُشْرِكُو قريشٍ ، ﴿ فِئَةٌ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ : جَمَاعَةٌ تُقَاتِلُ فى طَاعَةِ اللَّهِ وَعَلَى دِينِهِ ، وهم رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابه ، ﴿ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ : وهم مُشْرِكُو قريشٍ .

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ أبي محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ أو عكرمةٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اَلتَّقَاتَا فِئَةٌ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ : أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ ببدرٍ ، ﴿ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ : فِئَةُ قريشٍ الكفارُ^(٢) .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةٌ ، عن ابنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ أبي محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ أو عكرمةٍ ، عن ابنِ عباسٍ مثله^(٣) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن عكرمةٍ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اَلتَّقَاتَا فِئَةٌ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ : محمدٌ ﷺ وأصحابه ، ﴿ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ : قريشُ يومَ بدرٍ .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٠٤/٢ (٣٢٣٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٠٥/٢ (٣٢٣٧) من طريق سلمة به .

نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ في قوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ . قال : في محمدٍ وأصحابه ومُشْرِكِي قريشِ يومَ بدرٍ ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا سبئ ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهدٍ مثله .

/ حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا الثورِيُّ ، عن ١٩٤/٣ ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اتَّقَتَا فِعْتَهُ تَقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . قال : ذلك يومَ بدرٍ ، اتَّقَى المسلمون والكفارُ ^(٢) .

ورُفِعَتْ : ﴿ فِعْتَهُ تَقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . وقد قيل قبلَ ^(٣) ذلك : ﴿ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ . بمعنى : إحداهما تقاتلُ في سبيلِ الله . على الابتداء ، كما قال الشاعرُ ^(٤) :

فكنتُ كذي رجلينِ رجلٌ صحيحةٌ
ورجلٌ رمى فيها الزمانُ فشلتُ
وكما قال ابنُ مُفَرِّغٍ ^(٥) :

فكنتُ كذي رجلينِ رجلٌ صحيحةٌ
ورجلٌ بها ريبٌ من الحدّانِ
فأما التي صحّت فأزُدْ شئوءَ
وأما التي شلتْ فأزُدْ عمّانِ
وكذلك تفعلُ العربُ في كلِّ مُكْرَرٍ على نظيرِ له قد تقدّمه ، إذا كان مع المُكْرَرِ

(١) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١١٧ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٠٥ (٣٢٣٩) عن الحسن بن يحيى ٤ .

(٣) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س .

(٤) هو كثير عزة ، والبيت في ديوانه (مجموع) ص ٩٩ .

(٥) البيهقي للنجاشي الحارثي في الوحشيات ص ١١٣ ، والنوادر ص ١٠ ، والخزانة ٢/٣٨٦ .

خبِرٌ، تَرُدُّهُ عَلَى إِعْرَابِ الْأَوَّلِ مَرَّةً، وَتَسْتَأْنِفُهُ ثَانِيَةً بِالرَّفْعِ، وَتَنْصِبُهُ فِي التَّامِّ مِنَ الْفِعْلِ وَالنَّاقِصِ، وَقَدْ جُرِّدَ ذَلِكَ كُلُّهُ، فَخُفِضَ عَلَى الرُّدِّ عَلَى أَوَّلِ الْكَلَامِ، كَأَنَّهُ ^(١) يَعْنِي إِذَا خَفَضَ ذَلِكَ: ^(٢) فَكَنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ: كَذِي رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ سَقِيمَةٍ. وَكَذَلِكَ الْخَفْضُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِيهِ فِتْنَةٌ﴾ جَائِزٌ عَلَى الرُّدِّ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فِي فِتْنَتَيْنِ أَلْتَقَتَا﴾: فِي فِتْنَةٍ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وهذا وإن كان جائزاً في العربية، فلا أَسْتَحْجِزُ الْقِرَاءَةَ بِهِ؛ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقِرَاءَةِ عَلَى خِلَافِهِ. وَلَوْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿فِيهِ فِتْنَةٌ﴾ جَاءَ نَصْبًا كَانَ جَائِزًا أَيْضًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ أَلْتَقَتَا﴾: مُخْتَلِفَتَيْنِ.

القول في تأويل قوله: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ﴾.

اِخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ؛ فَقَرَأَهُ قِرَاءَةَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: (تَرَوْنَهُمْ) بِالتَّاءِ ^(٣)، بِمَعْنَى: قَدْ كَانَ لَكُمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ التَّقَاتَا، فِتْنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْأُخْرَى كَافِرَةٌ، تَرَوْنَ الْمُشْرِكِينَ مِثْلِي الْمُسْلِمِينَ رَأَى الْعَيْنِ. يُرِيدُ بِذَلِكَ عِظَتَهُمْ، يَقُولُ: إِنْ لَكُمْ عِبْرَةٌ أَيُّهَا الْيَهُودُ فِيمَا رَأَيْتُمْ مِنْ قَلَةٍ عَدِدِ الْمُسْلِمِينَ وَكَثْرَةِ عَدِدِ الْمُشْرِكِينَ، وَظَفَرِ هَؤُلَاءِ مَعَ قَلَةٍ عَدِدِهِمْ، بِهَؤُلَاءِ مَعَ كَثْرَةِ عَدِدِهِمْ.

وقرأ ذلك عَامَّةُ قِرَاءَةِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ الْمَكِّيِّينَ: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ﴾ بِالْيَاءِ، بِمَعْنَى: يَرَى الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْجَمَاعَةَ الْكَافِرَةَ مِثْلِي الْمُسْلِمِينَ فِي الْقَدْرِ. فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ عَلَى قِرَاءَتِهِمْ: قَدْ كَانَ لَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ عِبْرَةٌ

(١) في ص: «لأنه».

(٢) بعده في ص، ت ١، ت ٢، س: «يعني».

(٣) وهي قراءة نافع، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر والكسائي وحزمة بالياء، وحكى أبان عن عاصم بالتاء كالوجه الأول. ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٠١.

وَمُتَّفَكِّرٍ فِي فِتْنَيْنِ / التَّقَاتَا ، فَعْتَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ، يَزِي هَؤُلَاءِ ١٩٥/٣
المسلمون^(١) مع قلة عددهم هؤلاء المشركين^(٢) في كثرة عددهم .

فإن قال قائل : وما وجه تأويل قراءة من قرأ ذلك بالياء ؟ وأى الفئتين رأيت صاحبتهما مثليها ، الفئة المسلمة هي التي رأيت المشركة مثليها ، أم المشركة هي التي رأيت المسلمة كذلك ، أم غيرهما^(٣) رأيت إحداهما كذلك ؟

قيل : اختلف أهل التأويل في ذلك ؛ فقال بعضهم : الفئة التي رأيت الأخرى مثلي أنفسها [٣٨٩/١] الفئة المسلمة ، رأيت عدد الفئة المشركة مثلي عدد الفئة المسلمة ، قللها الله عز وجل في أعينها حتى رأتها مثلي عدد أنفسها ، ثم قللها في حال أخرى فرأتها^(٤) مثل عدد أنفسها .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ اَلتَّقَاتَا فَعْتَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى اَلْعَيْنِ ﴾ . قال : هذا يوم بدر . قال عبد الله بن مسعود : وقد نظرنا إلى المشركين ، فرأيناهم يُضعِفون علينا ، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً ، وذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اَلتَّقَاتَا فِي اَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي

(١) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «المسلمين» .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «المشركون» .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «غيرها» .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «رأتها» .

أَعْيُنِهِمْ ﴿١﴾ [الأنفال : ٤٤] .

فمعنى الآية على هذا التأويل : قد كان لكم يا معشر اليهود آية في فتيين التقتا ؛ إحداهما مسلمة والأخرى كافرة ، كثير عدد الكافرة ، قليل عدد المسلمة ، ترى الفئة القليل عددها الكثير عددها أمثالا^(١) ، إنما^(٢) تكثرها من العدد بمثل واحد ، فهم يزؤونهم مثابهم . فيكون أحد المثلين عند ذلك العدد الذي هو مثل عدد الفئة التي رأتهم ، والمثل الآخر الضعف الزائد على عددهم . فهذا أحد معني التقليل الذي أخبر الله عز وجل المؤمنين أنه قللهم في أعينهم .

والمعنى الآخر منه : التقليل الثاني على ما قاله ابن مسعود ، وهو أن أراهم عدد المشركين مثل عددهم لا يزيدون عليهم ، فذلك التقليل الثاني الذي قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيْتَمَ فِيْ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً ﴾ .

وقال آخرون من أهل هذه المقالة : إن الذين رأوا المشركين مثلى أنفسهم هم المسلمون ، غير أن المسلمين رأوهم على ما كانوا به من عددهم ، لم يُقللوا في أعينهم ، ولكن الله أيدهم بنصره . قالوا : ولذلك قال الله عز وجل لليهود : قد كان لكم فيهم عبرة . يُخوفهم بذلك أن يحل بهم منهم مثل الذي أحل بأهل بدر على أيديهم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عتي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّائِمَاتِ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٦/٢ (٣٢٤٤) من طريق عمرو بن حماد به ، دون ذكر مرة الهمداني .

(٢) بعده في م : « لها » .

(٣) سقط من : م .

سَكِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴿١﴾ . أَنْزَلَتْ فِي التَّخْفِيفِ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَإِنَّ^(١) الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يَوْمَئِذٍ ثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ مِثْلَهُمْ ، / فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴿٣﴾ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ سِتَّةً وَعِشْرِينَ وَسِتَّمِائَةً ، فَأَيَّدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَكَانَ هَذَا الَّذِي فِي التَّخْفِيفِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ^(٣) .

وهذه الرواية خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن عدّة المشركين يوم بدر ، وذلك أن الناس إنما اختلفوا في عددهم على وجهين ؛ فقال بعضهم : كان عددهم ألفا . وقال بعضهم : ما بين التسعمائة إلى الألف .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ : كَانَ عَدْدُهُمْ أَلْفًا

حَدَّثَنِي هَارُونَ بْنُ إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيُّ ، قَالَ : ثنا مُصْعَبُ بْنُ الْمِقْدَامِ ، قَالَ : ثنا إِسْرَائِيلُ ، قَالَ : ثنا أَبُو إِسْحَاقَ ، عَنْ حَارِثَةَ ، عَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ : سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَدْرٍ ، فَسَبَقْنَا الْمُشْرِكِينَ إِلَيْهَا ، فَوَجَدْنَا فِيهَا رَجُلَيْنِ ، مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَمَوْلَى لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَأَمَّا الْقُرَشِيُّ فَأَنْفَلَتْ ، وَأَمَّا مَوْلَى عُقْبَةَ فَأَخَذَنَاهُ ، فَجَعَلْنَا نَقُولُ : كَمِ الْقَوْمُ ؟ فَيَقُولُ : هُمُ وَاللَّهِ كَثِيرٌ ، شَدِيدٌ بِأَسْهُمٍ . فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرْبُوهُ^(٢) ، حَتَّى انْتَهَوْا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ : « كَمِ الْقَوْمُ ؟ » . فَقَالَ : هُمُ وَاللَّهِ كَثِيرٌ ، شَدِيدٌ بِأَسْهُمٍ . فَجَهَدَ النَّبِيُّ ﷺ^(٤) أَنْ يُخْبِرَهُ كَمِ هُمُ فَأَبَى ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَهُ : « كَمِ يَنْحَرُونَ مِنَ الْجُزْرِ ؟ » . قَالَ : عَشْرَةٌ كُلَّ يَوْمٍ . قَالَ

(١) في النسخ : « كَان » . وهو تصحيف . والمثبت هو الصواب .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٦/٢ (٣٢٤٥) عن محمد بن سعد به مقتضرا على قوله : كان هذا في التخفيف على المؤمنين .

(٣) في النسخ : « صدقوه » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٤) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، ومصنف ابن أبي شيبة : « على » .

رسولُ اللَّهِ ﷺ : « القومُ ألفتُ »^(١) .

حدَّثني أبو سعيد بنُ يوسَعَ البغداديُّ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ ، عن إسرائيلَ ، عن أبي إسحاقَ ، عن أبي عُبَيْدَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : أسْرنا رجلاً منهم - يعنى من المشركين - يومَ بدرٍ ، فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفاً .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ : كَانَ عَدَدُهُمْ مَا بَيْنَ التَّسْعِمَائَةِ إِلَى الْأَلْفِ

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : قال ابنُ إسحاقَ : ثنى يزيدُ بنُ رومانٍ ، عن عروةَ بنِ الزبيرِ ، قال : بعثَ النبيُّ ﷺ نفرًا من أصحابِهِ إلى ماءِ بدرٍ يَلْتَمِسُونَ الخبرَ له عليه ، فأصابوا رَاوِيَةً من قريشٍ فيها أسلمُ غلامٌ بنى الحجاجِ ، وعريضُ أبو يسارٍ غلامٌ بنى العاصِ ، فأتوا بهما رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لهما : « كم القومُ ؟ » . قال : كثيرٌ . قال : « ما عدتُّهم ؟ » . قال : لا نَدْرِي . قال : « كم يَنْحَرُونَ كلَّ يومٍ ؟ » . قال : يوماً تسعاً ، ويوماً عشراً . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « القومُ ما بَيْنَ التَّسْعِمَائَةِ إِلَى الْأَلْفِ »^(٣) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴾ . ذلكم يومُ بدرٍ ، ألفتُ المشركون [٣٩٠/١] أو قاربوا ، وكان أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ثلاثمائةٍ وبضعةَ عشرَ رجلاً^(٤) .

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ٢/٤٢٤ . وأخرجه أحمد ٢/٢٥٩ (٩٤٨) ، وابن أبي شيبة ١٤/٣٦٢ ، والبخاري (٧١٩) من طرق عن إسرائيل به .

(٢) في ت ١ : « أن » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٦١٦ ، ٦١٧ ، أخرجه المصنف في تاريخه ٢/٤٣٦ ، ٤٣٧ .

(٤) أخرجه المصنف في تاريخه ٢/٤٣٣ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَمِنْ فِئَةٍ أَلْعَيْنَ ﴾ . قَالَ : يُضْعِفُونَ عَلَيْهِمْ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ وَأَسْرُوا سَبْعِينَ يَوْمَ بَدْرٍ ^(١) .

١٩٧/٣ / حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبْعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَمِنْ فِئَةٍ أَلْعَيْنَ ﴾ فِي سَكِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنَ ﴾ . قَالَ : كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ ، كَانَ الْمُشْرِكُونَ تِسْعَمَائَةٍ وَخَمْسِينَ ، وَكَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ ثَلَاثَمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحَسِينُ ، قَالَ : ثَنَى حِجَابُ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ ، وَالْمُشْرِكُونَ مَا بَيْنَ التَّسْعَمَائَةِ إِلَى الأَلْفِ .

فَكُلُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْنَا مُخَالَفُونَ الْقَوْلَ الَّذِي رَوَيْنَاهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي عَدَدِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ . فَإِذَا كَانَ مَا قَالَهُ مَنْ حَكَيْنَاهُ - مَنْ ذَكَرَ أَنَّ عَدَدَهُمْ كَانَ زَائِدًا عَلَى التَّسْعَمَائَةِ - فَالتَّأْوِيلُ الأَوَّلُ الَّذِي قُلْنَا ، عَلَى الرَّوَايَةِ الَّتِي رَوَيْنَاهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، أَوَّلَى بِتَأْوِيلِ الآيَةِ .

وقال آخرون : كان عددُ المشركين زائداً على التسعمائة ، فرأى المسلمون عددهم على غير ما كانوا به من العدد . وقالوا : أرى الله المسلمين عددَ المشركين قليلاً ، آيةً للمسلمين . قالوا : وإنما عني الله عز وجل بقوله : ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ ﴾

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١١٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٠٦ (٣٢٤٣) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٠٥ (٣٢٣٨) من طريق ابن أبي جعفر به .

المخاطبين بقوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ . قالوا : وهم اليهود ، غير أنه رجع من المخاطبة إلى الخبر عن الغائب ؛ لأنه أمرٌ من الله جل ثناؤه لنبينا ﷺ أن يقول ذلك لهم ، فحسُن أن يُخاطب مرةً ، ويُخبر عنهم على وجه الخبر مرةً^(١) أخرى ، كما قال : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ طَبَیْةٍ ﴾ [يونس : ٢٢] .

وقالوا : فإن قال لنا قائل : فكيف قيل : ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأَى الْغَيْبِ ﴾ وقد علمتُم أن المشركين كانوا يومئذ ثلاثة أمثال المسلمين ؟ قلنا لهم : كما يقول القائل وعنده عبدٌ : أحتاج إلى مثله . فأنت^(٢) محتاج إليه وإلى مثله . ثم يقول : أحتاج إلى مثليه . فيكون ذلك خبرًا عن حاجته إلى مثله ، وإلى مثلي ذلك المثل . وكما يقول الرجل : معي ألف ، وأحتاج إلى مثليه . وهو محتاج إلى ثلاثة .. فلما نوى أن يكون الألف داخلًا في معنى المثل ، صار المثل اثنين^(٣) ، والاثنان ثلاثة . قال^(٤) : ومثله في الكلام : أراكم مثلكم .^(٥) كأنه قال : أراكم^(٦) ضعفكم ، و : أراكم مثليكم . يعني : أراكم ضعفيكم^(٧) . قالوا : فهذا على معنى ثلاثة أمثالهم^(٨) . وقال آخرون : بل معنى ذلك أن الله أرى الفئة الكافرة عددَ الفئة المسلمة مثلي عددِهم .

(١) سقط من : س ، وفي ص : « عن عانه » غير منقوطة ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عن غاية » .

(٢) في م : « فأنا » .

(٣) في النسخ : « أشرف » . والمثبت من معاني القرآن للفراء ١ / ١٩٤ .

(٤) أى : الفراء ، وينظر الموضوع السابق من معاني القرآن .

(٥ - ٥) في النسخ : « كما يقال إن لكم » . والمثبت كما في معاني القرآن .

(٦) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ضعفكم » .

(٧) قال القرطبي في تفسيره ٤ / ٢٧ : وهو بعيد غير معروف في اللغة ، قال الزجاج : وهذا باب الغلط ، فيه

غلط في جميع المقاييس ؛ لأننا إنما نعقل مثل الشيء مساويا له ، ونعقل مثليه ما يساويه مرتين .

وهذا أيضًا خلاف ما دلَّ عليه ظاهر التنزيل ؛ لأن الله جل ثناؤه قال في كتابه :
﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِيْ أَعْيُنِكُمْ قَلِيْلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيْ أَعْيُنِهِمْ ﴾
[الأنفال : ٤٤] . فأخبر أن كُلاً من^(١) الطائفتين قليلٌ عددها في مرأى الأخرى .

وقرأ آخرون ذلك : (تَرَوْنَهُمْ) بضم التاء ، بمعنى : يُرِيكُمُوهُمْ اللهُ مثلَيْهِمْ^(٢) .

وأولى هذه القراءات بالصواب قراءة من قرأ : ﴿ يَرَوْنَهُمْ ﴾ بالياء ، بمعنى :
وأخرى كافتة ، يَرَاهُم المسلمون مثلَيْهِمْ ، يعني : مثلى عدد المسلمين ؛ لتقليل الله
إياهم في أعينهم في حال ، فكان حَزْرُهُمْ إياهم / كذلك ، ثم قلَّهم في أعينهم عن
التقليل الأول ، فحزروهم مثل^(٣) عدد المسلمين ، ثم تقليلًا ثالثًا ، فحزروهم أقل من
عدد المسلمين .

١٩٨/٣

كما حدثني^(٤) ابنُ بَرِيْعُ البغداديُّ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ ، عن
إسرائيلَ ، عن أبي إسحاقَ ، عن أبي عُبيدةَ ، عن عبدِ اللهِ ، قال : لقد قُلُّوا في أعيننا
يومَ بدرٍ حتى قُلْتُ لرجلي إلى جَنبي : تَرَاهُم سبعين ؟ قال : أَرَاهُم مائةً . قال : فأَسْرَنا
رجلاً منهم ، فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفاً^(٥) .

وقد روى عن قتادة أنه كان يقول : لو كانت (تَرَوْنَهُمْ) ، لكانت « مثلَيْكم » .

(١) سقط من : ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) في ص ، س : « مثلهم » ، وفي ت ٢ : « مثلَيْكم » . ويضم التاء قراءة ابن عباس وطلحة . ينظر المحتسب
١٥٤/١ ، والبحر المحيط ٣٩٤/٢ .

(٣) في النسخ : « مثلى » . والمثبت هو الصواب .

(٤ - ٤) في النسخ : « أبو سعيد » . وسيأتي على الصواب في تفسير الآية (٤٤) من سورة الأنفال ، ٦٦/٢٦ ،
٤٩/٢٧ من المطبوع .

(٥) أخرجه البيهقي في الدلائل ٦٧/٣ من طريق إسحاق بن منصور به ، وابن سعد في الطبقات ٢٢/٢ ، وابن
أبي شيبَةَ ٣٧٤/١٤ من طريق إسرائيل به ، وعند ابن سعد ببعضه ، وأخرجه أيضًا ابن سعد ٢١/٢ من طريق
أبي إسحاق به ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ١٨٩/٣ إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

حَدَّثَنِي المثنى ، قال : ثنى عبدُ الرحمنِ بنُ أبي حمادٍ ، عن ابنِ المباركِ ^(١) ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ بذلك .

ففى الخبرين اللذين روينا عن عبد الله بن مسعود ، ما أبان عن اختلافِ حَزْرِ المسلمين يومئذٍ عددَ المشركين فى الأوقاتِ المختلفةِ ، فأخبر الله عز وجل - عمّا كان من اختلافِ أحوالِ عددهم عند ^(٢) المسلمين - اليهودَ على ما كان به عندهم ، مع علمِ اليهودِ بمبلغِ عددِ الفتنين ، إعلامًا منه لهم أنه مُؤَيَّدٌ ^(٣) المؤمنين بنصره ؛ لكلا يَغْتَرِّبُوا بعددهم ^(٤) وبأسهم ، وليخذروا منه أن يُحِلَّ بهم من العقوبةِ على أيدي المؤمنين ، مثل الذى أحلَّ بأهلِ الشرك به من قريشٍ على أيديهم بيدِهم ^(٥) .

وأما قوله : ﴿ رَأَى الْعَيْنَ ﴾ . فإنه مصدرُ « رأيتُه » ، يُقالُ : رأيتُه رأياً ورؤيةً ، ورأيتُ فى المنامِ رؤياً حسنةً . غيرَ مُجرّاةٍ ، يُقالُ : هو منى رأى العينِ ، ورأى العينِ ، بالنصبِ والرفعِ ، يُرادُ به ^(٦) : حيثُ يَقَعُ عليه بَصَرِي ، وهو من الرائي مثله ، والقومُ رِئاءً ^(٧) : إذا جلسوا حيث يَرى بعضهم بعضاً .

فمعنى ذلك : يروئهم - حيثُ تَلَحَّفَهُمْ أبصارُهُم وتَراهم عيونُهُم - مثلئهم .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [١/٣٩٠ ظ] فى ذلك

لَعِبْرَةٍ لِأَوَّلِ الْأَبْصَارِ ﴿ ١٣ ﴾ .

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « المسرك » ، وفى م : « المعرك » .

(٢) فى ص ، ت ١ : « عزم » ، وفى ت ٢ ، ت ٣ : « عزم » ، وفى س : « عدد » .

(٣) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يؤيد » .

(٤) فى ت ١ ، س : « بعدوهم » .

(٥) فى س : « بعدوهم » .

(٦) سقط من : ص ، م ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٧) سقط من : ت ١ ، س ، وفى م : « رأوا » ، وفى ت ٢ ، ت ٣ : « رأى » .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ ﴾ : يقوى ، ﴿ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ من قول القائل : قد أيدت فلاناً بكذا . إذا قويته وأعنته ، فأنا أؤيده تأييداً . وفعلت منه : إيدته ، فأنا أئيدته أيدياً . ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ﴾ [ص : ١٧] يعنى : ذا القوة .

وتأويل الكلام : قد كان لكم آية - يا معشر اليهود ، فى فتنة التقتنا ؛ إحداهما ثقائل فى سبيل الله ، وأخرى كافرة ، تراهم المسلمة مثلهم رأى أعينهم ، فأيدنا المسلمة وهم قليل عددهم ، على الكافرة وهم كثير عددهم ، حتى ظفروا بهم - مُعْتَبِرٌ وَمُتَّفَكِّرٌ ^(١) ، واللَّهُ يَقْوَى بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ .

وقال جل ثناؤه : ﴿ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ ﴾ . يعنى : إن فيما فعلنا بهؤلاء الذين وصفنا أمرهم ، من تأييدنا الفئة المسلمة مع قلة عددها ، على الفئة الكافرة مع كثرة عددها ، ﴿ لَعِبْرَةٌ ﴾ يعنى : لتفكراً ومتعظاً لمن عقل وادكر فأبصر الحق .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ . يقول : لقد كان لهم فى هؤلاء عبرة وتفكر ، أيدهم ^(٢) الله ونصرهم على عدوهم .

/حدثنى المنثى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ١٩٩/٣ مثله ^(٣) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ .

(١) هذا تفسير قوله : « آية » المتقدم فى أول كلامه .

(٢) فى س : « فعزهم » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٦/٢ (٣٢٤٦) من طريق ابن أبى جعفر به .

يعنى تعالى ذكره: «زَيْنٌ لِلنَّاسِ»^(١) مَحَبَّةٌ مَا يَشْتَهُونَ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَسَائِرِ مَا عَدَّ .
 وإنما أراد بذلك تَوْيِخَ الْيَهُودِ الَّذِينَ آثَرُوا الدُّنْيَا وَحُبَّ الرِّيَاسَةِ فِيهَا ، عَلَى اتِّبَاعِ
 مُحَمَّدٍ ﷺ ، بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِصِدْقِهِ .

وكان الحسنُ يقولُ : مَنْ زَيْنَهَا ؟ مَا أَحَدٌ أَشَدَّ لَهَا ذَمًّا مِنْ خَالِقِهَا .

حدَّثنى بذلك أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : ثنا أبو الأشهبِ^(٢) عنه^(٣) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن عطائٍ ، عن أبى بكرِ بنِ حفصِ بنِ عمرِ
 ابنِ سعيدٍ ، قال : قال عمرٌ : لما نزلت ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ ، قلتُ : الآن يا
 ربِّ حينَ زينتَها لنا . فنزلت : ﴿ قُلْ أَوْيَيْتُكُمْ بِحَيْرٍ مِنْ ذَالِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ
 جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ الآية^(٤) .

وأما القناطرُ فإنها جمعُ القنطارِ .

واختلفَ أهلُ التأويلِ فى مَبْلَغِ القِنطَارِ ؛ فقال بعضهم : هو ألفٌ ومائتا أُوقِيَّةٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانٌ ، عن أبى حصينٍ ، عن
 سالمِ بنِ أبى الجعدِ ، عن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ ، قال : القِنطارُ ألفٌ ومائتا أُوقِيَّةٍ^(٦) .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ ، قال : ثنا أبو حصينٍ ، عن سالمِ

(١ - ١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « ومن الناس » .

(٢) فى النسخ : « الأشعث » . والمثبت من مصدر التخريج ، وينظر تهذيب الكمال ٢٢/٥ - ٢٥ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٧/٢ (٣٢٤٩) من طريق أبى نعيم به ، وعزه السيوطى فى الدر المنثور ١٠/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) فى س : « عن » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٦/٢ (٣٢٤٧) من طريق جرير به .

(٦) عزه السيوطى فى الدر المنثور ١١/٢ إلى عبد بن حميد .

ابن أبي الجعد ، عن معاذٍ مثله^(١) .

حدَّثني يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : أَخْبَرَنَا ، يعنى حفص بن ميسرة ، عن أبي مَرْوَانَ ، عن أبي طَيْبَةَ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : القِنْطَارُ أَلْفٌ وَمِائَتَا أُوقِيَةٍ^(٢) .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا القاسمُ بنُ مالكِ المُرَنْبِيُّ ، قال : أَخْبَرَنِي العَلَاءُ بنُ المسيبِ ، عن عاصمِ بنِ أبي النَّجُودِ ، قال : القِنْطَارُ أَلْفٌ وَمِائَتَا أُوقِيَةٍ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِيٍّ ، قال : ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن عاصمِ بنِ بَهْدَلَةَ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرةَ مثله^(٤) .

حدَّثني زكريا بنُ يحيى الضَّرِيرُ^(٥) ، قال : ثنا شَبَابَةُ ، قال : ثنا مَحَلْدُ بنُ عبدِ الواحدِ ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عن عطاءِ بنِ أبي مَيْمُونَةَ ، عن زُرِّ بنِ حُبَيْشٍ ، عن أبي بنِ كعبٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « القِنْطَارُ أَلْفٌ أُوقِيَةٍ وَمِائَتَا أُوقِيَةٍ »^(٦) .

وقال آخرون : القِنْطَارُ أَلْفٌ دِينَارٍ وَمِائَتَا دِينَارٍ .

٢٠٠/٣

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا عمرانُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا يونسُ ، عن الحسنِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « القِنْطَارُ أَلْفٌ وَمِائَتَا دِينَارٍ »^(٧) .

(١) أخرجه الدارمي ٤٦٨/٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٨/٢ ، ٩٠٦/٣ ، (٣٢٥٤ ، ٥٠٥٥) ، والبيهقي ٢٣٣/٧ ، من طريق أبي بكر بن عياش به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف .

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٣٥٢/٢ .

(٤) أخرجه البيهقي ٢٣٣/٧ من طريق حماد بن زيد به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى عبد بن حميد .

(٥) في النسخ : « الصديق » . وينظر تاريخ بغداد ٤٥٧/٨ ، وتفسير ابن كثير ١٥/٢ .

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٥/٢ عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٢ إلى المصنف .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٢ إلى المصنف .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قَالَ : ثنا يونسُ ، عن الحسنِ ، قال : القِنْطَارُ أَلْفٌ ومائتا دينارٍ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : القِنْطَارُ أَلْفٌ ومائتا دينارٍ ، وَمِنَ الْفِضَّةِ أَلْفٌ ومائتا مِثْقَالٍ ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ بْنَ مُزَاجِمٍ يَقُولُ : ﴿ وَالْقَنْطِيرُ الْمَقْنَطَرَوُ ﴾ : يعنى المَالُ الكثير من الذهبِ والفضةِ ، والقِنْطَارُ أَلْفٌ ومائتا دينارٍ ، وَمِنَ الْفِضَّةِ أَلْفٌ ومائتا مِثْقَالٍ ^(٣) .

وقال آخرون : القِنْطَارُ اثنا عشرَ أَلْفَ درهمٍ ، أو أَلْفَ دينارٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ ، قَالَ : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنا معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : القِنْطَارُ اثنا عشرَ أَلْفَ درهمٍ ، أو أَلْفَ دينارٍ ^(٤) .

حَدَّثَنِي الْمُتَنِي ، قَالَ : ثنا عمرو بنُ عَوْنٍ ، قال : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عن جُوَيْرِيٍّ ، عن الضَّحَّاكِ ، قال : القِنْطَارُ أَلْفُ دينارٍ ، وَمِنَ الْوَرِقِ اثنا عشرَ أَلْفَ درهمٍ ^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٩/٢ ، ٩٠٧/٣ ، ٣٢٦٣ ، ٥٠٥٩ ، من طريق يزيد به .

(٢) ذكره البيهقي ٢٣٣/٧ عن عطية العوفي معلقا . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف .

(٤) أخرجه البيهقي ٢٣٣/٧ من طريق أبي صالح به .

(٥) ذكره في المحرر الوجيز ٣٥٣/٢ عن الضحاك .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ ، [٣٩١/١] أن القِنْطَارَ اثنا عشرَ أَلْفًا^(١) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قال : أَخْبَرَنَا عَوْفٌ ، عن الحسنِ : القِنْطَارُ اثنا عشرَ أَلْفًا .
حَدَّثَنَا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا^(٢) عَوْفٌ ، عن الحسنِ : اثنا عشرَ أَلْفًا .

حَدَّثَنَا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ بمثله .

حَدَّثَنِي المُنْثَى ، قال : ثنا عمرو بنُ عَونٍ ، قال : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عن عوفٍ ، عن الحسنِ ، قال : القِنْطَارُ أَلْفُ دِينَارٍ ، دِيَّةُ أَحَدِكُمْ^(٣) .

وقال آخرون : هو ثمانون أَلْفًا مِنَ الدَّرَاهِمِ ، أو مائة رَطْلٍ مِنَ الذهبِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَارٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ المُنْثَى ، قالا : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن سليمانَ التَّيْمِيِّ ، عن قتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيبِ ، قال : القِنْطَارُ ثمانون أَلْفًا^(٣) .

حَدَّثَنِي المُنْثَى ، قال : ثنا عمرو بنُ عَونٍ ، قال : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عن عليِّ بنِ زيَدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيبِ ، قال : القِنْطَارُ ثمانون أَلْفًا^(٤) .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٩/٢ ، ٩٠٧/٣ عقب الأثر (٣٢٦٠ ، ٥٠٦١) معلقاً .

(٢) بعده في ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « قال أخبرنا » . وهنا سقط في هذا الإسناد ، وشيخ ابن بشار في مثل هذا الإسناد إما أن يكون حماد بن مسعدة ، أو ابن أبي عدى ، أو يحيى بن سعيد ، أو هوزة ، أو محمد بن جعفر ، أو عبد الأعلى ، أو عثمان بن عمر . ينظر ١/٥٩ ، ٢٢٦ ، ٤٥٥ ، ٥٢١/٢ ، ٣٠١/٤ ، ٤١٥ ، ٢٦٤/١٥ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٨/٢ ، ٩٠٦/٣ (٣٢٥٧ ، ٥٠٥٦) من طريق يحيى بن سعيد به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) أخرجه الدارمي ٤٦٧/٢ من طريق هشيم ، بلفظ : أربعون ألفاً .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : كنا نُحَدِّثُ أن القِنْطَارَ مائةُ رَطْلٍ مِن ذهبٍ ، أو ثمانون ألفًا مِنَ الوَرِقِ ^(١) .

٢٠١/٣ / حَدَّثَنَا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عبدُ الرزاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا معمرٌ ، عن قتادةَ ، قال : القِنْطَارُ مائةُ رَطْلٍ مِن ذهبٍ ، أو ثمانون ألفَ درهمٍ مِنَ وَرِقٍ ^(٢) .

حَدَّثَنَا أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن إسماعيلَ ، عن أبي صالحٍ ، قال : القِنْطَارُ مائةُ رَطْلٍ ^(٣) .

حَدَّثَنِي موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : القِنْطَارُ يَكُونُ مائةَ رَطْلٍ ، وهو ثمانيةُ آلافٍ مِثْقَالٍ ^(٤) .

وقال آخرون : القِنْطَارُ سبعون ألفًا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نُجَيْحٍ ، عن مُجَاهِدٍ فِي قولِ اللَّهِ : ﴿ وَالْقَنْطِيرِ الْمُنْقَطِرَةِ ﴾ . قال : القِنْطَارُ سبعون ألفَ دينارٍ ^(٥) .

حَدَّثَنِي المثنى ، قال : ثنا أبو حُدَيْفَةَ ، قال : ثنا شَيْبَلٌ ، عن ابنِ أبي نُجَيْحٍ ، عن مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٣ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٠٨ ، ٣/٩٠٧ ، (٣٢٥٨ ، ٥٠٦٠) من طريق سفيان به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٠٨ ، ٣/٩٠٧ ، عقب الأثر (٣٢٥٨ ، ٥٠٦٠) من طريق عمرو به .

(٥) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٠٩ (٣٢٦٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَمْرُ بْنُ حَوْشَبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَطَاءَ الْخُرَّاسَانِيَّ ، قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عَمْرٍَ عَنِ الْقِنْطَارِ ، فَقَالَ : سَبْعُونَ أَلْفًا^(١) .

وقال آخرون : هِيَ مِلَّةٌ مَسْكَ^(٢) تُؤْرِ ذَهَبًا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا سَالِمُ بْنُ نُوحٍ ، قَالَ : ثنا سَعِيدُ الْجُرَيْرِيُّ ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ ، قَالَ : مِلَّةٌ مَسْكَ^(٣) تُؤْرِ ذَهَبًا .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو الْأَشْهَبِ^(٤) ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ : مِلَّةٌ مَسْكَ^(٥) تُؤْرِ ذَهَبًا .

وقال آخرون : هُوَ الْمَالُ الْكَثِيرُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، قَالَ : الْقِنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ الْمَالُ الْكَثِيرُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ^(٦) .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٣. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٠٩، ٣/٩٠٧ (٣٢٦١، ٥٠٥٨) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) المَسْكَ : الجِلْد . اللِّسَان (م س ك) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٠٨، ٣/٩٠٦ (٣٢٥٩، ٥٠٥٧) ، والبيهقي ٧/٢٣٣ من طريق الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري .

(٤) في النسخ : « الأشعث » . وينظر ما تقدم في ص ٢٥٤ .

(٥) أخرجه الدارمي ٢/٤٦٧ من طريق أبي الأشهب به .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/١١ إلى المصنف .

وقد ذَكَرَ بعضُ أهلِ العِلْمِ بكلامِ العَرَبِ^(١) أن العَرَبَ لا تَحُدُّ القِنْطَارَ بمقدارِ معلومٍ مِنَ الوَزنِ ، ولكنها تقولُ : هو قَدْرُ وِزْنِ^(٢) .

وقد يَبْغِي أن يَكُونَ ذلك كذلك ؛ لأن ذلك لو كان مَحْدودًا قَدْرُهُ عِنْدَهَا ، لم يَكُنْ بَيْنَ مُتَقَدِّمِي أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِيهِ كُلِّ هَذَا الاِخْتِلافِ .

فَالصَّوابُ فِي ذلك أن يُقالَ : هو المَالُ الكَثيرُ . كما قال الرِّبيعُ بنُ أنسٍ ، ولا يُحَدُّ قَدْرُ وِزْنِهِ بِحَدِّ عَلِيٍّ / تَعْتَفِ^(٣) ، وقد قيل ما قيل مما روَيْنَا . ٢٠٢/٣

وأَمَّا المَقْنَطَرَةُ فَهِيَ المُضَعَّفَةُ ، وكَأَنَّ القَنَاطِيرَ ثَلَاثَةُ ، والمَقْنَطَرَةُ تِسْعَةٌ . وهو كما قال الرِّبيعُ بنُ أنسٍ : المَالُ الكَثيرُ بَعْضُهُ عَلَيَّ بَعْضِ .

كما حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قال : ثنا يَزِيدُ ، قال : ثنا سَعِيدٌ ، عن قَتَادَةَ : ﴿ وَالْقَنْطِيرِ المَقْنَطَرَةَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ : والمَقْنَطَرَةُ : المَالُ الكَثيرُ بَعْضُهُ عَلَيَّ بَعْضِ . حَدَّثْتُ عن الحَسَنِ ، قال : سَمِعْتُ أبا مُعَاذٍ ، قال : أَخْبَرَنَا عُبيدُ بنُ سَلِيمَانَ ، قال : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالْقَنْطِيرِ المَقْنَطَرَةَ ﴾ : يَعْنِي المَالُ الكَثيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ^(٤) .

وقال آخرون : معنَى المَقْنَطَرَةُ : المَضْرُوبَةُ دَرَاهِمُ أو دَنَانِيرِ .

ذَكَرُ مَنْ قال ذلك

حَدَّثَنَا موسى ، قال : ثنا عَمْرُو ، قال : ثنا أَشباطُ ، عن السَّديِّ : أَمَّا قَوْلُهُ :

(١) يعنى أبا عبيدة فى مجاز القرآن ٨٨ / ١ .

(٢) فى م : « ووزن » .

(٣) كذا فى النسخ ، ولعلها : « تعسف » .

(٤) تقدم فى ص ٢٥٦ .

﴿ الْمَفْطَرَةَ ﴾ فيقول: المَضْرُوبَةُ حتى صارت ذنانيرٍ أو دراهمٍ^(١) .

وقد روى عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠] ،
خبرٌ لو صحَّ سنده لم نَعُدْهُ إلى غيره ، وذلك ما حدَّثنا به ابنُ عبدِ الرحيم^(٢) البرزقي ،
قال : ثنا عمرو بنُ أبي سلمة ، قال : ثنا زهيرُ بنُ محمدٍ ، قال : ثنا أبانُ بنُ أبي
عَيَّاشٍ وحَمِيدُ الطويلُ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿وَأَتَيْتُمْ
إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا﴾ . قال : « ألفا مِئِينَ^(٣) » . يعنى ألفين^(٤) .

القول في تأويل قوله: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ .

اختلف أهل التأويل في معنى: ﴿الْمُسَوَّمَةِ﴾ ؛ فقال بعضهم : هي الرَّاعِيَةُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ وَكَيْعٍ ، قال : ثنا أبي ، عن سفيانَ ، عن حبيبِ بنِ أبي ثابتٍ ، عن
سعيدِ بنِ جبَّيرٍ : ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ . قال : الرَّاعِيَةُ التي تَرَعَى^(٥) .
حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : [٣٩١/١] ثنا سفيانُ ، عن
حبيبٍ ، عن سعيدِ بنِ جبَّيرٍ مثله .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٩/٢ (٣٢٦٥) من طريق عمرو به .

(٢) (٢ - ٢) في النسخ : « عبد الرحمن » . والمثبت كما تقدم في ٦٣/١ ، وتفسير ابن أبي حاتم .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « ومين » ، وفي الموضع الأول من تفسير ابن أبي حاتم : « ألف دينار » ، وفي الموضع الثاني : « ألفا دينار » ، وفي المستدرک : « ألفا أوقية » . وفي الدر المنثور : « ومائتين » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٨/٢ ، ٩٠٦/٣ ، ٣٢٥٦ ، ٥٠٥٣ عن أحمد بن عبد الرحيم به ،
والحاكم ١٧٨/٢ من طريق عمرو بن أبي سلمة به .

(٥) تفسير سفيان ص ٧٥ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٠/٢ (٣٢٦٩) من طريق وكيع وأبي

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا سَفِيَانُ ، عَنْ حَبِيبٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا سَفِيَانُ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ : هِيَ الرَّاعِيَةُ ، يَعْنِي السَّائِمَةَ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ طَلْحَةَ الْقَنَّادِ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِيزَى يَقُولُ : الرَّاعِيَةُ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عَمِي ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾^(٣) . قَالَ : الرَّاعِيَةُ^(٤) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ الْحَسَنِ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ : الْمُسَرَّحَةُ فِي الرَّعْيِ .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَوْلُهُ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ . قَالَ : الْخَيْلُ الرَّاعِيَةُ^(٤) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : الْخَيْلُ الرَّاعِيَةُ .

وَقَالَ آخَرُونَ : الْمُسَوَّمَةُ الْحِيسَانُ .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١١٧ .

(٢) ينظر تعليق التعليق ٤/١٨٨ ، وذكره ابن حاتم في تفسيره ٢/٦٠١ عقب الأثر (٣٢٦٩) عن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبيزى معلقا .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢/١٦٦ عن المصنف . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٢/١١١ إلى المصنف .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦١٠ عقب الأثر (٣٢٦٩) من طريق ابن أبي جعفر به .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا سَفِيَانُ ، عَنْ حَبِيبٍ ، قَالَ : قَالَ مُجَاهِدٌ : الْمُسَوْمَةُ الْمُطَهَّمَةُ^(١) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوْمَةِ ﴾ . قَالَ : الْمُطَهَّمَةُ الْحِسَانُ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوْمَةِ ﴾ . قَالَ : الْمُطَهَّمَةُ حُسْنًا^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا سَيْبٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا سَفِيَانُ ، عَنْ حَبِيبٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : الْمُطَهَّمَةُ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِيُّ ، قَالَ : ثنا سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ ، عَنْ بَشِيرِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو الْخَوْلَانِيِّ ، قَالَ : سَأَلْتُ عِكْرَمَةَ عَنْ ﴿ وَالْخَيْلِ

(١) المطهم من الناس والخيل: الحسن التام ، كل شيء منه على حدته ، فهو بارع الجمال . اللسان (ط ه م) .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١١٧ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ . ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٠/٢ (٣٢٧٠) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٠/٢ (٣٢٧١) من طريق أبي نعيم ووكيع به .

(٥) في النسخ : « بشر » . والصواب ما أثبتنا ، وينظر تهذيب الكمال ٤ / ١٧١ .

الْمُسَوَّمَةِ ﴿١﴾ . قال : تَسْوِيْمُهَا حُسْنُهَا ^(١) .

حدَّثني يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ ، عن بَشِيرٍ ^(٢) بن أبي عمرو الخَوْلَانِيِّ ، قال : سَمِعْتُ عِكْرَمَةَ يَقُولُ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ . قال : تَسْوِيْمُهَا الْحُسْنُ .

حدَّثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ ﴾ : الرَّائِعَةُ .

وقد حدَّثني بهذا الحديث عن عمرو بن حمادٍ غير موسى ، قال : الرَّاعِيَةُ ^(٣) . وقال آخرون : الخيل المسوَّمة : المِغْلَمَةُ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ ، يعنى : المِغْلَمَةُ ^(٤) .

حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ ، وسيمها شيتها .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ . قال : شِيَةُ الْخَيْلِ فِي وُجُوْهِهَا ^(٥) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف ، وعبد بن حميد .

(٢) في النسخ : « بشر » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٠/٢ عقب الأثر (٣٢٦٩) من طريق عمرو به .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١١٧/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١١/٢ (٣٢٧٢) عن الحسن بن يحيى به .

وقال غيرهم : المسوِّمةُ المُعدَّةُ للجهادِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني يونس ، قال : أَحْبَبْنَا ابْنَ وَهَبٍ ، قال : قال ابنُ زَيْدٍ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ ﴾ . قال : المُعدَّةُ للجهادِ .

قال أبو جعفرٍ : أُولَى هذه الأقوالِ بالصوابِ في تأويلِ قوله : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ ﴾ المُعلِّمةُ بالشِّياتِ الحِسانِ الرَّائِعَةَ حُسْنًا مَنْ رَأَاهَا ؛ لأنَّ التَّسْوِيمَ في كلامِ العربِ هو الإعلامُ ، فالخَيْلُ الحِسانُ مُعلِّمةٌ بإعلامِ اللهِ إياها بالحِسنِ مِنَ أَلْوَانِهَا وشِياتِها وهِياتِها ، وهى المُطَهَّمَةُ أيضًا . وَمِنْ ذلك قولُ نابغةِ بنى دُيَّانَ في صفةِ الخيلِ ^(١) :

^(٢) وَضَمِيرٌ ^(٣) كَالْقِدَاحِ مُسَوِّمَاتٍ عَلَيْهَا مَعْشَرٌ أَشْبَاهُ جِنِّ
يعنى بالمسَوِّمَاتِ : المُعلِّمَاتِ . وقولُ لبيدٍ ^(٤) :

وَعَدَاةَ قَاعِ الْقُرْنَتَيْنِ ^(٥) أَتَيْتَهُمْ ^(٦) زُجْلاً ^(٧) يَلُوحُ خِلَالَهَا التَّسْوِيمُ
فمعنى تأويلِ مَنْ تَأَوَّلَ ذلك المُطَهَّمَةَ ، والمُعلِّمةَ ، والرَّائِعَةَ ، واحداً .

(١) ديوانه ص ١٢٨ .

(٢ - ٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بسمر » ، وفي س : « شيم » . والمثبت من الديوان .

(٣) القداح ، جمع قَدَح : السهم قبل أن يراش وينصل . القاموس المحيط (ق د ح) .

(٤) شرح ديوان لبيد ص ١٣٣ .

(٥) قال في شرح الديوان : القرنين موضع . وقال ياقوت : يوم القرنين كانت فيه وقعة لغطفان على بنى

عامر . معجم البلدان ٧٠ / ٤ . ولكن لبيدا يفخر به ، فلعله كان لبني عامر .

(٦) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « أتيتهم » ، وفي رواية الديوان : « أتتهم » .

(٧) في الديوان : « زهوا » . وزُجْلاً : جماعات . اللسان (ز ج ل) .

وأما قول مَنْ تَأَوَّلَهُ بِمَعْنَى الرَّاعِيَّةِ ، فَإِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ : أَسَمْتُ الْمَاشِيَةَ ، فَأَنَا أُسَيِّمُهَا إِسَامَةً . إِذَا أُرْعِيَتْهَا الْكَلَاءُ وَالْعُشْبُ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَ مِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [النحل : ١٠] . بِمَعْنَى تَرْعُونَ . وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَخْطَلِ ^(١) :
 مِثْلُ «ابن بَزْعَةَ» ^(٢) أَوْ كَأَخْرَ مِثْلِهِ أَوْلَى لَكَ ^(٣) ابْنِ مُسَيِّمَةِ الْأَجْمَالِ
 يَعْنِي بِذَلِكَ : رَاعِيَةَ الْأَجْمَالِ .

فَإِذَا أُرِيدَ أَنْ الْمَاشِيَةَ هِيَ الَّتِي رَعَتْ ، قِيلَ : سَامَتِ الْمَاشِيَةَ تَسْوِمُ تَسْوِمًا . وَلِذَلِكَ قِيلَ : إِبْلٌ سَائِمَةٌ . بِمَعْنَى : رَاعِيَّةٌ ، «غَيْرَ أَنَّهُ غَيْرٌ» مُسْتَفِيضٌ فِي كَلَامِهِمْ : سَوِّمْتُ الْمَاشِيَةَ . بِمَعْنَى : أُرْعَيْتُهَا ، وَإِنَّمَا يُقَالُ إِذَا أُرِيدَ ذَلِكَ : أَسَمْتُهَا . فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَتَوْجِيهِ تَأْوِيلِ الْمَسْوُومَةِ إِلَى أَنَّهَا الْمُعْلَمَةُ بِمَا وَصَفْنَا مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا أَصَحُّ .
 وَأَمَّا الَّذِي قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ مِنْ أَنَّهَا الْمُعَدَّةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَتَأْوِيلٌ مِنْ مَعْنَى الْمَسْوُومَةِ [٣٩٢/١] بِمَعْرِزِلٍ .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ .

٢٠٥/٣ / فالأنعام جمع نعم ، وهي الأزواج الثمانية التي ذكرها في كتابه ^(٥) ، من الضأن والمعز والبقر والإبل . وأما الحرث فهو الزرع .
 وتأويل الكلام : زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَمِنَ الْبَنِينَ ، وَمِنَ كَذَا

(١) شرح ديوانه ص ٢٤٩ .

(٢ - ٢) في ص ، ت ، ٢ ، ت ٣ : «ابن برعة» ، وفي س : «أبي برعة» .

(٣) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٤ - ٤) سقط من : ت ٢ ، ت ٣ ، س ، وفي م ، ت ١ : «أنه» .

(٥) يشير إلى الآيات ١٤٢ - ١٤٤ من سورة «الأنعام» .

و^(١) كذا ، ومن الأنعام والحزب .

القول في تأويل قوله : ﴿ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْرُ الْمَعَابِ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ جميع ما ذُكِرَ في هذه الآية من النساء والبنين ، والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة ، والأنعام والحزب ، فكنتى بقوله : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ عن جميعهن ، وهذا يدل على أن « ذلك » يشتمل على الأشياء الكثيرة المختلفة المعانى ، ويكنى به عن جميع ذلك .

وأما قوله : ﴿ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ . فإنه خبر من الله عن أن ذلك كله مما يشتمتع به فى الدنيا أهلها أحياء ، فيتبلمغون به فيها ، ويجعلونه وُضلة^(٢) فى معاشهم ، وسبباً لقضاء شهواتهم ، التى زين لهم حُبها^(٣) فى عاجل دنياهم ، دون أن يكون عُدة لمعادهم ، وقربة لهم إلى ربهم ، إلا ما أسلك فى سبيله ، وأنفق منه فيما أمر به .

وأما قوله : ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْرُ الْمَعَابِ ﴾ . فإنه يعنى بذلك جل ثناؤه : وعند الله حُسْرُ الْمَاءِ ، يعنى : حُسْرُ الْمَرْجِعِ .

كما حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدى : ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْرُ الْمَعَابِ ﴾ . يقول : حُسْرُ الْمُتَقَلِّبِ ، وهى الجنة^(٤) .

وهو مصدر على مثال مَفْعَلٍ ، من قول القائل : أب الرجل إلينا ، إذا رجع ، فهو يثوب إياباً وأوبه وأيبةً ومآباً . غير أن موضع الفاء منها مهموز ، والعين مُبدلة من الواو

(١) بعده فى م ، ت ، ا ، س : « من » .

(٢) الوُضلة : الذريعة . اللسان (و ص ل) .

(٣) فى ص ، ت ، ا ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « حملها » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١٢/٢ (٣٢٧٨) من طريق عمرو بن حماد به .

إلى ^(١) الألفِ بحركتها ^(٢) إلى الفتحِ ، فلما كان حَظُّها الحركةَ إلى الفتحِ ، وكانت حركتها منقولةً إلى الحرفِ الذي قبلها - وهو فاءُ الفعلِ - انقلبتِ فصارتِ أَلْفًا ، كما قيل : قال . فصارتِ عينُ الفعلِ أَلْفًا ؛ لأن حَظُّها الفتحِ . والمآبُ مثلُ المَقَالِ والمَعَادِ والمَحَالِ ، كُلُّ ذلك مَفْعَلٌ ، منقولةٌ حركةً عينه إلى فائه ، فمُصَيَّرَةٌ ^(٣) واؤه أو يائه أَلْفًا ؛ لفتحة ما قبلها .

فإن قال قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ وقد علمت ما عنده يومئذٍ من أليم العذابِ وشديد العقابِ ؟

قيل : إن ذلك معنيٌّ به خاصٌّ من الناسِ ، ومعنى ^(٤) ذلك : واللَّهُ عنده حسنُ المآبِ للذين اتَّقَوْا رَبَّهُمْ ، وقد أنبأنا عن ذلك في هذه الآية التي تليها .

فإن قال : وما حسنُ المآبِ ؟ قيل : هو ^(٥) ما وصفه به جل ثناؤه ، وهو المَرْجِعُ إلى جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ ، مُخَلَّدًا فيها ، وإلى أزواجٍ مُطَهَّرَةٍ ، ورضوانٍ من اللّهِ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ قُلْ أُوْنِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَالِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه : قل يا محمدُ للناسِ الذين زُيِّنَ لهم حبُّ الشهواتِ مِنَ النساءِ

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « التي » .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « تحركها » .

(٣) في م : « فتصير » ، وفي س : « فصيرت » .

(٤) في ت ، ١ ، س : « يعنى » ، وفي ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « يبقى » ، وغير منقوطة في ص .

(٥) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « و » .

والبنين ، وسائر ما ذكر ربنا / جل ثناؤه : ﴿ أُوْنَيْتُكُمْ ﴾ : أأخبركم وأعلمكم ، ٢٠٦/٢
 ﴿ يَخَيْرُ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ﴾ : يعني : بخير وأفضل لكم ، ﴿ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ﴾ : يعني : مما زين
 لكم في الدنيا حُبَّ شهوته من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة ،
 وأنواع الأموال ، التي هي متاع الدنيا .

ثم اختلف أهل العربية في الموضع الذي تنهى إليه الاستفهام من هذا الكلام ؛
 فقال بعضهم : تنهى ذلك عند قوله : ﴿ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ﴾ ثم ابتداء الخبر عما للذين
 اتقوا عند ربهم ، فقيل : ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ فلذلك رفع الجنات .

ومن قال هذا القول لم يُجز في قوله : ﴿ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ إلا
 الرفع ، وذلك أنه خبر مبتدأ ، غير مردود على قوله : ﴿ يَخَيْرُ ﴾ . فيكون الحفض فيه
 جائزاً . وهو وإن كان خبراً مبتدأ عندهم ، ففيه إبانة عن معنى « الخير » الذي أمر الله
 عز وجل نبيه ﷺ أن يقول للناس : أُوْنَيْتُكُمْ به . و« الجنات » على هذا القول مرفوعة
 باللام التي في قوله : ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ .

وقال آخرون منهم بنحو من هذا القول ، إلا أنهم قالوا : إن جعلت اللام التي
 في قوله : ﴿ لِلَّذِينَ ﴾ من صلة الإنباء ، جاز في « الجنات » الحفض والرفع ؛ الحفض
 على الرد على « الخير » ، والرفع على أن يكون قوله : ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ خبر مبتدأ .
 على ما قد بيناه قبل .

وقال آخرون : بل منتهى الاستفهام قوله : ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ثم ابتداء :
 ﴿ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ . وقالوا : تأويل الكلام : ﴿ قُلْ أُوْنَيْتُكُمْ يَخَيْرُ
 مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . ثم كأنه قيل : ماذا لهم ؟ أو ماذا ؟ أو على أنه
 يقال : ماذا لهم ؟ أو ماذا ؟ فقال : هو ﴿ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ الآية .

وأولى هذه الأقوالِ عندى بالصوابِ قولُ من جعل الاستفهامَ مُتَناهياً عندَ قوله : ﴿ يَخِيْرُ مِنْ ذٰلِكُمْ ﴾ . والخبرُ بعده مبتدأُ عمَّن له الجناتُ بقوله : ﴿ لِذٰلِـنَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهْمُ جَنٰتٌ ﴾ . فيكونُ مَخْرُجُ ذلكَ مَخْرَجَ الخبرِ ، وهو إبانةٌ عن معنى « الخير » الذى قال : أُوْتِبْتُكُمْ ^(١) به ؟ فلا يكونُ بالكلامِ حينئذٍ حاجةً إلى ضمير .

قال [٣٩٢/١] أبو جعفرٍ محمدُ بنُ جريرِ الطبريُّ : وأما قوله : ﴿ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا ﴾ . فمنصوبٌ على القطع .

ومعنى قوله : ﴿ لِذٰلِـنَ اتَّقَوْا ﴾ : للذين خافوا اللهَ فأطاعوه ، بأداءِ فرائضه ، واجْتِنَابِ معاصيه ، ﴿ عِنْدَ رَبِّهْمُ ﴾ يعنى بذلك : لهم جناتٌ تجرى من تحتها الأنهارُ عندَ ربِّهم .

والجناتُ البساتينُ ، وقد بيَّننا ذلكَ بالشواهدِ فيما مضى ، وأن قوله : ﴿ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ ﴾ . يعنى به : من تحتِ الأشجارِ . وأن الخلودَ فيها دَوَامُ البقاءِ فيها ، وأن الأزواجَ المُطَهَّرَةَ هن نساءُ الجنةِ اللواتى طُهِّرُنَّ من كلِّ أذى يكونُ بنساءِ أهلِ الدنيا ، من الحيضِ والمنى والبولِ والتفاسِ ، وما أشبهَ ذلكَ من الأذى ، بما أغتنى عن إعادته فى هذا الموضع ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّٰهِ ﴾ . يعنى : ورضا الله . وهو مصدرٌ من قولِ القائلِ : رضى الله عن فلانٍ ، فهو يَرْضَى عنه رِضًا ، منقوصٌ ، وِرْضَوَانًا وِرْضَوَانًا ومرْضَاةً . فأما الرِّضْوَانُ بضمِّ الراءِ فهو لغةٌ قيسٍ ، وبه كان عاصمٌ يَقْرَأُ ^(٣) .

(١) فى ص ، م ، ت ، ٢ ، ت ٣ : « أنبئكم » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٤٠٦/١ - ٤٠٨ ، ٤١٩ - ٤٢٢ .

(٣) فى رواية أبى بكر عنه ، وروى حفص عنه بالكسر كقراءة الباقيين . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٢ .

وإنما ذكر الله جل ثناؤه فيما ذكر للذين اتَّقَوْا عنده من الخيرِ رضوانه ؛ لأن رضوانه أعلى منازلِ كرامةِ أهلِ الجنةِ .

/ كما حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الرُّبَيْرِيُّ ، قال : ثنا سفيانٌ ، عن ٢٠٧/٣ محمدِ بنِ المنكدرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ، قال : إذا دَخَلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ ، قال اللهُ تباركَ وتعالى : أَعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ هَذَا ؟ فيقولون : أَى رَبَّنَا ، أَى شَىْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ؟ قال : رِضْوَانِي ^(١) .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ . يعنى بذلك : واللَّهُ ذو بصيرٍ بالذى يَتَّقِيهِ مِنْ عِبَادِهِ ، فَيَخَافُهُ فَيُطِيعُهُ ، وَيُؤْتِيهِ مَا عِنْدَهُ ، مِمَّا ذَكَرَ أَنَّهُ أَعَدَّهُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْهُ عَلَى حُبِّ مَا زُيِّنَ لَهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَسَائِرِ مَا عَدَّدَ مِنْهَا تَعَالَى ذِكْرَهُ ، وَبِالَّذِي لَا يَتَّقِيهِ فَيَخَافُهُ ، وَلَكِنَّهُ يَعْصِيهِ وَيُطِيعُ الشَّيْطَانَ ، وَيُؤْتِيهِ مَا زُيِّنَ لَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ حُبِّ شَهْوَةِ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْأَمْوَالِ ، عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ النِّعَمِ الْمَقِيمِ ، عَالَمٌ تَعَالَى ذِكْرَهُ بِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ، حَتَّى يُجَازِيَ كُلَّهُمْ عِنْدَ مَعَادِهِمْ إِلَيْهِ جَزَاءَهُمْ ؛ الْحَسَنَ بِإِحْسَانِهِ ، وَالْمَسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ^(١١) .

ومعنى ذلك : قل هل أنبئكم بخيرٍ من ذلكم ؟ للذين اتَّقَوْا يقولون : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ .

وقد يَحْتَمِلُ ^(٢) ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ وجهين من الإعرابِ ؛ الخفضُ على الرَّدِّ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦١٣/٢ (٣٢٨٧) من طريق سفيان به بنحوه ، ومن طريقه مرفوعاً أخرجه

ابن حبان (٢٦٤٧ - موارد) ، والحاكم ٨٢/١ ، ٨٣ بنحوه .

(٢) بعده فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « المعنى كذلك » .

على «الذين» الأولى ، والرفع على الابتداء ، إذ كان في مبتدأ آية أخرى غير التي فيها «الذين» الأولى ، فيكون^(١) رفعها نظير قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ [التوبة : ١١١] . ثم قال في مبتدأ الآية التي بعدها : ﴿التَّائِبِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [التوبة : ١١٢] . ولو كان جاء ذلك مخفوضاً كان جائزاً .

ومعنى قوله : ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَكْنَا﴾ : الذين يقولون : إننا صدقنا بك وبنبيك ، وما جاء به من عندك ، ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ يقول : فاستر علينا ذنوبنا^(٢) بعفوك عنها ، وتركك عقوبتنا عليها ، ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ : اذفع عنا عذابك إيانا بالنار أن تُعَذِّبنا بها . وإنما معنى ذلك : لا تُعَذِّبنا يا ربنا بالنار . وإنما خصوا المسألة بأن يقيهم عذاب النار ؛ لأن من زُحِر يومئذ عن النار ، فقد فاز بالنجاة من عذاب النار^(٣) ، وحسن مأثبه .

وأصل قوله : ﴿وَقِنَا﴾ . من قول القائل : وقى الله فلاناً كذا ، يُراد به : دفع عنه ، فهو يقيه . فإذا سأل بذلك سائل قال : قيني كذا .

القول في تأويل قوله : ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ﴾ .

يعنى بقوله : ﴿الصَّابِرِينَ﴾ : الذين صبروا في البأساء والضراء وحين البأس .

ويعنى بـ ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ : الذين صدقوا الله في قولهم بتحقيقهم الإقرار به

وبرسوله ، وما جاء به من عنده ، بالعمل بما أمره به ، والانتهاى عما نهاه عنه .

ويعنى بـ ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ : المطيعين له . وقد أتينا على الإبانة عن كل هذه

(١) بعده فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « فى » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « الله » .

الحروف ومعانيها بالشواهد على صحة ما قلنا فيها ، وبالإخبارِ عمن قال فيها قولاً ، فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ^(١) .

وقد كان قتادة يقول في ذلك بما حدثنا به بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُؤْتُونَ زَكَاةً وَالَّذِينَ إِذَا أُصِيبُوا بِالْكَرْبِ حَسَنُوا ﴾ : « الصادقين » : قومٌ صدقت أفعالهم ^(٢) ، واستقامت قلوبهم وألستهم ، وصدقوا في السرِّ والعلانية ، و« الصابرين » : قومٌ ^(٣) صبروا على طاعة الله ، وصبروا عن محاربه ، والقائتون : هم المطيعون لله ^(٤) .

وأما المنفقون : فهم المؤتون زكوات ^(٥) أموالهم ، وواضعوها على ما أمرهم الله بإياتها ^(٦) ، والمنفقون أموالهم في الوجوه التي أذن الله لهم جل ثناؤه بإنفاقها فيها .

وأما ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ ﴾ وسائر هذه الحروف ، فمخفوض رداً على قوله : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا ﴾ . والخفض في هذه الحروف يدل على أن قوله : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ . خفض رداً على قوله : ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَالْمُسْتَفْزِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في القوم الذين هذه الصفة صفتهم ؛ فقال بعضهم : هم المصلون بالأسحار .

(١) ينظر ما تقدم في ٢/٤٦١ ، ٤/٣٧٥ وما بعدهما .

(٢) في س : « أقوالهم » .

(٣) في ص ، ت : « يوم » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦١٤ ، (٣٢٩٢ ، ٣٢٩٤) من طريق يزيد به دون آخره ، وعلق آخره

في ٢/٦١٥ عقب الأثر (٣٢٩٧) .

(٥) في س : « زكاة » .

(٦) في م : « إياتها » .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ : ثنا يزيدٌ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادة : ﴿ وَالْمُسْتَفْزِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ : [٣٩٣/١] هم أهل الصلاة^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ : ثنا إسحاقُ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ، عن أبيه، عن قتادة : ﴿ وَالْمُسْتَفْزِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ . قال : يُصَلُّونَ بِالْأَسْحَارِ^(٢) .
وقال آخرون : هم المُسْتَعْفِرُونَ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ : ثنا أبي، عن حُرَيْثِ بْنِ أَبِي مَطْرٍ، عن إبراهيم بن حاطبٍ، عن أبيه، قال : سَمِعْتُ رَجُلًا فِي السَّحَرِ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَقُولُ : رَبِّ أَمْرَتَنِي فَأَطَعْتُكَ، وَهَذَا سَحَرٌ فَأَغْفِرْ لِي . فَنظَرْتُ فَإِذَا ابْنُ مَسْعُودٍ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ : ثنا إسحاقُ، قال : ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ، قال : سألتُ عبدَ الرحمنِ بنَ يزيدَ بنَ جابرٍ عن قولِ اللَّهِ عز وجل : ﴿ وَالْمُسْتَفْزِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ . قال : حَدَّثَنِي سَلِيمَانُ بْنُ مُوسَى، قَالَ : ثنا نافعٌ، أن ابنَ عمرَ كان يُحْيِي اللَّيْلَ صَلَاةً، ثم يقولُ : يا نافعُ أسْحَرْنَا؟ فيقولُ : لا . فيعاوِدُ الصَّلَاةَ، فإذا قلتُ : نعم . قَعَدَ يَسْتَعْفِرُ وَيَدْعُو حَتَّى يُضْبِحَ^(٤) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٥/٢ عقب الأثر (٣٣٠٠) معلقًا .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٨/٢ عن المصنف .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٦/٢ (٣٣٠٢) ، وابن عساكر ٤٨/٣٧ من طريق الوليد بن مسلم به .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عن بعضِ البَصْرِيِّينَ ، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ :
أَمَرْنَا أَنْ نَسْتَغْفِرَ بِالْأَسْحَارِ سَبْعِينَ اسْتِغْفَارَةً^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ ، قَالَ : ثنا أَبُو يَعْقُوبَ
الضَّبِّيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : مَنْ صَلَّى مِنَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ فِي
آخِرِ اللَّيْلِ سَبْعِينَ مَرَّةً ، كُتِبَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ^(٢) .
وقال آخرون : هم الذين يَشْهَدُونَ الصَّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

/حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مَسْلَمَةَ أَخُو الْقَعْنَبِيِّ ، قَالَ : ثنا يَعْقُوبُ بْنُ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : قُلْتُ لَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ : مَنْ ﴿الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ ؟ قَالَ : هم
الذين يَشْهَدُونَ الصَّبْحَ^(٣) .

وأولى هذه الأقوال بتأويل قوله : ﴿الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ قول من قال : هم
السائلون ربهم أن يشتر عليهم فضيحتهم بها ؛ ﴿بِالْأَسْحَارِ﴾ وهي جمع سحر .
وأظهر معاني ذلك أن تكون مسألتهم إياه بالدعاء . وقد يحتمل أن يكون معناه
تعريضهم لمغفرته بالعمل والصلاة ، غير أن أظهر معانيه ما ذكرنا من الدعاء .

القول في تأويل قوله : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ
قَابِئًا بِالْقَسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

(١) عزاه ابن كثير في تفسيره ١٨/٢ إلى ابن مردويه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ ، ١٢ إلى المصنف
وابن مردويه ، بلفظ : أمرنا رسول الله ﷺ به . وينظر مختصر قيام الليل ص ٣٨ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٥/٢ (٣٣٠١) من طريق إسماعيل بن مسلمة به ، وأخرجه ابن أبي
شيبه ٤٩٨/١٣ من طريق عقبة بن أبي يزيد القرشي ، عن زيد بن أسلم .

يعنى بذلك جل ثناؤه : شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وشهدت الملائكة ، وأولو العلم .

فالملائكة معطوف بهم على اسم الله ، و ﴿ أَنَّهُ ﴾ مفتوحة ب ﴿ شَهِدَ ﴾ .
وكان بعض البصريين ^(١) يتأول قوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾ : قضى الله ، ويرفع الملائكة بمعنى : والملائكة شهود وأولو العلم .

وهكذا قرأت قراءة أهل الإسلام بفتح الألف من ﴿ أَنَّهُ ﴾ على ما ذكرت من إعمال ﴿ شَهِدَ ﴾ فى ﴿ أَنَّهُ ﴾ الأولى ، وكسر الألف من ﴿ إِنَّ ﴾ الثانية وابتدائها . سوى أن بعض المتأخرين من أهل العربية كان يقرأ ذلك جميعاً بفتح ألفيهما ^(٢) ، بمعنى : شهد الله أنه لا إله إلا هو وأن الدين عند الله الإسلام . فعطف بـ « أن الدين » على ﴿ أَنَّهُ ﴾ الأولى ، ثم حذف واو العطف وهى مرادة فى الكلام . واحتج فى ذلك بأن ابن عباس قرأ ذلك : (شهد الله إنه لا إله إلا هو) الآية . ثم قال : (أن الدين) . بكسر « إن » الأولى ، وفتح « أن » الثانية بإعمال ﴿ شَهِدَ ﴾ فيها ، وجعل « إن » الأولى اعتراضاً فى الكلام ، غير عامل فيها ﴿ شَهِدَ ﴾ ، وأن ابن مسعود قرأ : (شهد الله أن ^(٣) لا إله إلا هو) بفتح « أن » ، وكسر « إن » من : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلَا سَلَمٌ ﴾ على معنى إعمال الشهادة فى « أن » الأولى ، و « إن » الثانية مبتدأة . فزعم أنه أراد بقراءته إياهما بالفتح جمع قراءة ابن عباس وابن مسعود . فخالف بقراءته ما قرأ من ذلك على ما وصفت ، جميع قراءة أهل الإسلام المتقدمين

(١) يعنى أبا عبيدة فى مجاز القرآن ١/ ٨٩ . وسيرد المصنف قوله فيما بعد .

(٢) هو الكسائى ، ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٣) فى م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « أنه » . وينظر البحر المحيط ٢/ ٤٠٣ . وعز السبوتى فى الدر المنثور ١٢/٢ هذه القراءة إلى أبى بكر بن أبى داود فى المصاحف ، وفى المصاحف ص ٥٩ : « أنه » . خطأ .

منهم والمتأخرين ، بدَعَوَى تأويل على ابن عباس وابن مسعود ، زعم أنهما قالاه وقرأ به ، وغيرُ معلوم ما ادَّعى عليهما بروايةٍ صحيحةٍ ولا سقيمةٍ . وكفى شاهداً على خطأ قراءة^(١) خروجها من قراءة^(٢) أهل الإسلام . فالصوابُ إذ كان الأمرُ على ما وصَفْنَا من قراءة ذلك ، فتح الألف من « أنه » الأولى ، وكسر الألف من « إن » الثانية ، أغنى من قوله : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ . ابتداءً .

وقد روى عن السدي في تأويل ذلك قول كالدال على تصحيح ما قرأ به في ذلك من ذكرنا قوله من أهل العربية ، في فتح أن من قوله : (أن الدين) . وهو ما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَمَلَ تِكَّةٌ ﴾ إلى ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ : فإن الله / يَشْهَدُ هو والملائكة والعلماء من الناس أن الدين عند الله الإسلام^(٣) .

٢١٠/٣

فهذا التأويل يدل على أن الشهادة إنما هي عاملة في « أن » الثانية ، التي في قوله : (أن الدين عند الله الإسلام) . فعلى هذا التأويل جائر في « أن »^(٤) الأولى وجهان من التأويل ؛ أحدهما : أن تكون الأولى منصوبة على وجه الشرط ، بمعنى : شهد الله بأنه واحد . فتكون مفتوحة بمعنى الخفض في مذهب بعض أهل العربية ، وبمعنى النصب في مذهب بعضهم ، والشهادة عاملة في « أن » الثانية ، كأنك قلت : شهد الله أن الدين عند الله الإسلام ؛ لأنه واحد . ثم تقدم « لأنه واحد » ، ففتحتها على ذلك التأويل .

(١) في م : « قراءته » .

(٢) في م : « قراءة » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٦/٢ ، ٦١٧ (٣٣٠٤ ، ٣٣٠٨) من طريق عمرو به .

(٤) كتب فوقها في ص : « في » ، وفي ت ٢ ، س : « أن في » .

والوجه الثاني : أن تكونَ « إن » الأولى مكسورةً بمعنى الابتداء ؛ لأنها مُعْتَرِضٌ بها ، والشهادة واقعةٌ على « أن » الثانية . فيكونُ [٣٩٣/١ظ] معنى الكلام : شهد الله - فإنه لا إله إلا هو - والملائكة أن الدينَ عندَ اللهِ الإسلامُ . كقولِ القائلِ : أشهدُ - فإني مُحِقٌّ - أنك مما تُعابُ به بَرِيءٌ . فـ « إن » الأولى مكسورةٌ ؛ لأنها مُعْتَرِضَةٌ ، والشهادة واقعةٌ على « أن » الثانية .

وأما قوله : ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ . فإنه بمعنى أنه الذي يلي العَدْلَ بين خلقه . والقِسْطُ هو العَدْلُ ، من قولهم : هو مُقْسِطٌ ، وقد أَقْسَطَ ، إذا عدل . ونُصِبَ ﴿ قَائِمًا ﴾ على القطعِ .

وكان بعضُ نحوي أهلِ البصرة يزعمُ أنه حالٌ من « هو » التي في : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

وكان بعضُ نحوي الكوفة يزعمُ أنه حالٌ من اسم « الله » الذي مع قوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾ فكان معناه : شهد الله القائم^(١) بالقِسْطِ أنه لا إله إلا هو . وقد ذُكِرَ أنها في قراءة ابن مسعودٍ كذلك : (وأولو العلمِ القائمُ بالقِسْطِ) ثم حُذِفَت الألفُ واللامُ من القائمِ^(٢) ، فصار نكرةً ، وهو نعتٌ لمعرفةٍ فنُصِبَ .

وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي قولُ من جعله قَطْعًا على أنه من نعتِ الله جل ثناؤه ؛ لأن الملائكة وأولى العلمِ مَعْطُوفون عليه ، فكذلك الصحيح أن يكونَ قوله : ﴿ قَائِمًا ﴾ حالًا منه .

وأما تأويلُ قوله : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ فإنه نفى أن يكونَ

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « العالم » .

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ١ / ٢٠٠ .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « القسط » .

شَيْءٌ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ غَيْرَ الْوَاحِدِ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ .

ويعنى بـ « العزيز » : الذى لا يَمْتَنِعُ عليه شىءٌ أرادَه ، ولا يَنْتَصِرُ منه أحدٌ عاقبَه أو انتقم منه ، « الحكيم » فى تدبيره ، فلا يَدْخُلُه خللٌ .

وإنما عنى جل ثناؤه بهذه الآية نفى ما أضافت النصارى الذين حاجوا رسول الله ﷺ فى عيسى من البُنُوَّة ، وما نسب إليه سائر أهل الشرك من أن له شريكاً ، واتخاذهم دونَه أرباباً ، فأخبرهم الله عن نفسه ، أنه الخالقُ كلِّ ما سواه ، وأنه ربُّ كلِّ ما اتَّخَذَه كلُّ كافرٍ وكلُّ مشركٍ ربّاً دونَه ، وأن ذلك مما يشهدُ به هو وملائكته وأهل العلم به من خلقه ، فبدأ جل ثناؤه بنفسه تعظيماً لنفسه ، وتزيهاً لها عما نسب الذين ذكرونا أمرهم من أهل الشرك به ما نسبوا إليها ، كما سنَّ لعباده أن يندعوا فى أمورهم بذكره قبل ذكر غيره ، مؤدِّباً خلقه بذلك .

والمراد من الكلام الخبير عن شهادة من ارتضاهم من (١) خلقه فقدّموه ؛ من ملائكته وعلماء عباده ، فأعلمهم أن ملائكته - التى يُعظّمها العابدون غيره من أهل الشرك ، ويعبُدُها (٢) الكثير منهم - وأهل العلم منهم ، / مُنكرون ما هم عليه مُقيمون ٢١١/٣ من كُفْرهم ، وقولهم فى عيسى ، وقول من اتَّخَذَ ربّاً غيره من سائر الخلق ، فقال : شهدت الملائكة وأولو العلم أنه لا إله إلا هو ، وأن كلَّ من اتَّخَذَ ربّاً دونَ الله فهو كاذبٌ . احتجاجاً منه لنبيه عليه السلام ، على الذين حاجوه من وفدِ نجران فى عيسى .

واعترض بذكر الله وصفته ، على ما بيئتُ (٣) ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَأَعْلَمُوا ﴾

(١) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س .

(٢) فى ص ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « يعبده » .

(٣) فى م : « نبينه » ، وفى س : « بينه » .

أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ مِثْلَهُ ﴿٤١﴾ [الأنفال: ٤١]. افتتاحًا باسمه الكلام، فكذلك افتتح باسمه والثناء على نفسه الشهادة بما وصفنا من نفي الألوهية عن غيره، وتكذيب أهل الشرك به.

فأما ما قال الذي وصفنا قوله من أنه عني بقوله: ﴿شَهَدَ﴾: قَضَى. فِيمَا لَا يُعْرَفُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَلَا الْعَجَمِ؛ لَأَنَّ الشَّهَادَةَ مَعْنَى، وَالْقَضَاءُ غَيْرُهَا. وبنحو ما قلنا في ذلك روى عن بعض المتقدمين القول في ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾: بخلاف ما قالوا، يعني بخلاف ما قال وقد نجران من النصارى، ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ أى: بالعدل^(١).

حدثني المثني، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبلى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل.

القول في تأويل قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾.

ومعنى الدين في هذا الموضع: الطاعة والذلة، من قول الشاعر^(٢):

ويوم الحزن إذ حشدت معدًا وكان الناس إلا نحن ديننا
يعنى بذلك: مُطِيعِينَ عَلَى وَجْهِ الدُّلِّ. ومنه قول القطامي^(٣):

(١) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٦/٢ (٣٣٠٥) من طريق سلمة، عن ابن إسحاق قوله، مقتصرًا على: بخلاف ما قالوا.

(٢) أنشده الفراء في معاني القرآن ٨١/٣ عن المفضل، والشطر الثاني منه في اللسان (دى ن).

(٣) ديوانه ص ٥٨.

كَانَتْ نَوَازٍ^(١) تَدِينُكَ الْأَذْيَانَا

يَعْنَى : تُدِيْلُكَ . وَقَوْلُ الْأَعَشَى مِيمُونِ بْنِ قَيْسٍ^(٢) :

هُوَ دَانَ الرَّبَابَ إِذْ كَرِهُوا الدِّيَّ سَنَ دِرَاكًا بِغَزْوَةٍ وَصِيَالٍ / يَعْنَى بِقَوْلِهِ^(٣) : دَانَ . ذَلَّلَ ، وَبِقَوْلِهِ : كَرِهُوا الدِّيَّ . الطَّاعَةَ .

٢١٢/٣

وَكَذَلِكَ الْإِسْلَامُ ، وَهُوَ الْإِنْقِيَادُ بِالتَّذَلُّلِ وَالْخُشُوعِ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ « أَسْلَمَ » ، بِمَعْنَى : دَخَلَ فِي السُّلْمِ ، كَمَا يُقَالُ : أَقْحَطَ الْقَوْمُ . إِذَا دَخَلُوا فِي الْقَحْطِ ، وَأَرْبَعُوا ، إِذَا دَخَلُوا فِي الرَّبِيعِ ، فَكَذَلِكَ : أَسْلَمُوا ، إِذَا دَخَلُوا فِي السُّلْمِ ، وَهُوَ الْإِنْقِيَادُ بِالْخُضُوعِ وَتَرْكِ الْمَمَانَعَةِ .

فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ . إِنَّ الطَّاعَةَ لِلَّهِ^(٤) - الَّتِي هِيَ الطَّاعَةُ لَهُ^(٤) عِنْدَهُ - (الطَّاعَةُ لَهُ^(٥)) ، وَإِقْرَارُ الْأَلْسِنِ وَالْقُلُوبِ لَهُ بِالْعُبُودَةِ وَالذَّلَّةِ ، وَإِنْقِيَادُهَا لَهُ بِالطَّاعَةِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى ، وَتَذَلُّلُهَا لَهُ بِذَلِكَ ، مِنْ غَيْرِ اسْتِكْبَارٍ عَلَيْهِ ، وَلَا انْحِرَافٍ عَنْهُ ، دُونَ إِشْرَاقِ غَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ مَعَهُ فِي الْعُبُودَةِ وَالْأَلُوْهَةِ .

وَبِنَحْوِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ الدِّينَ

(١) فِي الدِّيَّوَانِ : « جَنُوبٌ » ، وَفِي نَسْخَةِ مِنْهُ : « ظُلُومٌ » .

(٢) تَقَدَّمَ فِي ٣/٣٠١ .

(٣) بَعْدَهُ فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إِنَّ » .

(٤) سَقَطَ مِنْ : م .

(٥ - ٥) زِيَادَةٌ مِنْ : م .

عِنْدَ اللَّهِ أَلَا يُسَلَّمُ ﴿١﴾ : والإسلامُ شهادةُ [٣٩٤/١] أن لا إلهَ إلا اللهُ ، والإقرارُ بما جاء به من عندِ اللهِ ، وهو دينُ اللهِ الذي شرعَ لنفسِهِ ، وبعثَ به رُسُلَهُ ، ودلَّ عليه أوليائِهِ ، لا يَقْبَلُ غيرَهُ ، ولا يَجْزِي إلا به ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : ثنا أبو العاليةِ في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلَا يُسَلَّمُ ﴾ . قال : الإسلامُ الإخلاصُ لله وحده ، وعبادتهُ لا شريكَ له ، وإقامُ الصلاةِ ، وإيتاءُ الزكاةِ ، وسائرُ الفرائضِ لهذا تَبَعُ ^(٢) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ أَسَلَمْنَا ﴾ [الحجرات : ١٤] . قال : دخلنا في السُّلْمِ ، وتركنا الحربَ ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمَةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلَا يُسَلَّمُ ﴾ : أى ما أنت عليه يا محمدُ من التوحيدِ للربِّ والتَّصديقِ للرسلِ ^(٤) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ .

يعنى بذلك جَلَّ ثناؤه : وما اختلف الذين أوتوا الإنجيلَ - وهو الكتابُ الذي ذكره اللهُ في هذه الآية - فى أمرِ عيسى ، وافترائهم على اللهِ فيما قالوه فيه من الأقوالِ التى كثرَ بها اختلافُهم بينهم ، وتشتَّتتْ بها كلمتُهم ، وباينَ بها بعضهم بعضًا ،

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٢/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١٧/٢ ، ٦١٨ ، (٢٣١٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) سيأتى هذا الأثر فى تفسير سورة الحجرات بأطول مما هنا .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ .

حتى استحلَّ بها بعضهم دماء بعضٍ ، ﴿ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ يعني : إلا من بعد ما علموا الحقَّ فيما اختلفوا فيه من أمره ، وأيقنوا أنهم فيما يقولون فيه من عظيمِ الفريةِ مُبطلون ، فأخبر الله عباده أنهم أتوا ما أتوا من الباطلِ ، وقالوا ما قالوا من القولِ الذي هو كفرٌ بالله ، على علمٍ منهم بخطأ ما قالوه ، وأنهم لم يقولوا ذلك جهلاً منهم بخطئه ، ولكنهم قالوه واختلفوا فيه الاختلافَ الذي هم عليه ؛ تعدّيًا من بعضهم على بعضٍ ، وطلبِ الرياساتِ والملكِ والسلطانِ .

كما حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قوله : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ . قال : قال أبو العالِيَةِ / إلا من بعد ما جاءهم الكتابُ والعلمُ ﴿ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ يقولُ : بغيًا على الدنيا ، وطلبِ مُلكِها وسُلطانِها ، فقتل بعضهم بعضًا على الدنيا ، من بعد ما كانوا علماء الناس ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، عن ابنِ عمرٍ أنه كان يُكثِرُ تلاوةَ هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ . يقولُ : بغيًا على الدنيا ، وطلبِ مُلكِها وسُلطانِها ، من قِبَلِها والله ^(٢) أتيينا ، ما كان علينا من يكونِ علينا ^(٣) ، بعد أن يأخذَ فينا كتابَ الله سنةً نبيّه ! ولكنَّا أتيينا من قِبَلِها .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٨/٢ (٣٣١٦ ، ٣٣١٩) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) بعده في م : « ما » .

(٣) سقط من : م .

الربيع ، قال : إن موسى لما حضره الموت دعا سبعينَ حَبْرًا من أحبارِ بني إسرائيل ، فاستودعهم التوراة ، وجعلهم أُمَنَاءَ عليه ، كلُّ حَبْرٍ جُزْءًا منه ، واستخلف موسى يوشعَ بنَ نونٍ ، فلما مضى القرنُ الأوَّلُ ومضى الثاني ومضى الثالثُ ، وقَعَت الفُرقةُ بينهم ؛ وهم الذين أُوتوا العلمَ من أبناء أولئك السبعينَ ، حتى أَهْرَاقوا بينهم الدماءَ ، ووقَع الشَّرُّ والاختلافُ ، وكان ذلك كُلُّهُ من قِبَلِ الذين أُوتوا العلمَ بَعَثًا بينهم على الدنيا ، طلبًا لسلطانِها ومُلْكِها وخزائنها وزُخْرِفِها ، فسَلَطَ اللهُ عليهم جَبَابِرَتَهُمْ ، فقال اللهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمَةُ ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ بِصِيرُكُمْ بِأَعْيَادٍ ﴾ ^(١) .

فقول ^(٢) الربيعِ بنِ أنسٍ هذا يدلُّ على أنه كان عنده أنه معنَى بقوله : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ اليهودُ من بني إسرائيل ، دونَ النصارى منهم ومن غيرِهِمْ .

وكان غيره يُوجِّهُ ذلك إلى أن المعنَى به النصارى ^(٣) الذين أُوتوا الإنجيلَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمَةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ : الذى جاءك ، أى أَنَّ اللهَ الواحدُ الذى ليس له شريكٌ ، ﴿ بَعَثًا بَيْنَهُمْ ﴾ . يعنى بذلك النصارى ^(٤) .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٢/٢ إلى المصنف ، إلى قوله : جبابرتهم .

(٢) فى النسخ : « يقول » . والصواب ما أثبتنا .

(٣) بعده فى س : « منهم » .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ .

القول في تأويل قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٩).

يعنى بذلك جل ثناؤه : وَمَنْ يَجْحَدُ حُجَجَ اللَّهِ وَأَعْلَامَهُ الَّتِي نَصَبَهَا ذَكَرَى لِمَنْ عَقَلَ ، وَأَدْلَةً لِمَنْ اعْتَبَرَ وَتَذَكَّرَ ، فَإِنَّ اللَّهَ مُحْصِيٌّ عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ الَّتِي كَانَ يَعْمَلُهَا فِي الدُّنْيَا ، فَمُجَازِيهِ بِهَا فِي الْآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ، يَعْنِي : سَرِيعُ الْإِحْصَاءِ . وَإِنَّمَا مَعْنَى ذَلِكَ ، أَنَّهُ حَافِظٌ عَلَى كُلِّ عَامِلٍ عَمَلَهُ ، لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى عَقْدٍ ، كَمَا يَعْقِدُهُ خَلْقُهُ بِأَكْفُهُمْ ، أَوْ يَعُونَهُ بِقُلُوبِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ يَحْفَظُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ كُفْلَةٍ وَلَا مَثُونَةٍ ، وَلَا مَعَانَاةٍ لِمَا يُعَانِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الْحُسَابِ .

وبنحو الذي قلنا في معنى: ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ . كان مجاهدٌ يقول .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ . قال : إحصاؤه عليهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ : [٣٩٤/١] إحصاؤه^(١) .

/القول في تأويل قوله: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهَ اللَّهِ وَمَنْ أَتَّبَعِنِ﴾^(٢) . ٢١٤/٣

يعنى بذلك جل ثناؤه : فَإِنْ حَاجَّكَ يَا مُحَمَّدُ النَّفَرُ مِنْ نَصَارَى أَهْلِ نَجْرَانَ فِي أَمْرِ عَيْسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَخَاصُّمُوكَ فِيهِ بِالْبَاطِلِ ، فَقُلْ : انْقَدْتُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٩/٢ (٣٣٢٠) من طريق أبي حذيفة به .

(٢) في م ، س : « اتبعن » . وبإثبات الياء ، قرأ نافع وأبو عمرو في الوصل ، ووقف أبو عمرو بغير ياء ، واختلف عن نافع في الوقف ، وقرأ الباقون وصلوا ووقفوا بغير ياء . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٢٢ .

بلسانى وقلبى وجميع جوارحى .

وإنما خصَّ جلَّ ذكره بأمره بأن يقول : ﴿ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ . لأنَّ الوجهَ أكرمُ جوارحِ ابنِ آدمَ عليه ، وفيه بهاؤه وتَعْظِيمُه ، فإذا خضعَ وجهه لشيءٍ ^(١) ، فقد خضعَ له الذى هو دونَه فى الكرامةِ عليه من جوارحِ بدنِه .

وأما قوله : ﴿ وَمَنْ اتَّبَعَنِي ﴾ . فإنه يعنى : وأسلمَ من اتَّبَعَنِي أيضًا وجهه لله معى ، و ﴿ مَنْ ﴾ معطوفٌ بها على التاءِ فى ﴿ أَسَلَّمْتُ ﴾ .

كما حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ فَإِنَّ حَاجُّكَ ﴾ أى : بما يأتونك به من الباطلِ من قولهم : خلقتنا ، وفعلنا ، وجعلنا ، وأمرنا . فإنما هى شُبُهَةٌ باطلَةٌ ، قد عرفوا ما فيها من الحقِّ ، ﴿ فَإِنَّ حَاجُّكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِي ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسَلَّمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤه : ﴿ وَقُلْ ﴾ يا محمدُ ﴿ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ من اليهودِ والنصارى ، ﴿ وَالْأُمِّيِّينَ ﴾ الذين لا كتابَ لهم من مشركى العربِ : ﴿ ءَأَسَلَّمْتُمْ ﴾ ؟ يقولُ : قل لهم : هل أفردتم التوحيدَ ، وأخلصتم العبادةَ والألوهةَ لربِّ العالمينَ ، دونَ سائرِ الأندادِ والأشراكِ ^(٣) التى تُشركونها معه فى عبادتكم إيَّاهم ، وإقراركم بربوبيتِهِم ، وأنتم تعلمون أنه لا ربَّ غيره ،

(١) فى ص ، ت ١ : « بشيء » .

(٢) ينظر سيرة ابن هشام ١ / ٥٧٧ .

(٣) الأشراك : جمع شريك . تهذيب اللغة ١٠ / ١٧ .

ولا إله سواه؟ ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا﴾ . يقول : فإن انقادوا لإفراد الوحدانية لله ، وإخلاص العبادَةِ والألوهية له ، ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ ، يعنى : فقد أصابوا سبيل الحق ، وسلكوا مَحَجَّةَ الرُّشْدِ .

فإن قال قائل : وكيف قيل : ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ عَقِيبَ الاستفهامِ ؟ وهل يجوزُ على هذا فى الكلامِ أن يقالَ لرجلٍ : هل تقومُ ؟ فإن تُقَمْ أكرمك ؟ .

قيل : ذلك جائزٌ إذا كان الكلامُ مراداً به الأمرُ ، وإن خرجَ مخرجَ الاستفهامِ ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة : ٩١] . يعنى : انتهوا . وكما قال جل ثناؤه مُخْبِرًا عن الحواريين أنهم قالوا ليعسى : ﴿يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة : ١١٢] . وإنما هو مسألة ، كما يقول الرجلُ : هل أنت كافٌّ عَنَّا ؟ بمعنى : اكفُفْ عَنَّا . وكما يقول الرجلُ للرجلِ : أين أين ؟ بمعنى : أقيم فلا تَبْرُخْ . ولذلك جُوِزِي فى الاستفهامِ كما جُوِزِي فى الأمرِ فى قراءةِ عبدِ اللهِ : (هل أدُلُّكم على تجارةٍ تنجيكم من عذابِ أليمٍ * آمنوا)^(١) . ففَسَّرَها بالأمرِ^(٢) ، وهى فى قراءتنا على الخبرِ ، فالمجازةُ فى قراءتنا على قوله : ﴿ هَلْ أدُلُّكُمْ ﴾ . وفى قراءةِ عبدِ اللهِ على قوله : (آمِنُوا) على الأمرِ ؛ لأنه هو التفسيرُ .

و^(٣) بنحوِ معنى^(٣) ما قلنا فى ذلك قال بعضُ أهلِ التأويلِ .

(١) من الآية ١٠ ، ١١ من سورة الصف ، وهذه القراءة ذكرها الفراء فى معانى القرآن ٢٠٢/١ وأبو حيان فى

البحر المحيط ٢٦٣/٨ وهى قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف .

(٢) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بالآمن » .

(٣ - ٣) فى س : « بمعنى » .

/ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ﴾ الذين لا كتاب لهم : ﴿ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ آسَلَمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا ﴾ . الآية ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ﴾ . قال : الأُمِّيُّون الذين لا يَكْتُبُونَ ^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا ﴾ : وإن أدبروا مُعْرِضِينَ عَمَّا تَدْعُوهُمْ إليه من الإسلام ، وإخلاص التوحيد لله رب العالمين ، فإنما أنت رسول مُبَلِّغٌ ، وليس عليك غيرُ إبلاغ الرسالة إلى مَنْ أرسَلْتُك إليه من خلقي ، وأداء ما كَلَّفْتُك من طاعتي ، ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ . يعنى بذلك : واللَّهُ ذو علمٍ بمن يقبل من عباده ما أرسَلْتُك به إليه ، فيطيعُك ^(٣) بالإسلام ، وبمن يتولَّى منهم عنه مُعْرِضًا ، فيؤدُّ عليك ما أرسَلْتُك به إليه ، فيعصيك بإيائه الإسلام .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ . أى : يجحدون

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٧٧ ، ٥٧٨ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٢٠ (٣٣٢٧) من طريق ابن جريج به .

(٣) في ص ، س : « فيعطيك » .

حُجِّجَ اللَّهُ وَأَعْلَامَهُ ، فَيَكْذِبُونَ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ ؛ التَّوَارَةَ وَالْإِنْجِيلِ .

كما حدَّثني ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلْمَةُ ، عن ابنِ إِسْحَاقَ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قال : ثم جَمَعَ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ جَمِيعًا ، وَذَكَرَ مَا أَحَدَثُوا وَابْتَدَعُوا ، مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ عِضْرَةَ حَقٍّ ﴾ . إلى قوله : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ ^(١) [آل عمران : ٢٦] .

وأما قوله : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ عِضْرَةَ حَقٍّ ﴾ . فإنه يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتُلُونَ رُسُلَ اللَّهِ الَّذِينَ كَانُوا يُرْسَلُونَ إِلَيْهِمْ بِالنَّهْيِ عَمَّا يَأْتُونَ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ ، وَرُكُوبِ مَا كَانُوا يَرْتَكِبُونَهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ تَقَدَّمَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِمْ بِالزَّجْرِ عَنْهَا ، نَحْوَ زَكْرِيَا وَابْنِهِ يَحْيَى وَمَا أَشْبَهَهُمَا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ .

القولُ في تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ .

اختلفت [٣٩٥/١] الْقَرَأَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَهُ عَامَّةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَسَائِرِ قَرَاءَةِ الْأَمْصَارِ : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ ﴾ . بمعنى القتلِ .

وقرأه بعضُ المتأخِّرينَ من قَرَاءَةِ الْكُوفَةِ : (وَيُقَاتِلُونَ) ^(٢) . بمعنى القتالِ ، تَأْوِيلًا مِنْهُ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَادَّعَى أَنْ ذَلِكَ فِي مِصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ : (وَقَاتَلُوا) ^(٣) ، فَقَرَأَ الَّذِي وَصَفْنَا أَمْرَهُ مِنَ الْقَرَأَةِ بِذَلِكَ التَّأْوِيلِ : (وَيُقَاتِلُونَ) .

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٧٨ .

(٢) هي قراءة حمزة ، وقرأ الباقون بالوجه الأول . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٣ .

(٣) المصاحف لابن أبي داود ص ٥٩ وهي قراءة شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة .

/ والصوابُ من القراءة في ذلك عندنا^(١) قراءة من قرأه : ﴿ وَيَقْتُلُونَ ﴾ ؛
لإجماع الحجة من القراءة عليه به ، مع مجيء التأويل من أهل التأويل بأن ذلك
تأويله .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ،
عن معقل بن أبي مسكين في قول الله : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ . قال : كان الوحي يأتي إلى بنى
إسرائيل فيذكرون قومهم^(٢) - ولم يكن يأتيهم كتاب - فيقتلون ، فيقوم رجال من
اتبعهم وصدقتهم فيذكرون قومهم ، فيقتلون ، فهم الذين يأثرون بالقسط من
الناس^(٣) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن
قتادة في قوله : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ
بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ . قال : هؤلاء أهل الكتاب ، كان^(٤) أتباع الأنبياء يثبونهم
ويذكرونهم ، فيقتلونهم^(٥) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج في

(١) القراءتان متواترتان ، فكلتاها صواب .

(٢) سقط من النسخ ، والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم والدر المنثور .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٠ بنحوه .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢١/٢ (٣٣٣٤) ، وفيه : عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن معقل . وعزاه

السيوطي في الدر المنثور ١٣/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « كانوا » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢١/٢ (٣٣٣٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ . قال : كان ناسٌ من بنى إسرائيل ممن لم يقرأ الكتاب ، كان الوحى يأتى إليهم ، فيذكرون قومهم ، فيقتلون على ذلك ، فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس .

حدثنى أبو غبيد الوصائى^(١) محمد بن حفص^(٢) ، قال : ثنا ابن جهمير^(٣) ، قال : ثنا أبو الحسن مولى بنى أسيد ، عن مكحول ، عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعى ، عن أبى عبيدة بن الجراح ، قال : قلت : يا رسول الله ، أى الناس أشد عذاباً يوم القيامة ؟ قال : « رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا ، أَوْ رَجُلًا أَمَرَ بِالْمُنْكَرِ وَنَهَى عَنِ الْمَعْرُوفِ » . ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ . إلى أن انتهى إلى : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ . ثم قال رسول الله ﷺ : « يا أبا عبيدة ، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار ، فى ساعة واحدة ، فقام مائة رجلٍ واثنا عشر رجلاً من عباد بنى إسرائيل ، فأمروا من قتلهم بالمعروف ، ونهوه عن المنكر ، فقتلوا جميعاً من آخر النهار فى ذلك اليوم ، وهم الذين ذكر الله عز وجل^(٥) .

فتأويل الآية إذن : إن الذين يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون أمرهم بالعدل فى أمر الله ونهيه ، الذين ينهونهم عن قتل أنبياء الله

(١) فى النسخ : « الوصافى » .

(٢) فى النسخ : « جعفر » .

(٣) فى النسخ : « حميد » .

(٤) فى النسخ : « الذين » .

(٥) أخرجه البزار فى مسنده (١٢٨٥) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٢٠ (٣٣٣٢) ، والبغوى فى تفسيره

٢٠/٢ ، ٢١ من طريق محمد بن حمير به ،

وركوبٍ معاصيه .

القول في تأويل قوله : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ .

/ يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ : فأخبرهم يا محمد ،
وأعلمهم أن لهم عند الله عذاباً مؤلماً لهم ، وهو الموجع .

٢١٧/٣

وأما قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ .
فإنه يعنى بقوله : ﴿ أُولَئِكَ ﴾ : الذين يكفرون بآيات الله . ومعنى ذلك : إن الذين
ذكروناهم هم الذين حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ . يعنى : بطلت أعمالهم فى الدنيا والآخرة .
فأما قوله : ﴿ فِي الدُّنْيَا ﴾ . فلم ينالوا بها محمداً ولا ثناءً من الناس ؛ لأنهم كانوا
على ضلالٍ وباطلٍ ، ولم يرفع الله لهم بها ذكراً ، بل لعنهم وهتك أستارهم ^(١) ،
وأبدى ما كانوا يخفون من قبائح أعمالهم ، على ألسن أنبيائه ورسله فى كتبه التى
أنزلها عليهم ، فأبقى لهم ما بقيت الدنيا مذممةً ، فذلك حبوطها فى الدنيا . وأما
فى الآخرة ؛ فإنه أعد لهم فيها من العقاب ما وصف فى كتابه ، وأعلم عباده أن
أعمالهم تصير بُوراً لا ثواب لها ؛ لأنها كانت كُفراً بالله ، فجزاء أهلها الخلود فى
الجحيم .

وأما قوله : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ . فإنه يعنى : وما لهؤلاء القوم من
ناصرٍ ينصُرهم من الله ، إذا هو انتقم منهم بما سلف من إجرامهم واجترائهم عليه ،
فيمسقتقدهم منه .

القول في تأويل قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ

(١) فى س : « أسرارهم » .

كَلِّبِ اللَّهُ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ يا محمد ﴿ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ . يقول : الذين أعطوا حظًا من الكتاب ، ﴿ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ﴾ . واختلف أهل التأويل في الكتاب الذي عنى الله بقوله : ﴿ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ﴾ ؛ فقال بعضهم : هو التوراة ، دعاهم إلى الرضا بما فيها ، إذ كانت الفرق المنتحلة الكتب تقرُّ بها وبما فيها ، أنها كانت أحكام الله قبل أن يُنسخ منها ما نُسِخ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبيرة وعكرمة ، عن ابن عباس ، قال : دخل رسول الله ﷺ [٣٩٥/١] بيت المدراس على جماعة من يهود ، فدعاهم إلى الله ، فقال له ^(١) نعيم ^(٢) بن عمرو والحارث بن زيد : على أي دين أنت يا محمد ؟ فقال : « على ملة إبراهيم ودينه » . فقالا : فإن إبراهيم كان يهوديًا . فقال لهما رسول الله ﷺ : « فَهَلُمُّوا إِلَى التَّوَارَةِ ، فَهِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ » . فأبيا ^(٣) عليه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ . إلى قوله : ﴿ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ ^(٤) .

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « لهم » . وكتب فوقها في ص : « ط » . علامة أنها خطأ .

(٢) وكذا ورد اسمه في أسباب النزول ، وتفسير البغوى ، وفي تفسير ابن أبى حاتم ٦٢٢/٢ (٣٣٤٠) ،

وسيرة ابن هشام ، والدر المنثور : « نعمان » .

(٣) في م : « فأبوا » .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٥٢/١ ، وذكره الزيلعى في تخريج الكشاف ١٧٩/١ ، ١٨٠ عن المصنف ، وينظر أسباب

النزول للواحدى ص ٧٠ ، وتفسير البغوى ٢/٢١ ، ٢٢ ، وعزاه السيوطى في الدر المنثور ١٤/٢ إلى ابن المنذر .

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي
 محمد مولى آل زيد ، عن / سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : دخل
 رسولُ اللهِ ﷺ بيتَ المدراسِ ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال : فقال لهما رسولُ
 اللهِ ﷺ : « فهلما إلى التوراة » . وقال أيضًا : فأنزل اللهُ فيهما : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى
 الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ . وسائرُ الحديثِ مثلُ حديثِ أبي كُريبٍ ^(١) .
 وقال بعضهم : بل ذلك كتابُ اللهِ الذي أنزله على محمدٍ ، وإنما دُعيت طائفةٌ
 منهم إلى رسولِ اللهِ ﷺ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ، فأبَتْ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى
 الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا
 مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ : أولئك أعداءُ اللهِ اليهودُ ، دُعوا إلى كتابِ اللهِ لِيَحْكُمَ
 بَيْنَهُمْ ، وإلى نبيِّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ، وهم يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ ^(٢) ، ثم تَوَلَّوْا
 عنه وهم مُّعْرِضُونَ ^(٣) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن
 قتادة : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ الآية . قال : هم اليهودُ ، دُعوا
 إلى كتابِ اللهِ وإلى نبيِّهِ ، وهم يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ ، ثم يَتَوَلَّوْنَ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٢/٢ (٣٣٤٠) من طريق سلمة به عن عكرمة مرسلًا .

(٢) بعده في م : « والإنجيل » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٢/٢ (٣٣٤٢) من طريق يزيد به قوله : ﴿ وهم معرضون ﴾ . قال :
 عن كتاب الله .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٣ ، ٦٢٢/٢ (٣٣٤٣) من طريق ابن أبي جعفر به ، وعزاه السيوطي
 في الدر المنثور ١٤/٢ إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جَرِيحٍ قَوْلَهُ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ . قَالَ : كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ يَكُونُ ، وَفِي الْحُدُودِ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَيَتَوَلَّوْنَ عَنْ ذَلِكَ ^(١) .

وأولى الأقوالِ في تأويلِ ذلكِ عندى بالصوابِ أن يُقالَ : إنَّ اللهَ جلَّ ثناؤهَ أخبَرَ عن طائفةٍ من اليهودِ الذين كانوا بينَ ظَهْرَانِي مُهاجِرِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ فى عَهْدِهِ ، ممن قد أُوتى عِلْمًا بالتوراةِ ، أَنهم دُعُوا إلى كِتَابِ اللَّهِ الذى كانوا يُقَرُّونَ بهِ ^(٢) أَنه من عندِ اللَّهِ - وهو ^(٣) التوراةُ - فى بعضِ ما تَنازَعُوا فيه هم ورسولُ اللَّهِ ﷺ ، وقد يجوزُ أن يكونَ تَنازُعُهُم الذى كانوا تَنازَعُوا فيه ، ثم دُعُوا إلى حُكْمِ التوراةِ فيه ، فامتنَعُوا من الإجابةِ إليه - كان أمرُ محمدٍ ﷺ وأمرُ نُبُوَّتِهِ ، ويجوزُ أن يكونَ ذلكِ كان أمرُ إبراهيمَ خليلِ الرحمنِ ودينه ، ويجوزُ أن يكونَ ذلكِ ما دُعُوا إليه من أمرِ الإسلامِ والإقرارِ بهِ ، ويجوزُ أن يكونَ ذلكِ كان فى حَدِّ ، فإن كلَّ ذلكِ مما قد كانوا نازَعُوا فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فدَعاهم فيه إلى حُكْمِ التوراةِ ، فأبى الإجابةَ فيه وكتَمه بعضُهُم .

ولا دلالةُ فى الآيةِ على أى ^(٤) ذلكِ كان ^(٥) من أى ^(٥) ، فيجوزُ أن يُقالَ ^(٦) : هو

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤/٢ إلى المصنف .

(٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) بعده فى م : « فى » .

(٤) فى النسخ : « أن » . وهو تعبير للمصنف تقدم مرارا ، ينظر مثلا ٥٥٦/١ ، ٤٣٩/٢ .

(٥ - ٥) فى م : « ممن أبى » .

(٦) فى س : « يكون » .

هذا دونَ هذا . ولا حاجة بنا إلى معرفة ذلك ؛ لأن المعنى الذى دُعوا إليه ^(١) ، هو مما كان فرضاً عليهم الإجابةُ إليه فى دينهم ، فامتنعوا منه ، فأخبرَ اللهُ جل ثناؤه عنهم برَدَّتِهِمْ ، وتكذيبهم بما فى كتابهم ، / ومُجْحِدِهِمْ ما قد أخذ عليهم عهدهم ومَوَاقِفَهُمْ بإقامته والعمل به ، فلن يَعدُوا أن يكونوا فى تكذيبهم محمداً ﷺ وما جاء به من الحقِّ ، مثلهم فى تكذيبهم موسى وما جاء به ، وهم يتولَّونه ويُقرُّون به .

٢١٩/٣

ومعنى قوله : ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ : ثم يشتدُّ برُّ عن كتابِ الله الذى دَعَا إلى حُكْمِهِ ، مُعْرِضًا عنه مُنْصَرِفًا ، وهو بحقيقته وحجته عالمٌ .

وإنما قلنا : إن ذلك الكتاب هو ^(٢) التوراة ؛ لأنهم كانوا بالقرآنِ مُكذِّبِينَ ، وبالتوراة بزعمهم مُصَدِّقِينَ ، فكانت الحجة عليهم بتكذيبهم بما هم به فى زعمهم مُقَرُّون ، أبلغ ، وللعذرِ أقطع .

القول فى تأويل قوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا ﴾ : بأن هؤلاء الذين دُعوا إلى كتابِ الله ليُحْكَمَ بينهم بالحقِّ فيما نازعوا رسولَ الله ﷺ ، إنما أبوا الإجابةَ إلى ^(٣) حُكْمِ التوراة وما فيها من الحقِّ ، من أجل قولهم : ﴿ لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ . وهى أربعون يوماً ، وهن الأيام التى عبدوا فيها العجل ، ثم يُخْرِجُنَا منها ربُّنا ، اغتراراً منهم بما كانوا يفترون ، يعنى : بما كانوا يَخْتَلِقُونَ من الأكاذيب والأباطيل ، فى ادِّعَائِهِمْ أنهم أبناءُ الله وأحباؤه ، وأن الله قد وعد أباهم يعقوب أن لا يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْ وَلَدِهِ

(١) بعده فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « جملة » .

(٢) سقط من : ت ، ١ ، س .

(٣) فى م : « فى » .

النارِ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ أَقْوَالِهِمْ ، وَأَخْبَرَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ النَّارِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، دُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِهِ .

وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، [٣٩٦/١] عن قتادةَ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ . قالوا : لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ الَّتِي نَصَبْنَا فِيهَا الْعِجْلَ ، ثُمَّ يَنْقَطِعُ الْقَسَمُ وَالْعَذَابُ عَنَّا ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أَى قَالُوا : ﴿ نَحْنُ أَنْبَتُوا اللَّهَ وَأَحْبَبْتُوهُ ﴾ ^(١) . [المائدة : ١٨] .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ الْآيَةَ . قَالَ : قَالُوا : لَنْ نُعَذَّبَ فِي النَّارِ إِلَّا أَرْبَعِينَ يَوْمًا . قَالَ : يَعْنِي الْيَهُودَ . قَالَ : وَقَالَ قَتَادَةُ مِثْلَهُ . وَقَالَ : هِيَ الْأَيَّامُ الَّتِي نَصَبُوا فِيهَا الْعِجْلَ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ حِينَ قَالُوا : ﴿ نَحْنُ أَنْبَتُوا اللَّهَ وَأَحْبَبْتُوهُ ﴾ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : قال مجاهدٌ قوله : ﴿ وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ . قال : عَرَّهْمُ قَوْلُهُمْ : ﴿ لَنْ

(١) تقدم في ١٧١/٢ ، ١٧٢ .

(٢) أخرج آخره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٣/٢ (٣٣٤٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴿١﴾ .

٢٢٠/٣ / القول في تأويل قوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ ﴾ : فأى حال يكون حال هؤلاء القوم الذين قالوا هذا القول ، وفعلوا ما فعلوا ، من إغراضهم عن كتاب الله ، واغترابهم بربهم ، واقترائهم الكذب ؟ وذلك من الله عز وجل وعيد لهم شديد ، وتهديد غليظ .

وإنما يعنى بقوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ ﴾ الآية : فما أعظم ما يلقون من عقوبة الله وتكيله بهم ، إذا جمعهم ليوم يوفى كل عامل جزاء عمله على قدر استحقاقه ، غير مظلوم فيه ! لأنه لا يعاقب فيه إلا على ما اجترم ، ولا يؤاخذ إلا بما عمل ، يُجزى المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، لا يخاف أحد من خلقه يومئذ منه ^(٢) ظلماً ولا هضمًا .

فإن قال قائل : وكيف قيل : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . ولم يُقَل : فى يوم لا ريب فيه ؟

قيل : لمخالفة معنى ^(٣) اللام فى هذا الموضع معنى « فى » ، وذلك أنه لو كان مكان اللام « فى » لكان معنى الكلام : فكيف إذا جمعناهم فى يوم القيامة ، ماذا يكون لهم من العذاب والعقاب ؟ وليس ذلك المعنى فى دخول اللام ، ولكن معناه مع اللام : فكيف إذا جمعناهم لما يحدث فى يوم لا ريب فيه ، ولما يكون فى ذلك

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢٣/٢ (٣٣٤٧) من طريق حجاج به . وفيه عن ابن جريج ، عن خالد بن الحارث ، عن مجاهد .

(٢) سقط من م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بمعنى » .

اليوم من فضل الله القضاء بين خلقه، ماذا لهم حينئذٍ من العقاب وأليم العذاب؟ فمع اللام في: ﴿لِيَوْمٍ لَا رَبَّ فِيهِ﴾ نية^(١) فعل، وخبرٌ مطلوبٌ، قد ترك ذكره اجتزاءً^(٢) بدلالة دخول اللام في «اليوم» عليه منه، وليس ذلك مع «في»؛ فلذلك اختيرت اللام، فأدخلت في «اليوم» دون «في».

وأما تأويل قوله: ﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾. فإنه: لاشك في مجيئه.

وقد دللنا على أنه كذلك بالأدلة الكافية، مع ذكر من قال ذلك في تأويله، فيما مضى، بما أغنى عن إعادته^(٣).

وعنى بقوله: ﴿وَوُفِّيَتْ﴾: وَوَفَّى اللَّهُ، ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾. يعنى: ما عملت من خيرٍ وشرٍّ، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. يعنى أنه لا ينحس المحسن جزاءً إحسانه، ولا يعاقب مسيئًا بغير مجرمه.

✓ القول في تأويل قوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾.

أما تأويل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾. فإنه: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: يَا اللَّهُ.

واختلف أهل العربية في نصبِ ميم ﴿اللَّهُمَّ﴾ وهو مُنادَى، وحكمُ المنادى المفرد غير المضاف الرفع، وفي دخول الميم فيه، وهو فى الأصل «اللَّهُ» بغير ميم؛ فقال بعضهم: إنما زيدت فيه الجيمان^(٤)؛ لأنه لا يُنادى بـ «يا»، كما يُنادى الأسماء التى لا أَلِفَ فيها^(٥) ولا لام^(٥)، وذلك أن الأسماء التى لا أَلِفَ ولا لامَ فيها، تُنادى بـ

(١) فى س: «فيه منه».

(٢) فى م: «أخيراً».

(٣) ينظر ما تقدم فى ٢٣١/١ - ٢٣٣.

(٤) فى س: «الميمات».

(٥ - ٥) سقط من: م.

٢٢١/٣ « يا » ، كقول القائل : يا زيد ، ويا عمرو . / قال : فجعلت الميم فيه خَلْفًا مِنْ « يا » ، كما قالوا : فَمِمْ وَدَمِّ^(١) وَهَمِّ وَزُرُقَمِّ^(٢) وَسُتْهُمْ^(٣) ، وما أشبه ذلك من الأسماء والنعوت التي يُحَدَفُ منها الحرف ، ثم يُبدل مكانه ميم . قال : فكذلك حُدِفَتْ مِنْ « اللهم » « يا » التي يُنادَى بها الأسماء التي على ما وَصَفْنَا ، وجعلت الميم خلفًا منها مما^(٤) في آخر الاسم^(٥) .

وأَنكَرَ ذلك مِنْ قولهم آخرون^(٦) ، وقالوا : قد سمعنا العرب تُنادى « اللهم » بـ « يا » كما تُناديه ولا ميم فيه . قالوا : فلو كان الذي قال هذا القول مُصَيَّبًا في دَعْوَاهُ ، لم تدخُلْه العربُ « يا » ، وقد جاءوا بالخلفِ منها . وأنشدوا في ذلك سماعًا مِنْ العربِ^(٧) :

وما عليك أن تقولى كُلِّمَا
 صَلَّيْتَ أَوْ كَبَّرْتَ^(٨) يَا^(٩) اللَّهُمَّ مَا^(٩)
 ارْزُدُّ عَلَيْنَا^(١٠) شَيْخَنَا^(١١) مُسَلِّمًا

- (١) كذا وردت هذه الكلمة في هذا الموضع ، وستأتى على الصواب بعد ذلك : « ابنم » .
 (٢) كذا في النسخ ، ومعاني القرآن للفراء ٢٠٣/١ ، ولم نجد هذه الكلمة والتي قبلها فيما زيدت فيه الميم
 آخرًا . وينظر شرح تصريف المازني لابن جنى ١/١٥١ ، والمزهر للسيوطي ٢/٢٥٧ .
 الزرقم : الشديد الزرق ، للمذكر والمؤنث . التاج (زرق) .
 (٣) الستهم : العظيم الاست . اللسان (س ت هـ) .
 (٤) سقط من : م ، ت ، ٢ ، ت ٣ .
 (٥) وهذا رأى الخليل ، نقله عنه سيبويه في الكتاب ٢/١٩٦ .
 (٦) هو قول الفراء ، ينظر معاني القرآن ١/٢٠٣ .
 (٧) معاني القرآن ١/٢٠٣ ، واللسان (أ ل هـ) ، والخزانة ٢/٢٩٦ .
 (٨ - ٨) في معاني القرآن ، واللسان : « صليت أو سبحت » ، وفي الخزانة : « سبحت أو صليت » .
 (٩ - ٩) في ص ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، واللسان : « أَللَّهُمَّا » .
 (١٠) في م : « إلبنا » .
 (١١) الشيخ هنا : الأب أو الزوج .

وَيُزَوَّى : سَبَّحَتْ أَوْ كَبَّرَتْ . قالوا : ولم نزل العرب زادتْ مثل هذه الميم إلا مُخَفَّفَةً في نَوَاقِصِ الأَسْمَاءِ ، مِثْلُ « الفم وابنم »^(١) وهم . قالوا : ونحن نرى أنها كلمة ضُمَّ إليها « أُمَّ » ، بمعنى : يا أَلَلُّهُ أُمَّنا بخير ، فَكَثُرَتْ في الكلامِ فَاخْتَلَطَتْ به . قالوا : فالضُمَّةُ^(٢) التي في الهاءِ مِنْ هَمْزَةِ « أُمَّ » لَمَّا تُرِكَتْ انْتَقَلَتْ إلى ما قَبْلَها . قالوا : ونرى أن قولَ العربِ : هَلُمَّ إِلَيْنَا مِثْلُها ، إِنَّمَا كَانَتْ^(٣) « هَلُمَّ » : « هل » ، ضُمَّ إليها « أُمَّ » فَتَرِكَتْ على نَصْبِها . قالوا : وَمِنَ العربِ مَنْ يَقُولُ إِذَا طَرَحَ المِيمَ : يا أَلَلُّهُ اغْفِرْ لِي ، وَيَا أَلَلُّهُ اغْفِرْ لِي ، بِهَمْزِ^(٤) الأَلْفِ مِنْ « اللّهُ » مرّةً ، وَوَضِلْها أُخْرَى . فَمَنْ حَذَفْها أَجْرَها على أَصْلِها ؛ لِأَنَّها أَلْفٌ وَلا مِمْ ، مِثْلُ الأَلْفِ وَاللامِ اللَّتَيْنِ تَدْخُلانِ في الأَسْمَاءِ المَعَارِفِ زَائِدَتَيْنِ ، وَمَنْ هَمَزَها تَوَهَّمُها مِنْ الحَرْفِ^(٥) ، إِذْ كَانَتْ لا تَشَقُّطُ مِنْه ، وَأَنْشَدُوا في هَمْزِ الأَلْفِ مِنْها^(٦) :

مُبَارَكٌ هُوَ وَمَنْ سَمَّاهُ

على اسْمِكَ اللَّهُمَّ يَا أَلَلُّهُ

[٣٩٦/١] قالوا : وقد كَثُرَتْ « اللهم » في الكلامِ حَتَّى حُقِّقَتْ مِيمُها في بعضِ

اللغاتِ . وَأَنْشَدُوا^(٧) :

(١ - ١) في م : « فم ودم » .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « فالهمزة » .

(٣) في م : « كان » .

(٤) في ص ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بهمزة » .

(٥ - ٥) في ص ، ت ، ١ ، س : « وصلها وحذف الهمزة وتوهم أنها من الحروف » ، ومثله في ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، إلا

أن فيهما : « وصله » بدلا من : « وصلها » .

(٦) الرجز في معاني القرآن للفراء ١ / ٢٠٤ ، واللسان (أ ل ه) .

(٧) كذا أنشده الفراء في معاني القرآن ١ / ٢٠٤ ، وهو للأعشى في ديوانه ص ٢٨٣ ، والشطر الثاني فيه

كالرواية الآتية .

كحَلْفَةٍ مِنْ أَبِي رِيحٍ يَسْمَعُهَا اللَّهُمَّ^(١) الْكُبَارُ
/ والرواة تُنشدُ ذلك^(٢) :

٢٢٢/٣

* يَسْمَعُهَا لِأَهْلِ الْكُبَارِ *

وقد أنشده بعضهم^(٣) :

* يَسْمَعُهَا اللَّهُ^(٤) وَاللَّهُ كُبَارٌ *

القول في تأويل قوله : ﴿مَلِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءٍ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءٍ﴾ .

يعنى بذلك : يا مالِكُ الْمَلِكِ ، يا مَنْ له مُلْكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ خَالِصًا دُونَ غَيْرِهِ .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إِسْحَاقَ ، عن محمدِ
ابنِ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ قَوْلَهُ : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكِ الْمَلِكِ﴾ . أى : رَبِّ الْعِبَادِ الْمَلِكِ^(٥) ، لا
يَقْضِي فِيهِمْ غَيْرُكَ^(٦) .

وأما قَوْلُهُ : ﴿تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءٍ﴾ . فإنه يعنى : تُعْطِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءٍ ،
فَتُمَلِّكُهُ وَتُسَلِّطُهُ عَلَيَّ مِنْ تَشَاءٍ^(٧) .

(١) فى م : « لاهم » .

(٢) وهى رواية الديوان كما تقدم .

(٣) هو الكسائى كما قال الفراء .

(٤ - ٤) فى النسخ : « والكبار » . والمثبت من معانى القرآن .

(٥) فى سيرة ابن هشام : « والملك » .

(٦) فى سيرة ابن هشام ١ / ٥٧٨ : « غيره » .

(٧) فى ص : « ما » .

وقوله: ﴿ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ .^(١) يعنى : وتنزعُ الملكَ ممن تشاءُ^(١) أن تنزعه منه ، فترك ذكر : أن تنزعه منه ؛ اكتفاءً بدلالة قوله : ﴿ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ عليه ، كما يُقال : أخذ ما شئت ، وكُن فيما شئت . يراؤ : أخذ ما شئت أن تأخذه ، وكُن فيما شئت أن تكونَ فيه ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٨] يعنى : فى أى صورةٍ شاء أن يُركَّبَكَ فيها رَكَّبَكَ .

وقيل : إن هذه الآية نزلت على رسولِ اللهِ ﷺ جواباً لمسألتِهِ رَبَّهُ أن يجعلَ مُلكَ فارسَ والرومِ لأمتِهِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ودُكرَ لنا أن نبيَّ اللهِ ﷺ سألَ رَبَّهُ جل ثناؤه أن يجعلَ له مُلكَ فارسَ والرومِ فى أمتِهِ ، فأَنزَلَ اللهُ عزَّ وجل : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ إلى ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٢) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادة ، قال : دُكرَ لنا - والله أعلم - أن نبيَّ اللهِ ﷺ سألَ رَبَّهُ عزَّ وجل أن يجعلَ مُلكَ فارسَ والرومِ فى أمتِهِ . ثم ذَكَرَ مثله^(٣) .

وروى عن مجاهدٍ أنه كان يقول : معنى المُلْكِ فى هذا الموضعِ الثبوةُ .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، س .

(٢) أخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ٧٠ ، ٧١ من طريق سعيد به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢٤/٢ (٣٣٥٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

ذِكْرُ الرِّوَايَةِ عَنْهُ بِذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ تُوْفِّي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءٍ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءٍ ﴾ . قَالَ : الثَّبُوءُ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حَذِيفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَتُعْزُّ مِنْ تَشَاءٍ وَتُذِلُّ مِنْ تَشَاءٍ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٢) .

يَعْنَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَتُعْزُّ مِنْ تَشَاءٍ ﴾ بِإِعْطَائِهِ الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ ، وَبَسْطِ الْقُدْرَةِ لَهُ ، ﴿ وَتُذِلُّ مِنْ تَشَاءٍ ﴾ بِسَلْبِكَ مُلْكَهُ ، وَتَسْلِيْطِ عَدُوِّهِ عَلَيْهِ ، ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ أَيْ : كُلُّ ذَلِكَ بِيَدِكَ وَإِلَيْكَ ، لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ ؛ لِأَنَّكَ / عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، دُونَ سَائِرِ خَلْقِكَ ، وَدُونَ مَنْ اتَّخَذَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْأُمِّيِّينَ مِنَ الْعَرَبِ إِلَهًا وَرَبًّا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِكَ ، كَالْمَسِيحِ وَالْأَنْدَادِ الَّتِي اتَّخَذَهَا الْأُمِّيُّونَ رَبًّا .

كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزَّبِيرِ قَوْلَهُ : ﴿ تُوْفِّي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءٍ ﴾ الْآيَةُ . أَيْ : إِنْ ذَلِكَ بِيَدِكَ لَا إِلَى غَيْرِكَ ، ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أَيْ : لَا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا غَيْرُكَ بِسُلْطَانِكَ وَقُدْرَتِكَ ^(١) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ .

يَعْنَى بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ تُوَلِّجُ ﴾ : تُدْخِلُ . يُقَالُ مِنْهُ : قَدْ وَلَجَ فُلَانٌ مَنْزِلَهُ ، إِذَا

(١) تفسير مجاهد ص ٢٨٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٧٨ .

دخله ، فهو يَلِجُه وِلْجًا وُؤُلُوجًا وِلِجَةً . وَأُولَئِئِهِ أَنَا إِذَا أُدْخِلْتَهُ .

ويعنى بقوله : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ﴾ : تُدْخِلُ مَا نَقَصْتَ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ فِي سَاعَاتِ النَّهَارِ ، فَتَزِيدُ مِنْ نَقْصَانِ هَذَا فِي زِيَادَةِ هَذَا ، ﴿ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ : وَتُدْخِلُ مَا نَقَصْتَ ^(١) مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ ، فَتَزِيدُ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ مَا نَقَصْتَ مِنْ ^(٢) سَاعَاتِ النَّهَارِ .

كما حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشَّدِيِّ : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ : حَتَّى يَكُونَ اللَّيْلُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَاعَةً ، وَالنَّهَارُ تِسْعَ سَاعَاتٍ ، وَتُدْخِلُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ، حَتَّى يَكُونَ النَّهَارُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَاعَةً ، وَاللَّيْلُ تِسْعَ سَاعَاتٍ ^(٣) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا حفص بن عمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ما نَقَصَ مِنَ النَّهَارِ يَجْعَلُهُ فِي اللَّيْلِ ، وَمَا نَقَصَ مِنَ اللَّيْلِ يَجْعَلُهُ فِي النَّهَارِ ^(٤) .

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ . قال : ما يَنْقُصُ مِنْ أَحَدِهِمَا ^(٥) فِي الْآخِرِ ، مَتَعَاقِبَانِ ^(٦) أَوْ يَتَعَاقِبَانِ - شَكَّ أَبُو عَاصِمٍ - ذَلِكَ مِنْ

(١) في ت ١ : « ناقصته » .

(٢) في ت ١ : « في » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٥/٢ (٣٣٥٩) من طريق عمرو به .

(٤) في النسخ : « عن » . وتقدم في ٤١٥/١ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن أبي حاتم ، وهو عند ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٥/٢ (٣٣٥٨) من طريق حفص بن عمر ، عن الحكم ، عن عكرمة قوله .

(٦) بعده في م : « يدخل » .

(تفسير الطبري ٢٠/٥)

(٧) في ص ، ت ١ : « متعاقبان » ، وفي ت ٢ : « متعقبات » .

الساعات^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ : ما يَنْقُصُ مِنْ أَحَدِهِمَا فِي الْآخِرِ ، يَتَعَقَبَانِ ذَلِكَ مِنَ السَّاعَاتِ .

حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن قوله : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ : نُقْصَانُ اللَّيْلِ فِي زِيَادَةِ النَّهَارِ ، وَنُقْصَانُ النَّهَارِ فِي زِيَادَةِ اللَّيْلِ .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ . قال : هو نُقْصَانُ أَحَدِهِمَا فِي الْآخِرِ^(٢) .

حدَّثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة في قوله : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ . قال : يأخذ الليل من النهار ، ويأخذ النهار من الليل . يقول : نقصان الليل في زيادة النهار ، ونقصان النهار في زيادة الليل .

٢٢٤/٣ / حدَّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ . يعنى أنه يأخذ أحدهما من الآخر ، فيكون الليل أحياناً أطول من النهار ، والنهار أحياناً

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٠ بنحوه .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١١٧ .

أطول من الليل^(١) .

حدّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ . قال : هذا طويلٌ وهذا قصيرٌ ، أخذ من هذا فأولجَه في هذا ، حتى صار هذا طويلًا وهذا قصيرًا .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ .
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : تأويل ذلك أنه يُخْرِجُ الشيءَ الْحَيَّ مِنَ التُّطْفَةِ الْمَيِّتَةِ ، وَيُخْرِجُ التُّطْفَةَ الْمَيِّتَةَ مِنَ الشيءِ الْحَيِّ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله في قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قال : هي التُّطْفَةُ تُخْرِجُ مِنَ الرَّجْلِ وَهِيَ مَيِّتَةٌ وَهُوَ حَيٌّ ، وَيُخْرِجُ الرَّجْلُ مِنْهَا حَيًّا وَهِيَ مَيِّتَةٌ^(٢) .

حدّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قال : الناسُ الأحياءُ مِنَ التُّطْفِ وَالتُّطْفُ مَيِّتَةٌ ، وَيُخْرِجُهَا مِنَ النَّاسِ الأحياءِ وَالأنعامِ^(٣) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٦/٢ ، ٦٢٧ ، (٣٣٦٤ ، ٣٣٦٨) من طريق الأعمش به بنحوه ، وهو في تفسير سفيان ص ٧٦ عن الأعمش عن إبراهيم قوله .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٧/٢ (٣٣٦٩) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وزاد في آخره : والنبات كذلك أيضا . وأشار ابن أبي حاتم إلى أنه ليس عند ورقاء وشبل ذكر النبات . وينظر تفسير مجاهد ص

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة بن بيط ، عن الضحاك في قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ، فذكر نحوه ^(١) .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . فالنطفة ميتة تكون ، ^(٢) تُخْرِجُ مِنَ إِنْسَانٍ حَيٍّ ، وَيُخْرِجُ إِنْسَانًا حَيًّا مِنْ نَاطِقَةٍ مَيِّتَةٍ ^(٣) .

حدَّثني محمد بن ^(٤) عمر بن علي بن عطاء المقدمي ، قال : ثنا أشعث السجستاني ، قال : ثنا شعبة ، عن إسماعيل بن أبي خالد في قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قال : تُخْرِجُ النُّطْفَةَ مِنَ الرَّجْلِ ، وَالرَّجْلَ مِنَ النُّطْفَةِ .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قال : تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ هَذِهِ النُّطْفَةِ الْمَيِّتَةِ ، وَتُخْرِجُ هَذِهِ النُّطْفَةَ الْمَيِّتَةَ مِنَ الْحَيِّ ^(٥) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ / الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ الآية .

٢٢٥/٣

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٦/٢ ، ٦٢٧ معلقاً عقب الأثر (٣٣٦٤ ، ٣٣٦٨) .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يخرج منها » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٧/٢ عقب الأثر (٣٣٦٨) من طريق عمرو به .

(٤ - ٤) في ص ، ت ١ ، س : « عمرو بن علي عن » ، وفي م ، ت ٢ ، ت ٣ : « عمرو ، وابن علي عن » .

وتقدم على الصواب .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١١٧/١ .

قال : الناسُ الأحياءُ مِنَ التُّطْفِ ، والتُّطْفُ مَيْتَةٌ مِنَ النَّاسِ الأحياءِ ، وَمِنَ الأنعامِ والنَّبْتِ كذلك . قال ابنُ جُريجٍ : وسَمِعْتُ يزيدَ بنَ عُوَيْرٍ يُخْبِرُ عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، قال : إِخْرَاجُهُ النُّطْفَةَ مِنَ الإنسانِ ، وإِخْرَاجُهُ الإنسانَ مِنَ النُّطْفَةِ^(١) .

حَدَّثَنِي يونسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِهِ : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ قال : النُّطْفَةُ مَيْتَةٌ فَتُخْرِجُ مِنْهَا أحياءً ، ﴿ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ : تُخْرِجُ النُّطْفَةَ مِنَ هؤُلاءِ الأحياءِ ، والحبُّ مَيْتٌ تُخْرِجُ مِنْهُ حَيًّا ، ﴿ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ : تُخْرِجُ مِنَ هَذَا الحبِّ^(٢) الْحَيَّ حَبًّا مَيْتًا .

وقال آخرون : معنى ذلك أَنَّهُ يُخْرِجُ النُّخْلَةَ مِنَ النُّوَةِ ، والنُّوَةُ مِنَ النُّخْلَةِ ، والسُّنْبُلُ مِنَ الحبِّ ، والحبُّ مِنَ السُّنْبُلِ ، والبَيْضُ مِنَ الدجاجِ ، والدجاجُ مِنَ البَيْضِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا أَبُو ثَمِيلَةَ ، قال : ثنا عُبيدُ^(٣) اللِّهِ ، عن عِكْرَمَةَ قولَهُ : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ . قال : هِيَ البَيْضَةُ تُخْرِجُ مِنَ الْحَيِّ وَهِيَ مَيْتَةٌ ، ثُمَّ يَخْرِجُ مِنْهَا الْحَيَّ^(٤) .

حَدَّثَنِي المُنْثَنِيُّ ، قال : ثنا إِسْحَاقُ ، قال : ثنا حَفْصُ بنُ عَمْرٍ ، عن الحَكَمِ بنِ

(١) ينظر ما تقدم تخريجه عن مجاهد في ص ٣٠٧ . وقول سعيد ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٦/٢ ، ٦٢٧ ، عقب الأثر (٣٣٦٤ ، ٣٣٦٨) معلقًا .

(٢) سقط من : م .

(٣) في النسخ : « عبد » . والمثبت من مصدر التخريج . وينظر تهذيب الكمال ٨٠ / ١٩ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٧/٢ ، ٦٢٨ (٣٣٦٦ ، ٣٣٧١) من طريق أبي ثميلة به .

أبان ، عن عكرمة فى قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ .
 قال : النخلة من النواة ، والنواة من النخلة ، والحبة من السنبله ، والسنبله من الحبة^(١) .
 وقال آخرون : معنى ذلك أنه يُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ ، وَالْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، عن الحسن فى قوله :
 ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ [١/٣٩٧ظ] مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ، يعنى : المؤمن من
 الكافر ، والكافر من المؤمن ، والمؤمن عبدٌ حىّ الفؤادِ ، والكافر عبدٌ ميّت الفؤادِ^(٢) .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، قال :
 قال الحسن فى قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قال :
 يُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ ، وَيُخْرِجُ الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ^(٣) .

حدَّثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ^(٤) بن سعيد ، عن عمرو^(٥) ، عن
 الحسن قرأ : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قال : تُخْرِجُ
 الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ ، وَتُخْرِجُ الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ .

حدَّثنى حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا سليمان التيمي ،
 عن أبى عثمان ، عن سلمان ، أو عن ابن مسعود - وأكبر^(٥) ظننى أنه عن سلمان -

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥/٢ إلى المصنف .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥/٢ إلى المصنف وأبى الشيخ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١١٧ .

(٤ - ٤) فى النسخ : «عن سعيد بن عمرو» .

(٥) فى س : «أكثر» .

قال : إن الله عز وجل خَمَّرَ طِينَةَ آدَمَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً - أو قال : أَرْبَعِينَ يَوْمًا - ثم قال ^(١) بيده فيه ^(١) ، فخرج كلُّ طَيْبٍ فِي يَمِينِهِ ، وخرج كلُّ خَبِيثٍ فِي يَدِهِ الْأُخْرَى ، / ثم خلط ٢٢٦/٣ بينهما . ^(٢) وقال : ^(٢) فَمِنْ ثَمَّ يُخْرِجُ ^(٣) الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ^(٤) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن الزهري ، أن النبي ﷺ دَخَلَ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ ، فإذا بامرأة حَسَنَةَ النعمَةِ ^(٥) ، فقال : « مَنْ هَذِهِ ؟ » قالت : إحدى خَالَاتِكَ . قال : « إن خَالَاتِي بِهَذِهِ الْبَلَدَةِ لَعَرَائِبُ ، وَأَيُّ خَالَاتِي هَذِهِ ؟ » قالت : خَالِدَةُ ^(٦) ابْنَةُ الْأَسودِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ . قال : « سُبْحَانَ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ! » وكانت امرأةً صَالِحَةً ، وكان أبوها كَافِرًا ^(٧) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفِي ، قال : ثنا عبادُ بْنُ مَنْصُورٍ ، عن الحسنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قال : هل عَلِمْتُمْ أَنَّ الْكَافِرَ يَلِدُ مُؤْمِنًا ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَلِدُ كَافِرًا ؟ فقال : هو كذلك .

(١ - ١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بَعْدَهُ فِيهِ » ، وَفِي س : « بَعْدَهُ » .

(٢ - ٢) فِي م ، وَتَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ : « ثُمَّ خَلَقَ مِنْهَا آدَمَ » ، وَلَيْسَتْ فِي بَقِيَّةِ مَصَادِرِ التَّخْرِيجِ .

(٣) بَعْدَهُ فِي ت ٢ ، ت ٣ : « قَالَ » .

(٤) بَعْدَهُ فِي م ، وَتَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ : « يُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ ، وَيُخْرِجُ الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ » .

وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ الْأَجْرِيُّ فِي الشَّرِيعَةِ ٨٥٤/٢ (٤٣١ ، ٤٣٢) ، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي الْعِظْمَةِ ص ٣٦٩ (١٠١٨) ،

وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ص (٧١٧) مِنْ طَرِيقِ سَلِيمَانَ التَّمِيمِيِّ عَنِ أَبِي عَثْمَانَ عَنِ سَلْمَانَ وَحْدَهُ .

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ أَيْضًا فِي تَفْسِيرِهِ ٦٢٧/٢ (٣٣٦٧) مِنْ طَرِيقِ سَلِيمَانَ بِهِ كَلْفُظَ الْمَطْبُوعَةِ .

(٥) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « النَّعْمَةُ » ، وَفِي مَصَادِرِ التَّخْرِيجِ : « الْهَيْمَةُ » .

(٦) فِي النِّسْخِ : « خَالِدَةُ » بِدُونِ أَلْفٍ .

(٧) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَاقِ ١١٧/١ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٢٦/٢ (٣٣٦٢) عَنِ الْحَسَنِ بْنِ يَحْيَى بِهِ .

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ ٨/٢٤٨ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٢٦/٢ (٣٣٦٠) مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ بِهِ نَحْوَهُ وَعِنْدَ ابْنِ

أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الزَّهْرِيِّ عَنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . وَيَنْظُرُ الْإِصَابَةُ ٥/٥٩٧ .

وأولى التأويلات التي ذكرناها في هذه الآية بالصواب تأويل من قال : يُخْرِجُ الإنسانَ الحَيَّ^(١) والأنعامَ والبهائمَ الأحياءَ مِنَ التُّطْفِ المَيْتَةِ ، وذلك إخراجَ الحَيِّ مِنَ المَيْتِ ، ويُخْرِجُ التُّطْفَةَ المَيْتَةَ مِنَ الإنسانِ الحَيِّ والأنعامِ والبهائمِ الأحياءِ ، وذلك إخراجَ المَيْتِ مِنَ الحَيِّ . وذلك أن كُلَّ حَيٍّ فارقه شيءٌ مِنْ جَسَدِهِ ، فذلك الذى فارقه منه مَيْتٌ ، فالتُّطْفَةُ مَيْتَةٌ لمُفَارِقَتِهَا جَسَدَ مَنْ خَرَجَتْ مِنْهُ ، ثُمَّ يُنْشِئُ اللهُ مِنْهَا إِنْسَانًا حَيًّا وبهائمَ وأنعامًا أحياءَ ، وكذلك حُكْمُ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ زَائِلُهُ مِنْهُ ، فالذى زَائِلُهُ مِنْهُ مَيْتٌ . وذلك هو نَظِيرُ قَوْلِهِ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨] .

وأما تأويل من تأوله بمعنى الحَيَّةِ مِنَ السُّنْبِلَةِ ، والسُّنْبِلَةُ مِنَ الحَبِّ ، والبيضة من الدَّجاجةِ ، والدَّجاجةُ مِنَ البيضةِ ، والمؤمن من الكافرِ ، والكافر من المؤمنِ ، فإن ذلك وإن كان له وجهٌ مفهومٌ ، فليس ذلك الأغلبُ الظاهرُ فى استعمالِ الناسِ فى الكلامِ . وتوجيهُ معانى كتابِ الله عز وجل إلى الظاهرِ المُشْتَعَمَلِ فى الناسِ ، أولى من توجيهها إلى الخفى القليلِ فى الاستعمالِ .

واختلفتِ القراءةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرأته جماعةٌ منهم : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ، بالتشديدِ وتثْقيلِ الياءِ مِنَ « المَيْتِ »^(٢) ، بمعنى أنه يُخْرِجُ الشَّيْءَ الحَيَّ مِنَ الشَّيْءِ الذى قد مات ومما لم يَمُتْ .

وقرأت جماعةٌ أخرى منهم : (تُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيْتِ وَتُخْرِجُ المَيْتَ مِنَ الحَيِّ) بتخفيفِ الياءِ مِنَ « المَيْتِ » ، بمعنى أنه يُخْرِجُ الشَّيْءَ الحَيَّ مِنَ الشَّيْءِ الذى قد مات ،

(١) سقط من : ت ١ .

(٢) وهى قراءة نافع وعاصم - فى رواية حفص - وحمزة والكسائى ، وقرأ ابن كثير وعاصم - فى رواية أبى بكر - وأبو عمرو وابن عامر ، بالتخفيف ، وسيدكره المصنف . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٤ .

دُونَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَمُتْ ، وَيُخْرِجُ الشَّيْءَ الْمَيِّتَ دُونَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَمُتْ مِنَ الشَّيْءِ الْحَيِّ .

وذلك أن الميِّتَ مُثَقَّلَ الياءِ عندَ العربِ ، ما لم يَمُتْ وسيموُثُ ، وما قد مات . وأما الميِّتُ مُخَفَّفًا^(١) ، فهو الذي قد مات ، فإذا أرادوا النعتَ قالوا : إنك مائتٌ غداً ، وإنهم مائتون . وكذلك كلُّ ما لم يَكُنْ بعدُ ، فإنه يُخْرِجُ على هذا المثالِ الاسمَ منه . يقالُ : هو الجائِدُ بنفسه ، والطائِبَةُ نفسُه بذلك . وإذا أُريدَ معنى الاسمِ قيل : هو الجوادُ بنفسه ، والطيبَةُ نفسُه .

فإذ كان ذلك كذلك ، فأوَّلَى القراءتين في هذه الآية بالصواب^(٢) قراءةً من شَدَّدَ الياءَ من « الميِّتِ ؛ لأنَّ اللهَ جلَّ ثناؤه يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ / النطفَةِ التي قد فارقت ٢٢٧/٣ الرجلَ ، فصارت مَيِّتَةً ، وسيُخرِجُه منها بعدَ أن تُفارقَه وهي في ضَلْبِ الرجلِ ، ويُخْرِجُ الميِّتَ من الْحَيِّ ؛ النطفَةُ التي تصيرُ بخروجِها من الرجلِ الْحَيِّ مَيِّتًا ، وهي قبلَ خروجِها منه حَيَّةٌ ، فالتشديدُ أبلغُ في المدحِ وأكملُ في الثناءِ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَتَرْزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه أنه يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ ، فيَجُودُ عليه بغيرِ محاسبةٍ منه لِمَنْ أعطاه ؛ لأنه لا يخافُ دخولَ انتقاصٍ في خزائنه ، ولا الفناءَ على ما بيده .

كما حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قوله : ﴿ وَتَرْزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . قال : يُخْرِجُ الرزقَ مِنْ عِنْدِهِ بغيرِ حسابٍ ، لا يخافُ أن يَنْقُصَ ما عنده تبارك وتعالى^(٣) .

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « مخفف » ، وفي س : « فيخفف » .

(٢) كلتا القراءتين صواب .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٨/٢ (٣٣٧٣) من طريق ابن أبي جعفر به نحوه .

[٣٩٨/١] فتأويل الآية إذن : اللهم يا مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتُعزِّز من تشاء ، وتُذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير ، دون من ادعى الملحدون أنه لهم إله ورب ، وعبدوه دونك ، أو^(١) اتَّخذوه شريكاً معك ، أو أنه لك ولد . وبيدك القدرة التي تفعل هذه الأشياء ، وتقديرها على كل شيء ، تُولج الليل في النهار ، وتُولج النهار في الليل ، فتتقَّص من هذا وتزيد في هذا ، وتتقَّص من هذا^(٢) وتزيد^(٣) في هذا ، وتُخرج من ميث حيا ، ومن حيا ميثا ، وتزوق من تشاء بغير حساب من خلقك ، لا يقدر على ذلك أحد سواك ، ولا يستطيعه غيرك .

كما حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . أى : بتلك القدرة ، يعنى بالقدرة التي تؤتي الملك بها من تشاء وتنزعه^(٤) ممن تشاء ، وتزوق من تشاء بغير حساب ، لا يقدر على ذلك غيرك ، ولا يصنعه إلا أنت . أى : فإن كنت سلطت عيسى على الأشياء التي بها يزعمون أنه إله ؛ من إحياء الموتى ، وإبراء الأَسقام ، والخلق للطير من الطين ، والخبر عن الغيوب ؛^(٥) لأجعله آية للناس ، وتصديقاله في نبوته التي بعثته بها إلى قومه ، فإن من سلطاني وقدرتي ما لم أعطه ؛ تملك^(٦) الملوك ،^(٧) وأمر النبوة ووضعها^(٨) حيث

(١) فى م ، ت ، ٢ ، ت ٣ : « و » .

(٢ - ٣) فى ص : « فتزيد » .

(٣) فى ص ، ت ، ١ ، س : « تنزعها » .

(٤ - ٥) فى ص ، م ، ت ، ٢ ، س : « لتجعله » ، وفى س ، ت ، ١ : « ليجعله » ، وغير منقوطة فى ص ، والمثبت من سيرة ابن هشام ، وبعده فيها أيضاً : « به » .

(٥) فى م : « كتمليك » ، والمثبت موافق لما فى سيرة ابن هشام .

(٦ - ٧) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يأمر النبوة ووصفها » .

شئت ، وإيلاج الليل في النهار والنهار في الليل ، وإخراج الحي من الميت والميت من الحي ، ورزق من شئت من بر أو فاجر بغير حساب ، فكل ذلك لم أسلط عيسى عليه ، ولم أملكه إياه ، فلم ^(١) يكن لهم في ذلك عبرة وبينة أن ^(٢) لو كان إلها لكان ذلك كله إليه ، وهو في علمهم يهزب من الملوك ، وينقل منهم في البلاد من ^(٣) بلدي إلى بلدي ^(٤) !

القول في تأويل قوله : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكٰفِرِينَ اَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ اِلَّا اَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ ثَقَلَتْ ﴾ .

/ وهذا نهى من الله عز وجل المؤمنين أن يتخذوا الكفار أعواناً وأنصاراً ٢٢٨/٣ وظهوراً ، ولذلك كسر ﴿ يَتَّخِذِ ﴾ ؛ لأنه في موضع جزم بالنهي ، ولكنه كسر الذال منه للساكن الذي لقيه وهي ساكنة .

ومعنى ذلك : لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً ، ثوالونهم على دينهم ، وتظاهروا بهم على المسلمين من دون المؤمنين ، وتدلونهم على عوراتهم ، فإنه من يفعل ذلك ﴿ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ ، يعنى بذلك : فقد برئ من الله ، وبرئ الله منه ، بارتداده عن دينه ، ودخوله في الكفر ، ﴿ اِلَّا اَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ ثَقَلَتْ ﴾ : إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم ، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم ، وتضمروا لهم العداوة ، ولا تشايعوهم ^(٥) على ما هم عليه من الكفر ، ولا

(١) في سيرة ابن هشام : « أقلم » وفي نسخة منها كالثبت .

(٢) في م : « إذ » .

(٣) في ص ، ت ١ : « ومن » ، وفي س : « أو من » .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٨/١ .

(٥) في ت ٢ ، ت ٣ : « تتابعوهم » ، وفي س : « تسابقوهم » .

تُعِينُوهُمْ عَلَى مُسْلِمٍ بِفِعْلٍ .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ صالح ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالح ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . قال : نهى اللهُ سبحانه المؤمنين أن يُلاطفوا الكفارَ ، أو يتَّخِذوهم وليجةً من دون المؤمنين ، إلا أن يكونَ الكفارُ عليهم ظاهرين ، فيُظهروا لهم اللطفَ ، ويُخالفوهم في الدين ، وذلك قوله : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكْفُؤْا مِنْهُمْ تَقْنَةً ﴾ ^(١) .

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةٌ ، قال : ثنى محمدُ بنُ إسحاق ، قال : ثنى محمدُ بنُ أبي محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان الحجاجُ بنُ عمرو ، حليفُ كعبِ بنِ الأشرفِ ، وابنُ أبي الحقيقِ ، وقيسُ بنُ زيدٍ ، قد بطنوا ^(٢) بنفري من الأنصارِ ليقتنواهم عن دينهم ، فقال رفاعَةُ بنُ المنذرِ بنِ زئبِرٍ ^(٣) ، وعبدُ اللهِ بنُ جبيرٍ ، وسعدُ بنُ حَيْثَمَةَ ، لأولئك النفرِ : اجْتَنِبُوا هؤُلاءِ اليهودَ ، واحذروا لزومهم ومباطلتهم ، لا يفتنوكم عن دينكم . فأتى أولئك النفرُ إلا مُباطلتهم ولزومهم ، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٦٢٨/٢ (٣٣٧٥) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٢) بطن فلان بفلان : إذا كان خاصا به داخلا في أمره . اللسان (ب ط ن) .

(٣) سقط من : س ، وغير منقوطة في ص ، ت ، ١ ، وفي م : « زبير » ، وفي ت ، ٢ ، ت ٣ : « زهير » . وينظر المؤلف والمختلف ١١٤٠ / ٣ ، وتبصير المنتبه لابن حجر ص ٦٤٠ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٩/٢ (٣٣٧٧) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن علي محمد بن أبي محمد قوله . وذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٧٢ ، ٧٣ عن ابن عباس ولم يسنده .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، قَالَ : ثنا عِبَادُ بْنُ مَنْصُورٍ ،
عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .
يَقُولُ : لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُ كَافِرًا وَلِيًّا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنِ الشَّدِيِّ : ﴿لَا يَتَّخِذِ
الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ﴾ . إِلَى : ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُوا مِنْهُمْ نِقْدَةً﴾ : أَمَّا ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ ،
فِيوَالِيَهُمْ فِي دِينِهِمْ ، وَيُظْهِرُهُمْ عَلَى عَوْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَمَنْ فَعَلَ هَذَا فَهُوَ مُشْرِكٌ ، فَقَدْ بَرِئَ
اللَّهُ مِنْهُ ، إِلَّا أَنْ يَتَّقِيَ مِنْهُمْ نِقْدَةً ، فَهُوَ يُظْهِرُ الْوَلَايَةَ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَالْبِرَاءَةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ ، قَالَ : ثنا سَفِيَانُ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ،
عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُوا مِنْهُمْ نِقْدَةً﴾ . قَالَ : الثَّقَاةُ التَّكَلَّمَ
بِاللِّسَانِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا حَفْصُ بْنُ عَمْرٍ ، قَالَ : ثنا الْحَكَمُ بْنُ
أَبَانَ ، عَنِ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُوا مِنْهُمْ نِقْدَةً﴾ . قَالَ : مَا لَمْ يُهْرِقْ دَمَ
مُسْلِمٍ ، وَمَا لَمْ يَسْتَحِجَّ مَالَهُ ^(٣) .

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنِ عَيْسَى ، [٣٩٨/١ ظ] عَنِ ابْنِ ٢٢٩/٣
أَبِي نَجِيحٍ ، عَنِ مَجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ : إِلَّا مُصَانَعَةً فِي الدُّنْيَا وَمُخَالَفَةً ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٩/٢ (٣٣٧٦ ، ٣٣٧٨ ، ٣٣٧٩) من طريق عمرو به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٩/٢ (٣٣٨٢) من طريق سفيان ، عن ابن عباس بنحوه .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٩/٢ (٣٣٨٠) من طريق حفص به .

(٤) غير منقوطة في ص ، وفي ت ١ : «مخالفة» . ومخالفة مخالفة : إذا عاشره على أخلاقه . التاج (خ ل ق) .

والأثر في تفسير مجاهد ص ٢٥١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٠/٢ (٣٣٨٥) ، من طريق ابن

أبي نجيح به . وليس في تفسير مجاهد : ومخالفة .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا سَيْبٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْحٍ ، عَنْ
مَجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ
فِي قَوْلِهِ : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إِلَى : ﴿ إِلَّا أَنْ
تَكْفُرُوا مِنْهُمْ تَقْفَةً ﴾ . قَالَ : قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : التَّقِيَّةُ بِاللِّسَانِ ، وَلَيْسَ بِالْعَمَلِ ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ
الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ تَقْفَةً ﴾ . قَالَ : التَّقِيَّةُ بِاللِّسَانِ ، مَنْ
حُجِلَ عَلَى أَمْرٍ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَهُوَ لِلَّهِ مَعْصِيَةٌ ، فَتَكَلَّمَ مَخَافَةً عَلَى نَفْسِهِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ
بِالْإِيمَانِ ، فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ، إِنَّمَا التَّقِيَّةُ بِاللِّسَانِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عُمَى ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ تَقْفَةً ﴾ : فَالتَّقِيَّةُ بِاللِّسَانِ ، مَنْ
حُجِلَ عَلَى أَمْرٍ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَهُوَ مَعْصِيَةٌ لِلَّهِ ، فَيَتَكَلَّمُ بِهِ مَخَافَةَ النَّاسِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ
بِالْإِيمَانِ ، فَإِنْ ذَلِكَ لَا يَضُرُّهُ ، إِنَّمَا التَّقِيَّةُ بِاللِّسَانِ ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ^(٤) ﴿ إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ تَقْفَةً ﴾ : إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ
قَرَابَةٌ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدٌ ، قَالَ : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ لَا يَتَّخِذِ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٠/٢ (٣٣٨٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٠/٢ عقب الأثر (٣٣٨٤) معلقاً .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٩/٢ (٣٣٨١) عن محمد بن سعد به .

(٤) بعده في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « ذلك » .

الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِلَى : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾^(١) : نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُوَادُّوا الْكَافِرَ ، أَوْ يَتَوَلَّوْهُم دُونَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَالَ اللَّهُ : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾^(١) ، الرَّحْمُ مِنَ الْمَشْرِكِينَ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَوَلَّوْهُم فِي دِينِهِمْ ، إِلَّا أَنْ يَصِلَ رَحْمًا لَهُ فِي الْمَشْرِكِينَ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ . قَالَ : لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَتَّخِذَ كَافِرًا وَلِيًّا فِي دِينِهِ ، وَقَوْلُهُ : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾ . قَالَ : أَنْ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ ، فَتَصِلَهُ لِذَلِكَ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِينَانَ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، قَالَ ثنا عِبَادُ بْنُ مَنْصُورٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾ . قَالَ : صَاحِبِهِمْ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ، الرَّحْمُ^(٣) وَغَيْرِهِ ، فَأَمَّا فِي الدِّينِ فَلَا .

وهذا الذي قاله قتادة تأويل له وجه ، وليس بالوجه الذي يُدُلُّ عليه ظاهر الآية : **إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا** 'من الكافرين' ثقة . فالأغلب من معاني هذا الكلام : **إِلَّا أَنْ تَخَافُوا** منهم مخافة . فالتَّقِيَةُ التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تَقِيَةٌ مِنَ الْكُفَّارِ لَا مِنْ غَيْرِهِمْ . وَوَجَّهَهُ قَتَادَةُ إِلَى أَنْ تَأْوِيلُهُ : **إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ** مِنْ أَجْلِ الْقَرَابَةِ الَّتِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ ثِقَةً ، فَتَصِلُونَ رَحْمَتَهَا . وليس ذلك الغالب على معنى الكلام ، والتأويل في القرآن على الأغلب الظاهر من معروف كلام العرب ، المستعمل فيهم .

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ٣ : « تقيّة » . قراءة ، وسيدكرها المصنف بعد قليل .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٨ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٣٠ (٣٣٨٦) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « والرحم » .

(٤ - ٤) في س : « منهم » .

وقد اختلفت القراءَةُ في قراءة قولهِ : ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤْا مِنْهُمُ تُقْنَةً﴾ ؛ فقرأ ذلك عامَّةُ قَرَاءَةِ الْأَمْصَارِ ﴿إِلَّا / أَنْ تَكْفُؤْا مِنْهُمُ تُقْنَةً﴾ على تقديرِ فَعْلَةٍ مثل : تُحْمِيهِ ، وتُوَدِّدُهُ ، وتُكَأُّهُ ، مِنْ « اتَّقَيْتُ » .

وقرأ ذلك آخرون : (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقِيَّةً) . على مثالِ فَعِيلَةٍ ^(١) .

والقراءةُ التي هي القراءةُ عندنا قراءةٌ من قراءها : ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤْا مِنْهُمُ تُقْنَةً﴾ ؛ لثبوتِ حُجَّةٍ ذلك بأنه القراءةُ الصحيحةُ ، بالنقلِ المُستفيضِ الذي يَمْتَنِعُ معه ^(٢) الخطأُ .

القولُ في تأويلِ قولهِ عزَّ وجلَّ : ﴿وَيَعَذِّبُكُمْ اللَّهُ نَفْسَكُمْ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ٢٨ .

يعنى تعالى ذِكْرَهُ بذلك : وَيُخَوِّفُكُمْ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ تَرْكَبُوا مَعَاصِيَهُ ، أَوْ تُؤَالُوا أَعْدَاءَهُ ، ^(٣) فإلى اللَّهِ ^(٣) مَرْجِعُكُمْ وَمَصِيرُكُمْ بعدَ مَمَاتِكُمْ ، ويومُ حَشْرِكُمْ لموقفِ الحِسابِ . يعنى بذلك : متى صِرْتُمْ إليه وقد خالفتُمْ ما أَمَرَكم به ، وَأَتَيْتُمْ ما نهاكم عنه من اتخاذِ الكافرينِ أولياءٍ من دونِ المؤمنينِ نالكم من عقابِ رَبِّكم ما لا قِبَلَ لَكُمْ به . يقولُ : فاتَّقوه واحذروهُ أن ينالكم ذلك منه ، فإنه شديدُ العقابِ .

القولُ في تأويلِ قولهِ عزَّ وجلَّ : ﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُشْدُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٩ .

(١) وهى رواية المفضل عن عاصم ، وبها قرأ يعقوب - وهو من العشرة - ووافقه الحسن ، وقرأ الباقون بالوجه الأول . ينظر البحر المحيط ٢/ ٤٢٤ ، وإتحاف فضلاء البشر ص ١٠٤ .

(٢) فى النسخ : « منه » . وهو تصحيف . والصواب ما أثبت .

(٣ - ٣) فى ص ، ت ١ ، س : « فإن الله » ، وفى م : « فإن الله » .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : قل يا محمد للذين أمرتهم ألا يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين : ﴿ إِن تُخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ ﴾ من موالاة الكفار فتسروه^(١) ، أو تبدوا ذلكم من نفوسكم بألسنتكم وأفعالكم فتظهروه ، ﴿ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴾ ، فلا يخفى عليه . يقول : فلا تضمّروا لهم مودة ولا تظهروا لهم موالاة ، فيتألكم من عقوبة ربكم ما لا طاقة لكم به ؛ لأنه يعلم سرّكم وعلا نيتكم ، فلا يخفى عليه شيء منه ، وهو مُحصيه عليكم ، حتى يُجازيكم عليه بالإحسان إحساناً ، وبالسيئة مثلها .

كما حدّثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدّي ، قال : أخبرهم أنه يعلم ما أسرّوا من ذلك وما أعلنوا ، فقال^(٢) : ﴿ إِن تُخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ ﴾^(٣) .

وأما قوله : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾^(٤) فإنه^(٥) يعنى أنه إذا كان لا يخفى عليه شيء هو في سماء أو أرض أو حيث كان ، فكيف يخفى عليه - أيها القوم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون [٣٩٩/١] المؤمنين - ما في صدوركم من الميل إليهم بالمودة والمحبة ، أو ما تبدونه لهم بالمعونة فعلاً وقولاً ؟

وأما قوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فإنه يعنى : واللّه قدير على معاجلتكم بالعقوبة^(٦) على موالاةكم إياهم ، ومظاهرة تكمومهم على المؤمنين ، وعلى ما يشاء من الأمور كلّها ، لا يتعدّد عليه شيء أرادته ، ولا يمتنع عليه شيء طلبه .

(١) فى س : « فتسروه » .

(٢) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « قال » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣١/٢ (٣٣٨٩) من طريق عمرو به .

(٤) فى ت ، ١ ، س : « فإنما » .

(٥) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « إذ » .

(٦) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « والعقوبة » .

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ .

/ يعنى بذلك جل ثناؤه : ويحذركم الله نفسه في يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ محضراً موفراً ، ﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ . يعنى : غاية بعيدة ، فإن مصيركم أيها القوم يومئذ إليه ، فاحذروه على أنفسكم من ذنوبكم .

٢٣١/٣

وكان قتادة يقول في معنى قوله : ﴿ مُّحْضَرًا ﴾ . ما حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ . يقول : موفراً^(١) .

وقد زعم بعض^(٢) أهل العربية أن معنى ذلك : واذكرو^(٣) يوم تجد . وقال : إن ذلك إنما جاء كذلك ؛ لأن القرآن إنما نزل للأمر والذكر ، كأنه قيل لهم : اذكروا كذا وكذا ؛ لأنه في القرآن في غير موضع : واتقوا يوم كذا ، وحين كذا .

وأما ﴿ مَا ﴾ التى مع ﴿ عَمِلَتْ ﴾ فبمعنى « الذى » ، ولا يجوز أن تكون جزاء ، لوقوع ﴿ تَجِدُ ﴾ عليه^(٤) .

وأما قوله : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ ﴾ . فإنه معطوف على قوله : ﴿ مَا ﴾ الأولى ، و ﴿ عَمِلَتْ ﴾ صلة بمعنى الرفع ، لما^(٥) قيل : ﴿ تَوَدُّ ﴾ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣١/٢ (٣٣٩٢) من طريق يزيد به .

(٢) زيادة يقتضيهما السياق .

(٣) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س .

(٤) الوقوع : التعدى .

(٥) فى النسخت : « كما » . والمثبت ما يقتضيهما السياق . وينظر معانى القرآن للفراء ١/٢٠٦ .

فتأويل الكلام : يوم تجد كل نفس الذي عملت من خيرٍ مُحضراً ، والذي عملت من سوءٍ تودُّ لو أن بينها وبينه أمداً .

والأمد^(١) الغاية التي ينتهي إليها ، ومنه قول الطرمح^(٢) :

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ عِدَّةَ الْعَمَلِ بِرٍ وَمُؤِيدٌ^(٣) إِذَا انْقَضَى أَمْدُهُ^(٤)
يعنى : غايةُ أجله .

وقد حدثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدِّي قوله : ﴿ وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ : مكاناً بعيداً^(٥) .

حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ : ﴿ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ . قال : أجلاً^(٦) .

حدثني محمد بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفِي ، قال : ثنا عبَّادُ بنُ منصورٍ ، عن الحسنِ في قوله : ﴿ وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ . قال : يَسُرُّ أَحَدَهُمْ أَلَّا يَلْقَى عَمَلَهُ ذَاكَ أَبَدًا ، يَكُونُ ذَلِكَ مُنَاهُ ، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَقَدْ كَانَتْ خَطِيئَتُهُ يَسْتَلِدُّهَا^(٧) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

يقول جل ثناؤه : وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ أَنْ تُسَخِّطُوهَا عَلَيْكُمْ بِرُكُوبِكُمْ مَا

(١) في ص : « فإن » .

(٢) ديوانه ص ١٩٧ .

(٣) مود : هالك .

(٤) في ص ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أجله » ، وفي الديوان : « عدده » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٢/٢ (٣٣٩٧) من طريق عمرو به .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٧/٢ إلى المصنف .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣١/٢ (٣٣٩٤) من طريق أبي بكر الحنفى به .

يُسَخِّطُهُ عَلَيْكُمْ ، فتوافوه ^(١) يومَ تجدُّ كلُّ نفسٍ ما عملت من خيرٍ محضراً ، وما عملت من سوءٍ تودُّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، وهو عليكم ساحطٌ ، فيتألكم من أليمٍ عقابه ما لا يقبل لكم به .

ثم أخبر عز وجل أنه رءوفٌ بعباده رحيمٌ بهم ، ومن رأفته بهم تحذيره إياهم نفسه ، وتخويفهم عقوبته ، ونهيته إياهم عما نهاهم عنه من معاصيه .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن عمرو ، عن ^(٢) الحسن / الحسن في قوله : ﴿ وَحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ . قال ^(٣) : من رأفته بهم أن حذرهم نفسه ^(٤) .

٢٣٢/٣

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣١) .

اختلف أهل التأويل في السبب الذي أنزلت هذه الآية فيه ؛ فقال بعضهم : أنزلت في قوم قالوا على عهد النبي ﷺ : إنا نحب ربنا . فأمر الله جل وعز نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهم : إن كنتم صادقين فيما تقولون فاتبعوني ، فإن ذلك علامة صديقكم فيما قلتم من ذلك .

(١) في م : « فتوافونه » .

(٢) في النسخ : « بن » . والمثبت من مصادر التخريج . وينظر تهذيب الكمال ١٢٣/٢٢ .

(٣) بعده في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « هو » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/١١٨ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٢/٢ (٣٣٩٨) من طريق الفضيل بن

عياض ، عن الحسن .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ بَكْرِ ابْنِ الْأَسْوَدِ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ : قَالَ قَوْمٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا نُحِبُّ رَبَّنَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ . فَجَعَلَ اتِّبَاعَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَمًا لِحُبِّهِ ، وَعَذَابَ مَنْ خَالَفَهُ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَلِيُّ بْنُ الْهَيْثَمِ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْوَهَّابِ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ : قَالَ أَقْوَامٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا لَنُحِبُّ رَبَّنَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ بِذَلِكَ قَرَأْنَا : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ ، فَجَعَلَ اللَّهُ اتِّبَاعَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَمًا لِحُبِّهِ ، وَعَذَابَ مَنْ خَالَفَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَوْلَهُ : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ . قَالَ : كَانَ قَوْمٌ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ ، يَقُولُونَ : إِنَّا نُحِبُّ رَبَّنَا . فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَتَّبِعُوا [٣٩٩/١] مُحَمَّدًا ﷺ ، وَجَعَلَ اتِّبَاعَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَمًا لِحُبِّهِ ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَيْنَانَ ^(٤) ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْخَنْفِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ الْآيَةَ . قَالَ : إِنَّ أَقْوَامًا كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لِقَوْلِهِمْ تَصَدِيقًا

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٧/٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (٢٥٤) من طريق عبد الوهاب به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٧/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) عزاه في الدر المنثور ١٧/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) في النسخ : « سفيان » . وتقدم في ص ٣٢٣ .

من عمل ، فقال : ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ الآية . كان أتباع محمد ﷺ تصديقاً لقولهم ^(١) .

وقال آخرون : بل هذا أمرٌ من الله نبيه محمدًا ﷺ أن يقول لوفدِ نجران الذين قَدِموا عليه من النصارى ، إن كان الذى يقولونه فى عيسى من عظيم القول إنما يقولونه تعظيمًا لله وحبًا له ، فاتَّبِعُوا مُحَمَّدًا ﷺ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

/ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ أى : إن كان هذا من قولكم - يعنى فى عيسى - حبًا لله وتعظيمًا له ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ أى : ما مضى من كفرِكُم ، ﴿ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ^(٢) .

٢٣٣/٣

قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية قول محمد بن جعفر بن الزبير ؛ لأنه لم يَجْرِ لغير وفدِ نجران فى هذه السورة ولا قَبْلَ هذه الآية ذِكْرُ قومٍ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ ولا أَنَّهُمْ يُعْظَمُونَهُ ، فيكون قوله : ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ جواباً لقولهم على ما قاله الحسن .

وأما ما روى الحسن فى ذلك مما قد ذكرناه ، فلا خبر به عندنا يصح فيجوز أن يقال : إن ذلك كذلك . وإن لم يكن فى السورة دلالة على أنه كما قال ، إلا أن يكون الحسن أراد بالقوم الذين ذكر أنهم قالوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ وقد نجران من النصارى ، فيكون ذلك من قوله نَظِيرَ إخبارنا .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٣٣/٢ (٣٤٠٢) من طريق أبى بكر الحنفى .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٨ ، ٥٧٩ .

فإذا لم يكنْ بذلك خبرٌ على ما قلنا ، ولا فى الآية دليلٌ على ما وصّفنا ، فأولىّ الأمور بنا أن نُلحِقْ تأويله بالذى عليه الدلالة من آيِ السورة ، وذلك هو ما وصّفنا ؛ لأن ما قبل هذه الآية من مُبتدأ هذه السورة وما بعدها خبرٌ عنهم ، واحتِجاجٌ من الله لنبِيِّه محمدٍ ﷺ ، ودليلٌ على بُطولِ قولهم فى المسيح . فالواجبُ أن تكونَ هى أيضًا مَضرُوفَةٌ المعنى إلى نحوِ ما قبلها ومعنى ما بعدها .

فإذْ كان الأمرُ على ما وصّفنا ، فتأويلُ الآية : قلْ يا محمدُ للوفدِ من نصارى نَجْرَانَ : إن كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أنْكُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ، وأنْكُمْ تُعْظَمُونَ المسيحَ ، وتقولون فيه ما تقولون ، حُبًّا منكم ربِّكم ، فحَقِّقُوا قولَكم الذى تقولونه ، إن كُنْتُمْ صادِقِينَ ، باتِّباعِكم إيايَ ، فإنْكم تعلمون أنى لله رسولٌ إليكم ، كما كان عيسى رسولاً إلى من أُرْسِلَ إليه ، فإنه إن اتَّبَعْتُمونى وصدَّقْتُمونى على ما آتَيْتُكُمْ به من عندِ الله ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، فيصْفَحْ لَكُمْ عن العقوبةِ عليها ، ويَعْفُو لَكُمْ عَمَّا مَضَى منها ، فإنه غفورٌ لذنوبِ عباده المؤمنين ، رحيمٌ بهم وبغيرهم من خلقه .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾ (٤٢)

يعنى بذلك جلَّ ثناؤه : قلْ يا محمدُ لهؤلاءِ الوفدِ من نصارى نَجْرَانَ : أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ مُحَمَّدًا ، فإنْكم قد عَلِمْتُمْ يقينًا أنه رسولى إلى خلقى ، اتَّبَعْتُهُ بالحقِّ ، تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فى الإنجيلِ ، فإن تَوَلَّوْا فاستدْبَرُوا عَمَّا دَعَوْتَهُمْ إليه من ذلك وأَعْرَضُوا عنه ، فأَعْلِمْتَهُمْ أن اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَفَرَ ، بِجَحْدِ ما عَرَفَ مِنَ الْحَقِّ وَأَنْكَرَهُ بَعْدَ عِلْمِهِ ، وَأَنَّهُمْ مِنْهُمْ بِجُحُودِهِمْ نُبُوتَكَ وَإِنْكَارِهِمُ الْحَقَّ الَّذى أَنْتَ عَلَيْهِ ، بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِصِحَّةِ أَمْرِكَ وَحَقِيقَةِ نُبُوتِكَ .

كما حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ : فأنتم تعرفونه - يعنى الوفد من نصارى نجران - وتجِدونه فى كتابِكُمْ ، ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ على كُفْرِهِمْ ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾ ^(١) .

/ القول فى تأويلِ قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعٰلَمِينَ ﴾ ^(٣٣) .

٢٣٤/٣

يعنى بذلك جلُّ ثناؤه : إن الله اجْتَبَىٰ آدمَ ونوحًا ، واختارهما لدينهما ، وآلَ إبراهيمَ وآلَ عمرانَ لدينهم الذى كانوا عليه ؛ لأنهم كانوا أهلَ الإسلامِ . فأخبر الله عزَّ وجلَّ أنه اختار دينَ مَنْ ذَكَرْنَا على سائرِ الأديانِ التى خالفته . وإنما عني بـ « آل إبراهيم وآل عمران » المؤمنين .

وقد دَلَّلْنَا على أن آلَ الرجلِ أتباعه وقومه ومَنْ هو على دينه .

وبالذى قلنا فى ذلك روى القول عن ابنِ عباسٍ أنه كان يقولهُ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعٰلَمِينَ ﴾ . قال : هم المؤمنون من آلِ إبراهيمَ وآلِ عمرانَ وآلِ ياسينَ وآلِ محمدٍ ، يقولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ [آل عمران : ٦٨] . وهم المؤمنون ^(٢) .

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٧٩ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٣٥ (٣٤١٤) ، من طريق عبد الله بن صالح به دون آخره .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ مَادَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ : رجلا نبيَّانِ اصْطَفَاهُمَا اللَّهُ عَلَى الْعَالَمِينَ .

[٤٠٠/١] حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن قتادة في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ مَادَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ . قَالَ : ذَكَرَ اللَّهُ أَهْلَ بَيْتَيْنِ صَالِحَيْنِ ، وَرَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ ، فَفَضَّلَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ، فَكَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبَّادٌ ، عن الحسن في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ مَادَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . قَالَ : فَضَّلَهُمُ اللَّهُ عَلَى الْعَالَمِينَ بِالنَّبُوَّةِ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ ، كَانُوا هُمُ الْأَنْبِيَاءُ الْأَتْقِيَاءُ الْمُصْطَفَيْنِ ^(٢) لِرَبُّهُمْ ^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

يعنى بذلك أن الله اصطفى آل إبراهيم وآل عمران ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ . فالذُرِّيَّةُ منصوبةٌ على القطع من « آل إبراهيم وآل عمران » ؛ لأن « الذُرِّيَّةَ » نكرةٌ ، و« آل عمران » معرفةٌ .

ولو قيل : نُصِبَتْ عَلَى تَكَرُّرِ « الْأَصْطِفَاءِ » . لكان صوابًا ؛ ^(٤) لأن المعنى :

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١١٨ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٣٥ (٣٤١٣) عن الحسن بن يحيى

به .

(٢) في م ، س : « المطيعين » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٣٤ (٣٤١١) من طريق أبي بكر الحنفى به .

(٤) (٤ - ٤) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « لمعنى » .

اصْطَفَى ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ .

وإنما جعل بعضهم من بعض في الموالاة في الدين ، والموازرة على الإسلام والحق ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٧١] . وقال في موضع آخر : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٦٧] . يعنى : أن دينهم واحد ، وطريقتهم واحدة ، فكذلك قوله : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ . إنما معناه : ذُرِّيَّةً دِينِ بَعْضِهَا دِينِ بَعْضٍ ، وَكَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةٌ ، وَمِلَّتُهُمْ وَاحِدَةٌ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ .

/ كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ . يقول : فى النية والعمل والإخلاص والتوحيد له ^(١) . وقوله : ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . يعنى بذلك : واللَّهُ ذُو سَمْعٍ لِقَوْلِ امْرَأَةِ عِمْرَانَ ، وَذُو عِلْمٍ بِمَا تُضْمِرُهُ فِي نَفْسِهَا ، إِذْ نَذَرْتُ لَهُ مَا فِي بَطْنِهَا مُحَرَّرًا .

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٥) .

يعنى ^(١) بذلك بقوله جل ثناؤه : واللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ^(٢) . إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ^(٣) . ف ﴿ إِذْ ﴾ مِنْ صِلَةٍ ﴿ سَمِيعٌ ﴾ . وأما امرأة عمران ، فهى أم مريم ابنة عمران أم عيسى ابن مريم ، صلوات الله عليه ، وكان اسمها ، فيما ذكر لنا ، حنّة ابنة فاقوذ ^(٤) ابن قبيل ^(٤) .

كذلك حدثنا به محمد بن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق فى

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٥/٢ (٣٤١٨) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٢) فى النسخ : « بقوله جل ثناؤه » . والمثبت هو ما جرت عليه عادة المصنف فى تفسيره ، وسيأتى فى ص ٣٩٢ .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « قابود » .

(٤) فى م فى هذا الموضع والموضع بعده : « قتيل » .

نَسَبِهِ^(١) . وقال غيرُ ابنِ حُمَيْدٍ : ابنةُ فاقودَ - بالدالِ - ابنِ قبيلِ .

فأما زوجها ، فإنه عمرانُ بنُ ياشهمَ^(٢) بنِ أمونَ بنِ منشا بنِ حزقيا بنِ أحريقَ^(٣)
ابنِ يوثمَ^(٤) بنِ عزاريا^(٥) بنِ أمصيا بنِ ياوشَ بنِ أحزيهو^(٦) بنِ يارمَ^(٧) بنِ يهفاشاطَ^(٨)
ابنِ أيشا^(٩) بنِ أيبا^(١٠) بنِ رجبمَ بنِ سليمانَ بنِ داودَ بنِ أيشا .

كذلك حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ في
نَسَبِهِ^(١١) .

وأما قوله : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . فإن معناه : إني جعلتُ
لك يا ربُّ نذرًا ؛ أن لك الذي في بطني مُحَرَّرًا لعبادتك . يعنى بذلك : حبسه على
خدمتك وخدمة قُدسِكَ فى الكنيسة ، عتيقةً من خدمة كلِّ شىءٍ سواك ، مُفَرَّغَةً لك
خاصَّةً .

ونصب ﴿ مُحَرَّرًا ﴾ على الحالِ^(١٢) مما فى الصفةِ من ذِكْرِ^(١٢) « الذى » .

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٥٨٦ ، وينظر البداية والنهاية ٢/٤١٨ .

(٢) فى ت ١ ، ت ٢ ، س ، والبداية والنهاية : « باشم » .

(٣) فى النسخ : « أحريق » ، والمثبت من تاريخ المصنف والبداية والنهاية .

(٤) فى تاريخ المصنف : « يوثم » ، وفى البداية والنهاية : « موثم » ، وأثبتناه بالثناء ليوافق ما فيهما .

(٥) فى تاريخ المصنف : « عزريا » .

(٦) فى النسخ : « أحريهو » ، والمثبت من تاريخ المصنف والبداية والنهاية .

(٧) فى النسخ : « يارم » ، والمثبت من تاريخ المصنف والبداية والنهاية .

(٨) فى تاريخ الطبرى : « يهشافاظ » .

(٩) فى م : « أشا » ، وفى تاريخ الطبرى : « أسا » ، وفى البداية والنهاية : « أيش » .

(١٠) فى النسخ : « أبان » . والمثبت من تاريخ المصنف .

(١١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٥٨٥ ، ٥٨٦ . وينظر البداية والنهاية ٢/٤١٧ .

(١٢ - ١٢) فى م : « من ما التى بمعنى » .

﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي ﴾ . أى : فتقبل منى ما نذرت لك يا رب ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . يعنى : إنك أنت يا رب السميع لما أقول وأدعو ، العليم لما أنوى فى نفسى وأريد ، لا يخفى عليك سر أمرى وعلايته .

وكان سبب نذر حنّة ابنة فاقوذ^(١) امرأة عمران ، الذى ذكره الله فى هذه الآية ، فيما بلغنا ، ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : تزوج زكريا وعمران أختين ، فكانت أم يحيى عند زكريا ، وكانت أم مريم عند عمران ، فهلك عمران وأم مريم حامل مريم ، فهى جنين فى بطنها . قال : وكانت فيما يزعمون قد أمسك عنها الولد حتى أسنت ، وكانوا أهل بيت من الله جل ثناؤه بمكان ، فبينا هى فى ظل شجرة ، نظرت إلى طائر يطعم فرخه ، فتحركت نفسها للولد ، فدعت الله أن يهب لها ولدا ، فحملت مريم ، وهلك عمران ، فلما عرفت أن فى بطنها جنينا ، جعلته لله نذيرة . والنذيرة أن تعبده لله ، فتجعل له حبسا فى الكنيسة ، لا ينتفع به بشيء من أمور الدنيا .

/ حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ابن الزبير ، قال : ثم ذكر امرأة عمران وقولها : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ أى : نذرتة ، تقول : جعلته عتيقا لعبادة الله ، لا ينتفع به بشيء من أمور الدنيا ، ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي ﴾ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿^(٢) .

حدثنى عبد الرحمن بن الأسود الطفاوى ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، قال : ثنا النضر بن عري ، عن مجاهد فى قوله : ﴿ مُحَرَّرًا ﴾ . قال : خادما للبيعة^(٣) .

(١) فى ص : « فاقوذ » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٥٧٩ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢ / ٦٣٦ (٣٤٢٣) من طريق النضر بن عري به ، وعزه السيوطى فى الدر المنثور ٢ / ١٨ إلى عبد بن حميد .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ عَرَبِيٍّ ، عَنِ مُجَاهِدٍ ،
قَالَ : خَادِمًا لِلْكَنِيسَةِ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ
فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قَالَ : فَرَعَّغْتُهُ لِلْعِبَادَةِ ^(١) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا [٤٠٠/١] إِسْمَاعِيلُ
ابْنُ أَبِي خَالِدٍ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قَالَ :
جَعَلْتُهُ فِي الْكَنِيسَةِ ، وَفَرَعَّغْتُهُ لِلْعِبَادَةِ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ عَوْزٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عَنِ إِسْمَاعِيلَ ،
عَنِ الشَّعْبِيِّ نَحْوَهُ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنِ عَيْسَى ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ،
عَنِ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قَالَ : لِلْكَنِيسَةِ ^(٢)
يَخْدُمُهَا .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا سَيْبٌ ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنِ
مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنِ سَفْيَانَ ، عَنِ خُصَيْفٍ ، عَنِ مُجَاهِدٍ :
﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قَالَ : خَالِصًا لَا يُخَالِطُهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ
الدُّنْيَا ^(٣) .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٦/٢ عقب الأثر (٣٤٢٢) معلقًا .

(٢) في ص ، ت ١ : « الكنيسة » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٦/٢ (٣٤٢٢) من طريق وكيع به .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا حَكَّامٌ ، عن عمرو ، عن عطاءٍ ، عن سعيدِ بنِ جبْرِ :
﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قال : للبيعةِ والكنيسةِ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الحِمْيَانِيُّ ، قَالَ : ثنا شَرِيكٌ ، عن سالمٍ ، عن سعيدِ :
﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قال : مُحَرَّرًا للعبادةِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدٌ ، قَالَ : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ
عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ الآية : كانت امرأةَ عمرانَ حُرَّتْ لِلَّهِ مَا
فِي بَطْنِهَا ، و كانوا إنما يُحَرِّرونَ الذكورَ ، وكان المحرَّرُ إذا حُرِّرَ جُعِلَ فِي الكَنِيسَةِ ^(٣) لا
يَبْرَحُهَا ، يقومُ عليها وَيَكْنُسُهَا ^(٤) .

حَدَّثَنَا الحَسَنُ بنُ يحيى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عبدُ الرزاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن
قتادةَ في قوله : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قال : نَذَرْتُ وَلَدَهَا
لِلكَنِيسَةِ ^(٥) .

حَدَّثَنِي موسى ، قَالَ : ثنا عمرو ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ إِذْ قَالَتِ
امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴾ . قال : وذلك أن امرأةَ عمرانَ حَمَلَتْ ، فَظَنَّتْ أن ما في بطنِها غلامٌ ،

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ إلى عبد بن حميد ، ولفظه : جعلته لله والكنيسة ، فلا يحال بينه وبين
العبادة .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ص ٣٤٤ (تراجم النساء) من طريق شريك به ، بلفظ : للعبادة لا
يشغله عنها .

(٣) بعده في ص ، ت ١ : « أن » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد مطولاً .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/١١٨ ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ص ٣٤٧ (تراجم النساء) .

فَوَهَبْتَهُ لِلَّهِ مُحَرَّرًا ، لَا يَعْمَلُ فِي الدُّنْيَا ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : كانت / امرأةُ عمرانَ حَزْرَتْ لِلَّهِ مَا فِي بَطْنِهَا . قال : وكانوا إنما يُحَرِّرونَ الذُّكُورَ ، فكان المحرَّرُ إذا حُرِّرَ جُعِلَ فِي الْكَنِيسَةِ لَا يَبْرَحُهَا ، يقومُ عليها وَيَكْنُسُهَا ^(٢) .
 حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قال : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قال : أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ ، قال : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قال : جَعَلْتُ وَلَدَهَا لِلَّهِ وَلِلَّذِينَ يَدْرُسُونَ الْكِتَابَ وَيَتَعَلَّمُونَهُ ^(٣) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن القاسمِ بنِ أبي بَزَّةَ ، أنه أخبره عن عكرمةَ ، وأبي بكرٍ ، عن عكرمةَ ، أن امرأةَ عمرانَ كانت عَجُوزًا عَاقِرًا تُسَمَّى حَنَّةَ ، وكانت لا تَلِدُ ، فَجَعَلَتْ تَغِيْطُ النِّسَاءَ لِأَوْلَادِهِنَّ ، فقالت : اللَّهُمَّ إِنَّ عَلَيَّ نَذْرًا شُكْرًا ، إِنْ رَزَقْتَنِي وَلَدًا أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَيَكُونَ مِنْ سَدَنَتِهِ وَخُدَّامِهِ . قال : وقوله : ﴿ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ : إنها لِلْحُرَّةِ ابْنَةُ الْحَرَائِرِ ﴿ مُحَرَّرًا ﴾ لِلْكَنِيسَةِ يَخْدِمُهَا ^(٤) .

حدَّثني محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفِيُّ ، عن عبيدِ بنِ منصورٍ ، عن الحسنِ في قَوْلِهِ : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ الْآيَةَ كُلَّهَا . قال : نَذَرْتُ مَا فِي بَطْنِهَا ، ثُمَّ سَيَّبَتْهَا .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٦/٢ عقب الأثر (٣٤٢٢) من طريق عمرو به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٦/٢ عقب الأثر (٣٤٢٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ إلى ابن المنذر .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ إلى المصنف وابن المنذر مطولاً .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا ﴾ : فلما وضعت حنة النذيرة . ولذلك أنت ، ولو كانت الهاء عائدة على ﴿ مَا ﴾ ، التي في قوله : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . لكان الكلام : فلما وضعت قالت : رب إنى وضعت أنثى .

ومعنى قوله : ﴿ وَضَعْتُهَا ﴾ : ولدتها . يقال منه : وضعت المرأة تضع وضعا . ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾ أى : ولدت النذيرة أنثى . ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ . واختلف القراءة في قراءة ذلك ؛ فقرأته عامة القراءة : ﴿ وَضَعْتَ ﴾ ^(١) . خيرا من الله عز وجل عن نفسه أنه العالم بما وضعت ، من غير قيلها : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾ .

وقرأ ذلك بعض المتقدمين : (والله أعلم بما وضعت) ^(٢) . على وجه الخبر بذلك عن أم مريم أنها هي القائلة : والله أعلم بما ولدت ، منى .

وأولى القراءتين بالصواب ما نقلته الحجة مستفيضة فيها قراءته بينها ، لا يتدافعون صحتها ، وذلك قراءة من قرأ : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ . ولا يعترض بالشاذ عنها عليها ^(٣) .

فتأويل الكلام إذن : والله أعلم من كل خلقه بما وضعت . ثم رجع جل ذكره إلى الخبر عن قولها ، وأنها قالت - اعتذارا إلى ربها مما كانت نذرت

(١) وهى قراءة نافع وابن كثير وحفص عن عاصم وأبي عمرو وحزمة والكسائي . ينظر حجة القراءات ص ١٦٠ .

(٢) وهى قراءة أبى بكر عن عاصم ، وابن عامر . المصدر السابق .

(٣) القراءتان متواترتان ، لا شذوذ فى إحداهما .

فِي حَمْلِهَا فَحَرَّرْتَهُ لخدمَةِ رَبِّهَا - : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ ؛ لأن الذَّكَرَ أقوى على الخدمة وأقومُ بها ، وأن الأنثى لا تَصْلُحُ في بعضِ الأحوالِ لدُخولِ القُدُسِ ، والقيامِ بخدمَةِ الكَنِيسَةِ ؛ لِما يَعتريها مِنَ الحَيْضِ والنَّفاسِ . ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ .

/ كما حَدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمَةُ ، عن ابنِ إِسحاقَ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ ٢٣٨/٣ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ فَلَمَّا وَصَّعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَصَّعْتُهَا أَنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ . أَى : لِما جَعَلْتُها له مَحْرُورَةً ^(١) نَدِيرَةً ^(٢) .

حَدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمَةُ ، قال : ثنا ابنُ إِسحاقَ : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ : لأن الذَّكَرَ هو أقوى على ذلك مِنَ الأنثى .

حَدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يَزِيدٌ ، قال : ثنا سَعِيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ : كانت المرأة لا يُسْتَطاعُ ^(٣) أن يُضنَّعَ بها ذلك - يعنى أن تُحَرَّرَ للكَنِيسَةِ فَتُجْعَلَ فيها ، تُقوِّمُ عليها وتُكَنِّسُها ، فلا تَبْرُحُها - مما يُصِيبُها مِنَ الحَيْضِ والأَدَى ، فعندَ ذلك قالت : ﴿ وَلَيْسَ [٤٠١/١] الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ .

حَدَّثنا الحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرنا عَبْدُ الرَّزاقِ ، قال : أَخْبَرنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَصَّعْتُهَا أَنْثَى ﴾ : وإنما كانوا يُحَرِّرونَ العِلْمانَ ، قالت ^(٤) :

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « محررا لك » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٧٩/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٠/٢ ٤١٩ - تحقيق الدكتور حكمت بشير ياسين) من طريق عبد الرحمن بن سلمة ، عن ابن إسحاق قوله بزيادة المتن الآتى .

(٣) فى ص : « تستطيع » ، وفى م : « يستطيع » .

(٤) فى النسخ : « قال » ، والمثبت من مصدرى التخريج .

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾^(١) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : كانت امرأة عمران حَزْرَتْ لِلَّهِ مَا فِي بَطْنِهَا ، وكانت على رجاءٍ أَن يَهَبَ لَهَا غُلَامًا ؛ لأن المرأة لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ - يعنى القيام على الكنيسة لَا تَبْرَحُهَا وَتَكُنُّسُهَا - لما يُصَيِّبُهَا مِنَ الْأَذَى^(٢) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، أن امرأة عمرانَ ظَنَّتْ أَن ما فِي بَطْنِهَا غُلَامٌ ، فوهبته لله ، فلما وَضَعَتْ إِذَا هِيَ جَارِيَةٌ ، فقالت تَعْتَذِرُ إِلَى اللَّهِ : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ ﴾ - ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾ تقول : إنما يُحَرِّزُ الْغِلْمَانُ . يقول الله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ . فقالت^(٣) : ﴿ إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾^(٤) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم بن أبي بزة ، أنه أخبره عن عكرمة ، وأبي بكر ، عن عكرمة : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾ يعنى : فى المَحِيضِ ، ولا يُنْبَغِي لامرأة أن تكون مع الرجال . أمُّها تقول ذلك^(٥) .

(١) تقدم تخريجه فى ص ٣٣٤ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٧/٢ (٣٤٢٧) من طريق ابن أبى جعفر به مختصرا .

(٣) فى ص : « فقال » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٧/٢ (٣٤٢٥) من طريق عمرو به ، مختصرا . بلفظ : فلما وضعت

إذا هى جارية ، فقالت تعتذر إلى الله : ﴿ رب إني وضعتها أنثى ﴾ .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٧/٢ (٣٤٢٨) من طريق ابن جريج به نحوه مطولا ، وعزاه السيوطى

فى الدر المنثور ١٩/٢ إلى ابن المنذر .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِيَدِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٣٦).

تعنى بقولها: ﴿وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِيَدِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾: وإني أجعل معاذها ومعاذ ذُرِّيَّتِها مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بك .
وأصلُ المَعَاذِ المَوْتَلُ والمَلْجَأُ والمَعْقِلُ .

فاستجاب الله لها ، فأعادها الله وذُرِّيَّتِها مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فلم يجعل له عليها سبيلاً .

حدَّثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من نفس مؤلودة يولد إلا والشيطان ينال منه تلك الطغنة ، وبها ^(١) يشتهل الصبي ، إلا ما كان من مريم ابنة عمران ، فإنها لما / وضعتها قالت : ربّ إنني أعيدُها بك ٢٣٩/٣ وذُرِّيَّتِها مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . فضربَ دونها حجاب ، فطعن فيه » ^(٢) .

حدَّثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « كلُّ مؤلودٍ من ولدِ آدم له طغنةٌ من الشيطان ، وبها يشتهل الصبي ، إلا ما كان من مريم ابنة عمران وولدها ، فإن أمها قالت حين وضعتها : ﴿وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِيَدِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ . فضربَ دونهما حجاب ، فطعن

(١) في ص : « لها » .

(٢) أخرجه الحاكم ٥٩٤/٢ من طريق يزيد بن عبد الله ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، وينظر تهذيب

في الحجاب» .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : ثنى محمدُ بنُ إسحاقٍ ، عن يزيدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ قُسيطٍ ، عن أبي هريرةَ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ بنحوه .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا هارونُ بنُ المُغيرةِ ، عن عمرو ، عن شُعيبِ ابنِ خالدٍ ، عن الزُّهريِّ^(١) ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، قال : سمعتُ أبا هريرةَ يقولُ : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ : « ما من بنى آدمَ مولودٌ يُولَدُ إلا قد مسَّهُ الشيطانُ حينَ يُولَدُ ، فيستهلُّ صَارِحًا بمسِّه إياه ، غيرَ مريمَ وابنها » . فقال أبو هريرةَ : اقرءوا إن شئتم : ﴿ إِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(٢) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرني ابنُ أبي ذئبٍ ، عن عَجَلانَ مَوْلَى المُشمِعلِّ ، عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « كلُّ مولودٍ يُولَدُ من بنى آدمَ يمسُّه الشيطانُ بإصبعه ، إلا مريمَ وابنها »^(٣) .

حدَّثني أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ وهبٍ ، قال : ثنى عمِّي عبدُ اللهِ بنُ وهبٍ ، قال : أخبرني عمرو بنُ الحارثِ ، أن أبا يونسَ سُلَيمًا^(٤) مولى أبي هريرةَ ، حدَّثه عن

(١) في م : « الزبير » . وينظر تهذيب الكمال ١٢ / ٥٢١ .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣١) ، ومسلم (٢٣٦٦/١٤٦) ، والبعقوى في تفسيره ٣٠/٢ من طريق شعيب بن أبي حمزة عن الزهري به .

(٣) أخرجه أحمد ١٣ / ٢٦٣ ، ٢٧٨ ، ٧ / ١٤ ، (٧٨٧٩) ، ٧٩٠٢ ، (٨٢٥٤) من طريق ابن أبي ذئب

به .

(٤) في م : « سليمان » ، وفي ت ١ : « سلمان » . وينظر تهذيب الكمال ١١ / ٣٤٣ .

أبى هريرة ، عن رسولِ الله ﷺ قال : « كلُّ بنى آدمَ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا »^(١) .

حدَّثنى يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : أخبرنى عمرو^(٢) ، أن أبا يونس حدَّثه ، عن أبى هريرة ، عن رسولِ الله ﷺ مثله .

حدَّثنى الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن الزهرى ، عن ابنِ المسيَّب ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما مِن مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ مَسَّةِ الشَّيْطَانِ ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا » . ثم يقولُ أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِكِّ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(٣) .

حدَّثنى الثنى ، قال : ثنا الحِمْزِيُّ ، قال : ثنا قَيْسٌ ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما مِن مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا وَقَدْ عَصَرَهُ الشَّيْطَانُ / عَصْرَةً أَوْ عَضْرَتَيْنِ ، إِلَّا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَمَرْيَمَ » . ٢٤٠/٣ . ثم قرأ رسولُ الله ﷺ : ﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِكِّ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(٤) .

(١) أخرجه مسلم (٢٣٦٦) ، وابن حبان (٦٢٣٤) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣١/١٤ (مخطوط) من طريق ابن وهب به .

(٢) فى النسخ : « عمران » . وتقدم فى الإسناد قبله ، وينظر ما تقدم فى ٤٠٦/٢ ، ٥٥٥ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١١٩ ، ومن طريق أحمد (٧٧٠٩) ، والبخارى (٤٥٤٨) ، ومسلم ١/١٤٦ (٢٣٦٦) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٣٨ (٣٤٣٢) ، وأخرجه ابن أبى شيبة ١١/٣٨٥ ، وأحمد (٧١٨٢) ، ومسلم ١/١٤٦ (٢٣٦٦) ، وابن حبان (٦٢٣٥) من طريق معمر به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢/٢٧٢ عن المصنف .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا هَارُونُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، عن عمرو بنِ أَبِي قَيْسٍ ، عن سِمَاكِ ، عن عِكْرَمَةَ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ ، قال : ما وُلِدَ مولودٌ إلا وقد اسْتَهَلَّ ، غيرَ الْمَسِيحِ ابنِ مَرْيَمَ ، لم يُسَلِّطْ عليه الشَّيْطَانُ ولم يَنْهَزه ^(١) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، [٤٠١/١] قال : أخبرنا المنذِرُ بنُ الثُّعْمَانِ الأَفْطُسِ ، أنه سمِعَ وهبَ بنَ مُنْبِهٍ يقولُ : لما وُلِدَ عيسى ، أتت الشَّيَاطِينُ إبليسَ ، فقالوا : أَصْبَحَتِ الأصْنَامُ قد نُكِسَتْ رعوُسُها . فقال : هذا في حادِثٍ حَدَثَ . فقال : مكانكم . فطار حتى جاء خافِئِي الأَرْضِ ، فلم يَجِدْ شيئًا ، ثم جاء البحارَ ، فلم يَجِدْ شيئًا ، ثم طار أيضًا ، فوجد عيسى قد وُلِدَ عندَ مَدَوْدَ ^(٢) حمارٍ ، وإذا الملائكةُ قد حَفَّتْ حوله ، فرجع إليهم فقال : إن نبيًا قد وُلِدَ البارحةَ ، ما حَمَلَتْ أنثى قَطُّ ولا وَضَعَتْ إلا أنا بحَضْرَتِها إلا هذه ، فَأَيْسُوا أن تُعْبَدَ الأصْنَامُ بعدَ هذه الليلةِ ، ولكن اتُّوا بنى آدمَ من قبلِ الحِفَّةِ والعَجَلَةِ ^(٣) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ : وَذُكِرَ لنا أن نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقولُ : « كلُّ بنى آدمَ طعنَ الشَّيْطَانُ في جَنَبِهِ ، إلا عيسى ابنَ مَرْيَمَ وأُمَّه ، جُعِلَ بينهما وبينه حِجَابٌ ، فأصابت الطَّعْنَةُ الحِجَابَ ، ولم يَنْفُذْ إليهما شيءٌ » . وَذُكِرَ لنا

(١) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ١٩/٢ وعزاه إلى المصنف .

(٢) المدود : معلق الدابة .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١١٩/١ عن المنذر بن النعمان به ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣١/١٤

(مخطوط) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٩/٢ إلى ابن المنذر .

أنهما كانا لا يُصَيِّبان الذنوبَ كما يُصَيِّبها سائرُ بني آدمَ . وذُكِرَ لنا أن عيسى كان يمشى على البحرِ كما يمشى على البرِّ ، مما أعطاه اللهُ تعالى مِنَ اليقين والإخلاصِ ^(١) .

حدَّثني المُتَنِّي ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ قال : إن نبيَّ اللهِ ﷺ قال : « كلُّ آدميٍّ طعنَ الشيطانُ في جنبه ، غيرَ عيسى وأمه ، كانا لا يُصَيِّبان الذُّنُوبَ كما يُصَيِّبها بَنُو آدمَ » . قال : « وقال عيسى ﷺ فيما يُنثَى على ربِّه : وأعادني وأمِّي مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ، فلم يكنْ له علينا سبيلٌ ^(٢) » .

حدَّثنا الربيعُ بنُ سليمانَ ، قال : ثنا شُعَيْبُ بنُ الليثِ ، قال : ثنا الليثُ ، عن جعفرِ بنِ ربيعةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ هُرْمَزَ أنه قال : قال أبو هريرةَ : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « كلُّ بني آدمَ يَطْعَمُ الشيطانُ في جنبه حينَ تَلِدُهُ أمُّه ، إلا عيسى ابنَ مريمَ ، ذهبَ يَطْعَمُ فطعنَ في الحجابِ ^(٣) » .

حدَّثنا الربيعُ ، قال : ثنا شُعَيْبُ ، قال : أخبرنا الليثُ ، عن جعفرِ بنِ ربيعةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ هُرْمَزَ أنه قال : قال أبو هريرةَ : أَرَأَيْتَ هذه الصَّرْحَةَ التي يَصْرُخُهَا

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ إلى المصنف وابن المنذر . وأخرج آخره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٣٨ (٣٤٣٦) من طريق شيان ، عن قتادة .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ ، ٢٠ إلى المصنف .

(٣) أخرجه الحميدي (١٠٤٢) ، وأحمد ٤٥١/١٦ (١٠٧٧٣) ، والبخاري في تفسيره ٣٠/٢ من طريق عبد الرحمن بن هرمز به .

الصبي حين تَلِدُهُ أمُّه ؟ فإنها منها .

حدَّثني أحمدُ بنُ الفرج ، قال : ثنا بَقِيَّةُ بنُ الوليد ، قال : ثنا الزُّبَيْدِيُّ ، عن
الزُّهْرِيِّ ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « ما من بنى آدمَ
مَوْلُودٌ إلا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حينَ يُولَدُ يَسْتَهْلُ صَارِخًا »^(١) .

/ القول في تأويل قوله : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ .

٢٤١/٣

يعنى بذلك ^(٢) « أن الله » جل ثناؤه تقبل مريم من أمها حنة ؛ تحريرها ^(٣) إياها
للكنيسة وخدمتها وخدمة ربها ، بقبول حسن .

والقبول ، مصدرٌ : من قبلها ربها . فأخرج المصدر على غير لفظ الفعل . ولو
كان على لفظه لكان : فتقبلها ربها تقبلاً حسناً . وقد تفعل العرب ذلك كثيراً ؛ أن
يأتوا بالمصادر على أصول الأفعال ، وإن اختلفت ألفاظها في الأفعال بالزيادة ، وذلك
كقولهم : تكلم فلان كلاماً . ولو أخرج المصدر على الفعل لقال : تكلم فلان
تكلماً . ومنه قوله : ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ . ولم يقل : إنباتاً حسناً .

وذكر عن أبي عمرو بن العلاء^(٤) ، أنه قال : لم نسمع العرب تضم القاف في
« قبُولٍ » ، وكان القياس الضم ؛ لأنه مصدرٌ مثل الدُّخُولِ والخُرُوجِ . قال : ولم
أسمع بحرف آخر في كلام العرب يُشبهه .

حدثت بذلك عن أبي عبيد ، قال : أخبرني الزبيدي ، عن أبي عمرو .

(١) أخرجه أبو يعلى (٥٩٧١) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١/٣٠٠ ، ٣١ (مخطوط) ، من طريق الزهري به نحوه ، وذكره الحافظ في الفتح ٤٦٩/٦ عن الزبيدي به ، ووقع في الفتح « السدى » بدل « الزبيدي » .

(٢) - (٢) سقط من : م ، س .

(٣) في ص ، م : « بتحريرها » .

(٤) ينظر اللسان (ق ب ل) .

وأما قوله : ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ . فإن معناه : وأنبتتها رُبُّها في غِذائِهِ ورزقه نباتًا حَسَنًا حتى تَمَّتْ فكَمَلَتْ امْرَأَةً بِالغَةِ تَامَةً .

كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ . قال : تَقَبَّلَ مِنْ أُمِّهَا مَا أَرَادَتْ بِهَا لِلْكَنِيسَةِ ، وَأَجْرَهَا فِيهَا ، ﴿ وَأَنْبَتَهَا ﴾ قال : نَبَتَتْ فِي غِذَاءِ اللهِ ^(١) .
القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ .

اختلفت القراءَةُ في قراءةِ قوله : ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ ؛ فقراءتُه عامَةٌ قِراءةُ أهلِ الحجازِ والمدِينَةِ والبصرةِ : (وكفَّلها) مُخَفَّفَةٌ الفاءِ ^(٢) ، بمعنى : ضَمَّها زكريا إليه . اعتبارًا بقولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] .
وقرأ ذلك عامَّةُ قِراءةِ الكوفيين : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ ^(٣) . بمعنى : وكفَّلها اللهُ زكريا .

وأولَى القراءتين بالصوابِ في ذلك عندى قِراءةٍ من قرأ : ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ . مُشَدَّدَةً الفاءِ ^(٤) ، بمعنى : وكفَّلها اللهُ زكريا . بمعنى : وضَمَّها اللهُ إليه . لأن زكريا أيضًا ضَمَّها إليه بإيجابِ اللهِ له ضَمَّها إليه ، بالقرعةِ التى أَخْرَجها اللهُ له ، والآيةِ التى أَظْهَرها لخصومه فيها ، فجعله بها أولَى منهم ، إذ قرع فيها من شأخه ^(٥) فيها . وذلك أنه بلغنا أن زكريا وخصومه فى مريمَ إذ تنازَعوا فيها ، أيُّهم تكونُ عنده ، تساهموا

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٠/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) وهى قِراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وابن عامر . ينظر حجة القراءات ص ١٦١ .

(٣) وهى قِراءة عاصم وحزمة والكسائى . المصدر السابق .

(٤) كلتا القراءتين صواب .

(٥) قرع أصحابه : إذا كانت له القرعة دونهم .

بِقَدَاحِهِمْ ، فَرَمَوْا^(١) بِهَا فِي نَهْرِ الْأُرْدُنِّ ، فَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : ازْتَرَّ^(٢) قَدْحُ زَكْرِيَا ، فِقَامٌ فَلَمْ يَجْرِبِ بِهِ الْمَاءُ ، وَجَرَى [٤٠٢/١] بِقَدَاحِ الْآخِرِينَ الْمَاءُ ، فَجَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لَزَكْرِيَا عَلَمًا^(٣) أَنَّهُ أَحَقُّ الْمُنْتَازِعِينَ فِيهَا بِهَا^(٤) .

٢٤٢/٣

/وَقَالَ آخَرُونَ : بَلِ صَعِدَ^(٤) قَدْحُ زَكْرِيَا فِي النَّهْرِ ، وَانْحَدَرَتْ قَدَاحُ الْآخِرِينَ مَعَ جَرِيَةِ الْمَاءِ وَ^(٥) ذَهَبَتْ ، فَكَانَ ذَلِكَ لَهُ عَلَمًا مِنَ اللَّهِ فِي أَنَّهُ أَوْلَى الْقَوْمِ بِهَا .

وَأَيُّ الْأَمْرَيْنِ كَانَ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَضَاءً مِنَ اللَّهِ بِهَا لَزَكْرِيَا عَلَى خُصُومِهِ بِأَنَّهُ أَوْلَاهُمْ بِهَا . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّمَا ضَمَّهَا زَكْرِيَا إِلَى نَفْسِهِ بِضَمِّ اللَّهِ إِيَّاهَا إِلَيْهِ ، بِقَضَائِهِ لَهُ بِهَا عَلَى خُصُومِهِ عِنْدَ تَشَاخُّهِمْ فِيهَا ، وَاخْتِصَامِهِمْ فِي أَوْلَاهُمْ بِهَا .

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، كَانَ بَيِّنًا أَنَّ أَوْلَى الْقِرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ مَا اخْتَرْنَا مِنْ تَشْدِيدِ ﴿ كَفَلَهَا ﴾ .

وَأَمَّا مَا اعْتَلَّ بِهِ الْقَارِئُونَ ذَلِكَ بِتَخْفِيفِ الْفَاءِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيْمَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] . وَأَنَّ ذَلِكَ مُوجِبٌ صِحَّةَ اخْتِيَارِهِمُ التَّخْفِيفَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَكَفَلَهَا ﴾ ، فَحُجَّةٌ دَالَّةٌ عَلَى ضَعْفِ اخْتِيَالِ^(٦) الْمُحْتَجِّ بِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ مُتَّبَعٍ ذُو

= وشاحه فيها : مثل قولهم : تشاخا على الأمر . أى تنازعا . وفلان يُشَاخُ على فلان . أى يَضُنُّ به . تاج العروس (ش ح ح ، ق ر ع) .

(١) فى م ، ت ١ : « رموا » .

(٢) فى م : « رتب » . وازترَّ : من رزَّ الشيء فى الأرض وفى الحائط يزرُّه رزًّا فارتزَّ : أثبتته فثبتت . وأما رتب فمن

: رتب الشيء ، أى : ثبت فلم يتحرك . اللسان (ر ت ب ، ر ز ز) .

(٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ .

(٤) فى ص : « صاعد » . ولعل صوابها : اصاعد .

(٥) فى ص كلمة غير واضحة ، وفى ت ١ ، ت ٢ : « هى » .

(٦) فى م : « اختيار » .

عقلي من أن يقول قائل : كفل فلان فلاناً فكفله فلان . فكذلك القول في ذلك : ألقى القوم أفلامهم أيهم يكفل مريم بتكفيل الله إياه بقضائه الذي يقضى بينهم فيها ، عند إلقائهم الأفلام .

وكذلك اختلفت القراءة في قراءة ﴿ زَكْرِيَّا ﴾ ؛ فقراءته عامة قراءة المدينة بالمد ، وقراءته عامة قراءة الكوفة بالقصر^(١) . وهما لغتان معروفتان وقراءتان مستفيضتان في قراءة المسلمين ، وليس في القراءة ياحداهما خلاف لمعنى القراءة الأخرى ، فبأبيتهما قرأ القارئ فهو مُصِيبٌ .

غير أن الصواب عندنا إذا مدَّ « زكريا » ، أن يُنصَبَ بغير تنوين ؛ لأنه اسمٌ من أسماء العجم لا يُجرى^(٢) ، ولأن قراءتنا في ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ بالتشديد وتثقيب الفاء ، ف « زكرياء » منصوبٌ بالفعل الواقع عليه .

وفي « زكريا » لغةٌ ثالثةٌ لا تجوزُ القراءةُ بها ؛ لخلافها مصاحفَ المسلمين ، وهو « زَكْرِيٌّ » ، بحذف المدَّة والياء الساكنة ، تُشَبِّهُه العربُ بالمنسوبِ من الأسماء ، فتثنونه وتجرِّيه في أنواع الإعرابِ مجازيِّ ياءِ التَّسْبِيةِ .

فتأويلُ الكلام : وَضَمَّهَا اللَّهُ إِلَى زَكْرِيَا . مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ^(٣) :

* فَهَوَ لِضَلَالِ الْهَوَامِ^(٤) كَافِلٌ *

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف بالقصر من غير همز في جميع القرآن ، ووافقهم الحسن والأعمش ، والباقون بالهمز والمد . إتخاف فضلاء البشر ص ١٠٤ .

(٢) لا يجرى . أى : لا يصرف . مصطلحات النحو الكوفي ص ٩٨ .

(٣) مجاز القرآن ١٤/٢ .

(٤) هوامى الإبل : ضوالها . وقال أبو عبيدة : الهوامى : الإبل المهملة بلا راع ، وقد همت تهمة فهى هامية ؛ إذا ذهبت على وجهها . وكل ذاهب وجار من حيوان أو ماء فهو هام . النهاية ٥/٢٧٦ ، واللسان (همى) .

يرادُ به ^(١) : لما ضَلَّ مِنْ مُتَفَرِّقِ النَّعْمِ وَمُنْتَشِرِهِ ضَامًّا إِلَى نَفْسِهِ وَجَامِعٍ .

وقد رُوي :

* فَهُوَ لِضَلَالِ الْهَوَافِي ^(٢) كَافِلٌ *

بمعنى أنه لما نَدَّ فَهَرَبَ مِنَ النَّعْمِ ضَامًّا . مِنْ قَوْلِهِمْ : هَفَا الظَّلِيمُ . إِذَا أَسْرَعَ الطَّيْرَانُ .

يقالُ منه للرجلِ : ما لك تَكْفُلُ كُلَّ ضَالَّةٍ ؟ يعنى به : تَضُمَّهَا إِلَيْكَ وَتَأْخُذُهَا .
وَبَنَحُوا مَا قَلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَسودِ الطُّفَاوِيُّ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ رَيْبَعَةَ ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ عَرَبِيٍّ ، عَنِ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيِمَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] . قَالَ : أَلْقَوْا أَقْلَامَهُمْ ، فَجَرَّتْ بِهَا الْجَزِيَّةُ ، إِلَّا قَلَمَ زَكْرِيَّا أَصَاعِدًا ^(٣) ، فَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا ^(٤) .

حَدَّثَنِي الْمُتَنِي ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنِ أَبِيهِ ، عَنِ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : / ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا ﴾ قَالَ : ضَمَّهَا إِلَيْهِ . قَالَ : أَلْقَوْا أَقْلَامَهُمْ ، يَقُولُ : عَصِيْبُهُمْ . قَالَ : فَأَلْقَوْهَا تَلْقَاءَ جَزِيَّةِ الْمَاءِ ، فَاسْتَقْبَلَتْ عَصَا زَكْرِيَّا جَزِيَّةَ الْمَاءِ ، فَفَرَّعَهُمْ ^(٥) .

(١) فِي م : « أَنَّهُ » .

(٢) الْهَوَافِي : الْإِبِلُ الضَّوَالُ ، وَاحِدَتُهَا هَافِيَةٌ ، مِنْ : هَفَا الشَّيْءُ يَهْفُو . إِذَا ذَهَبَ . وَهَفَا الطَّائِرُ ، إِذَا طَارَ . وَالرَّيْحُ ، إِذَا هَبَّتْ . اللَّسَانُ (ه ف و) .

(٣) فِي النَّسَخِ : « صَاعِدًا » . وَلَا يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى إِلَّا بِمَا أَثْبَتَاهُ ، وَيَنْظُرُ مَا تَقَدَّمَ فِي ص ٣٤٦ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٤٩/٢ (٣٥٠٣) ، مِنْ طَرِيقِ النَّضْرِ بِهِ نَحْوَهُ .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٣٩/٢ ، ٦٥٠ (٣٤٣٩) ، ٣٥٠٧ (٣٥٠٧) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ .

حَدَّثَنِي موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : قال الله عز وجل : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ فأنطلقت بها أمها في خزيها - يعني أم مريم بمریم - حين ولدتها إلى المحراب - وقال بعضهم : انطلقت حين بلغت إلى المحراب - وكان الذين يكتبون التوراة إذا جاءوا إليهم بإنسان يُخزرونه ^(١) ، اقتنعوا عليه أيهم يأخذونه فيعلمه . وكان زكريا أفضلهم يومئذ ، وكان نبيهم ^(٢) ، وكانت خاله ^(٣) مريم تحتها ، فلما أتوا بها اقتنعوا عليها ، وقال لهم زكريا : أنا أحقكم بها تحتى أختها ^(٤) . فأبوا ، فخرجوا إلى نهر الأزدن ، فألقوا أقلامهم التي يكتبون بها أيهم يقوم قلمه فيكفلها . فجزت الأقلام وقام قلم زكريا على قرنته ^(٥) ، كأنه في طين ، فأخذ الجارية ، وذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا ﴾ . فجعلها زكريا معه في بيته ، وهو المحراب ^(٦) .

حَدَّثَنَا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا ﴾ . يقول : صمها إليه .

(١) وفي ص : « يجرونه » ، وفي م ، ت ٢ : « يجربونه » ، وفي ت ١ : « يجرمون » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٢) في م ، ت ٢ ، وسنن البيهقي : « بينهم » .

(٣) في تفسير ابن أبي حاتم وسنن البيهقي وتاريخ دمشق : « أخت » . قال ابن كثير في البداية والنهاية ٢ / ٤٢١ : وكان زكريا نبيهم في ذلك الزمان ، قد أراد أن يستبد بها دونهم - يعني : بمریم - من أجل أن زوجته أختها أو خالتها ، على القولين . وينظر ص ٣٣٢ .

(٤) في م : « خالتها » .

(٥) القرون : حد السيف والنصل . المحيط (ق ر ن) . والمقصود بها هنا حد القلم .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٩ / ٢ (٣٤٤٠ ، ٣٤٤٢) من طريق عمرو بن حماد به ، من قوله : كان زكريا ...

وأخرجه البيهقي ٢٨٦ / ١٠ ، ٢٨٧ ، وابن عساكر في تاريخه (ص ٣٤٨ - تراجم النساء) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدي ، بإسناده المعروف ، من قوله : كان الذين يكتبون ... فأخذ الجارية .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ . قَالَ : سَهَّمَهُمْ^(١) بِقَلْمِهِ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ نَحْوَهُ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : كَانَتْ مَرْيَمُ ابْنَةَ سَيِّدِهِمْ وَإِمَامِهِمْ . قَالَ : فَتَشَاحَّ عَلَيْهَا أَحْبَابُهُمْ ، فَأَقْتَرَعُوا فِيهَا بِسَهَامِهِمْ أَتَيْتَهُمْ يَكْفُلُهَا . قَالَ قَتَادَةُ : وَكَانَ زَكَرِيَّا زَوْجَ أُخْتِهَا فَكَفَّلَهَا ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ وَحَصَّنَهَا^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَرَّةَ ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ عَنْ عِكْرَمَةَ ، وَأَبِي بَكْرٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، قَالَ : ثُمَّ خَرَجَتْ بِهَا - يَعْنِي أُمَّ مَرْيَمَ بَمَرْيَمَ - فِي خِرْقَتِهَا تَحْمِلُهَا إِلَى بَنِي الْكَاهِنِ بْنِ هَارُونَ ، أَخِي مُوسَى ابْنِ عِمْرَانَ . قَالَ : وَهُمْ يَوْمَئِذٍ يُلُونَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مَا يَلِي الْحَجَبَةَ مِنَ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَتْ لَهُمْ : دُونَكُمْ هَذِهِ النَّذِيرَةَ ، فَإِنِّي خَرَّزْتُهَا ، وَهِيَ ابْنَتِي ، وَلَا يَدْخُلُ الْكَنِيسَةَ حَائِضٌ ، وَأَنَا لَا أُرَدُّهَا إِلَى بَيْتِي . فَقَالُوا : هَذِهِ [٤٠٢/١] ابْنَةُ إِمَامِنَا . وَكَانَ عِمْرَانُ

(١) سَهْمٌ فَلَانًا سَهْمًا : قَرَعَهُ فِي الْمَسَاهِمَةِ . يُقَالُ : سَاهَمَهُ فَسَهَمَهُ : بَارَاهُ وَلاَعِبَهُ فَقَلْبَهُ . الْوَسِيطُ (س ه م) .

(٢) تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ ص ٢٥١ - وَمِنْ طَرِيقِ الْبَيْهَقِيِّ ٢٨٧/١٠ ، وَابْنِ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقٍ (ص ٣٤٨ ،

٣٤٩ - تَرَاجُمُ النِّسَاءِ) ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٣٩/٢ (٣٤٣٨) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ بِهِ ،

وَعَزَاهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٢٠/٢ إِلَى ابْنِ أَبِي إِيَّاسٍ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٣) أَخْرَجَ آخَرَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢١/١ عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢/

٦٥٠ (٣٥١٠) مِنْ طَرِيقِ شَيْبَانَ ، عَنْ قَتَادَةَ دُونَ آخَرِهِ ، وَعَزَاهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٢٠/٢ إِلَى عَبْدِ بْنِ

حَمِيدٍ . وَفِيهِ : زَوْجُ خَالَتِهَا .

يُؤْمَهُمْ فِي الصَّلَاةِ، وَصَاحِبَ قُرْبَانِهِمْ^(١). فَقَالَ زَكَرِيَّا: اذْفَعُوهَا إِلَيَّ، فَإِنْ خَالَتَهَا عِنْدِي. قَالُوا: لَا تَطِيبُ أَنْفُسَنَا، هِيَ ابْنَةُ إِمَامِنَا. فَذَلِكَ حِينَ افْتَرَعُوا، فَافْتَرَعُوا بِأَقْلَامِهِمْ عَلَيْهَا - بِالْأَقْلَامِ الَّتِي يَكْتُبُونَ بِهَا التَّوْرَةَ - فَفَرَعَهُمْ زَكَرِيَّا فَكَفَّلَهَا^(٢).

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثنا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثنى حَجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يَعْلى بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَعَلَهَا زَكَرِيَّا مَعَهُ فِي مِحْرَابِهِ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾. قَالَ حَجَّاجٌ: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: الْكَاهِنُ فِي كَلَامِهِمُ الْعَالِمُ^(٣).

/ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا سَلْمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ ٢٤٤/٣ الزَّيْبِرِيِّ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾: بَعْدَ أَبِيهَا وَأُمِّهَا، يُدَكِّرُهَا بِالْبَيْتِ، ثُمَّ قَصَّ خَبَرَهَا وَخَبَرَ زَكَرِيَّا^(٤).

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا الْحِمَّانِيُّ، قَالَ: ثنا شَرِيكٌ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَوْلَهُ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾. قَالَ: كَانَتْ عِنْدَهُ.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ، قَالَ: ثنا حَجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ يَعْلى بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَوْلَهُ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾، قَالَ: جَعَلَهَا زَكَرِيَّا مَعَهُ فِي مِحْرَابِهِ.

(١) مكانها بياض بقدر كلمتين في ص، ت، ١، ت ٢.

(٢) تقدم تخريجه في ص ٣٣٨.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٠ إلى المصنف دون قول ابن جريج.

(٤) سيرة ابن هشام ١/٥٧٩، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٣٩ (٣٤٤١) من طريق سلمة عن ابن

إسحاق قوله.

حدَّثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : ﴿ فَكَفَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنِ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ : وتَفَارَعَهَا الْقَوْمُ ، فقَرَعَ زكريا ، فَكَفَّلَهَا زكريا ^(١) .

وقال آخرون : بل كان زكريا بعد ولادة حنة ابنتها مريم ، كفَّلَهَا بِغَيْرِ اقْتِرَاعٍ وَلَا اسْتِيْهَامٍ عَلَيْهَا ، وَلَا مُنَازَعَةٍ أَحَدٍ إِيَّاهُ فِيهَا ، وَإِنَّمَا كَفَّلَهَا لِأَنَّ أُمَّهَا مَاتَتْ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهَا وَهِيَ طِفْلَةٌ ، وَعِنْدَ زكريا خَالَتُهَا أَيُّشَاعُ ^(٢) ابْنَةُ فَاقُوذَ . وقد قيل : إن اسم أم يحيى حالة عيسى : أشيع .

حدَّثنا بذلك القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبتي ^(٣) ، أن اسم أم يحيى : أشيع ^(٤) .

فَضَّمَهَا إِلَى خَالَتِهَا أُمِّ يَحْيَى ، فَكَانَتْ إِلَيْهِمْ وَمَعَهُمْ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ أَذْخُلُوهَا الْكَنِيسَةَ ، لَنَذَرِ أُمَّهَا الَّتِي نَذَرْتُ فِيهَا .

قالوا : والاقتراع فيها بالأقلام إنما كان بعد ذلك بمدة طويلة ؛ لشدة أصابتهم ، ضَعُفَ زكريا عن حَمْلِ مُؤْتَيْتِهَا ، فَتَدَافَعُوا حَمْلَ مُؤْتَيْتِهَا ، لَا رَغْبَةَ مِنْهُمْ ، وَلَا تَنَافُسًا عَلَيْهَا وَعَلَى اِحْتِمَالِ مُؤْتَيْتِهَا .

وسند كُرِّ قَصَّتْهَا عَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ ذَلِكَ إِذَا بَلَغْنَا إِلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٨/٢ (٣٤٣٧) من طريق أبي بكر الحنفي به .
 (٢) في ص ، ت ١ : «الاسباع» وفي ت ٢ : «الاشباع» ، وفي تاريخ الطبري ١/٥٨٥ : «الأشباع» ، وفي البداية والنهاية ٢/٤١٣ ، ٤١٨ : «أشباع» . والمثبت موافق لما في تاريخ دمشق ١٨/٧٩ مخطوط .
 (٣) في ص : «الحياى» ، وفي م ، ت ٢ : «الحياى» . وينظر الأنساب ١٧/٢ ، والإكمال ٣/٦٥ .
 (٤) في ص ، ت ٢ : «أسبع» ، وفي العلل : «الأشبع» . والأثر أخرجه أحمد في العلل (رواية عبد الله) ١٠٠/١ (٤٠٤) عن حجاج به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٢ إلى المصنف وابن أبي حاتم .

حَدَّثَنَا بِذَلِكَ ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، قَالَ : ثنى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ^(١) .
 فعلى هذا التَّأْوِيلِ تَصِحُّ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ : (وَكَفَلَهَا زَكْرِيَا) . بِتَخْفِيفِ الْفَاءِ ، لَوْ
 صَحَّ التَّأْوِيلُ ، غَيْرَ أَنَّ الْقَوْلَ مُتَظَاهِرٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ بِالْقَوْلِ الْأَوَّلِ . أَنَّ اسْتِهَامَ الْقَوْمِ
 فِيهَا كَانَ قَبْلَ كَفَالَةِ زَكْرِيَا إِيَّاهَا ، وَأَنَّ زَكْرِيَا إِنَّمَا كَفَلَهَا بِإِخْرَاجِ سَهْمِهِ مِنْهَا فَالْجَاءُ^(٢)
 عَلَى سِهَامٍ خُصُومِهِ فِيهَا ، فَلِذَلِكَ كَانَتْ قِرَاءَتُهُ بِالتَّشْدِيدِ عِنْدَنَا أَوْلَى مِنْ قِرَاءَتِهِ
 بِالتَّخْفِيفِ .

القولُ في تأويلِ قولِهِ : ﴿ كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا
 رِزْقًا ﴾ .

يعنى بذلك جَلُّ ثَنَائِهِ : أَنَّ زَكْرِيَا كَانَ كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ بَعْدَ إِدْخَالِهِ
 إِيَّاهَا الْمِحْرَابَ ، وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا مِنَ اللَّهِ لِعِذَائِهَا .

فقيل : إِنْ ذَلِكَ الرِّزْقُ الَّذِي كَانَ يَجِدُهُ زَكْرِيَا عِنْدَهَا ، فَكَهْهُ الشِّتَاءِ فِي
 الصَّيْفِ ، وَفَاكْهَتْهُ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا الْحَسَنُ بْنُ عَطِيَّةَ ، عَنْ شَرِيكِ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ
 سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ قَالَ : وَجَدَ عِنْدَهَا عِنَبًا فِي
 مِكَتَلٍ^(٣) فِي غَيْرِ حِينِهِ^(٤) .

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٥٨٠ .

(٢) فَلَجٌ : ظَفِيرٌ وَفَازٌ . الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ (ف ل ج) .

(٣) الْمِكَتَلُ ، وَالْمِكَتَلَةُ : الزَّبِيلُ الَّذِي يَحْمَلُ فِيهِ التَّمْرَ وَالْعِنَبَ . وَالزَّبِيلُ : الْوَعَاءُ يَحْمَلُ فِيهِ . اللَّسَانُ
 (ك ت ل) ، (ز ب ل) .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢ / ٦٤٠ مِنْ طَرِيقِ شَرِيكِ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٢ / ٢٠ =
 (تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٥ / ٢٣)

/ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا حَكَّامٌ ، عن عمرو ، عن عطاءٍ ، عن سعيدٍ في قوله : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : العِنْبُ في غير حِينِهِ ^(١) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبٌ ، قَالَ : ثنا هَشِيمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُغِيرَةُ ، عن إبراهيمَ في قوله : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : فاكهةٌ في غير حِينِهَا ^(٢) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبٌ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الكَوْفِيُّ ، عن الضحَّاكِ أنه كان يَجِدُ عِنْدَهَا فاكهةَ الصَّيْفِ في الشِّتَاءِ ، وفاقهةَ الشِّتَاءِ في الصَّيْفِ . يعنى في قوله : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عن سَلَمَةَ بنِ نُبَيْطٍ ، عن الضحَّاكِ مثله . حَدَّثَنِي المُنْثَبِيُّ ، قَالَ : ثنا عمرو ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عن بعضِ أشياخه ، عن الضحَّاكِ مثله .

حَدَّثَنَا القَاسِمُ ، قَالَ ^(٣) : ثنا الحَسِينُ ^(٤) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُوَيْرِيٌّ ، عن الضحَّاكِ مثله .

حَدَّثَنَا يَعْقُوبٌ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَنْ سَمِعَ الحَكَمَ بنَ عُثَيْبَةَ يَحْدُثُ عن مجاهدٍ قال : كان يَجِدُ عِنْدَهَا العِنْبَ في غير حِينِهِ .

= إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥١ من طريق عطاء به .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٠/٢ عقب الأثر (٣٤٤٦) معلقاً .

(٣ - ٣) في س : « ثنا أسباط » .

(٤) في ت ٢ : « الحسن » .

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ ، قال : عِنْبًا وجدته زكريا عند مريم في غير زمانه ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا النَّضْرُ بْنُ عَرَبِيِّ ، عن مجاهد في قوله : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف ^(٢) .

حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في قوله : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : كُنَّا نَحَدِّثُ أَنَّهَا كَانَتْ تُؤْتَى بِفَاكِهِةٍ [٤٠٣/١] في الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : وجد عندها ثمرة في غير زمانها ^(٣) .

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٥٢ - تراجم النساء) من طريق ابن أبي نجيح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٠ إلى عبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٠ إلى المصنف ، وينظر تفسير ابن أبي حاتم ٦٤٠/٢ (٣٤٤٥) .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٠ ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٥٢ - تراجم النساء) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَالَ : جَعَلَ زَكْرِيَا دُونَهَا عَلَيْهَا سَبْعَةَ أَبْوَابٍ ، فَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا فَيَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ ، وَفَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ ، قَالَ : جَعَلَهَا زَكْرِيَا مَعَهُ فِي بَيْتٍ - وَهُوَ الْحِرَابُ - فَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا فِي الشِّتَاءِ ، فَيَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الصَّيْفِ ، وَيَدْخُلُ فِي الصَّيْفِ ، فَيَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الشِّتَاءِ ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ^(٤) ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُيَيْدٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قَالَ : كَانَ يَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ .

٢٤٦/٣ / حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي ^(٥) يَعْلَى بْنُ مَسْلَمٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ كَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قَالَ : وَجَدَ عِنْدَهَا ثَمَارَ الْجَنَّةِ ، فَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ ، وَفَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ ^(٦) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٠/٢ عقب الأثر (٣٤٤٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) في ت ١ : « قال حدثنا » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٠/٢ عقب الأثر (٣٤٤٦) من طريق عمرو بن حماد به .

(٤) بعده في ت ١ : « قال حدثني حجاج عن ابن جريج » .

(٥ - ٥) في س : « يعني ابن » .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٠/٢ إلى المصنف .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عن ابنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ثنى بعضُ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّ زكريا كَانَ يَجِدُ عِنْدَهَا ثَمْرَةَ الشَّتَاءِ فِي الصَّيْفِ ، وَثَمْرَةَ الصَّيْفِ فِي الشَّتَاءِ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الحَنَفِيُّ ، عن عُبَّادٍ ، عن الحَسَنِ ، قَالَ : كَانَ زكريا إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا - يَعْنِي عَلِي مَرِيْمَ الحِجْرَابِ - وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا مِنَ السَّمَاءِ مِنَ اللَّهِ ، لَيْسَ مِنْ عِنْدِ النَّاسِ . وَقَالُوا : لَوْ أَنَّ زكريا كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ الرِّزْقَ مِنْ عِنْدِهِ لَمْ يَسْأَلْهَا عَنْهُ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أن زكريا كان إذا دخل إليها المِحْرَابَ وجدَ عندها من الرزقِ فضلًا عما كان يأتيها به الذي كان يُؤمُّنها في تلك الأيام .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، قَالَ : ثنى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : كَفَّلَهَا زكريا ^(٢) بَعْدَ هَلَاكِ أُمِّهَا ، فَضَمَّهَا إِلَى خَالَتِهَا أُمِّ يَحْيَى ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ ، أَدَخَلُوهَا الكَنِيسَةَ ، لِنَذْرِ أُمِّهَا الَّذِي نَذَرَتْ فِيهَا ، فَجَعَلَتْ تَنْبُثُ وَتَزِيدُ . قَالَ : ثُمَّ أَصَابَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَرْمَةٌ ، وَهِيَ عَلِي ذَلِكَ مِنْ حَالِهَا ، حَتَّى ضَعُفَ زكريا عَنْ حَمْلِهَا ، فَخَرَجَ عَلِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَقَالَ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَتَعْلَمُونَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ ضَعُفْتُ عَنْ حَمْلِ ابْنَةِ عِمْرَانَ . فَقَالُوا : وَنَحْنُ لَقَدْ جُهِدْنَا ، وَأَصَابَنَا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ مَا أَصَابَكُمْ . فَتَدَافَعُوها بَيْنَهُمْ ، وَهَمْ لَا يَرَوْنَ لَهُمْ مِنْ حَمْلِهَا بُدًّا ، حَتَّى تَقَارَعُوا بِالْأَفْلامِ ، فَخَرَجَ السَّهْمُ

(١) ينظر التبيان ٤٤٧/٢ .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

بِحَمْلِهَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ نَجَّارٍ ، يُقَالُ لَهُ : جُرَيْجٌ . قَالَ : فَعَرَفْتُ مَرْيَمَ فِي وَجْهِهِ شِدَّةَ مَثُونَةٍ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَكَانَتْ تَقُولُ لَهُ : يَا جُرَيْجُ ، أَحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَرْزُقُنَا . فَجَعَلَ جُرَيْجٌ يُرْزَقُ بِمَكَانِهَا ، فَيَأْتِيهَا كُلَّ يَوْمٍ مِنْ كَسْبِهِ بِمَا يُضِلُّهَا ، فَإِذَا أَدَخَلَهُ عَلَيْهَا وَهِيَ فِي الْكَنِيسَةِ ، أُنَمَاهُ اللَّهُ وَكَثَّرَهُ ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا فَيَرَى عِنْدَهَا فَضْلًا مِنَ الرِّزْقِ ، وَلَيْسَ بِقَدْرِ مَا يَأْتِيهَا بِهِ جُرَيْجٌ ، فَيَقُولُ : يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا ؟ فَتَقُولُ : هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ^(١) .

وأما المحرابُ ، فهو مُقَدَّمٌ ^(٢) كلُّ مجلسٍ ومُصَلَّى ، وهو سيدُ المجالسِ وأشرفُها وأكرمُها ، وكذلك هو من المساجدِ ، ومنه قولُ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ ^(٣) :
كَدَمِي ^(٤) الْعَاجِ فِي الْمَحَارِبِ أَوْ كَالِ — بِيضِ فِي الرَّؤُوسِ زَهْرُهُ ^(٥) مُسْتَنْبِرٌ ^(٦)
وَالْمَحَارِبُ جَمْعُ مِحْرَابٍ ، وَقَدْ يُجْمَعُ عَلَى ^(٧) مِحْرَابٍ .

٢٤٧/٣ / الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ قَالَ يَمْرَمُ أَنِّي لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(٣٧) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ قَالَ ﴾ زكريا : ﴿ يَمْرَمُ أَنِّي لَكَ هَذَا ﴾ ؟ من أى

(١) سيرة ابن هشام ٥٨٠/١ بنحوه مختصرا ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٤٩ تراجم النساء) من طريق إسحاق بن بشر ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله الليثي بنحوه .

(٢) بعده في ص ، ت ٢ : « على » .

(٣) الاختيارين للأخفش الأصغر ص ٧٠٤ .

(٤) الدمى : الصور ، واحدها دُمِيَّةٌ .

(٥) سقط من : ص ، ت ٢ ، وفي الاختيارين : « زهوه » .

(٦) بعده في ص : « وهو مشتق » ، وبعده في ت ٢ : « وهو مشتق متسر » .

(٧) زيادة من : م .

وَجِئْ لَكَ هَذَا الَّذِي أَرَىٰ عِنْدَكَ مِنَ الرِّزْقِ ؟ قَالَتْ مَرْيَمُ مُجِيبَةً لَّهُ : ﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ . تعنى أن الله هو الذى رزقها ذلك ، فسأقه إليها وأعطاهها .

وإنما كان زكريا يقول ذلك لها ؛ لأنه كان - فيما ذكر لنا - يُغلقُ عليها سبعة أبواب ، ويخرجُ ثم يدخلُ عليها ، فيجدُ عندها فاكهة الشتاء فى الصيف ، وفاكهة الصيف فى الشتاء ، فكان يعجبُ مما يرى من ذلك ، ويقولُ لها تعجبًا مما يرى : أتى لك هذا ؟ فتقولُ : من عند الله .

حدَّثنى بذلك المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ^(١) .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، قال : ثنى بعضُ أهل العلم . فذكر نحوه .

حدَّثنى محمد بنُ سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ يَمْرُؤٌ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ . قال : فإنه وجدَ عندها الفاكهة الغضة حين لا توجدُ الفاكهة عند أحدٍ ، فكان زكريا يقولُ : يا مريمُ أتى لك هذا ^(٢) ؟

وأما قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . فخبيرٌ من الله أنه يسوقُ إلى مَنْ يشاءُ من خلقه رزقه بغيرِ إحصاءٍ ولا عددٍ يُحاسبُ عليه عبده ؛ لأنه جلَّ ثناؤه لا ينقصُ سؤقه ذلك إليه كذلك خزائنه ، ولا يزيدُ إعطاؤه إياه ومُحاسبته

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٠/٢ عقب الأثر (٣٤٤٦) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٠/٢ (٣٤٤٩) عن محمد بن سعد به .

[٤٠:٣/١] ط] عليه في ملكه وفيما لديه شيئاً ، ولا يعزُب عنه علم ما يَزُوقه . وإنما يُحاسبُ مَنْ يُعْطَى ما يُعْطِيه ، مَنْ يَخْشَى التَّقْصَانَ مِنْ مَلِكِهِ ^(١) ، بِخُرُوجِ ما خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ بِغَيْرِ حِسَابٍ مَعْرُوفٍ ، وَمَنْ كَانَ جَاهِلاً بِمَا يُعْطَى عَلَى غَيْرِ حِسَابٍ .

القول في تأويل قوله : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۗ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝٣٨﴾ .

أما قوله : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ ﴾ . فمعناه : عند ذلك - أي : عند رؤية زكريا ما رأى عند مريم من رزق الله الذي رزقها ، وفضله الذي آتاها من غير تسبب أحد من الآدميين في ذلك لها ، ومعاينته عندها الثمرة الرطبة التي لا تكون في حين رؤيته إياها عندها في الأرض - طمع ^(٢) في الولد ^(٣) ، مع كبر سنه ، من المرأة العاقرة ، فرجاً أن يَزُوقَهُ اللهُ مِنْهَا الْوَلَدَ مَعَ الْحَالِ التي هما بها ، كما رزق مريم على تحليها من الناس ما رزقها ؛ من ثمرة الصيف في الشتاء ، وثمرة الشتاء في الصيف ، وإن لم يكن مثله مما جرت بوجوده - في مثل ذلك الحين - العادات في الأرض ، بل المعروف في الناس غير ذلك ، كما أن ولادة العاقرة غير الأمر الجارية به العادات في الناس ، فرغب إلى الله جل ثناؤه في الولد ، وسأله ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ، وذلك أن أهل بيت زكريا - فيما ذكر لنا - كانوا قد انقرضوا في ذلك الوقت .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : فلما رأى زكريا من حالها ذلك / - يعني فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف - قال : إن رباً أعطاها هذا في غير حينه ، لقادر على أن يرزقني ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً .

٢٤٨/٣

(١) بعده في ص : « ودخول » وبعده بياض بقدر كلمتين . ولعل سياقه هكذا « ودخول النقاد عليه بخروج ... » .

(٢ - ٣) في ص : « بالولد » .

وَرَغِبَ فِي الْوَلَدِ ، فقام فصلى ، ثم دعا ربه سريًا ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِي يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مریم : ٤ - ٦] . وقال ^(١) : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ . وقال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ ^(٢) [الأنبياء : ٨٩] .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : فلما رأى ذلك زكريا - يعنى فاكهة الصيف فى الشتاء ، وفاكهة الشتاء فى الصيف عند مریم - قال : إن الذى يأتى بهذا مریم فى غير زمانه ، قادرٌ أن يرزقنى ولدًا . قال الله عز وجل : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ . قال : فذلك حين دعا ^(٣) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن عكرمة ، قال : فدخل المِحْرَابَ ، وغلق الأبواب ، وناجى ربه ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ إلى قوله : ﴿ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ . ﴿ فَادَّعَاهُ الْمَلَكُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ [آية آل عمران : ٣٩] .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثنى بعض أهل

(١) النسخ : « قوله » . والمثبت من تفسير ابن أبى حاتم .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤١/٢ (٣٤٥٠) من طريق عمرو به مختصرًا .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٠/٢ إلى المصنف .

العلم ، قال : فدعا زكريا عند ذلك بعد ما أسنَّ ، ولا ولد له ، وقد انقرض أهل بيته ، فقال : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ . ثم شكى إلى ربِّه ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ إلى ﴿ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ . ﴿ فَادَّأتهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ الآية .

وأما قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ . فإنه يعنى بالذرية النسل ، وبالطيبة المباركة .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ . يقول : مباركة^(١) .

وأما قوله : ﴿ مِنْ لَدُنْكَ ﴾ . فإنه يعنى : من عندك .

وأما الذرية ، فإنها جمع ، وقد تكون فى معنى واحد^(٢) ، وهى فى هذا الموضع واحد^(٣) . وذلك أن الله عز وجل قال فى موضع آخرٍ مُخْبِرًا عن دعاء زكريا : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ [مریم : ٥] . ولم يُقَلْ : أولياء . فدلَّ على أنه سأل واحدًا ، وإنما أنت ﴿ طَيِّبَةً ﴾ لتأنيث الذرية ، كما قال الشاعر^(٤) :

أبوك خَلِيفَةٌ وَلَدُّهُ أُخْرَى وَأَنْتَ خَلِيفَةُ ذَاكَ الْكَمَالِ
فقال : وَلَدُّهُ أُخْرَى . فَأَنْتَ وَهُوَ ذَكَرٌ ؛ لتأنيث لفظ « الخليفة » ، كما قال الآخر^(٤) :

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤١/٢ (٣٤٥١) من طريق عمرو به .

(٢) فى م : « الواحد » .

(٣) معانى القرآن للفراء ٢٠٨/١ ، واللسان (ف ل ح ، خ ل ف) .

(٤) معانى القرآن للفراء ٢٠٨/١ ، واللسان (س ك ت) .

٢٤٩/٣ /فما^(١) تَزْدَرِي^(٢) مِنْ حَيَّةٍ جَبَلِيَّةٍ سُكَاتٍ^(٣) إِذَا مَا عَضَّ لَيْسَ بِأَدْرَدًا^(٤)

فَأَنْتَ الْجَبَلِيَّةُ لِتَأْنِيثِ لَفْظِ الْحَيَّةِ ، ثم رجع إلى المعنى فقال : إِذَا مَا عَضَّ ؛ لأنه كان أراد حَيَّةً ذَكَرًا . وإنما يجوزُ هذا فيما لم يَقَعُ عليه « فلانٌ » من الأسماءِ ، كالدَّابَّةِ والذَّرِيَّةِ والخَلِيفَةِ ، فأما إِذَا سُمِّيَ رجلٌ بشيءٍ من ذلك ، فكان في معنى « فلانٍ » لم يَجُزْ تَأْنِيثُ فعلِهِ ولا نَعْتِهِ .

وأما قوله : ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ . فإن معناه : إنك سامع الدعاء . غير أن ﴿ سَمِيعٌ ﴾ أمدح ، وهو بمعنى : ذو سَمْعٍ له .

وقد زعم بعض نحويي البصرة أن معناه : إنك تَسْمَعُ ما تُدْعَى به .

فتأويل الآية : فعند ذلك دعا زكريا ربه فقال : رَبِّ هَبْ لِي مِنْ عِنْدِكَ وَلَدًا مَبَارَكًا ، إنك ذو سمعٍ دُعَاءٍ مِنْ دَعَاكَ .

القول في تأويل قوله : ﴿ فَادَّأَّهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ .

اختلفت القرأة في قراءة ذلك ؛ فقرأته عامة قرأة أهل المدينة ، وبعض أهل الكوفة والبصرة : ﴿ فَادَّأَّهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ على التأنيث بالتاء^(٥) ، يرادُ بها جمعُ^(٦) الملائكة . وكذلك تفعل العرب في جماعة [٤٠٤/١] الذكور إذا تقدمت أفعالها ، أنثت أفعالها ، ولاسيما الأسماء التي في ألفاظها التأنيث ، كقولهم : جاءت الطلحات .

(١) في النسخ : « كما » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٢) في م ، ت ، ١ ، س : « يزدري » .

(٣) في م : « سكات » ، وفي س : « سكان » . وحية سكات وسكوت : إذا لم يشعر به المسوع حتى يلسعه . اللسان (س ك ت) .

(٤) الأدرد : الذى ليس فى فمه سنٌّ . واللسان (درد) .

(٥) وهى قرأة ابن كثير ونافع وعاصم وأبى عمرو وابن عامر . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٥ .

(٦) فى ص ، س : « جميع » .

وقد قرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بالياء^(١) ، بمعنى : فنأداه جبريلُ . فذكروه للتأويل ، كما قد ذكرنا آنفاً أنهم يُؤثنون فعلَ الذَّكْرِ لِلْفِظِ ، فكذلك يذكرون فعلَ المؤنثِ أيضاً لِلْفِظِ .

واعتبروا ذلك فيما أرى بقراءة يُذَكِّرُ أنها قراءةُ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ .

وهو ما حدَّثني به المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ الحجاج ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ابنُ أبي حمادٍ ، أن قراءةَ ابنِ مسعودٍ : (فنأداهُ جبريلُ وهو قائمٌ يُصَلِّي في المِحْرَابِ)^(٢) .

وكذلك تأوَّلَ قوله : ﴿ فنأدتهُ المَلَكَةُ ﴾ . جماعةٌ من أهلِ التأويلِ .

ذكر من قال ذلك

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن الشدِّي : ﴿ فنأدتهُ المَلَكَةُ ﴾^(٣) : وهو جبريلُ - أو : قالت الملائكةُ : وهو جبريلُ : - ﴿ أن الله يُبشِرُك بِبَيْتِي ﴾^(٤) .

فإن قال قائلٌ : وكيف جاز أن يقال على هذا التأويلِ : ﴿ فنأدتهُ المَلَكَةُ ﴾ والملائكةُ جمعٌ لا واحدٌ ؟

قيل : ذلك جائزٌ في كلامِ العربِ ، بأن تُخبرَ عن الواحدِ ، بمذهبِ الجمعِ ، كما يقالُ في الكلامِ : خَرَجَ فلانٌ على بغالِ البُرْدِ . وإنما ركبَ بغلاً واحداً ، وركبَ

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٥ .

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٢/٤٠٠ ، وينظر البحر المحيط ٢/٤٤٦ .

(٣) في ص ، ت ١ : « فنأداه الملائكة » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤١ (٣٤٥٣) من طريق عمرو بن حماد به .

الشُّقْرَنَ . وَإِنَّمَا رَكِبَ سَفِينَةً وَاحِدَةً ، وَكَمَا يُقَالُ : مَنْ سَمِعَتْ / هَذَا الْخَبَرَ ؟ فَيُقَالُ : ٢٥٠/٣
 مِنَ النَّاسِ . وَإِنَّمَا سَمِعَهُ مِنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ . وَقَدْ قِيلَ : إِنْ مِنْهُ قَوْلُهُ : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ
 النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] . وَالْقَائِلُ كَانَ فِيهَا ذُكْرًا وَاحِدًا ،
 وَقَوْلُهُ : ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ ﴾ [الروم : ٣٣] . وَالنَّاسُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَذَلِكَ جَائِزٌ
 عِنْدَهُمْ فِيمَا لَمْ يُقْصَدْ فِيهِ قَصْدُ وَاحِدٍ .

وَإِنَّمَا الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدِي فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ - أَعْنَى
 التَّاءِ وَالْيَاءِ - فَبِأَيْتَهُمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ
 بِاخْتِلَافِ الْقِرَاءَتَيْنِ ، وَهُمَا جَمِيعًا فَصِيحَتَانِ عِنْدَ الْعَرَبِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ إِنْ كَانَ
 مُرَادًا بِهَا جَبْرِيْلُ ، كَمَا رُوِيَ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَإِنَّ التَّأْنِيثَ فِي فِعْلِهَا فَصِيحٌ فِي كَلَامِ
 الْعَرَبِ ، لِלَفْظِهَا إِنْ تَقَدَّمَهَا الْفِعْلُ ، وَجَائِزٌ فِيهِ التَّذْكِيرُ لِمَعْنَاهَا ، وَإِنْ كَانَ مُرَادًا بِهَا
 جَمْعُ الْمَلَائِكَةِ ، فَجَائِزٌ فِي فِعْلِهَا التَّأْنِيثُ وَهُوَ ^(١) قَبْلُهَا لِלَفْظِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ إِذَا
 قَدَّمَتْ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْجَمَاعَةِ فَعَلَهَا أَنْثَتْهُ ، فَقَالَتْ : قَالَتِ النَّسَاءُ . وَجَائِزٌ التَّذْكِيرُ فِي
 فِعْلِهَا بِنَاءٍ عَلَى الْوَاحِدِ إِذَا تَقَدَّمَ فَعْلُهُ ، فَيُقَالُ : قَالَ الرَّجَالُ .

وَأَمَّا الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِهِ ، فَأَنْ يُقَالَ : إِنْ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ
 نَادَتْهُ ، وَالظَّاهِرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ دُونَ الْوَاحِدِ ، وَجَبْرِيْلُ وَاحِدٌ ، فَلَنْ
 يَجُوزَ أَنْ يُحْمَلَ تَأْوِيلُ الْقُرْآنِ إِلَّا عَلَى الْأَظْهَرِ الْأَكْثَرِ مِنَ الْكَلَامِ الْمُسْتَعْمَلِ فِي الْأَسْنَنِ
 الْعَرَبِ دُونَ الْأَقْلِ ، مَا وَجَدَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا ، وَلَمْ تَضْطَرَّنَا حَاجَةٌ إِلَى صَرْفِ ذَلِكَ إِلَى
 أَنَّهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، فَيُحْتَاجُ لَهُ إِلَى طَلَبِ الْمَخْرَجِ بِالْخَفِيِّ مِنَ الْكَلَامِ وَالْمَعَانِي .

وَبِمَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّأْوِيلِ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ؛ مِنْهُمْ قَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ ابْنُ

أنسٍ وعِكرمةٌ ومجاهدٌ وجماعةٌ غيرُهُم ، وقد ذَكَرنا ما قالوا من ذلك فيما مَضَى .
 القولُ في تأويلِ قولِهِ : ﴿ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ﴾ .
 وتأويلُ قولِهِ : ﴿ وَهُوَ قَائِمٌ ﴾ : فنَادَتْهُ الملائكةُ في حالِ قِيامِهِ مُصَلِّيًا . فقولُهُ :
 ﴿ وَهُوَ قَائِمٌ ﴾ خبرٌ عن وقتِ نداءِ الملائكةِ زكريا .
 وقولُهُ : ﴿ يُصَلِّي ﴾ . في موضعِ نصبٍ على الحالِ من « القيامِ » ، وهو رَفَعُ
 بالياءِ .

وأما المِحْرَابُ ، فقد بَيَّنَّا معناه وأنه مُقَدَّمُ المسجدِ ^(١) .

واختَلَفَتِ القَرَأَةُ في قِراءَةِ قولِهِ : ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ ؛ فقَرَأَتْهُ عامَةٌ القَرَأَةُ : ﴿ أَنَّ اللَّهَ ﴾ بفتحِ الألفِ من ﴿ أَنَّ ﴾ ^(٢) ، بوقوعِ النداءِ عليها ، بمعنى : فنَادَتْهُ الملائكةُ
 بذلك .

وقرأه بعضُ قَرَأَةِ أَهْلِ الكُوفَةِ : (إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ) بكسْرِ الألفِ ^(٣) ، بمعنى : قالت
 الملائكةُ : إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ . لأنَّ النداءَ قولٌ ، وذَكَرُوا أَنَّهَا في قِراءَةِ عبدِ اللَّهِ : (فنَادَتْهُ
 الملائكةُ وَهُوَ قائِمٌ يُصَلِّي في المِحْرَابِ : يا زكريا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ) ^(٤) . قالوا : وإذا بَطَلُ
 النداءِ أَنْ يَكُونَ عامِلًا في قولِهِ : (يا زكريا) . فباطلٌ أيضًا أَنْ يَكُونَ عامِلًا في « إِنَّ » .
 والصوابُ مِنَ القِراءَةِ في ذلكِ عِنْدَنَا ^(٥) : ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ بفتحِ الألفِ ،
 بوقوعِ النداءِ عليه ، بمعنى : فنَادَتْهُ الملائكةُ بذلك .

(١) ينظر ما تقدم في ص ٣٥٨ .

(٢) قرأ بها عاصم والكسائي وأبو عمرو ونافع وابن كثير . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٥ .

(٣) قرأ بها حمزة وابن عامر . المصدر السابق .

(٤) ينظر المصاحف لابن أبي داود ص ٥٩ .

(٥) كلنا القراءتين صواب متواتر .

وليسَت الْعِلَّةُ التي اعتلَّ بها القَارِئُونَ بكسرِ «إِنْ»، مِنْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَانَ يَقْرَأُهَا كَذَلِكَ، ^(١) «فَقْرَأُهَا كَذَلِكَ»؛ وَذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ إِذَا كَانَ قَرَأَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّمَا قَرَأَهَا - بَرَعَمِهِمْ - وَقَدْ اعْتَرَضَ ^(٢) بِ (يَا زَكْرِيَا) بَيْنَ (إِنْ)، وَبَيْنَ قَوْلِهِ / ﴿فَنَادَتْهُ﴾ ٢٥١/٣ وَإِذَا اعْتَرَضَ بِهِ بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ الْعَرَبَ تُعْمَلُ حَيْثُ نَدَى فِي «أَنْ»، وَتُبْطَلُ عَنْهَا. أَمَّا الْإِبْطَالُ؛ فَلأنَّه ^(٣) بَطَلَ عَنِ الْعَمَلِ فِي الْمُنَادَى قَبْلَهُ، فَأَسْلَكُوا الَّذِي بَعْدَهُ مَسْلَكَهُ فِي بُطُولِ عَمَلِهِ. وَأَمَّا الْإِعْمَالُ؛ فَلأنَّ النَّدَاءَ فَعَلَ وَقَعَ ^(٤) كَسَائِرِ الْأَفْعَالِ.

وَأَمَّا قِرَاءَتُنَا، فَلَيْسَ نَدَاءُ زَكْرِيَّا بِ (يَا زَكْرِيَا) مُعْتَرِضًا بِهِ بَيْنَ ﴿أَنْ﴾ وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿فَنَادَتْهُ﴾، وَإِذْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بَيْنَهُمَا، فَالْكَلَامُ الْفَصِيحُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ إِذَا ^(٥) نَصَبَتْ بِقَوْلٍ: نَادَيْتَ. اسْمُ الْمُنَادَى وَأَوْقَعُوهُ عَلَيْهِ، أَنْ يَوْقَعُوهُ كَذَلِكَ عَلَى «أَنْ» بَعْدَهُ، وَإِنْ كَانَ جَائِزًا إِبْطَالُ عَمَلِهِ. فَقَوْلُهُ: ﴿فَنَادَتْهُ﴾ قَدْ وَقَعَ [٤٠٤/١ ظ] عَلَى مَكْنِيٍّ «زَكْرِيَّا»، فَكَذَلِكَ الصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ واقِعًا عَلَى ﴿أَنَّ﴾ وَعَامِلًا فِيهَا، مَعَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْقِرَاءَةُ الْمُسْتَفِيضَةُ فِي قِرَاءَةِ أَمْصَارِ الْإِسْلَامِ، وَلَا يُعْتَرِضُ بِالشَّاذِّ عَلَى الْجَمَاعَةِ الَّتِي تَجِيءُ مَجِيءَ الْحُجَّةِ ^(٦).

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿يُبَشِّرُكَ﴾. فَإِنَّ الْقِرَاءَةَ اخْتَلَفَتْ فِي قِرَاءَتِهِ؛ فَقِرَاءَتُهُ عَامَةٌ قِرَاءَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ بِتَشْدِيدِ الشَّيْنِ وَضَمِّ الْيَاءِ ^(٧)، عَلَى وَجْهِ

(١ - ١) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س. ولعل صواب السياق أن يكون بعدها: لهم بعلة.

(٢ - ٢) في ص، ت، ١، س: «بهذا»، وفي ت، ٢: «بهتا».

(٣) في م: «فإنه».

(٤) في ص، ت، ١، ت، ٢، س: «رافع». والفعل الواقع هو الفعل المتعدى.

(٥) في م: «إذ».

(٦) تقدم أن القراءتين متواترتان.

(٧) قرأ بها نافع وابن عامر وعاصم وابن كثير وأبو عمرو. السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٥، ٢٠٦.

تَبَشِيرِ اللَّهِ زَكْرِيَّا بِالْوَالِدِ ، مِنْ قَوْلِ النَّاسِ : بَشَّرْتُ فَلَانًا الْبَشْرَى بِكَذَا وَكَذَا . أَيْ : أَتَتْهُ
بِشَارَاتُ الْبَشْرَاءِ ^(١) .

وَقَرَأَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ قَرَاءِ الْكُوفَةِ وَغَيْرِهِمْ : (إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ) بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ
الشَّيْنِ وَتَخْفِيفِهَا ^(٢) ، بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ يَسُرُّكَ بَوْلِدِ يَهْبُهُ لَكَ ، مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ ^(٣) :

بَشَّرْتُ عِيَالِي إِذْ رَأَيْتُ صَحِيفَةً أَتَتْكَ مِنَ الْحَجَّاجِ يُتْلَى كِتَابُهَا
وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ « بَشَّرْتُ » لُغَةٌ أَهْلِ تِهَامَةَ مِنْ كِنَانَةَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ قَرِيشٍ ، وَأَنَّهُمْ
يَقُولُونَ : بَشَّرْتُ فَلَانًا بِكَذَا ، فَأَنَا أَبْشُرُهُ بَشْرًا . وَ : هَلْ أَنْتَ بَاشِرٌ بِكَذَا ؟ وَيُنْشَدُ لَهُمْ
الْبَيْتُ فِي ذَلِكَ ^(٤) :

وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَاهِشِينَ ^(٥) إِلَى الْعُلَا غُبْرًا أَكْفَهُمْ بِقَاعِ مُمَجِّلِ
فَأَعْنَهُمْ وَابْشُرْ بِمَا بَشَّرُوا بِهِ وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا بِضْنِكَ فَاَنْزِلِ
فَإِذَا صَارُوا إِلَى الْأَمْرِ ، فَالْكَلَامُ الصَّحِيحُ مِنْ كَلَامِهِمْ ^(٦) « بَلَا أَلْفٍ » فَيَقَالُ :
ابْشُرْ فَلَانًا بِكَذَا . وَلَا يَكَادُونَ يَقُولُونَ : بَشَّرَهُ بِكَذَا . وَلَا : أَبْشُرُهُ .

وَقَدْ رَوَى عَنْ حُمَيْدِ بْنِ قَيْسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ : (يُبَشِّرُكَ) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَكَسْرِ
الشَّيْنِ وَتَخْفِيفِهَا ^(٧) .

(١) النسخ : « البشري » ، والمثبت من معاني القرآن للفراء ٢١٢/١ .

(٢) وهى قراءة حمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٦ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢١٢/١ .

(٤) البيت لعبد قيس بن خفاف البرجمى ، وهو فى معاني القرآن للفراء ٢١٢/١ . والمفضليات ص ٣٨٥ ،

والأصمعيات ص ٢٣٠ .

(٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « الناهشين » . والنهش : المسارعة إلى أخذ الشيء . تاج العروس (ب هـ ش) .

(٦ - ٦) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بالألف » .

(٧) مختصر الشواذ لابن خالويه ص ٢٦ .

6 > Ū

وقد حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، عن معاذ الكوفي ، قال : من قرأ : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ ﴾ [التوبة : ٢١] . مُثَقَّلَةً ، فإنه من البشارة . ومن قرأ : (يَبَشِّرُهُمْ) . مُخَفَّفَةً بِنَصْبِ الْيَاءِ ، فإنه من السرور يَشْرُهُمْ ^(١) . والقراءة التي هي القراءة عندنا في ذلك صَمُّ الْيَاءِ وتشديد الشين ، بمعنى التَّبْشِيرِ ؛ لأن ذلك هي اللغة السائرة والكلام المُستفيض المعروف في الناس ، مع أنَّ جميع قراءة الأمصار مُجْمَعُونَ في قراءة : ﴿ فِيمَا تُبَشِّرُونَ ﴾ [الحجر : ٥٤] . على التشديد .

والصواب في سائر ما في القرآن من نظائره أن يكون مثله في التشديد وضم الياء .

٢٥٢/٣

/ وأما ما روى عن معاذ الكوفي من الفرق بين معنى التخفيف والتشديد في ذلك ، فلم نجد أهل العلم بكلام العرب يعرفونه من وجه صحيح ، فلا معنى لما حكى من ذلك عنه ، وقد قال جرير بن عطية ^(٢) :

يا بَشْرُ حَقِّ لَوْجِهِك ^(٣) التَّبْشِيرُ هَلَّا غَضِبْتَ لَنَا وَأَنْتَ أَمِيرُ

فقد عُلِمَ أنه أراد بقوله : التبشير . الجمال والنضارة والسرور . فقال : التبشير .

ولم يقل : البشْرُ . فقد بين ذلك أن معنى التخفيف والتثقيب في ذلك واحد .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن

قتادة قوله : ﴿ أَنْ اللَّهَ يَبْشُرُكَ ﴾ . قال : شافهته ^(٤) الملائكة بذلك ^(٥) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢١/٢ إلى المصنف .

(٢) ديوانه ٣٦٦/١ .

(٣) في م : « لبشرك » .

(٤) في ص ، ت ، ٢ : « سا » وبعده بياض بقدر نصف كلمة ، وفي م ، ت ، ٣ : « بشرته » ، وفي ت ، ١ : « قال » ،

وفي س : « ثنا بذا » ، والمثبت مما سيأتي في ص ٣٨٦ ، وهي كذلك في تفسير عبد الرزاق .

(٥) تفسير الطبري ٢٤/٥

(٥) تفسير عبد الرزاق ١٢٠/١ .

وأما قوله: ﴿يَحْيَىٰ﴾ . فإنه اسم أصله ^(١) «يَفْعَلُ» ، من قول القائل: حَيَّيْ فلانٌ فهو يَحْيَا ، وذلك إذا عاش . فـ «يَحْيَى» «يَفْعَلُ» ، من قولهم: حَيَّيْ . وقيل: إن الله جل ثناؤه سماه بذلك لأنه يُتَأَوَّلُ اسمه: أحياء بالإيمان .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ ، قال: ثنا يزيدٌ ، قال: ثنا سعيدٌ ، عن قتادة: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ . يقول: عبدٌ أحياءه الله بالإيمان ^(٢) .

حدَّثني المثنى ، قال: ثنا إسحاقٌ ، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادة قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ . قال: إنما سُمِّيَ يَحْيَى ^(٣) لأن الله أحياه بالإيمان ^(٤) .

القول في تأويل قوله: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ .

يعنى بذلك ^(٥) جل ثناؤه: إن الله يُبَشِّرُكَ يا زكريا بيحى ابنك ، مصدقاً بكلمة من الله . يعنى: بعيسى ابن مريم .

ونُصِبَ قوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾ على القطع من «يحى» ؛ لأنَّ ﴿مُصَدِّقًا﴾ نعتٌ له وهو نكرةٌ ، و«يحى» غيرُ نكرةٍ .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني عبد الرحمن بن الأسود الطفاوى ، قال: ثنا محمد بن ربيعة ، قال: ثنا

(١) في م: «صلة» .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤١/٢ (٦٤٥٥) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٣) بعده في ص ، ت ٢: «قال» .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٢/٢ (٣٤٥٧) من طريق عبد الله بن أبي جعفر به .

(٥) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س: «بقوله» .

النَّضْرُ بْنُ عَرَبِيِّ ، عَنْ مجاهد ، قال : قالت امرأة زكريا لمريم : إني أجدُ الذي في بطنى يتحركُ للذى في بطنك . قال : فوضعت امرأة زكريا يحيى ، ومريم عيسى ؛ ولذا قال : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قال : يحيى مُصَدِّقٌ بعيسى ^(١) .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيح ، عن الرقاشى فى قولِ الله : ﴿ يَبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قال : مُصَدِّقًا بعيسى ابنِ مريم ^(٢) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابنِ أبى نجيح ، عن مجاهدٍ مثله ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادةُ فى قوله : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قال : مُصَدِّقًا بعيسى .

/ حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . يقول : مُصَدِّقٌ بعيسى ابنِ مريم ، وعلى سنَّته ^(٤) ومنهاجه .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . يعنى : بعيسى ابنِ مريم ^(٥) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . يقول : مصدقًا بعيسى ابنِ مريم . يقول : على

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢١١ إلى المصنف .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٤٢ عقب الأثر (٣٤٥٨) معلقا .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥١ .

(٤) فى م : « سننه » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٠ ، ومن طريقه ابن عساكر ٦٤/١٧٥ .

سَنِيهِ ^(١) وَمِنْهَا جِهَةٌ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا [٤٠٥/١] إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ،
عَنْ الرَّبِيعِ : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قَالَ : كَانَ أَوَّلَ رَجُلٍ صَدَّقَ عِيسَى ، وَهُوَ
كَلِمَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرُوحٌ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ : ﴿ مُصَدِّقًا
بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ : يُصَدِّقُ بَعِيسَى ^(٣) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ بْنُ سَلِيمَانَ ،
قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَنْ اللَّهَ يَبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ
اللَّهِ ﴾ : كَانَ يَحْيَى أَوَّلَ مَنْ صَدَّقَ بَعِيسَى ، وَشَهِدَ أَنَّهُ كَلِمَةٌ مِنَ اللَّهِ ، وَكَانَ يَحْيَى
ابْنَ خَالَةِ عِيسَى ، وَكَانَ أَكْبَرَ مِنْ عِيسَى ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ سِمَاكِ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قَالَ : عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هُوَ الْكَلِمَةُ مِنَ
اللَّهِ ، اسْمُهُ الْمَسِيحُ ^(٥) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ :
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قَالَ : كَانَ عِيسَى وَيَحْيَى ابْنَيْ
خَالَةٍ ، وَكَانَتْ أُمُّ يَحْيَى تَقُولُ لِمَرْيَمَ : إِنِّي أَجِدُ الَّذِي فِي بَطْنِي يَسْجُدُ لِلَّذِي فِي

(١) السَّنَى : الطَّرِيقَةُ . اللِّسَانُ (س ن ن) .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٤٢/٢ عَقِبَ الْأَثَرِ (٣٤٥٨) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٤٢/٢ عَقِبَ الْأَثَرِ (٣٤٥٨) مِنْ طَرِيقِ عَمْرُو بْنِ حَمَادٍ بِهِ .

(٤) عَزَاهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٢١/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٤٢/٢ (٣٤٥٨) مِنْ طَرِيقِ وَكَيْعٍ بِهِ .

بطنك ، فذلك تصديقه بعيسى ، سجوده^(١) فى بطنِ أمّه ، وهو أولُ من صدّق بعيسى وكلمة عيسى ، ويحيى أكبرُ من عيسى^(٢) .

حدّثنى محمدُ بنُ سعيد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمّى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أَنْ اللَّهَ يَبْشُرَكَ بِحَيِّ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ . قال : الكلمة^(٣) التى صدّق بها عيسى^(٤) .

حدّثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لقيتُ أمّ يحيى أمّ عيسى ، وهذه حاملٌ يحيى وهذه حاملٌ بعيسى ، فقالت امرأةُ زكريا : يا مريمُ ، أشعرتُ أنى حُبلى . قالت مريمُ : أشعرتُ أنى أيضًا حُبلى . قالت امرأةُ زكريا : فإنى وجدت ما فى بطنى يسجدُ لما فى بطنك . فذلك قوله : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾^(٥) .

حدّثنى محمدُ بنُ بشارٍ^(٦) ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفى ، عن عبّاد ، عن الحسنِ فى قولِ الله : ﴿ أَنْ اللَّهَ يَبْشُرَكَ بِحَيِّ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ . قال : مُصَدِّقًا بعيسى ابنِ مريمٍ^(٧) .

وقد زعم بعضُ أهلِ العلمِ بلغاتِ العربِ من أهلِ البصرة^(٨) ، أن معنى قوله :

(١) فى تفسير ابن كثير : « تصديقه له » .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٠/٢ عن ابن جريج ، عن ابن عباس ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢١/٢ إلى المصنف .

(٣) سقط من : س ، وفى ص ، ت ، ١ ، ت ٢ : « كلمة » .

(٤) ينظر تفسير ابن كثير ٣٠/٢ .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢١/٢ إلى المصنف .

(٦) فى م : « سنان » .

(٧) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٢/٢ عقب الأثر (٣٤٥٨) معلقا .

(٨) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ٩١/١ .

﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ : / بكتابه من الله . من قول العرب : أنشدني فلان ٢٥٤/٣
كلمة كذا . يُرادُ به قصيدة كذا . جهلاً منه بتأويل الكلمة ، واجترأ على ترجمة
القرآن برأيه .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ : وشريفاً في العلم والعبادة .

ونصب « السيد » عطفاً على قوله : ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ .

وتأويل الكلام ، أن الله يُبَشِّرُك بيهي مصدقاً بهذا سيِّداً .

والسيِّدُ الفِيعِلُ^(١) ، من قول القائل : ساد يَسُوْدُ .

كما حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ :

إى والله ، لسيِّدٌ فى العبادة والحليم والعلم والورع^(٢) .

حدثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا سليمان^(٣) ، قال : ثنا أبو هلالٍ ، قال : ثنا قتادة فى

قوله : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : السيِّدُ - لا أعلمه إلا قال - : فى العلم والعبادة^(٤) .

حدثت عن عَمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادة ، قال : السيِّدُ

الحليم^(٥) .

حدثنا ابنُ وَكَيْعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن شريكٍ ، عن سالمِ الأقطسِ ، عن سعيدِ بنِ

جُبَيْرٍ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : الحليم^(٥) .

(١) فى ت ١ ، س : « الفعيل » .

(٢) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٤٠٤/٢ .

(٣) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٤٠٤/٢ ، والقرطبى فى تفسيره ٧٧/٤ ، وابن كثير فى تفسيره ٣٠/٢ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٢/٢ عقب الأثر (٣٤٥٩) معلقا .

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه ٣٣٧/٨ ، ٥٦٢/١١ ، وابن عساكر فى تاريخه ١٧٦/٦٤ من طريق وكيع به .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحِمَانِيُّ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن سالمٍ ، عن سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ قال : السَّيِّدُ التَّقِيُّ ^(١) .

حدثني مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قال : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عن عَيْسَى ، عن ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عن مجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : السَّيِّدُ الْكَرِيمُ عَلَى اللَّهِ ^(٢) .

حدثني الْمُثَنَّى ، قال : ثنا أَبُو حذيفةَ ، قال : ثنا شَيْبَلٌ ، قال : زَعَمَ الرَّقَاشِيُّ أَنَّ السَّيِّدَ الْكَرِيمُ عَلَى اللَّهِ ^(٣) .

حدثني الْمُثَنَّى ، قال : ثنا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ ، قال : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ قال : السَّيِّدُ الْحَلِيمُ التَّقِيُّ ^(٤) .

حدثت عن الحسين ، قال : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قال : أَخْبَرَنَا عبيدُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قال : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : يَقُولُ : تَقِيًّا حَلِيمًا ^(٥) .

حدثني المثني ، قال : ثنا إِسْحَاقُ ، قال : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ، عن سَفِيَانَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : حَلِيمًا تَقِيًّا ^(٦) .

(١) أخرجه ابن عساکر فی تاریخه ١٧٦/٦٤ من طرق عن شريك به بألفاظ مختلفة .

(٢) أخرجه ابن عساکر فی تاریخه ١٧٦/٦٤ من طريق ابن أبي نجیح به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فی تفسیره ٦٤٣/٢ (٣٤٦٢) من طريق ابن أبي نجیح ، عن الرقاشی .

(٤) أخرجه الخرائطی فی المنتقى (٢٦٦) من طريق هشيم به .

(٥) أخرجه ابن عساکر فی تاریخه ١٧٨/٦٤ من طريق جویر ، عن الضحاک .

(٦) أخرجه ابن عساکر فی تاریخه ١٧٩/٦٤ من طريق سعيد بن عبد الرحمن ، عن سفیان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد في قوله : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ .
قال : السيد الشريف^(١) .

حدثني سعيد بن عمرو السكوني^(٢) ، قال : ثنا بَقِيَّةُ بن الوليد ، عن عبد الملك ،
عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب في قول الله عز وجل : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ .
قال : السيد الفقيه العالم^(٣) .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن
أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : يقول : حليماً تقياً^(٤) .

/ حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي بكر ، عن
عكرمة : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : السيد الذي لا يعلبه الغضب^(٥) .

٢٥٥/٣

القول في تأويل قوله : ﴿ وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٣٩) .

يعنى بذلك مُتَّبِعًا مِّن جَمَاعِ النِّسَاءِ ، مِّن قَوْلِ القَائِلِ : حَصِرْتُ مِّن كَذَا
أَحْصَرَ . إِذَا امْتَنَعَ مِنْهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : حَصِرَ فُلَانٌ فِي قِرَاءَتِهِ . إِذَا امْتَنَعَ مِنَ القِرَاءَةِ فَلَمْ
يَقْدِرْ عَلَيْهَا ، وَكَذَلِكَ حَصِرَ العَدُوُّ : حَبَسَهُمُ النَّاسُ وَمَنَعَهُمْ إِيَّاهُمْ التَّصَرُّفَ . وَلِذَلِكَ
قِيلَ لِلذِّي لَا يُخْرِجُ مَع نُدْمَائِهِ^(١) شَيْئًا : حَصُورًا . كَمَا قَالَ الأَخْطَلُ^(٢) :

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٠٤/٢ .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « السكري » . وينظر تهذيب الكمال ١٧/١١ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٢/٢ (٣٤٥٩) عن محمد بن سعد به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٢/٢ (٣٤٦٠) ، والخراطي في المنتقى (٢٦٥) ، وابن عساكر في

تاريخه ١٧٧/٦٤ ، ١٧٨ من طريق أبي بكر الهذلي به .

(٥) الندماء : جمع نديم ، وهو الجالس على الشراب : اللسان (ن د م) .

(٦) شرح ديوانه ص ٧٩ .

وَشَارِبٍ مُّزَبِّجٍ^(١) بِالكَأْسِ نَادِمَتْنِي لَا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا بَسْوَارٍ^(٢)
 [٤٠٥/١ظ] وَيُزَوَّى : بَسَّارٍ^(٣) . وَيُقَالُ أَيْضًا لِلذِّي لَا يُخْرِجُ سِرَّهُ وَيَكْتُمُهُ :
 حَصُورًا . لِأَنَّهُ يَمْنَعُ سِرَّهُ أَنْ يَظْهَرَ ، كَمَا قَالَ جَرِيْرٌ^(٤) :

وَلَقَدْ تَسَقَّطْنِي^(٥) الْوُشَاةُ فَصَادَفُوا حَصِيرًا بِسِرِّكَ يَا أُمَيْمُ ضَمِينًا
 وَأَصْلُ جَمِيعِ ذَلِكَ وَاحِدٌ ، وَهُوَ الْمَنْعُ وَالْحَبْسُ .
 وَبِمَثَلِ الذِّي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ خَلْفٍ ، قَالَ : ثنا حمادُ بْنُ شُعَيْبٍ ، عن عاصمٍ ،
 عن زِرِّ ، عن عبدِ اللهِ في قوله : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ ، قَالَ : « الْحَصُورُ الذِّي لَا يَأْتِي
 النِّسَاءَ »^(٦) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عن ابنِ إِسْحَاقَ ، عن يحيى بنِ سَعِيْدٍ ، عن
 سَعِيْدِ بنِ الْمَسِيْبِ أَنَّهُ قَالَ : ثنا ابْنُ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ : « كُلُّ بَنِي
 آدَمَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ يَحْيَى بنِ زَكَرِيَّا » . قَالَ : ثُمَّ دَلَّى رَسُوْلُ

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ٢ : « مرجع » ، وفي س : « مزجج » .

(٢) الشَّوَارُ : الذِّي تَسُوْر الخمر في رأسه سريعًا . تاج العروس (س و ر) .

(٣) اسم فاعل على غير قياس عن : سأر وأسار . وأسار منه شيئًا : أبقاه وأفضله . التاج (س أ ر) .

(٤) ديوانه ٣٨٧/١ .

(٥) في ص ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تساقطني » ، وفي س : « ساقطني » . وتَسَقَّطْنِي : طلب الوشاة سَقَطَهُ .

التاج (س ق ط) .

(٦ - ٦) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وفي ص بياض بقدر كلمة .

والأثر أخرجه البيهقي ٨٣/٧ - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ١٧٥/٦٤ - من طريق عاصم به .

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدُهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَأَخَذَ عُويْدًا صَغِيرًا ، ثُمَّ قَالَ : « وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا لِلرِّجَالِ إِلَّا مِثْلَ هَذَا الْعُويْدِ ، وَبِذَلِكَ سَمَّاهُ اللَّهُ سَيِّدًا وَحَصُورًا »^(١) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ : لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا يَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَا ذَنْبٍ ، إِلَّا يَحْيَى بْنُ زَكْرِيَا ، كَانَ حَصُورًا مَعَهُ مِثْلُ الْهُدْبَةِ .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْقُرَشِيُّ ، قَالَ :^(٢) ثَنَا مُحَمَّدُ^(٣) بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ :^(٢) ثَنَا شَعْبَةُ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ :^(٢) قَالَ ابْنُ الْعَاصِ - إِمَّا عَبْدُ اللَّهِ وَإِمَّا أَبُوهُ - : مَا أَحَدٌ يَلْقَى اللَّهَ إِلَّا وَهُوَ ذُو ذَنْبٍ ، / إِلَّا يَحْيَى بْنُ زَكْرِيَا . قَالَ :
٢٥٦/٣ وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ^(٢) : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ . قَالَ : الْحَصُورُ الَّذِي لَا يَعْشَى^(٤) النِّسَاءَ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِلَّا مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ^(٥) .

حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو السَّكُونِيُّ ، قَالَ : ثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قَالَ : الْحَصُورُ الَّذِي لَا يَشْتَهِي النِّسَاءَ . ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَأَخَذَ نَوَاقِفًا فَقَالَ : مَا كَانَ مَعَهُ إِلَّا مِثْلُ هَذِهِ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في العلل (١٩١٣) من طريق سلمة به ، وأخرجه الحاكم ٣٧٣/٢ ، وابن عساكر في تاريخه ١٧٤/٦٤ من طريق ابن إسحاق به .

(٢ - ٢) سقط من : س .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عمر » . وتقدم على الصواب في ٤٨٩/٣ .

(٤) في س : « يشتهي » .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١١ / ٥٦١ ، ٥٦٢ ، وأحمد في الزهد ص ٩٠ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٣/٢ (٣٤٦٥) من طريق يحيى بن سعيد به نحوه .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ ، قال : الحَصُورُ الذي لا يَأْتِي النساءَ ^(١) .
 حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن عطاءٍ ، عن سعيدٍ مثله ^(٢) .
 حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا حَكَّامٌ ، عن عمرو ، عن عطاءٍ ، عن سعيدٍ مثله .

حدَّثني عبدُ الرحمنِ بنُ الأسودِ ، قال : ثنا محمدُ بنُ ربيعةَ ، قال : ثنا النَّضْرُ بنُ عَرِيْبٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : الذي لا يَأْتِي النساءَ ^(٣) .
 حدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : الحَصُورُ الذي ^(٤) لا يَقْرُبُ النساءَ ^(٥) .
 حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، قال : زعم الرِّقَاشِيُّ : الحَصُورُ الذي لا يَقْرُبُ النساءَ .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بنُ عَوْنٍ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضَّحَّاكِ : الحَصُورُ الذي لا يُولَدُ له ، وليس له ماءٌ ^(٦) .
 حدَّثت عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال سمعت أبا مُعَاذٍ ، قال : أخبرنا عُبيدُ بنُ

(١) تفسير سفيان ص ٧٦ ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ١٧٧/٦٤ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٢ عن عطاء به .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٧٨/٦٤ من طريق سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد .

(٤) سقط من : ص ، م .

(٥) تفسير مجاهد ص ٢٥١ ، ومن طريقه البيهقي ٨٣/٧ ، وابن عساكر في تاريخه ١٧٧/٦٤ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٤/٢ (٣٤٦٨) من طريق جوير به .

سليمان ، قال : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : هو الذي لا ماء له .

^(١) حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قال : ثنا يزيد^(٢) ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ : كنا نُحَدِّثُ أَنَّ الحَصُورَ الذي لا يَقْرُبُ النساءَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قال^(١) : ثنا سليمانُ ، قال : ثنا أبو هلالٍ ، قال : ثنا قتادةُ في قوله : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ . قال : الحَصُورُ الذي لا يَأْتِي النساءَ .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارِ بْنِ الحَسَنِ ، قال : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةٍ مثله .

حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرِّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا معمرٌ ، عن قتادةٍ مثله^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا جَرِيرٌ ، عن قابوسٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عَبَّاسٍ ، قال : الحَصُورُ الذي لا يُنْزِلُ الماءَ^(٤) .

حَدَّثَنِي يونسٌ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، عن ابنِ زَيْدٍ : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : الحَصُورُ الذي لا يَأْتِي النساءَ .

٢٥٧/٣ / حَدَّثَنِي موسى ، قال : ثنا عَمْرُو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن الشَّدِيِّ :

(١ - ١) سقط من : س .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ت ٣ : « سويد » . وهو إسناد دائر .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٠ ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ١٧٥/٦٤ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤٣ (٣٤٦٧) ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ١٧٥/٦٤ من

طريق جرير به .

﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : الحَصُورُ الذي لا يُريدُ النساءَ .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عبّاد ، عن الحسن :

﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : الذي ^(١) لا يَقْرُبُ النساءَ ^(٢) .

وأما قوله : ﴿ وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ . فإنه يعنى : رسولاً لربه إلى قومه ،

يُنَبِّئُهُم عنه بأمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، وَيُلِّغُهُم عنه ما أُرْسِلَ به إليهم .

ويعنى بقوله : ﴿ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ : من أنبيائه الصالحين .

وقد دللنا فيما مضى على معنى « النبوة » وما أصلها ، بشواهد ذلك والأدلة

الدالة على الصحيح من القول فيه بما أغنى عن إعادته ^(٣) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ

وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ ﴾ .

يعنى أن زكريّا قال إذ نادته الملائكة ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِبَحِيٍّ مَّصَدَقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ

اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ - : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ

الْكِبَرُ ﴾ . يعنى : من بلغ من السن ما بلغت لم يولد له ، ﴿ وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ ﴾

والعاقرة من النساء التى لا تلد . يقال منه : امرأة عاقرة ، ورجل عاقرة . كما قال عامر ابن

الطُّفَيْلِ ^(٤) :

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٢) ينظر التبيان ٤٥٢ / ٢ .

وقال القاضى فى الشفا ١ / ١١٦ : اعلم أن ثناء الله على يحيى بأنه حصور ليس كما قال بعضهم : إنه كان

هَيُوبًا ، أو لا ذكر له ، بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء ، وقالوا : هذه نقيصة وعيب ولا نليق بالأنبياء ،

ولما معناه أنه معصوم من الذنوب ، أى : لا يأتيها ، كأنه حصر عنها ... وينظر تفسير ابن كثير ٢ / ٣١ .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٢ / ٣٠ ، ٣١ .

(٤) مجاز القرآن ١ / ٩٢ .

[٤٠٦/١] لَيْسَ الْفِتْنَىٰ إِنْ كُنْتُمْ عَلَمَاقِرًا جَبَانًا فَمَا عُذْرِي لَدَىٰ كُلِّ مَحْضَرٍ
وَأَمَّا « الْكِبْرُ » فمصدرٌ : كِبِرَ فُلَانٌ فَهُوَ يَكْبُرُ كِبْرًا .

وقيل : ﴿ بَلَّغْنِي الْكِبْرُ ﴾ . وقد قال في موضع آخر : ﴿ قَدْ بَلَّغْتُ مِنْ
الْكَبْرِ ﴾ [مریم : ٨] ؛ لأن ما بلغك فقد بلغته ، وإنما معناه : قد كَبُرْتُ . وهو كقول
القائل : قد بلغني الجهدُ . بمعنى : إنى في جهدي .

فإن قال قائل : وكيف قال زكريا ، وهو نبيُّ الله : ﴿ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ
بَلَّغْنِي الْكِبْرَ وَأَمْرًا قَرِيًّا ﴾ . وقد بشرته الملائكة بما بشرته به عن أمرِ الله إياها
به ؟ أشكُّ في صدقهم ؟ فذلك ما لا يجوز أن يُوصَفَ به أهلُ الإيمانِ بالله ، فكيف
الأنبياء والمرسلون ؟ أم كان ذلك منه استنكارًا لقدرة ربِّه ، فذلك أعظمُ في البليَّةِ ؟

قيل : كان ذلك منه ﷺ على غير ما ظننت ، بل كان قيله ما قال من ذلك كما
حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدِّي : لما سَمِعَ النداءَ -
يعني زكريا لما سَمِعَ نداءَ الملائكة بالبشارة [٣٩٠/١] ظ [بيحيى - جاءه الشيطان فقال
له : يا زكريا ، إن الصوت الذي سمعت ليس هو من الله ، إنما هو من الشيطان يشخرُ
بك ، ولو كان من الله أوحاه إليك كما يُوحى إليك في غيره من / الأمر . فشكَّ
مكانه وقال : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ ذَكَرْتُ ؟ يقول : من أين ﴿ وَقَدْ بَلَّغْنِي الْكِبْرَ
وَأَمْرًا قَرِيًّا ﴾ ^(١) ؟

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن
عكرمة ، قال : فاتاه الشيطان ، فأراد أن يُكَدِّرَ ^(١) عليه نعمة ربِّه ، فقال : هل تدري

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٤/٢ (٣٤٧٣) من طريق عمرو به .

(٢) في ت ، ٢ ، ٣ : « يكذب » .

مَنْ ناداك؟ قال: نعم، نادتنى^(١) ملائكة ربى. قال: بل ذلك الشيطان، لو كان هذا^(٢) من ربك لأخفاه إليك كما أخفيت نداءك. فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾^(٣).

فكان قوله ما قال من ذلك، ومراجعتُه ربَّه فيما راجع فيه بقوله: ﴿أَنْى يَكُونُ لِي عُلْمٌ﴾. للوسوسة التي خالطت قلبه من الشيطان، حتى خيّلت إليه أن النداء الذى سمعه كان نداءً من غير الملائكة فقال: ﴿رَبِّ أَنْى يَكُونُ لِي عُلْمٌ﴾. مُسْتَشْبِتًا فى أمره، لِيَتَقَرَّرَ عنده بآية، يُرِيه الله فى ذلك أنه بشارَةٌ من الله على ألسن ملائكتِه، ولذلك قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾.

وقد يجوز أن يكون قِيلَه ذلك مسألة منه ربَّه: من أى وجه يكون الولد الذى بُشِّرَ به، أمين زوجته؟ فهى عاقرة، أم من غيرها من النساء؟ فيكون ذلك على غير الوجه الذى قاله عكرمة والشُدِّىّ ومن قال مثل قولهما.

القول فى تأويل قوله: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ﴾: أى هو: ما وصف به نفسه أنه هَيِّنٌ عليه أن يَخْلُقَ ولدًا من الكبير الذى قد يئس من الولد، ومن العاقرة التى لا يُوجِبى من مثلها الولادة، كما خلقت يازكريا من قبل خلق الولد منك ولم تك شيئًا؛ لأنه الله الذى لا يَتَعَدَّرُ عليه خلقُ شىءٍ أراده، ولا يمتنع عليه فعلُ شىءٍ شاء؛ لأن قدرته القدرة التى لا يُشَبِّهها قدرة.

كما حدثنى موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن الشُدِّىّ، قال:

(١) فى م، ت، ١، س: «نادانى».

(٢) فى س: «نداء».

(٣) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٤٠٨/٢، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٢/٢ إلى المصنف.

﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾^(١) ، ﴿ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾
[مريم : ٩] .

القول في تأويل قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه - خبيرًا عن زكريا - قال زكريا : رب إن كان هذا النداء الذى نُودِيته ، والصوت الذى سمعته صوت ملائكتك ، وبشارة منك لى ، فاجعل لى ﴿ آيَةً ﴾ ، يقول : علامة أن ذلك كذلك ؛ ليُرْوَل عَنى ما قد وسوس إلى الشيطان فألقاه فى قلبى ، من أن ذلك صوت غير الملائكة ، وبشارة من ^(٢) عند غيرك .

كما حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدى : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾^(٣) قال : قال ^(٣) - يعنى زكريا - : يارب ، فإن كان هذا الصوت منك فاجعل لى آية ^(٤) .

وقد دللنا فيما مضى على معنى « الآية » وأنها العلامة ، بما أعنى عن إعادته ^(٥) .

/ وقد اختلف أهل العربية فى سبب ترك العرب همزها ، ومن شأنها همز كل ياء جاءت بعد ألف ساكنة ؛ فقال بعضهم : ترك همزها لأنها كانت « آية » ، فثقل عليهم التشديد ، فأبدلوه ألفا ؛ لانفتاح ما قبل التشديد ، كما قالوا : أيما فلان فأخزاه الله . وقال آخرون منهم : بل هى « فاعلة » منقوصة . فسيئلوا ، فقيل لهم : فما بال العرب تُصغَرُها « أُيَّة » ، ولم يقولوا : « أُويَّة » ؟ فقالوا : قيل ذلك كما قيل فى

٢٥٩/٣

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٤/٢ (٣٤٧٣) من طريق عمرو به .

(٢ - ٢) فى س : « عندك » .

(٣) سقط من : س .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٥/٢ (٣٤٧٥) من طريق عمرو به .

(٥) ينظر ما تقدم فى ١٠٤/١ .

فاطمة : هذه فُطَيْمَةٌ . فقيل لهم : فإنهم إنما ^(١) يُصَغَّرُونَ « فاعلة » على « فُعَيْلَةٌ » ، إذا كان اسماً فى معنى فلانٍ وفلانة ، فأما فى غير ذلك ، فليس من تصغيرهم « فاعلة » على « فُعَيْلَةٌ » .

وقال آخرون : إنه « فَعْلَةٌ » ، صُبِّرَتْ ياؤها الأولى أَلْفًا كما فُعِلَ بـ « حاجة » و « قامية » . فقيل لهم : إنما تَفْعَلُ العربُ ذلك فى أولادِ الثلاثة ^(٢) .

وقال مَنْ أَنْكَرَ ذلكَ مِنْ قَبْلِهِمْ : لو كان كما قالوا لَقِيلَ فى نواةٍ : « نايَةٌ » . وفى حياةٍ : « حايَةٌ » .

القول فى تأويلِ قوله : ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ .
فَعَابَتْهُ ^(٣) اللهُ عز وجل - فيما ذُكِرَ لنا - بمسألته الآية ، بعدَ مشافهةِ الملائكةِ إِيَّاهُ بالبشارةِ ، فجعلَ آيَتَهُ على تَحْقِيقِ ^(٤) ما سَمِعَ مِنَ البشارةِ مِنَ الملائكةِ يَحْيَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، آيَةٌ مِنْ نَفْسِهِ ، جَمَعَ تعالى ذِكْرَهُ بها العلامةُ التى سألها رَبَّهُ ، على ما يُبَيِّنُ له حَقِيقَةَ البشارةِ أَنها مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وتمحيصًا له من هَفْوَتِهِ ، [٤٠٦/١ ظ] وخطأً قَبْلَهُ ومسألته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعةٌ من أهلِ التأويلِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِيَّ

(١) سقط من : م .

(٢) أولاد الثلاثة وبنات الثلاثة : الاسم الثلاثى . وينظر الكتاب لسبويه ٤٢٦/٣ ، وشرح المفصل لابن يعين ١٢٢/٥ ، واللسان (أى ا) .

(٣) فى س : « فعابته » .

(٤) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « تخصيص » .

ءَايَةٌ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا ﴿١﴾ : إنما عُوقِبَ بذلك لأن الملائكة شافهته مُشافهَةً بذلك فبشّرته بيحيى ، فسأل الآية بعدَ كلامِ الملائكةِ إيَّاه ، فأخذ عليه بلسانه ، فجعل لا يُقدِرُ على الكلامِ إلا ما أومأ وأشار ، فقال الله تعالى ذكره كما تسمعون : ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا ﴾ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة في قوله : ﴿ أَنْ اللَّهَ يَبْشُرَكَ بِيَحْيَى ﴾ . قال : شافهته الملائكةُ ، فقال : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا ﴾ . يقول : إلا إيماءً ، وكانت عقوبةً عُوقِبَ بها ، إذ سأل الآية مع مشافهةِ الملائكةِ إيَّاه بما بشّرتُه به .^(١)

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قوله : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا ﴾ . قال : ذُكِرَ لنا - والله أعلم - أنه عُوقِبَ لأن الملائكةَ شافهته مُشافهَةً فبشّرتُه بيحيى ، فسأل الآية بعدَ فأخذ بلسانه^(٢) .

حدثت عن عمّارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : ذُكِرَ لنا - والله أعلم - أنه عُوقِبَ لأن الملائكةَ شافهته فبشّرتُه بيحيى ، قالت : ﴿ أَنْ اللَّهَ يَبْشُرَكَ بِيَحْيَى ﴾ . / فسأل بعدَ كلامِ الملائكةِ إيَّاه الآيةَ ، فأخذ عليه لسانه ، فجعل لا يُقدِرُ على الكلامِ ﴿ إِلَّا رَمْرًا ﴾ يقول : يُومئُ إيماءً . ٢٦٠/٣

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٠ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٤٥ (٣٤٧٨) عن الحسن به ، وتقديم أوله في ص ٣٦٩ .

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٤١٠ .

حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدٍ الْوَصَّابِيُّ ^(١) ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيرٍ ، قَالَ : ثنا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو ، عَنْ ^(٢) جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۗ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ۗ ﴾ . قَالَ : رَبًّا لِسَانَهُ فِي فِيهِ حَتَّى مَلَأَهُ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ اللَّهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ ^(٣) .

وإنما اختارت القراءة النصب في قوله : ﴿ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ﴾ . لأن معنى الكلام : قال : آيتك ألا تكلم الناس فيما يستقبل ثلاثة أيام . فكانت « أن » هي التي تصحب الاستقبال ^(٤) دون التي تصحب الأسماء ، فتتصبها ، ولو كان المعنى فيه : آيتك أنك لا تكلم الناس ثلاثة أيام . أى : أنك على هذه الحال ثلاثة أيام - كان وجه الكلام الرفع ؛ لأن « أن » كانت تكون ^(٥) حينئذ بمعنى الثقيلة خففت ، ولكن لم يكن ذلك جائزاً ؛ لما وصفت من أن ذلك بالمعنى الآخر .

وأما الرمز ، فإن الأغلب من معانيه عند العرب الإيماء بالشفقتين ، وقد يستعمل في الإيماء بالحاجيين والعينين أحياناً ، وذلك غير كثير فيهم ، وقد يقال للخفي من الكلام الذي هو مثل الهمس بخفض الصوت : الرمز . ومنه قول جُوَيْبَةَ بْنِ عَائِذٍ ^(٦) :

(١) في ص : « الوصافي » ، وفي م : « الرصافي » ، وفي ت ١ ، س : « الوصافي » . وتقدم في ص ٢٩١ .

(٢ - ٢) في م : « جوير بن نصير » .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٦/٢ (٣٤٨٢) معلقاً عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبيرة ابن نفير ، وستأتي رواية صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن ، عن أبيه في تفسير الآية (٧٤) من سورة الفرقان ، وتفسير الآية (١٠) من سورة الأحقاف .

(٤) في س : « الأفعال » . ويقصد بالاستقبال أفعال المضارعة إشارة إلى الدلالة الزمانية . مصطلحات النحو الكوفي ص ٧٤ .

(٥) سقط من : س .

(٦) في م ، ت ١ : « عابد » . وينظر بغية الوعاة ١/٤٩٠ . والبيت في التبيان للطوسي ٢/٢٤٥٥ ، والحرر

وكان تَكَلَّمُ^(١) الأبطالَ رَمَزًا وَهَمَّهَمَةً^(٢) لَهُمْ مِثْلَ الْهَدِيدِ^(٣)
يُقَالُ مِنْهُ : رَمَزَ فُلَانٌ فَهُوَ يَرْمِزُ ، وَيَرْمِزُ رَمَزًا ، وَيَرْمِزُ رَمَزًا . وَيُقَالُ : ضَرَبَهُ ضَرْبَةً
فَارْمَزَتْ مِنْهَا . أَيْ : اضْطَرَبَ لِلْمَوْتِ ، قَالَ الشَّاعِرُ^(٤) :
* حَزَزْتُ مِنْهَا لِقَفَايَ أَرْمِزُ *

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عنى الله عز وجل به في إخباره عن
زكريا من قوله : ﴿ ءَأَيْتُكَ إِلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . وأى معانى
الرمز عنى بذلك ؛ فقال بعضهم : عنى بذلك : آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا
تحريكًا بالشفقتين ، من غير أن ترمز بلسانك الكلام .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ ، عن النَّضْرِ بْنِ عَرَبِيِّ ، عن مجاهدٍ فى
قوله : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قال : تحريك الشفتين^(٥) .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى
نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قال : إيماءه بشفتيه^(٦) .

/ حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن

٢٦١/٣

(١) فى م : « يكلم » .

(٢) فى مصدرى التخريج : « وغممة » .

(٣) فى مصدرى التخريج : « الهرير » . والهدير : تردد صوت البعير فى حنجرتة ، والهرير : صوت الكلب ،
وهو دون النباح من قلة صبره على البرد . اللسان (ه د ر ، ه ر ر) .

(٤) هو صائد الضب ، وهذا عجز بيت صدره : ثم اعتمدت فجبذت جبذة . والبيت فى اللسان (ق ن ز) ،
وعجزه فى اللسان (ر م ز) .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٦/٢ (٣٤٨٠) من طريق النضر بن عربى به نحوه .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٥٢/١٩ من طريق ابن أبى نجيح به .

مجاهد مثله .

وقال آخرون : بل عنى الله بذلك الإيماء والإشارة .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ سَلْمَةَ بْنِ نُبَيْطٍ ، عَنِ الضَّحَّاكِ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قَالَ : الْإِشَارَةُ ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قَالَ : الرَّمْزُ أَنْ يُشِيرَ بِيَدِهِ أَوْ رَأْسِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عُمَى ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قَالَ : الرَّمْزُ : أَنْ أُخِذَ بِلِسَانِهِ ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّاسَ بِيَدِهِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قَالَ : وَالرَّمْزُ الْإِشَارَةُ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ الْآيَةُ . قَالَ : جَعَلَ آيَتَهُ أَلَّا يُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ، إِلَّا أَنَّهُ يَذْكُرُ اللَّهَ ، وَالرَّمْزُ الْإِشَارَةُ ، يُشِيرُ إِلَيْهِمْ .

(١) تفسير سفيان ص ٧٧ ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٢/١٩ من طريق سلمة بن نبيط به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٣/٢ إلى المصنف .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ : إِلَّا إِيمَاءً ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ مِثْلَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدْيِ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . يَقُولُ : إِشَارَةٌ ^(٣) .

[٤٠٧/١] حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحَسِينُ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ : إِلَّا إِشَارَةٌ ^(٤) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ ^(٥) سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عُبَّادٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قَالَ : أُفْسِدَكَ بِلِسَانِهِ ، فَجَعَلَ يُؤْمِئُ بِيَدِهِ إِلَى قَوْمِهِ أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ^(٦) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ .

يعنى بذلك : قال الله جل ثناؤه لركريا : يا زكريا ، آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيامٍ إلا رمزا بغيرِ حَرَسٍ ، ولا عاهية ، ولا مرضٍ ، وادكُرْ رَبَّكَ كثيرا ، فإنك لا تُمْتَعُ ذكره ، ولا يُحَالُ بينك ^(٧) وبين تسبيحه وغير ذلك من ذكره .

(١) تقدم تخريجه في ص ٣٨٦ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٦/٢ عقب الأثر (٣٤٨١) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٦/٢ عقب الأثر (٣٤٨١) من طريق عمرو به .

(٤) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤١١/٢ .

(٥) بعده في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « عمر بن » .

(٦) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤١١/٢ .

(٧) بعده في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « وبينه » .

وقد حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الْحُسَيْنُ ، قال : ثنى حَجَّاجٌ ، عن أَبِي مَعْشَرٍ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ ، قال : لو كان اللهُ رَخَّصَ لِأَحَدٍ فِي تَرْكِ الذِّكْرِ ، لَرَخَّصَ لَزَكَرِيَّا حَيْثُ قال : ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَاذْكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا ﴾ أَيْضًا ^(١) .

/ وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي : عَظَّمَ رَبَّكَ بِعِبَادَتِهِ بِالْعِشِيِّ ، وَالْعِشِيُّ : مِنْ حِينَ تَزُولُ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ تَغِيبَ ، كَمَا قال الشَّاعِرُ ^(٢) :

فَلَا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ وَلَا الفَيْءُ مِنْ بَرْدِ العِشِيِّ تَذُوقُ
فالفَيْءُ إِذَا تَبَتَّدِيءُ أَوْبَتُهُ مِنْ عِنْدِ زَوَالِ الشَّمْسِ ، وَتَتَنَاهَى بِمَغِيْبِهَا .

وَأَمَّا الإِبْكَارُ ، فَإِنَّهُ مُصَدَّرٌ مِنْ قَوْلِ القَائِلِ : أَبْكَرَ فَلَانٌ فِي حَاجَةٍ ، فَهُوَ يُبْكَرُ إِبْكَارًا . وَذَلِكَ إِذَا خَرَجَ فِيهَا مِنْ بَيْنِ مَطْلَعِ الفَجْرِ إِلَى وَقْتِ الضُّحَى ، فَذَلِكَ إِبْكَارٌ . يُقالُ فِيهِ : أَبْكَرَ ^(٣) فَلَانٌ ، وَبَكَرَ يُبْكَرُ بُكُورًا ، فَمِنْ الإِبْكَارِ قَوْلُ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ^(٤) :

* أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكَرٌ *

وَمِنْ البُّكُورِ قَوْلُ جَرِيرٍ ^(٥) :

أَلَا بَكَرَتْ سَلْمَى فَجَدُّ بُكُورُهَا وَشَقَّ العِصَا بَعْدَ اجْتِمَاعِ أَمِيرِهَا

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٢١٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٤٦ (٣٤٨٤) ، وابن عساکر في تاريخ دمشق ١٩/ ٥٢ من طريق أبي معشر به .

(٢) هو حميد بن ثور الهلالي ، والبيت في ديوانه ص ٤٠ .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بكر » .

(٤) شرح ديوانه ص ٩٢ ، وهو صدر بيت عجزه :

« عَدَاةٌ عَدِيٌّ أَمْ رَائِحٌ فَمُهْجَرٌ »

(٥) ديوانه ٢/ ٨٩٠ .

ويقال من ذلك : بَكَرَ النخْلُ يَبْكُرُ بُكُورًا ، وَأَبْكَرَ يُبْكَرُ إِبْكَارًا ، والباكورُ من الفواكه : أَوْلُهَا إِدْرَاكًا .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ . قَالَ : الإِبْكَارُ أَوَّلُ الْفَجْرِ ، وَالْعَشِيُّ مِيلُ الشَّمْسِ حَتَّى تَغِيْبَ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا سِبْلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٤٢) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : واللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ، وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ .

ومعنى قوله : ﴿ اصْطَفَاكِ ﴾ : اخْتَارَكِ وَاجْتَبَاكِ لَطَاعَتِهِ وَمَا خَصَّكَ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ .

وقوله : ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ . يعنى : طَهَّرَ دِينَكَ مِنَ الرِّيبِ وَالْأَذْنَانِ الَّتِي فِي أَدْيَانِ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤٦، ٦٤٧ (٣٤٨٦، ٣٤٨٧)، من طريق ابن أبي نجيح به، وأخرجه ابن عساکر في تاريخه ١٩/٥٢ من طريق أبي يحيى، عن مجاهد، وهو في تفسير مجاهد ص ٢٥٢ مقتصرًا على تفسير العشى .

نساءِ بنى آدمَ ، ﴿ وَأَصْطَفٰكَ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعٰلَمِيْنَ ﴾ يعنى : اختاركِ على نساءِ العالمين فى زمانِكَ بطاعتِكَ إياه ، ففَضَّلِكَ عليهم .

٢٦٣/٣ / كما روى عن رسولِ الله ﷺ أنه قال : « خيرُ نساءِها مريمُ بنتُ عمران ، وخيرُ نساءِها خديجةُ بنتُ خُوَليدٍ » يعنى بقوله : « خيرُ نساءِها » : خيرُ نساءِ أهلِ الجنة .

حدَّثنى بذلك الحسينُ بنُ عليِّ الصُّدائى ، قال : ثنا مُحاضِرُ بنُ المورِّع ، قال : ثنا هشامُ بنُ عُروة ، عن أبيه ، عن عبدِ الله بنِ جعفرٍ ، قال : سمعتُ عليًّا بالعراقِ يقولُ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « خيرُ نساءِها مريمُ بنتُ عمران ، وخيرُ نساءِها خديجةُ » ^(١) .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : ثنا المنذرُ بنُ عبدِ الله الحِزامى ، عن هشامِ بنِ عُروة ، عن أبيه ، عن عبدِ الله بنِ جعفرِ بنِ أبى طالبٍ ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « خيرُ نساءِ الجنةِ مريمُ بنتُ عمران ، وخيرُ نساءِ الجنةِ خديجةُ بنتُ خُوَليدٍ » ^(٢) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفٰكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفٰكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعٰلَمِيْنَ ﴾ :

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ص ٣٨٣ - تراجم النساء) من طريق محاضر بن المورع به ، وأخرجه عبد الرزاق (١٤٠٠٦) ، وابن أبى شيبة (١٣٤/١٢) ، وأحمد (٧٠/٢ ، ٢٥٣ ، ٣٣٨ ، ٣٨٧ ، ٦٤٠) ، ٩٣٨ ، ١١٠٩ ، ١٢١٢) ، والبخارى (٣٤٣٢ ، ٣٨١٥) ، ومسلم (٢٤٣٠) ، والترمذى (٣٨٧٧) ، والبخارى (٤٦٨ ، ٤٦٧) ، وأبو يعلى (٥٢٢) ، والبيهقى (٣٩٥٤) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (ص ٣٧٠ - ٣٧٣ - تراجم النساء) من طريق هشام بن عروة به .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه (ص ٣٧٣ - تراجم النساء) من طريق يونس ، به ، وفيه : المنذر بن عبيد ، وفيه : عن جعفر عبد الله بن جعفر ، عن على .

ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « حَسْبُكَ ^(١) بِمَرِيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ ، وَامْرَأَةَ فِرْعَوْنَ ، وَخَدِيجَةَ بِنْتِ حُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ » ^(٢) .
 قَالَ قَتَادَةُ : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « خَيْرُ نِسَاءِ رِكَبَنِ الْإِبْلِ صَوَالِحُ نِسَاءِ قَرِيشٍ ؛ أختَاهُ عَلَى وُلْدٍ فِي صِغَرِهِ ، وَأَزْغَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ » ^(٣) . قَالَ قَتَادَةُ : وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : « لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ مَرِيَمَ رَكِبَتْ الْإِبِلَ مَا فَضَّلْتُ عَلَيْهَا أَحَدًا » .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَمْرَأَتُكَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ . قَالَ : كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « خَيْرُ نِسَاءِ رِكَبَنِ الْإِبْلِ صَالِحُ نِسَاءِ قَرِيشٍ ؛ أختَاهُ عَلَى وُلْدٍ ، وَأَزْغَاهُ لِزَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ » . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَلَمْ تَزُكِّبْ مَرِيَمَ بَعِيرًا قَطُّ ^(٤) .

[٤٠٧/١] حَدَّثْتُ عَنْ عِمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَوْلَهُ : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَأَتُكَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ .
 قَالَ : كَانَ ثَابِتُ الْبُنَانِيِّ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « خَيْرُ

(١) بعده في س : « من نساء الدنيا » .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٩١٩) ، والترمذي (٣٨٧٨) ، وأحمد ١٣٥/٣ (١٢٤١٤) موصولاً من حديث أنس .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ١٢/١٧٤ ، وابن أبي عاصم في السنة (١٥٣٣) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٨١ - تراجم النساء) موصولاً من حديث أبي هريرة .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « صلح » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٠ ، والبخاري (٣٤٣٤) ، ومسلم (٢٠١/٢٥٢٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٨٨) ٦٧٤/٢ من طريق الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة مرفوعاً .

نساء العالمين أربع، مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد^(١).

حدثني المثنى، قال: ثنا آدم العسقلاني، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا عمرو بن مروة، قال: سمعت مروة الهمداني يحدث عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد»^(٢).

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو الأسود المصري، قال: ثنا ابن لهيعة، عن عمارة ابن عزيّة، عن محمد بن عبد الله^(٣) بن عمرو بن عثمان، أن فاطمة بنت حسين ابن علي حدثته، أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: دخل رسول الله ﷺ يوماً وأنا عند عائشة، فناجاني فبكيته، ثم ناجاني فضحكك، فسألتني عائشة عن ذلك، فقلت: لقد عجبت، أخبرك بسر رسول الله ﷺ؟! فتركتني، فلما توفى رسول الله ﷺ، سألتها عائشة، فقالت: نعم، ناجاني فقال: «جبريل كان يعارض القرآن كل عام مرة، وإنه قد عارض القرآن مرتين، وإنه ليس من نبي إلا عمر نصف عمر الذي كان قبله، وإن عيسى أخى كان عمره عشرين ومائة سنة، وهذه

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٧٨- تراجم النساء) من طريق أبي جعفر به، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٤٠٤/٩، وابن عساكر ص ٣٧٧، ٣٧٨ من طريق أبي جعفر عن محمد بن سعيد عن ثابت به.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٣، ٣٧٦٩) من طريق آدم به، وأخرجه ابن أبي شيبة (١٢/١٢٨)، وأحمد (٤/٣٩٤)، ٤٠٩ (اليمينية)، والبخاري (٣٤١١، ٥٤١٨)، ومسلم (٢٤٣١)، وابن ماجه (٣٢٨٠)، والترمذي (١٨٣٤)، والطحاوي في المشكل (١٥٠)، وابن حبان (٧١١٤)، والطبراني ٢٣/ (١٠٦)، والبعقوي (٣٩٦٢) من طريق شعبة به.

(٣) (٣-٣) في النسخ: «عبد الرحمن». والمثبت من مصادر التخريج. وينظر تهذيب الكمال ٥١٦/٢٥.

لى سِتُون ، وأَحْسَبُنِي مِيتًا فى عامى هذا ، وإنه لم تُزْرَأْ امرأةٌ من نساءِ العالمين بمثل ما
زُرِئْتِ ، ولا تكونى دونَ امرأةٍ صبرًا . قالت : فبِكَيْتُ ، ثم قال : « أَنْتِ سيدةُ نساءِ
أهلِ الجنةِ إلا مريمَ البتُولَ » . فتَوَفَّى عامه ذلك ^(١) .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو الأسود ، قال : ثنا ابنُ لَهَيْعَةَ ، عن عمرو بن
الْحَارِثِ ، أن أبا زيادِ الحِمَيْرِيَّ حدَّثه أنه سمِعَ عمارَ بنَ سعديٍّ يقولُ : قال رسولُ
اللهِ ﷺ : « فَضِّلْتُ خديجةَ على نساءِ أُمَّتى ، كما فَضِّلْتُ مريمَ على نساءِ
العالمين » ^(٢) .

وبمثلِ الذى قلنا فى معنى قوله : ﴿ وَطَهَّرَكَ ﴾ - أنه : وَطَهَّرَ دِينَكَ مِنَ الدَّنَسِ
وَالرَّيْبِ - قال مجاهدٌ .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نُجَيْجٍ ،
عن مجاهدٍ فى قولِ الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ ﴾ قال : جعلك طيبةً إيمانًا ^(٣) .
حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةً ، قال : ثنا شَيْبَلٌ ، عن ابنِ أبى نُجَيْجٍ ، عن
مجاهدٍ مثله .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا الحجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ :
﴿ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ قال : ذلك للعالمين يومئذٍ ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (٢٩٦٥ ، ٢٩٧٠) ، والدولابى فى الذرية الطاهرة (١٩٤) ،
والطحاوى فى المشكل (١٤٦ ، ١٩٣٧) ، والطبرانى ٢٢/٤١٧ ، ٤١٨ (١٠٣١) ، والبيهقى فى الدلائل ٧/
١٦٥ ، والخطيب فى الكفاية ١/٣٣١ ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٧/٤٨١ من طريق ابن غزيرة به .
(٢) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/٤١٦ عن المصنف ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢٣ إلى المصنف .
(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٢ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٤٧ (٣٤٨٩) .
(٤) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/٤١٥ ، والقرطبى فى تفسيره ٤/٨٢ .

وكانت الملائكة - فيما ذكر ابن إسحاق - تقول ذلك لمريم شفاها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، قال : كانت مريم حبيسا في الكنيسة ، ومعها في الكنيسة غلام اسمه يوسف ، وقد كان أمه وأبوه [٣٩٢/١] جعلاه نذيرا حبيسا ، فكانا في الكنيسة جميعا ، وكانت مريم إذا نفد ماؤها وماء يوسف ، أخذتا قلتيهما ، فانطلقا إلى المفازة التي فيها الماء الذي يستغديان منه ، فيملآن قلتيهما ، ثم يرجعان ^(١) إلى الكنيسة ، والملائكة في ذلك مقبلتة على مريم : ﴿ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفٰكَ وَطَهَّرَكَ وَطَهَّرَكَ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعٰلَمِيْنَ ﴾ . فإذا سمع ذلك زكريا ، قال : إن لابنة عمران لشفانا ^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ يَمْرِيْمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ

الرَّكْعِيْنَ ﴾ ﴿٤٢﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله - خبرا عن قيل ملائكته لمريم - : ﴿ يَمْرِيْمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ ﴾ :
أخلصى الطاعة لربك وحده .

وقد دللنا على معنى « القنوت » بشواهد فيما مضى قبل ، والاختلاف بين أهل التأويل فيه فى هذا الموضع نحو اختلافهم فيه هنالك ^(٣) .

وسند كقول بعضهم أيضا فى هذا الموضع ؛ فقال بعضهم : معنى ﴿ أَقْنِي ﴾ :
أطيلي الركود ^(٤) .

(١) بعده فى ص ، ت ٢ : « بها » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ٥٩٣/١ مختصرا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢٣ ، ٢٤ إلى المصنف .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٢/٤٦١ ، ٤٦٤ .

(٤) فى س ، ت ٢ : « الركوع » .

/ ذكر من قال ذلك

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ يَمْرِيءُ أَقْنِي لِرَبِّكَ ﴾ قال : أطيلي الركود . يعنى القنوت ^(١) .

حدَّثني المشنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ أَقْنِي لِرَبِّكَ ﴾ قال : قال مجاهد : أطيلي الركود في الصلاة . يعنى القنوت .

حدَّثني المشنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : لما قيل لها : ﴿ يَمْرِيءُ أَقْنِي لِرَبِّكَ ﴾ . قامت حتى ورم كعباها ^(٢) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد الله بن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : لما قيل لها : ﴿ يَمْرِيءُ أَقْنِي لِرَبِّكَ ﴾ قامت حتى ورمت قدمها ^(٣) .

حدَّثني المشنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن مجاهد : ﴿ أَقْنِي لِرَبِّكَ ﴾ . قال : أطيلي الركود ^(٤) .

حدَّثت عن عمّار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ يَمْرِيءُ

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٦٩ - تراجم النساء) من طريق ابن أبي نجيح به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٨/٢ (٣٤٩٤) من طريق ابن إدريس به . وأخرجه ابن أبي الدنيا في التهجذ وقيام الليل (٢١٨) من طريق ابن إدريس ، عن أبيه ، عن مجاهد .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٦٨ - تراجم النساء) من طريق ابن إدريس به نحوه .

(٤) تفسير سفيان ص ٧٧ ، وتفسير عبد الرزاق ١/١٢٠ ، ومن طريق سفيان ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٦٨ - تراجم النساء) وعندهم : عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مجاهد ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٢٩٨/٣ من طريق سفيان به بدون ذكر الحكم .

أَقْنَتِي لِرَبِّكَ ﴿١﴾ قال : القنوتُ الركودُ ، يقولُ : قومي لربِّك في الصلاة . يقولُ :
ازكُدى لربِّك ، أي : انتصبي [٤٠٨/١] له في الصلاة ، ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ
الرَّكَعَاتِ﴾ ^(١) .

حدَّثني محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن سفيانَ ، عن ليثٍ ، عن
مجاهدٍ : ﴿يَمْرِيْمُ أَقْنَتِي لِرَبِّكَ﴾ قال : كانت تصلي حتى ترمَ قدميها ^(٢) .

حدَّثني ابنُ البرقي ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا الأوزاعي : ﴿يَمْرِيْمُ أَقْنَتِي
لِرَبِّكَ﴾ قال : كانت تقومُ حتى يسيلَ القيحُ من قدميها ^(٣) .
وقال آخرون : معناه : أخلصي لربِّك .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثني ، قال : ثنا الحِماني ، قال : ثنا ابنُ المبارك ، عن شريك ، عن سالم ،
عن سعيدٍ : ﴿يَمْرِيْمُ أَقْنَتِي لِرَبِّكَ﴾ قال : أخلصي لربِّك ^(٤) .
وقال آخرون : معناه : أطيعي ربِّك .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤١٧/٢ بنحوه .

(٢) تفسير الثوري ص ٧٧ ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٦٨ - تراجم النساء) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٨/٢ (٣٤٩٦ ، ٣٤٩٧) من طريق الوليد ، عن الأوزاعي بنحوه .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤/٢ إلى المصنف .

قتادة فى قوله : ﴿ أَقْنِي لِرَبِّكَ ﴾ قال : أطيعى ربك^(١) .

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشددي : ﴿ أَقْنِي لِرَبِّكَ ﴾ : أطيعى ربك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن دراج ، عن / أبى الهيثم ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن النبى ﷺ قال : ٢٦٦/٣ « كُلُّ حَرْفٍ يُذَكَّرُ فِيهِ الْقَنُوتُ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَهُوَ طَاعَةٌ لِلَّهِ »^(٢) .

حدثنى محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عبادة بن منصور ، عن الحسن فى قوله : ﴿ يَمْرِيءُ أَقْنِي لِرَبِّكَ ﴾ . قال : يقول : اعبدى ربك^(٣) .

قال أبو جعفر : وقد بينا أيضا معنى « الركوع » و « السجود » بالأدلة الدالة على صحته ، وأنهما بمعنى الخشوع لله ، والخضوع له بالطاعة والعبادة^(٤) .

فتأويل الآية إذن : يا مريم أخلصى عبادة ربك لوجهه خالصا ، واخشعى لطاعته وعبادته ، مع من خشع له من خلقه ، شكرا له على ما أكرمك به من الاصطفاء والتطهير من الأدناس ، والتفضيل على نساء عالم دهرك .

القول فى تأويل قوله : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ ذَلِكَ ﴾ : الأخبار التى أخبر بها عباده عن امرأة عمران وابنتها مريم ، وزكريا وابنه يحيى ، وسائر ما قص فى الآيات من قوله :

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢١ .

(٢) تقدم تخريجه فى ٣٨٢/٤ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٤٨ (٣٤٩٥) من طريق أبى بكر الحنفى به .

(٤) ينظر ما تقدم فى ١/ ٦١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ .

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا ﴾ [آل عمران : ٣٣] . ثم جمَعَ جميعَ ذلك تعالى ذكره بقوله ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ . فقال : هذه الأنباء ﴿ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ . أى : من أخبار الغيب . ويعنى بـ « الغيب » ، أنها من خفى أخبار القوم التي لم تطلع أنت يا محمد عليها ولا قومك ، ولم يعلمها إلا قليل من أخبار أهل الكتابين ورضبانهم .

ثم أخبر تعالى ذكره نبيه محمدا ﷺ أنه أوحى ذلك إليه حجة على نبوته ، وتحقيقاً لصدقه ، وقطعاً منه به عذر منكبرى رسالته من كفار أهل الكتابين الذين يعلمون أن محمداً لم يصل إلى علم هذه الأنباء مع خفائها ، ولم يدرك معرفتها مع حملها^(١) عند أهلها ، إلا بإعلام الله ذلك إيّاه ، إذ كان معلوماً عندهم أن محمداً ﷺ أمي لا يكتب فيقرأ الكتب ، فيصل إلى علم ذلك من قبل الكتب ، ولا صاحب أهل الكتب فيأخذ علمه من قبلهم .

وأما « الغيب » فمصدر من قول القائل : غاب فلان عن كذا ، فهو يغيب عنه غيباً وغيبته .

وأما قوله : ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ . فإن تأويله : نُتَرُّلُهُ إِلَيْكَ .

وأصل الإيحاء إلقاء الموحى إلى الموحى إليه ، وذلك قد يكون بكتاب ، وإشارة وإيماء ، وبإلهام ، وبرسالة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّعْلِ ﴾ [النحل : ٦٨] بمعنى : ألقى ذلك إليها فألهمها . وكما قال : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ ﴾ [المائدة : ١١١] بمعنى : ألقى إليهم علم ذلك إلهاماً ، وكما قال الراجز^(٢) :

(١) فى س : « شمولها » .

(٢) هو المعجاج ، والرجز فى ديوانه ص ٢٦٦ .

أَوْحَى^(١) لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ

/ بمعنى : ألقى إليها ذلك أمراً . وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم : ١١] بمعنى : فألقى ذلك إليهم إيماءً^(٢) .

٢٦٧/٣

والأصل فيه ما وصفت من إلقاء ذلك إليهم ، وقد يكون إلقاءه ذلك إليهم إيماءً ، ويكون بكتاب ، ومن ذلك قوله : ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَيْكَ أَوَّلِيَّآئِهِمْ ﴾ [الأنعام : ١٢١] : يُلقون إليهم ذلك وسوسة . وقوله : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكَ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] : ألقى إليّ بمجىء جبريل عليه السلام به إليّ من عند الله عز وجل .

وأما الوحي ، فهو الواقع من الموحى إلى الموحى إليه ، ولذلك سمّت العرب الخطّ والكتاب وحيًا ؛ لأنه واقع فيما كُتب ثابت فيه ، كما قال كعب بن زهير^(٣) :
أتى العجم والآفاق منه قصائدٌ
يقين بقاء الوحي في الحجر الأصم
يعنى به الكتاب الثابت في الحجر . وقد يقال في الكتاب خاصة إذا كتبه الكاتب : « وحي » ، بغير ألف ، ومنه قول رؤبة^(٤) :

كأنه بعد رياح تدهمه

ومرثعات الدجون^(٥) تئمه^(٦)

(١) في الديوان : « وحي » .

(٢) في النسخ : « أيضًا » . والمثبت هو الصواب .

(٣) ديوانه ص ٦٤ .

(٤) ديوانه ص ١٤٩ .

(٥) مرثعات الدجون : المطر الكثير الدائم . اللسان (ر ث ع ن ، د ج ن) .

(٦) الوئم : الضرب . اللسان (و ث م) .

إِنْجِيلُ أَحْبَارٍ^(١) وَحَى مُتَفَنِمُهُ^(٢)

القولُ في تأويلِ قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾: وما كنتَ يا محمدُ عندهم فتعلّم ما نُعلّمُكَه من أخبارهم التي لم تشهدها، ولكنك إنما تعلّم ذلك فتُدرك معرفته بتعريفناكه .

ومعنى قوله: ﴿لَدَيْهِمْ﴾: عندهم .

ومعنى قوله: ﴿إِذْ يُلقُونَ أَقْلَمَهُمْ﴾: حينَ يُلقون أقلامهم .

وأما « أقلامهم » فسهاؤهم التي استهم بها المستهيمون من بنى إسرائيل على

كفالةِ مريمَ، على ما قد بيّنا قبلُ في قوله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾^(٣) [آل عمران: ٣٧] .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثني المثنى، قال: ثنا إسحاقُ، قال: ثنا هشامُ، عن عمرو، عن سعيد^(٥)،

عن قتادة في قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ . يعنى محمداً [٤٠٨/١] ظ [عليه السلام]^(٦) .

حدّثني محمدُ بنُ عمرو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، عن ابنِ أبي

نجيح، عن مجاهدٍ: ﴿يُلقُونَ أَقْلَمَهُمْ﴾: زكريا وأصحابه استهموا بأقلامهم

(١) في ص، س: «توراة» .

(٢) التّفنّم: خطوط متقاربة قصار شبه ما تُتفنّم الرّيح ذُفّاق التراب، وكتاب مُتفَنّم: مُتَقَشّ . اللسان (ن م م) .

(٣) تقدّم في ص ٣٤٥، ٣٤٦ .

(٤) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «بن» . وسيأتي على الصواب في ٣١٨/٥، ١٨١/٩، ٨٠/١١ .

(٥) في س: «بن» .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤/٢ إلى المصنف .

على مريم حين دخلت عليهم^(١) .

حدثني الثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ / أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ : كانت مريم ابنة إمامهم وسيدهم ، فتشاح عليها بنو إسرائيل ، فافترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها ، فقرعهم زكريا ، وكان زوج أختها ، فكفلها زكريا ، يقول : ضمها إليه^(٢) .

٢٦٨/٣

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ ﴾ . قال : تساهموا على مريم أيهم يكفلها ، فقرعهم زكريا^(٣) .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ : وإن مريم لما وضعت في المسجد ، افترع عليها أهل المصلى وهم يكتبون الوحي ، فافترعوا بأقلامهم أيهم يكفلها ، فقال الله عز وجل لمحمد ﷺ : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾^(٤) .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٢ ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ - تراجم النساء) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٠/٢ (٣٥١٠) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٩/٢ (٣٥٠٢) عن الحسن بن يحيى به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٩/٢ (٣٥٠١) عن محمد بن سعد به .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ : اقْتَرَعُوا بِأَقْلَامِهِمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ، فَقَرَعَهُمْ زَكْرِيَا .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عُبَادٍ ، عَنْ الْحُسَيْنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ ﴾ . قَالَ : حَيْثُ اقْتَرَعُوا عَلَى مَرْيَمَ ، وَكَانَ غَيْبًا عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ أَخْبَرَهُ اللَّهُ .

وَإِنَّمَا قِيلَ : ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ . لِأَنَّ إِلقاءَ الْمُسْتَهْمِينَ أَقْلَامَهُمْ عَلَى مَرْيَمَ إِنَّمَا كَانَ لِيَنْظُرُوا أَيُّهُمْ أَوْلَى بِكِفَالَتِهَا وَأَحَقُّ . فَفِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ ﴾ . دَلَالَةٌ عَلَى مَحْذُوفٍ مِنَ الْكَلَامِ ، وَهُوَ : لِيَنْظُرُوا أَيُّهُمْ يَكْفُلُ ، وَلِيَسْتَبَيِّنُوا ذَلِكَ وَيَعْلَمُوهُ .

فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ الْوَاجِبَ فِي ﴿ أَيُّهُمْ ﴾ النِّصْبُ ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ ، فَقَدْ ظَنَّ خَطَأً ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّظَرَ وَالتَّبَيَّنَّ وَالْعِلْمَ مَعَ « أَى » يَقْتَضِي اسْتِفْهَامًا وَاسْتِخْبَارًا ، وَحِظُّ « أَى » فِي الْاسْتِخْبَارِ الْإِبْتِدَاءُ ، وَبُطُولُ عَمَلِ الْمَسْأَلَةِ وَالْاسْتِخْبَارِ عَنْهُ . وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِ الْقَائِلِ : لَأَنْظُرَنَّ أَيُّهُمْ قَامَ : لَأَسْتَحْبِرَنَّ النَّاسَ أَيُّهُمْ قَامَ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : لَأَعْلَمَنَّ .

وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَى قَبْلُ أَنَّ مَعْنَى « يَكْفُلُ » : يَضُمُّ ، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ .

(١) ينظر ما تقدم في ص ٣٤٥ وما بعدها .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وما كنت يا محمد عند قومٍ مريم إذ يختصمون فيها أيهم أحقُّ بها وأولى . وذلك من الله عز وجل وإن كان خطاباً لنبيه ﷺ ، فتوبيخ منه عز وجل للمكذبين به من أهل الكتابين . يقول : كيف يشكُّ أهل الكفر بك منهم وأنت تُنبئهم هذه الأنبياء ولم تشهدهم^(١) ، ولم تكن معهم يوم فعلوا هذه الأمور ، ولست ممن قرأ الكتب فعلم نبأهم ، ولا جالس أهلها فسمع خبرهم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ وَمَا كُنْتَ / لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ أي : ما كنت معهم إذ يختصمون فيها . يُخْبِرُهُ بخفي ما كنتموا منه من العلم عندهم ؛ لتحقيق نبوته ، والحجة عليهم لما يأتيهم به مما أخفوا منه^(٢) .

٢٦٩/٣

القول في تأويل قوله : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ ﴾ : وما كنت لديهم إذ يختصمون ، وما كنت لديهم أيضاً إذ قالت الملائكة : يا مريم إن الله يُبشِّرُكِ . والتبشيرُ : إخبارُ المرء بما يسره من خير .

وقوله : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ . يعنى : برسالةٍ من الله وخبرٍ من عنده . وهو من قول القائل : ألقى فلانٌ إلى كَلِمَةٍ سرّنى بها . بمعنى : أخبرنى خبراً فرحتُ به . كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ [النساء : ١٧١] يعنى : بُشِّرَى اللهُ مَرْيَمَ بعيسى ألقاها إليها .

(١) فى م : « تشهدا » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٨١/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٠/٢ (٣٥١١) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

فتأويل الكلام : وما كنت يا محمد عند القوم إذ قالت الملائكة لمريم : يا مريم إن الله يُبشركِ ببشرى من عنده ، هي ولدٌ لك اسمُه المسيح عيسى ابنُ مريم .
وقد قال قومٌ - وهو قول قتادة - : إن الكلمة التي قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ . هو قوله : « كُنْ » .

حدَّثنا بذلك الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ قال : قوله : « كُنْ » ^(١) .

فسمَّاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ كلمتهُ لأنه كان عن كلمته ، كما يقالُ لما قدر اللهُ من شيءٍ : هذا قدرُ اللهِ وقضاؤه . يعنى به : هذا عن قدرِ اللهِ وقضائه حدث . وكما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء : ٤٧ ، والأحزاب : ٣٧] يعنى به : ما أمر اللهُ به ، وهو المأمورُ الذى كان عن أمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ .

وقال آخرون : بل هي اسمُ لعيسى ، سمَّاهُ اللهُ بها كما سمَّى سائرَ خلقه بما شاء من الأسماءِ .

وروى عن ابنِ عباسٍ أنه قال : الكلمةُ هي عيسى .

حدَّثنا ابنُ وَكَيْعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سَمَاكٍ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ فى قوله : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ . قال : عيسى هو الكلمةُ من اللهِ ^(٢) .

وأقربُ الوجوهِ إلى الصوابِ عندى القولُ [٤٠٩/١] الأولُ ، وهو أن الملائكةَ بشرت مريمَ بعيسى عن الله عزَّ وجلَّ برسالتهِ وكلمته التي أمرها أن تُلقِيها إليها ، أن

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٧٧ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥١/٢ (٣٥١٤) من طريق سماك به نحوه .

الله خالقٌ منها ولدًا من غيرِ بَعْلِ ولا فَحْلِ ؛ ولذلك قال عز وجل : ﴿ اَسْمُهُ الْمَسِيحُ ﴾ .
فذكر ، ولم يقل : اسمها . فَيُؤَنَّثُ ، و« الكلمة » مؤنثة ؛ لأن الكلمة غيرُ مقصودٍ بها
قصدُ الاسم الذي هو بمعنى « فلان » ، وإنما هي بمعنى البشارة ، فذكرت كنياتها كما
تُذَكَّرُ كنايةً « الذُّرِّيَّة » و« الدَّابَّة » و« الألقاب » ، على ما قد بيَّناه قبلُ فيما
مضى ^(١) .

٢٧٠/٣ / فتأويلُ ذلك كما قلنا آنفاً من أن معنى ذلك : إن الله يُبَشِّرُكَ ببشرى . ثم بيَّن
عن البشري أنها ولدٌ اسمه المسيح .

وقد زعم بعضُ نحوِّيّ البصرة أنه إنما ذكر فقال : ﴿ اَسْمُهُ الْمَسِيحُ ﴾ . وقد
قال : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾ . والكلمة عنده هي عيسى ؛ لأنه في المعنى كذلك ، كما قال
جل ثناؤه : ﴿ اَنْ تَقُوْلَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ ﴾ [الزمر : ٥٦] ثم قال : ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ
ءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا ﴾ [الزمر : ٥٩] وكما يقال : ذو الثُدَيَّة ^(٢) . لأن يده كانت قصيرةً
قريبةً من ثُدَيَّته ، فجعلها كأن اسمها ثُدَيَّةٌ ، ولولا ذلك لم تدخلِ الهاءُ في التصغيرِ .

وقال بعضُ نحوِّيّ الكوفة نحو قول من ذكرنا من نحوِّيّ البصرة ، في أن الهاءُ
من ذكرِ « الكلمة » ، وخالفه في المعنى الذي من أجله ذُكر قوله : ﴿ اَسْمُهُ ﴾ .
و« الكلمة » متقدمةٌ قبله ، فزعم أنه إنما قيل : ﴿ اَسْمُهُ ﴾ . وقد قُدمت « الكلمة » ،
ولم يقل : « اسمها » . لأن من شأنِ العربِ أن تفعلَ ذلك فيما كان من الثعوتِ
والألقابِ والأسماءِ التي لم تُوضَع لتعريفِ المُسمَّى به ؛ كفلانٍ وفلانٍ ، وذلك مثلُ
الذُّرِّيَّةِ والخليفةِ والدَّابَّةِ ، ولذلك جاز عنده أن يقال : ذريةٌ طيبةٌ ، وذُرِّيَّةٌ طيبًا . ولم

(١) ينظر ما تقدم في ١/ ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، وفي ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ من هذا الجزء .

(٢) في س : « اليمين » . وينظر مسند الطيالسي (١٦٠) ، وسنن أبي داود السجستاني (٤٧٧٠) . قال ابن

الأثير في النهاية ١/ ٢٠٨ : ويُروى ذو الثُدَيَّةِ بالياء بدلِ التاء ، تصغيرِ اليد ، وهي مؤنثة .

يَجْزُ أَنْ يَقَالَ : طَلْحَةُ أَقْبَلْتُ ، وَمَغِيرَةُ قَامَتْ .

وَأَنْكَرَ بَعْضُهُمْ اعْتِلَالَ مَنْ اعْتَلَّ فِي ذَلِكَ بِذِي الثُّدَيَّةِ ، وَقَالُوا : إِنَّمَا أُدْخِلْتَ
الِهَاءَ فِي ذِي الثُّدَيَّةِ لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِذَلِكَ الْقِطْعَةَ مِنَ الثُّدَيِّ ، كَمَا قِيلَ : كَثْنَا فِي لَحْمَةٍ
وَنَبِيذَةٍ . يُرَادُ بِهِ الْقِطْعَةُ مِنْهُ .

وَهَذَا الْقَوْلُ نَحْوُ قَوْلِنَا الَّذِي قَلْنَا فِي ذَلِكَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ . فَإِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَبْتَأُ عِبَادَهُ عَنْ
نِسْبَةِ عِيسَى ، وَأَنَّهُ ابْنُ أُمِّهِ مَرْيَمَ ، وَنَفَى بِذَلِكَ عَنْهُ مَا أَضَافَ إِلَيْهِ الْمُتَلَحِّدُونَ فِي اللَّهِ جَلَّ
ثَنَاؤُهُ مِنَ النَّصَارَى ، مِنْ إِضَافَتِهِمْ بُنُوْتَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَا قَرَفْتُ ^(١) أُمَّهُ بِهِ الْمُفْتَرِيَةَ
عَلَيْهَا مِنَ الْيَهُودِ .

كَمَا حَدَّثَنِي بِهِ ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمِ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ . أَي : هَكَذَا كَانَ أَمْرُهُ ،
لَا مَا يَقُولُونَ فِيهِ ^(٢) .

وَأَمَّا « الْمَسِيحُ » ، فَإِنَّهُ فَعِيلٌ ، صُرِفَ مِنْ مَفْعُولٍ إِلَى فَعِيلٍ . وَإِنَّمَا هُوَ مَمْسُوحٌ ،
يَعْنَى : مَسَحَهُ اللَّهُ فَطَهَّرَهُ مِنَ الذُّنُوبِ . وَلِذَلِكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : الْمَسِيحُ الصَّدِيقُ .
وَقَالَ آخَرُونَ : مُسِيحٌ بِالْبُرْكََةِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ سَفِيَانَ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ مِثْلَهُ ^(٣) .

(١) فِي م : « قَذَقْتُ » ، وَفِي س : « فَرَقْتُ » . وَقَرَفْتُ : اتَّهَمْتُ وَرَمْتُ . تَاجُ الْعُرُوسِ (ق ر ف) .

(٢) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٥٨٠/١ .

(٣) تَفْسِيرُ سَفِيَانَ ص ٧٧ ، ٧٨ - وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٣٥٩/٤٧ - وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ
فِي تَفْسِيرِهِ ٦٥١/٢ (٣٥١٦) ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ ٣٥٩/٤٧ مِنْ طَرِيقِ وَكَيْعٍ بِهِ .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا ابنُ المُبارِكِ ، عن سفيانَ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ مثله .

حدَّثنا ابنُ البرقيّ ، قال : ثنا عمرو بنُ أبي سلمةَ ، قال : قال سعيدٌ : إنما سُمِّيَ المسيحُ لأنه مُسِحٌ بالبركة^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ .

يعنى بقوله : ﴿ وَجِيهًا ﴾ : ذا وجهٍ ومنزلةٍ عاليةٍ عندَ اللهِ وشرفٍ وكرامةٍ . ومنه يقالُ للرجلِ الذي يَشْرُفُ وتُعْظَمُ الملوكةُ والناسُ : وجيةٌ . يقالُ منه : ما كان فلانٌ وجيةً ، ولقد وَجَّهَ وَجْهَهُ وَجَاهَةً ، وإن له لَوَجْهًا عندَ السلطانِ وَجَاهًا وَوَجَاهَةً . و « الجاهُ » مقلوبٌ ، قُلبتِ واؤه من أوَّلِهِ إلى موضعِ العينِ منه ، فقليلٌ : جاه . وإنما هو /وجهٌ ، « وفعلٌ » من الجاهِ : جاءَ يَجُوهُ ، مسموعٌ من العربِ : أخافُ أن يَجُوهَنِي بأكثرِ من هذا . بمعنَى : أن يَسْتَقْبِلَنِي في وجهي بأعظمِ منه .

٢٧١/٣

وأما نصبُ « الوجيهِ » فعلى القطعِ من « عيسى » ؛ لأن « عيسى » معرفةٌ ، و « وجيهه » نكرةٌ ، وهو من نعتِهِ ، ولو كان مخفوضًا على الرَّدِّ على « الكلمة » كان جائزًا .

وبما^(٢) قلنا من أن تأويلَ ذلك : وجيةً في الدنيا والآخرة عندَ اللهِ . قال - فيما بلغنا - محمدُ بنُ جعفرٍ .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ وَجِيهًا ﴾ قال : وجيةً في الدنيا والآخرة عندَ اللهِ^(٣) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٥١ إلى المصنف .

(٢) في م : « كما » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٥٨٠ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٥١ (٣٥١٩) من طريق سلمة ، عن =

وأما قوله: ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ . فإنه يعنى أنه ممن يُقَرَّبُهُ اللهُ يومَ القيامةِ ، فيُسَكِّنُهُ فى جِوارِهِ ويُذَنِّبُهُ مِنْهُ .

كما حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ . يقولُ : مِنَ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قال : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ . يقولُ : مِنَ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثله .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ^(٤٦) .

أما قوله : [٤٠٩/١] ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ . فإنَّ معناه أن الله يُبَشِّرُكَ بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى ابنُ مريمَ ، وجيهاً عندَ الله ، ومُكَلِّمًا النَّاسَ فى المهدِ . فـ ﴿يُكَلِّمُ﴾ وإن كان مرفوعًا ؛ لأنه فى صورة «يَفْعَلُ» بالسلامة من العوامل فيه ، فإنه فى موضعِ نصبٍ ، وهو نظيرُ قولِ الشاعرِ ^(٣) :

= ابن إسحاق قوله .

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٢/٢ عقب الأثر (٣٥٢٠) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٢/٢ ٦٥٢/٢ من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) البيت فى معانى القرآن للفراء ٢١٣/١ ، وأمالى ابن السجى ١٦٧/٢ ، ولسان العرب (ك ه ل ،

ع ش ي) ، وخزانة الأدب ١٤٠/٥ - ١٤٣ .

بِئْسَ أَعْشِيهَا بَعْضِبٍ^(١) بِاتِرٍ يَقْصِدُ فِي أَسْوَقِهَا وَجَائِرٍ
وَأَمَّا « الْمَهْدُ » فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ مَضْجَعُ الصَّبِيِّ فِي رِضَاعِهِ .

كما حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ،
قَالَ : قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ قَالَ : مَضْجَعُ الصَّبِيِّ فِي
رِضَاعِهِ^(٢) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَكَهَلًا ﴾ . فَإِنَّهُ : وَمُخْتَنِكًا فَوْقَ الْعُلُومَةِ وَدُونَ الشَّيْخُوخَةِ ،
يُقَالُ مِنْهُ : رَجُلٌ كَهَلٌ ، وَامْرَأَةٌ كَهَلَةٌ . كما قَالَ الرَّاجِزُ^(٣) :

أَوْ لَا أَعُوذُ بَعْدَهَا كَرِيًّا

٢٧٢/٣

أُمَارِسُ الْكَهَلَةَ وَالصَّبِيًّا

وَإِنَّمَا عَنَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا ﴾ : وَيُكَلِّمُ
النَّاسَ طِفْلًا فِي الْمَهْدِ - دَلَالَةً عَلَى بَرَاءَةِ أُمَّهُ مِمَّا قَرَفَهَا بِهِ^(٤) الْمُفْتَرُونَ عَلَيْهَا ، وَحُجَّةً لَهُ
عَلَى نُبُوَّتِهِ - وَبِالْعَمَّا كَبِيرًا بَعْدَ احْتِنَاكِهِ ، بِوَحْيِ اللَّهِ الَّذِي يُوحِيهِ إِلَيْهِ ، وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ،
وَمَا يُنْزِلُ^(٥) عَلَيْهِ مِنْ كِتَابِهِ ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ بِذَلِكَ مِنْ أَمْرِ الْمَسِيحِ ، وَأَنَّهُ
كَذَلِكَ كَانَ ، وَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ أَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ كَهَوْلًا وَشَيْوْحًا ،
احْتِجَاجًا بِهِ عَلَى الْقَائِلِينَ فِيهِ - مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ مِنَ النَّصَارَى - الْبَاطِلَ ، وَأَنَّهُ

(١) الْعُضْبُ : السِّيفُ . تَاجُ الْعُرُوسِ (ع ض ب) .

(٢) عَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٢٥/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ ، وَابْنِ الْمُنْدَرِ .

(٣) هُوَ عِذَافِرُ الْكِنْدِيِّ ، وَالرَّجِزُ فِي أُمَالِي الْقَالِي ٢/٢١٥ ، وَسَمَطُ اللَّكَلِيِّ ٢/٨٣٦ ، وَاللِّسَانُ (ك ه ل) ، أَم م ،

ك ر ي) .

(٤ - ٤) فِي س : « رَمَى بِهَا » ، وَفِي م : « قَذَفَهَا بِهِ » .

(٥) فِي م : « تَقُولُ » ، وَفِي س : « يَعْوَلُ » .

كان في معاناة^(١) أشياء، مولودًا طفلًا ثم كهلاً، يتقلَّب في الأحداث، ويتغيَّر بمرور الأزمنة عليه والأيام، من صغيرٍ إلى كبير، ومن حالٍ إلى حالٍ، وأنه لو كان كما قال الملحدون فيه، كان ذلك غيرَ جائزٍ عليه، فكذبَ بذلك ما قاله الوفدُ من أهلِ نجرانَ، الذين حاجُّوا رسولَ اللهِ ﷺ فيه، واحتجَّ به عليهم لنبيِّه محمدٍ ﷺ، وأعلمهم أنه كان كسائرِ بني آدم، إلا ما خصَّه اللهُ به من الكرامةِ التي أبانته^(٢) بها منهم .

كما حدَّثنا ابنُ حميدٍ، قال : ثنا سلمةُ، عن ابنِ إسحاقَ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ : يُخْبِرُهُمْ بحالاتِهِ التي يتقلَّبُ بها في عُمرِهِ، كتقلُّبِ بني آدمَ في أعمارِهِم صِغارًا وكِبَارًا، إلا أنَّ اللهُ خصَّه بالكلامِ في مهدهِ آيةً لنبوِّته، وتعريفًا للعبادِ مواقعَ قدرتهِ^(٣) .

حدَّثنا بشرٌ، قال : ثنا يزيدُ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ يقولُ : يُكَلِّمُهُم صغيرًا وكبيرًا^(٤) .

حدَّثني المثنى، قال : ثنا إسحاقُ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ قال : يُكَلِّمُهُم صغيرًا وكبيرًا^(٥) .

(١) في ص، ت ٢، س : « معاناة » .

(٢) في س : « أنابه » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٥٨٠، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٥٣ (٣٥٢٧) من طريق سلمة، عن ابن إسحاق قوله .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٥، إلى المصنف، وعبد بن حميد .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٥٢ عقب الأثر (٣٥٢٣) من طريق أبي جعفر به .

حدَّثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَكَهَلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قال: الكهل الحليم^(١).

حدَّثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قال: كلّمهم صغيرًا وكبيرًا وكهلاً. وقال ابن جريج، وقال مجاهد: الكهل الحليم.

حدَّثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفى، عن عبّاد، عن الحسن في قوله: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا﴾ قال: كلّمهم في المهدي صبيًا، وكلّمهم كبيرًا^(٢).

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿وَكَهَلًا﴾: أنه سيكلّمهم إذا ظهر.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعته، يعني ابن زيد، يقول في قوله: ﴿وَيُكَلِّمُ / النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا﴾. قال: قد كلّمهم عيسى في المهدي، وسيكلّمهم إذا قتل الدجال، وهو يومئذ كهل^(٣).

٢٧٣/٣

ونصب ﴿وَكَهَلًا﴾ عطفًا على موضع: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ﴾.

وأما قوله: ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾. فإنه يعنى: من عدادهم وأوليائهم؛ لأن أهل الصلاح بعضهم من بعض في الدين والفضل.

(١) أخرجه الفريابي - كما في التعليق ٣٥/٤-، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٢/٢ (٣٥٢٥) من طريق ابن أبي نجيح به.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٢/٢ (٣٥٢٣) من طريق أبي بكر الحنفى.

(٣) عزاه السيوطى في الدر المنثور ٢٥/٢ إلى المصنف.

القول في تأويل قوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (٤٧).

يعنى بذلك جل ثناؤه : قالت مريم - إذ قالت لها الملائكة : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِكَلِمَةِ مِنِّهِ﴾ - : ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ من أى وجه يكون لى ولد؟ أم قبل زوج أتزوجه وبعل أنكحه؟ أو بتدئى فى خلقه من غير بعل ولا فحل ، ومن غير أن يمسنى بشر؟ فقال الله لها : ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ . يعنى : هكذا يخلق الله منك ولدًا لك من غير أن يمسنك بشر ، فيجعل آية للناس وعبرة ، فإنه يخلق ما يشاء ، ويصنع ما يريد ، فيعطى الولد من يشاء من غير فحل ومن فحل ، ويحرم ذلك من يشاء من النساء وإن كانت ذات بعل ؛ لأنه لا يتعدى عليه خلق شىء أراد خلقه ، إنما هو أن يأمر إذا أراد شيئًا ما أراد ، فيقول له : كُن . فيكون ما شاء مما يشاء وكيف شاء .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ : يصنع ما أراد ، ويخلق ما يشاء ، من بشر أو غير بشر^(١) ، ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ [١٠١/٤١٠] فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن^(٢) ﴿مَّا يَشَاءُ﴾ ، وكيف يشاء ، فيكون ما أراد^(٣) .

القول في تأويل قوله: ﴿وَيَعْلَمُ الْكِنَبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٤٨).

اختلفت القراءة فى قراءة ذلك ؛ فقرأته عامة قراءة الحجاز والمدينة وبعض قراءة الكوفيين : ﴿وَيَعْلَمُهُ﴾ بالياء^(٤) ، ردًا على قوله : ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ .

(١) بعده فى النسخ : «أى» . والمثبت من مصادر التخرىج .

(٢) بعده فى النسخ : « فيكون » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٥٨٠ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٥٣ (٣٥٢٩ ، ٣٥٣٠) من طريق سلمة عن ابن إسحاق .

(٤) وهى قراءة نافع وعاصم . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٦ .

﴿ وَيَعْلَمُ الْكِتَابَ ﴾ فَالْحَقُّوا الْخَيْرَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَيَعْلَمُهُ ﴾ بِنظيرِ الْخَيْرِ فِي قَوْلِهِ :
﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ . وَقَوْلِهِ : ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين وبعض البصريين : (وَنُعَلِّمُهُ) بالنون^(١) ، عطفاً به
على قوله : ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ كأنه قال : ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، ونُعَلِّمُهُ
الكتاب . وقالوا : ما بعد ﴿ نُوحِيهِ ﴾ في صِلته إلى قوله : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . ثم عطف
بقوله : (وَنُعَلِّمُهُ) عليه .

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مختلفتان غير مختلفتي
المعاني ، فبأيهما قرأ القارئ فهو / مصيب الصواب في ذلك ؛ لاتفاق معنيتي
القراءتين في أنه خبر عن الله بأنه يُعَلِّمُ عيسى الكتاب وما ذكر أنه يُعَلِّمُهُ .

وهذا ابتداء خبر من الله عز وجل لمريم ما هو فاعل بالولد الذي بشرها به
من الكرامة ورفعة المنزلة والفضيلة ، فقال : كذلك الله يخلق منك ولداً من غير
فحل ولا بعل فيعلمه الكتاب ، وهو الخط الذي يخطه بيده ، والحكمة ، وهي
السنة التي نوحىها إليه في غير كتاب ، والتوراة ، وهي التوراة التي أنزلت على
موسى ، كانت فيهم من عهد موسى ، والإنجيل ، والإنجيل عيسى ولم يكن قبله ،
ولكن الله أخبر مريم قبل خلق عيسى أنه موحى إليه ، وإنما أخبرها بذلك ، فسماه
لها ؛ لأنها قد كانت علمت فيما نزل من الكتاب أن الله باعث نبياً يوحى إليه
كتاباً اسمه الإنجيل ، فأخبرها الله عز وجل أن ذلك النبي ﷺ الذي سمعت
بصفته الذي وعد أنبياءه من قبل أنه مُنَزَّلٌ عليه الكتاب الذي سُمِّيَ إنجيلاً ، هو الولد
الذي وهبه لها وبشرها به .

(١) وبها قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي . المصدر السابق .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قَالَ : ثنى حجاجُ ، قَالَ : قال ابنُ جريجٍ : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ ﴾ . قَالَ : بيده ^(١) .

حَدَّثَنَا بشرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قَالَ : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ . قَالَ : الحكمةُ السنةُ ^(٢) .

حَدَّثَنَا المثنى ، قَالَ : ثنا إسحاقُ ، قَالَ : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ في قوله : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ . قَالَ : الحكمةُ السنةُ ، ﴿ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ . قَالَ : كان عيسى يقرأ التوراةَ والإنجيلَ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قَالَ : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ . قَالَ : الحكمةُ السنةُ .

حَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ ، قَالَ : أخبرها - يعني أخبر الله مريمَ - ما يُريدُ به ، فقال : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ ﴾ التي كانت فيهم من عهدِ موسى ، ﴿ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ ، كتابًا آخرَ أحدثه إليه لم يكن عندهم علمه إلا ذكره أنه كائن من الأنبياء قبله ^(٤) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٥٠/٢ إلى المصنف .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٤/٢ عقب الأثر (٣٥٣٣) معلقا .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٤/٢ (٣٥٣٦) من طريق ابن أبي جعفر به مختصرا .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٨١/١ ، وفيه : بعده . مكان : قبله .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ .

/ يعني بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَرَسُولًا ﴾ : ^(١) « وَجَعَلَهُ رَسُولًا » إلى بني إسرائيل .
فترك ذكر « وَجَعَلَهُ » ؛ لدلالة الكلام عليه ، كما قال الشاعر ^(٢) :

ورأيت زوجك في الوغى مُتَقَلِّدًا سيفًا ورُمحًا

وقوله : ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ . بمعنى : وَجَعَلَهُ رَسُولًا إلى بني إسرائيل بأنه ^(٣) « نَبِيٌّ وَبَشِيرٌ وَنَذِيرٌ » ، وَحَجَّتِي عَلَىٰ صَدَقِي فِي ^(٤) ذَلِكَ ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ . يعني : بعلامةٍ مِنْ رَبِّكُمْ تُحَقِّقُ قَوْلِي ، وَتُصَدِّقُ خَبْرِي أَنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّكُمْ إِلَيْكُمْ .

كما حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ .
أى : يُحَقِّقُ بِهَا نَبَوَّتِي ، وَأَنِّي رَسُولٌ مِنْهُ إِلَيْكُمْ ^(٥) .

القول في تأويل قوله : ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفِخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ .

يعني بذلك جل ثناؤه : وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ،
ثم يبين عن الآية ما هي ، فقال : ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ .

(١ - ١) سقط من : ص ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢) تقدم في ١٤٠/١ .

(٣ - ٣) في م : « نبي وبشير ونذير » .

(٤) في النسخ : « على » . والصواب ما أثبت .

(٥) سيرة ابن هشام ١/٥٨١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٥٤ (٣٥٣٨ ، ٣٥٣٩) من طريق

سلمة عن ابن إسحاق قوله .

فتأويل الكلام : ورسولاً إلى بني إسرائيل بأنى قد جئتكم بآية من ربكم بأن
أخلق لكم من الطين كهيئة الطير .

والطير جمع طائر .

واختلفت القراءة فى قراءة ذلك ؛ فقرأه بعض أهل الحجاز : (كهيئة الطائر
فأنفخ فيه فيكون طائراً) . على التوحيد^(١) .

وقراه آخرون : ﴿ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا ﴾ ، على الجماع
فيهما^(٢) .

وأعجب القراءاتِ إلىّ فى ذلك قراءة من قرأ : ﴿ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًا ﴾ . على الجماعِ فيهما جميعاً ؛ لأن ذلك كان من صفة عيسى أنه يفعلُ
ذلك بإذنِ الله ، وأنه الموافقُ لخطِّ المصحفِ . وأتباعُ خطِّ المصحفِ مع صحة المعنى
واستيفاضة القراءة به ، أعجب إلىّ من خلافِ المصحفِ .

وكان خلقُ عيسى [١٠/٤١٠ ظ] ما كان يخلقُ من الطيرِ كما حدثنا ابنُ حمّيد ،
قال : ثنا سلّمة ، قال : ثنا ابنُ إسحاق ، أن عيسى صلواتُ الله عليه جلس يوماً مع
غلمانٍ من الكتّابِ ، فأخذ طيناً ، ثم قال : أجمعُ لكم من هذا الطينِ طائراً ؟ قالوا :
وتستطيعُ ذلك ؟! قال : نعم بإذنِ ربى . ثم هيأه حتى إذا جعله فى هيئةِ الطائرِ نفخ
فيه ، ثم قال : كن طائراً بإذنِ الله . فخرج يطيرُ بينَ كفّيه ، فخرج الغلمانُ بذلك من
أمره ، فذكروه لمعلمهم ، فأفشوه فى الناسِ ، وترعرعَ ، فهتّت به بنو إسرائيلَ ، فلما
خافت أمّه عليه ، حُمّيرَ على حُميرٍ لها ، ثم خرجت به هاربة^(٣) .

(١) وهى قراءة نافع . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٦ .

(٢) فى النسخ : « كليهما » . والصواب ما أثبت .

وبالجماع فيهما قرأ باقى السابعة غير نافع . المصدر السابق .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/٢ إلى المصنف .

وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الطَّيْرَ مِنَ الطِّينِ سَأَلَهُمْ : أَيُّ الطَّيْرِ أَشَدُّ خَلْقًا ؟ فَقِيلَ لَهُ : الْحُقَافُشُ .

/ كما حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحَسِينُ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَوْلُهُ : ﴿ أَيُّ أَمْثَلٍ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ . قَالَ : أَيُّ الطَّيْرِ أَشَدُّ خَلْقًا ؟ قَالُوا : الْحُقَافُشُ ، إِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ . قَالَ : ففَعَلَ ^(١) .

٢٧٦/٣

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ قِيلَ : ﴿ فَأَنْفُخُ فِيهِ ﴾ وَقَدْ قِيلَ : ﴿ أَيُّ أَمْثَلٍ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ ؟

قِيلَ : لِأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ : فَأَنْفُخُ فِي الطَّيْرِ . وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ : فَأَنْفُخُ فِيهَا . كَانَ صَحِيحًا جَائِزًا ، كَمَا قَالَ فِي الْمَائِدَةِ : ﴿ فَتَنْفُخُ فِيهَا ﴾ [المائدة : ١١٠] . يَرِيدُ : فَتَنْفُخُ فِي الْهَيْئَةِ .

وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ ذَلِكَ فِي إِحْدَى الْقِرَاءَتَيْنِ : (فَأَنْفُخُهَا) بغير «فِي» ^(٢) . وَقَدْ تَفَعَّلَ الْعَرَبُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَتَقُولُ : رُبَّ لَيْلَةٍ قَدْ بَثُّهَا ، وَبَثُّ فِيهَا . قَالَ الشَّاعِرُ ^(٣) :

مَا شَقَّ جَيْبٌ وَلَا قَامَتِكَ نَائِحَةٌ وَلَا بَكَتِكَ جِيَادٌ عِنْدَ أَشْلَابٍ
بِمَعْنَى : وَلَا قَامَتِ عَلَيْكَ . وَكَمَا قَالَ آخَرُ :

إِحْدَى بَنِي عَيْدِ اللَّهِ ^(٤) اسْتَمَرَّ بِهَا حُلُوُ الْعُصَاوِرَةِ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ
الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَأُزْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ﴾ .

يَعْنِي بِقَوْلِهِ : ﴿ وَأُزْرِئُ ﴾ : وَأَشْفِي . يُقَالُ مِنْهُ : أُزْرِئُ اللَّهُ الْمَرِيضَ ^(٥) مِنْ مَرَضِهِ .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/٢ إلى المصنف .

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ١/٢١٤ . وقال أبو حيان في البحر المحيط ٢/٤٦٦ : هي قراءة شاذة نقلها الفراء .

(٣) ينظر معاني القرآن للفراء ١/٢١٤ ، والأغانى ١٨/٢٨٧ .

(٤) بنو عيذ الله : حى من اليمن . تاج العروس (ع و ذ) .

(٥ - ٥) زيادة يستقيم بها السياق .

إذا شفاه منه ، فهو يُبْرِئُهُ إِبْرَاءً ، وبرأ المريض فهو يَبْرِئُ بَرِّئًا . وقد يقال أيضًا : بَرِيءٌ المريضُ فهو يَبْرِئُ ، لغتانٍ معروفتان .

واختلف أهل التأويل في معنى الأَكْمَه ؛ فقال بعضهم : هو الذى لا يُبْصِرُ بالليل ويُبْصِرُ بالنهار .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجیح ، عن مجاهدٍ فى قوله : ﴿ وَأَبْرِيءٌ الْأَكْمَهَ ﴾ . قال : الأَكْمَه الذى يُبْصِرُ بالنهارِ ولا يُبْصِرُ بالليلِ ، فهو يَتَكَمَّهُ^(١) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجیح ، عن مجاهدٍ مثله .

وقال آخرون : هو الأعمى الذى ولدته أمه كذلك .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، قال : كُنَّا نُحَدِّثُ أَنَّ الأَكْمَه الذى وُلِدَ وهو أعمى ، مضمومٌ^(٢) العَيْنينِ^(٣) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقٌ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادة

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٥/٢ (٣٥٤٤) من طريق أبى عاصم به ، وأخرجه الفريابى - كما فى التعليق ٣٥/٤ - من طريق ابن أبى نجیح به .

(٢) كذا فى النسخ ، ولعلها : « مغموم » . وكل مغطى فإن العرب تسميه مغمومًا . ينظر ما تقدم فى ١/ ٦٩٨ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٥/٢ عقب أثر (٣٥٤٢) معلقًا بنحوه .

في قوله : ﴿ وَأَبْرِيءُ الْأَكْمَمَةِ وَالْأَبْرَصِ ﴾ قال : كُنَّا نُحَدِّثُ أَنَّ الْأَكْمَمَةَ الَّذِي وُلِدَ وَهُوَ أَعْمَى ، مَضْمُومٌ الْعَيْنَيْنِ .

حَدَّثْتُ عَنِ الْمِنْجَابِ ، قَالَ : ثَنَا بَشْرُ بْنُ^(١) عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنِ الضَّحَّاكِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : الْأَكْمَمَةُ الَّذِي يُوَلَدُ وَهُوَ أَعْمَى^(٢) .

/ وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ هُوَ الْأَعْمَى .

٢٧٧/٣

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : ثَنَا أَشْبَاطُ ، عَنِ الشُّدِّيِّ : ﴿ وَأَبْرِيءُ الْأَكْمَمَةِ ﴾ : هُوَ الْأَعْمَى^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا حَجَّاجٌ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْأَعْمَى^(٤) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأَبْرِيءُ الْأَكْمَمَةِ ﴾ قَالَ : الْأَكْمَمَةُ الْأَعْمَى^(٥) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ ، عَنِ عُبَادِ بْنِ مَنْصُورٍ ، عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأَبْرِيءُ الْأَكْمَمَةِ ﴾ قَالَ : الْأَعْمَى^(٦) .

(١) في النسخ : « عن » ، وهو إسناد دائر ، وينظر ما تقدم في ١٢١/١ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٥/٢ (٣٥٤٢) من طريق المنجاب به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٥/٢ عقب الأثر (٣٥٤٢) من طريق عمرو به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٥/٢ (٦٥٤٢ ، ٦٥٤٣) من طريقين ، عن ابن عباس .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١٢١/١ .

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٥/٢ عقب الأثر (٣٥٤٢) معلقا .

وقال آخرون : هو الأعمش .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا حَفْصُ بْنُ عَمْرٍو ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ ، عَنْ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأُزِيْتُ الْأَكْمَةَ ﴾ قَالَ : الْأَعْمَشُ ^(١) .

والمعروف عند العرب من معنى الكمة العمى ، يُقالُ منه : كَمِهَتْ عَيْنُهُ ، فَهِيَ تَكْمُهُ كَمَهَا ، وَكَمَّهْتُهَا ^(٢) أَنَا ، إِذَا أَعْمَيْتَهَا ، كَمَا قَالَ سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ ^(٣) :
 « كَمَّهْتُ عَيْنِيهِ ^(٤) حَتَّى ابْيَضَّتَا فَهُوَ يَلْحَى نَفْسَهُ لَمَّا نَزَعُ
 وَمِنْهُ قَوْلُ رُوْبَةَ ^(٥) :

هَرَجْتُ ^(٦) فَازْتَدَّازْتَدَادَ الْأَكْمَةَ

فِي غَائِلَاتٍ ^(٧) الْحَائِرِ ^(٨) الْمُتَهْتِهِ ^(٩)

وإنما أخبر الله عزَّ وجلَّ عن عيسى صلواتُ الله عليه أنه يَقُولُ ذَلِكَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ اِحْتِجَاجًا مِنْهُ بِهَذِهِ الْعِبَرِ وَالْآيَاتِ عَلَيْهِمْ فِي نَبْوَتِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْكَمَةَ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٥/٢ (٣٥٤٥) ، وابن الأنباري في الأضداد ص ٣٧٨ من طريق حفص بن عمر به .

(٢) في م : « أكميتها » .

(٣) الأضداد لابن الأنباري ص ٣٧٨ ، والمفضليات ص ٢٠٠ ، وشرح اختيار المفضل ٩١٠ / ٢ ، واللسان (ك م هـ) .

(٤ - ٤) في م ، ت ١ ، ت ٣ : « كيهت عيناه » .

(٥) ديوانه ص ١٦٦ .

(٦) هرجت : صبغت به .

(٧) في س ، ت ١ ، ت ٣ : « عاملات » . والغائلات : المهلكات الدواهي .

(٨) في الديوان : « الخائب » .

(٩) المتتهته : المتردد في الباطل .

والبَرَصَ لا علاجَ لهما فيَقْدَرُ على إبرائه ذو طِبِّ بعلاج^(١) ، فكان ذلك من أدلته على صدقِ قيله : إنه لله رسولٌ ؛ لأنه من المعجزاتِ ، مع سائرِ الآياتِ التي / أعطاه الله إياها دَلالةً على نبوّته .

٢٧٨/٣

فأمّا ما قال عكرمةُ ، من أن الكَمَّةَ العَمَشُ ، وما قاله مجاهدٌ من أنه سوءُ البصرِ بالليل ، فلا معنى لهما ؛ لأن الله لا يَحْتَجُّ على خلقه بحجةٍ تُكونُ لهم السبيلُ إلى معارضته فيها ، ولو كان مما احتجَّ به عيسى على بنى إسرائيلَ في نبوّته أنه يُرَى الأعمَشَ ، أو الذى يبصرُ بالنهارِ ولا يبصرُ بالليلِ ، لقدروا على معارضته بأن [٤١١/١] يَقُولُوا : وما فى هذا لك من الحُجَّةِ ، وفينا خَلْقٌ ممن يُعالِجُ ذلك وليسوا لله أنبياءَ ولا رسلاً ؟ ففى ذلك دَلالةٌ بيّنةٌ على صحّةِ ما قلنا من أن الأكمّة هو الأعمى الذى لا يُبصرُ شيئاً ، لا ليلاً ولا نهاراً ، وهو بما قال قتادةٌ من أنه الملوذُ كذلك أشبههُ ؛ لأن علاجَ مثلِ ذلك لا يدّعيه أحدٌ من البشرِ إلا من أعطاه الله مثلَ الذى أعطى عيسى ، وكذلك علاجُ الأبرصِ .

القولُ فى تأويلِ قوله جلّ ثناؤه : ﴿ وَأُخِي الْمَوْئِدِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ .

وكان إحياءُ عيسى الموتى بدعاءِ الله ، يدّعو لهم ، فيستجيبُ له .

كما حدّثنى محمدُ بنُ سهلٍ بنِ عسْكَرٍ ، قال : ثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الكريمِ ، قال : ثنا عبدُ الصمدِ بنُ مَعْقِلٍ أنه سَمِعَ وَهْبَ بنَ مُسَيَّبٍ يقولُ : لما صار عيسى ابنُ أُمَّتِنِي عَشْرَةَ سَنَةٍ ، أُوْحِيَ اللهُ إلى أمّه وهى بأرضِ مصرَ ، وكانت هزبت من قومها حينَ ولّدتَه إلى أرضِ مصرَ : أن اطلّعى به إلى الشامِ . ففعلت الذى أمرت به ، فلم

(١) فى س : « يعالج » .

تَزَلُّ بِالشَّامِ حَتَّى كَانَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَتْ نَبُوَّتُهُ ثَلَاثَ سِنِينَ ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ . قَالَ : وَزَعَمَ وَهَبٌ أَنَّهُ رُبَّمَا اجْتَمَعَ عَلَى عَيْسَى مِنَ الْمَرْضَى فِي الْجَمَاعَةِ الْوَاحِدَةِ خَمْسُونَ أَلْفًا ، مَنْ أَطَاقَ مِنْهُمْ أَنْ يَتَلَعَّهَ بَلْعَهُ ، وَمَنْ لَمْ يُطِيقْ مِنْهُمْ ذَلِكَ أَتَاهُ عَيْسَى يَمْشِي إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يُدَاوِيهِمْ بِالِدَعَاءِ إِلَى اللَّهِ ^(١) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي : وَأَخْبِرْكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ مِمَّا لَمْ أَعَايِنُهُ وَأَشَاهِدُهُ مَعَكُمْ ^(٢) فِي وَقْتِ أَكْلِكُمْوهُ ، ﴿ وَمَا تَدَّخِرُونَ ﴾ . يَعْنِي بِذَلِكَ : وَمَا تَزْفَعُونَهُ فَتُحَبِّئُونَهُ وَلَا تَأْكُلُونَهُ . يُعْلِمُهُمْ أَنَّ مِنْ حُجَّتِهِ أَيْضًا عَلَى نَبُوَّتِهِ - مَعَ الْمَعْجَزَاتِ الَّتِي أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ يَأْتِي بِهَا حُجَّةً عَلَى نُبُوَّتِهِ وَصَدِيقَهُ فِي خَبْرِهِ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ ؛ مِنْ خَلْقِ الطَّيْرِ مِنَ الطَّيْنِ ، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ ، وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ، الَّتِي لَا يُطِيقُهَا أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ ذَلِكَ ؛ عَلَمًا لَهُ عَلَى صَدِيقِهِ ، وَآيَةً لَهُ عَلَى حَقِيقَةِ قَوْلِهِ ، مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْ خَلْقِهِ - إِنْبَاءَهُ عَنِ الْغَيْبِ الَّذِي لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ الَّذِينَ سَبَّلُهُمْ سَبِيلَهُ ، عَلَيْهِ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَمَا كَانَ فِي قَوْلِهِ لَهُمْ : ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ مِنْ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى صَدِيقِهِ ، وَقَدْ رَأَيْنَا الْمُنْتَجِمَةَ وَالْمُتَكَهَّنَةَ تَخْبِرُ بِذَلِكَ كَثِيرًا فَتَصِيبُ ؟

قِيلَ : إِنَّ الْمُنْتَجِمَ وَالْمُتَكَهَّنَ مَعْلُومٌ مِنْهُمَا عِنْدَ مَنْ يُخْبِرَانَهُ ^(٣) بِذَلِكَ أَنَّهُمَا يُتَّبِعَانِ بِهِ عَنِ اسْتِخْرَاجٍ لَهُ بَعْضِ الْأَسْبَابِ الْمُؤَدِيَةِ إِلَى عِلْمِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ مِنْ عَيْسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَمِنْ سَائِرِ أَنْبِيَائِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ عَيْسَى يُخْبِرُ بِهِ عَنِ

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ٥٩٨/١ .

(٢) في س : « منكم » .

(٣) في النسخ : « يخبره » . والسياق يقتضى ما أثبت .

غير استخراج ولا طلب لمعرفة باحتيال ، ولكن ابتداءً بإعلام الله إياه ، من غير أصلٍ تقدم ذلك احتذاه ، أو بنى عليه أو فرغ إليه ، كما يفرغ المنتجم إلى حسابيه ، والمتكهن إلى رئييه ، فذلك هو الفصل بين علم الأنبياء بالغيوب وإخبارهم عنها ، وبين علم سائر المتكذبة على الله ، أو المدعية علم^(١) ذلك .

٢٧٩/٣ / كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما بلغ عيسى تسع سنين أو عشرًا أو نحو ذلك ، أدخلته أمه الكتاب ، فيما يزعمون ، فكان عند رجلٍ من المكتبين يُعلمه كما يُعلم الغلمان ، فلا يذهبُ يُعلمه شيئًا مما يُعلمه الغلمان إلا بَدَره إلى علمه قبل أن يُعلمه إياه ، فيقول : ألا تعجبون لابن هذه الأرملة ، ما أذهبُ أُعلمه شيئًا إلا وجدته أعلم به مني^(٢) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدّي : لما كبر عيسى أسلمته أمه يتعلم التوراة ، فكان يلعب مع الغلمان ، غلمان القرية التي كان فيها ، فيحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم^(٣) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هُشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن سالم ، عن سعيد بن جبيرة في قوله : ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ قال : كان عيسى ابن مريم إذ كان في الكتاب يُخبرهم بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هُشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن سالم ، قال : سمعتُ سعيد بن جبيرة يقول : ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « على » .

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٣٣ .

تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴿١﴾ قال : إِنَّ عيسى ابنَ مريمَ كان يقول للغلام في الكتاب : يا فلانُ ، إِنَّ أَهْلَكَ قد خَبِئُوا لك كذا وكذا مِن الطعام ، فَتَطْعُمُنِي منه ؟^(١)

فهكذا ففعلُ الأنبياءِ وحججُها ، إنما تأتي بما أتت به مِن الحججِ بما قد يُوصَلُ إليه ببعضِ الحيلِ ، على غيرِ الوجهِ الذي يأتي به غيرها ، بل مِن الوجهِ الذي يَعْلَمُ الخَلْقُ أنه لا يُوصَلُ إليه مِن ذلك الوجهِ بحيلةٍ إلا مِن قِبَلِ اللَّهِ .

وبنحو ما قلنا في تأويلِ قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ قال : بما أَكَلْتُمُ البارحةَ ، وما خَبِئْتُمُ منه . عيسى ابنُ مريمَ يَقُولُهُ^(٢) .

حدَّثني المُشَنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شَيْبَلٌ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثله .

حدَّثنا [٤١١/١] القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال عطاءُ بنُ أبي رباحٍ ، يعني قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ .

(١) أخرجه سعيد بن منصور (٤٩٩ - تفسير) عن هشيم به ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٦/٢ (٣٥٥٠) من طريق إسماعيل به .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٣ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٦/٢ (٣٥٤٦ ، ٣٥٤٩) .

تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴿١﴾ قال : الطعام والشئ يُدْخِرُونَهُ فِي بُيُوتِهِمْ ، غَيْبًا عَلَّمَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ .^(١)

حَدَّثَنِي الْمُنْتَنِي ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ قَالَ : ﴿ مَا تَأْكُلُونَ ﴾ : مَا أَكَلْتُمُ الْبَارِحَةَ مِنْ طَعَامٍ وَمَا خَبَأْتُمْ مِنْهُ .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ ، قَالَ : كَانَ - يَعْنِي عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ - يُحَدِّثُ الْغِلْمَانَ وَهُوَ مَعَهُمْ فِي الْكُتَّابِ بِمَا يَصْنَعُ آبَاؤُهُمْ ، وَبِمَا يَفْعُونَ لَهُمْ ، وَبِمَا يَأْكُلُونَ ، / وَيَقُولُ لِلْغِلَامِ : انْطَلِقْ فَقَدْ رَفَعَ لَكَ أَهْلُكَ كَذَا وَكَذَا ، وَهَمُّ يَأْكُلُونَ كَذَا وَكَذَا . فَيَنْطَلِقُ الصَّبِيُّ ، فَيَنْكِحِي عَلَى أَهْلِهِ حَتَّى يُعْطَوْهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ ، فَيَقُولُونَ لَهُ : مَنْ أَحْبَبَكَ بِهَذَا ؟ فَيَقُولُ : عَيْسَى . فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ فَحَبَسُوا صَبِيَانَهُمْ عَنْهُ ، وَقَالُوا : لَا تَلْعَبُوا مَعَ هَذَا السَّاحِرِ . فَجَمَعُوهُمْ فِي بَيْتٍ ، فَجَاءَ عَيْسَى يَطْلُبُهُمْ ، فَقَالُوا : لَيْسَ هُمْ هَهُنَا . فَقَالَ : مَا فِي هَذَا الْبَيْتِ ؟ فَقَالُوا : خَنَازِيرُ . قَالَ عَيْسَى : كَذَلِكَ يَكُونُونَ ، فَفَتَحُوا عَنْهُمْ فَإِذَا هُمْ خَنَازِيرُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾^(٢) [المائدة : ٧٨] .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عُبَادٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ . قَالَ : مَا تُخْبِئُونَ ، مَخَافَةَ الَّذِي يُمَسِّكُ^(٣) أَنْ يُخْلِفَهُ^(٣) .

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٣٣ .

(٢) ذكره الثعلبي في قصص الأنبياء ص ٣٤٩ ، والبغوي في تفسيره ص ٤٠ ، ٤١ .

(٣) (٣ - ٣) في م : « أن لا يخلفه شيء » .

وقال آخرون : إنما عنى بقوله : ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ : ما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم ، وما تدخرون منها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ : فكان القوم لما سألو المائدة ، فكانت خواناً^(١) يُنزل عليه أينما كانوا ثمراً من ثمار الجنة ، فأمر القوم ألا يخونوا فيه ولا يُخبئوا ولا يدخروا الغدي . بلاء ابتلاهم الله به ، فكانوا إذا فعلوا من ذلك شيئاً أنبأهم به عيسى ابن مريم ، فقال : ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ ﴾ قال : أنبئكم بما تأكلون من المائدة وما تدخرون منها . قال : وكان أخذ عليهم فى المائدة حين نزلت ، أن يأكلوا ولا يدخروا . فادخروا وخانوا ، فجعلوا خنازير حين ادخروا وخانوا ، فذلك قوله : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة : ١١٥] .

قال ابن يحيى : قال عبد الرزاق : قال معمر ، عن قتادة ، عن خلاص بن عمرو ، عن عمار بن ياسر^(٢) .

وأصل ﴿ تَدَّخِرُونَ ﴾ من الفعل « تَفْتَعِلُونَ » ، من قول القائل : ذخرت

(١) فى م : « جرابا » .

(٢) بعده فى م : « ذلك » .

والأثر فى تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢١ ، ١٢٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٥٦ (٣٥٤٧) ، ٣٥٤٨ عن الحسن به ، وأخرجه الترمذى (٣٠٦١) من طريق قتادة عن خلاص بن عمرو ، عن عمار بن ياسر عن النبى ﷺ بنحوه .

الشيء . بالذال ، فأنا أذخره ، ثم قيل : يَدْخِرُ . كما قيل : يَدْكِرُ . من . ذَكَرْتُ الشيء . يُرَادُ بِهِ يَدْخِرُ ، فلما اجتمعت الذال والتاء وهما مُتَقَارِبَتَا المخرج ، ثَقُلَ إظهارهما على اللسان ، فأدغمت إحداهما في الأخرى ، وصيِّرَتَا دالاً مشددةً ، صيِّروها عدلاً بين الذال والتاء ، ومن العرب من يُعَلِّبُ الذال على التاء ، فيدغم التاء في الذال ، فيقول : وما تَدْخِرُونَ ، وهو مُدْخِرٌ لك ، وهو مُدْكِرٌ . واللغة التي بها القراءة الأولى ، وذلك إدغام الذال في التاء ، وإبدالهما دالاً مشددةً ، لا يَجُوزُ القراءةُ بغيرها ؛ لتظاهر النقل من القراءة بها ، وهي اللغة الجودي ، كما قال زهير^(١) :

٢٨١/٣ / 'إن الكريم' الذي يُعْطِيكَ نائله عَفْوًا وَيُظْلِمُ أحياناً فَيُظْلِمُ

يُروى بالظاء ، يريدُ : فيفتعل . من الظلم ، ويُروى بالطاء أيضاً .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : إن في خلقى من الطين الطير بإذن الله ، وفي إبرائى الأكمة والأبرص ، وإحيائى الموتى ، وإنبائى إياكم بما تأكلون وما تَدْخِرُونَ فى بيوتكم ، ابتداءً من غير حساب وتنجيم ، ولا كهانة وعرافة - لعلهم يفتكروا وتفكروا فى ذلك ، فتعتبرون به أنى محق فى قولى لكم : إنى رسول من ربكم إليكم . وتعلمون به أنى فيما أذغوكم إليه من أمر الله ونهيه صادق . ﴿ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . يعنى : إن كنتم مُصَدِّقِينَ حُجَجَ اللَّهِ وآيَاتِهِ ، مُقَرِّينَ بتوحيده ، ونبيّه موسى والتوراة التى جاءكم بها .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحَدًا لَكُمْ

(١) شرح ديوانه ص ١٥٢ .

(٢ - ٢) فى الديوان : « هو الجواد » .

بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴿٥٠﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وبأنى قد جئتكم بأية من ربكم ، وجئتكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة . ولذلك نصب ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ على الحال من ﴿ جِئْتُمْ ﴾ .
والذى يدل على أنه نُصِبَ على قوله : ﴿ وَجِئْتُمْ ﴾ دون العطف على قوله :
﴿ وَجِئَهَا ﴾ قوله : ﴿ لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ﴾ ولو كان عطفاً على قوله :
﴿ وَجِئَهَا ﴾ ، لكان الكلام : ومصدقاً لما بين يديه من التوراة ، وليحل لكم بعض الذى حُرِّمَ عليكم .

وإنما قيل : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ﴾ . لأن عيسى صلوات الله عليه كان مؤمناً بالتوراة مقراً بها ، وأنها من عند الله ، وكذلك الأنبياء ، كلهم يُصَدِّقُونَ بكل ما كان قبلهم من كتب الله ورسوله ، [١٢/١] وإن اختلف بعض شرائع أحكامهم ؛ لمخالفة الله بينهم فى ذلك ، مع أن عيسى كان - فيما بلغنا - عاملاً بالتوراة لم يخالف شيئاً من أحكامها ، إلا ما خفف الله عن أهلها فى الإنجيل مما كان مشدداً عليهم فيها .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : إن عيسى كان على شريعة موسى ، صلى الله عليهما وسلم ، وكان يَسْبِطُ وَيَسْتَقْبِلُ بَيْتَ المقدسِ ، فقال لبنى إسرائيل : إنى لم أدعكم إلى خلاف حرف مما فى التوراة ، إلا لأجل لكم بعض الذى حُرِّمَ عليكم ، وأضع عنكم من الآصار (١) .

حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّ

يَدَيَّ مِنَ التَّورَةِ وَلَا أُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴿٥٠﴾ : كان الذي جاء به عيسى أَلَيْنَ مما جاء به موسى ، وكان قد حُرِّمَ عليهم فيما جاء به موسى لحوم الإبل والثروب^(١) ، وأشياء من الطير والحيتان^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قوله : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّورَةِ وَلَا أُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ قال : كان الذي جاء به عيسى أَلَيْنَ مما جاء به موسى . قال : وكان حُرِّمَ عليهم فيما جاء به موسى مِنَ التوراةِ لحومُ الإبلِ والثروبُ ، فأحلَّها لهم على لسانِ عيسى - وحُرِّمَت عليهم الشحومُ ، وأُحِلَّت لهم فيما جاء به عيسى - وفي أشياء من السمكِ ، وفي أشياء من الطيرِ ، مما لا صِصِيصَةٌ^(٣) له ، وفي أشياء حُرِّمَها عليهم ، وشدَّدها عليهم ، فجاءهم عيسى بالتَّخْفِيفِ منه في الإنجيلِ ، فكان الذي جاء به عيسى أَلَيْنَ من الذي جاء به موسى صلواتُ الله عليه^(٤) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ قوله : ﴿ وَلَا أُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ قال : لحومُ الإبلِ والشحومُ ، لما بُعثَ عيسى أحلَّها لهم ، وُبُعثَ إلى اليهودِ فاختَلَفُوا وتفرَّقوا^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّورَةِ ﴾ . أَى : لما سَبَقَنِي منها ،

(١) الثروب : جمع الثروب ، وهو شحم رقيق يُعْتَسَى الكرش والأعضاء ، وقيل : هو الشحم المنسوط على الأمعاء والمصارين . تاج العروس (ث ر ب) .

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢ / ٤٣٥ .

(٣) في ت ٢ ، س : « صيصة » . والصِصِيصَةُ : شوكة الديك التي في رجليه . تاج العروس (ص ي ص) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢ / ٦٥٧ ، ٦٥٨ (٣٥٥٧) من طريق عبد الله بن أبي جعفر به .

(٥) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢ / ٤٣٥ .

﴿وَلَا حِجْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ . أى: أُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ كَانَ حَرَامًا عَلَيْكُمْ فَتَرَكْتُمُوهُ ، ثُمَّ أَحْلَاهُ لَكُمْ تَخْفِيفًا عَنْكُمْ ، فَتُصِيبُونَ يُسْرَهُ ، وَتَخْرُجُونَ مِنْ تِبَاعَتِهِ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عُبَادٍ ، عَنِ الْحَسَنِ : ﴿وَلَا حِجْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ قَالَ : كَانَ حُرْمٌ عَلَيْهِمْ أَشْيَاءٌ ، فَجَاءَهُمْ عِيسَى لِيُحِلَّ لَهُمُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْهِمْ ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ شُكْرَهُمْ ^(٢) .

القولُ في تأويلِ قوله: ﴿وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ .

يعنى بذلك: وجئتكم بحجةٍ وعبرةٍ من ربكم، تعلمون بها حقيقةَ ما أقول لكم .

كما حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عِيسَى ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قَالَ : مَا بَيَّنَّ لَهُمْ عِيسَى مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا ، وَمَا أَعْطَاهُ رَبُّهُ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ : مَا بَيَّنَّ لَهُمْ عِيسَى مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا . وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ : ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ : مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ .

القولُ في تأويلِ قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾

(١) التبعة والتباعة . ما فيه إثم يُبْع به . يقال : ما عليه من الله في هذا تبعة ولا تباعة . ينظر تاج العروس (ت ب ع) .

والأثر في سيرة ابن هشام ٥٨١/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٧/٢ (٣٥٥٥) من طريق سلمة عن ابن إسحاق قوله .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٧/٢ (٣٥٥٦) من طريق أبي بكر الحنفى به .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٣ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٨/٢ (٣٥٥٨) .

فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ .

يعنى بذلك : وجئْتُكم بآيةٍ من ربِّكم تَعَلَّمون بها يقينًا صدقِي فيما أقولُ ، فاتَّقُوا اللهَ يا معشرَ بنى إسرائيلَ فيما أمَرَكم به ونهاكم عنه فى كتابه الذى أنزله على موسى ، فأوفُوا بعهدِهِ الذى عاهدْتُموه فيه ، وأطِيعُونِي / فيما دَعَوْتُكم إليه من تَصَدِيقِي فيما أُرْسَلْتِي به إليكم ربي وربُّكم ، فاعْبُدوه ، فإنه بذلك أُرْسَلْتِي إليكم ، وبإِخْلَالِ بعضِ ما كان مُحَرَّمًا عليكم فى كتابكم ، وذلك هو الطريقُ القويمُ ، والهدى المتينُ الذى لا اعوجاجَ فيه .

٢٨٣/٣

كما حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ ﴾ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴿٥١﴾ : تَبَرُّيًا مِنَ الذى يَقولون فيه - يعنى : ما يَقولُ فيه النصارى - واحتِجاجًا لربِّه عليهم . ﴿ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ أى : هذا الذى قد حملْتُم عليه وجئْتُكم به ^(١) . واختلَفَ القَرَأَةُ فى قِراءَةِ قولِهِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ ؛ فقرأته عامةُ قِراءَةِ الأمصارِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ بكسْرِ أَلِفٍ ﴿ إِنَّ ﴾ . على ابتداءِ الخبرِ .

وقرأه بعضهم : (أَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) . بفتحِ أَلِفٍ (أَنَّ) ^(٢) ، بتأويلِ : وجئْتُكم بآيةٍ من ربِّكم أن الله ربي وربُّكم . على ردِّ « أن » على « الآية » ، والإبدالِ منها .

(١) سيرة ابن هشام ٥٨١/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٥٨/٢ (٣٥٦٠ ، ٣٥٦٢) ، من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٢) قال ابن خالويه فى مختصر الشواذ ص ٢٧ : بالفتح ، الأخفش عن بعض القراء . وينظر المحرر الوجيز لابن عطية ٤٣٦/٢ ، والبحر المحيط ٤٦٩/٢ .

والصوابُ من القراءةِ عندنا ما عليه قرأةُ الأمصارِ ، وذلك كسرُ أَلِفٍ ﴿إِنَّ﴾ .
على الابتداءِ ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ من القراءةِ على صحةِ ذلك ، وما اجتمعت عليه
فحُجَّةٌ ، وما انفرد به المنفردُ عنها فرأى ، ولا يُعْتَرَضُ بالرأيِ على الحُجَّةِ .

وهذه الآيةُ ، وإن كان ظاهرُها خبيراً ، ففيه الحجةُ البالغةُ من اللّٰه لرسوله
محمدٍ ﷺ ، على الوفدِ الذين حاجَّوه من أهلِ نَجْرَانَ ، بإخبارِ اللّٰه عزَّ وجلَّ عن أن
عيسى كان بريئاً مما نسبته إليه من نسبه إلى غيرِ الذي وصف به نفسه ، من أنه لله عبدٌ
كسائرِ عبديه من أهلِ الأرضِ ، إلا ما كان اللّٰه جلَّ ثناؤه [٤١٢/١ ظ] خصَّه به من النبوةِ
والحُججِ التي آتاه دليلاً على صدقه - كما أتى ^(١) سائرَ المرسلينِ غيره من الأعلامِ
والأدلةِ على صدقهم - ^(٢) وحُجَّةٌ على نبوته ^(٣) .

القولُ في تأويلِ قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ
أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴾ (٥٢) .

يعنى بقوله جلَّ ثناؤه : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ ﴾ : فلما وجد
عيسى منهم الكفرَ .

و « الإحساسُ » هو الوجودُ ، ومنه قولُ اللّٰه عزَّ وجلَّ : ﴿ هَلْ تَحْسِبُ مِنْهُمْ مَنْ
أَحَدٍ ﴾ [مریم : ٩٨] .

فأما « الحسُّ » بغيرِ أَلِفٍ ، فهو : الإفناءُ والقتلُ ، ومنه قوله : ﴿ إِذْ تَحْسُبُونَهُمْ
بِأَذْنِهِ ﴾ [آل عمران : ١٥٢] . و « الحسُّ » أيضاً : العطفُ والرِّقَّةُ . ومنه قولُ

(١) في ص ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « أن » .

(٢ - ٢) في م : « الحجة على نبوتهم » .

الْكُمَيْتِ^(١) :

هل من بكى الدارَ راجٍ أن تحسَّ له أو يُبكي الدارَ ماء العبرة الخِضَلُ^(٢)
يعنى بقوله : أن تحسَّ له : أن ترقَّ له .

فتأويل الكلام : فلَمَّا وجد عيسى من بنى إسرائيل الذين أرسله الله إليهم ،
جحدًا لنبوته ، وتكذيبيًا / لقوله ، وصدًا عما دعاهم إليه من أمر الله ، قال : ﴿ مَنْ
أَنْصَارِيَّ إِلَى اللَّهِ ﴾ يعنى بذلك : قال عيسى : من أغوانى على المكذبين بحجة الله ،
والمؤلِّين عن دينه ، والجاحدين نبوة نبيِّه ، إلى الله عزَّ وجلَّ ؟
ويعنى بقوله : ﴿ إِلَى اللَّهِ ﴾ : مع الله .

وإنما حَسُنَ أن يُقالَ : ﴿ إِلَى اللَّهِ ﴾ . بمعنى : مع الله ؛ لأن من شأن العرب إذا
ضُمُّوا الشيء إلى غيره ، ثم أرادوا الخبرَ عنهما بضمٍّ أحدهما مع الآخر إذا ضُمَّ إليه ،
جَعَلُوا مَكَانَ « مع » « إلى » أحيانًا ، وأحيانًا تُخْبِرُ عنهما بـ « مع » ، فتقولُ : الدَّوْدُ^(٣)
إلى الدَّوْدِ إِبْلٌ . بمعنى : إذا ضَمَمْتَ الدَّوْدَ إلى الدَّوْدِ صارت إِبْلًا . فأما إذا كان
الشيء مع الشيء لم يَقُولوه بـ « إلى » ، ولم يَجْعَلُوا مَكَانَ « مع » « إلى » ، غيرُ جائزٍ أن
يُقالَ : قَدِمَ فلانٌ وإليه مالٌ . بمعنى : ومعه مالٌ .

وبمثل ما قلنا فى تأويلِ قوله : ﴿ مَنْ أَنْصَارِيَّ إِلَى اللَّهِ ﴾ قال جماعةٌ

(١) شعر الكميت بن زيد الأسدي ١٢/٢ .

(٢) الخِضَلُ : كل شيء نَدِي يَتَرَشَّشُ من نداءه فهو خِضَلٌ ، وقد خِضَلَ الثوبَ دَمَعُهُ : بَلَّه . اللسان (خ ض ل) .

(٣) الدَّوْدُ : ثلاثة أبعرة إلى التسعة . وقيل : إلى العشرة . وقيل : من ثلاث إلى خمس عشرة . وقيل : من
ثلاث إلى العشرين وفوق ذلك . وقيل : ما بين الثلاث إلى الثلاثين أو ما بين الثلاثين إلى التسع . تاج

من أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ قَوْلَهُ : ﴿ مَنْ أَنْصَرَ إِلَى اللَّهِ ﴾ يَقُولُ : مع الله ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ : ﴿ مَنْ أَنْصَرَ إِلَى اللَّهِ ﴾ يَقُولُ : مع الله ^(١) .

وأما سبب استنصار عيسى عليه السلام من استنصر من الحواريين ، فإن بين أهل العلم فيه اختلافاً ؛ فقال بعضهم : كان سبب ذلك ما حدثني به موسى ابن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشَّدِيِّ : لما بعث الله عيسى ، فأمره بالدعوة ، نفته بنو إسرائيل وأخرجوه ، فخرج هو وأمه يسيحون في الأرض ، فنزل في قرية على رجل ، فضافهم وأحسن إليهم ، وكان لتلك المدينة ملك جبار معتد ، فجاء ذلك الرجل يوماً وقد وقع عليه همٌّ وحزنٌ ، فدخل منزله ومريمٌ عند امرأته ، فقالت مريمٌ لها : ما شأن زوجك ؟ أراه حزينا ! قالت : لا تسألني . قالت : أخبريني لعل الله يُفرِّج كُرْبَتَهُ . قالت : فإن لنا ملكاً يجعلُ على كلِّ رجلٍ منا يوماً يُطعمه هو وجنوده ، ويشقيهم من الخمر ، فإن لم يفعلْ عاقبته ، وإنه قد بلغتْ نوبته اليوم الذي يُريدُ أن يصنعَ له فيه ، وليس لذلك عندنا سعة . قالت : فقولي له : لا يهتَمُّ ، فإنني أمرتُ ابني فيدعو له فيكفِي ذلك . قالت مريمٌ لعيسى في ذلك ، قال عيسى : يا أمّة ، إنى إن فعلتُ كان في ذلك شرٌّ . قالت : فلا تُبال ، فإنه قد أحسن إلينا وأكرمنا . قال عيسى : فقولي له : إذا اقترب ذلك ،

فَامَلًا قُدُورَكَ وَخَوَابِيكَ^(١) مَاءً، ثُمَّ أَعْلِمْنِي^(٢). فَلَمَّا مَلَأَهُنَّ أَعْلَمَهُ، فَدَعَا اللَّهَ، فَتَحَوَّلَ مَا فِي الْقُدُورِ لَحْمًا وَمَرَقًا وَخَبْزًا، وَمَا فِي الْخَوَابِي^(٣) خَمْرًا، لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَآتَاهُ طَعَامًا^(٤)، فَلَمَّا جَاءَ الْمَلِكُ أَكَلَ، فَلَمَّا شَرِبَ الْخَمْرَ سَأَلَ: مِنْ أَيْنَ هَذَا الْخَمْرُ؟ قَالَ لَهُ: هِيَ مِنْ أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا. قَالَ الْمَلِكُ: فَإِنْ خَمَرِي أُوتِيَتْ بِهَا مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ، فَلَيْسَ هِيَ مِثْلَ هَذِهِ. قَالَ: هِيَ مِنْ أَرْضٍ أُخْرَى. فَلَمَّا خَلَطَ عَلَى الْمَلِكِ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَنَا أُخْبِرُكَ، عِنْدِي غَلَامٌ لَا يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَإِنَّهُ دَعَا اللَّهَ، فَجَعَلَ الْمَاءَ خَمْرًا. قَالَ الْمَلِكُ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَخْلِفَهُ، فَمَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ، وَكَانَ أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنْ رَجَلًا دَعَا اللَّهَ حَتَّى / جَعَلَ الْمَاءَ خَمْرًا، لَيْسَتْ جَابِئًا لَهُ حَتَّى يُحْيِيَ ابْنِي. فَدَعَا عَيْسَى فَكَلَّمَهُ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ فَيُحْيِيَ ابْنَهُ، فَقَالَ عَيْسَى: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّهُ إِنْ عَاشَ كَانَ شَرًّا. فَقَالَ الْمَلِكُ: لَا أَبَالِي أَلَيْسَ أَرَاهُ؟ فَلَا أَبَالِي مَا كَانَ. فَقَالَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَإِنْ أَحْيَيْتَهُ تَتْرُكُونِي أَنَا وَأُمِّي نَذْهَبُ أَيْنَمَا شِئْنَا؟ قَالَ الْمَلِكُ: نَعَمْ. فَدَعَا اللَّهَ، فَعَاشَ الْغَلَامُ. فَلَمَّا رَأَاهُ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ قَدِ عَاشَ، تَنَادَوْا بِالسَّلَاحِ. وَقَالُوا: أَكَلْنَا هَذَا، حَتَّى إِذَا دَنَا مَوْتُهُ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَخْلِفَ ابْنَهُ، فَيَأْكُلْنَا كَمَا أَكَلْنَا أَبُوهُ! فَاقْتَتَلُوا. وَذَهَبَ عَيْسَى وَأُمَّهُ، وَصَحْبُهُمَا يَهُودِيٌّ، وَكَانَ مَعَ الْيَهُودِيِّ رَغِيْفَانِ، وَمَعَ عَيْسَى رَغِيْفٌ، فَقَالَ لَهُ عَيْسَى: شَارِكْنِي. فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: نَعَمْ. فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ

٢٨٥/٣

(١) الْخَوَابِي، جَمْعُ خَايَةٍ، وَهِيَ الْحِوَّةُ الْكَبِيرَةُ، تَرَكَوْا هَمَزَتَهَا كَمَا تَرَكَوْا هَمَزَةَ الْبَرِّيَّةِ، وَالذَّرِّيَّةِ تَخْفِيفًا لِكَثْرَةِ الْاسْتِعْمَالِ. تَاجُ الْعُرُوسِ (خ ب أ).

(٢) بَعْدَهُ فِي ص، م، ت، ١، س: «قَالَ».

(٣- ٣) سَقَطَ مِنْ: ت، ١، س.

ليس مع عيسى إلا رغيّف نديم . فلمّا ناما جعل اليهوديُّ يريدُ أن يأْكُلَ الرغيّفَ ، فلما أكلَ لُقْمَةً قال له عيسى : ما تَصْنَعُ ؟ فيقولُ : لا شيءَ . فيطْرَحُهَا ، حتى فرغَ مِنَ الرغيّفِ كُلِّهِ . فلما أَصْبَحَا قال له عيسى : هَلُمَّ طَعَامَكَ . فجاءَ برغيّفٍ ، فقال له عيسى : أين الرغيّفُ الآخرُ ؟ قال : ما كان معي إلا واحدٌ . فسكّت عنه عيسى . فانْطَلَقُوا ، فمَرُّوا براعى غنمٍ ، فنادى عيسى : يا صاحبَ الغنمِ ، [١٣/١٥] أَجْزَرْنَا شاةً مِنَ غنمِكَ . قال : نعم ، أُرْسِلُ صاحبَكَ يَأْخُذُهَا . فأرْسَلَ عيسى اليهوديَّ ، فجاءَ بالشاةِ ، فذَبَحَها وشَوَّها ، ثم قال لليهوديِّ : كُلْ ولا تَكْسِرْ عَظْمًا . فأكَلَا ، فلما شَبِعُوا قَذَفَ عيسى العظامَ فى الجلِدِ ، ثم ضَرَبَها بعصاه ، وقال : قومى بإذنِ اللهِ . فقامت الشاةُ تَثْعُو^(١) ، فقال : يا صاحبَ الغنمِ ، خُذْ شاتَكَ . فقال له الراعى : مَنْ أنت ؟ قال : أنا عيسى ابنُ مريمَ . قال : أنت الساحرُ ! وفرَّ منه . قال عيسى لليهوديِّ : بالذى أحيا هذه الشاةَ بعدَ ما أَكَلْنَاها ، كم كان معكَ رغيّفًا ؟ فحلّفَ ما كان معه إلا رغيّفٌ واحدٌ . فمَرُّوا بصاحبِ بقرٍ ، فنادى عيسى ، فقال : يا صاحبَ البقرِ ، أَجْزَرْنَا مِنَ بقرِكَ هذه عِجْلاً . قال : ابْعَثْ صاحبَكَ يَأْخُذُهَا . قال : انْطَلِقْ يا يهوديُّ فِجِئْ بِهِ . فانْطَلَقَ فجاءَ بِهِ . فذَبَحَهُ وشَوَّاهُ ، وصاحبُ البقرِ يَنْظُرُ ، فقال له عيسى : كُلْ ولا تَكْسِرْ عَظْمًا . فلَمَّا فرغوا قَذَفَ العِظامَ فى الجلِدِ ، ثم ضَرَبَهُ بعصاه ، وقال : قُمْ بإذنِ اللهِ . فقام وله خُوازٍ . قال : خُذْ عِجْلَكَ . قال : وَمَنْ أنت ؟ قال : أنا عيسى . قال : أنت السَّحَّارُ ! ثم فرَّ منه . قال اليهوديُّ : يا عيسى أحييتَهُ بعدَ ما أَكَلْنَاها ! قال عيسى : فبالذى أحيا الشاةَ بعدَ ما أَكَلْنَاها ، والعِجْلَ بعدَ ما أَكَلْنَاها ، كم كان معكَ رغيّفًا ؟ فحلّفَ

(١) الثَّعَاءُ : صوت الشاةِ والمعزِ وما شاكلها ، وقد ثَعَا يَثْعُو وَثَعَتْ وَثَعَتْ ثَعْفًا : أى صاحت . اللسان

باللّهِ ما كان معه إلا رغيْفٌ واحدٌ. فانْطَلَقا حتى نَزَلا قريّةً، فنَزَلَ اليهوديُّ أعلاها، وعيسى في أسفلها، وأخذ اليهوديُّ عصا مثلَ عصا عيسى^(١)، وقال: أنا الآن أحيي الموتى. وكان ملكُ تلك المدينة مريضًا شديدَ المرضِ، فانْطَلَقَ اليهوديُّ يُنادي: مَنْ يَبْتَغِي طبيبًا. حتى أتى ملكَ تلك القريّة، فأخبر بوجعِهِ، فقال: أدخلوني عليه، فأنا أُبرئُهُ، وإن رأيتُموه قد مات فأنا أُحييه. فقيل له: إن وجعَ الملكِ قد أغيا الأطباءَ قبلك، ليس من طبيبٍ يُداويه ولا يُفيءُ^(٢) دوائُهُ شيئًا إلا أمير به فضيل. قال: أدخلوني عليه، فإني سأبرئُهُ. فأدخل عليه، فأخذ برجلِ الملكِ، فضره بعصاه حتى مات، فجعل يضره بعصاه وهو ميتٌ، ويقول: قُمْ بإذنِ الله. فأخذ ليضَلِّبَ، فبلغ عيسى، فأقبل إليه، وقد رُفِعَ على الخشبة، فقال: أرأيتم إن أحييتُ لكم صاحبكم أتتروكون لي صاحبي؟ قالوا: نعم. فأحيا الله الملكَ لعيسى، فقام وأنزل اليهوديُّ، فقال اليهوديُّ^(٣): يا عيسى، أنت أعظمُ الناسِ عليّ مئةً، والله لا أفارقك أبدًا^(٤).

قال عيسى - فيما حدثنا/ به محمدُ بنُ الحسينِ بنِ موسى، قال: ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ قال: ثنا أسباطُ، عن الشُدِّي - لليهوديِّ: أنشدك بالذي أحيا الشاةَ والعجلَ بعد ما أكلناهما، وأحيا هذا بعد ما مات، وأنزلك من الجذعِ بعد ما رُفِعَتْ^(٥) عليه لتضَلِّبَ، كم كان معك رغيْفًا؟ قال: فحلَفَ بهذا كلِّه، ما كان معه

٢٨٦/٣

(١) في س: «موسى».

(٢) في مصدر التخريج: «يعني». وأصل الفئء: الرجوع، وقيد بعضهم بالرجوع إلى حالة حسنة. تاج العروس (ف ي أ).

(٣) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٣، س.

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٣٩٦/٤٧، ٣٩٧ من طريق عمرو بن حماد، عن أسباط، عن السدي،

عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس.

(٥) في ص، ت، ٢: «رفعل».

إلا رَغِيفٌ واحدٌ . قال : لا بأسَ . فأنطَلَقا حتى مرَّا على كَنْزٍ قد حَفَرْتَهُ السَّبَاعُ
والدوابُّ ، فقال اليهوديُّ : يا عيسى ، لِمَنْ ^(١) هذا المَالُ ؟ قال عيسى : دَعِه ، فإن له
أهلاً يَهْلِكُون عليه . فجَعَلت نفسُ اليهوديِّ تَطَلُّعُ إلى المَالِ ، وَيَكْرَهُ أن يَغْصِبَ
عيسى ، فأنطَلقت مع عيسى ، ومرَّ بالمَالِ أربعةُ نفرٍ . فلَمَّا رَأَوْه اجْتَمَعُوا عليه ، فقال
اثنان لصاحِبَيْهِمَا : انطَلِقا فابْتَاعا لنا طعامًا وشرابًا ودوابَّ نَحْمِلُ عليها هذا المَالُ .
فأنطَلقت الرجلان فابْتَاعا دوابَّ وطعامًا وشرابًا ، وقال أحدهما لصاحِبِهِ : هل لك أن
نَجْعَلَ لصاحبَيْنا في طعامِهما سُتْمًا ، فإذا أَكَلَا ماتا ، فكان المَالُ بيني وبينك ؟ فقال
الآخَرُ : نعم . ففَعَلَا ، وقال الآخَران : إذا ما أَتَيْانا بالطعامِ ، فليَقُمْ كُلُّ واحدٍ إلى
صاحِبِهِ فيَقْتُلُهُ ، فيكونَ الطعامُ والدوابُّ بيني وبينك . فلما جاءا بطعامِهما قاما
فقتَلاهما ، ثم قَعَدَا على الطعامِ ، فأكَلَا منه فماتا ، وأَعْلِمَ ذلك عيسى ، فقال
 لليهوديِّ : أَخْرِجْهُ حتى نَقْتَسِمَهُ . فَأَخْرَجَهُ ، فقسَمَهُ عيسى بينَ ثلاثةٍ ، فقال
اليهوديُّ : يا عيسى ، اتَّقِ اللهَ ولا تَظَلِّمْنِي ، فإنما هو أنا وأنت ، ما هذه الثلاثةُ ؟ قال له
عيسى : هذا لي ، وهذا لك ، وهذا الثلثُ لصاحبِ الرَغِيفِ . قال اليهوديُّ : فإن
أَخْبِرْتُكَ بصاحبِ الرَغِيفِ تُعْطِينِي هذا المَالَ ؟ فقال عيسى : نعم . قال : أنا هو . قال
عيسى : خُذْ حظي وحظُّكَ وحظُّ صاحبِ الرَغِيفِ ، فهو حظُّكَ مِنَ الدنيا
والآخرةِ . فلَمَّا حَمَلَهُ مَشَى به شيئًا ، فحَسِيفَ به ، وأنطَلقت عيسى ابنُ مريمَ ، فمرَّ
بالحواريِّين وهم يَضْطادون السمكَ ، فقال : ما تَصْنَعُونَ ؟ فقالوا : نَضْطادُ السمكَ .
فقال : أفلا تَمْشُونَ حتى نَضْطادَ الناسَ ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا عيسى ابنُ مريمَ .
فآمَنُوا به ، وأنطَلقوا معه ، فذلك قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ مَن أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عِبَادِ بْنِ مَنْصُورٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية . قَالَ : اسْتَنْصَرَ فَنَصَرَهُ الْحَوَارِيُّونَ ، وَظَهَرَ عَلَيْهِمْ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : كَانَ سَبَبَ اسْتِنْصَارِ عِيسَى مَنْ اسْتَنْصَرَ ؛ لِأَنَّ مَنْ اسْتَنْصَرَ الْحَوَارِيْنَ عَلَيْهِ كَانُوا أَرَادُوا قَتْلَهُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحَسِينُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾ قَالَ : كَفَرُوا وَأَرَادُوا قَتْلَهُ ، فَذَلِكَ حِينَ اسْتَنْصَرَ قَوْمَهُ ، قَالَ : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ ^(٢) .
وَالْأَنْصَارُ جَمْعُ نَصِيرٍ ، كَمَا الْأَشْرَافُ جَمْعُ شَرِيفٍ ، وَالْأَشْهَادُ جَمْعُ شَهِيدٍ .

/ وَأَمَّا « الْخَوَارِثُونَ » ، فَإِنَّ أَهْلَ [٤١٣/١] ط [التَّوَابِلِ اخْتَلَفُوا فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ سُمُّوا خَوَارِثِينَ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : سُمُّوا بِذَلِكَ لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ .

٢٨٧/٣

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ الْمُحَارِبِيِّ ، قَالَ : مِمَّا رَوَى أَبِي ، قَالَ : ثنا قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ ، عَنْ مَيْسِرَةَ ، عَنْ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : إِنَّمَا سُمُّوا الْخَوَارِثِينَ لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ ^(٣) .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٥٩/٢ (٣٥٦٧) مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرِ الْحَنْفِيِّ بِهِ .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٥٩/٢ (٣٥٦٤) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ ثَوْرٍ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَوْلَهُ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ أَيْضًا فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٣٥/٢ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٥٩/٢ (٣٥٦٨) مِنْ طَرِيقِ مَيْسِرَةَ بِهِ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ .

وقال آخرون : سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا قَصَّارِينَ يُبَيِّضُونَ الثياب .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ أَبِي أَرْطَاةَ ، قَالَ : الْحَوَارِيُّونَ الْغَسَّالُونَ الَّذِينَ يَحْوِزُونَ الثِّيَابَ ؛ يَغْسِلُونَهَا ^(١) .

وقال آخرون : هم خاصة الأنبياءِ وصفوئهم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُثَيْبَةَ ، عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ ، أَنَّ قَتَادَةَ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : كَانَ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ . فَقِيلَ لَهُ : مَنْ الْحَوَارِيُّونَ ؟ قَالَ : الَّذِينَ تَصْلُحُ لَهُمُ الْخِلَافَةُ ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْمُنْجَابِ ^(٣) بْنِ الْحَارِثِ ^(٣) قَالَ : ثنا يَشْرُبُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ ﴾ [المائدة : ١١٢] . قَالَ : أَصْفِيَاءُ الْأَنْبِيَاءِ ^(٥) .

وأشبهه الأقوال التي ذكرنا في معنى الحواريين قول من قال : سُمُّوا بذلك لبياضِ ثيابهم ، ولأنهم كانوا غَسَّالِينَ .

وذلك أن الحَوَرَ عند العربِ شدةُ البياضِ ، ولذلك سُمِّيَ الحَوَارِيُّ مِنَ

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٣ من طريق ورفاء ، عن ابن أبي أرتاة .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٩/٢ (٣٥٧٠) من طريق ابن عليه به مختصراً .

(٣ - ٣) في النسخ : « قال ثنا الحسين » . وهو إسناد دائر لا ذكر للحسين فيه .

(٤) في م ، ت ، ١ ، س : « عن » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٠/٢ (٣٥٧٢) من طريق المنجاب به .

الطعام : حُوَارَى ؛ لشدة بياضه ، ومنه قيل للرجل الشديد البياض مُقْلَةَ العَيْنَيْنِ :
أحورٌ . وللمرأة : حوراء .

وقد يَجُوزُ أن يكونَ حواريُّو عيسى كانوا سُئِمُوا بالذي ذَكَرْنَا مِن تَبْيِضِهِم
الثياب ، وأنهم كانوا قَصَّارِينَ ، فَعَرَفُوا بصحبة عيسى ، واختياره إيَّاهم لنفسه
أصحابًا وأنصارًا ، فَجَرَى ذلك الاسمُ لهم ، واستُعْمِلَ حتى صار كلُّ خاصية للرجل
من أصحابه وأنصاره حَوَارِيَّه ، ولذلك قال النبي ﷺ : « لكلِّ نبيٍّ حواريٌّ ،
وحواريٌّ الزبيرُ »^(٢) . يعني خاصته ، وقد تُسَمَّى العربُ النساءَ اللواتي مَسَاكُنُهُنَّ
القرى والأمصارُ « حَوَارِيَّاتٍ » ، وإنما سُمِّيْنَ بذلك لغلبة البياضِ عليهن ، ومن ذلك
قولُ أبي جَلْدَةَ اليَشْكُرِيِّ^(٣) :

فقل للحواريَّاتِ^(٤) يَبْكِينَ غيرنا ولا تَبْكِينَا إلا الكلابُ النَّوَابِغُ

ويغنى بقوله : ﴿ قَالَكِ الْهُوَارِيُّونَ ﴾ : قال هؤلاء الذين صفتهم ما ذكرنا من
تبييضهم الثياب : ﴿ ءَأَمَّنَا بِاللَّهِ ﴾ : / صدقنا بالله ، واشهد أنت يا عيسى بأننا
مسلمون . ٢٨٨/٣

وهذا خبرٌ من الله عزَّ وجلَّ أن الإسلامَ دينه الذي ابْتَعَثَ به عيسى والأنبياءُ
قبله ، لا النصرانية ولا اليهودية ، وتَبَرُّةٌ من الله لعيسى مِمَّنِ انْتَحَلَ النصرانية ، ودان
بها ، كما برأ إبراهيم من سائر الأديانِ غيرِ الإسلامِ ، وذلك احتِجَاجٌ من الله تعالى
ذَكَرَهُ لنبيه ﷺ على وفِدِ نَجْرَانَ .

(١) فى ص ، ت ٢ ، س : « إن لكلِّ » وهو لفظ بعض الروايات .

(٢) أخرجه أحمد ٢٠٠/٢٢ ، ٢٠١ (١٤٢٩٧) ، والبخارى (٢٨٤٧ ، ٣٧١٩ ، ٤١١٣ ، ٧٢٦١) ،
ومسلم (٢٤١٥) من حديث جابر .

(٣) البيت فى الوحشيات ص ٢٩ ، والمؤتلف والمختلف للآمدى ص ١٠٧ ، ولسان العرب (ح و ر) .

(٤) فى الوحشيات ، والمؤتلف والمختلف : « لنساء المصر » .

كما حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلْمَةُ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزَّبَيْرِ : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ ﴾ والعُدْوَانَ ﴿ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيزِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ ﴾ وهذا قولهم الذي أصابوا به الفضلَ من ربِّهم ، ﴿ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ لا كما يقول هؤلاء الذين يُحاجُّونك فيه - يعنى وفدَ نصارى نَجْرَانَ ^(١) .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٥٢) .

وهذا خبرٌ من الله عزَّ وجلَّ عن الخواريئين أنهم قالوا : ﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا ﴾ أى : صدَّقنا ﴿ بِمَا أَنْزَلْتَ ﴾ يعنى : بما أنزلت على نبيك عيسى من كتابك ، ﴿ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ يعنى بذلك : صرنا أتباع عيسى ، على دينك الذى ابْتَعْتَهُ به ، وأعوأته على الحق الذى أرسلته به إلى عبادك .

وقوله : ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ يقول : فَأُتِبْتُ أَسْمَاءَنَا مع أسماء الذين شهدوا بالحق ، وأقرؤوا لك بالتوحيد ، وصدقوا رُسُلَكَ ، واتبَعُوا أَمْرَكَ ونهيتك ، فاجعلنا فى عدادهم ومعهم ، فيما تُكْرِمُهُم به من كرامتك ، وأجلنا محلهم ، ولا تجعلنا ممن كفر بك ، وصدَّ عن سبيلك ، وخالف أمرَكَ ونهيتك .

يُعرَفُ خلقه جلُّ ثناؤه بذلك سبيلَ الذين رضِيَ أقوالهم وأفعالهم ، ليحتذوا طريقهم ، ويتَّبِعُوا مِنْهَا جَهْمَ ، فيصِلوا إلى مثل الذى وصلوا إليه من درجاتِ كرامته ، ويكذِّبُ بذلك الذين انتحلوا من المِلَلِ غيرِ الحنيفيةِ المسلميةِ ، فى دَعْوَاهم على أنبياءِ الله ، أنهم كانوا على غيرِها ، ويحتجُّ به على الوفدِ الذين حاجُّوا رسولَ الله ﷺ من

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٨٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٥٨ ، ٦٦٠ (٣٥٦٣ ، ٣٥٧٤ ، ٣٥٧٥) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

أهلِ نَجْرَانَ ، بَأْنَ قَيْلٍ مَن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ أَتْبَاعِ عِيسَى ، كَانَ خِلَافَ قَيْلِهِمْ ،
وَمِنْهَا جِهَةٌ غَيْرُ مِنْهَا جِهَةٌ .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
جَعْفَرِ بْنِ الزَّيْبِرِ : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ ﴾ . أَى : هَكَذَا كَانَ قَوْلُهُمْ وَإِيمَانُهُمْ ^(١) .

القولُ في تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴾ ﴿٥٤﴾ .

يعْنَى بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : وَمَكَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَ
اللَّهُ أَنَّ عِيسَى أَحْسَنَ مِنْهُمْ الْكُفْرَ .

وَكَانَ مَكْرُهُمُ الَّذِي وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ مُوَاطَاةً بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى الْفِتْكِ بَعِيسَى
وَقَتْلِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ عِيسَى صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ بَعْدَ إِخْرَاجِ قَوْمِهِ إِيَّاهُ وَأُمَّهُ مِنْ بَيْنِ
أَطْهَرِهِمْ ، عَادَ إِلَيْهِمْ ، فِيمَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ،
قَالَ : ثنا أَشْبَاهُ ، عَنْ الشُّدِّيِّ : ثُمَّ إِنَّ عِيسَى [١/٤١٤] سَارَ بِهِمْ ، يَعْنَى بِالْحَوَارِيِّينَ /
الَّذِينَ كَانُوا يَصْطَادُونَ السَّمَكَ ، فَأَمَّنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ إِذْ دَعَاهُمْ ، حَتَّى أَتَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
لَيْلًا فَصَاحَ فِيهِمْ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ فَتَأَمَّنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ﴾
الآيَةُ [الصف : ١٤] .

وَأَمَّا مَكْرُؤُ اللهِ بِهِمْ ، فَإِنَّهُ - فِيمَا ذَكَرَ الشُّدِّيُّ - إِلْقَاؤُهُ شَبَهَ عِيسَى عَلَى بَعْضِ
أَتْبَاعِهِ ، حَتَّى قَتَلَهُ الْمَاكِرُونَ بَعِيسَى ، وَهُمْ يَخْسَبُونَهُ عِيسَى ، وَقَدْ رَفَعَ اللهُ عِزَّهُ وَجَلَّ
عِيسَى قَبْلَ ذَلِكَ .

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٨٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٦٠ (٣٥٧٦) من طريق سلمة ، عن ابن
إسحاق قوله .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أشباط ، عن الشدّي : ثم إن بنى إسرائيل حَصَرُوا عيسى وتسعة عشر رجلاً من الحواريين في بيت ، فقال عيسى لأصحابه : مَنْ يأخذُ صورتي فيقتلُ وله الجنة؟ فأخذها رجلٌ منهم ، وُضِعَ بعيسى إلى السماء ، فذلك قوله : ﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴾ . فلما خرج الحواريون أبصروهم تسعة عشر ، فأخبروهم أن عيسى قد صعد به إلى السماء ، فجعلوا يعذون القوم ، فيجدونهم ينقصون رجلاً من العدة ، ويرون صورة عيسى فيهم ، فشكوا فيه ، وعلى ذلك قتلوا الرجل ، وهم يُرَوْنَ أنه عيسى ، وصلبوه ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَمَا قُتِلُوا وَمَا صَلَبُوا وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٥٧] .

وقد يحتمل أن يكون معنى مكر الله بهم استدراجهم إياهم ؛ ليبلغ الكتاب أجله ، كما قد بينا ذلك في قول الله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ^(١) [البقرة : ١٥] .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفُوعْ وَإِنِّي آتِيكَ بِالسُّورَةِ الَّتِي كَفَرْتُمْ بِهَا ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى مع كفرهم بالله ، وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم ، إذ قال الله جل ثناؤه : إني آتيتك . ف ﴿ إِذْ ﴾ صلة من قوله : ﴿ وَمَكْرَ اللَّهِ ﴾ يعنى : ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى : إني آتيتك ورافعك إلى فتوفاه ورفعاه إليه .

ثم اختلف أهل التأويل في معنى « الوفاة » التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآية ؛ فقال بعضهم : هي وفاة نوم . وكان معنى الكلام على مذهبهم : إني آتيتك

(١) ينظر ما تقدم في ٣١٢/١ - ٣١٨ .

ورافعك في نومك .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ . قال : يعنى وفاة المنام ؛ رفعه الله في منامه . قال الحسن : قال رسول الله ﷺ لليهود : « إن عيسى لم يمُت ، وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة »^(١) .

وقال آخرون : معنى ذلك : إنى قابضك من الأرض فرافعك إلي . قالوا : ومعنى الوفاة القبض . / كما يقال : توفيت من فلان ما لى عليه . بمعنى : قبضته واستوفيته . قالوا : فمعنى قوله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ . أى : قابضك من الأرض حيناً إلى جوارى ، وأخذك إلى ما عندي بغير موت ، ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك .

٢٩٠/٣

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا علي بن سهل ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب ، عن مطر الوراق في قول الله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ . قال : متوفيك من الدنيا ، وليس بوفاة موت^(٢) .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (بتحقيق حكمت بشير ياسين) ٢٩٦/٢ (٦٤٢) من طريق عبد الله بن

أبي جعفر به ، عن الحسن قوله . وينظر تفسير ابن كثير ٣٨/٢ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (بتحقيق حكمت بشير ياسين) ٢٩٦/٢ (٦٤١) ، وأبو نعيم

في الحلية ١٣٠/٦ من طريق ضمرة به .

الحسن في قوله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ . قال : مُتَوَفِّيكَ مِنَ الْأَرْضِ ^(١) .
 حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاج ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قوله :
 ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . قال : فَرَفَعَهُ إِيَّاهُ
 إِلَيْهِ تَوَفَّيَهُ إِيَّاهُ ، وَتَطَهَّرَهُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثنى معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، أَنْ
 كَعْبُ الْأَخْبَارِ قَالَ : مَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيُؤَمِّتَ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، إِنَّمَا بَعَثَهُ اللَّهُ دَاعِيًا
 وَمُبَشِّرًا يَدْعُو إِلَيْهِ وَحْدَهُ ، فَلَمَّا رَأَى عَيْسَى قَلَّةً مَنِ اتَّبَعَهُ ، وَكَثْرَةً مَنِ كَذَّبَهُ ، شَكَا
 ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ . وَلَيْسَ مَنِ
 رَفَعْتُهُ عِنْدِي مَيِّتًا ، وَإِنِّي سَأُبْعَثُكَ عَلَى الْأَعْوَرِ الدَّجَالِ ، فَتَقْتُلُهُ ، ثُمَّ تَعِيشُ بَعْدَ ذَلِكَ
 أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، ثُمَّ أَمِيتُكَ مَيِّتَةَ الْحَيِّ . قَالَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ : وَذَلِكَ يُصَدِّقُ
 حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ : « كَيْفَ تَهْلِكُ أُمَّةٌ أَنَا فِي أَوَّلِهَا ، وَعَيْسَى فِي
 آخِرِهَا ؟ » ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إِسْحَاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ
 الزبيرِ : ﴿ يَلْعَيْسَى إِيَّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ . أَيْ : قَابِضُكَ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّي

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٦١ (٣٥٨٢) عن الحسن بن يحيى .
 به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٦٢ (٣٥٨٦) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج ببعضه .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٣٦٦ إلى المصنف ، والمرفوع أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥/ ٣٩٤ ،

٣٩٥ من حديث ابن عباس .

﴿مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ﴾ . قال : ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضُك . قال : و ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ و ﴿وَرَأْفَعُكَ﴾ واحدٌ . قال : ولم يمت بعد حتى يقتل الدجال ، وسيموت . وقراً قول الله عز وجل : ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ . قال : رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلاً . قال : وينزل كهلاً^(١) .

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن ، في قول الله عز وجل : ﴿يُعِيسِي إِيَّي مُتَوَفِّيكَ وَرَأْفَعُكَ إِلَىٰ﴾ الآية كلها . قال : رفعه الله إليه ، فهو عنده في السماء^(٢) .

وقال آخرون : معنى ذلك : إني متوفيك وفاة موت .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ . يقول : إني مُميتك^(٣) .

٢٩١/٣ / حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمن لا يتهم ، عن وهب ابن مُتَبِّهِ اليماني أنه قال : توفي الله عيسى ابن مريم ثلاث ساعات [٤١٤/١] من النهار ، حتى رفعه إليه^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : والنصارى يزعمون

(١) ذكره الطوسي في التبيان ٤٧٨/٢ ، والقرطبي في تفسيره ١٠٠/٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦١/٢ (٣٥٨٤) من طريق أبي بكر الحنفي به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦١/٢ (٣٥٨٠) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٣٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦١/٢ (٣٥٨١) من طريق سلمة به .

أنه تَوَفَّاهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ ، ثُمَّ أَحْيَاهُ اللَّهُ ^(١) .

وقال آخرون : معنى ذلك : إذ قال الله : يا عيسى إني رافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا ، ومُتَوَفِّيكَ بعدَ إنزالِي إياكَ إلى الدنيا . وقالوا ^(٢) : هذا من المُقَدِّمِ الذي معناه التأخيرُ ، والمؤخَّرِ الذي معناه التقديمُ .

قال أبو جعفرٍ : وأولى هذه الأقوالِ بالصحةِ عندنا قولُ مَنْ قال : معنى ذلك : إني قابضُكَ مِنَ الْأَرْضِ ورافعُكَ إليّ . لتواترِ الأخبارِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « يَنْزِلُ عيسى ابنُ مريمَ ، فيقتُلُ الدجالَ ، ثم يَمُكُّ في الأرضِ - مدةً ذكرها ، ^(٣) اختلفت الرواةُ ^(٤) في مَبَلِّغِها - ثم يموتُ ، فيصَلِّي عليه المسلمون ويَدْفِنونه » .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ مسلمِ الزهرى ، عن حنظلةِ بنِ عليٍّ الأسلمى ، عن أبى هريرةَ قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لِيُهْبِطَنَّ اللَّهُ عيسى ابنَ مريمَ حَكَمًا عَدْلًا ، وإمامًا مُقْسِطًا ، يَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، وَيُفِيضُ الْمَالَ حَتَّى لَا يَجِدَ مَنْ يَأْخُذُهُ ، وَلَيْسَلُكَنَّ الرُّوحَاءَ حَاجًّا أَوْ مَعْتَمِرًا ، أَوْ لَيْتِنَيْسِنٌ ^(٥) بهما جميعًا » ^(٥) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن الحسنِ بنِ دينارٍ ، عن

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣٨/٢ .

(٢) في م : « قال » .

(٣ - ٤) في م : « اختلفت الرواية » .

(٤) في م : « يدين » . وينظر مصادر التخريج الآتية .

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٨٤٢) ، والحميدى (١٠٠٥) ، وأحمد ٢١٧/١٢ ، ١٠٩/١٣ ، ٢٨٠ ،

٢٨١ ، ٣٨٧/١٦ ، ٥٧١ ، ٧٢٧٣ ، ٧٩٠٣ ، ٧٦٨١ ، ١٠٦٦١ ، ١٠٩٧٤) ، ومسلم (١٢٥٢) ، وابن

حبان (٦٨٢٠) ، والبيهقى ٢/٥ ، والبقوى (٤٢٧٨) من طريق الزهرى به ..

قتادة، عن عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ :
« الأنبياء إخوة لِعَلَّاتٍ ، أمهاتهم شتى ، ودينتهم واحدٌ ، وأنا أولى الناس بعيسى
ابن مريم ؛ لم يكن بيني وبينه نبيٌّ ، وإنه خليفتي على أمتي ، وإنه نازلٌ ، فإذا
رأيتُموه فاعرفوه ، فإنه رجلٌ مزبورٌ الخلق إلى الحمرة والبياض ، سبط الشعر كأن
شعره يقطرُ ، وإن لم يصبه بللٌ ، بين مُصَّرتين ^(١) ، يدقُّ الصليب ، ويقتل الخنزير ،
ويفيضُ المالُ ، ويقاتلُ الناسَ على الإسلام حتى يهلك الله في زمانه المِللَ كلها ،
ويهلكُ الله في زمانه مَسِيحَ الضلالة الكذاب الدجال ، وتقع في الأرض الأمانة ،
حتى تززع الأسود مع الإبل ، والنمرُ مع البقر ، والذئبُ مع الغنم ، وتلعبُ العِلمانُ
بالحياتِ ، لا يضربُ بعضهم بعضًا ، فيبثُّ في الأرض أربعين سنةً ، ثم يتوفى ، ويصلى
المسلمون عليه ويدفنونه » ^(٢) .

قال أبو جعفر : ومعلومٌ أنه لو كان قد أماته الله عزَّ وجلَّ لم يكن بالذي يُمَيِّتُه ميتةً
أخرى ، فيجمعُ عليه مَيِّتَيْنِ ؛ لأن الله عزَّ وجلَّ إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم ،
ثم يحييهم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ
يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِثْلَ شَيْءٍ ﴾ [الروم : ٤٠] .

٢٩٢/٣ / فتأويل الآية إذن : قال الله لعيسى : يا عيسى إني قابضك من الأرض ،
ورافئك إلى ، ومطهرتك من الذين كفروا فجحدوا بنبوتك .

وهذا الخبر وإن كان مخرجه مخرج خبر ، فإن فيه من الله عزَّ وجلَّ احتجاجاً
على الذين حاجوا رسول الله ﷺ في عيسى من وفد نجران ، بأن عيسى لم يقتل ولم

(١) المصرة من الثياب : التي فيها صفرة خفيفة . النهاية ٤/٣٣٦ .

(٢) أخرجه أحمد ١٥٣/١٥ ، ١٥٤ ، (٩٢٧٠) ، وأبو داود (٤٣٢٤) ، وابن حبان (٦٨٢١) ، والحاكم

٥٩٥/٢ من طريق قتادة به ، وسيأتي من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به في ٦٧٤/٧ .

يُضَلِّبْ ، كما زعموا ، وأنهم واليهود - الذين أقروا بذلك ، وادَّعَوْا على عيسى - كَذِبَةً فِي دَعْوَاهُمْ وَزَعَمِهِمْ .

كما حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ثم أُخْبِرَهُمْ - يعنى الوفدَ مِنْ نَجْرَانَ - وَرَدَّ عَلَيْهِمْ فِيمَا أُخْبِرُوا هُمْ ^(١) واليهودُ ^(٢) بصلبه ، كيف رفعه وطهره منهم ، فقال : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِي مَتَوَفَّيكَ وَرَأَيْكَ إِلَيَّ ﴾ ^(٣) .

﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . فإنه يعنى : مُنْظَفُكَ فَمُخَلَّصُكَ مِّنْ كَفَرٍ بِكَ وَجَحَدَ مَا جَعْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ ، مِنَ الْيَهُودِ وَسَائِرِ الْمِلَلِ غَيْرِهَا .

كما حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . قال : إذ هموا منك بما هموا ^(٤) .

حدثني محمدُ بنُ سِنَانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفى ، عن عبادٍ ، عن الحسنِ بنِ قولة : ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . قال : طهره من اليهود والنصارى والمجوس ، ومن كفار قومه ^(٥) .

القولُ فى تأويلِ قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَيَّ ﴾

(١) سقط من : ص ، ت ، ٢ ، س .

(٢) فى ص ، ت ، ٢ : « لليهود » .

(٣) سيرة ابن هشام فى ١ / ٥٨٢ .

(٤) سيرة ابن هشام ١ / ٥٨٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢ / ٦٦٢ (٣٥٨٥) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢ / ٦٦٢ (٣٥٨٧) من طريق أبى بكر الحنفى به .

يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿٥٥﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وجاعلُ الذين اتَّبَعوكَ على مِنهاجِكَ ومِلَّتِكَ مِن الإسلامِ وفِطْرَتِهِ ، فوقَ الذين جحدوا نبوتَكَ ، وخالفوا بسبيلهم جميعَ أهلِ المللِ ، فكذبوا بما جئتَ به ، وصدُّوا عن الإقرارِ به ، فمُصَيِّرُهُم فوقهم ظاهرين عليهم .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ فى قوله : ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ : هم أهلُ الإسلامِ الذين اتَّبَعوه على فِطْرَتِهِ ومِلَّتِهِ وسُنَّتِهِ ، فلا يزالون ظاهرين على مَنْ ناولَهُم إلى يومِ القيامةِ ^(١) .

حدَّثنا المثني ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قوله : ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ . ثم ذكر نحوه ^(٢) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ : ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ، ثم ذكر نحوه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ : ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ، قال : ناصرٌ من اتَّبَعك على الإسلامِ ، على الذين كَفَرُوا إلى يومِ القيامةِ ^(٣) .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٢/٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ (٣٥٨٩ ، ٣٥٩٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٢/٢ (٣٥٨٨) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج بنحوه .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ^(١) ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ
السَّدِيِّ : ﴿ وَجَاعِلُ / الَّذِينَ [٤١٥/١] اتَّبَعُوا فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ : ٢٩٣/٣
أما ﴿ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ ، فيقال : هم المؤمنون . ^(٢) ويقال : بل ^(٣) هم الرُّومُ . ^(٤)

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَيْنَانَ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عِبَادٍ ، عَنْ الْحُسَيْنِ :
﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ قال : جعل الذين اتبعوه
فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة . قال : المسلمون من فوقهم ، وجعلهم أعلى ممن
ترك الإسلام إلى يوم القيامة ^(٤) .

وقال آخرون : معنى ذلك : وجاعل الذين اتبعوا من النصارى فوق اليهود .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ :
﴿ وَمَطْهَرُكُمْ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . قال : الذين كفروا من بنى إسرائيل ،
﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ قال : الذين آمنوا به من بنى إسرائيل وغيرهم ﴿ فَوْقَ الَّذِينَ
كَفَرُوا ﴾ النصارى فوق اليهود إلى يوم القيامة . قال : فليس بلد فيه أحد من النصارى
إلا وهم فوق يهود في شقي ولا غرب ، هم في البلدان كلها مُسْتَدَلُّون ^(٥) .

القول في تأويل قوله : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ

(١) في ص : « الفضل » .

(٢ - ٣) في م : « وليس » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٢/٢ (٣٥٩٠) من طريق أحمد بن الفضل به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٣/٢ (٣٥٩٣) من طريق آخر عن الحسن بنحوه .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف .

تَخْلِفُونَ ﴿٥٥﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ ثُمَّ إِلَيَّْ ﴾ : ثم إلى الله أيها المختلفون فى عيسى ﴿ مَرْجِعُكُمْ ﴾ . يعنى : مصيركم يوم القيامة . ﴿ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ . يقول : فأقضى حينئذ بين جميعكم فى أمر عيسى بالحق ﴿ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴾ من أمره .

وهذا من الكلام الذى صُرف من الخبر عن الغائب إلى مخاطبة ، وذلك أن قوله : ﴿ ثُمَّ إِلَيَّْ مَرْجِعُكُمْ ﴾ . إنما قُصد به الخبر عن مُتبعي عيسى والكافرين به . وتأويل الكلام : وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ثم إلى مَرَجِعِ الفريقين ؛ الذين اتبعوك والذين كفروا بك ، فأحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون . ولكن رد الكلام إلى الخطاب لسبوق^(١) القول ، على سبيل ما ذكرنا من الكلام الذى يخرُج على وجه الحكاية ، كما قال : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَائِكِ وَجَرَّتِ بِهِنَّ رِيحٌ طَيِّبَةٌ ﴾ [يونس : ٢٢] .

القول فى تأويل قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ : فأما الذين جحدوا نبوتك يا عيسى ، وخالفوا ملئتك ، وكذبوا بما جئتهم به من الحق ، وقالوا فىك الباطل ، وأضافوك إلى غير الذى يتبعنى أن يُضيفوك إليه ، من اليهود والنصارى ، وسائر أصناف الأديان ، فإنى أعذبهم عذابًا شديدًا ، أمًا فى الدنيا فبالقتل والسبأ والذلة

(١) فى م ، ت ا : « لسوق » .

وَالْمَسْكِينَةَ، وَأَمَا فِي الْآخِرَةِ فَبِنَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا. ﴿٥٦﴾ وَمَا لَهُمْ مِنْ
تَنْصِيرِينَ ﴿٥٧﴾. يقول: وما لهم من عذابِ الله مانع، ولا عن أليم عقابه لهم دافع، بقوة
ولا شفاعة؛ لأنه العزيز ذو الانتقام.

/ وأما قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. فإنه يعنى تعالى
ذكره: وأما الذين آمنوا بك يا عيسى - يقول: صدقوك - فأقروا بنبوتك وبما جئتهم
به من الحق من عندي، ودأبوا بالإسلام الذي بعثتك به، وعملوا بما فرضت من
فرائضى على لسانك، وشرعت من شرائعى، وستنت من سننى.

كما حدثنى المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن على،
عن ابن عباس قوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. يقول: أدوا فرائضى^(١).

﴿فَيُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ﴾ يقول: فيعطهم جزاء أعمالهم الصالحة كاملاً، لا
يتخسون منه شيئاً ولا ينقصونه.

وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. فإنه يعنى: والله لا يحب من ظلم غيره
حقاً له، أو وضع شيئاً فى غير موضعه.

فنفى جل ثناؤه عن نفسه بذلك أن يظلم عباده، فيجازى المسىء ممن كفر جزاء
المحسنين ممن آمن به، أو يُجازى المحسن ممن آمن به وأتبع أمره، وانتهى عما نهاه عنه
فأطاعه، جزاء المسيئين ممن كفر به، وكذب رسله، وخالف أمره ونهيه، فقال: إنى
لا أحب الظالمين، فكيف أظلم خلقى؟

وهذا القول من الله تعالى ذكره وإن كان خرج مخرج الخبر، فإنه^(٢) وعيد منه

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف.

(٢) فى م: «كأنه».

للكافرين به وبرسله ، ووعدُ منه للمؤمنين به وبرسله ؛ لأنه أعلمُ الفريقين جميعاً أنه لا يَحْسُنُ هذا المؤمنُ حَقَّهُ ولا يَظْلِمُ كرامته فيَضَعُها في من كَفَرَ به وخالف أمره ونهيه ، فيكونُ لها بوضعها في غير أهلها ظالماً .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ ذَلِكْ نَتَلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ ذَلِكْ ﴾ : هذه الأنباءُ التي أنبأ بها نبيّه عن عيسى وأمّه مريمَ ، وأمّها حنّة ، وزكريا وابنه يحيى ، وما قصَّ من أمرِ الحواريين واليهودِ من بنى إسرائيلَ - نتلوها عليك يا محمدُ . يقولُ : نَقَرُها عليك يا محمدُ ، على لسانِ جبريلَ بوحيها إليك . ﴿ مِنَ الْآيَاتِ ﴾ . يقولُ : مِنَ الْعِبَرِ وَالْحُجَجِ عَلَى مَنْ حَاجَّكَ مِنْ وَفِدِ نَصَارَى نَجْرَانَ وَيَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، الَّذِينَ كَذَّبُواكَ وَكَذَّبُوا مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِي . ﴿ وَالذِّكْرِ ﴾ . يعنى : وَالْقُرْآنِ ﴿ الْحَكِيمِ ﴾ . [١/٤١٥ ظ] يعنى ذا الحِكْمَةِ الفاصلةِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ نَاسِيِ الْمَسِيحِ إِلَى غَيْرِ نَسْبِهِ .

كما حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ ذَلِكْ نَتَلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ : القاطعِ الفاصلِ الحَقُّ ، الذى لم يَخْلُطْهُ الباطلُ ، من الخبرِ عن عيسى ، واما اختلفوا فيه من أمره ، فلا تَقْبَلَنَّ خبراً غيرَه ^(١) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زُهَيْرٍ ، عن جُوَيْرِ ، عن الضحاكِ : ﴿ ذَلِكْ نَتَلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ قال : القرآنُ ^(١) .

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٦٥ (٣٦٠٥) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٣٧ إلى المصنف .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَالذِّكْرُ ﴾ . يقول : القرآن الحكيم الذي قد كمل في حكمته ^(١) .

٢٩٥/٣ / القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه : إن شبه عيسى في خلقي إياه من غير فعلٍ - فأخبر به يا محمد الوفد من نصارى نجران - عندي كشبه آدم ، الذي خلقته من تراب ، ثم قلت له : كن . فكان ، من غير فعلٍ ، ولا ذكرٍ ، ولا أنثى . يقول : فليس خلقي عيسى من أمه ، من غير فعلٍ ، بأعجب من خلقي آدم من غير ذكرٍ ولا أنثى ، فكان لحمًا ، يقول : وأمرى إذ أمرته أن يكونَ فكان ، فكذلك خلقي عيسى ، أمرته أن يكونَ فكان .

وذكر أهل التأويل أن الله عز وجل أنزل هذه الآية احتجاجًا لنبية ﷺ على الوفد من نصارى نجران الذين حاجوه في عيسى .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ^(٢) ، عن مغيرة ، عن عامر ، قال : كان أهل نجران أعظم قوم من النصارى في عيسى قولاً ، فكانوا يُجادلون النبي ﷺ ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية في سورة آل عمران : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَتَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٤٧ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٢/٤٧٦ .

(٢) في س : « جوير » . وينظر تهذيب الكمال ٤/٥٤٠ .

الْكٰذِبِيْنَ ﴿١﴾ .

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . وذلك أن رَهْطًا مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ ، قَدِمُوا عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وكان فيهم السيد والعاقب ، فقالوا لمحمد : ما شأنك تذكُرُ صاحبنا ؟ فقال : « من هو ؟ » . قالوا : عيسى ، تزعم أنه عبدُ الله . فقال محمد : « أجل ، إنه عبدُ الله » . قالوا له : فهل رأيت مثلَ عيسى ، أو أنبئت به ؟ ثم خرجوا من عنده ، فجاءه جبريلُ عليه السلامُ بأمرِ ربنا السميعِ العليم ، فقال : قلْ لهم إذا أتوك : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ إلى آخرِ الآية ^(١) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ سَيِّدِي أَهْلِي نَجْرَانَ وَأَسْقَفِيهِمُ السَّيِّدَ وَالْعَاقِبَ ، لَقِيَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَاهُ عَنْ عِيسَى ؟ فَقَالَا : كُلُّ آدَمِيٍّ لَهُ أَبٌ ، فَمَا شَأْنُ عِيسَى لَا أَبَ لَهُ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ^(٢) .

حدَّثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المُفضَّل ، قال : ثنا أشباط ، عن

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٨/١٢ ، ٥٤٩/١٤ من طريق جرير به مختصراً ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٠٠ - تفسير) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٧/٢ (٣٦١٦) من طريق مغيرة به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٩/٢ إلى عبد بن حميد وأبي نعيم .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٥/٢ (٣٦٠٦) عن محمد بن سعد به .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف .

الشَّدْيِي : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ : لَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَسَمِعَ بِهِ أَهْلُ نَجْرَانَ ، أَنَاهُ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ نَفَرٍ مِنْ خِيَارِهِمْ ؛ مِنْهُمْ الْعَاقِبُ ، وَالسَّيِّدُ ، وَمَاسْرُجِسُ ، وَمَارِيحُزُ^(١) ، فَسَأَلُوهُ مَا يَقُولُ / فِي عِيسَى ؟ فَقَالَ : « هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ » . قَالُوا هُمْ : لَا ، وَلَكِنَّهُ هُوَ اللَّهُ ، نَزَلَ مِنْ مُلْكِهِ ، فَدَخَلَ فِي جَوْفِ مَرْيَمَ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا ، فَأَرَانَا قَدْرَتَهُ وَأَمْرَهُ ، فَهَلْ رَأَيْتَ قَطُّ إِنْسَانًا خُلِقَ مِنْ غَيْرِ أَبِي ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحَسِينُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عكرمةَ قوله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . قَالَ : نَزَلَتْ فِي الْعَاقِبِ وَالسَّيِّدِ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ ، وَهَمَا نَضْرَانِيَّانِ^(٣) .

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : بَلَّغْنَا أَنَّ نَصَارَى أَهْلِ نَجْرَانَ قَدِيمٌ وَفَدُّهُمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فِيهِمُ السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ ، وَهَمَا يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا أَهْلِ نَجْرَانَ ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، فِيمَ تَشْتُمُ صَاحِبَتَنَا ؟ قَالَ : « مَنْ صَاحِبُكُمْ ؟ » . قَالَا : عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، تَزَعُمُ أَنَّهُ عَبْدٌ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَجَلٌ ، إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ^(٤) وَرُوحٌ مِنْهُ » . فَغَضِبُوا وَقَالُوا : إِنْ كُنْتَ صَادِقًا ، فَأَرِنَا عَبْدًا يُحْيِي الْمَوْتَى ، وَيُزِيلُ الْأَكْمَةَ ، وَيَخْلُقُ

(١) في ت ١ ، س : « مار بحر » ، وفي م : « ماريجز » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف .

(٤) (٤ - ٤) سقط من : ص ، ت ٢ .

مِن الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ، فَيَنْفُخُ فِيهِ - الْآيَةَ - لَكِنَّهُ اللَّهُ . فَسَكَتَ حَتَّى أَتَاهُ جَبْرِيْلُ ،
فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ
مَرْيَمَ ﴾ [المائدة : ١٧ ، ٧٢] الْآيَةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا جَبْرِيْلُ ، إِنَّهُمْ
سَأَلُونِي أَنْ أُخْبِرَهُمْ بِمَثَلِ عَيْسَى » . قَالَ جَبْرِيْلُ : مَثَلُ عَيْسَى كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ
مِنْ تَرَابٍ ، [٤١٦/١] ثُمَّ قَالَ لَهُ : كُنْ . فَيَكُونُ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا عَادُوا ، فَقَرَأَ
عَلَيْهِمُ الْآيَاتِ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن
الزبير : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عَيْسَى عِنْدَ اللَّهِ ﴾ فَاسْمَعُ ﴿ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ
قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٥٩] الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ . فَإِنْ قَالُوا : خَلَقَ عَيْسَى
مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ . فَقَدْ خَلَقْتُ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ بِتِلْكَ الْقُدْرَةِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْثَى وَلَا ذَكَرٍ ، فَكَانَ
كَمَا كَانَ عَيْسَى لَحْمًا وَدَمًا وَشَعْرًا وَبَشَرًا ، فَلَيْسَ خَلَقَ عَيْسَى مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ بِأَعْجَبَ
مِنْ هَذَا ^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عَيْسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ﴾ . قَالَ : أَتَى
نَجْرَانِيَّانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَا لَهُ : هَلْ عَلِمْتَ أَنْ أَحَدًا وُلِدَ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ فَيَكُونُ
عَيْسَى كَذَلِكَ ؟ قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عَيْسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ
خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ، أَكَانَ لآدَمَ أَبٌ أَوْ أُمٌّ ! كَمَا خَلَقْتُ هَذَا فِي

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٢ ، ٣٨ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٨٢/١ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٥/٢ (٣٦٠٧) من طريق سلمة ، عن ابن
إسحاق قوله .

بطن هذه .

فإن قال قائل : فكيف قال : ﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ ﴾ . و « آدم » معرفة ،
والمعارف لا تُوصَلُ ؟

قيل : إن قوله : ﴿ خَلَقْتُم مِّن تَرَابٍ ﴾ . غيرُ صلةٍ لآدم ، وإنما هو بيانٌ عن أمره ،
على وجه التفسيرِ عن المَثَلِ الذي ضربَه ، وكيف كان .

وأما قوله : ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . فإِنما قال : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ . وقد ابتدأ
الخبرَ عن خَلْقِ آدم ، وذلك خبرٌ عن أمرٍ قد تَقَضَّى ، وقد أخرجَ الخبرَ عنه مُخْرَجَ الخبرِ
عمًا قد مضى ، فقال جلُّ ثناؤه : ﴿ خَلَقْتُم / مِن تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . لأنه
بمعنى الإعلامِ مِنَ اللَّهِ نبيّه أن تَكُونُ الأشياءُ بقوله : ﴿ كُنْ ﴾ . ثم قال :
﴿ فَيَكُونُ ﴾ . خبرًا مُبْتَدَأً ، وقد تناهى الخبرُ عن أمرِ آدمَ عندَ قوله : ﴿ كُنْ ﴾ .

فتأويلُ الكلامِ إذن : إن مثلَ عيسى عندَ اللهِ كمثلِ آدمَ خلقه من ترابٍ ثم قال
له : كن . واغْلَمْ يا محمدُ أن ما قال له ربُّك : كن . فهو كائنٌ .

فلما كان في قوله : ﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ ﴾ . دلالةٌ
على أن الكلامَ يُرادُ به إعلامُ نبيِّ اللهِ ﷺ وسائرِ خلقه أنه كائنٌ ما كونه ابتداءً من غيرِ
أصلٍ ولا أولٍ ولا غُنْصيرٍ ، استُغْنِيَ بدلالةِ الكلامِ على المعنى ، وقيل : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ .
فَعَطْفٌ بالمستقبلِ على الماضي ، على ذلك المعنى .

وقد قال بعضُ أهلِ العربيةِ : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ رُفِعَ على الابتداءِ ، ومعناه : كُنْ
فكان . فكأنه قال : فإذا هو كائنٌ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ الْحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : الذى أنبأك به من خبر عيسى ، وأن مثله كمثلي آدم خلقه من تراب ، ثم قال له ربه : ﴿ كُن ﴾ . هو ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ يقول : هو الخبر الذى هو من عند ربك ، ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ ﴾ يعنى : فلا تكن من الشاكين فى أن ذلك كذلك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ ﴾ يعنى : فلا تكن فى شك من عيسى أنه كمثلي آدم عبد الله ورسوله ، وكلمة الله وروحه ^(١) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ ﴾ . يقول : فلا تكن فى شك مما قصصنا عليك أن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمة منه وروح ، وأن مثله عند الله كمثلي آدم خلقه من تراب ، ثم قال له : ﴿ كُن ﴾ فيكون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ : ما جاءك من الخبر عن عيسى . ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ ﴾ ، أى : قد جاءك الحق من ربك فلا تتمر فيه ^(٢) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله : ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ ﴾ . قال : والمتمرّون الشاكون .

والمرية والشك والرئب واحد سواء ، كهية ما تقول : أعطنى ، وناولنى ،

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٣٨ إلى المصنف .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٨٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٦٦ (٣٦١٠ ، ٣٦١٢) من طريق عبد الله بن إدريس وسلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

وَهَلُمَّ . فهذا مختلفٌ في الكلام ، وهو واحدٌ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْنِدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (١) .

يعنى بقوله جلّ ثناؤه : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ ﴾ : فمن جادلَكَ يا محمدُ في المسيحِ عيسى ابنِ مريمَ .

والهاءُ / في قوله : ﴿ فِيهِ ﴾ عائدةٌ على ذكرِ « عيسى » ، وجائزٌ أن تكونَ عائدةٌ على « الحقِّ » الذى قال تعالى ذكره : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ .

ويعنى بقوله : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ : من بعدِ ما جاءكَ مِنَ الْعِلْمِ الذى قد بيّنته لك فى عيسى أنه عبدُ الله ، ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْنَا ﴾ : هلمُّوا ، فلندعُ ﴿ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ ﴾ يقولُ : ثم نلتعن .

يقالُ فى الكلامِ : ماله ؟ بهلهُ اللهُ ! أى : لعنه اللهُ . وماله ؟ عليه بُهلهُ اللهُ ! يُريدُ اللعنَ . وقال لبيدٌ ، وذكر قومًا هلكوا ، فقال (١) :

* نظر الدهرُ إليهم فابتَهَلْ *

يعنى : دعا عليهم بالهلاكِ .

﴿ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ منا ومنكم فى أنه (٢) عيسى .

كما حدّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ فَمَنْ ﴾

(١) شرح ديوان لبيد ص ١٩٧ ، وعجز البيت : فى قروم سادة من قومه

(٢) فى م : « آية » .

حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴿١﴾ : أى فى عيسى [٤١٦/١ظ] أنه عبدُ الله ورسوله ، من كلمة الله وزوجه ، ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ^(١) .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاق ، عن محمدِ بنِ جعفرِ ابنِ الزبيرِ : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ : أى : من بعد ما قَصَصْتُ عليك من خبره ، وكيف كان أمره ، ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ الآية ^(٢) .

حدَّثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ . يقولُ : مَنْ حَاجَّكَ فى عيسى من بعد ما جاءك فيه من العلم ^(٣) .

حدَّثنا يونسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ ثُمَّ نَبَّهَلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴾ . قال : منا ومنكم .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : وثنى ابنُ لهيعةَ ، عن سليمانِ بنِ زيادِ الحَضْرَمِيِّ ، عن عبدِ اللهِ بنِ الحارثِ بنِ جَزْءِ الرُّبَيْدِيِّ ، أنه سمعَ النبيَّ ﷺ يقولُ : « ليت بينى وبين أهلِ نجرانَ حجابًا ، فلا أراهم ولا يَرُونى » . من شدة ما كانوا يُمازُونَ النبيَّ ﷺ ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٦/٢ (٣٦١٣) من طريق شيبان عن قتادة نحوه .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٦/٢ (٣٦١٤) من طريق ابن إدريس عن ابن إسحاق قوله .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٦/٢ عقب الأثر (٣٦١٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن عبد الحكم فى فتوح مصر ص ٣٠١ والبزار (٣٧٨٦) من طريق ابن لهيعة به .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٦٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : إن هذا الذى أنبأئك به يا محمد من أمر عيسى ، فقصصته عليك من أنبيائه ، وأنه عبدى ورسولى ، وكلمتى ألقىتها إلى مريم ، وروح منى ، لهو القصص والنبأ الحق ، فاعلم ذلك ، واعلم أنه ليس للخلق معبود يستوجب عليهم العبادة بملكه إياهم ، إلا معبودك الذى تعبده ، وهو الله العزيز الحكيم .

ويعنى بقوله : ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ : العزيز فى انتقامه ممن عصاه ، وخالف أمره ، وادعى معه إلها غيره ، أو عبد رباً سواه ، ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ فى تدييره ، لا يدخل ما دبره وهن ، ولا يلحقه خلل .

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ . يعنى : فإن أذبر / هؤلاء الذين حاجوك فى عيسى عما جاءك ٢٩٩/٣ من الحق من عند ربك ، فى عيسى وغيره من سائر ما أتاك الله من الهدى والبيان ، فأعرضوا عنه ، ولم يقبلوه ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ . يقول : فإن الله ذو علم بالذين يعصون ربهم ، ويعملون فى أرضه وبلايه بما نهاهم عنه ، وذلك هو إفسادهم . يقول تعالى ذكره : فهو عالم بهم وبأعمالهم ، يخصيها عليهم ويحفظها ، حتى يجازيهم عليها جزاءهم .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ : أى : إن هذا الذى جئت به من الخبر عن

عيسى ، ﴿ لَهٗوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ ^(١) مِنْ أَمْرِهِ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاج ، عن ابنِ جريج : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهٗوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ : إن هذا الذي قلنا في عيسى ﴿ لَهٗوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ ^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهٗوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ . قال : إن هذا القصصَ الحقُّ في عيسى ، ما يُتَّبَعُ لعيسى أن يَتَّعَدَى هذا ولا يُجَاوِزُهُ ^(٣) ؛ أن يَتَّعَدَى أن يكونَ كلمةَ اللَّهِ ألقاها إلى مريمَ ، ورُوحًا منه ، وعبدَ اللَّهِ ورسولَهُ ^(٤) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهٗوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ : إن هذا الذي قلنا في عيسى هو الحقُّ ، ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾ الآية ^(٥) .

فلَمَّا فَضَّلَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَيْنَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبَيْنَ الْوَفْدِ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ بِالْقَضَاءِ الْفَاصِلِ وَالْحُكْمِ الْعَادِلِ ، ^(٦) وَأَمْرِهِ ^(٦) - إن هم تَوَلَّوْا عما دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِقْرَارِ بِوُحْدَانِيَةِ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا صَاحِبَةَ ، وَأَنَّ عَيْسَى عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَبْنَاؤُا إِلَّا الْجَدَلَ ^(٧) وَالْخُصُومَةَ - أن يَدْعُوهُمْ إِلَى الْمُلَاعَنَةِ ، ففَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٨٣ .

(٢) المحرر الوجيز ٢/٤٥٣ بنحوه .

(٣) في ت ٢ ، ت ٣ : « يتجاوزه » .

(٤) المحرر الوجيز ٢/٤٥٣ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٦٨ (٣٦٢٤) عن محمد بن سعد .

(٦ - ٦) كذا في النسخ ، والصواب : أمره . بحذف الواو .

(٧) في س : « الجدال » .

فعل ذلك رسول الله ﷺ أَنْحَزَلُوا^(١) فَاثْتَنَعُوا مِنَ الْمَلَاغِنَةِ، وِدَعُوا إِلَى الْمُصَالِحَةِ .

كالذي حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قال : ثنا جَرِيرٌ، عن مُغِيرَةَ، عن عامِرٍ، قال : فَأَمِرٌ - يعنى النَّبِيُّ ﷺ - بِمَلَاغِنَتِهِمْ - يعنى بِمَلَاغِنَةِ أَهْلِ نَجْرَانَ - بِقَوْلِهِ : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ الآية . فَتَوَاعَدُوا أَنْ يُلَاعِنُوهُ، وَوَاعَدُوهُ الْغَدَ، فَاثْتَنَعُوا إِلَى السَّيِّدِ وَالْعَاقِبِ، و^(٢) « كَانَا أَعْقَلَهُمْ » فَتَابَعَاهُمْ، فَاثْتَنَعُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ عَاقِلٍ، فَذَكَرُوا لَهُ مَا فَارَقُوا عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ : مَا صَنَعْتُمْ ! وَنَدَمْتُمْ، وَقَالَ لَهُمْ : إِنْ كَانَ نَبِيًّا، ثُمَّ دَعَا عَلَيْكُمْ، لَا يُعْضِبُهُ اللَّهُ فِيكُمْ أَبَدًا، وَلَئِنْ كَانَ مَلِكًا، فَظَهَرَ عَلَيْكُمْ لَا يَسْتَبْقِيَكُمْ^(٣) أَبَدًا . قَالُوا : فَكَيْفَ لَنَا وَقَدْ وَاَعَدْنَا ؟ فَقَالَ لَهُمْ : إِذَا غَدَوْتُمْ إِلَيْهِ، فَعَرِّضْ عَلَيْكُمْ الَّذِي فَارَقْتُمُوهُ عَلَيْهِ، فَقُولُوا : نَعُوذُ بِاللَّهِ . فَإِنْ دَعَاكُمْ أَيْضًا، فَقُولُوا^(٤) : نَعُوذُ بِاللَّهِ . وَلَعَلَّهُ أَنْ يُعْفِيَكُمْ مِنْ ذَلِكَ . فَلَمَّا غَدَوْا، غَدَا النَّبِيُّ ﷺ مُخْتَضِعًا حَسَنًا، آخِذًا بِيَدِ الْحُسَيْنِ، وَفَاطِمَةَ تُمَشِي خَلْفَهُ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الَّذِي فَارَقُوهُ عَلَيْهِ بِالْأَمْسِ، [١٧/٤١] فَقَالُوا : نَعُوذُ بِاللَّهِ . ثُمَّ دَعَاهُمْ، فَقَالُوا : نَعُوذُ بِاللَّهِ . مِرَارًا، قَالَ : « فَإِنْ أُيِّتُمْ فَأَسْلِمُوا، وَلَكُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ أُيِّتُمْ فَأَعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ / ٣٠٠/٣ وَجَلَّ . » قَالُوا : مَا تَمْلِكُ إِلَّا أَنْفُسَنَا . قَالَ : « فَإِنْ أُيِّتُمْ فَإِنِّي أَنْبِئُكُمْ عَلَى سِوَايَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . » قَالُوا : مَا لَنَا طَاقَةٌ بِحَرْبِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ نُؤَدِّي الْجِزْيَةَ . قَالَ : فَجَعَلَ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَلْفِي^(٥) حُلَّةً ؛ أَلْفًا فِي رَجَبٍ، وَأَلْفًا فِي صَفَرٍ . فَقَالَ

(١) فى س : « انجذبوا » .

(٢ - ٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كان أعقلهما » ، وفى س : « كانا أعقلهما » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، س : « يسبقنكم » .

(٤) بعده فى م : « له » .

(٥) فى س : « ألف ألف » .

النبي ﷺ : « لَقَدْ أَتَانِي الْبَشِيرُ بِهَلَكَةِ أَهْلِ نَجْرَانَ ، حَتَّى الطَّيْرُ عَلَى الشَّجَرِ - أَوْ الْعَصَافِيرُ عَلَى الشَّجَرِ - لَوْ تَمَّتُوا عَلَى الْمَلَاعِنَةِ »^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيذٌ ، قَالَ : فَقُلْتُ لِلْمَغِيرَةِ : إِنْ النَّاسَ يَزُؤُونَ فِي حَدِيثِ أَهْلِ نَجْرَانَ أَنْ عَلِيًّا كَانَ مَعَهُمْ^(٢) . فَقَالَ : أَمَا الشَّعْبِيُّ فَلَمْ يَذْكُرْهُ ، فَلَا أُذْرِي لَشُؤِّ رَأْيِ بَنِي أُمَيَّةَ فِي عَلِيٍّ ، أَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَدِيثِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ : فدعاهم إلى التَّصْفِ^(٣) ، وقطع عنهم الحُجَّةَ ، فلما أتى رسولَ اللهِ ﷺ الخبرُ من اللهِ عنه ، والفصلُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، وأمره بما أمره به من ملاحظتهم ،^(٤) « إِنْ رَدُّوا » عليه ، دعاهم إلى ذلك ، فقالوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، دَعْنَا نَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا ، ثُمَّ نَأْتِيكَ بِمَا^(٥) تُرِيدُ أَنْ نَفْعَلَ فِيمَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ . فَأَنْصَرَفُوا عَنْهُ ، ثُمَّ حَلَّوْا بِالْعَاقِبِ ، وَكَانَ ذَارِئِهِمْ ، فقالوا : يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ ، مَا تَرَى ؟ قَالَ : وَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ النَّصَارَى ، لَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا لَنَبِيِّ مَرْسَلٌ ، وَلَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْفَصْلِ مِنْ خَيْرِ صَاحِبِكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَاعَنَ قَوْمٌ نَبِيًّا قَطُّ ، فَبَقِيَ كَبِيرُهُمْ ، وَلَا نَبَتْ صَغِيرُهُمْ ، وَإِنَّهُ لِلْإِسْتِصْوَاحِ مِنْكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ أُبَيِّتُمْ إِلَّا إِلْفَ دِينِكُمْ ، وَالْإِقَامَةَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ فِي صَاحِبِكُمْ ، فَوَادِعُوا الرَّجُلَ ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا إِلَى بِلَادِكُمْ حَتَّى يُرِيَكُمْ زَمَنٌ رَأَيْتُمْ . فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ فقالوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، قَدْ رَأَيْنَا أَلَّا نُلَاعِنَكَ ، وَأَنْ تَتْرُكَ عَلِيَّ

(١) تقدم تخريجه في ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ .

(٢) أى : كان مع النبي ﷺ وفاطمة والحسن والحسين ، كما سيأتى .

(٣) النصف ، الاسم من الإنصاف ، وهو أن تعطيه من الحق كالذى تستحقه لنفسك . التاج (ن ص ف) .

(٤ - ٤) فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ : «أوردوا» ، وفى ت ١ ، س : «إذ ردوا» .

(٥) فى ص ، ت ٢ : «فما» .

دينك ، ونزج على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك تزواه لنا ، يحكم بيننا في أشياء قد اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضى^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عيسى بن فرقد ، عن أبي الجارود ، عن زيد بن علي في قوله : ﴿ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ الآية . قال : كان النبي ﷺ وعلي فاطمة والحسن والحسين .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ الآية ، فأخذ - يعنى النبي ﷺ - بيد الحسن والحسين وفاطمة ، وقال لعلي : « اتبعنا » . فخرج معهم ، فلم يخرج يومئذ النصارى ، وقالوا : إنا نخاف أن يكون هذا هو النبي^(٢) ، وليس دعوة النبي كغيرها . فتخلفوا عنه يومئذ ، فقال النبي ﷺ : « لو خرجوا لأحترقوا » . فصالحوه على صلح ، على أن له عليهم ثمانين ألفاً ، فما عجزت الدراهم ففي الغروض ؛ الحلة بأربعين ، وعلى أن له عليهم ثلاثاً وثلاثين درعاً ، وثلاثاً وثلاثين بعيراً ، وأربعة وثلاثين فرساً غازية كل سنة ، وأن رسول الله ﷺ ضامن لها حتى تؤدبها إليهم^(٣) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نبي الله ﷺ دعا وفدًا من وفد نجران من النصارى ، وهم الذين حاجوه في عيسى ، فنكصوا عن ذلك ، وخافوا . / وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول : « والذي نفس ٣٠١/٣ محمد بيده ، إن كان العذاب لقد تدللى على أهل نجران ، ولو فعلوا لأستؤصلوا عن

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٨٣ ، ٥٨٤ .

(٢) بعده في النسخ : « صلى الله عليه وسلم » ، وليس في تفسير ابن أبي حاتم ، والنصارى أيضا لا تقوله .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٧/٢ (٣٦١٨) من طريق أحمد بن المفضل به مختصراً .

جديد^(١) الأرض^(٢) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ . قال : بلغنا أن النبي ﷺ خرج ليُداعى^(٣) أهل نجران ، فلما رأوه خرج ، هابوا وفرقوا ، فرجعوا . قال معمر : قال قتادة : لما أراد النبي ﷺ أن يُباهل^(٤) أهل نجران أخذ بيد حسن وحسين ، وقال لفاطمة : « اتبعينا » . فلما رأى ذلك أعداء الله رجعوا^(٥) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لو خرج الذين يُباهلون النبي ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً^(٦) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا زكريا بن عدي ، قال : ثنا غبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس مثله^(٧) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسى بيده ، لو لاعتنوني ما حال الحول ويحضرتهم منهم أحدٌ إلا أهلك الله [٤١٧/١] الكاذبين » .

(١) جديد الأرض : وجهها . اللسان (ج د) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٩/٢ إلى المصنف .

(٣) في م : « ليلاعن » .

(٤ - ٤) سقط من النسخ ، والمثبت من تفسير عبد الرزاق .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٢ .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٣ ، ومن طريقه البخاري (٤٩٥٨) مختصراً ، والترمذي (٣٣٤٨) ، والنسائي في الكبرى (١١٦٨٥) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٨/٢ (٣٦٢٠) من طريق الحسن بن يحيى به .

(٧) في النسخ : « عن » ، وسيأتي على الصواب في ٥٩١/١٠ ، ٥٦١/١١ .

(٨) أخرجه البزار (٢١٨٩ - كشف) من طريق زكريا بن عدي به ، وأخرجه أحمد ٩٩/٤ (٢٢٢٦) ، =

حدّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا ابن زيد ، قال : قيل لرسول الله ﷺ : لو لاعنت القوم ، بمن كنت تأتي حين قلت : ﴿ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ ؟ قال : « حسنٌ وحسينٌ » .

حدّثني محمد بن سنان ، قال : ثنا (١) أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا المنذر بن ثعلبة ، قال : ثنا علباء بن أحمر اليشكري ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ﴾ الآية . قال (٢) : أُرْسِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى (٣) عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَابْنَيْهِمَا (٤) الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ ، وَدَعَا الْيَهُودَ لِثَلَاغَتِهِمْ ، فَقَالَ شَابٌّ مِنَ الْيَهُودِ : وَيَحْكُمُ ، أَلَيْسَ عَهْدُكُمْ بِالْأَمْسِ (٥) إِخْوَانِكُمُ الَّذِينَ مُسِيخُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرًا ! لَا تُلَاعِنُوا . فَاثْتَهَرُوا (٥) .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ يٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لأهل الكتاب ، وهم أهل التوراة والإنجيل : ﴿ تَعَالَوْا ﴾ : هَلُّمُوا ﴿ إِلَى / كَلِمَةٍ سَوَّامٍ ﴾ . يعنى : إلى كلمة عدلٍ ٣٠٢/٣

= والنسائي (١١٠٦١ - كبرى) ، وأبو يعلى (٢٦٠٤) من طريق عبيد الله به ، وأخرجه أحمد ٤/٩٨ (٢٢٢٥) من طريق عبد الكريم به .

(١ - ١) في ص ، ت ١ : « أبو كريب » .

(٢) سقط من : م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣ - ٣) في س : « فاطمة وابنها » .

(٤) بعده في س : « من » .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٣٩ ، ٤٠ إلى المصنف .

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . وَالْكَلِمَةُ الْعَدْلُ هِيَ أَنْ تُوحَّدَ ^(١) اللَّهُ فَلَا تَعْبُدَ ^(٢) غَيْرَهُ ، وَتَبْرَأَ ^(٣) مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ ، فَلَا تُشْرِكْ ^(٤) بِهِ شَيْئًا .

وقوله : ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا ﴾ . يقول : وَلَا يَدِينُ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ بِالطَّاعَةِ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ ، وَيُعَظِّمُهُ بِالسُّجُودِ لَهُ ، كَمَا يَشْجُدُ لِرَبِّهِ ، ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ . يقول : فَإِنْ أَعْرَضُوا عَمَّا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْكَلِمَةِ السَّوَاءِ الَّتِي أَمَرْتُكَ بِدَعَائِهِمْ إِلَيْهَا ، فَلَمْ يُجِيبُواكَ إِلَيْهَا ، ﴿ فَقُولُوا ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ^(٥) لِلْمُتَوَلِّينَ عَنْ ذَلِكَ : ﴿ أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّوَابِلِ فِي مَنْ نَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : نَزَلَتْ فِي يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا حِوَالَى مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدٌ ، قَالَ : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، قَالَ : ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ دَعَا يَهُودَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى الْكَلِمَةِ السَّوَاءِ ، وَهُمْ الَّذِينَ حَاجُّوا فِي إِبْرَاهِيمَ ^(٦) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَالَ : ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ دَعَا الْيَهُودَ إِلَى الْكَلِمَةِ السَّوَاءِ ^(٧) .

(١) فِي ص ، ت ، أ : « يُوْحَدُ » ، وَفِي س : « تُوْحَدُ » .

(٢) فِي ص ، ت ، أ : « يَعْْبُدُ » .

(٣) فِي ص : « تَبْرَأُ » ، وَفِي ت ، أ : « تَبْرَأُ » . وَفِي س : « تَبْرَأُ » .

(٤) فِي ت ، أ : « يَشْرِكُ » ، وَفِي س : « تُشْرِكُ » .

(٥) بَعْدَهُ فِي س : « فَقُولُوا » .

(٦) عَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٤٠/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ .

(٧) فِي ص ، م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « كَلِمَةٌ » .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ :
 بَلَّغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا يَهُودَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى ذَلِكَ ، فَأَتَوْا عَلَيْهِ ، فَجَاهَدَهُمْ . قَالَ :
 دَعَاهُمْ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكُمْ ﴾ الْآيَةَ ^(١) .

وقال آخرون : بل نزلت في الوفد من نصارى نجران .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابنِ إِسْحَاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ
 الزبيرِ : ﴿ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ الْآيَةَ إِلَى قَوْلِهِ :
 ﴿ فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ . قَالَ : فدعاهم إلى النَّصْفِ ، وقطع عنهم
 الْحُجَّةَ . يعني وفد نجران ^(٢) .

حَدَّثَنَا موسى ، قَالَ : ثنا عمرو ، قَالَ : ثنا أسباط ، عن السدي ، قَالَ : ثم دعاهم
 رسولُ اللَّهِ ﷺ - يعني الوفد من نصارى نجران - فقال : ﴿ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا
 إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ الْآيَةَ ^(٣) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ زَيْدٍ ، قَالَ : قال - يعني
 جَلَّ ثَنَاؤُهُ - : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَصُّ الْحَقُّ ﴾ في عيسى - على ما قد بيناه فيما
 مضى ^(٤) - قال : فأبوا - يعني الوفد من نجران - فقال : ادعهم إلى أئسر من هذا ، قُلْ :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٩/٢ (٣٦٢٨) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج بنحوه .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٨٣/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٠/٢ (٣٦٣١) من طريق سلمة عن ابن إسحاق قوله .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٠/٢ إلى المصنف .

(٤) ينظر الأثر المتقدم في ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ .

﴿ يَأْهَلْ أَلْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ﴾ . فقرأ حتى بلغ ﴿ آتِيَابَا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ، فَأَبُؤَا أَنْ يَقْبَلُوا هَذَا وَلَا الْآخَرَ .

وإنما قلنا : عني بقوله : ﴿ يَأْهَلْ أَلْكِتَابِ ﴾ أهل الكتابين ؛ لأنهما جميعاً من أهل الكتاب ، ولم يَخْصُصْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بقوله : ﴿ يَأْهَلْ أَلْكِتَابِ ﴾ بعضاً دون بعض ، فليس بأن يَكُونُ مُوجَّهًا ذلك إلى أنه / مقصودٌ به أهل التوراة بأولى منه بأن يَكُونُ مُوجَّهًا إلى أنه مقصودٌ به أهل الإنجيل ، ولا أهل الإنجيل بأولى أن يكونوا مقصودين به دون غيرهم من أهل التوراة . وإذ لم يَكُنْ أَحَدُ الفريقين بذلك بأولى من الآخر ؛ لأنه لا دلالة على أنه المخصوصُ بذلك من الآخر ، ولا أثرٌ صحيح ، فالواجب أن يَكُونُ كُلُّ كتابيٍّ معنيًا به ؛ لأن إفراذَ العبادةِ لله وحده ، وإخلاصَ التوحيدِ له ، واجبٌ على كلِّ مأمورٍ منهيٍّ ^(١) من خَلْقِ اللَّهِ ، واسمُ ^(٢) أهلِ الكتابِ يلزَمُ ^(٣) أهلَ التوراةِ وأهلَ الإنجيلِ ، فكان معلوماً بذلك أنه غنيٌّ به الفريقان جميعاً .

وأما تأويلُ قوله : ﴿ تَعَالَوْا ﴾ . فإنه : أَقْبَلُوا وَهَلُّمُوا . وإنما هو « تفاعلوا » ، من العلوِّ ، فكان القائلُ لصاحبه : تعال إليَّ . قائلٌ ^(٤) : تفاعل . من العلوِّ ، كما يقالُ : تَدَانَ مني . من الدُّنُوِّ ، وتَقَارَبَ مني . من القربِ .

وقوله : ﴿ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ ﴾ فإنها الكلمةُ العَدْلُ . والسواءُ من نعتِ « الكلمة » .

وقد اختلف أهل العربية في وجه إنباع ﴿ سَوَامٍ ﴾ في الإعرابِ « الكلمة » ،

(١) بعده في س : « عنه » .

(٢) سقط من : م ، وفي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٣ ، س : « أنتم » ، وهو غير واضح في ت ٢ والصواب ما أثبتنا .

(٣) في م : « يعم » .

(٤) في م : « فإنه » ، وفي ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « فإنك » .

وهو اسم لا صفة؛ فقال بعض نحوي البصرة: **﴿سَوَاءٌ﴾**؛ لأنها من صفة الكلمة، وهي العدل، وأراد مُستوية. قال: ولو أراد اشتواءً كان النصب، وإن شاء أن يجعلها على الاستواءِ وَيَجْرُ جاز، وَيَجْعَلُهُ من صفة الكلمة، مثل الخلق؛ لأن الخلق هو المخلوق، والخلق قد يكون صفةً واسماً، وَيَجْعَلُ الاستواءَ مثل المُستوي، قال عز وجل: [١/٤١٨] **﴿الَّذِي جَعَلَنَّهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً أَلْعَكِيفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾** [الحج: ٢٥]. لأن السواءَ للآخِرِ، وهو اسم ليس بصفة، فيجزي على الأول، وذلك إذا أراد به الاشتواء، فإن أراد به مُستويًا جاز أن يُجزي على الأول. والرفع في ذا المعنى جيد؛ لأنها لا تُعَيَّرُ عن حالها، ولا تُثَنَّى، ولا تُجْمَعُ، ولا تُؤنَّثُ، فأشبهت الأسماء التي هي مثل عدلٍ ورضى وجنب، وما أشبه. ذلك، وقالوا - (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم)^(١) - : فالسواءُ للمخيا، والمماتُ بهذا^(٢) المبتدأ.

وإن شئت أجزئته على الأول، وجعلته صفةً مُقدَّمةً، كأنها من سبب الأول، فجزت عليه، وذلك إذا جعلته في معنى مُستوي. والرفع وجه الكلام كما فسرت لك.

وقال بعض نحوي الكوفة: **﴿سَوَاءٌ﴾**: مصدرٌ وُضِعَ مَوْضِعَ الفعل^(٣)، يعني موضعٌ مُتساويةً ومتساوٍ؛ فمرة يأتي على الفعل، ومرة على المصدر، وقد يقال في **﴿سَوَاءٌ﴾** بمعنى عدلٍ: سيوى وسوى. كما قال جل ثناؤه: **﴿مَكَانًا سَوِيًّا﴾** [طه: ٥٨]. وسوى يُرادُ به عدلٌ ونصفٌ بيننا وبينك. وقد روى عن ابن مسعود أنه كان

(١) تأتي هذه القراءة عند تفسير الآية ٢١ من سورة الجاثية.

(٢) في س: «فهذا».

(٣) يعني بالفعل هنا الوصف المشتق مثل فاعل ومفعول. ينظر مصطلحات النحو الكوفي ص ٥٢.

يَقْرَأُ ذَلِكَ : (إِلَى كَلِمَةٍ عَدْلٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) ^(١) .

وبمثل الذي قلنا في تأويل قوله : ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ ^(٢) وأن السواء هو العدل ، قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ : عدل بيننا وبينكم ، ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ الآية ^(٣) .

حدَّثني المثنى : قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿قُلْ / يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ . بمثله ^(٤) . ٣٠٤/٣

وقال آخرون : هو قول لا إله إلا الله .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : قال أبو العالية : كلمة السواء لا إله إلا الله ^(٥) .

(١) هذا قول الفراء في معاني القرآن ٢٢٠/١ ونسب هذه القراءة إلى ابن مسعود . وينظر المحرر الوجيز ٤٥٤/٢ .

(٢) (٢ - ٢) في م : «بأن» ، وفي ت ١ ، س : «فإن» .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٠/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) في ص ، ت ١ : «الآية» .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٠/٢ ٣٦٣٢ من طريق ابن أبي جعفر به .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٩/٢ ٣٦٢٩ من طريق ابن أبي جعفر به .

وأما قوله: ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ﴾ . فإن «أن» في موضعٍ خفيضٍ ، على معنى : تعالوا إلى ألا نعبد إلا الله .

وقد بينا معنى «العبادة» في كلام العرب فيما مضى ، ودللنا على الصحيح من معانيه بما أغنى عن إعادته ^(١) .

وأما قوله: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ . فإن اتخاذه بعضهم بعضاً ^(٢) ما كان بطاعة الأتباع الرؤساء فيما أمرهم به من معاصي الله ، وتزكيتهم ما نهوهم عنه من طاعة الله ، كما قال جل ثناؤه: ﴿اتَّخِذُوا أَعْبَادَهُمْ وَرَبَّهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [التوبة : ٣١] .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ، يقول : لا يطع بعضهم بعضاً في معصية الله ، ويقال : إن تلك الربوبية أن يطيع الناس سادتهم وقادتهم في غير عبادة ، وإن لم يصلوا لهم ^(٣) .

وقال آخرون : اتخاذه بعضهم بعضاً أرباباً سجوداً بعضهم لبعض .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا حفص بن عمر ^(٤) ، عن الحكم بن

(١) ينظر ما تقدم في ١/١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) بعده في م : «هو» .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٤٠ إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٧٠ (٣٦٣٤) من طريق ابن ثور عن ابن جريج مقتصرًا على آخره . .

(٤) في س : «عمرو» .

أبان ، عن عكرمة في قوله : ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ . قال :
سجود بعضهم لبعض^(١) .

وأما قوله : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ أُشْهِدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ . فإنه يعنى : فإن
تولَّى الذين تدعونهم إلى الكلمة السواء عنها وكفروا ، فقولوا أنتم أيها المؤمنون لهم :
اشهدوا علينا بأننا بما توليتم عنه ؛ من توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، وأنه الإله
الذى لا شريك له ، ﴿ مُسْلِمُونَ ﴾ ، يعنى : خاضعون لله به ، متذللون له بالإقرار
بذلك ، بقلوبنا وألسنتنا .

وقد بينا معنى « الإسلام » فيما مضى ، ودلنا عليه بما أغنى عن إعادته^(٢) .
القول في تأويل قوله : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ
التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦٥) .

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ : يا أهل التوراة
والإنجيل . ﴿ لِمَ تُحَاجُّونَ ﴾ : لم تجادلون ﴿ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ ، وتخاصمون فيه ؟
يعنى : فى إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه .

وكان / حجاجهم فيه ادعاء كل فريق من أهل هذين الكتابين أنه كان منهم ،
وأنه كان يدين دين أهل نخلته^(٣) ، فعابهم الله عز وجل بأدعائهم ذلك ، ودل على
مناقضتهم ودعواهم ، فقال : وكيف تدعون أنه كان على ملتكم ودينكم ،
و^(٤) دينكم إما يهودية [١/٤١٨ظ] أو نصرانية ، واليهودى منكم يزعم أن دينه إقامة

٣٠٥/٣

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٠/٢ (٣٦٣٥) من طريق حفص بن عمر به .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٤٣٢/٢ .

(٣) فى س : « ملته » .

(٤) بعده فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أما » ، وبعده فى س : « ما » .

التوراة والعمل بما فيها ، والنصراني منكم يزعم أن دينه إقامة الإنجيل وما فيه ،
وهذان ^(١) كتابان لم ينزلا إلا بعد حين من مهلك إبراهيم ووفاته ، فكيف يكون
منكم ^(٢) ؟ فما ^(٣) وجه اختصاصكم فيه ، وادّعاءكم أنه منكم ، والأمر فيه على ما قد
علمتم ؟

وقيل : نزلت هذه الآية في اختصاص اليهود والنصارى في إبراهيم ، وادّعاء كل
فريقي منهم أنه كان منهم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ،
وحدّثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن
أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبيرة ، أو عكرمة ، عن ابن
عباس ، قال : اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله ﷺ ، فتنازعوا
عنده ، فقالت الأخبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديًا . وقالت النصارى : ما كان
إبراهيم إلا نصرانيًا . فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي
إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ . قالت
النصارى : كان نصرانيًا . وقالت اليهود : كان يهوديًا . فأخبرهم الله أن التوراة
والإنجيل ^(٤) إنما أنزلا ^(٥) من بعده ، وبعده كانت اليهودية والنصرانية ^(٥) .

(١) في ص ، ت ١ : « هذا » .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « منهم » .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أما » .

(٤ - ٤) في م : « ما أنزلا إلا » .

(٥) سيرة ابن هشام ١/٥٥٣ ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٥/٣٨٤ من طريق يونس بن بكير به بأطول مما هنا .

(تفسير الطبري ٥/٣١)

حدثنا بشرٌ، قال : ثنا يزيدٌ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادة قوله : ﴿ يَتَأَهَّلَ
الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّوْنَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ . يقول : لم تُحَاجُّوْنَ في إبراهيم وتزعمون أنه
كان يهوديًا أو نصرانيًا ، ﴿ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ﴾ -
فكانت اليهودية بعد التوراة ، وكانت النصرانية بعد الإنجيل - ﴿ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴾ ^(١) ؟

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في دعوى اليهود إبراهيم أنه منهم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشرٌ، قال : ثنا يزيدٌ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادة ، قال : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ
اللَّهِ ﷺ دَعَا يَهُودَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى كَلِمَةِ السَّوَاءِ ، وَهُمْ الَّذِينَ حَاجُّوا فِي
إِبْرَاهِيمَ ، ' وَزَعَمُوا أَنَّهُ مَاتَ ' يَهُودِيًّا ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَنَفَاهُمْ مِنْهُ ،
فَقَالَ : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّوْنَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ
إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ^(٢) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن
الربيع مثله ^(٤) .

حدثني محمد بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ،
عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّوْنَ فِي ﴾

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤١/٢ إلى المصنف .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٤٥٦/٢ ، والبحر المحيط ٤٨٢/٢ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤١/٢ إلى المصنف .

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ . قال : اليهود^(١) ، برآه^(٢) الله عزَّ وجلَّ منهم^(٣) حين ادَّعى كلُّ أمةٍ أنه منهم ، وألحق به المؤمن من كان من أهل الحنيفية^(٤) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مُجاهدٍ مثله .

306/3 /وأما قوله : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ . فإنه يعنى : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ : أفلا^(٥) تفقهون^(٦) خطأ قبلكم : إن إبراهيم كان يهوديًا أو نصرانيًا ، وقد علمتم أن اليهودية والنصرانية حدثت من بعد مهلكه بحين ؟

القول فى تأويل قوله : ﴿هَاتِنْتُمْ هَؤُلَاءِ حُجَجَتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ها أنتم^(٧) القوم الذين خاصمتم وجادلتم ﴿فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ من أمر دينكم الذى وجدتموه فى كتبكم ، وأتتكم به رسل الله من عنده ، ومن غير ذلك مما أوتيتموه وثبتت عندكم صحته ، ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ﴾ يقول : فلم تجادلون وتخاصمون ﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ ، يعنى : فى^(٨) الذى لا علم

(١) بعده فى م ، ومصدرى التخريج : « والنصارى » . والمصنف إنما ذكر هذا الأثر والأثر قبله فى ذكر من قال : إن الآية نزلت فى اليهود ، وعلى إثباتها لا يكون فرق بين هذا القول والقول قبله .

(٢) فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « برأهم » .

(٣) فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « منه » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧١/٢ (٣٦٣٨) من طريق ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤١/٢ إلى عبد بن حميد .

(٥) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، س .

(٦) سقط من : س ، وفى ص : « تفقهون » .

(٧) بعده فى م : « هؤلاء » .

(٨) سقط من : م .

لكم به من أمر إبراهيم ودينه ، ولم تجدوه في كتب الله ، ولا أتثكم به أنبياءكم ، ولا شاهدتموه فتعلموه .

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ هَاتَيْنِ هَاتُولَايَ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ : أما الذي لهم به علم ، فما حرم عليهم وما أمروا به ، وأما الذي ليس لهم به علم ، فشان إبراهيم ^(١) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ هَاتَيْنِ هَاتُولَايَ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ . يقول : فيما شهدتم ، ورأيتم ، وعانيتم ، ﴿ فَلِمَ تُحَاجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ، فيما لم تشهدوا ، ولم تزوا ، ولم تعانوا ، ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله ^(٣) .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . يقول : والله يعلم ما غاب عنكم فلم تشهدوه ولم تزوه ، ولم تأتكم به رسله ، من أمر إبراهيم وغيره من الأمور وما تجادلون فيه ؛ لأنه لا يغيب عنه شيء ، ولا يعزب عنه علم شيء في السماوات ولا في الأرض ، وأتم لا تعلمون من ذلك إلا ما عانيتم فشاهدتم ، أو أدر كنتم علمه بالإخبار والسماع .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٢/٢ (٣٦٤٣، ٣٦٤٦) من طريق أحمد بن الفضل به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤١/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٢/٢ (٣٦٤٢) من طريق ابن أبي جعفر به من قول أبي العالية .

القول في تأويل قوله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦٧).

وهذا تكذيب من الله عز وجل [١٩/١] دَعَوَى الَّذِينَ جَادَلُوا فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَلَّتِيهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، وَاذْعَوْا أَنَّهُ كَانَ عَلَىٰ مِلَّتِهِمْ ، وَتَبَرُّتَهُ^(١) لَهُمْ مِنْهُ ، وَأَنَّهُمْ لَدِينِهِ مُخَالِفُونَ ، وَقَضَاءُ مِنْهُ^(٢) عَزَّ وَجَلَّ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ وَلِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ دِينِهِ ، وَعَلَىٰ مِنْهَاجِهِ وَشَرَائِعِهِ ، دُونَ سَائِرِ أَهْلِ الْمَلَلِ وَالْأَدْيَانِ غَيْرِهِمْ .

يقول الله عز وجل: ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا، ولا^(٣) كان من المشركين الذين يعبدون الأوثان والأصنام، أو^(٤) مخلوقًا دون خالقه الذي هو إله الخلق / وبارئهم، ﴿ وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا ﴾ . يعني: متبعا أمر الله وطاعته، مستقيما ٣٠٧/٣ على محجة الهدى التي أمر^(٥) بلزومها، ﴿ مُّسْلِمًا ﴾ . يعني: خاشعا لله بقلبه، متذللًا له بجوارحه، مُدْعِنًا لما فرض عليه وألزمه من أحكامه .

وقد بينا اختلاف أهل التأويل في معنى الحنيف فيما مضى، ودلّلنا على القول الذي هو أولى بالصحة من أقوالهم، بما أغنى عن إعادته^(٦) في هذا الموضع^(٦).

وبنحو ما قلنا في ذلك من التأويل قال أهل التأويل .

(١) في ص، ت، ١، س: «تنزيه». وكتب فوقها في ص: «ط» .

(٢) في س: «لله» .

(٣) في م، ت، ١، س: «لكن كان حنيفا مسلما وما» .

(٤) في ص، ت، ٢، ت، ٣، س: «أن» .

(٥) بعده في ت، ٢، ت، ٣: «الله» .

(٦ - ٦) سقط من: ص، م، ت، ١، س . وينظر ما تقدم في ٥٩١/٢ - ٥٩٤ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ شَاهِينَ الْوَاسِطِيُّ ، قَالَ : ثنا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ دَاوُدَ ، عَنْ عَامِرٍ ، قَالَ : قَالَتِ الْيَهُودُ : إِبْرَاهِيمُ عَلَى دِينِنَا . وَقَالَتِ النَّصَارَى : هُوَ عَلَى دِينِنَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾ الْآيَةَ . فَأُكْذِبَهُمُ اللَّهُ ، وَأُدْحَضُ حُجَّتَهُمْ . يَعْنِي الْيَهُودَ الَّذِينَ ادَّعَوْا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ مَاتَ يَهُودِيًّا ^(١) .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ مِثْلَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يَعْقُوبُ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزَّهْرِيُّ ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - لَا أَرَاهُ إِلَّا يُحَدِّثُهُ عَنْ أَبِيهِ - أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ يَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ وَيَتَّبِعُهُ ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ الْيَهُودِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ ، وَقَالَ : إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أُدِينَ دِينَكُمْ ، فَأَخْبِرْنِي عَنْ دِينِكُمْ . فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ : إِنَّكَ لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِييِكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ . قَالَ زَيْدٌ : مَا أَفْرَأُ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا ، وَأَنَا ^(٣) أَسْتَطِيعُ ، فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى دِينٍ لَيْسَ فِيهِ هَذَا ؟ قَالَ : مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ^(٤) حَنِيفًا . قَالَ : وَمَا الْحَنِيفُ ؟ قَالَ : دِينُ إِبْرَاهِيمَ ، لَمْ يَكُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ، وَكَانَ لَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ . فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ النَّصَارَى ، فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ ،

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤١/٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٣/٢ (٣٦٤٩) من طريق ابن أبي جعفر به من قول أبي العالية .

(٣) بعده في م ، ت ١ ، س : « لا » .

(٤) في م ، ت ١ : « تكون » ..

فقال : إني لعلّي أن أدينَ دينكم ، فأخبروني عن دينكم . قال : إنك لن تكونَ على ديننا حتى تأخذَ بنصيبك من لعنةِ الله . قال : لا أحتملُ من لعنةِ الله شيئاً ، ولا من غضبِ الله شيئاً أبداً ، وأنا ^(١) أستطيعُ ، فهل تدلّني على دينٍ ليس فيه هذا ؟ فقال له ^(٢) نحو ما قاله اليهوديُّ : لا أعلمه إلا أن يكونَ ^(٣) حنيفاً . فخرج من عندهم ^(٤) وقد رضى الذى أخبراه والذى اتّفقا عليه من شأنِ إبراهيمَ ، ^(٥) فلم يزلُ رافعاً يديه إلى الله ، وقال : اللهم إني أشهدك أنى على دين إبراهيمَ . ^(٦)

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

يعنى جلّ ثناؤه بقوله : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ ﴾ : إن أحقّ الناس بإبراهيمَ ونُصرتَه وولايته ، ﴿ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ ، يعنى : الذين سلّكوا طريقه ومنهاجه ، فوحدوا الله مخلصين له الدين ، وسئوا سنتَه ^(٧) ، وشرّعوا شرائعه ، وكانوا لله خُنفاءً

(١) بعده فى م ، ت ، ١ ، س : « لا » .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « نحو ما » ، وفى م : « نحو ما » .

(٣) فى م ، ت ، ١ : « تكون » .

(٤) فى م : « عنده » .

(٥ - ٥) فى صحيح البخارى : « فلما برز رفع يديه » . وفى تاريخ دمشق : « فلما توفى رفع يديه » .

(٦) أخرجه البخارى (٣٨٢٧) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٥٠٣/١٩ من طريق موسى بن عقبة به .

وبعده فى ص : « يتلوه القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . والحمد لله على (!؟) محمد وآله وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم ، رب يسر ، أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان ، قال : حدثنا محمد بن

جرير الطبرى .

وبعده فى ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان ، قال :

حدثنا محمد بن جرير الطبرى » ويظهر من هذا أن الراوى للقسم المقبل من التفسير رجل آخر غير أبى محمد

الفرغانى وينظر ترجمتهما فى ٣٧/١ ، ٣٩ من المقدمة .

(٧) فى م : « سنته » .

مسلمين ، غير مشركين به ، ﴿ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾ يعني محمداً ﷺ ، ﴿ وَالَّذِينَ ﴾ ٣٠٨/٣
 ءَامَنُوا ﴾ ، / يعني : والذين صدقوا محمداً وبما جاءهم به من عند الله ، ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ ﴾
 الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، يقول : والله ناصر المؤمنين بمحمد ، المصدقين له في نبوته وفيما
 جاءهم ^(١) به من عنده ، على من خالفهم من أهل الملل والأديان .
 وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾
 النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ . يقول : الذين اتبعوه على ملته وسنته ومنهاجه
 وفطرته ، ﴿ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾ وهو نبي الله محمد ، ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ معه ، وهم
 المؤمنون الذين صدقوا نبي الله واتبعوه . كان محمد رسول الله ﷺ والذين معه من
 المؤمنين أولى الناس بإبراهيم ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن
 الربيع مثله ^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَجَابِرُ بْنُ الْكُرْدِيِّ وَالْحَسَنُ بْنُ أَبِي يَحْيَى الْمَقْدِسِيُّ ،
 قَالُوا : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن
 عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ لَكُلِّ نَبِيٍّ وُلاةٌ مِنَ النَّبِيِّينَ ، وَإِنْ

(١) في س : « جاء » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٧٤ ، ٦٧٥ (٣٦٥٨ ، ٣٦٥٩ ، ٣٦٦١) من طريق ابن أبي جعفر

وَالَّذِينَ [٤١٩/١] مِنْهُمْ أُمِّيٌّ وَخَلِيلٌ رَبِّي . ثُمَّ قَرَأَ : ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِزْهِيمِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ ، قَالَ : ثنا سَفِيَانُ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي الضُّحَى ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، أَرَاهُ قَالَ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . فَذَكَرَ نَحْوَهُ (٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثنا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِزْهِيمِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ (٤) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥) .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿وَدَّتْ﴾ : تَمَنَّتْ ، ﴿طَّائِفَةٌ﴾ : جماعَةٌ ، ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ ، وهم أهل التوراة من اليهود ، وأهل الإنجيل من النصارى ، ﴿لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ ، يقول : لو يصدُّونكم أيُّها المؤمنون عن الإسلام ، ويؤدُّونكم عنه إلى ما هم عليه من الكفر ، فيهلكونكم بذلك .

والإضلالُ في هذا الموضع الإهلاكُ ، من قولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَقَالُوا آءِذَا

(١) بعده في س : « بكر » .

(٢) أخرجه البزار في مسنده (١٩٧٣) عن محمد بن المثني به ، وأخرجه الترمذى (٢٩٩٥) ، والطحاوى في مشكل الآثار (١٠٠٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (تحقيق حكيمت بشير ياسين) ٣٢٦/٢ ، ٣٢٧ (٧٣١) ٣٢٦/٢ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢١/٦ من طريق أبي أحمد به ، وأخرجه الحاكم ٢٩٢/٢ ، ٥٥٣ من طريق سفيان به .

(٣) أخرجه الترمذى عقب (٢٩٩٥) من طريق أبي نعيم به ، وأخرجه أحمد ٣٤٨/٦ (٣٨٠٠) ، ١٦٧/٧ (٤٠٨٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٤/٢ (٣٦٥٦) ، والواحدى في أسباب النزول ص ٧٩ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢١/٦ من طريق سفيان به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٤/٢ (٣٦٥٧) ، من طريق عبد الله بن صالح به .

صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ أَعْنَاءَ لِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿ [السجدة : ١٠] . يعنى : إذا هلكنا . ومنه قولُ
الأخطلِ فى هجاءِ جرير^(١) :

كنتَ القَدَى فى موجِ أكدرَ مُزِيدِ قذِف الأتْيى به فضلٌ ضلَّالاً
يعنى : هلكَ هلاكاً . وقولُ نابغةِ بنى ذُيَّان^(٢) :

/ فآبَ مُضِلُّوه بَعَيْنِ جَلِيَّةِ^(٣) وعودِ بالجولانِ^(٤) حزمٌ ونائلُ
يعنى : مُهلِكوه .

﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ : وما يُهلِكون - بما يَفْعَلون مِن محاولتِهِم
صدَّكم عن دينِكُم - أحداً غيرَ أنفُسِهِم . يعنى بـ ﴿ أَنْفُسَهُمْ ﴾ تَبَاعَهُمْ^(٥) وأشياءَهُم
على ملتِهِم وأديانِهِم . وإنما أهلَكوا أنفُسَهُم وتَبَاعَهُمْ^(٥) بما حاولوا مِن ذلك ؛
لاشْتِيحايهِم مِن اللّهِ بفعلِهِم ذلك سَخَطَهُ ، واشتِحقاقِهِم به غضبَهُ ولعنتَهُ ؛ لكفرِهِم
باللّهِ ، ونقضِهِم الميثاقَ الذى أَخَذَ اللّهُ^(٦) عليهم فى كتابِهِم ، فى اتِّباعِ محمدٍ ﷺ
وتصديقِهِ ، والإقرارِ بنبوّتِهِ . ثم أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُم أَنَّهُم يَفْعَلون ما يَفْعَلون ، مِن
مُحاولةِ صدِّ المؤمنين عن الهدى إلى الضلالةِ والرَّدى ، على جهلِ منهم بما اللّهُ بهم
مُجَلِّ مِن عقوبتِهِ ، ومُدْخِرٍ لَهُم مِن أليمِ عذابِهِ ، فقال تعالى ذِكرُهُ : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾
أنَّهُم لا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُم ،^(٧) فى محاولتِهِم^(٧) إضلالِكُم أيُّها المؤمنون .

(١) تقدم تخريجه فى ٤١٦/٢ .

(٢) ديوانه ص ١١٩ .

(٣) جلية الأمر : حقيقته . اللسان (ج ل ي) والبيت فيه .

(٤) الجولان : جبل من نواحي دمشق ، من عمل حوران . معجم البلدان ١٥٩/٢ .

(٥) فى م : « أتباعهم » .

(٦) سقط من : ص ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٧ - ٧) فى م : « بمحاولتهم » .

ومعنى قوله : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ : وما يذرون ولا يعلمون .

وقد بيّنا تأويل ذلك بشواهد في غير^(١) هذا الموضع ، فأغنى ذلك عن إعادته^(٢) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يَتَّأَهَّلَ الْكُذِّبِ لِمَ تَكْفُرُونَ إِذْ يَأْتِيَنَّكَ اللَّهُ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ يَتَّأَهَّلَ الْكُذِّبِ ﴾ ، من اليهود والنصارى ، ﴿ لِمَ تَكْفُرُونَ ﴾ . يقول : لم تجحدون ، ﴿ إِذْ يَأْتِيَنَّكَ اللَّهُ ﴾ . يعنى : بما فى كتاب الله الذى أنزله إليكم على ألسن أنبيائكم من آيه وأدليته . ﴿ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ أنه حق من عند ربكم !

وإنما هذا من الله عز وجل توبيخ لأهل الكتابين على كفرهم بمحمد ﷺ ومجحدوهم نبوته ، وهم يجدونه فى كتبهم ، مع شهادتهم أن ما فى كتبهم حق ، وأنه من عند الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ يَتَّأَهَّلَ الْكُذِّبِ لِمَ تَكْفُرُونَ إِذْ يَأْتِيَنَّكَ اللَّهُ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ . يقول : تشهدون أن نعت محمد نبي الله ﷺ فى كتابكم ، ثم تكفرون به وتتكبرونه ولا تؤمنون به ، وأنتم تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والإنجيل ، النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته^(٣) .

(١) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١ / ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ =

حدَّثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ يَتَّأَهَّلَ الْكَيْتِبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ . يقول : تَشْهَدُونَ أن نعتَ محمدٍ في كتابِكُم ، ثم تَكْفُرُونَ به ولا تُؤْمِنُونَ به ، وأنتم تَجِدُونَهُ عندَكُم في التوراة والإنجيل ؛ النبيُّ الأُمِّيُّ ^(١) .

حدَّثني محمدٌ ، قال : ثنا أحمدٌ ، قال : ثنا أسباطٌ ، عن الشدِّي : ﴿ يَتَّأَهَّلَ الْكَيْتِبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ : آياتُ اللَّهِ : محمدٌ ، وأما ﴿ تَشْهَدُونَ ﴾ : فيشْهَدُونَ ^(٢) أنه الحقُّ يَجِدُونَهُ ^(٣) مكتوبًا عندهم ^(٤) .

/ « حدَّثنا القاسمُ ، قال ^(٥) : حدَّثنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قوله : ﴿ يَتَّأَهَّلَ الْكَيْتِبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ أن الدينَ عندَ اللَّهِ الإسلامُ ، ليس لله دينٌ غيرُهُ ^(٦) .

٣١٠/٣

القول في تأويل قوله : ﴿ يَتَّأَهَّلَ الْكَيْتِبِ لِمَ تَلْسُوتُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ .

يعنى بذلك جلُّ ثناؤه : يا أهل التوراة والإنجيل ، ﴿ لِمَ تَلْسُوتُ ﴾ . يقول : لِمَ تَخْلِطُونَ ﴿ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ . وكان خَلَطَهُمُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ إظهارَهُمُ بِالسُّتِهِمُ مِنْ

= والإنجيل ﴿ الآية ١٥٧ من سورة الأعراف .

والأثر عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٦/٢ ، ٦٧٧ (٣٦٦٩) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) في ت ١ ، س ، وتفسير ابن أبي حاتم : « فتشهدون » .

(٣) في ت ١ ، س : « تجدونه » .

(٤) في س : « عندهم » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٦/٢ (٣٦٦٦ ، ٣٦٦٨) من طريق أحمد به .

(٥ - ٥) سقط من النسخ ، وتقدم هذا الإسناد كثيرا ، وسيأتي على الصواب بعد قليل .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٧/٢ (٣٦٧٢) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج .

التصديقِ بِمحمَدٍ ﷺ وما جاء به مِن عِنْدِ اللَّهِ ، غيرَ الذي في قلوبِهِم مِنَ اليهوديةِ والنَّصرانيةِ .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلْمَةُ ، عن ابنِ إِسْحَاقَ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ ، عن عكرمةَ ، أو سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ الصَّيْفِ ، وعدِيُّ بنُ زَيْدٍ ، والحارثُ بنُ عوفٍ ، بعضُهُم لبعضٍ : تعالَوْا [١/٤٢٠] نؤمنُ بما أنزلَ على مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ عُذْوَةً ، ونكفُرُ به عَشِيَّةً ، حتى نلبِسَ عليهم دينَهُم ، لعلَّهُم يصنعونَ كما صنعُ ، فيزجِعُوا عن دينِهِم . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِم : ﴿ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ : ﴿ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ . يقولُ : لِمَ تَلْبِسُونَ اليهوديةَ والنصرانيةَ بالإسلامِ ، وقد علمتُم أن دينَ اللَّهِ الذي لا يقبلُ غيرَه الإسلامُ ، ولا يجزى إلا به ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا إِسْحَاقُ ، قال : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بمثله ، إلا أنه قال : الذي لا يقبلُ من أحدٍ غيرَه الإسلامُ . ولم يقل ^(٣) : ولا يجزى ^(٤) إلا به ^(٤) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قوله :

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٥٣ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٧٧ ، ٦٧٨ (٣٦٧٥) من طريق سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد قوله . وعزاه السيوطي أيضا في الدر المنثور ٢/٤٢ إلى ابن إسحاق وابن المنذر ، وفيه : عبد الله بن الضيف . بالضاد المعجمة ، وهو رواية في اسمه .

(٢) في ص ، ت ، ١ : « للذي » ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٤٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يقبل » .

(٤ - ٤) في ص : « الآية » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٧٧ (٣٦٧٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

﴿يَأْهَلْ أَلْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ : الإسلام باليهودية والنصرانية^(١) .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابن زيد فى قول الله عز وجل : ﴿لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ . قال : الحق : التوراة التى أنزل الله على موسى ، والباطل : الذى كتبوه بأيديهم^(٢) .

قال أبو جعفر : وقد بيّنا معنى « اللبس » فيما مضى بما أغنى عن إعادته^(٣) .

القول فى تأويل قوله : ﴿وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٤) .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : ولم تكفموا يا أهل الكتاب الحق ؟ والحق الذى كتبوه : ما فى كتبهم من نعت محمد ﷺ ومبعثه ونبوته .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ : كتبوا شأن محمد وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر^(٥) .

/ حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : ﴿وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ . يقول : يكفموا شأن محمد ﷺ ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر^(٥) .

٣١١/٣

(١) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٤٦٣/٢ .

(٢) المصدر السابق ٣٦٢/٢ .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٦٠٥/١ - ٦٠٧ .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٨/٢ عقب الأثر (٣٦٧٦) معلقاً .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٨/٢ عقب الأثر (٣٦٧٦) من طريق ابن أبى جعفر به .

حدَّثني القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ ﴾ : الإسلامُ ، وأمرَ محمدٍ ﷺ ، ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أن محمدًا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأن الدينَ الإسلامُ ^(١) .

وأما قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . فإنه يعنى به : وأنتم تعلمون أن الذى تكفمونه من الحقِّ حقٌّ ، وأنه من عندِ اللَّهِ .

وهذا القولُ من اللَّهِ عزَّ وجلَّ خبرٌ عن تَعَمُّدِ أهلِ الكتابِ الكفرَ به ، وكتمانهم ما قد عليموا من نبوةِ محمدٍ ﷺ ووجدوه فى كتبهم ، وجاءتهم به أنبياءُهم .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامِنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ^(٧١) .

اختلف أهلُ التأويلِ فى صفةِ المعنى الذى أمرت به هذه الطائفةُ من أمرت به ، من الإيمانِ وَجَهَ النَّهَارِ وكفروا ^(٧٢) آخره ؛ فقال بعضهم : كان ذلك أمرًا منهم إياهم بتصديقِ النبىِّ ﷺ فى نبوته ، وما جاء به من عندِ اللَّهِ ، وأنه حقٌّ فى الظاهرِ ، من غيرِ تصديقه فى ذلك بالعزمِ واعتقادِ القلوبِ على ذلك ، وبالكفرِ به ، وجحودِ ذلك كله فى آخره .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة فى قوله : ﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامِنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ ﴾ . فقال بعضهم لبعضٍ : أعطوهم الرضا بدينهم أولَ النهارِ ، واكفروا آخره ، فإنه أجددُ

(١) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/٤٦٣ .

(٢) فى م : « الكفر » .

أَنْ يُصَدِّقُواكُمْ ، وَيَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ رَأَيْتُمْ فِيهِمْ مَا تَكْرَهُونَ ، وَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ يَزِجُوا عَنْ دِينِهِمْ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ ، قَالَ : ثنا خَالِدٌ ، عَنْ حُصَيْنٍ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفِّرُوا ءَاخِرُهُ ﴾ .
قَالَ : قَالَتِ الْيَهُودُ : ءَامِنُوا مَعَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ ، وَكُفِّرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَزِجُونَ مَعَكُمْ ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَشْبَاهُ ، عَنْ الشُّدِّيِّ : ﴿ وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفِّرُوا ءَاخِرُهُ لَعَلَّهُمْ يَزِجُونَ ﴾ : كَانَ أَحْبَابُ قُرَى عَرَبِيَّةٍ ^(٣) اثْنَيْ عَشَرَ حَبْرًا ، فَقَالُوا لِبَعْضِهِمْ : ادْخُلُوا فِي دِينِ مُحَمَّدٍ أَوَّلَ النَّهَارِ وَقُولُوا : نَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا حَقٌّ صَادِقٌ . فَإِذَا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ فَكُفِّرُوا وَقُولُوا : إِنَّا رَجَعْنَا إِلَىٰ عِلْمَائِنَا وَأَحْبَابِنَا فَسَأَلْنَاهُمْ ، فَحَدَّثُونَا أَنَّ مُحَمَّدًا كَاذِبٌ ، وَأَنْكُمْ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ، وَقَدْ رَجَعْنَا إِلَىٰ دِينِنَا فَهُوَ أَعْجَبُ إِلَيْنَا مِنْ / دِينِكُمْ . لَعَلَّهُمْ يَشْكُونَ ؛ يَقُولُونَ : هَؤُلَاءِ كَانُوا مَعَنَا أَوَّلَ النَّهَارِ ، فَمَا بِالْهَمِّ ؟ فَأُخْبِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ﷺ بِذَلِكَ ^(٤) .

٣١٢/٣

حَدَّثْتُ عَنْ عِمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ حُصَيْنٍ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْغِفَارِيِّ ، قَالَ : قَالَتِ الْيَهُودُ لِبَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ : أَتَسْلِمُوا أَوَّلَ النَّهَارِ وَارْتَدُّوا آخِرَهُ

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٣ ، بأطول منه ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٩/٢ (٣٦٨٢) عن الحسن به ببعضه .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٠٢ - تفسير) عن خالد به ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٩/٢ (٣٦٨١) من طريق السدي ، عن أبي مالك نحوه .

(٣) قرى عربية : قرى بالحجاز معروفة . معجم ما استعجم ٣/ ٩٢٩ ، ٩٣٠ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٤٢ ، ٤٣ إلى المصنف . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (تحقيق حكمت بشير ياسين) ٢/ ٣٣٧ (٧٦٤) من طريق أحمد بن الفضل به . قال : كان أحبار قرى عربية اثني عشر حبرًا .

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . فَأَطَاعَ اللَّهُ [١/٤٢٠ظ] عَلَى سِرِّهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكَتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

وقال آخرون : بل الذي أَمَرْتُ ^(١) به مِنَ الْإِيمَانِ الصَّلَاةِ ، وَحُضُورِهَا مَعَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ ، وَبَتْرِكِ ^(٢) ذَلِكَ آخِرَهُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ ﴾ : يَهُودٌ تَقُولُهُ ، صَلَّتْ مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَاةَ الصُّبْحِ ، وَكَفَرُوا آخِرَ النَّهَارِ ؛ مَكْرًا مِنْهُمْ ، لِيُرِيُوا النَّاسَ أَنَّ قَدْ بَدَّتْ لَهُمْ مِنْهُ الضَّلَالَةُ بَعْدَ أَنْ كَانُوا اتَّبَعُوهُ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَبْلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ بِمِثْلِهِ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عَمِي ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكَتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ ﴾ الْآيَةَ : وَذَلِكَ أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا : إِذَا لَقِيتُمْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوَّلَ النَّهَارِ فَأَمِنُوا ، وَإِذَا كَانَ آخِرَهُ فَصَلُّوا صَلَاتِكُمْ ، لَعَلَّهُمْ يَقُولُونَ : هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْكِتَابِ ، وَهُمْ أَعْلَمُ مِنَّا . لَعَلَّهُمْ يَنْقَلِبُونَ عَنْ دِينِهِمْ ، وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ^(٤) .

(١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أَمَرْتَهُ » .

(٢) فِي م ، س : « تَرَكْ » ، وَفِي ت ٢ : « نَتْرَكْ » .

(٣) تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ ص ٢٥٣ ، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٧٩/٢ (٣٦٨٤) .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٨٠/٢ (٣٦٨٦ ، ٣٦٨٩) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ بِهِ دُونَ قَوْلِهِ : =

(تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٣٢/٥)

فتأويل الكلام إذن : ﴿ وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ . يعنى : من اليهود الذين يقرءون التوراة : ﴿ ءَامِنُوا ﴾ : صدقوا ، ﴿ بِالَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ، وذلك ما جاءهم به محمد ﷺ من الدين الحق وشرائعه وسننه ، ﴿ وَجَهَ النَّهَارِ ﴾ . يعنى : أول النهار .

وسمى أوله وجهاله ؛ لأنه أحسنه ، وأول ما يؤاوجه الناظر فيراه منه ، كما يقال لأول الثوب : وجهه . وكما قال ربيع بن زياد^(١) :

مَنْ كَانَ مَشْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَيَاتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ
وَبِنَحْوِ الذِّى قَلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ جَمَاعَةٌ مِّنْ أَهْلِ التَّوْبِيلِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

٣١٣/٣ / حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ وَجَهَ النَّهَارِ ﴾ : أول النهار^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَجَهَ النَّهَارِ ﴾ : أول النهار ، ﴿ وَأَكْفَرُوا ءَاخِرُهُ ﴾ . يقول : آخر النهار^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن

= ﴿ وَلَا تَوْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ .

(١) البيت فى مجاز القرآن ٩٧/١ ، وحماسة أبى تمام ٤٩٤/١ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٣/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٩/٢ عقب الأثر (٣٦٨٣) من طريق ابن أبى جعفر به بنحوه مقتصرًا

على الجزء الأول ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٣/٢ إلى المصنف .

مُجَاهِدٍ : ﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجِهَ النَّهَارِ وَآكْفُرُوا ءَاخِرُهُ ﴾ .
قال : قالوا^(١) : صلُّوا معهم الصبح ، ولا تُصلُّوا معهم آخرَ النهارِ ، لعلكم تشترُّوهم
بذلك .

وأما قوله : ﴿ وَآكْفُرُوا ءَاخِرُهُ ﴾ . فإنه يعنى به أنهم قالوا : واجحدوا ما صدقتم
به من دينهم فى وجهِ النهارِ ، فى آخرِ النهارِ ، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ . يعنى بذلك :
لعلهم يرجعون عن دينهم معكم ويدعونه .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴾ . يقول : لعلهم يدعون دينهم ، ويرجعون إلى الذى أنتم عليه^(٢) .
حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ
مثله^(٣) .

حدَّثنا محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن
أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ : لعلهم ينقلبون عن دينهم^(٤) .
حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن
الشدى : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ : لعلهم يشكون^(٥) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن

(١) فى النسخ ، « قال » . والمثبت ما يقتضيه السياق .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٠/٢ عقب الأثر (٣٦٨٩) معلقا .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٠/٢ عقب الأثر (٣٦٩٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٠/٢ (٣٦٨٩) عن محمد بن سعد به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٠/٢ عقب الأثر (٣٦٨٩) من طريق عمرو بن حماد ، عن

مُجَاهِدٍ قَوْلُهُ : ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ . قَالَ : يَرْجِعُونَ عَنْ دِينِهِمْ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ .

يَعْنَى بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : وَلَا تُصَدِّقُوا إِلَّا مَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ فَكَانَ يَهُودِيًّا .

وَهَذَا خَبْرٌ مِنَ اللَّهِ عَنِ قَوْلِ الطَّائِفَةِ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ : ﴿ءَأَمِنُوا

بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَأَمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ﴾ .

وَاللَّامُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ : ﴿لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ . نَظِيرَةُ اللَّامِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ : ﴿عَسَىٰ

أَنْ يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ﴾ [النمل : ٧٢] . بِمَعْنَى : رَدْفَكُمْ ^(١) .

وَبِنَحْوِ مَا قَلْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيد ، قَالَ : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ

تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ : هَذَا قَوْلُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ ^(٢) .

/ حَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : ثنا إسحاق ، قَالَ : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع

٣١٤/٣

مِثْلَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أحمدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أسباطُ ،

عَنِ الشُّدِّيِّ : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ . قَالَ : لَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ

الْيَهُودِيَّةَ ^(٣) .

(١) بعده في م : « بعض الذى تستعجلون » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨١/٢ (٣٦٩٢) من طريق أحمد بن مفضل به .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ . قَالَ : لَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ آمَنَ بِدِينِكُمْ ^(١) ؛ مِنْ خَالَفَهُ ، فَلَا تُؤْمِنُوا بِهِ .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : قوله : ﴿ قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾ . اعتراض ^(٢) به في وسط الكلام ، خبراً ^(٣) من الله عن أن البيان بيانه ، والهدى هداه . قالوا : وسائر الكلام بعد ذلك [٤٢١/١] مُتَّصِلٌ بالكلام الأول ، خبراً ^(٣) عن قِيلِ اليهودِ بعضها لبعض . فمعنى الكلام عندهم : ولا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ، وَلَا تُؤْمِنُوا أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ، أَوْ أَنْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ . أَيْ : وَلَا تُؤْمِنُوا أَنْ يُحَاجُّوكُمْ أَحَدٌ عِنْدَ رَبِّكُمْ . ثُمَّ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ : قُلْ يَا مُحَمَّدُ : إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَإِنْ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ﴾ : حَسَدًا مِنْ يَهُودٍ أَنْ تَكُونَ

(١) بعده في م : « لا » .

(٢) في م : « اعتراض » .

(٣) في م : « خبر » .

النبوة في غيرهم، وإرادة أن يُتَّبَعُوا^(١) على دينهم^(٢).

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا سبيل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

وقال آخرون: تأويل ذلك: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾: إن البيان بيان الله. ﴿أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ﴾، قالوا: ومعناه: لا يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَمِ ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ﴾، كما قال: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ الْكَلِمَاتِ﴾ [النساء: ١٧٦]. بمعنى: لا تَضَلُّونَ. وكقوله: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الشعراء: ٢٠٠، ٢٠١]. بمعنى: ألا يؤمنوا. ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ﴾ يقول: مثل ما أُوتِيْتِ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ وَأُمَّتُكَ مِنَ الْإِسْلَامِ وَالْهُدَىٰ، ﴿أَوْ ﴿٣﴾ بِحَاجَتِكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾. قالوا: ومعنى ﴿أَوْ﴾: إلا. أى: إلا أن يُحَاجُّوكُمْ. يعنى: إلا أن يُجَادِلُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، عِنْدَ^(٤) مَا فَعَلَ بِهِمْ رَبُّكُمْ^(٥).

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: قال الله عز وجل لمحَمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ﴾. يقول: مثل ما أُوتِيْتُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ. ﴿أَوْ بِحَاجَتِكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾،

(١) فى س: «ينقلوا».

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٤، ومن طريقه ابن حاتم فى تفسيره ٦٨١/٢ (٣٦٩٧).

(٣) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «أن».

(٤) سقط من: ت ٢، وفى س: «بمعنى».

(٥) فى س: «وبكم».

يقول^(١) اليهودُ : فَعَلَ اللَّهُ بِنَا^(٢) كَذَا وَكَذًا مِنَ الْكِرَامَةِ ، حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاوَاتِ .
فَإِنَّ الَّذِي أُعْطِيَكُمْ^(٣) أَفْضَلُ ، فَقُولُوا : ﴿ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾
الآية^(٤) .

فعلى هذا التأويل جميع هذا الكلام من الله^(٥) نبيه^(٦) محمدًا^(٧) أن يقوله
/ لليهود ، وهو مُتَلَصِّقٌ^(٨) بعضه ببعض لا اعتراض فيه . والهدى الثاني ردُّ على ٣١٥/٣
الهدى الأول ، و ﴿ أَنْ ﴾ في موضع رفع على أنه خبر عن الهدى .

وقال آخرون : بل هذا أمر من الله نبيه أن يقوله لليهود . وقالوا : تأويله : ﴿ قُلْ ﴾
يا محمد : ﴿ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ ﴾ مِنَ النَّاسِ ﴿ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ ﴾ .
يقول : مثل الذي أُوتِيْتُمُوهُ أُنْتُمْ يا معشر اليهود من كتاب الله ، ومثل نبيكم ، لا
تَحْسُدُوا الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أُعْطِيْتُهُمْ مِثْلَ الَّذِي أُعْطِيْتُمْ مِنْ فَضْلِي ، فَإِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِي
أُوتِيَهُ مَنْ أَشَاءُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشِيرٌ ، قَالَ : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَى
هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ ﴾ . يقول : لما أنزل الله كتابًا مثل كتابكم ،
وبعث نبيًا مثل نبيكم ، حسدتموهم على ذلك ، ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ﴾ الآية^(٩) .

(١) في م ، س : « تقول » .

(٢) في س : « بكم » .

(٣) في س : « أعطاكم » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم مفرقا في تفسيره ٦٨١/٢ ، (٣٦٩٦) ، ٦٨٢/٢ ، (٣٦٩٨) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٥ - ٥) في م : « لنبيه محمد » .

(٦) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « مثل » .

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٢/٢ عقب الأثر (٣٧٠٠) معلقا ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٣/٢ إلى المصنف .

حَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ مِثْلَهُ ^(١) .

وقال آخرون : بل ^(٢) تأويل ذلك : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد : ﴿ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ ﴾ أنتم يا معشر اليهود من كتاب الله . قالوا : وهذا آخِرُ القول الذي أمر الله به نبيِّنا محمدًا ﷺ أن يقوله لليهود من هذه الآية . قالوا : وقوله : ﴿ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ ﴾ . مردودٌ على قوله : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ .

وتأويل الكلام على قول أهل هذه المقالة : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم فتشركوا الحق ، أن يُحاجُّوكم به عند ربِّكم من اتبعتم دينه ، فأخبرتموه ^(٣) أنه مُحِقٌّ ، وأنكم تجِدون نعتَه في ^(٤) كتابكم . فيكون حينئذٍ قوله : ﴿ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ ﴾ ^(٥) . مردودًا على جوابِ نهْيِ ^(٦) متروكٍ على قول هؤلاء .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحَسِينُ ، قَالَ : ثنا حِجَابُ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ ﴾ . يقول : هذا الأمر الذي أنتم عليه ، ﴿ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ . قال : قال بعضهم لبعض : لا تُخبروهم بما بين الله لكم في كتابه ليُحاجُّوكم . قال : ليُخاصمواكم به

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٢/٢ (٣٧٠٠) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فآخترتموه » .

(٤) في س : « من » .

(٥) في ص ، ت ١ : « أن » .

(٦) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « النهي » .

عند ربكم ، ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾ .

^(١) قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يكون قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾ ^(١) معترضاً ^(٢) به ، وسائر الكلام متسقاً ^(٣) على سياق واحد .

فيكون تأويله حيثئذ : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع ^(٤) دينكم ، ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم . بمعنى : لا يؤتى أحد مثل ^(٥) ما أوتيتم ، ﴿ أَوْ بِحَاجَتِكُمْ ﴾ ^(٦) عند ربكم . بمعنى : أو أن يحاجكم ^(٧) عند ربكم أحد بإيمانكم ؛ لأنكم أكرمتم على الله منهم ، بما فضلكم به عليهم .

فيكون الكلام كله خبراً عن قول الطائفة التي قال الله عز وجل : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَّهَ النَّهَارِ ﴾ . سوى قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾ . ثم يكون الكلام ^(٨) مبتدأ بتكذيبهم في قولهم ^(٩) : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد للقائلين ما قالوا ، من الطائفة التي وصفت لك قولها لتباعها من اليهود : ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾ . إن التوفيق توفيق الله ، / والبيان بيانه ، وإن الفضل بيده يؤتیه من يشاء ، لا ما تمنئتموه أنتم يا معشر اليهود .

(١ - ١) سقط من النسخ ، واستظهرناه من عادة المصنف في تفسيره ، ويؤيده ما سيأتي .

(٢) في م : « معترض » .

(٣) في م : « متسق » .

(٤) في م : « اتبع » .

(٥) في م : « بمثل » .

(٦) في ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « أن » .

(٧) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يحاجوكم » .

(٨) بعده في س : « متنه » .

(٩) في س : « قوله » .

وإنما اخْتَرْنَا ذلكَ مِن سائرِ الأقوالِ التي ذَكَرْناها ؛ لأنه أَصْحَبُهَا [٤٢١/١ ط] معنَى ، وأحسُّها استقامةً على معنى كلامِ العربِ ، وأشدُّها اتساقاً على نَظْمِ الكلامِ وسياقه ، وما عدا ذلكَ مِنَ القولِ فانتزاعٌ يَبْعُدُ مِنَ الصَّحَّةِ ، على اشتِكَراهِ شديدٍ للكلامِ .

القولُ في تأويلِ قولِهِ : ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٧٣) .

يعنى بذلكَ جَلَّ ثناؤُهُ : ﴿ قُلْ ﴾ يا مُحَمَّدُ لهؤلاءِ اليهودِ الذين وَصَفْتُ^(١) قولَهُم لأوليائِهِم : ﴿ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ﴾ . إن^(٢) التوفيقَ للإيمانِ والهدايةَ للإسلامِ بِيَدِ اللَّهِ ، وإليه دونُكم ودونَ سائرِ خلقِهِ ، ﴿ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ ، من خلقِهِ ، يعنى : يُعْطِيهِ مَن أَرادَ مِنْ عبادِهِ . تَكْذِيباً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ فى قولِهِم لثُبَّاعِهِم : لا يُؤْتِى أَحَدٌ^(٣) مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ . فقالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ : قُلْ لَهُمْ : ليسَ ذلكَ إليكم ، إنما هو إلى اللَّهِ الذى بيدهِ الأشياءُ كُلُّها ، وإليه الفضلُ وبيدهِ ، يُعْطِيهِ مَن يَشَاءُ . ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ . يعنى : وَاللَّهُ ذُو سَعَةٍ بِفَضْلِهِ على مَن يَشَاءُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ . ﴿ عَلِيمٌ ﴾ : ذُو عِلْمٍ بَمَن هو مِنْهُم للفضلِ أَهْلٌ .

حدَّثَنِى المثنى ، قال : ثنا سويدُ بنُ نصرٍ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ المُبَارَكِ قراءةً ، عن ابنِ جريجٍ فى قولِهِ : ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ . قال : الإسلامُ^(٤) .

(١) بعده فى س : « لك » .

(٢) فى س : « أى » .

(٣) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) عزاه السيوطى فى الدرر المشور ٤٣/٢ إلى المصنف .

القول في تأويل قوله: ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٤).

يعنى بقوله: ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾: «يفتعل»، من قول القائل: خَصَصْتُ فلانًا بكذا، أخصه به.

وأما «رحمته» في هذا الموضع، فالإسلام والقرآن، مع النبوة.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾. قال: النبوة، يختص^(١) بها من يشاء^(٢).

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾. قال: يختص بالنبوة من يشاء^(٣).

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك قراءة، عن ابن جريج: ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾. قال: القرآن والإسلام.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج مثله.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. يقول: ذو فضلٍ يتفضلُ به على من أحبَّ وشاء من خلقه. ثم وصف فضله بالعظيم^(٤)، فقال: فضله عظيم؛ لأنه غير

(١) في م: «يخص».

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٤، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٢/٢ (٣٧٠٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٢/٢ عقب الأثر (٣٧٠٢) من طريق ابن أبي جعفر به.

(٤) في ت ١، س: «بالعظيم».

مُشَبِّهه^(١) فِي عِظَمِ مَوْقِعِهِ - مِمَّنْ أَفْضَلَهُ^(٢) عَلَيْهِ^(٣) - إِفْضَالُ خَلْقِهِ ، وَلَا يُقَارِبُهُ فِي جَلَالَةِ خَطَرِهِ وَلَا يُدَانِيهِ .

/القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ .

٣١٧/٣

وهذا خير من الله عز وجل أن من أهل الكتاب - وهم اليهود من بنى إسرائيل - أهل أمانة يؤدونها ولا يخونونها ، ومنهم الخائن أمانته ، الفاجر في يمينه ، المستحل .

فإن قال قائل : وما وجه إخبار الله عز وجل بذلك نبيه ﷺ ، وقد علمت أن الناس لم يزلوا كذلك ، منهم المؤدّي أمانته والخائنها ؟

قيل : إنما أراد جلّ وعزّ بإخباره المؤمنين خبرهم - على ما بيّنه في كتابه بهذه الآيات - تحذيرهم أن ياتمّنوهم على أموالهم ، وتخونفهم الاغترار بهم ؛ لاستحلال كثير منهم أموال المؤمنين .

فتأويل الكلام : ومن أهل الكتاب الذي إن تأمّنه يا محمد على عظيم من المال كثير يؤدّه إليك ، ولا يخونك فيه ، ومنهم الذي إن تأمّنه على دينار يخونك فيه ، فلا يؤدّه إليك إلا أن تلحّ عليه بالتقاضى والمطالبة .

والباء في قوله : ﴿بِدِينَارٍ﴾ . و«على» يتعاقبان في هذا الموضع ، هذا كما يقال : مررتُ به ، ومررتُ عليه .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ ؛ فقال بعضهم : إلا ما دُمّت له متقاضيًا .

(١) في م : « مشبه » .

(٢) في ت ١ : « فضله » .

(٣) بعده في ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « من » .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ : إِلَّا مَا طَلَبْتَهُ وَاتَّبَعْتَهُ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ في قوله : ﴿ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ . قال : تَقْتَضِيهِ إِيَاهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مُجَاهِدٍ في قوله : ﴿ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ . قال : مُوَاطِئًا ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا سِيبُلٌ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مُجَاهِدٍ مثله .

وقال آخرون : معنى ذلك : إِلَّا مَا دُمَّتْ ^(٤) قَائِمًا على رَأْسِهِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أحمدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسباطٌ ، عن

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٣/٢ عقب الأثر (٣٧٠٨) معلقًا .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٣ .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مواكصا » ، وفي م ، وتفسير مجاهد ، ومطبوعة الدر المنثور : « مواطبا » ، والثبت من تفسير ابن أبي حاتم ، ونسخة مخطوطة من الدر المنثور ، وهو صواب ما في النسخ الأولى عندنا ، وواكظ وواظب بمعنى ، ينظر النهاية ٢٢٠/٥ ، والتاج (و ك ظ) ، ونص أن قول مجاهد : مواكظا .

والأثر في تفسير مجاهد ص ٢٥٤ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره (تحقيق حكمت بشير ياسين)

٣٤٧/٢ (٨٠٤) ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « عليه » .

السدى قوله : ﴿ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ . يقول : يَعْتَرِفُ بِأَمَانَتِهِ مَا دُمَّتْ قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ ، فَإِذَا قُمَّتْ ثُمَّ جِئْتَ تَطْلُبُهُ ، كَافَرَكَ ^(١) الَّذِي يُؤَدِّي وَالَّذِي يَجْحَدُ ^(٢) .

وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال : معنى ذلك : إلا ما دُمَّتْ عليه قائمًا بالمطالبة والاقْتِضَاءِ . من / قولهم : قام فلانٌ بحقى على فلانٍ ^(٣) حتى استخرجه لى .

٣١٨/٣

أى : عمل فى تخليصه ، وسعى فى استخراجِه منه حتى استخرجه ؛ لأن الله عز وجل إنما وصفهم باستحلالهم أموال الأُميين ، وأن منهم من لا يقضى ما عليه إلا بالاقْتِضَاءِ الشَّدِيدِ والمُطَالَبَةِ ، وليس القيام على رأس الذى عليه الدَّيْنُ بموجب له التُّقْلَةُ عما هو عليه من استِحْلَالِ ما هو له مُسْتَحْلَلٌ ، ولكن قد يكون - مع استحلاله الذَّهَابِ بما عليه لربِّ الحقِّ - إلى استِخْرَاجِه السَّبِيلَ بالاقْتِضَاءِ والمَحَاكِمَةِ والمُخَاصَمَةِ ، فذلك الاقْتِضَاءُ هو قيامُ ربِّ المالِ باستِخْرَاجِ حَقِّه مِّنْهُ هو عليه .

القول فى تأويلِ قوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّنَ سَبِيلٌ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه أن من استحلَّ الخيانة من اليهود ، وجحودَ حقوقِ العربى التى هى له عليه ، فلم يؤدِّ ما ائتمنه العربى عليه إليه إلا ما دام له مُتَقَاضِيًا مُطَالِبًا ، من أجلِ أنه يقول : لا حرج علينا فيما أصبنا من أموال العرب ولا إثم ؛ لأنهم على غيرِ الحقِّ ، وأنهم مُشْرِكُونَ .

واختلف أهل التأويل فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضهم نحو قولنا فيه .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا

(١) كافرُه حَقُّه : جحدُه . اللسان (ك . ف . ر) .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٣/٢ (٣٧٠٩) من طريق أحمد بن الفضل به .

(٣) بعده فى س : « إلى سنة » .

لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ ﴿١﴾ الآية . قالت اليهودُ : ليس علينا فيما أصبنا من أموال العربِ سبيلٌ^(١) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ في قوله : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ ﴾ . قال : ليس علينا في المشركين سبيلٌ . يَعْنُونَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ^(٢) .

حدَّثنا محمدٌ ، قال : ثنا أحمدٌ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ ﴾ . قال : يُقَالُ لَهُ : مَا بِالْكَ لَا تُؤَدِّي أَمَانَتَكَ ؟ فيقولُ : ليس علينا حرجٌ في أموالِ العربِ ، قد أحلَّها اللهُ لنا^(٣) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يعقوبُ القُميِّ ، عن جعفرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ : لما نزلت : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِيَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ ﴿١﴾ . قال : قال النبي ﷺ : « كَذَبَ أَعْدَاءُ اللَّهِ ، مَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا وَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي ، إِلَّا الْأَمَانَةَ ، فَإِنَّهَا مُؤَدَّاةٌ إِلَى الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ »^(٤) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا هشامُ بنُ عُبيدِ اللهِ ، عن يعقوبِ القُميِّ ، عن جعفرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ ، قال : لما قالت اليهودُ : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٣ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٥/٢ (٣٧١٥) عن الحسن بن يحيى . به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٤/٢ (٣٧١٣) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٤/٢ (٣٧١٢) من طريق يعقوب القمي به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

الْأُمِّيَّتَيْنِ سَكِيلٌ ﴿٧٥﴾ : يَعْنُونَ أَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : «إِلَّا وَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيْ هَاتَيْنِ ، إِلَّا الْأَمَانَةَ ، فَإِنَّهَا مُؤَدَّاةٌ» . وَلَمْ يَرِدْ عَلَى ذَلِكَ .

٣١٩/٣ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَكِيلٌ﴾ : وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَانُوا يَقُولُونَ : لَيْسَ عَلَيْنَا جُنَاحٌ فِيمَا أَصَبْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ ؛ لِأَنَّهُمْ أُمِّيُّونَ . فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَكِيلٌ﴾ . إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

وَقَالَ آخَرُونَ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حِجَابُ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَكِيلٌ﴾ . قَالَ : بَايَعَ الْيَهُودَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا تَقَاضَوْهُمْ ثَمَنَ ثِيْوَعِهِمْ ، فَقَالُوا : لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْنَا أَمَانَةٌ ، وَلَا قِضَاءٌ لَكُمْ عِنْدَنَا ؛ لِأَنكُمْ تَرَكَتُمْ دِينَكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ عَلَيْهِ . قَالَ : وَادَّعَوْا أَنَّهُمْ وَجَدُوا ذَلِكَ فِي كِتَابِهِمْ ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، قَالَ : ثَنَا سَفِيَانُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ صَعْصَعَةَ ، قَالَ : قَلْتُ لَابْنِ عَبَّاسٍ : ^(٢) «إِنَّا نَغْزُو^(٢) أَهْلَ الْكِتَابِ ، فَتُنْصِبُ مِنْ ثَمَارِهِمْ ؟

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٨٤/٢ (٣٧١٤) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ ثَوْرٍ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، وَعِزَّاهُ السَّيْوَيْطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٤٤/٢ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٢) (٢ - ٢) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : «أَنْتَمُنْ» ، وَفِي س : «إِنَّا نَقْنُ» ، وَفِي الْأَمْوَالِ وَتَفْسِيرِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ : «إِنَّا نَسِيرُ فِي أَرْضِ» . وَصَوَابٌ مَا فِي النِّسْخِ الْآخَرِي : «إِنَّا نَمْرُ بِأَهْلِ الْكِتَابِ» . لَمَّا أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي الْأَمْوَالِ (٤١٤) مِنْ طَرِيقِ آخَرَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : «إِنَّا نَمْرُ بِأَهْلِ الذِّمَّةِ ...»

قال : وتقولون كما قال أهل الكتاب : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ ﴾^(١) !
 حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ أَبِي
 إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ صَعْصَعَةَ ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ : إِنْ نُصِيبُ فِي
 الْعُرْفِ^(٢) أَوْ الْعَدْقِ - الشُّكُّ مِنَ الْحَسَنِ - مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِ الذِّمَّةِ الدَّجَاجَةَ وَالشَّاةَ .
 فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَتَقُولُونَ مَاذَا ؟ قَالَ : نَقُولُ : لَيْسَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ بَأْسٌ . قَالَ : هَذَا كَمَا
 قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ ﴾ . إِنَّهُمْ إِذَا أَدَّوْا الْجِزْيَةَ لَمْ تَحِلَّ لَكُمْ
 أَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِطَيْبِ أَنْفُسِهِمْ^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(٤) .

يعنى بذلك جل ثناؤه أن القائلين منهم : ليس علينا في أموال الأميين من العرب
 حرج أن نختأنهم إياه . يقولون - بقليلهم : إن الله جل ثناؤه أحل لنا ذلك ، فلا حرج
 علينا في خيانتهم إياه ، وترك قضائهم - الكذب على الله ، عامدين الإثم بقليل
 الكذب على الله ، أنه أحل ذلك لهم ، وذلك قوله عز وجل : ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

كما حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أحمدُ ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عن السديّ : فيقول
 على الله الكذب وهو يعلم - يعنى الذى يقول منهم - إذا قيل له : ما لك لا تؤدّى

(١) أخرجه أبو عبيد في الأموال ص ١٩٧ (٤١٥) ، وابن أبى حاتم في تفسيره ٦٨٤/٢ (٣٧١١) من طريق
 سفيان الثوري به .

(٢) في ت ٣ : « العرب » ، وفي تفسير عبد الرزاق ، والدر المنثور : « الغزو » . والعُرفُ : ضرب من النخل في
 كلام أهل البحرين ، تسمى البُزْشُوم . التاج (ع ر ف) . ويدل على صواب ما في النسخ أنه قال : أو العدق .
 والعدق النخلة ، وقيل : النخلة بحملها .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٣ ، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال (٦٢٤) ، والبيهقي ١٩٨/٩ من طريق أبى
 إسحاق به . ووقع عند البيهقي زيد بن صعصعة . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٢ إلى ابن المنذر .

أمانتك ؟ - : ليس علينا حرج في أموال العرب ، قد أحلها الله لنا ^(١) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : يعني ادعاءهم أنهم وجدوا في كتبهم قولهم : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْنِينَ سَبِيلٌ ﴾ ^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٣) .

وهذا إخبار من الله عز وجل ^(٤) عما لمن ^(٥) أدى أمانته إلى من ائتمنه عليها ؛ اتقاء الله ومراقبته ، عنده ^(٦) ، فقال / جل ثناؤه : ليس الأمر كما يقول هؤلاء الكاذبون على الله من اليهود ، من أنه ليس عليهم في أموال الأميين حرج ولا إثم . ثم قال : ﴿ بَلَىٰ ﴾ . ولكن ﴿ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ ﴾ : يعني : ولكن الذي أوفى بعهده . وذلك وصيته إياهم التي أوصاهم بها في التوراة ، من الإيمان بحميد ﷺ وما جاءهم به . والهاء في قوله : ﴿ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ ﴾ . عائدة على اسم « الله » في قوله : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ . يقول : بلى من أوفى بعهد الله الذي عاهدته في كتابه ، فآمن بحميد ﷺ وصدق به وبما جاء به من الله ، من أداء الأمانة إلى من ائتمنه عليها ، وغير ذلك من أمر الله ونهيه ، ﴿ وَاتَّقَى ﴾ . يقول : واتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به ، وسائر معاصيه التي حرّمها عليه ، فاجتنب ذلك ؛ مراقبة

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٥/٢ (٣٧١٦) من طريق أحمد بن الفضل به .

(٢) تقدم تخريجه في ص ٥١٢ .

(٣ - ٣) في م : « عن » .

(٤) في م : « وعيده » . وسياق الكلام : « وهذا إخبار من الله عز وجل عما عنده لمن أدى أمانته إلى من ائتمنه عليها ؛ اتقاء الله ومراقبته » .

وعيد الله ، وخوف عقابه ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ . يعنى : فإن الله يُحِبُّ الذين يتَّقونه ، فيخافون عقابه ، ويَحْذَرُونَ عذابه ، فيَجْتَنِبُونَ ما نهاهم عنه وحرّمه عليهم ، ويُطِيعونه فيما أمرهم به .

وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول : هو اتقاء الشرك .

حدّثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى ﴾ . يقول : اتقى الشرك ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ . يقول : الذين يتَّقون الشرك ^(١) .

وقد بيّنا اختلاف أهل التأويل فى ذلك ، والصواب من القول فيه بالأدلة الدالة عليه فيما مضى من كتابنا ، بما فيه الكفاية عن إعادته ^(٢) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٧) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الذين يشتبدلون بتزكيتهم عهد الله الذى عهد إليهم ، ووصيته التى أوصاهم بها فى الكتب التى أنزلها الله إلى أنبيائه ، باتباع محمد وتصديقه ، والإقرار به ، وما جاء به من عند الله ، وبأيمانهم الكاذبة التى يشتحلون بها ما حرّم الله عليهم من أموال الناس التى ائتمنوا عليها ، ﴿ ثَمَنًا ﴾ . يعنى : عوضًا وبدلًا ، ^(٣) ﴿ قَلِيلًا ﴾ . يقول ^(٤) : حسيسًا من عرض الدنيا وحطامها ، ﴿ أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ . يقول : فإن الذين يفعلون ذلك لا حظّ لهم فى خيرات

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤٤ ، إلى المصنف .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٣٨٦ .

(٣ - ٣) سقط من : م .

الآخرة ، ولا نصيب لهم من نعيم الجنة ، وما أعدَّ اللهُ لأهلها فيها دون غيرها .
وقد بيَّنا اختلاف أهل التأويل فيما مضى فى معنى « الخلاقى » ، ودلَّنا على
أولى أقوالهم فى ذلك بالصواب بما فيه الكفاية^(١) .

وأما قوله : ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ﴾ . فإنه يعنى : ولا يكلمهم اللهُ بما يسرهم ،
﴿ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ يقول : ولا يعطف عليهم بخير ؛ مقتاً من اللّهِ لهم^(٢) . كقول
القائل لآخر : انظروا إلى نظرة اللّهِ إليك . بمعنى : تعطف على تعطف اللّهُ عليك بخير
ورحمة . وكما يقال للرجل : لا سمع اللّهُ لك دعاءك . يُراد : لا استجاب اللّهُ لك .
والله لا يخفى عليه خافية ، وكما قال الشاعر^(٣) :

دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خِفْتُ أَلَّا يَكُونَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ
وقوله : ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ . يعنى : ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم وكفرهم ،
﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . يعنى : ولهم عذاب مؤجّع .

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله أنزلت هذه الآية ، ومن عنى
بها ؟ فقال بعضهم : نزلت فى أخبار من أخبار اليهود .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن
عكرمة ، قال : نزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا
قَلِيلًا ﴾ فى أبى رافع ، وكنانة بن أبى الحقيق ، وكعب بن الأشرف ، وحجى

(١) ينظر ما تقدم فى ٣٦٥/٢ - ٣٦٧ .

(٢) أى لا ينظر إليهم نظر رحمة . فالنظر هنا على حقيقته ، صفة لله جل وعز كما يليق به سبحانه .

(٣) هو شمير - ويقال : سمير - بن الحارث الضبى ، والبيت فى النوادر ص ١٢٤ ، والأضداد ص ١٣٧ .

ابن أُخْطَبِ^(١) .

وقال آخرون : بل نزلت في الأشعث بن قيسٍ وخَصْمٍ له .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني أبو السائبِ سَلْمُ بْنُ جُنَادَةَ ، قال : ثنا أبو معاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن أبي وائلٍ ، عن عبدِ اللهِ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ ، لَقِيَ اللهُ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ » . فقال الأشعثُ بنُ قيسٍ : فَيَ وَاللَّهِ كَانَ ذَلِكَ ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ أَرْضٌ ، فَجَحَدَنِي ، فَقَدَّمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَلَاكَ بَيْنَتَةٌ ؟ » قلتُ : لا . فقال لليهوديَّ : « اِحْلِفْ » . قلتُ : يا رسولَ اللهِ ، إِذْ يُحْلِفُ فَيَذْهَبَ مَالِي . فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية^(٢) .

حدَّثنا مجاهدُ بنُ موسى ، قال : ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، قال : أَخْبَرَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ ، عن عدِيِّ بنِ عدِيٍّ ، عن رَجَاءِ بنِ حَيْوَةَ والغُرَسِ^(٣) ، أَنَهُمَا حَدَّثَاهُ ، عن أبيه عدِيِّ بنِ عَمِيرَةَ^(٤) ، قال : كَانَ بَيْنَ امْرِئِ الْقَيْسِ^(٥) وَرَجُلٍ مِنَ حَضْرَمَوَاتِ خُصُومَةٍ ، فَارْتَفَعَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لِلْحَضْرَمِيِّ : « بَيْنَتُكَ وَالْأَيْمَانُ » . قال :

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٤٥ إلى المصنف ، وذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٨٢ .
 (٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٥٠٣) ، وأحمد ٦/٨١ (٣٥٩٧) ، ٧/١٤٠ (٤٠٤٩) ، والبخارى (٢٤١٦ ، ٢٤١٧ ، ٢٦٦٦ ، ٢٦٦٧) ، ومسلم (١٣٨) ، وأبو داود (٣٢٤٣) ، والترمذى (١٢٦٩) ، وابن ماجه (٢٣٢٣) ، وأبو يعلى (٥١٩٧) ، وابن منده (٥٦٦) من طريق أبى معاوية به .
 (٣) هو الغرْس بن عميرة أخو عدى بن عميرة . وينظر الإصابة ٥/٢٦٩ ، ٢٧١ .
 (٤) فى ص ، س ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عمير » .
 (٥) هو امرؤ القيس بن عابس بن المنذر ، كان على كردوس يوم اليرموك . ينظر الإصابة ١/١١٢ ، ١١٣ .

يا رسولَ الله ، إن حَلَفَ ذَهَبَ بأرضي . فقال رسولُ الله ﷺ : « من حَلَفَ على يمين كاذبةٍ لِيَقْتَطِعَ بها حقَّ أخيه ، لِقِيَ اللهَ وهو عليه غَضَبٌ » . فقال امرؤُ القيسِ : يا رسولَ الله ، فما لِن تَرَكَها وهو يَعْلَمُ أنها حقٌّ ؟ قال : « الجنةُ » . قال : فإنِّي أشهدُك أني قد تَرَكتُها . قال جريرٌ : فكنْتُ مع أيوبَ السَّخْتِيَانِي حينَ سَمِعْنَا هذا الحديثَ من عدى ، فقال أيوبُ : إن عدِيًّا قال في حديثِ العُزْسِ بنِ عَمِيرَةَ : فنزَلتْ هذه الآيةُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ إلى آخرِ الآية . قال جريرٌ : ولم أَحْفَظْ يومئذٍ من عدى ^(١) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال آخرونَ : إن الأشعثَ بنَ قيسٍ اختَصَمَ هو ورجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ في أرضٍ كانت في يده لذلك الرجلِ ، أخذها لتعزُّزه في الجاهليةِ ، فقال النبيُّ ﷺ : « أَوَمَ بَيْنَتِكَ » . قال الرجلُ : ليس يشهدُ لي أحدٌ على الأشعثِ . قال : « فلكَ يمينُهُ » . ^(٢) فقام الأشعثُ ليخلفَ ^(٣) ، فأنزَلَ اللهُ عز وجل هذه الآيةَ ، فنكَلَ الأشعثُ ، وقال : إنني أشهدُ اللهَ وأشهدُكم أن خضمي صادقٌ . فردَّ إليه أرضه ، وزاده من أرضِ نفسه زيادةً كثيرةً ؛ مخافةً أن ينفقَ في يده شيءٌ من حقِّه ، فهي لعقبِ ذلك الرجلِ بعده ^(٣) .

(١) أخرجه أبو عبيد في الأموال (٦٥٧) ، وأحمد ٢٥٧/٢٩ (١٧٧١٨) ، والنسائي في الكبرى (٥٩٩٦) ، من طريق يزيد بن هارون به . وأخرجه أحمد ٢٥٤/٢٩ (١٧٧١٦) ، والطبراني في الكبير ١٧/١٠٨ (٢٦٥) ، والبيهقي ٢٥٤/١٠ ، وفي الشعب (٤٨٤٠) من طريق جرير بن حازم به .
(٢) (٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فقام الأشعثُ فحلف » ، وفي الدر : « فقال الأشعثُ : نحلف » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٢ إلى المصنف ، إلى قوله : زيادة كثيرة .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ شَقِيقٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالًا ، هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ ، لَقِيَ اللَّهَ ، وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ . ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية ، ثُمَّ إِنَّ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ خَرَجَ إِلَيْنَا فَقَالَ : مَا حَدَّثَكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ فَحَدَّثَنَا بِمَا قَالَ : فَقَالَ : صَدَقَ ، لَقِيَ أَنْزَلَتْ ؛ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ حُصُومَةٌ فِي بَيْرٍ ، فَاحْتَصَمْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينُهُ » . فَقُلْتُ : إِذَنْ يَحْلِفُ وَلَا يُبَالِي . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالًا هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ » . ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ تَصْدِيقَ ذَلِكَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا حَدَّثَنَا بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْوَهَّابِ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ ، عَنْ عَامِرٍ ، أَنَّ رَجُلًا أَقَامَ سِلْعَتَهُ أَوَّلَ النَّهَارِ ، فَلَمَّا كَانَ آخِرُهُ جَاءَ رَجُلٌ يُسَاوِمُهُ ، فَحَلَفَ لَقَدْ مَنَعَهَا أَوَّلَ النَّهَارِ مِنْ كَذَا ^(٢) ، وَلَوْلَا الْمَسَاءُ مَا بَاعَهَا بِهِ . فَانزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا دَاوُدُ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ

(١) أخرجه البخارى (٢٥١٥ ، ٢٦٦٩) ، ومسلم (١٣٨ / ٢٢١) ، والنسائى فى الكبرى (٥٩٩٣) من طريق جرير به ، كما أخرجه أحمد ٢١١ / ٥ (الميمنية) ، والبخارى (٦٦٥٩ ، ٧١٨٣) من طريق منصور به .

(٢) بعده فى م ، ت ١ : « وكذا » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢ / ٤٤ ، ٤٥ إلى المصنف .

مجاهدٍ نحوه^(١) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية إلى ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ : أنزلهم الله بمنزلة السحرة .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، أن عمرانَ بنَ حُصَيْنٍ كان يقول : مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ فَاجِرَةٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ أَخِيهِ ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ . فقال له قائلٌ : شَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال لهم : إنكم لَتَجِدُونَ ذَلِكَ . ثم قرأ هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَشْرُوقِيُّ ، قَالَ : ثنا حسينُ بنُ عليٍّ ، عن زائدة ، عن هشامٍ ، قال : قال محمدٌ ، عن^(٢) عمرانَ بنِ حُصَيْنٍ : مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ مَضْبُورَةٍ^(٣) ، فَلْيَتَّبِعُوا بِوَجْهِهِ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ . ثم قرأ هذه الآية كلها : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ الْمُبَارِكِ ، عن معمرٍ ، عن الزهريِّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ قال : /إن اليمينَ الفاجرةَ من الكبائرِ . ثم تلا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾^(٥) .

٣٢٣/٣

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٥/٢ إلى المصنف .

(٢) في النسخ : « بن » .

(٣) اليمين المصبورة ، أو يمين الصبر : هي التي يلزم بها صاحبها ويحس عليها ، وكانت لازمة له من جهة الحكم . ينظر النهاية ٨/٣ .

(٤) أخرجه أحمد ٤/٤٣٦ ، ٤٤١ (الميمية) ، وأبو داود (٣٢٤٢) ، والبخاري (٣٦١١) ، والطبراني ١٨/١٨٨ (٤٤٦) ، والحاكم ٤/٢٩٤ من طريق هشام به مرفوعاً . وأخرجه الطبراني ١٨/١٨٧ (٤٤٥) من طريق محمد ابن سيرين به .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٤ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، أن عبد الله بن مسعود كان يقول : كنا نرى ونحن مع رسول الله ﷺ أن من الذنب الذي لا يُغفرُ يمين الصَّبرِ ، إذا فَجَرَ فيها صاحبُها^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٨) .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤه : وإن من أهل الكتاب ، وهم اليهود الذين كانوا حوَالَى مدينة رسول الله ﷺ على عهدِهِ ، من بنى إسرائيل .

والهاء والميم في قوله : ﴿ مِنْهُمْ ﴾ . عائدة على « أهل الكتاب » الذين ذكرهم في قوله : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ .

وقوله : ﴿ لَفَرِيقًا ﴾ . يعنى : جماعةٌ ، ﴿ يَلُؤْنَ ﴾ . يعنى : يُحِرُّفُونَ ﴿ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ . يعنى : لِتَظُنُّوا أن الذى يُحِرُّفُونَهُ بكلامِهِم من كتابِ اللَّهِ وتثزِيلِهِ . يقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ : وما ذلك الذى لَوَّأَ بِهِ أَلْسِنَتَهُمْ فَحَرَّفُوهُ وَأَحَدْتُوهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَا لَوَّأَ بِهِ أَلْسِنَتَهُمْ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالْكَذِبِ وَالْبَاطِلِ ، فَأَلْحَقُوهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، ﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ . يقولُ : مما أنزله اللَّهُ على أنبيائه ، ﴿ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ . يقولُ : وما ذلك الذى لَوَّأَ بِهِ أَلْسِنَتَهُمْ فَأَحَدْتُوهُ ، مما أنزله اللَّهُ إلى أَحَدٍ من أنبيائه ، ولكنه مما أَحَدْتُوهُ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ ، افتراءً على اللَّهِ . يقولُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ . يعنى بذلك أَنَّهُمْ يَتَعَمَّدُونَ قِبَلَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ ، والشهادة عَلَيْهِ بِالْبَاطِلِ ، وَالْإِلْحَاقَ

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٦/٢ إلى المصنف .

بكتابِ اللَّهِ ما ليس منه ، طلبًا للرياسةِ والحسبيسِ من حطامِ الدنيا .
 وبنحوِ ما قلنا في معنى : ﴿ يَلْوَنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ،
 عن مجاهدٍ : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوَنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ . قال : يُحَرِّفُونَهُ ^(١) .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن
 مجاهدٍ مثله .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا
 يَلْوَنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ حتى بلغ : ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : هم أعداءُ اللَّهِ اليهودُ ،
 حرَّفوا كتابَ اللَّهِ ، وابتدعوا فيه ، وزعموا أنه من عندِ اللَّهِ ^(٢) .

٣٢٤/٣ / حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ،
 عن الربيعٍ مثله ^(٣) .

حدَّثني محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن
 أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوَنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ
 مِنَ الْكِتَابِ ﴾ : وهم اليهودُ ، كانوا يزيِّدون في كتابِ اللَّهِ ما لم يُنزلِ اللَّهُ ^(٤) .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٤ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٩/٢ (٣٧٣٤) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٦/٢ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٩/٢ عقب الأثر (٣٧٣٤) معلقًا .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٩/٢ (٣٧٣٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٩/٢ (٣٧٣٣) عن محمد بن سعد به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ . قال : فريقٌ من أهل الكتابِ يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ ، وذلك تحريفهم إياه عن موضعه ^(١) .

وأصل اللُّجِ الفتلُ والقلبُ ، من قولِ القائلِ : لَوَى فلانٌ يدَ فلانٍ . إذا فتَلها وقلَبها . ومنه قولُ الشاعرِ ^(٢) :

* لَوَى يَدَهُ اللُّهُ الَّذِي هُوَ غَالِبُهُ *

يقالُ منه : لَوَى يَدَهُ ولسانَهُ ، يَلُوى لِيًا ، و ما لَوَى ظهرَ فلانٍ أحدٌ ، إذا لم يَصْرَعه أحدٌ ، ولم يَفْتَلْ ظهرَه إنسانٌ . وإنه لَأَلُوى بَعِيدُ المُسْتَمِرِّ ، إذا كان شديدَ الخِصومةِ ، صابِرًا عليها ، لا يُغَلَبُ فيها . قال الشاعرُ ^(٣) :

فلو كان في لِيلى شَدًا ^(٤) من خِصومةِ لَلوَيْتُ أَعناقَ الخِصومِ ^(٥) المَلَاوِيا
القولُ في تأويلِ قولِهِ : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ
وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .

يعنى بذلك جَلَّ ثناؤُهُ : وما يَنْبَغِي لأحدٍ من البَشَرِ . والبَشَرُ جَمْعُ بَنى آدَمَ ، لا

(١) ذكره الطوسي في التبيان ٢/٥٠٨ .

(٢) هو فرعان بن الأعراف أبو منازل ، والبيت في عيون الأخبار ٣/٨٧ ، ومعجم الشعراء ص ١٨٩ ، وشرح ديوان الحماسة ٣/١٤٤٥ .

(٣) هو قيس بن الملوح (مجنون ليلى) ، والبيت في الأغاني ٢/٣٨ ، واللسان (ش دى ، ش ذى ، ل وى) .

(٤) هذا الحرف يروى بالبدال المهملة ، وبالذال المعجمة ، والشدا البقية ، والشذا من الأذى . وأكثر الناس على أنه بالذال . اللسان (ش دى ، ش ذى) .

(٥) في اللسان : «المطى» . وكانت في أصول الأغاني : «الخصوم» . وغيرها نشره كرواية اللسان .

واحد له من لفظه ، مثل القوم والخلق ، وقد يكون اسماً لواحد . ﴿ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ ﴾ . يقول : أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ كِتَابَهُ ، ﴿ وَالْحُكْمَ ﴾ . يعنى : وَيُعَلِّمَهُ فَضْلَ الْحِكْمَةِ ، ﴿ وَالنَّبُوَّةَ ﴾ . يقول : وَيُعْطِيهِ النَّبُوَّةَ ، ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ . يعنى : ثم يدعو الناس إلى عبادة نفسه دون الله ، وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة ، ولكنه إذا آتاه الله ذلك ، فإنما يدعُوهم إلى العلم بالله ، ويحدوهم على معرفة شرائع دينه ، وأن يكونوا رؤساء في المعرفة بأمر الله ونهيه ، وأئمة في طاعته وعبادته ، يكونهم معلّمى الناس الكتاب ، ويكونهم دارسيه .

/وقيل : إنّ هذه الآية نزلت في قومٍ من أهل الكتاب قالوا للنبي ﷺ : أتدعوننا إلى عبادتك ؟

٣٢٥/٣

كما حدثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابنُ إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحزاب من اليهود والنصارى من أهل نجران ، عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني ، يُقال له الرّئيس^(١) : أو ذلك تريد منّا يا محمد ، وإليه تدعوننا ؟ أو كما قال ، فقال رسول الله ﷺ : « معاذَ الله أن نعبد غيرَ الله ، أو نأمّرَ بعبادة غيره ، ما بذلك بعثنى ، ولا بذلك أمرنى » . أو كما قال .

(١) فى م ، وتفسير ابن أبى حاتم : « الرئيس » ، وفى س : « الرئيس » ، وبعده فى سيرة ابن هشام : « ويروى : الرئيس ، والرئيس » .

والرئيس : رئيس السامرة ، خذلهم الله تعالى ، وهو كبيرهم ، تبصير المنتبه ٦١٧/٢ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ الآية ، إلى قوله : ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(١) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبيرة ، أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال أبو رافع^(٢) القرظي . فذكر نحوه^(٣) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ . يقول : ما كان ينبغي لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة يأمر عباده أن يتخذوه ربًا من دون الله .

حدثني المشني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله^(٤) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كان ناس من يهود يتعبدون الناس من دون ربهم ، بتخريفهم كتاب الله عن موضعه ، فقال الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ . ثم يأمر الناس بغير ما

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٥٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٩٣ (٣٧٥٦) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال محمد بن أبي محمد : وقال أبو نافع فذكره .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم - كما مر - : « أبو نافع » .

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٣٨٤ من طريق يونس بن بكير به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٩١ (٣٧٤٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بذلك : ولكن يقول لهم : كونوا ربائين . فترك القول استغناءً بدلالة الكلام عليه .

وأما قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . فإنَّ أهل التأويل اختلفوا في تأويله ؛ فقال بعضهم : معناه : كونوا حكماء علماء .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . قال : حكماء علماء ^(١) .

حدَّثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . قال : حكماء علماء .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن أبي رزين مثله .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي رزين : ﴿ وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ : حكماء علماء ^(٢) .

حدَّثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن في قوله :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩١/٢ (٣٧٤٥) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج .

(٢) تفسير سفيان ص ٧٨ .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٠٤ - تفسير) عن جرير به بلفظ : فقهاء علماء .

﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . قال : كونوا فقهاء علماء^(١) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . قال : فقهاء^(٢) .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني القاسم ، عن مجاهد قوله : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ قال : فقهاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . قال : كونوا فقهاء علماء^(١) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن منصور بن المعتمر ، عن أبي رزين في قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . قال : علماء حكماء^(٣) . قال معمر : وقال قتادة^(٤) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ،

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٢/٢ عقب الأثر (٣٧٤٩) معلقاً .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٤ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١٢٥/١ بلفظ : علماء علماء . وقال ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩١/٢ عقب الأثر (٣٧٤٧) : وروى عن أبي رزين : علماء علماء .

(٤) كذا في النسخ ، وينظر المحرر الوجيز ٤٨٤/٢ ، وفي البحر المحيط ٥٠٦/٢ : والراني : الحكيم العالم ، قاله قتادة وأبو رزين ... أو العالم الحليم ، قاله قتادة وغيره .

عن الشُدِّي في قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ : أما الربانيون فالحكامُ
الفقهاء^(١) .

حدثني يونس^(٢) ، قال : أخبرنا ابن وهب^(٢) ، قال : أخبرنا سفيان ، عن ابن أبي
نجيح ، عن مُجاهد ، قال : الربانيون الفقهاء العلماء ، وهم فوق الأخبار^(٣) .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ،
عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . يقول : كونوا
حكماً فقهاء .

حدثت عن المنجاب ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن
يحيى بن عقيل في قوله : ﴿ الرَّبَّيْنُونَ وَالْأَخْبَارُ ﴾ [المائدة : ٤٤ ، ٦٣] . قال : الفقهاء
العلماء .

حدثت عن المنجاب ، قال : ثنا بشر ، عن أبي رزق ، عن الضحاك ، عن ابن
عباس مثله^(٤) .

حدثني ابن سنان القزاز ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبو
كديثة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس في قوله :
﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . قال : كونوا حكماً فقهاء^(٥) .

(١) في ت ٢ : « والفقهاء » .

(٢) - ٢) سقط من ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٤ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٢/٢ (٣٧٤٩) من طريق المنجاب به .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩١/٢ (٣٧٤٦) من طريق عطاء به ، بلفظ : هم الفقهاء المعلمون .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعتُ أبا معاذٍ ، قال : أخبرنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمعتُ الضحاکَ يقولُ في قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَكَ ﴾ . يقولُ : كونوا فقهاءً علماءً^(١) .

وقال آخرونَ : بل هم الحكماءُ الأتقياءُ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

/حدثني يحيى بنُ طلحةَ اليزبوعى ، قال : ثنا فضيلُ بنُ عياضٍ ، عن عطاءِ بنِ ٣٢٧/٣ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَكَ ﴾ . قال : حكماءُ أتقياءُ^(٢) .
وقال آخرونَ : بل هم ولاةُ الناسِ وقادتهم .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : سمعتُ ابنَ زيدٍ يقولُ في قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَكَ ﴾ . قال : الربانيون الذين يربُّونَ الناسَ ، ولاةُ هذا الأمرِ ، يربُّونهم : يلوّنهم . وقرأ : ﴿ لَوْلَا يَنْهَهُمُ الرَّبَّيْنُونَ وَالْأَخْبَارُ ﴾ [المائدة : ٦٣] قال : الربانيون الولاةُ ، والأخبارُ العلماءُ^(٣) .

قال أبو جعفرٍ : وأولى الأقوالِ عندى بالصوابِ فى الربَّانِيَّينَ ، أنهم جمعُ ربانِيٍّ ، وأنَّ الربَّانِيَّ المنسوبُ إلى الرَّبَّانِ ، الذى يربُّ الناسَ ، وهو الذى يُصْلِحُ أمورَهم ، ويربُّها ، ويقومُ بها ، ومنه قولُ علقمةَ بنِ عبدةَ^(٤) :

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى ابن أبى حاتم وعبد بن حميد .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩٢/٢ عقب الأثر (٣٧٤٩) معلقا .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف .

(٤) تقدم تخريجه فى ١/٤٤٣ .

وَكُنْتَ أَهْرَأَ أَفْضَتْ إِلَيْكَ رَبَّابَتِي وَقَبْلَكَ رَبَّتِي - فَضِغْتُ - زُبُوبٌ
يعنى بقوله : ربتى : ولى أمرى والقيام به قبلك من يرثه و يُصليحه ، فلم
يُصليحوه ، ولكنهم أضاعونى فَضِغْتُ .

يقال منه : ربّ أمرى فلانٌ ، فهو يرثه ربّاً ، وهو رآه . فإذا أريد به المبالغة فى
مدحه قيل : هو ربّانٌ . كما يقال : هو نَعْسَانٌ . من قولهم : نَعَسَ يَنْعَسُ . وأكثر ما
يجىء من الأسماء على « فَعْلان » ما كان من الأفعال ماضيه على « فَعِل » مثل
قولهم : هو سكرانٌ وعطشانٌ وريّانٌ ، من : سَكَرَ يَسْكُرُ ، وَعَطِشَ يَعْطِشُ ، وَرَوَى
يُرْوَى . وقد يجىء مما^(١) كان ماضيه على « فَعَلَ يَفْعُلُ » ، نحو ما قلنا من : نَعَسَ
يَنْعَسُ ، و : رَبٌّ يَرْبُ .

فإذ كان الأمر فى ذلك على ما وصفنا ، وكان الرّبّان ما ذكرنا ، والرّبّانئى هو
المنسوب إلى من كان بالصفة التى وصفتُ ، وكان العالم بالفقه^(٢) والحكمة من
المُصلِحين^(٣) أمور الناس بتعليمه إياهم الخيرَ ، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم ، وكان
كذلك الحكيمُ التقى لله ، والوالى الذى يلى أمور الناس ، على المنهاج الذى وليه
المُقسِطون من المُصلِحين أمور الخلق بالقيام فيهم ، بما فيه صلاح عاجلهم وآجلهم ،
وعائدة النفع عليهم فى دينهم ودنياهم ، كانوا جميعاً^(٤) مُستحقين أنهم^(٤) يَدْخُلَ
فى قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَٰكِنْ كُفُّوا رِيبَٰنِيْنَ ﴾ .

(١) فى ص ، ت ١ : « ما » .

(٢) فى ص ، س : « دون الفقه » .

(٣) بعده فى م : « يرب » .

(٤ - ٤) فى ص ، ت ١ ، س : « مستحقون أن » .

فالرَبَّانِيُونَ إِذْ هُمْ عِمَادُ النَّاسِ فِي الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ وَأُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ : وَهُمْ فَوْقَ الْأَخْبَارِ . لِأَنَّ الْأَحْبَارَ هُمُ الْعُلَمَاءُ ، وَالرَّبَّانِيُّ الْجَامِعُ إِلَى الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ الْبَصَرَ بِالسِّيَاسَةِ وَالتَّذْيِيرِ ، وَالْقِيَامَ بِأُمُورِ الرَّعِيَّةِ ، وَمَا يُصْلِحُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (٧٩) .

اختلفتِ القراءةُ في قراءةِ ذلك ؛ فقرأه عامةُ قُرَآةِ أَهْلِ الْحِجَازِ وَبَعْضُ الْبَصْرِيِّينَ : (بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ) . بفتحِ التاءِ وتخفيفِ اللَّامِ^(١) ، بمعنى : بعلمكم الكتابَ ، ودراستكم إياه وقراءتكم . واعتلوا لاختيارهم قراءةَ ذلك كذلك ، بأنَّ الصوابَ لو كان التشديدُ في اللَّامِ وضَمُّ التاءِ ، لكان الصوابُ في : ﴿ تَدْرُسُونَ ﴾ . بضمِّ التاءِ /وتشديدِ الراءِ .

وقرأ ذلك عامةُ قُرَآةِ الْكُوفِيِّينَ : ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ ﴾ . بضمِّ التاءِ من : ﴿ تُعَلِّمُونَ ﴾ وتشديدِ اللَّامِ^(٢) ، بمعنى : بتعليمكم الناسَ الكتابَ ، ودراستكم إيَّاه . واعتلوا لاختيارهم ذلك بأنَّ مَنْ وُصِفَ بالتعليمِ فقد وُصِفَ بالعلمِ ، إذ لا يُعَلِّمُونَ إِلَّا بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِمَا يُعَلِّمُونَ .

قالوا : ولا موصوفَ بأنه يُعَلِّمُ إِلَّا وَهُوَ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ عَالِمٌ . قالوا : فأما الموصوفُ بأنه عَالِمٌ ، فغيرُ موصوفٍ بأنه مُعَلِّمٌ غَيْرِهِ . قالوا : فأولى القراءتينِ بالصَّوابِ أبلغُهُما في مدحِ القومِ ، وذلك وُصْفُهُم بأنَّهم كانوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ الْكِتَابَ .

(١) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٣ .

(٢) وهى قراءة عاصم وابن عامر وحزمة والكسائى . المصدر السابق .

كما حدثني المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن ابنِ عُيَيْنَةَ ، عن حُمَيْدِ الأَعْرَجِ ، عن مجاهدٍ أنه قرأ : (بما كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الكِتَابَ وبِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) . مُخَفَّفَةً بِنَصْبِ التَّاءِ ^(١) ، وقال ابنُ عُيَيْنَةَ : ما عَلَّمُوهُ حَتَّى عَلِمُوهُ ^(٢) .

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك ^(٣) قراءة من قرأه بضم التاء وتشديد اللام ؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ وصف القومَ بأنهم أهلُ عمادٍ للناسِ في دينهم ودنياهم ، وأهلُ إصلاحٍ لهم ولأموارهم ، وتربيةٍ ، يقولُ جلَّ ثناؤه : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَكَ ﴾ . على ما بيَّنَّا قبلُ من معنى الربانيِّ ، ثم أخبر تعالى ذِكْرَهُ عنهم أنهم صاروا أهلَ إصلاحٍ للناسِ وتربيةٍ لهم ، بتعليمهم إياهم كتابَ ربِّهم .

وإدراستهم إياه تلاوته . وقد قيل : إدراستهم الفقه .

وأشبه التأويلين بالدراسة ما قلنا من تلاوة الكتاب ؛ لأنه عطف على قوله : ﴿ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ﴾ . والكتاب هو القرآن ، فلأن تكون الدراسة معنيًا بها دراسة القرآن ، أولى من أن يكون معنيًا بها دراسة الفقه الذي لم يجر له ذكْرٌ .

(١) كذا قال المصنف ، وقد نص في المحرر الوجيز ٤٨٦/٢ ، والبحر المحيط ٥٠٦/٢ ، أن قراءته بفتح التاء والعين واللام المشددة ، أى : تتعلمون .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٢/٢ (٣٧٥١) من طريق يحيى بن آدم به ، قال : ﴿ بما كنتم تعلمون ﴾ : حقيقة ما علموه حتى علموا .

ثم أورد في الأثر (٣٧٥٣) بسند آخر إلى سفيان بن عيينة ، قال : من قرأها ﴿ بما كنتم تعلمون ﴾ قال : يقول : علموا وعملوا ثم علموا .

وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ كالذى عندنا أيضًا سواء ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) قال أبو حيان في البحر المحيط ٥٠٦/٢ : وتكلموا في ترجيح إحدى القراءتين على الأخرى ، وقد تقدم أني لا أرى شيئًا من هذه التراجيح ؛ لأنها كلها منقولة متواترة قرآنًا ، فلا ترجيح في إحدى القراءتين على الأخرى .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : قال يحيى بن آدم : قال أبو بكر^(١) :
كان عاصم يقرأها : ﴿ يَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ ﴾ . قال : القرآن ، ﴿ وَيَمَا
كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ . قال : الفقه^(٢) .

فمعنى الآية : ولكن يقول لهم : كونوا أيها الناس سادة الناس وقادتهم ، في أمر
دينهم وديناهم ، ربانيين بتعليمكم إياهم كتاب الله ، وما فيه من حلالٍ وحرامٍ ،
وفرضٍ وندبٍ ، وسائر ما حواه من معاني أمور دينهم ، وبتلاوتكم إياه ،
ودراسيتكموه .

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ
أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

اختلفت القراءة في قراءة قوله : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ ﴾ ؛ فقراءته عامة قراءة الحجاز
والمدينة : (ولا يأمرُكم)^(٣) . على / وجه الابتداء من الله بالخبر عن النبي ﷺ أنه لا
يأمرُكم أيها الناس أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا .

واستشهد قارئو ذلك كذلك بقراءة ذكروها عن ابن مسعود^(٤) أنه كان
يقرأها^(٥) : (وَلَنْ يَأْمُرُكُمْ) . فاستدلوا بدخول « لن » على انقطاع الكلام عما قبله ،

(١) في النسخ : « زكريا » . وتقدم على الصواب في ٦٢٠/٢ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو والكسائي . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢١٣ .

(٤) في س : « عباس » . وينظر قراءة ابن مسعود في الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/٣٥٠ ، ٣٥١ ،
والحرر الوجيز ٤٨٦/٢ ، والبحر المحيط ٥٠٧/٢ .

(٥) بعده في ص ، ت ، ٢ ، ٣ : « وهو » ، وبعده في م ، ت ، ١ : « وهى » .

وابتداءً خبرٍ مستأنفٍ . قالوا : فلَمَّا صَيَّرَ مَكَانَ « لَنْ » فِي قِرَاءَتِنَا : ﴿ لَا ﴾ وَجِبَتْ قِرَاءَتُهُ بِالرَّفْعِ .

وَقَرَأَهُ بَعْضُ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ ﴾ بِنَصْبِ الرَّاءِ ^(١) ، عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ ﴾ . وَكَانَ تَأْوِيلُهُ عِنْدَهُمْ : مَا كَانَ لِبَشِيرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ ، وَلَا أَنْ يَأْمُرَكُمْ ، بِمَعْنَى : وَلَا كَانَ لَهُ أَنْ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا .

وَأَوْلَى الْقِرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ ﴾ . بِالنَّصْبِ عَلَى الْإِتِّصَالِ بِالَّذِي قَبْلَهُ ، بِتَأْوِيلِ : مَا كَانَ لِبَشِيرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوَّةَ ، ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَلَا أَنْ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا . لِأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي سَبَبِ ^(٢) الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أتريدُ أَنْ نَعْبُدَكَ ؟ فَأخْبَرَهُمُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ ، وَلَا إِلَى اتِّخَاذِ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ، وَلَكِنَّ الَّذِي لَهُ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى أَنْ يَكُونُوا رَبَّانِيَّينَ .

فَأَمَّا الَّذِي ادَّعَى مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ رَفْعًا أَنَّهُ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ : (وَلَنْ يَأْمُرَكُمْ) . اسْتِشْهَادًا لَصِحَّةِ قِرَاءَتِهِ بِالرَّفْعِ ، فَذَلِكَ خَبْرٌ غَيْرُ صَحِيحٍ سَنَدُهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ خَبْرٌ رَوَاهُ حِجَابٌ ، عَنْ هَارُونَ الْأَعْوَرِ ^(٣) أَنَّ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ خَبْرًا صَحِيحًا سَنَدُهُ ، لَمْ يَكُنْ فِيهِ لِمَحْتَجِّ حِجَّةً ؛ لِأَنَّ مَا كَانَ عَلَى صِحَّتِهِ مِنَ الْقِرَاءَةِ مِنْ

(١) وهى قراءة عاصم وابن عامر وحزمة . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٣ .

(٢) فى م : « سب » .

(٣) فى م : « لا يجوز » . ورسمه فى باقى النسخ أقرب إلى المثبت . ينظر غاية النهاية ٣٤٨/٢ ، وتهذيب

الكامل ١١٥/٣٠ .

الكتاب الذي قد جاء به المسلمون وراثته عن نبيهم ﷺ لا يجوز تركه ، لتأويل على^(١) قراءة أضيفت إلى بعض الصحابة ، ينقل من يجوز في نقله الخطأ والسهؤ .

فتأويل الآية إذن : وما كان للنبي أن يأمر^(٢) الناس أن يتخذوا الملائكة والنبیین أرباباً - يعنى بذلك : آلهة يُعبدون من دون الله - كما ليس له أن يقول لهم : كونوا عباداً لى من دون الله . ثم قال جل ثناؤه نافيًا عن نبيه ﷺ أن يأمر عباده بذلك : ﴿ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ ﴾ أيها الناس ، نبيكم ، بجحود وخذانية الله ، ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . يعنى : بعد إذ أنتم له مُنقادون بالطاعة ، مُتذللون له بالعبودية . أى : إن ذلك غير كائن منه أبدًا .

وقد حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ولا يأمركم النبي ﷺ أن تتخذوا الملائكة والنبیین أرباباً^(٣) .

القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ .

/يعنى بذلك جيل ثناؤه : وأذكروا يا أهل الكتاب إذ أخذ الله ميثاق النبیین . ٣٣٠/٣
يعنى : حين أخذ الله ميثاق النبیین . وميثاقهم : ما وثقوا به على أنفسهم طاعة الله فيما أمرهم ونهاهم .

وقد بيّنا أصل الميثاق باختلاف أهل التأويل فيه بما فيه الكفاية^(٤) .

(١) فى م : « نحو » .

(٢) بعده فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « كما نهى » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٤٣٩/١ ، ٤٦/٢ .

﴿ لَمَّا آتَيْنِكُمْ مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ . فاختلفتِ القراءةُ في قراءة ذلك ؛ فقرأته عامةُ قراءة الحجاز والعراق : ﴿ لَمَّا آتَيْنِكُمْ ﴾ . بفتح اللامِ من : ﴿ لَمَّا ﴾ . إلا أنهم اختلفوا في قراءة : ﴿ آتَيْنِكُمْ ﴾ ؛ فقرأه بعضهم : ﴿ آتَيْنِكُمْ ﴾ . على التوحيد ، وقرأه آخرون : (آتَيْنَاكُمْ) . على الجمع ^(١) .

ثم اختلف أهل العربية إذا قرئ ذلك كذلك ؛ فقال بعض نحويي البصرة : اللامُ التي مع « ما » في أوّل الكلام لامُ الابتداءِ ، نحو قولِ القائلِ : لزيدُ أفضلُ منك . لأن « ما » ^(٢) اسمٌ ، والذي بعدها صلةٌ لها ، واللامُ التي في : ﴿ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ . لامُ القسمِ ، كأنه قال : واللهِ لتؤمننَّ به . يُؤكِّدُ في أوّل الكلامِ وفي آخره ، كما يقالُ : أمّا ^(٣) واللهِ أن لو جئتني لكان كذا وكذا . وقد يُستغنى عنها ، فوكِّد في : ﴿ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ . باللامِ في آخر الكلامِ ، وقد يُستغنى عنها ، ويُجعلُ خبرٌ : ﴿ لَمَّا آتَيْنِكُمْ مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ ﴿ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ ﴿ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ مثلُ : لعبدُ اللهِ واللهِ لتأتيننّه . قال : وإن شئت جعلتُ خبرَ « ما » ﴿ مِّن كِتَابٍ ﴾ . يريدُ : لما آتيتكم كتابٌ وحكمةٌ . وتكون ﴿ مِّن ﴾ زائدةً .

وخطأ بعض نحويي الكوفيين ذلك كله ، وقال : اللامُ التي تدخلُ في أوائلِ الجزاءِ ^(٤) تُجابُ بجواباتِ الأيمانِ ، يقالُ : لمن قامَ لآتيته . و ^(٤) : لمن قامَ ما أحسن . فإذا وقع في جوابها « ما » ، و « لا » ، عُلم أن اللامَ ليست بتوكيد للأولى ؛ لأنه يُوضع موضعها « ما » و « لا » ، فتكونُ كالأولى ، وهي جوابٌ للأولى . قال : وأمّا قوله :

(١) قرأ حمزة وحده بكسر اللام من (لما) . وقرأ الباقون بالفتح ، وقرأ نافع وحده : (آتيناكم) . وقرأ الباقون :

﴿ آتيتكم ﴾ . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٤ .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « لما » .

(٣) في س : « لما » .

(٤ - ٤) في م : « لا تجاب بما ولا لا ، فلا يقال : لمن قام لا تتبعه ، ولا » .

﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ . بمعنى إسقاط ﴿مِنْ﴾ غلط ؛ لأن « مِنْ » التي تدخل وتخرج لا تقع مواقع الأسماء . قال : ولا تقع في الخبر أيضاً ، إنما تقع في الجحد والاستفهام والجزاء .

وأولى الأقوال في تأويل هذه الآية - على قراءة من قرأ ذلك بفتح اللام - بالصواب : أن يكون قوله : ﴿لَمَّا﴾ بمعنى : لهمما . وأن تكون « ما » حرف جزاء أدخلت عليها اللام ، وصيّر الفعل معها على « فَعَلَ » ، ثم أُجيب بما تجاب به الأيمان ، فصارت اللام الأولى يميناً ، إذ تُلقيت بجواب اليمين .

وقرأ ذلك آخرون : (لِمَا آتَيْتُكُمْ) . بكسر اللام من « لما » ، وذلك قراءة جماعة من أهل الكوفة .

ثم اختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله ؛ فقال بعضهم : معناه إذا قرئ كذلك : وإذا أخذ الله ميثاق النبيين للذي آتيتكم . ف « ما » على هذه القراءة بمعنى « الذي » عندهم . وكان تأويل الكلام : وإذا أخذ الله ميثاق النبيين من أجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة ، ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ . يعني : ثم إن جاءكم رسول ، يعني ذكر محمد في التوراة - ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ﴾ . أي : ليكونن إيمانكم به للذي عندكم في التوراة من ذكره .

وقال آخرون منهم : تأويل ذلك إذا قرئ بكسر اللام من (لِمَا) : وإذا أخذ الله ميثاق النبيين للذي آتاهم من الحكمة . ثم جعل قوله : ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ﴾ . من الأخذ ، أخذ الميثاق ، كما يقال في الكلام : أخذت ميثاقك لتفعلن . لأن أخذ الميثاق بمنزلة الاستخلاف . فكان تأويل الكلام عند قائل هذا القول : وإذا استخلف الله النبيين للذي آتاهم من كتاب وحكمة ، متى جاءهم رسول مُصدّق لما معهم ليؤمننَّ به ولينصرنَّه .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ﴾ . /بفتح اللام ؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أخذ ميثاقَ جميع الأنبياء بتصدقهم كلُّ رسولٍ له ابتعثه إلى خلقه ، فيما ابتعثه به إليهم ، كان من آتاه كتاباً ، أو ممن لم يؤت به كتاباً ، وذلك أنه غيرُ جائزٍ وصفُ أحدٍ من أنبياءِ الله عزَّ وجلَّ ورسله ، بأنه كان ممن أُبيح له التكذيبُ بأحدٍ من رسله ؛ فإذا كان ذلك كذلك ، وكان معلوماً أنَّ منهم من أنزل عليه الكتابُ ، وأنَّ منهم من لم ينزل عليه الكتابُ ، كان بيئناً أنَّ قراءةَ من قرأ ذلك : (لَمَّا آتَيْنَاكُمْ) . بكسر اللام ، بمعنى : من أجل الذي آتيناكم من كتابٍ . لا وجه له مفهومٌ إلا على تأويلٍ بعيدٍ ، وانتزاعٍ عميقٍ .

٣٣١/٣

ثم اختلف أهل التأويل في من أخذ ميثاقه بالإيمان بمن جاءه من رسلِ الله مُصدِّقاً لما معه ؛ فقال بعضهم : إنما أخذ الله بذلك ميثاقَ أهلِ الكتابِ دونَ أنبيائهم . واستشهدوا لصحة قولهم بذلك بقوله : ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ . قالوا : فإنما أمر الذين أرسلت إليهم الرسل من الأمم بالإيمان برسلِ الله ، ونصرتها على من خالفها ، وأما الرسلُ ، فإنه لا وجهَ لأمرها بنصرة أحدٍ ؛ لأنها المحتاجةُ إلى المعونةِ على من خالفها من كفره بنى آدمَ ، فأما هي ، فإنها لا تُعين الكفرةَ على كفرها ولا تنصُرُها . قالوا : وإذا لم يكن غيرُها وغيرُ الأمم الكافرة ، فمن الذي ينصُرُ النبيَّ فيؤخذ ميثاقه بنصرتِه ؟

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ . قال : هي خطأ من الكاتب^(١) ، وهي في قراءة ابن مسعود : (وَإِذْ أَخَذَ

(١) في تفسير مجاهد والدر المنثور : « الكتاب » . قال أبو حيان في البحر المحيط ٢ / ٥٠٨ : وهذا لا يصح عنه ؛ =

اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ^(١) .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبلي ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهدٍ مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ . يقولُ : وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ . وكذلك كان يقرؤها الربيعُ : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) . إنما هي أهلُ الكتابِ . قال : وكذلك كان يقرؤها أبي بنُ كعبٍ . قال الربيعُ : ألا ترى أنه يقولُ : ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرْتَهُ ﴾ . يقولُ : لتؤمننَّ بمحمدٍ ﷺ ولتنصُرته . قال : هم أهلُ الكتابِ^(٢) .

وقال آخرون : بل الذين أخذَ ميثاقَهُم بذلك الأنبياءُ دونَ أممها .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني المثني وأحمدُ بنُ حازمٍ ، قالا : ثنا أبو نعيمٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن حبيبٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : إنما أخذَ اللهُ ميثَاقَ النَّبِيِّينَ عَلَى قَوْمِهِمْ^(٣) .

= لأن الرواة الثقات نقلوا عنه أنه قرأ النبيين كعبد الله بن كثير وغيره ، وإن صح ذلك عن غيره فهو خطأ مردود بإجماع الصحابة على مصحف عثمان .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٤ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى عبد بن حميد والقرطبي وابن المنذر .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٣/٢ (٣٧٥٧) ، من طريق أبي نعيم به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى ابن المنذر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ : أَنْ يُصَدِّقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ^(١) .

حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه/ في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ﴾ الآية . قال : أخذَ اللهُ ميثاقَ الأولِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لِيُصَدِّقُنَّ وَلِيُؤْمِنُنَّ بِمَا جَاءَ بِهِ الْآخِرُ مِنْهُمْ ^(٢) .

٣٣٢/٣

حدثني المنثى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ هاشمٍ ، قال : أخبرنا سيفُ بنُ عمرٍ ^(٣) ، عن أبي رزقٍ ، عن أبي أيوبٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، قال : لم ينعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ نبيًّا ؛ آدمَ فمن بعده ، إلا أخذَ عليه العهدَ في محمدٍ ، لئن بُعثَ وهو حيٌّ ، لِيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلِيَنْصُرُنَّهُ ، وَيَأْمُرُهُ فَيَأْخُذَ الْعَهْدَ عَلَى قَوْمِهِ ، فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ الآية ^(٤) .

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ ﴾ الآية : هذا ميثاقُ أخذِ اللهُ على النبيينَ أَنْ يُصَدِّقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَأَنْ يُبَلِّغُوا كِتَابَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ، فَبَلَّغَتِ الْأَنْبِيَاءُ كِتَابَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ إِلَى قَوْمِهِمْ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ فِيمَا بَلَّغْتُهُمْ رُسُلَهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ ،

(١) سيأتي تخريجه بتمامه في ص ٥٤٣ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) فى م : « عمرو » . وينظر تهذيب الكمال ٣٢٤ / ١٢ .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف .

وَيُضِدُّ قُوهُ وَيَنْصُرُوهُ ^(١) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ الآية . قال : لم يتبعث الله عز وجل نبياً قط من لدن نوح إلا أخذ ميثاقه ليؤمننَّ بمحمدٍ ولينصُرُنَّه إن خرج وهو حي ، وإلا أخذ على قومه أن يؤمنوا به ، ولينصُرُنَّه إن خرج وهم أحياء ^(٢) .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا عبد الكبير ^(٣) بن عبد المجيد أبو بكر الحنفى ، قال : ثنا عباد بن منصور ، قال : سألت الحسن عن قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ الآية كلها . قال : أخذ الله ميثاق النبيين ليلغنَّ آخركم أولكم ولا تختلفوا ^(٤) .

وقال آخرون : معنى ذلك أنه أخذ ميثاق النبيين وأممهم ، فاجتزأ بذكر الأنبياء عن ذكر أممها ؛ لأنَّ في ذكر أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذِهِ على التَّبَاع ؛ لأنَّ الأُمَّمُ تَبَاعُ الأنبياء .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : ثم ذكر ما أخذ

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩٤/٢ (٣٧٦١) ، من طريق أحمد بن مفضل به .

(٣) فى س : « الكرم » . وينظر تهذيب الكمال ٢٤٣/١٨ .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف .

عليهم - يعنى : على أهل الكتاب - وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه - يعنى : بتصديق محمد ﷺ - إذا جاءهم ، وإقرارهم به على أنفسهم ، فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ إلى آخر الآية ^(١) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبيرة ، أو عكرمة ، عن ابن عباس مثله ^(٢) .

وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك الخبر عن أخذ الله الميثاق من أنبيائه ، بتصديق بعضهم بعضاً ، وأخذ الأنبياء على أممها وتباعها الميثاق بنحو الذى أخذ عليها ربها ، من تصديق / أنبياء الله ورسوله بما جاءتها به ؛ لأن الأنبياء عليهم السلام بذلك أرسلت إلى أممها ، ولم يدع أحد من صدق المرسلين أن نبياً أرسل إلى أمة بتكذيب أحد من أنبياء الله عز وجل وحججه فى عباده ، بل كلها - وإن كذب بعض الأمم بعض أنبياء الله ببحورها نبوته - مفرة بأن من ثبتت صحته نبوته ، فعليها الدثينة بتصديقه ، فذلك ميثاق مقرر به جميعهم . ولا معنى لقول من زعم أن الميثاق إنما أخذ على الأمم دون الأنبياء ؛ لأن الله عز وجل قد أخبر أنه أخذ ذلك من النبيين ، فسواء قال قائل : لم يأخذ ذلك منها ربها . أو قال : لم يأمرها ببلاغ ما أرسلت . وقد نص الله عز وجل أنه أمرها بتبليغه ؛ لأنهما جميعاً خبران من الله عنها ؛ أحدهما أنه أخذ منها ، والآخر منهما أنه أمرها ، فإن جاز الشك فى أحدهما جاز فى الآخر . وأما ما استشهد به الربيع بن أنس ، على أن المعنى بذلك أهل

٣٣٣/٣

(١) سيرة ابن هشام ٥٥٥/١ . وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٩٤/٢ ، ٦٩٥ (٣٧٦٤) من طريق سلمة ، عن محمد بن إسحاق قوله . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى ابن المنذر .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣٨٤/٥ من طريق يونس بن بكير به .

الكتاب ، من قوله : ﴿ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ . فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ شَاهِدٍ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَ ؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ قَدْ أُمِرَ بَعْضُهَا بِتَصْدِيقِ بَعْضٍ ، وَتَصْدِيقُ بَعْضِهَا بَعْضًا نُصْرَةٌ مِنْ بَعْضِهَا بَعْضًا .

ثم اختلفوا في الذين عُنُوا بقوله : ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ ؛ فقال بعضهم : الذين عُنُوا بذلك هم الأنبياء ، أخذت موثقتهم أن يُصَدِّقَ بعضهم بعضًا ، وأن ينصروه . وقد ذكرنا الرواية بذلك عن من قاله .

وقال آخرون : هم أهل الكتاب ، أمروا بتصديق محمد ﷺ إذا بعثه الله ، وبُنصرتهم ، وأُخِذَ ميثاقهم في كتبهم بذلك . وقد ذكرنا الرواية بذلك أيضًا عن من قاله .

وقال آخرون - بمن قال : الذين عُنُوا بأخذ الله ميثاقهم منهم في هذه الآية هم الأنبياء - : قوله : ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ﴾ مَعْنَى بِهِ أَهْلُ الْكِتَابِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : أخبرنا ابن طاوس ، عن أبيه في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ . قال : أخذ الله ميثاق النبيين أن يُصَدِّقَ بعضهم بعضًا ، ثم قال : ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ . قال : فهذه الآية لأهل الكتاب ، أخذ الله ميثاقهم أن يؤمنوا بمحمد ويصُدِّقوه ^(١) .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٩٣ ، ٦٩٤ (٣٧٥٨ ، ٣٧٦٢) عن

الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٤٧ إلى ابن المنذر مختصرًا .

حدثني المشني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، قال : قال قتادة : أخذ الله على النبيين ميثاقهم أن يُصدّق بعضهم بعضاً ، وأن يُبلغوا كتاب الله ورسالته إلى عبادِهِ ، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم ، وأخذوا موثيق أهل الكتاب في كتابهم فيما بلغتهم رسولهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصدقوه ويتصروه^(١) .

وأولى الأقوال بالصواب عندنا في تأويل هذه الآية أن جميع ذلك خبرٌ من الله عز وجل عن أنبيائه ، أنه أخذ ميثاقهم به ، وألزمهم دعاء أممها إليه ، والإقرار به ؛ لأنّ ابتداء الآية خبرٌ من الله عز وجل عن أنبيائه أنه أخذ ميثاقهم ، ثم وصف الذي أخذ به ميثاقهم ، فقال : هو كذا ، وهو كذا .

وإنما قلنا : إن ما أخبر الله أنه أخذ به موثيق أنبيائه من ذلك ، قد أخذت الأنبياء موثيق أممها به ؛ لأنها / أُرسلت لتدعو عباد الله إلى الدّينونة بما أمرت بالدّينونة به في أنفسها من تصديق رُسل الله ، على ما قدّمنا البيان قبل .

٣٣٤/٣

فتأويل الآية : واذكروا يا معشر أهل الكتاب إذ أخذ الله ميثاق النبيين ، لمهما آتيتكم أيها النّبيون من كتابٍ وحكمة ، ثم جاءكم رسولٌ من عندي مُصدّق لما معكم ، ﴿ لَتُؤْمِنَنَّ ﴾ به - يقول : لتصدقنّه - ﴿ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ .

وقد قال السّدي في ذلك بما حدثنا به محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السّدي قوله : ﴿ لَمَّا آتَيْتُكُمْ ﴾ . يقول لليهود : أخذت ميثاق النبيين بمحمد ﷺ ، وهو الذي ذُكر في الكتاب عندكم^(٢) .

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٩٣ ، ٦٩٤ (٣٧٥٩) من طريق أحمد بن الفضل به . وفيه : أخذت ميثاق الناس لمحمد .

فتأويل ذلك على قول الشدّي الذي ذكرناه : وأذكروا يا معشر أهل الكتاب إذ أخذ الله ميثاق النبيّن ، لما آتيتكم أيها اليهود من كتابٍ وحكمةٍ . وهذا الذي قاله الشدّي ، كان تأويلاً لا وجهةٍ غيره^(١) لو كان التنزيلُ : (بما آتيتكم) . ولكنّ التنزيلُ باللام ﴿ لَمَّا آتَيْتُكُمْ ﴾ . وغيرُ جائزٍ في لغةٍ أحدٍ من العربِ أن يقالَ : أخذ الله ميثاقَ النبيّن لما آتيتكم . بمعنى : بما آتيتكم .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ قَالَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا ﴾ .

يعنى بذلك جَلّ ثناؤه : وإذ أخذ الله ميثاقَ النبيّن بما ذكّر ، فقال لهم تعالى ذكّره : أَقْرَرْتُمْ بالميثاقِ الذي واثقتموني عليه ، من أنكم مهّمّا أتاكم رسولٌ من عندي مُصدّقٌ لما معكم ، لتؤمننَّ به ولتنصرُنَّه ؟ ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ يقولُ : وأخذتم على ما واثقتموني عليه من الإيمانِ بالرسولِ التي تأتيتكم بتصديقٍ ما معكم من عندي ، والقيامِ بنصرتهم - ﴿ إِصْرِي ﴾ . يعنى : عهدى ووصيّى ، وقبِلْتُمْ فى ذلك مِنِّي وَرَضِيْتُمُوهُ .

والأخذُ هو القبولُ فى هذا الموضعِ والرّضا ، من قولهم : أخذ الوالى عليه البيعةَ . بمعنى : بايعه ، وقبِلَ ولايته ، ورَضِيَ بها .

وقد بيّنا معنى « الإصرِ » باختلافِ المختلفينَ فيه ، والصحيحُ من القولِ فى ذلك ، فيما مضى قَبْلُ ، بما أغتنى عن إعادته فى هذا الموضعِ^(٢) .

وحُدفتِ الفاءُ من قوله : ﴿ قَالَ أَقْرَرْتُمْ ﴾ . لأنه ابتداءُ كلامٍ ، على نحوِ ما قد بيّنا فى نظائره فيما مضى^(٣) .

(١) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « له » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ١٥٨ - ١٦٣ .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٧٦/٢ .

وأما قوله : ﴿ قَالُوا أَفَرَرْنَا ﴾ . فإنه يعنى به : قال النبيون الذين أخذ الله ميثاقهم بما ذُكِرَ في هذه الآية : أفررنا بما ألزمتنا من الإيمان برسلك الذين تُرسلهم مُصدقين لما معنا من كُتُبِك ونبُصرتهم .

القول في تأويل قوله : ﴿ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : قال الله : فاشهدوا أيها النبيون بما أخذتُ به ميثاقكم - من الإيمان بتصديق رُسُلِي التي تأتيكم بتصديق ما معكم من الكتاب والحكمة ، ونُصرتهم - على أنفسكم ، وعلى أتباعكم من الأمم ، إذ أنتم أخذتم ميثاقهم على ذلك ، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم بذلك .

كما حدثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : أخبرنا سيف بن عمر^(١) ، عن أبي رُوَيْق ، عن أبي أيوب ، عن علي بن أبي طالب في قوله : ﴿ قَالَ فَاشْهَدُوا ﴾ . يقول : فاشهدوا على أممكم بذلك ، ﴿ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ عليكم وعليهم^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : فمن أعرض عن الإيمان برُسُلِي الذين أرسلتهم بتصديق ما كان مع أنبيائي من الكتب والحكمة ، وعن نُصرتهم ، فأذبر^(٣) ولم يؤمن بذلك ، ولم يُنصِرْ ، ونكث عهده وميثاقه ، ﴿ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ . يعنى : بعد العهد والميثاق الذي أخذَه اللهُ عليه^(٤) ، ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ . يعنى بذلك أن

٣٣٥/٣

(١) في م : « عمرو » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٢ إلى المصنف .

(٣) في ص ، ت ١ : « فأذبروا » .

(٤) بعده في ص ، ت ١ : « به » .

المتولين عن الإيمان بالرسول الذين وصف الله^(١) أمرهم ونصرتهم ، بعد العهد والميثاق اللذين أخذوا عليهم بذلك ، ﴿ هُمْ الْفٰلسِفُونَ ﴾ ، يعنى بذلك : الخارجون من دين الله وطاعة ربهم .

كما حدثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : أخبرنا سيف بن عمر ، عن أبي رزق ، عن أبي أيوب ، عن علي بن أبي طالب : ﴿ فمن تولى ﴾ عنك يا محمد بعد هذا العهد من جميع الأمم ، ﴿ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفٰلسِفُونَ ﴾ : هم العاصون في الكفر^(٢) .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه - قال أبو جعفر : يعنى الرازى - ﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذٰلِكَ ﴾ . يقول : بعد العهد والميثاق الذى أخذ عليهم ﴿ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفٰلسِفُونَ ﴾ .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ،^(٣) عن أبيه^(٣) ، عن الربيع مثله . وهاتان الآيتان وإن كان مخرج الخبر فيهما من الله عز وجل بما أخبر أنه أشهد وأخذ به ميثاق من أخذ ميثاقه به عن أنبيائه ورسله ؛ فإنه مقصود به إخبار من كان حوالى مهاجر رسول الله ﷺ من يهود بنى إسرائيل أيام حياته ﷺ ، عمًا لله عليهم من العهد فى الإيمان بنبوّة محمد ﷺ - ومعنى تكبيرهم ما كان الله أخذًا على آبائهم وأسلافهم من المواثيق والعهود ، وما كانت أنبياء الله عرفتهم ، وتقدمت إليهم فى تصديقه واتباعه ونصرته على من خالفه وكذبه - وتعريفهم ما فى كتب الله التى أنزلها إلى أنبيائه ، التى ابتعثهم إليهم ، من صفته وعلامته .

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٢ إلى المصنف .

(٣ - ٣) سقط من النسخ .

القول في تأويل قوله: ﴿ أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (١٣).

اختلفت القراءة في قراءة ذلك؛ فقرأته عامة قُرَاءَةَ الحِجَازِ من مكة والمدينة، وقراءة الكوفة: (أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ تَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) على وجه الخطاب^(١). وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز: ﴿ أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾، بالياء كِلْتَيْهِمَا على وجه الخبر عن الغائب^(٢). وقرأ ذلك بعض أهل البصرة: (أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ) على وجه الخبر عن الغائب، (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بالتاء على وجه المخاطبة^(٣).

وأولى ذلك بالصواب قراءة من قرأ: (أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ تَبْغُونَ) على وجه الخطاب، (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بالتاء؛ لأن الآية التي قبلها خطاب لهم، فإتباع الخطاب نظيره أولى من صرف الكلام إلى غير نظيره، وإن كان الوجه الآخر جائزاً؛ لما قد ذكرنا فيما مضى قبل، من أن الحكاية يخرج الكلام معها أحياناً/على الخطاب كله، وأحياناً على وجه الخبر عن الغائب، وأحياناً بعضه على الخطاب، وبعضه على الغيبة، فقولُه: (تَبْغُونَ)^(٤)، (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) في هذه الآية من ذلك.

وتأويل الكلام^(٥): يا معشر أهل الكتاب: (أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ تَبْغُونَ) يقول: أَفَغَيَّرَ

(١) هذه قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي بكر عن عاصم وحزمة والكسائي. ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢١٤.

(٢) هذه قراءة حفص عن عاصم. المصدر السابق.

(٣) هذه قراءة أبي عمرو وحده. المصدر السابق.

(٤) في ص: «يبغون».

(٥) بعده في ص، س، ت ١: «أفغير الله».

طاعةِ اللَّهِ تلتَمسونَ وتريدونَ . ﴿ وَ لَهُ ۥ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ،
يقولُ : وله خَشَع مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، فخضع له بالعبودة ، وأقر له بإفراد
الرَّبوبية ، وانقاد له بإخلاص التوحيد والألوهة . ﴿ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ . يقولُ :
أَسْلَمَ لِلَّهِ طَائِعًا ، مَنْ كَانَ إِسْلَامُهُ مِنْهُمْ لَهُ طَائِعًا ، وَذَلِكَ كَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ
وَالْمُرْسَلِينَ ، فَإِنَّهُمْ أَسْلَمُوا لِلَّهِ طَائِعِينَ ، ﴿ وَكَرْهًا ﴾ : مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَارِهًا .
واختلفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى إِسْلَامِ الْكَارِهِ الْإِسْلَامَ وَصِفَتِهِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ :
إِسْلَامُهُ إِقْرَارُهُ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُهُ وَرَبُّهُ ، وَإِنْ أَشْرَكَ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ غَيْرَهُ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد^(١) :
﴿ وَ لَهُ ۥ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ . قال : هو كقوله :
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(٢) [الزمر : ٣٨] .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن
مجاهدٍ مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ،
عن أبي العالبي في قوله : (وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه
تُرْجَعُونَ) . قال : كلُّ آدميٍّ قد^(٣) أقرَّ على نفسه بأنَّ اللَّهَ رَبِّي وأنا عبده ، فمَنْ أَشْرَكَ
فِي عِبَادَتِهِ ، فَهَذَا الَّذِي أَسْلَمَ كَرْهًا ، وَمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ^(٤) الْعِبَادَةَ ، فَهُوَ الَّذِي أَسْلَمَ

(١) بعده في ت ٢ : « عن ابن عباس » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) سقط من : ت ١ ، س .

(٤) في ص ، م : « له » .

طَوْعًا^(١) .

وقال آخرون : بل إسلام الكاره منهم كان حين أُخِذَ منه^(٢) الميثاق فأقر به .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ وَ لَهُمْ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ قال : حين أُخِذَ الميثاق^(٣) .

وقال آخرون : عني بإسلام الكاره منهم سجود ظله .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا سَوَّازُ^(٤) بن عبد الله ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن ليث ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ وَ لَهُمْ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ . قال : الطائع : المؤمن ، وكرهًا : ظل الكافر^(٥) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : ﴿ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ . قال : سجود المؤمن طائعًا ، وسجود الكافر وهو كارئة^(٦) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٦/٢ ، ٦٩٧ ، ٣٧٧٦) من طريق أبي جعفر به .

(٢) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، س .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٢ إلى المصنف .

(٤) في ت : ٢ : « سويد » . وينظر تهذيب الكمال ٢٣٨/١٢ ، ٢٣٩ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٤/٢ إلى أبي الشيخ .

(٦) تفسير مجاهد ص ٢٥٥ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٧/٢ (٣٧٧٧) .

أحدثني المتنبي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبلي ، عن ابن أبي نجيح ، عن ٣٣٧/٣ مجاهد : ﴿ وَكَرَّهَا ﴾ . قال : سجد المؤمن طائعا ، وسجد الكافر وهو كارهة^(١) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : سجد وجهه وظلّه طائعا .
وقال آخرون : بل إسلامه بقلبه في مشيئة الله واستقادته لأمره ، وإن أنكر ألوهته بلسانه .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن^(٢) عامر : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قال : استقاد كلهم له^(٣) .
وقال آخرون : عنى بذلك : إسلام من أسلم من الناس كرها ، حذر السيف على نفسه .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرَّهَا ﴾ الآية [١/٢٧٧٤] كلها . فقال : أكره أقوام على الإسلام ، وجاء أقوام

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٥ ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٤ إلى ابن المنذر .

(٢) في النسخ : « بن » . وجابر هو الجعفي ، وتقدم في ٢٦٦/٤ ، ٢٧٥ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٦/٢ (٣٧٧٢) من طريق وكيع به .

طائعين^(١) .

حدثني الحسن بن قزعة الباهلي ، قال : ثنا روح بن عطاء ، عن مطير الرزاق في قول الله عز وجل : (وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه تُرجعون) . قال : الملائكة طوعا ، والأنصار طوعا ، وبنو سليم وعبد القيس طوعا ، والناس كلهم كرها^(١) .

وقال آخرون : معنى ذلك أن أهل الإيمان أسلموا طوعا ، وأن الكافر أسلم في حال المعاينة حين لا ينفعه^(٢) إسلام كرها^(٢) .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : (أفغير دين الله تبغون) الآية : فأما المؤمن فأسلم طائعا ، فنفعه ذلك وقيل منه ، وأما الكافر فأسلم كرها ، حين لا ينفعه ذلك ، ولا يقبل منه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ وَ لَهُ ۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ۗ ﴾ . قال : أما المؤمن فأسلم طائعا ، وأما الكافر فأسلم حين رأى بأس الله : ﴿ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ اِيْمٰنُهُمْ لَمَّا رَاُوْا۟ اِبٰسًا ۗ ﴾^(٣) [غافر : ٨٥] .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٢ إلى المصنف .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ : « الإسلام » ، وفي ت ٢ : « إسلام » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٥ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٩٧ (٣٧٧٨) عن الحسن بن يحيى

به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٢ إلى عبد بن حميد .

وقال آخرون : معنى ذلك أن^(١) عبادة الخلق لله عزَّ وجلَّ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني المثني ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالح ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : / (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ تَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) . قال : عِبَادَتُهُمْ لِي أَجْمَعِينَ طَوْعًا وَكَرْهًا ، وهو قوله : ﴿ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾^(٢) [الرعد : ١٥] .

وأما قوله : (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) . فإنه يعنى : وإليه يا معشرَ مَنْ يَبْتَغِي غيرَ الإسلامِ دينًا من اليهودِ والنصارى وسائرِ الناسِ (تُرْجَعُونَ)^(٣) . يقولُ : إليه تَصِيرُونَ بعدَ مماتِكُمْ ، فَمُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ؛ الْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ .

وهذا من الله عزَّ وجلَّ تحذيرٌ خَلَقَهُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، فَيَصِيرَ إِلَيْهِ بعدَ وفاته على غيرِ ملةِ الإسلامِ .

القولُ فى تأويلِ قوله تعالى : ﴿ قُلْ ءَأَمِنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا مِنْ رَحْمَتِ رَبِّنَا أَوْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ فَسَأَلْنَا رَبَّنَا أَيُّ الْمَلَأِ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعَثْنَا فِي هَذِهِ أُمَّمَاتٍ لِقَوْمِكُمْ هَؤُلَاءِ فَأَمَّا أُولَئِكَ فَهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٤) .

(١) فى م : « فى » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩٦/٢ (٣٧٧٥) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) فى ت ١ ، ت ٢ ، س : « يرجعون » .

يعنى بذلك جل ثناؤه : أفغير دين الله تبغون يا معشر اليهود ، وله أسلم من فى السماوات والأرض طوعاً وكرهاً ، وإليه ترجعون ، فإن ابتغوا غير دين الله يا محمد ، فقل لهم : أمناً بالله . فترك ذكر قوله : فإن قالوا : نعم . و^(١) ذكر قوله : فإن ابتغوا غير دين الله . لدلالة ما ظهر من الكلام عليه .

وقوله : ﴿ قُلْ ءَأَمَّنَا بِاللَّهِ ﴾ . يعنى به : قل لهم يا محمد : صدقنا بالله أنه ربنا وإلهنا ، لا إله غيره ، ولا نعبد أحداً سواه . ﴿ وَمَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا ﴾ . يقول : وقل : وصدقنا أيضاً بما أنزل علينا من وحيه وتنزيله ، فأقرزنا به . ﴿ وَمَا أَنْزَلْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ . يقول : وصدقنا أيضاً بما أنزل على إبراهيم خليل الله ، وعلى ابنتيه إسماعيل وإسحاق ، وابن ابنه يعقوب ، وبما أنزل على الأسباط ، وهم ولد يعقوب الاثنا عشر . وقد بيننا أسماءهم بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع^(٢) . ﴿ وَمَا أَوْتَىٰ مُوسَىٰ وَعِيسَى ﴾ . يقول : وصدقنا أيضاً مع ذلك بالذى أنزل الله على موسى وعيسى من الكُتُبِ والوحي ، وبما أنزل على النبيين من عنده .

والذى أتى الله موسى وعيسى - مما أمر الله عز وجل محمداً بتصديقهما فيه والإيمان به - التوراة^(٣) التى آتاها موسى ، والإنجيل الذى آتاه عيسى .

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ . يقول : لا نصدق بعضهم ونكذب بعضهم ، ولا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم ، كما كفرت اليهود والنصارى ببعض أنبياء الله ،

(١) فى ت ١ : «أو» .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٥٩٧/٢ - ٥٩٩ .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : «التوراة» .

وَصَدَقَتْ بَعْضًا ، وَلَكِنَّا نَوْمُنُ بِجَمِيعِهِمْ وَنُصَدِّقُهُمْ .

﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ يعني : ونحن ندين لله^(١) بالإسلام ، لا ندين غيره ، بل نتبرأ إليه من كل دين سواه ، ومن كل ملة غيره .

ويعنى بقوله : ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ : ونحن له مُتقادون بالطاعة ، مُتدللون بالعبودية ، مُقرّون له بالألوهة والرّبوبية ، وأنه لا إله غيره .

وقد ذكرنا الرواية بمعنى ما قلنا في ذلك فيما مضى^(٢) ، وكرهنا إعادته .

/القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : وَمَنْ يَطْلُبْ دِينًا غَيْرَ دِينِ الْإِسْلَامِ لِيَدِينَهُ بِهِ ، فَلَنْ يُقْبَلَ اللَّهُ مِنْهُ ، ﴿ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . يقول : من الباطنين أنفسهم حظوظها^(٣) من رحمة الله عزّ وجلّ .

وذكر أن أهل كل ملة ادّعوا أنهم هم المسلمون لما نزلت هذه الآية ، فأمرهم الله بالحجّ إن كانوا صادقين ؛ لأن من سنّة الإسلام الحجّ ، فامتنعوا ، فأدخض الله بذلك حجتهم .

ذكر الخبر بذلك

حدّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، قال : زعم عكرمة : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ . فقالت المثل : نحن المسلمون .

(١) سقط من : ت ١ ، س .

(٢) ينظر ما تقدم في ٥٩٦/٢ ، ٥٩٧ .

(٣) في ت ١ ، س : « حظوظهم » .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧] . فَحَجَّ الْمُسْلِمُونَ وَقَعَدَ ^(١) الْكُفْرَاءُ ^(٢) .

[٤٢٨/١] حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الْقَعْنَبِيُّ ، قَالَ : ثنا سَفِيَانُ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، قَالَ : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ : قَالَتِ الْيَهُودُ : فَحَنَ مُسْلِمُونَ ^(٣) . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ يَحْجُّهُمْ ^(٤) أَنْ : ﴿ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٥) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا سَفِيَانُ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ . إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، قَالَتِ الْيَهُودُ : فَحَنَ مُسْلِمُونَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ : قُلْ لَهُمْ : إِنَّ ﴿ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ ﴾ مِنْ أَهْلِ الْمَلَلِ ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٦) .

وَقَالَ آخَرُونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمَا حَدَّثَنَا بِهِ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثنا مُعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا

(١) فِي ت ١ ، ت ٢ : « فَقَدَ » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٩٩/٢ (٣٧٨٨) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدِّرَالْمَشْتُورِ ٥٧/٢ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ .

(٣) فِي م ، ت ١ : « الْمُسْلِمُونَ » .

(٤) فِي ص ، ت ١ ، س : « فَحَجَّهُمْ » .

(٥) أَخْرَجَهُ الشَّافِعِيُّ فِي الْأَمِّ ٩٣/٢ ، وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سَنَنِهِ (٥٠٦ - تَفْسِيرٍ) ، وَابِيهِقَى ٣٢٤/٤ عَنْ سَفِيَانَ بِهِ بِنَحْوِهِ .

(٦) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧١٦/٣ (٣٨٧٥) عَنْ يُونُسَ وَابْنِ الْمُقْرَيْءِ بِهِ .

وَالَّذِينَ وَالصَّابِرِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿١٥﴾ . إلى قوله : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٦٢] . فأنزل الله عزَّ وجلَّ بعد هذا : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ عِدَّ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ^(١) .

القول في تأويل قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٦) أَوْلَيْكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٧) خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٨٩) .

اختلف أهل التأويل في من عُني بهذه الآية ، وفي من نزلت ؛ فقال بعضهم : نزلت في الحارث بن شويد الأنصاري ، وكان مسلماً فارتدَّ بعد إسلامه .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن عبد الله بن بزيع البصري ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان رجلاً من الأنصار أسلم ، ثم ارتدَّ ولحق بالشرك ، ثم ندم ، فأرسل إلى قومه : أرسلوا إلى رسول الله ﷺ ، هل لي من توبة ؟ قال : فنزلت : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٢) . فأرسل إليه قومه فأسلم ^(٣) .

(١) تقدم تخريجه في ٤٦/٢ .

(٢) أخرجه النسائي (٤٠٧٩) ، وفي الكبرى (١١٠٦٥) عن محمد بن عبد الله به ، وأخرجه ابن حبان

(٣) من طريق يزيد بن زريع به .

حَدَّثَنِي ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَى عَبْدُ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثَنَا دَاوُدُ ، عَنْ عِكْرَمَةَ بِنَحْوِهِ ، وَلَمْ يَرْفَعْهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : فَكَتَبَ إِلَيْهِ قَوْمُهُ ، فَقَالَ : مَا كَذَّبَتْنِي قَوْمِي . فَرَجَعَ ^(١) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثَنَا حَكِيمُ بْنُ جَمِيعٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُسَهَّرٍ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : ارْتَدَّ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ . فَذَكَرَ ^(٢) نَحْوَهُ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ الْأَعْرَجِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : جَاءَ الْحَارِثُ بْنُ سُؤَيْدٍ ، فَأَسْلَمَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ كَفَرَ الْحَارِثُ ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ الْقُرْآنَ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ ﴾ . إِلَى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . قَالَ : فَحَمَلَهَا إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَفَرَّأَهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ الْحَارِثُ : إِنَّكَ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ لَصَدُوقٍ ، وَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِأَصْدُقُ مِنْكَ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِأَصْدُقُ الثَّلَاثَةَ . قَالَ : فَرَجَعَ الْحَارِثُ فَأَسْلَمَ ، فَحَسَّنَ إِسْلَامَهُ ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : ثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ﴾ . قَالَ :

(١) سقط من : ت ١ ، س . وينظر الإصابة ١/٥٧٧ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٠/٢ (٣٧٩٥) من طريق علي بن مسهر به ، وأخرجه أحمد بن منيع - كما في الإتحاف بذيل المطالب ٥٤٣/٨ - والحاكم ١٤٢/٢ ، والواحدى في أسباب النزول ص ٨٣ من طريق داود به ، وأخرجه الواحدى ص ٨٣ من طريق عكرمة به .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٥ ، وأخرجه مسدد ، كما في المطالب العالية (٣٩٢٨) - ومن طريقه الواحدى في أسباب النزول ص ٨٣ - عن جعفر به .

أُنزِلَتْ فِي الْحَارِثِ بْنِ سُؤَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ ، كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ هَذِهِ
الآيَاتِ ^(١) ، ثُمَّ تَابَ وَأَسْلَمَ ، فَتَسَخَّهَا اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ،
عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ
وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ ، قَالَ : رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ
كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ
مُجَاهِدٍ ، مِثْلَهُ .

/ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حِجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ ، عَنْ ٣٤١/٣
مُجَاهِدٍ ، قَالَ : هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمْرٍو مِنْ عَوْفٍ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ ^(٤) .

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : لَحِقَ بِأَرْضِ
الرُّومِ فَتَنَصَّرَ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى قَوْمِهِ : أَرْسِلُوا ، هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ ؟ قَالَ : فَحَسِبْتُ أَنَّهُ آمَنَ
ثُمَّ رَجَعَ ^(٤) .

(١) بعده في ص ، ت ، ٢ : « ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ » ، وبعده في م ، ت ، ١ ، ت ، ٣ ، س :
« إلى ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ » .

ولعله أراد : « إلى قوله : ﴿ أولئك جزأؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا
يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾ » . والله أعلم .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) عزاه الحافظ في الإصابة ٥٧٧/١ إلى عبد بن حميد والفريرابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

قال ابن جريج : قال عكرمة : نزلت في أبي عامر الراهب ، والحارث بن شويد ابن [٤٢٨/١] الصّامِ ، ووَخُوْحِ بْنِ الْأَسْلَتِ^(١) ، في اثني عشر رجلاً رجعوا عن الإسلام ، ولحقوا بقريش ، ثم كتبوا إلى أهلهم : هل لنا من توبة ؟ فنزلت : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ الآيات^(٢) .

وقال آخرون : غني بهذه الآية أهل الكتاب ، وفيهم نزلت .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ : فهم أهل الكتاب ، عزفوا محمداً ﷺ ، ثم كفروا به^(٣) .

حدّثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عبّاد بن منصور ، عن الحسن في قوله : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ الآية كلّها . قال : اليهود والنصارى^(٤) .

حدّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول في قوله : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ الآية : هم أهل

(١) في ت ١ ، س : « الأسلب » . وهو وحوح (عامر) بن الأسلت بن جشم بن وائل ، أخو أبي قيس . ينظر الإصابة ٦ / ٦٠١ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٦٤٥ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٩/٢ (٣٧٩٠) عن محمد بن سعد به .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

الكتاب من اليهود والنصارى ، رَأَوْا نَعْتَهُ ^(١) مُحَمَّدًا ﷺ فِي كِتَابِهِمْ ، وَأَقْرَأُوا ^(٢) بِهِ ، وَشَهِدُوا أَنَّهُ حَقٌّ ، فَلَمَّا بُعِثَ مِنْ غَيْرِهِمْ حَسَدُوا الْعَرَبَ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَنْكَرُوهُ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِقْرَارِهِمْ ، حَسَدًا لِلْعَرَبِ ، حِينَ بُعِثَ مِنْ غَيْرِهِمْ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ . قَالَ : هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ ، كَانُوا يَجِدُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فِي كِتَابِهِمْ ، وَيَسْتَفْتِحُونَ بِهِ ، فَكَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ^(٤) .

قال أبو جعفر : وأشبهُ القَوْلَيْنِ بظَاهِرِ التَّنْزِيلِ مَا قَالَ الْحَسَنُ ، مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَعْنَى بِهَا أَهْلُ الْكِتَابِ ، عَلَى مَا قَالَهُ ، غَيْرَ أَنَّ الْأَخْبَارَ بِالْقَوْلِ الْآخِرِ أَكْثَرُ ، وَالْقَائِلِينَ بِهِ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ . وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَاتِ بِسَبَبِ الْقَوْمِ الَّذِينَ ذُكِرَ أَنَّهُمْ كَانُوا ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَجَمَعَ قِصَّتَهُمْ وَقِصَّةَ مَنْ كَانَ سَبِيلَهُ سَبِيلَهُمْ فِي ارْتِدَائِهِ عَنِ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ . ثُمَّ عَرَّفَ عِبَادَهُ سُنتَهُ فِيهِمْ ، فَيَكُونُ دَاخِلًا فِي ذَلِكَ كُلِّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ ، ثُمَّ كَفَرَ بِهِ بَعْدَ أَنْ بُعِثَ ، وَكُلِّ مَنْ كَانَ كَافِرًا ثُمَّ أَسْلَمَ عَلَى عَهْدِهِ ﷺ ، ثُمَّ ارْتَدَّ وَهُوَ حَيٌّ عَنِ إِسْلَامِهِ . فَيَكُونُ مَعْنِيًّا بِالْآيَةِ جَمِيعُ هَذَيْنِ الصَّنْفَيْنِ وَغَيْرُهُمَا ، ^(٥) مَنْ كَانَ بِمِثْلِ مَعْنَاهُمَا ، بَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فتأويل الآية إذن : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ . يعنى : كيف يُرْشِدُ اللَّهُ لِلصَّوَابِ ، وَيُؤَفِّقُ لِلْإِيمَانِ ، قَوْمًا جَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، ﴿ بَعْدَ

(١) فى ص : « بعث » .

(٢) فى ص ، ت ١ : « أقرأ » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١٢٥/١ ، وفيه : « ويستخفون به » .

(٥ - ٥) فى ت ١ : « من كان بمعناهما » .

إِيْمَانِهِمْ ﴿١٦﴾ . أى : بعدَ تَصْدِيقِهِمْ إِيَّاهُ ، وإِقْرَارِهِمْ بِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ، ﴿١٧﴾ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ﴿١٨﴾ . يقولُ : وبعدَ أن أَقْرَأُوا أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى خَلْقِهِ حَقًّا . ﴿١٩﴾ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴿٢٠﴾ . يعنى : وجاءهم الحُجُجُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، والدلائلُ بِصِحَّةِ ذَلِكَ . ﴿٢١﴾ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٢﴾ . يقولُ : واللَّهُ لَا يُوفِّقُ ^(١) لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ الْجَمَاعَةَ الظَّالِمَةَ ، وهم الذين بَدَّلُوا الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ ، فاختاروا الكفرَ على الإِيْمَانِ .

وقد دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَى قَبْلُ عَلَى مَعْنَى « الظُّلْمِ » ، وَأَنَّهُ وَضِعَ الشَّيْءُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ ^(٢) .

﴿٢٣﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ ﴿٢٤﴾ . يعنى : هؤلاء الذين كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ ، وَبَعْدَ أَنْ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ . ﴿٢٥﴾ جَزَاءُهُمْ ﴿٢٦﴾ : ثَوَابُهُمْ مِنْ عَمَلِهِمُ الَّذِي عَمِلُوهُ . ﴿٢٧﴾ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ ﴿٢٨﴾ . يعنى : أَنْ يَجِلَّ ^(٣) بِهِمْ مِنَ اللَّهِ الْإِقْصَاءُ وَالتَّبَعْدُ ، وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ مَا ^(٤) يَسُوؤُهُمْ مِنَ الْعِقَابِ . ﴿٢٩﴾ أَجْمَعِينَ ﴿٣٠﴾ . يعنى : مِنْ جَمِيعِهِمْ ، لَا مِنْ ^(٥) بَعْضٍ مِنْ سَمَاءِ جَلِّ ثَنَائِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ ، وَلَكِنْ مِنْ جَمِيعِهِمْ . وَإِنَّمَا جَعَلَ ذَلِكَ جَلِّ ثَنَائِهِ ثَوَابَ عَمَلِهِمْ ؛ لِأَنَّ عَمَلَهُمْ كَانَ بِاللَّهِ كُفْرًا .

وقد بَيَّنَّا صِفَةَ لَعْنَةِ النَّاسِ الْكَافِرِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ ، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ ^(٦) .

(١) فى ت ١ : « يوقف » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/٥٥٩ ، ٥٦٠ .

(٣) فى ص ، م : « حل » .

(٤ - ٥) فى ص ، م : « إلا ما » ، وفى ت ١ ، ٣ ، س : « إلا ما » ، وفى ت ٢ : « ما » . والمثبت ما يستقيم به السياق .

(٥) سقط من : م .

(٦) ينظر ما تقدم فى ٢/٢٣٢ ، ٧٣٣ .

﴿ خَلِدِينَ فِيهَا ﴾ . يعنى : ما كَثِيرِينَ . ﴿ فِيهَا ﴾ . يعنى : فى عقوبة اللّهِ . ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ ﴾ : لا يُتَّفَصُونَ مِنَ الْعَذَابِ شَيْئًا فى حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ، وَلا يُتَّفَسُونَ فِيهِ . ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ . يعنى : وَلا هُمْ يُنظَرُونَ لِمَعْذِرَةٍ يَعْتَذِرُونَ . وَذَلِكَ كُلُّهُ أَعْنَى ^(١) الْخُلُودِ فى الْعُقُوبَةِ فى الْآخِرَةِ .

ثم استثنى جل ثناؤه الذين تابوا من هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ، فقال تعالى ذكره : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ﴾ . يعنى : إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ارْتِدَادِهِمْ عَنْ إِيمَانِهِمْ ، فَرَجَعُوا إِلَى الْإِيمَانِ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَصَدَّقُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ﷺ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ . ﴿ وَأَصْلَحُوا ﴾ . يعنى : وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ . ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . يعنى : فَإِنَّ اللَّهَ لَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ كَفْرِهِ ﴿ عَفُورٌ ﴾ . يعنى : سَاتَرَ عَلَيْهِ ذَنْبَهُ الَّذِى كَانَ مِنْهُ مِنَ الرَّدَّةِ ، فَتَارَكَ عِقُوبَتَهُ عَلَيْهِ ، وَفَضِيحَتَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، غَيْرِ مُؤَاخِذِهِ بِهِ إِذَا مَاتَ عَلَى التَّوْبَةِ مِنْهُ . ﴿ رَحِيمٌ ﴾ : مُتَعَطِّفٌ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأَوْلَاتِيكَ هُمْ الضَّالُّونَ ﴾ .

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : عنى اللّهُ عزَّ وجلَّ بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ببعضِ أنبيائه الذين بُعثوا قبلَ محمدٍ ﷺ بعد إيمانهم ، ﴿ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا ﴾ بكُفْرِهِمْ بِمحمدٍ ﷺ ، ﴿ لَنْ نُقَبَلَ تَوْبَتَهُمْ ﴾ عند حُضُورِ المَوْتِ ، وَحَشْرَجَتِهِ بِنَفْسِهِ .

(١) أعنى الخلود : أشده نصبا وتعبا . وينظر اللسان (ع ن ي) .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عباد بن منصور ،
عن الحسن في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ
تُوبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ ، قال : اليهود والنصارى لن تُقْبَلَ توبتهم عند
الموت^(١) .

٣٤٣/٣

حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا ﴾ : أولئك أعداء الله اليهود ، كفروا بالإنجيل
وبعيسى ، ثم ازدادوا كُفْرًا بمحمد ﷺ والفرقان^(٢) .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن
قتادة في قوله : ﴿ ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا ﴾ . قال : ازدادوا كُفْرًا حتى حَضَرَهُمُ الموتُ ،
فلم تُقْبَلْ توبتهم حين حَضَرَهُمُ الموتُ . قال معمر : وقال مثل ذلك عطاء
الخراساني^(٣) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن
قتادة قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ توبَتُهُمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ . وقال : هم اليهود ، كفروا بالإنجيل ، ثم ازدادوا كُفْرًا
حين بعث الله محمدًا ﷺ ، فأنكروه وكذبوا به^(٤) .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٢/٢ عقب الأثر (٣٨٠٤) معلقاً .

(٢) ذكره الواحدى في أسباب النزول ص ٨٤ ، والبعوى في تفسيره ٦٤/٢ ، ٦٥ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٥ ، ١٢٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٢/٢ (٣٨٠٤) عن الحسن بن

يحيى به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠١/٢ (٣٨٠١) من طريق شيبان ، عن قتادة . وعزاه السيوطى فى =

وقال آخرون : معنى ذلك : إن الذين كفروا من أهل الكتاب بمحمدٍ بعدَ إيمانهم بأنبيائهم ، ﴿ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا ﴾ . يعنى : ذُنُوبًا ، ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ : من ذنوبهم ، وهم على الكفرِ مُقيمون .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : ثنا عبدُ الوهَّابِ ، قال : ثنا داودُ ، عن رُفيعٍ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا ﴾ : ازدادوا ذُنُوبًا وهم كفاؤٌ ، ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ . من تلك الذنوبِ ما كانوا على كفرِهِم وضلاليتِهِم ^(١) .

حدَّثنا ابنُ المُثَنَّى ، قال : ثنا ابنُ أبي عديٍّ ، عن داودَ ، قال : سألتُ أبا العالِيَّةَ ، قال : قلتُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ . قال : إنما هم هؤلاء النصارى واليهودُ الذين كفروا ، ثم ازدادوا كفراً بذنوبِ أصابوها ، فهم يتوبون منها فى كفرِهِم ^(٢) .

حدَّثنا عبدُ الحميدِ بنُ بيانِ الشُّكْرِيُّ ^(٣) ، قال : أخبرنا ابنُ أبي عديٍّ ، عن داودَ ، قال : سألتُ أبا العالِيَّةَ عن الذين آمنوا ثم كفروا ، فذكر نحوًا منه .

حدَّثنا ابنُ المُثَنَّى ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : ثنا داودُ ، قال : سألتُ أبا العالِيَّةَ عن هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ . قال : هم اليهودُ والنصارى والمجوسُ ، أصابوا ذُنُوبًا فى

= الدر المنثور ٤٩/٢ إلى عبد بن حميد .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٠٢/٢ (٣٨٠٥) من طريق داود به بمعناه .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٠١/٢ (٣٧٩٩) من طريق داود بن أبي هند به بمعناه . وعزاه السيوطى

فى الدر المنثور ٤٩/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) فى م : « الشُّكْرِيُّ » . وينظر تهذيب الكمال ٤١٣/١٦ .

كفرهم ، فأرادوا أن يتوبوا منها ، ولن يتوبوا من الكفر ، ألا ترى أنه يقول :
﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ ؟

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن داود ، عن
أبي العالية في قوله : ﴿ لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ ﴾ . قال : تابوا من بعض ولم يتوبوا من
الأصل^(١) .

حدثت عن عمّار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن داود بن أبي هند ، عن
أبي العالية قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا ﴾ . قال : هم
اليهود والنصارى ، يُصِيبُونَ الذنوب ، فيقولون : تتوب . وهم مُشْرِكُونَ ، قال الله
عزَّ وجلَّ : لَنْ نُقْبَلَ التَّوْبَةَ فِي الضَّلَالَةِ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن الذين كفروا بعد إيمانهم بأبيائهم^(٢) ، ﴿ ثُمَّ
أَزْدَادُوا كُفْرًا ﴾ . يعني بزيادتهم الكفر تمامهم^(٣) عليه حتى هلكوا وهم عليه
مُقيّمون . ﴿ لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ ﴾ : لن تنفعهم توبتهم الأولى وإيمانهم ، لكفرهم الآخر
وموتهم .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن
مجاهد^(٤) قوله : ﴿ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا ﴾ . قال : نموا^(٥) على كفرهم . قال ابن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٢/٢ (٣٨٠٣) من طريق أبي عاصم به ، وعزاه السيوطي في الدر
المنثور ٥٠/٢ إلى ابن المنذر وعبد بن حميد .

(٢) في ص : « بآبائهم » .

(٣) في م ، س : « بما هم » . وتم على الشيء أقام عليه واستمر . التاج (ت م م) .

(٤) في م ، ت ١ : « عكرمة » .

(٥) في ص ، م : « نموا » .

جَرِيحٌ : ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ . يقولُ : إيمانهم أول مرة لن يُنْفَعَهُمْ ^(١) .

وقال آخرون : معنى قوله : ﴿ثُمَّ أزدادوا كُفْرًا﴾ : ماتوا كفارًا ، فكان ذلك هو زيادتهم من كُفْرِهِمْ . وقالوا : معنى : ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ : لن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ عند موتهم .

ذِكْرٌ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حدَّثنا محمدٌ ، قال : ثنا أحمدٌ ، قال : ثنا أسباطٌ ، عن الشَّدِيِّ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدادوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ : أما : ﴿أزدادوا كُفْرًا﴾ ؛ فماتوا وهم كفارٌ ، وأما : ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ ؛ فعند موته إذا تاب لم تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ ^(٢) .

قال أبو جعفرٍ : وأولى هذه الأقوال بالصوابِ في تأويلِ هذه الآية قولٌ من قال : عنى بها اليهود . وأن يكونَ تأويلُهُ : إن الذين كفروا من اليهودِ بمحمدٍ ﷺ عند مَبْعَثِهِ ، بعدَ إيمانهم به قبلَ مَبْعَثِهِ ، ثم ازدادوا كُفْرًا بما أصابوا من الذنوبِ في كُفْرِهِمْ ومُقامِهِمْ على ضلالَتِهِمْ ، لن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ من ذنوبِهِمْ التي أصابوها في كُفْرِهِمْ ، حتى يتوبوا من كفرِهِمْ بمحمدٍ ﷺ ، ويُراجِعوا التوبةَ منه ، بتَّصَدِيقٍ ^(٣) ما جاء به من عندِ اللَّهِ .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوالِ في هذه الآية بالصوابِ ؛ لأن الآياتِ قبلَها وبعدها فيهم نزلت ، فأولى أن تكونَ هي في معنى ما [٢٩/١]؛ قبلَها

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠١/٢ (٣٨٠٠) من طريق أحمد بن مفضل به بشرطه الأول .

(٣) في ص ، ت ٢ : « بتصديقه » .

وما بعدها إذ^(١) كانت في سياقٍ واحدٍ .

وإنما قلنا : معنى ازديادهم الكفر ما أصابوا في كفرهم من المعاصي ؛ لأنه جل ثناؤه قال : ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ . فكان معلوماً أن معنى قوله : ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ . إنما هو معنيٌّ به : لن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ مما ازدادوا^(٢) من الكفر على كفرهم بعد إيمانهم ، لا من كفرهم ؛ لأن الله تعالى ذكره وعد أن يقبل التوبة من عباده ، فقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ [الشورى : ٢٥] . فمُحَالٌّ أن يقول عز وجل : أقبُل ، ولا أقبُل . في شيءٍ واحدٍ . وإذا كان ذلك كذلك - وكان من مُحْكَمِ الله في عباده أنه قابلٌ توبة كل تائبٍ من كل ذنب ، وكان الكفر بعد الإيمان أحد تلك الذنوب التي وعد قبول التوبة منها بقوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ - عُليمٌ أن المعنى / الذي لا يقبلُ التوبة منه غيرُ المعنى الذي يقبلُ التوبة منه . وإذا كان ذلك كذلك ، فالذي لا يقبلُ منه التوبة هو الازديادُ على الكفر بعد الكفر ، لا يقبلُ الله^(٣) توبة صاحبه ما أقام على كفره ؛ لأن الله لا يقبلُ من مُشْرِكٍ عملاً ما أقام على شركه وضلاله ، فأما إن تاب من شركه وكفره وأصلح ، فإن الله - كما وصف به نفسه - غفورٌ رحيمٌ .

فإن قال قائلٌ : وما يُنكرُ أن يكونَ معنى ذلك كما قال من قال : فلن تُقبَلَ تَوْبَتُهُمْ من كفرهم عند حضور^(٤) أجله ، و^(٥) تَوْبَتُهُ الأولى ؟

(١) في ص ، ت ٢ : « إذا » .

(٢) في ص : « أرادوا » .

(٣) بعده في ص ، ت ٢ ، س : « منه » .

(٤ - ٥) لعل صواب السياق : « أجلهم وتوبتهم الأولى » .

(٥) في ص ، س : « أو » .

قيل : أنكرنا ذلك لأن التوبة من العبد غير كائنة إلا في حال حياته ، فأما بعد مماته فلا توبة ، وقد وعد الله عز وجل عباده قبول التوبة منهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، ولا خلاف بين جميع الحجة في أن كافراً لو أسلم قبل خروج نفسه بطرفة عين ، أن حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه والموازنة ، وسائر الأحكام غيرهما^(١) . فكان معلوماً بذلك أن توبته في تلك الحال لو كانت غير مقبولة ، لم ينتقل حكمه من حكم الكفار إلى حكم أهل الإسلام ، ولا منزلة بين الموت والحياة يجوز أن يقال : لا يقبل الله فيها توبة الكافر . فإذا صح أنها في حال حياته مقبولة ، ولا سبيل بعد الممات إليها ، بطل قول الذي زعم أنها غير مقبولة عند حضور الأجل .

وأما قول من زعم أن معنى ذلك : التوبة التي كانت قبل الكفر . فقول لا معنى له ؛ لأن الله عز وجل لم يصف القوم بإيمان كان منهم بعد كفر ، ثم كفر بعد إيمان ، بل إنما وصفهم بكفر بعد إيمان ، فلم يتقدم ذلك الإيمان كفر كان للإيمان لهم توبة منه ، فيكون تأويل ذلك على ما تأوله قائل ذلك . وتأويل القرآن على ما كان موجوداً في ظاهر التلاوة - إذا لم تكن حجة تدل على باطن خاص - أولى من غيره وإن أمكن توجيهه إلى غيره .

وأما قوله : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ . فإنه يعنى بذلك : وهؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً ، هم الذين^(٢) ضلوا^(٣) سبيل الحق ، فأخطأوا منهجه ، وتركوا نصف^(٤) السبيل وهدى الله^(٥) ،^(٦) خيرة منهم ، وعمى عنه^(٦) .

(١) في ص ، ت ، ١ ، س : « غيرها » .

(٢) بعده في ت ٢ : « كفروا » .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، س : « أضلوا » .

(٤) في م : « منصف » . ونصف السبيل عدله وجادته .

(٥) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ٢ ، س ، وبعده في م : « الذي » .

(٦ - ٦) في ص : « خبرهم منهم » ، وفي م : « أخبرهم عنه فعموا عنه » .

وقد بيّنا فيما مضى معنى « الضلال » بما فيه الكفاية^(١) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ ۗ أُؤْتِيكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (٩١) .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أى : جحدوا نبوة محمد ﷺ ولم يُصدّقوا به وبما جاء به من عند الله من أهل كلّ ملة ؛ يهودها ونصاراها ومجوسها وغيرهم ، ﴿ وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا ﴾ . يعنى : وماتوا على ذلك من جحود نبوته وجحود ما جاء به ، ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ ﴾ . يقول : فلن يُقبَل ممن كان بهذه الصفة فى الآخرة جزاءً

ولا رشوة على ترك عقوبته / على كفره ، ولا جعل على العفو عنه ، ولو كان له ٣٤٦/٣ من الذهب قدر ما يملأ الأرض من مشرقها إلى مغربها ، فرشا وجزى^(٢) على ترك عقوبته ، وفى العفو عنه على كفره ، عوضاً مما اللّه مُجِلُّ به من عذابه^(٣) ؛ لأن الرشا إنما يُقبَلُ مَنْ كان ذا حاجة إلى ما رُشِيَ^(٤) ، فأما مَنْ له الدنيا والآخرة ، فكيف يُقبَلُ الفدية وهو خلاق كلّ فدية افتدى بها مُفتدي من^(٥) نفسه أو غيره ؟

وقد بيّنا أن معنى « الفدية » : العوض والجزاء من المُفتدى منه ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع^(٦) .

ثم أخير عزّ وجلّ عما لهم عنده ، فقال : ﴿ وَأُولَئِكَ ﴾ . يعنى : هؤلاء الذين

(١) ينظر ما تقدم فى ١٩٧/١ - ١٩٩ .

(٢) فى ص ، ت ١ : « جزاء » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « عباد » ، وفى س : « عقابه » .

(٤) فى ت ١ ، س : « رشا » .

(٥) فى م : « عن » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ٣ / ١٨٠ .

كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ، ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . يقول : لهم عند الله في الآخرة عذابٌ مُوجِعٌ ، ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴾ . يعنى : وما لهم من قريبٍ ولا حميمٍ ولا صديقٍ يَنْصُرُهُ فَيَسْتَنْقِذَهُ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ عَذَابِهِ ، كما كانوا يَنْصُرُونَهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنْ حَاوَلَ أَذَاهُ وَمَكْرُوهُهُ .

وقد حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، قال : ثنا أنسُ بنُ مالكٍ ، أن نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقول : « يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ : أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِائَةُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهِ ؟ فيقول : نعم . قال فيقال : لقد سئمتَ ما هو أيسرُ من ذلك » . فذلك قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ [١/٤٣٠] أَحَدِهِمْ مِائَةُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ ﴾ ^(١) .

حدَّثنى محمد بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفى ، قال : ثنا عبَّادٌ ، عن الحسنِ ، قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِائَةُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ . قال : هو كلُّ كافرٍ ^(٢) .

ونُصِبَ قوله : ﴿ ذَهَبًا ﴾ على الخروجِ من المقدارِ الذى قبله والتفسيرِ ^(٣) منه ، وهو قوله : ﴿ مِائَةُ الْأَرْضِ ﴾ . كقولِ القائلِ : عندى قَدْرُ زِقِّ سَمْنًا ، وَقَدْرُ رَطْلٍ عَسَلًا . فالعسلُ ^(٤) مُبَيَّنٌّ ^(٥) به ما ^(٦) ذُكِرَ من المقدارِ ، وهو نكرةٌ منصوبةٌ على التفسيرِ

(١) أخرجه أحمد ١٧/٢١ ، ٤٧١ (١٣٢٨٨ ، ١٤١٠٧) ، وعبد بن حميد (١١٧٩) ، والبخارى (٦٥٣٨) ، ومسلم (٢٨٠٥) ، وأبو يعلى (٢٩٢٦ ، ٢٩٧٦ ، ٣٠٢١) ، وابن حبان (٧٣٥١) ، والبيهقى فى البعث (٩١ ، ٩٢) من طريق سعيد بن أبى عروبة به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠٢/٢ (٣٨٠٦) من طريق أبى بكر الحنفى به .

(٣) التفسير : التمييز . وينظر ما تقدم فى ٢٤٣/٢ .

(٤) فى ص ، ت ، ١ ، ت ٢ : « بالعسل » .

(٥) فى ت ، ١ ، س : « يبين » . والمبين : المميز . ينظر شرح التسهيل ٣٧٩ / ١ .

(٦) فى ص ، ت ، ١ ، ت ٢ ، س : « عما » .

للمقدارِ ، والخروجِ منه .

وأما نحويو البصرة ، فإنهم زعموا أنه نَصَبَ الذهبَ لاشتغالِ^(١) الملءِ^(٢) بالأرضِ ، ومجىءِ الذهبِ بعدهما ، فصار نصبُها نظيرَ نصبِ الحالِ ، وذلك أن الحالَ يَجِيءُ بعدَ فعلٍ قد شُغِلَ بفاعله فيُنصَبُ ، كما يُنصَبُ المفعولُ الذي يأتي بعدَ الفعلِ الذي قد شُغِلَ بفاعله . قالوا : ونظيرُ قوله : ﴿ مَلَأُ الْأَرْضَ ذَهَبًا ﴾ . فى نَصَبِ الذهبِ فى الكلامِ : لى مِثْلِكَ رجلاً . بمعنى : لى مِثْلِكَ من الرجالِ . وزعموا أن نَصَبَ الرجلِ لاشتغالِ الإضافةِ بالاسمِ ، فُنصِبَ كما يُنصَبُ المفعولُ به ؛ لاشتغالِ^(٣) الفعلِ بالفاعلِ .

وأدخِلتِ الواوُ فى قوله : ﴿ وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ ﴾ . لمخدوفٍ من الكلامِ بعده ، دلَّ عليه دخولُ الواوِ ،^(٤) كالواوِ فى قوله : ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾^(٥) [الأنعام : ٧٥] . وتأويلُ الكلامِ : وليكونَ من الموقنين^(٥) أرئناهُ ملكوتَ السماواتِ والأرضِ . فكذلك ذلك فى قوله : ﴿ وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ ﴾ . ولو لم يكنْ فى الكلامِ واوٌ لكان الكلامُ صحيحًا ، ولم يكنْ هناك متروكٌ ، وكان : فلن يُقبلَ من أحدهم ملءُ الأرضِ ذهبًا لو افتدى به .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ وَمَا نُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ

(١) فى ت ١ ، س : « لاشتغال » .

(٢) فى ت ٢ : « الملل » .

(٣) فى ت ١ ، س : « لاشتغال » .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ .

(٥) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « لمتروك من الكلام دل عليه دخول الواو وتأويل الكلام وليكون من

الموقنين » .

فَاتَّكَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ ﴿٩٢﴾ .

/يعنى بذلك جل ثناؤه : لن تُدرِكوا أيُّها المؤمنون البرِّ ، وهو البرُّ من اللّهِ الذى ٣٤٧/٣
يَطْلُبونه منه بطاعتهم إيّاه ، وعبادتهم له ، ويَزجونه منه ، وذلك تَفْضُّله عليهم
يُدخالهم جنّته ، وصرّف عِذايهم عنهم . ولذلك قال كثيرٌ من أهل التّأويل : البرُّ
الجنة ؛ لأنّ برَّ الرّبِّ بعبده فى الآخرة إكرامه ^(١) إيّاه يُدخاله الجنة .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن شريكٍ ، عن أبى إسحاقٍ ، عن عمرو بن
ميمونٍ ، فى قوله : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ ﴾ . قال : الجنة ^(٢) .

حدّثنى المثنّى ، قال : ثنا الحِمَانِيّ ، قال : ثنا شريكٌ ، عن أبى إسحاقٍ ، عن
عمرو بن ميمونٍ فى قوله : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ ﴾ . قال : البرُّ الجنة .

حدّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن
السُّدِّىّ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ ﴾ : أما البرُّ فالجنة ^(٣) .

فتأويلُ الكلام : لن تنالوا أيُّها المؤمنون جنة ربِّكم ﴿ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا
يُحِبُّونَ ﴾ . يقول : حتى تتصدّقوا مما تُحِبُّون ^(٤) وتَهْوُونَ أن يكونَ لكم من نفيسِ
أموالِكُم .

كما حدّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةٍ قوله : ﴿ لَنْ نَنَالُوا

(١) فى م : « وإكرامه » .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة ٤٢٤/١٣ عن شريك به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠٣/٣ عقب الأثر (٣٨٠٩) من طريق عمرو ، عن أسباط به .

(٤ - ٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « فتهوون » .

الْبِرِّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا يُحِبُّونَ ﴿١﴾ . يَقُولُ : لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ بِكُمْ ^(١) حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا يُعْجِبُكُمْ ، وَمَا تَهْوُونَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ ، عَنْ عَبَّادٍ ، عَنِ الْحَسَنِ قَوْلَهُ : ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُنْفِقُوا مِمَّا يُحِبُّونَ﴾ . قَالَ : مِنَ الْمَالِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ : وَمَهْمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَتَتَصَدَّقُوا بِهِ مِنْ أَمْوَالِكُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ بِمَا يَتَصَدَّقُ بِهِ الْمُتَصَدِّقُ مِنْكُمْ ، فَيُنْفِقُهُ مِمَّا يُحِبُّ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿عَلِيمٌ﴾ . يَقُولُ : هُوَ ذُو عِلْمٍ بِذَلِكَ كُلِّهِ ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْهُ ، حَتَّى يُجَازِيَ صَاحِبَهُ عَلَيْهِ جَزَاءَهُ فِي الْآخِرَةِ .

كَمَا حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ . يَقُولُ : مَحْفُوظٌ لَكُمْ ذَلِكَ ، اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ ، شَاكِرٌ لَهٗ ^(٣) . وَبِنَحْوِ التَّأْوِيلِ الَّذِي قَلْنَا تَأْوِيلَ هَذِهِ الْآيَةِ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا يُحِبُّونَ﴾ . قَالَ : كَتَبَ عَمْرٌو بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنْ يَتَتَعَ لَهُ جَارِيَةٌ مِنْ

(١ - ١) فِي ص : «بِرِكُمْ» ، وَفِي ت : ٢ : «بِيرِكُمْ» ، وَفِي ت ١ ، س : «بِرِكُمْ» .

(٢) عَزَاهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدِّرَامَثُورِ ٥١/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٠٤/٣ (٣٨١٥) مِنْ طَرِيقِ شَيْبَانَ ، عَنْ قَتَادَةَ .

جُلُودًا^(١) يَوْمَ فَتَحَتْ مَدَائِنُ كَسْرَى ، فِي قِتَالِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَدَعَا بِهَا
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا
تُحِبُّونَ ﴾ . فَأَعْتَقَهَا عُمَرُ . وَهِيَ مِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى
حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان : ٨] . ﴿ وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
حَصَاصَةٌ ﴾^(٢) [الحشر : ٩] .

/ حَدَّثَنِي الْمُتَنِّي ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا سَيْبُلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ ٣٤٨/٣
مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ سِوَاءً .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنْ حُمَيْدٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ،
قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . أَوْ هَذِهِ الْآيَةُ :
﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة : ٢٤٥ / الحديد : ١١] . قَالَ أَبُو طَلْحَةَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حَائِطِي الَّذِي بَكَذَا وَكَذَا صَدَقَةٌ ، وَلَوْ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَجْعَلَهُ سِرًّا لَمْ
أَجْعَلْهُ عَلَانِيَةً . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اجْعَلْهَا فِي قُرَاءِ أَهْلِكَ »^(٣) .

[٤٣٠/١] حَدَّثَنِي الْمُتَنِّي ، قَالَ : ثنا الْحِجَابِيُّ بْنُ الْمُنْهَالِ ، قَالَ : ثنا حَمَّادٌ ، عَنْ
ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا
مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . قَالَ أَبُو طَلْحَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَسْأَلُنَا مِنْ أَمْوَالِنَا ، أَشْهَدُ أَنِّي قَدْ

(١) أى من سبى جلولاء . وجلولاء اسم للوقعة التي كانت بين المسلمين والفرس في صفر من سنة ست
عشرة ، وفيها انتصر المسلمون بعد قتال لم يسمع بمثله ، وقتل من الفرس يومئذ مائة ألف ، حتى جلولوا وجه
الأرض بالقتلى ، فلذلك سميت جلولاء . ينظر تاريخ المصنف ٢٤/٤ - ٣٤ ، والبداية والنهاية ١٠/٢٠ - ٢٤ .
(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٥٠ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .
(٣) أخرجه أحمد ١٩/١٩١ ، ٢٠/١٧٩ ، ٢١/٢٩٥ (١٢١٤٤) ، ١٢٧٨١ ، (١٣٧٦٧) ، وعبد بن
حميد (١٤١٣) ، والترمذي (٢٩٩٧) ، وأبو يعلى (٣٨٦٥) ، وابن خزيمة (٢٤٥٨) ، (٢٤٥٩) ،
والطحاوي ٣/٢٨٩ ، ٤/٣٨٦ ، والدارقطني ٤/١٩١ من طريق حميد به .

جَعَلْتُ أَرْضِي بِأَرْيَحًا^(١) لِلَّهِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اجعلها في قرابتك » . فجعلها بينَ حسانَ بنِ ثابتٍ وأبي بنِ كعبٍ^(٢) .

حدَّثنا عمرانُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ ، قال : ثنا ليثُ ، عن ميمونِ بنِ مهرانَ ، أن رجلاً سألَ أبا ذرٍّ : أيُّ الأعمالِ أفضلُ ؟ قال : الصلاةُ عمادُ الإسلامِ ، والجهادُ سنامُ العملِ ، والصدقةُ شيءٌ عَجَبٌ^(٣) . فقال : يا أبا ذرٍّ ، لقد تَرَكْتَ شيئاً هو أوثقُ عملي في نفسي لا أراك ذَكَرْتَهُ . قال : ما هو ؟ قال : الصيامُ . فقال : قُزْبَةٌ ، وليس هنا^(٤) . وتلا هذه الآية : ﴿ لَنْ نَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا يُحِبُّونَ ﴾^(٥) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرني داودُ بنُ عبدِ الرحمنِ المكِّيُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي حسينٍ ، عن عمرو بنِ دينارٍ ، قال : لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيةُ : ﴿ لَنْ نَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا يُحِبُّونَ ﴾ . جاء زيدٌ بفرسٍ له ، يقالُ لها : سَبَلٌ^(٦) . إلى النبيِّ ﷺ ، فقال : تَصَدَّقْ بهذه يا رسولَ اللَّهِ . فأعطاهَا

(١) كذا في النسخ ، وسنن أبي داود . ويقال أيضاً : بيرحاء . بالمد والقصر ، بفتح الراء وضمها ، مصروف وممنوع . قال الزمخشري : هو بوزن « فَيْعَلِي » من البراح ، وهي الأرض الظاهرة ، وهو اسم مال وموضع بالمدينة . ينظر الفائق ٩٣/١ ، ومشارك الأنوار ١١٥/١ ، ١١٦ ، والنهاية ١١٤/١ ، وعون المعبود ٥٨/٢ .

(٢) أخرجه أحمد ٤٣١/٢١ (١٤٠٣٦) ، ومسلم ٤٣/٩٩٨ ، وأبو داود (١٦٨٩) ، والنسائي (٣٦٠٤) ، وابن خزيمة (٢٤٦٠) ، وابن حبان (٧١٨٣) ، والدارقطني ١٩١/٤ ، والبيهقي ١٦٥/٦ ، ٢٨٥ ، وفي الشعب (٣٤٢٣) ، وابن عبد البر في التمهيد ٢١٦/١ من طريق حماد بن سلمة به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٢ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

(٣) في م : « عجيب » .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٣ : « هناك » . والمثبت موافق لما في الدر المنثور .

(٥) عزه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٢ إلى المصنف .

(٦) في م : « سيل » . والمثبت موافق لما في كتاب الخليل لأبي عبيدة ص ١٧٩ . وينظر تاج العروس (س ب ل) .

رسولَ اللَّهِ ﷺ ابنته أسامةَ بنَ زيدِ بنِ حارثةَ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنما أردتُ أن أتصدقَ به . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قد قُبِلتْ صدقتُكَ » ^(١) .

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن أيوبَ وغيره أنها حينَ نزلتْ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ ﴾ . جاء زيدُ بنُ حارثةَ بفرسٍ له كان يُحبُّها ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، هذه في سبيلِ اللَّهِ . فحملَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عليها أسامةَ بنَ زيدٍ ، فكأنَّ زيدًا وجد في نفسه ، فلما رأى ذلك منه النبيُّ ﷺ ، قال : « أما إنَّ اللَّهَ قد قَبِلها » ^(٢) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(٩٣) .

يعنى بذلك جلُّ ثناؤه أنه لم يكن حرم على بنى إسرائيل - وهم ولدُ يعقوبَ ابنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ خليلِ الرحمنِ - شيئًا من الأَطعمةِ من قبلِ أن تُنزلَ التوراةُ ، بل كان ذلك كله لهم حلالًا ، إلا ما كان يعقوبُ حرمه على نفسه ، فإنَّ ولدَه حرموه استينانًا بأبيهم يعقوبَ ، من غيرِ تحريمِ اللَّهِ ذلك عليهم فى وَحْيٍ ، ولا تنزِيلٍ ، ولا على لسانِ رسولٍ له إليهم ، من قبلِ نزولِ التوراةِ .

ثم اختلف أهلُ التأويلِ فى تحريمِ ذلك عليهم : هل نزل فى التوراةِ أم لا ؟ فقال بعضهم : لما أنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ التوراةَ حرمَ عليهم من ذلك ما كانوا يُحرمونه قبلَ نزولها .

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣٦٧/١٩ من طريق ابن وهب به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٦ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن
 الشدي قوله: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى
 نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ﴾ . قالت اليهود: إنما نحرم ما حرم إسرائيل على نفسه، وإنما حرم
 إسرائيل العروق، كان يأخذه عرق النساء^(١)، كان يأخذه بالليل، ويتروكه بالنهار،
 فحلف لئن الله عافاه منه لا يأكل عرقًا أبدًا. فحرّمه الله عليهم. ثم قال: ﴿قُلْ
 فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ . ما حرم هذا عليكم غيري؛
 ببيغيتكم، فذلك قوله: ﴿فِيظَلِمِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ
 لَهُمْ﴾^(٢) [النساء: ١٦٠].

فتأويل الآية على هذا القول: كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل، إلا ما حرم
 إسرائيل على نفسه من قبل أن تُنزل التوراة، فإن الله حرم عليهم من ذلك ما كان
 إسرائيل حرمه على نفسه في التوراة؛ ببيغيتهم على أنفسهم وظلمهم لها. قل
 يا محمد: فأتوا أيها اليهود - إن أنكرتم ذلك - بالتوراة، فاتلوا إن كنتم
 صادقين أن الله لم يحرم ذلك عليكم في التوراة، وأنكم إنما تحرمونه لتحريم

٢/٤

(١) عرق النساء: وجع يتدنى من الورك من خلف، وينزل إلى الركبة، وربما بلغ الكعب، وكلما طال زمانه
 زاد نزوله، فرما امتد إلى الأصابع بحسب كثرة مادته وقتها، ويهزل معه الرجل، والفخذ، ويصعب
 الانكباب وتسوية القامة، وربما انخلع بسببه طرف الفخذ. ينظر الموجز في الطب لابن النفيس ص ٢٦٧.
 (٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦٢/٢ عن المصنف. وينظر تفسير البغوي ٦٨/٢، وتفسير القرطبي ١٣٤/٤،

والعروق المقصودة هي العروق التي تكون في اللحم، جمع عروق وهو الأجوف الذي يكون فيه الدم،
 والعصب: غير الأجوف. ينظر تفسير البغوي ٦٨/٢، والنهاية ٢١٩/٣.

إسرائيلَ إِيَّاهُ عَلَى نَفْسِهِ .

وقال آخرون : ما كان شيءٌ من ذلك عليهم حرامًا ، ولا حرّمه الله عليهم في التوراة ، وإنما هو شيءٌ حرّمه على أنفسهم ، اتّباعًا لأبيهم ، ثم أضافوا تحريمه إلى الله ، فكذبهم الله عزّ وجلّ في إضافتهم ذلك إليه ، فقال الله عزّ وجلّ لنبيّه محمدٍ ﷺ : قل لهم يا محمدُ : إن كنتم صادقين ، فأتوا بالتوراة فاتّلوها حتى ننظر هل ذلك فيها أم لا ؟ فيتبيّن^(١) كذبهم لمن يجهل أمرهم .

ذكر من قال ذلك

حدّثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعتُ أبا معاذٍ ، قال : أخبرنا عبيدُ بنُ سليمان ، قال : سمعتُ الضحّاك يقولُ في قوله : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ : إسرائيلُ هو يعقوبُ ، أخذَه عزقُ النّساءِ ، فكان لا يبيّت^(٢) الليلَ من وجعه ، وكان لا يؤذيه بالنهار ، فحلفَ لئن شفاه الله لا يأكلُ عِوَقًا أبدًا . وذلك قبلَ نزولِ التوراةِ على موسى ، فسألَ نبيَّ الله ﷺ اليهودَ : ما هذا الذي حرّم إسرائيلُ على نفسه ؟ فقالوا : نزلتِ التوراةُ بتحريمِ الذي حرّم إسرائيلُ . فقال الله لمحمدٍ ﷺ : [١/٤٣١و] ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴾ . وكذبوا وافتروا ؛ لم تُنزلِ التوراةُ بذلك^(٣) .

وتأويلُ الآيةِ على هذا القولِ : كلُّ الطعامِ كان حلالًا لبنى إسرائيلَ من قبلِ أن

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « ليتبين » .

(٢) في ص ، م : « يبيت » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٠٦ ، ٧٠٧ (٣٨٢٥) من طريق أبي معاذ به مقتصرًا على آخره .

تُنزَلُ التَّوْرَةُ وَبَعْدَ نَزُولِهَا ، إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ .
 بِمَعْنَى : لَكِنَّ إِسْرَائِيلَ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ بَعْضَ ذَلِكَ . وَكَأَنَّ
 الضَّحَّاكَ وَجَّهَ قَوْلَهُ : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . إِلَى الْإِسْتِثْنَاءِ الَّذِي
 يُسَمِّيهِ النُّحَوِيُّونَ الْإِسْتِثْنَاءَ الْمُنْقَطِعَ .

وَقَالَ آخَرُونَ : تَأْوِيلُ ذَلِكَ : كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ
 إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ عَلَى وَلَدِهِ ، بِتَحْرِيمِ
 إِسْرَائِيلَ إِيَّاهُ عَلَى وَلَدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ حَرَّمَهُ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَلَا عَلَى وَلَدِهِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى
 أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي
 إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ : فَإِنَّهُ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ الْعُرُوقَ ،
 وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَشْتَكِي عِرْقَ النَّسَا ، فَكَانَ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَئِنْ عَافَانِي اللَّهُ
 مِنْهُ لَا يَأْكُلُهُ لِي وَلَدٌ ، وَلَيْسَ مَكْتُوبًا فِي التَّوْرَةِ . وَسَأَلَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفَرًا مِنْ أَهْلِ
 الْكِتَابِ ، فَقَالَ : « مَا شَأْنُ هَذَا حَرَامًا ؟ » فَقَالُوا : هُوَ حَرَامٌ عَلَيْنَا مِنْ قَبْلِ الْكِتَابِ .
 فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ إِلَى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حَجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : قَالَ
 ابْنُ عَبَّاسٍ : أَخَذَهُ - يَعْنِي إِسْرَائِيلَ - عِرْقُ النَّسَا ، فَكَانَ لَا يَبِيتُ ^(٢) بِاللَّيْلِ مِنْ شِدَّةِ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٦/٣ (٣٧٢٢) عن محمد بن سعد به ، من قوله : سأل محمد

الوجع ، وكان لا يُؤذيه بالنهار ، فحلف لعن شفاه الله لا يأكل عرقاً أبداً . وذلك قبل أن تُنزل التوراة ، فقال اليهودُ للنبيِّ ﷺ : نَزَلَتْ / التوراةُ بتحريمِ الذي حرّم إسرائيلُ ٤/٤ على نفسه . قال اللهُ لمحمدٍ ﷺ : ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . وكذبوا ، ليس في التوراة ^(١) .

قال أبو جعفرٍ : وأولى الأقوالِ في ذلك عندنا بالصواب ^(٢) : قولُ من قال : معنى ذلك : كلُّ الطعامِ كان حلالاً لبني إسرائيلَ من قبلِ أن تُنزلَ التوراةُ ، إلا ما حرّم إسرائيلُ على نفسه ، من غيرِ تحريمِ الله ذلك عليه ، فإنه كان حراماً عليهم بتحريمِ أبيهم إسرائيلَ ذلك عليهم ، من غيرِ أن يُحرّمه اللهُ عليهم في تنزيلِ ، ولا بوحى قبل التوراةِ ، حتى نزلتِ التوراةُ ، فحرّم اللهُ عليهم فيها ما شاء ، وأحلَّ لهم فيها ما أحبَّ . وهذا قولُ قائله جماعةٌ من أهلِ التأويلِ ، وهو معنى قولِ ابنِ عباسٍ الذي ذكرناه قبلُ .

ذَكَرُ بَعْضُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ﴾ : وإسرائيلُ هو يعقوبُ ، ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . يقولُ : كلُّ الطعامِ كان حلالاً لبني إسرائيلَ من قبلِ أن تُنزلَ التوراةُ ، إلا ما حرّم إسرائيلُ على نفسه ، فلمَّا أنزل اللهُ التوراةَ حرّم عليهم فيها ^(٣) ما شاء ^(٣) ، وأحلَّ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٦/٣ (٣٨٢٣) من طريق ابن جريج عن ابن عباس ببعضه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٢/٢ إلى ابن المنذر ، مطولاً .

(٢) بعده في ص ، ت ، ١ ، س : « أن » .

(٣ - ٣) في ص ، ت ، ١ ، س : « أشياء » .

لهم ما شاء^(١) .

حدَّثت عن عمار ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة بنحوه .
واختلف أهل التأويل في الذي كان إسرائيلُ حرَّمه على نفسه ؛ فقال بعضهم :
كان الذي حرَّمه إسرائيلُ على نفسه العُرُوق .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيم ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن يوسفِ
ابنِ ماهك ، قال : جاء أعرابيٌّ إلى ابنِ عباس ، فقال : إنه جعل امرأته عليه حرامًا .
قال : ليست عليك بحرام . قال : فقال الأعرابيُّ : ولم ؟ واللَّه يقولُ في كتابه :
﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ .
قال : فضحك ابنُ عباس وقال : وما يُدريك ما كان إسرائيلُ حرَّم على نفسه ؟ قال :
ثم أقبل على القومِ يُحدِّثُهم ، فقال : إسرائيلُ عَرَضَتْ له الأنساءُ^(٢) فأضنته ، فجعل
للَّه عليه ، إن شفاه اللُّهُ منها لا يَطْعَمُ عِرْقًا . قال : فلذلك اليهودُ تَنزِعُ العروقَ من
اللحم^(٣) .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبه ، عن أبي بشر ،
قال : سمعتُ يوسفَ بنَ ماهك ، يُحدِّثُ أن أعرابيًّا أتى ابنَ عباس ، فذكر رجلًا حرَّم
امرأته ، فقال : إنها ليست بحرام . فقال الأعرابيُّ : رأيت قولَ اللّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ كُلُّ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٦/٣ (٣٨٢١) من طريق شيبان عن قتادة دون أوله .

(٢) الأنساء : جمع نساء . وتقدم تعريف عرق النساء في ص ٥٧٨ .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٠٨ - تفسير) من طريق أبي بشر به نحوه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥١/٢ إلى عبد بن حميد .

الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴿٤﴾ . فقال : إن إسرائيل كان به عِرْقُ النَّسَا ، فحلف لئن عافاه الله ألا يأكل العروق من اللحم . وإنها ليست عليك بحرام .

حدَّثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُليَّة ، عن سليمان التَّيْمِيِّ ، عن أبي مجلزٍ في قوله : ﴿ كُلُّ / الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . قال : إن يعقوب أخذَه وجعُ عِرْقِ النَّسَا ، فجعل لله عليه ، أو ^(١) أقسم ، أو قال : لا يأكله من الدوابِّ . قال : والعروق كلها تبعٌ لذلك العرق .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا أن الذي حرَّم إسرائيل على نفسه ، أن الأنساء أخذته ذات ليلة ، فأشهرته ، فتألَّى ^(٢) ، إن الله شفاه لا يطعمن نسا أبداً . فتتبعن بنوه العروق بعد ذلك ، يُخرجنونها [٤٣١/١ ظ] من اللحم .

حدَّثت عن عمارة ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادة بنحوه . وزاد فيه : قال : فتألَّى ؛ لئن شفاه الله لا يأكل عرقاً أبداً . فجعل بنوه بعد ذلك يتتبعون العروق فيخرجنونها من اللحم ، وكان الذي حرَّم على نفسه من قبل أن تُنزَّل التوراة ، العروق .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقٍ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة في قوله : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . قال : اشتكى إسرائيل عِرْقَ النَّسَا ، فقال : إن الله شفاني لأحرمن العروق . فحرَّمها ^(٣) .

(١) في ت ١ ، ت ٢ ، س : « أن » .

(٢) أى : حلف .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٦ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ ،
عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كَانَ إِسْرَائِيلُ
أَخَذَهُ عِرْقُ النَّسَا ، فَكَانَ يَبِيتُ لَهُ زُقَاءً ، فَجَعَلَ لِلَّهِ عَلَيْهِ إِنْ شَفَاهُ إِلَّا يَأْكُلُ الْعُرُوقَ ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ كُلُّ الْأَطْعَامِ كَانَ حَلَالًا لِيَنبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ
عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . قَالَ سَفِيَانُ : لَهُ زُقَاءً ، يَعْنِي : صِيَاخٌ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمِيْرٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ،
عَنْ مُجَاهِدٍ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . قَالَ : كَانَ يَشْتَكِي
عِرْقَ النَّسَا ، فَحَرَّمَ الْعُرُوقَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حَازِمَةَ ، قَالَ : ثنا سُبُلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ
مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَرِيْرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ،
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كُلُّ الْأَطْعَامِ كَانَ حَلَالًا لِيَنبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ
إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ﴾ . قَالَ : كَانَ إِسْرَائِيلُ يَأْخُذُهُ عِرْقُ
النَّسَا ، فَكَانَ يَبِيتُ وَلَهُ زُقَاءً ، فَحَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَأْكُلَ عِرْقًا .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلِ الَّذِي كَانَ إِسْرَائِيلُ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ لِحَوْمِ الْإِبِلِ وَأَبْنَاهَا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحَسِينُ ، قَالَ : ثَنَى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَثِيرٍ ، قَالَ : سَمِعْنَا أَنَّهُ اشْتَكَى شَكْوَى ، فَقَالُوا : إِنَّهُ عِرْقُ النَّسَا . فَقَالَ :

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٦ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٦ .

ربّ ، إن أحبّ الطعامِ إلىّ لحومُ الإبلِ وألبانها ، فإن شفّيتني فإنني أحرّمها عليّ^(١) .
قال ابنُ جريجٍ : وقال عطاءُ بنُ أبي رباحٍ : لحومُ الإبلِ وألبانها حرّم إسرائيل^(٢) .

حدّثني محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفيّ ، قال : ثنا عبّادُ ، عن الحسنِ
في قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ . قال : كان إسرائيلُ حرّم
على نفسه لحومَ الإبلِ ، وكانوا يزعمون أنهم يجدون في التوراة تحريمَ إسرائيلَ على
نفسه لحومَ الإبلِ ، وإنما كان حرّم إسرائيلُ على نفسه لحومَ الإبلِ / قبل أن تُنزلَ
التوراةُ ، فقال اللهُ : ﴿ فَأَتُوا بِالتَّورَةِ فَأَتَلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . فقال : لا
تجدون في التوراة تحريمَ إسرائيلَ على نفسه ، أي^(٣) لحمَ الإبلِ .

حدّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، قال : ثنا
حبيبُ بنُ أبي ثابتٍ ، قال : ثنا سعيدٌ . عن ابنِ عباسٍ ، أن إسرائيلَ أخذهُ عِرْقُ
النّسا ، فكان يبيّثُ بالليلِ له زُقاءً . يعنى : صياحٌ . قال : فجعل على نفسه لئِن شَفَاهُ
اللهُ منه لا يأكلهُ ، يعنى لحومَ الإبلِ . قال : فحرّمه اليهودُ . وتلا هذه الآيةُ : ﴿ كُلُّ
الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ
التَّورَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّورَةِ فَأَتَلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . أي : إنّ هذا قبل
التوراة^(٤) .

حدّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ عيسى ، عن الأعمشِ ، عن حبيبٍ ، عن

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٣/٣ عن عبد الله بن كثير .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٢/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء .

(٣) في النسخ : « إلا » . وهو ما لا يستقيم مع السياق المذكور في بقية الأثر قبل هذه اللفظة ، والمثبت ما
يستقيم به السياق . وهو صنيع الشيخ شاكر رحمه الله .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٥/٣ (٣٨١٨) ، والحاكم ٢/٢٩٢ ، والبيهقي ٨/١٠ من طريق

يحيى بن سعيد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥١/٢ إلى عبد بن حميد والفريابي وابن المنذر .

سعيد بن جببير ، عن ابن عباس في : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . قال : حَرَّمَ العروقَ ولحومَ الإبلِ . قال : كان به عِرْقُ النَّسَا ، فأكَل من لحومِها ، فبات بليلة يَزُقُو ، فحَلَفَ أَلَّا يَأْكُلَهُ أَبَدًا ^(١) .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن إسرائيلَ ، عن جابرٍ ، عن مجاهدٍ في قوله : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . قال : حَرَّمَ لحومَ ^(٢) الأَنْعَامِ ^(٣) .

قال أبو جعفرٍ : وأولى هذه الأقوال بالصواب قولُ ابنِ عباسٍ الذي رواه الأعمشُ ، عن حبيبٍ ، عن سعيدٍ عنه ، أن ذلك العروقُ ولحومُ الإبلِ ؛ لأنَّ اليهودَ مُجمِعةٌ إلى اليومِ على ذلك من تحريمِهما ، كما كان عليه من ذلك أوائلُها .

وقد روى عن رسولِ اللهِ ﷺ بنحو ذلك خبرٌ ، وهو ما حدَّثنا به أبو كُريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بكيرٍ ، عن عبد الحميدِ بنِ بهرامٍ ، عن شهرِ بنِ حوشبٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن عِصابةً من اليهودِ حَضَرَتْ رسولَ اللهِ ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسمِ ، أخبرنا أَى الطعامِ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ على نفسه مِن قَبْلِ أن تُنزَلَ التوراةُ ؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ : «أَنْشُدْكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التوراةَ على موسى ، هل تَعْلَمُونَ أن إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ مَرِيضًا شَدِيدًا ، فَطال سُقْمُهُ منه ، فَندَرَ لِلهِ نَذْرًا ؛ لَمَن عافاه اللهُ من سُقْمِهِ ، لِيَحْرَمَنَّ أَحَبَّ الطعامِ والشرابِ إليه ، وكان أَحَبَّ الطعامِ إليه لِحِمانِ الإبلِ ، وَأَحَبَّ الشرابِ إليه ألبانُها » ؟ فقالوا : اللَّهُمَّ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٥/٣ (٣٨١٨) من طريق الأعمش به .

(٢) في ص : «لحم» .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٥/٣ (٣٨٢٠) من طريق وكيع به .

(١) نعم .

وأما قوله : ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَآتُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . فإن معناه : قل يا محمد للزاعمين من اليهود أن الله حرم عليهم فى التوراة العروق ولحوم الإبل وأبناها ﴿ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَآتُوهَا ﴾ . [٤٣٢/١] يقول : قل لهم : جيئوا بالتوراة فآتوها ، حتى يتبين لمن خفى عليه كذبهم ، وقيلهم الباطل على الله من أمرهم ، أن ذلك ليس مما أنزلته فى التوراة ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . يقول : إن كنتم محقين فى دعواكم أن الله أنزل تحريم ذلك فى التوراة ، فأتونا بها ، فآتوا تحريم ذلك علينا منها .

وإنما ذلك خبر من الله عن كذبهم ؛ لأنهم لا يجيئون بذلك أبداً على صحته ، فأعلم الله بكذبهم عليه نبيه ﷺ ، وجعل إعلانه إياه ذلك حجة له عليهم ؛ لأن ذلك إذا كان يخفى على كثير من أهل ملتهم ، فمحمد ﷺ - وهو أمي من غير ملتهم ، لولا أن الله أعلمه ذلك بوحي من عنده - كان أحرى ألا يعلمه ، فكان فى ذلك له ﷺ من أعظم الحجج عليهم بأنه نبي لله إليهم ؛ لأن ذلك من أخبار أوائلهم ، كان من خفى علومهم الذى لا يعلمه غير خاصة منهم ، إلا من أعلمه الذى لا يخفى عليه خافية ؛ من نبي أو رسول ، أو من أطلع الله على علمه ممن شاء من خلقه .

القول فى تأويل قوله : ﴿ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٩٤) .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧٠٤ ، ٧٠٥ (٣٨١٦) ، والطبرانى فى الكبير (١٣٠١٢) من طريق عبد الحميد بن بهرام به .

يعنى جل ثناؤه بذلك : فَمَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ مَثًّا وَمِنْكُمْ ، مِنْ بَعْدِ مَجِيئِكُمْ
 بالتوراة ، وتلاوتكم إياها ، وَعَدَمِكُمْ مَا ادَّعَيْتُمْ مِنْ تَحْرِيمِ اللَّهِ الْعُرُوقَ وَالْحَوْمَ الْإِبِلِ
 وَأَلْبَانَهَا فِيهَا ، ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . يعنى : فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ ﴿ فَأُولَئِكَ ﴾ .
 يعنى : فهؤلاء الذين يفعلون ذلك ﴿ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . يعنى : فهم الكافرون القائلون
 على الله الباطل .

كما حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، عن زكريا ،
 عن الشعبي : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . قال : نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا
 كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٩٥) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : قل يا محمدُ : صدق الله فيما أخبرنا به من قوله :
 ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ ﴾ . وأن الله لم يحرم على إسرائيل ولا
 على ولده العروق ولا لحوم الإبل وألبانها ، وأن ذلك إنما كان شيئًا حرمه
 إسرائيل على نفسه وولده بغير تحريم الله إياه عليهم فى التوراة ، وفى كل ما
 أخبر به عباده من خبر ، دونكم أنتم يا معشر اليهود الكذبة فى إضافتكم تحريم
 ذلك إلى الله عليكم فى التوراة ، المفترية على الله الباطل فى دعواكم عليه غير
 الحق . ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ . يقول : فإن كنتم أئمة اليهود محققين فى
 دعواكم أنكم على الدين الذى ارتضاه الله لأنبيائه ورسله ، فاتبعوا ملة إبراهيم خليل
 الله ، فإنكم تعلمون أنه الحق الذى ارتضاه الله من خلقه دينًا ، واتتعت به أنبياءه ،
 وذلك الحنيفية ، يعنى : الاستقامة على الإسلام وشرائعه ، دون اليهودية والنصرانية
 والمشركية .

وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يقول : لم يكن يُشْرِكُ في عبادته أحدًا من خلقه ، فكذلك أنتم أيضًا أيها اليهود ، فلا تتخذ بعضكم بعضًا آربابًا من دون الله ، تُطيعونهم كطاعة إبراهيم ربّه . وأنتم يا معشر عبدة الأوثان ، فلا تتخذوا الأوثان والأصنام آربابًا ، ولا تعبدوا شيئًا من دون الله ؛ فإن إبراهيم خليل الرحمن كان دينه إخلاص العبادّة لربّه وحده ، من غير إشراك أحدٍ معه فيه ، فكذلك أنتم أيضًا ، فأخلصوا له العبادّة ، ولا تشركوا معه في العبادّة أحدًا ، فإن جميعكم مُقرّون بأن إبراهيم كان على حقٍّ وهُدًى مستقيم ، فاتبِعوا ما قد أجمع جميعكم على تصوّيه / من ملته الحنيفيّة ، ودعوا ما اختلفتم فيه من سائر المللِ غيرها ، أيها ٧/٤ الأحزاب ، فإنها يدعُ ابتدعتموها ، إلى ما قد أجمعتم عليه أنه حقٌّ ، فإن الذي أجمعتم عليه أنه صوابٌ وحقٌّ من ملة إبراهيم ، هو الحقُّ الذي ارتضيتُه ، وابتعثتُ به أنبيائي ورسلي ، وسائر ذلك هو الباطل الذي لا أقبله من أحدٍ من خلقي جاءني به يوم القيامة .

وإنما قال جلّ ثناؤه : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . يعنى به : وما كان من عددهم وأوليائهم . وذلك أن المشركين بعضهم من بعضٍ في التظاهر على كفرهم ، ونصرة بعضهم بعضًا ، فبرأ الله إبراهيم خليله أن يكون منهم ، أو من^(١) نصرائهم وأهل ولايتهم . وإنما عنى جلّ ثناؤه بالمشركين : اليهود والنصارى وسائر الأديان غير الحنيفيّة . قال : لم يكن إبراهيم من أهل هذه الأديان المشركية ، ولكنه كان حنيفًا مسلمًا .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٩٦) .

(١) زيادة يقتضيهما السياق .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : تأويله : إن أول بيت وضع للناس يُعبد الله فيه مباركاً وهدي للعالمين الذي ببكة . قالوا : وليس هو أول بيت وضع في الأرض ؛ لأنه قد كانت قبله بيوت كثيرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد بن غزوة ، قال : قام رجل إلى علي ، فقال : ألا تخبرني عن البيت ، أهو أول بيت وضع في الأرض ؟ فقال : لا ، ولكنه أول بيت وضع [٤٣٢/١ ظ] فيه ^(١) البركة ، مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ^(٢) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت خالد بن غزوة ، قال : سمعت علياً وقيل له : ﴿ إِنَّ أَوْلَ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ : هو أول بيت كان في الأرض ؟ قال : لا . قال : فأين كان قوم نوح ، وأين كان قوم هود ؟ قال : ولكنه أول بيت وضع للناس مباركاً وهدي ^(٣) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : سأل حفص الحسن وأنا سمع ، عن قوله : ﴿ إِنَّ أَوْلَ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ . قال : هو أول مسجد عبد الله فيه في الأرض .

حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملي ، قال : ثنا ضمرة ، عن ابن شوذب ، عن مطر

(١) في النسخ : « في » . والمثبت مما تقدم في ٥٦١ / ٢ .

(٢) تقدم تخريجه في ٥٦٢ / ٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٠ / ٣ (٣٨٣٩) من طريق سماك به .

في قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ . قال : قد كانت قبله بيوت ، ولكنه أول بيت وُضِعَ للعبادة^(١) .

حدَّثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، قال : ثنا عبَّاد ، عن الحسن قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ : يُعْبَدُ اللَّهُ فِيهِ ﴿ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾^(١) .

حدَّثني المُشَنَّى ، قال : ثنا الحِمَانِي ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ قال : وُضِعَ للعبادة .

٨/٤

/وقال آخرون : بل هو أول بيت وُضِعَ للناس . ثم اختلفوا قائلو ذلك في صفة وضعه أول ؛ فقال بعضهم : خُلِقَ قَبْلَ جَمِيعِ الْأَرْضِينَ ، ثم دُحِيتِ الْأَرْضُونَ مِنْ تَحْتِهِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن عُمارة الأَسَدِيُّ ، قال : ثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، قال : أَخْبَرَنَا شيبانُ ، عن الأعمشِ ، عن بُكَيْرِ بنِ الأَخْنَسِ ، عن مجاهدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرو ، قال : خَلَقَ اللَّهُ الْبَيْتَ قَبْلَ الْأَرْضِ بِأَلْفِي سَنَةٍ ، وَكَانَ - إِذْ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ - زَبْدَةً بِيضَاءً ، فَدُحِيتِ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِ^(٢) .

حدَّثني محمد بن عبد الملك بن أبي الشَّوارِبِ ، قال : ثنا عبدُ الواحدِ بنُ زيادٍ ، قال : ثنا خُصَيْفٌ ، قال : سَمِعْتُ مُجَاهِدًا يَقُولُ : إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ ، ثُمَّ

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٢/٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه الحاكم ٥١٨/٢ ، والبيهقى فى دلائل النبوة ٤٤/٢ ، وفى الشعب (٣٩٨٣) من طريق مجاهد به

نحوه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٢/٢ إلى ابن المنذر والطبرانى .

دحا الأرض من تحتها^(١) .

حدّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ : كقولهِ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾^(٢) [آل عمران : ١١٠] .

حدّثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدّي : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِيكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ : أمّا ﴿ أَوَّلَ بَيْتٍ ﴾ فإنه يوم كانت الأرض ماء ، كان زبده على الأرض ، فلما خلق الله الأرض خلق البيت معها ، فهو أول بيت وُضِعَ في الأرض^(٣) .

حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِيكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ . قال : أول بيت وُضِعَهُ اللهُ عزّ وجلّ فطاف به آدم ومن بعده^(٤) .

وقال آخرون : موضع الكعبة موضع أول بيت وُضِعَهُ اللهُ في الأرض .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْبَيْتَ هَبَطَ

(١) ذكره البغوي في تفسيره بنحوه ٧٠/٢ .

(٢) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة ٤٠/١ من طريق آخر ، عن مجاهد ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٢/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٧/٣ (٣٨٢٨) من طريق أحمد بن المفضل به نحوه ، وعنده : على البحر . بدل : على الأرض .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١٢٦/١ ، ١٢٧ .

مع آدمَ حينَ هبطَ . قال : أهبِطُ معك يَبْتِي يُطَافُ حَوْلَهُ ، كما يطَافُ حَوْلَ عَرشِي .
 فطَافَ حَوْلَهُ آدمُ ، ومن كانَ بَعْدَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، حتَّى إذا^(٤) كانَ زَمَنُ الطُّوفَانِ - زَمَنَ
 أَغْرَقَ اللَّهُ قَوْمَ نُوحٍ - رَفَعَهُ اللَّهُ وَطَهَّرَهُ مِنْ أَنْ يُصِيبَهُ عِقُوبَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فصارَ
 مَعْمُورًا فِي السَّمَاءِ ، ثم إنَّ إِبْرَاهِيمَ تَتَبَعَ مِنْهُ أَثَرًا بَعْدَ ذَلِكَ ، فبناهُ عَلَى أُسَاسٍ قَدِيمٍ كانَ
 قَبْلَهُ^(٢) .

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ مَا قَالَ جَلَّ ثَنَاهُ فِيهِ : إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ مَبَارَكٍ وَهُدًى
 وَوُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَيَّكَّتْهُ . ومعنى ذلك : إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَوُضِعَ لِلنَّاسِ ؛ أَى لِعِبَادَةِ اللَّهِ
 فِيهِ ، ﴿ مَبَارَكًا وَهُدًى ﴾ ، يعنى بذلك : وَمَا بَأْسُ لِنُشْكِ النَّاسِكِينَ ، وَطَوَافِ الطَّائِفِينَ ،
 تَعْظِيمًا لِلَّهِ ، وَإِجْلَالًا لَهُ ، لِلَّذِي بَيَّكَّتْهُ ؛ لِصَحَّةِ الْخَبَرِ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وذلك ما حدثنا به محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن
 سليمان ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر ، قال : قلت : يا رسول الله ، أئى
 مسجدٍ وُضِعَ أَوَّلُ ؟ قال : « المسجدُ الحرامُ » . قال : ثم أئى ؟ قال : « المسجدُ
 الأقصى » . قال : كم بينهما ؟ قال : « أربعون سنةً »^(٣) .

٩/٤

فقد بين هذا الخبر عن رسول الله ﷺ أن المسجد الحرام هو أول مسجد وضعه
 الله في الأرض ، على ما قلنا . فأما في موضعه^(٤) بيتًا بغير معنى بيت للعبادة والهدى
 والبركة ، ففيه من الاختلاف ما قد ذكرت بعضه في هذا الموضوع ، وبعضه في سورة

(١) فى م : « إذ » .

(٢) أخرجه الأزرقي فى أخبار مكة ١٢/١ من طريق معمر ، عن قتادة بنحوه مختصراً .

(٣) أخرجه ابن حبان (١٥٩٨) من طريق ابن أبي عدي به ، وأخرجه الطيالسى (٤٦٤) ، وأحمد ١٦٠/٥ ،
 ١٦٦ ، ١٦٧ (الميمنية) ، وأبو عوانة ٣٩٢/١ من طريق شعبة به .

(٤) فى م ، ت ٢ : « وضعه » . والمثبت هو لفظ المصنف الذى ذكره فى ٥٥٢/٢ .

« البقرة »^(١) وغيرها من سُورِ الْقُرْآنِ ، وَيَتَّبِعُ الصَّوَابَ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ ، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ لِلَّذِي بِيَكَّةٍ مُبَارَكًا ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي : لِلْبَيْتِ الَّذِي بُمَزَّ دَحِمِ النَّاسِ ؛ لَطَوَافِهِمْ فِي حَجِّهِمْ وَعُمْرِهِمْ .

وَأَصْلُ الْبَيْتِ الرَّحْمُ . يُقَالُ مِنْهُ : بَكَ فُلَانٌ فَلَانًا . إِذَا زَحَمَهُ^(٢) وَصَدَمَهُ^(٣) . فَهُوَ يَبْكُهُ بَكًا . وَهَمَّ يَبْكُوكُن فِيهِ . يَعْنِي بِهِ : يَتْرَاحِمُونَ وَيَتَصَادَمُونَ فِيهِ . فَكَأَنَّ « بَكَّةً » فَعْلَةٌ ، مِنْ : بَكَ فُلَانٌ فَلَانًا : زَحَمَهُ^(٣) . سُمِّيَتِ الْبُقْعَةُ بِفِعْلِ الْمُرْدَحِمِينَ بِهَا .

فَإِذَا كَانَتْ بَكَّةً مَا وَصَفْنَا ، وَكَانَ مَوْضِعُ ائْزِدْحَامِ النَّاسِ حَوْلَ الْبَيْتِ ، وَكَانَ لَا طَوَافَ يَجُوزُ خَارِجَ الْمَسْجِدِ ، كَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ يَكُونُ مَا حَوْلَ الْكَعْبَةِ مِنْ [١/٣٣٣ و] دَاخِلِ الْمَسْجِدِ ، وَأَنَّ مَا كَانَ خَارِجَ الْمَسْجِدِ فَ « مَكَّةً » لَا « بَكَّةً » ؛ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى خَارِجَهُ يُوجِبُ عَلَى النَّاسِ التَّبَاكُّ فِيهِ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، كَانَ يَبِينًا بِذَلِكَ فَسَادُ قَوْلِ مَنْ قَالَ : بَكَّةً اسْمٌ لِبَطْنِ مَكَّةً . وَمَكَّةً اسْمٌ لِلْحَرَمِ^(٤) .

(١) ينظر ما تقدم في ٥٤٩/٢ - ٥٥٦ .

(٢ - ٢) في ص ، س : « صدمة أو زحمة » .

(٣) بعده في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « من زحمة » .

(٤) بعده في ص : « يتلوه ذكر من قال في ذلك ما قلنا ، من أن بكعة موضع مزدحم للناس للطواف . والحمد لله على عونه وإحسانه - وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم تسليما . بسم الله الرحمن الرحيم . رب يسر . أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان البغدادي قال : حدثنا محمد بن جرير . وبعده في ت ، ١ ، س : « أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان البغدادي ، قال : حدثنا محمد بن جرير رحمه الله » .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ فِي ذَلِكَ مَا قَلْنَا ؛

مِنْ أَنْ بَكَّةً مَوْضِعٌ مُزْدَحِمٍ لِلنَّاسِ لِلطَّوَافِ

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، عن حُصَيْنٍ ، عن أَبِي مَالِكِ الْغِفَارِيِّ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ . قال : بَكَّةُ مَوْضِعٌ الْبَيْتِ ، وَمَكَّةُ مَا سِوَى ذَلِكَ ^(١) .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أَخْبَرَنَا مَغِيرَةُ ، عن إبراهيمَ مثله ^(٢) . حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا حَكَّامٌ ، عن عمرو ، عن عطاءٍ ، عن أَبِي جَعْفَرٍ ، قال : مَرَّتْ امْرَأَةٌ بَيْنَ يَدَيِ رَجُلٍ وَهُوَ يَصَلِّي وَهِيَ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَدَفَعَهَا . قال أبو جعفرٍ : إِنَّهَا بَكَّةُ ، يُتَّكُ بِعَضِّهَا بَعْضًا ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ الْمُثَنَّى ، قال : ثنا عبدُ الصمدِ ، قال : ثنا شعبةٌ ، قال : ثنا سلمةٌ ، عن مجاهدٍ ، قال : إِنَّمَا سُمِّيَتْ بَكَّةً لِأَنَّ النَّاسَ يَتَّبِأُونَ فِيهَا ؛ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ ^(٤) .

حدَّثنا ابنُ وَكَيْعٍ ، قال : ثنا أَبِي ، عن سفيانَ ، عن حمادٍ ، عن سعيدٍ ، قال : قلتُ : لِأَيِّ شَيْءٍ سُمِّيَتْ بَكَّةً ؟ قال : لِأَنَّهُمْ يَتَّبِأُونَ فِيهَا . قال : يعني :

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ص ٢٩٠ (القسم الأول من الجزء الرابع) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٩/٣ (٣٨٣٦) ، من طريق حصين به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٢ إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد .
(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٠٩- تفسير) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٩/٣ (٣٨٣٨) من طريق مغيرة به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٨/٣ (٣٨٣٢) من طريق عمرو به ، وفيه : بعضهم بعضا .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥١٤- تفسير) ، والبيهقي في الشعب (٤٠١٦) من طريق شعبة به بلفظ آخر ، وأخرجه ابن أبي شيبة ص ٢٩٠ ، ٢٩١ (القسم الأول من الجزء الرابع) من طريق الحكم عن مجاهد .

يَزِدَّ حَمُونَ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ سَفِيَانَ ، عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ أَخِيهِ ، عَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : إِنَّمَا سُمِّيَتْ بَكَّةٌ لِأَنَّهُمْ يَأْتُونَهَا حُجَّاجًا^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ : فَإِنَّ اللَّهَ بَكَ بِه النَّاسَ جَمِيعًا ، فَيَصَلِّي النِّسَاءُ قُدَّامَ الرِّجَالِ ، وَلَا يَصْلُحُ بَيْلِدٌ غَيْرِهِ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : « بَكَّةٌ » ؛ بَكَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَصَلُّي بَعْضُهُمْ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضٍ ، لَا يَصْلُحُ ذَلِكَ إِلَّا بِمَكَّةَ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ فَضِيلِ بْنِ مَرْزُوقٍ ، عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ ، قَالَ : بَكَّةٌ مَوْضِعُ الْبَيْتِ ، وَمَكَّةٌ مَا حَوْلَهَا^(٥) .

/حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ أَزْهَرَ ، عَنْ غَالِبِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، أَنَّهُ سَأَلَ ابْنَ شِهَابٍ عَنْ بَكَّةَ ، قَالَ : بَكَّةُ الْبَيْتُ وَالْمَسْجِدُ . وَسَأَلَهُ

١٠/٤

(١) في م : « يتزاحمون » .

والأثر أخرجه ابن أبي شيبة ص ٢٩٠ (القسم الأول من الجزء الرابع) عن وكيع به ، وأخرجه سعيد بن منصور (٥١١ - تفسير) من طريق سفيان به ، دون آخره .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ص ٢٩٠ (القسم الأول من الجزء الرابع) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٨/٣ (٣٨٣٠) من طريق وكيع به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٩/٣ (٣٨٣٣) ، والبيهقي في الشعب (٤٠١٥) من طريق سعيد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٦ ، ١٢٧ .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ص ٢٩١ (القسم الأول من الجزء الرابع) عن وكيع به .

عن مكة ، فقال ابن شهاب : مكة الحرم كله ^(١) .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاءٍ ومجاهدٍ ،
قالا : بكَّةُ بكَّ فيها الرجال والنساء ^(٢) .

حدثني عبد الجبار بن يحيى الرَّمْلِيُّ ، قال : قال ضَمْرَةُ بن ربيعة : بكَّةُ المسجد ،
ومكةُ البيوت ^(٣) .

وقال بعضهم بما حدثني به يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال :
أخبرنا جويبر ، عن الضحَّاك في قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ .
قال : هي مكة ^(٤) .

وقيل : ﴿ مُبَارَكًا ﴾ ؛ لأن الطواف به مغفرةٌ للذنوب .

فأما نصبُ قوله : ﴿ مُبَارَكًا ﴾ . فإنه على الخروج ^(٥) من قوله : ﴿ وُضِعَ ﴾ ؛
لأن في ﴿ وُضِعَ ﴾ ذكرًا من « البيت » هو به مشغولٌ ، وهو معرفةٌ ، و « مباركٌ »
نكرةٌ لا يصلحُ أن يتبعه في الإعراب ^(٦) .

وأما على قولٍ من قال : هو أوَّل بيتٍ وُضِعَ للناسِ - على ما ذكرنا في
ذلك قولَ من ذكرنا قوله - فإنه نُصِبَ على الحالٍ من قوله : ﴿ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ ﴾ ؛ لأن معنى الكلام على قولهم : إن أوَّل بيتٍ وُضِعَ للناسِ البيتُ

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٢ إلى المصنف .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٩/٣ عقب الأثر (٣٨٣٣) عن مجاهد معلقا .

(٣) ذكره الطوسي في التبيان ٥٣٥/٢ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٢ إلى المصنف .

(٥) الخروج : النصب على الحال . مصطلحات النحو الكوفي ص ٥٩ .

(٦) ينظر ما تقدم في ص ٥٧٢ .

الذى ^(١) بِيَكَّةَ مَبَارَكًا . فـ «البيت» عندهم من صفته ^(٢) «الذى بِيَكَّةَ» ، و«الذى» بصِلته معرفة ، و«المبارك» نكرة ، فنُصِبَ على القطعِ منه فى قولِ بعضهم ، وعلى الحالِ فى قولِ بعضهم ، ﴿ وَهُدًى ﴾ فى موضعِ نصبٍ على العطفِ على قوله : ﴿ مُبَارَكًا ﴾ .
القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ .

اختلفت القراءة فى قراءة ذلك ؛ فقرأه قراءة الأماص : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ على جماع «آية» ، بمعنى : فيه علاماتٌ بيِّناتٌ .

وقرأ ذلك ابنُ عباسٍ : (فيه آيةٌ بيِّنةٌ) . يعنى بها : مقامُ إبراهيمَ . يُرادُ بها علامةٌ واحدةٌ ^(٣) .

ثم اختلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قوله : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ . وما تلك الآياتُ ؟ فقال بعضهم : مقامُ إبراهيمَ والمشعُرُ ^(٤) ، ونحو ذلك .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ : مقامُ إبراهيمَ والمشعُرُ ^(٥) .

حدَّثنا الحسنُ ^(٦) بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ ومجاهدٍ : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ قالوا : مقامُ إبراهيمَ من الآياتِ

(١) زيادة لا بد منها ليستقيم السياق .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : «صفة» .

(٣) ينظر تفسير ابن أبى حاتم ٧١١/٣ (٣٨٤٧) ، والتبيان ٥٣٧/٢ .

(٤) بعده فى م ، ت ، ٢ : «الحرام» .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٠/٣ (٣٨٤٤) عن محمد بن سعد به .

(٦) فى النسخ : «إسحاق» . وهو خطأ ، وتقدم مراوًا .

البينات^(١) .

وقال آخرون : الآيات البيناتُ مقامُ إبراهيمَ ، ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ .

ذكرُ من قال ذلك

١١/٤

حدَّثني محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفِيُّ ، قال : ثنا عبادُ ، عن الحسنِ
في قوله : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ . قال : مقامُ إبراهيمَ ، ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾^(٢) .

وقال آخرون : الآياتُ البيناتُ هو مقامُ إبراهيمَ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن
السُّدِّيِّ قوله : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ : أما « الآياتُ البيناتُ » فمقامُ
إبراهيمَ .

وأما الذين قرءوا ذلك : (فيه آيةٌ بيّنةٌ)^(٣) على التوحيدِ ، فإنهم عَنُوا بِالآيَةِ البَيِّنَةِ
مقامَ إبراهيمَ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا محمدُ [٤٣٣/١ ظ] بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ

(١) تفسير عبد الرزاق ١٢٧/١ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٤/٢ إلى عبد بن حميد .

وقال الزمخشري : ويجوز أن تذكر فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله ؛ لأن الاثنين نوع من الجمع
كالثلاثة والأربعة ، ويجوز أن تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات ، كأنه قيل : فيه
آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله وكثير سواهما . الكشاف ٤٤٧/١ .

(٣) وهي قراءة شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة .

أبى نَجِيح ، عن مجاهدٍ : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ . قال : قَدَمَاهُ فِي الْمَقَامِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ .
يقولُ : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴾ . قال : هَذَا شَيْءٌ آخَرٌ ^(١) .

حُدِّثَتْ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ :
(فِيهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ) قَالَ : أَثَرُ قَدَمَيْهِ فِي الْمَقَامِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ .

وأولى الأقوالِ في تأويلِ ذلك بالصوابِ قولُ مَنْ قال : الآياتُ البيِّناتُ منهن
مقامُ إبراهيمَ . وهو قولُ قتادةَ ومجاهدٍ ، الذي رواه معمرٌ عنهما ، فيكونُ الكلامُ
مرادًا فيه ^(٢) « منهن » ، فترك ذكره اكتفاءً بدلالةِ الكلامِ عليها .

فإن قال قائلٌ : فهذا المقامُ من الآياتِ البيِّناتِ ، فما سائرُ الآياتِ التي من أجلها
قيل : ﴿ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ ؟

قيل : منهن المقامُ ، ومنهن الحجُّ ، ومنهن الحطيمُ .

وأصحُّ القراءتين في ذلك قراءةٌ من قرأ : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ . على
الجماعِ ؛ لإجماعِ قرأةِ أمصارِ المسلمين على أن ذلك هو القراءةُ الصحيحةُ دونَ
غيرها .

وأما اختلافُ أهلِ التأويلِ في تأويلِ : ﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ . فقد ذكرناه في
سورةِ « البقرة » ، وبيَّنَّا أولى الأقوالِ بالصوابِ فيه هنالك ، وأنه عندنا المقامُ المعروفُ
^(٣) .
به .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٦ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١١/٣ (٣٨٤٥) ، وعزه السيوطي في
الدر المنثور ٥٤/٢ إلى عبد بن حميد والأزرقي وابن المنذر .

(٢) في م : « فيهن » .

(٣) ينظر ما تقدم في ٥٢٥/٢ - ٥٢٩ .

فتأويل الآية إذن : إن أول بيتٍ وُضِعَ للناسِ مباركًا وهدى للعالمين ، للذي ببكة ، فيه علاماتٌ بيّنت من قدرة الله ، وآثار خليله إبراهيم ، منهن أثر قدم خليله إبراهيم ﷺ في الحجر الذي قام عليه .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : تأويله الخبر عن أن كل من جرّ في الجاهلية جريرة ، ثم عاذ بالبيت ، لم يكن بها مأخوذًا .

/ ذكر من قال ذلك

١٢/٤

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ : وهذا كان في الجاهلية ؛ كان الرجل لو جرّ كل جريرة على نفسه ، ثم لجأ إلى حرم الله ، لم يتناول ولم يطلب ، فأما في الإسلام ، فإنه لا يمنع من حدود الله ؛ من سرق فيه قطع ، ومن زنى فيه أقيم عليه الحد ، ومن قتل فيه قتل .

وعن قتادة أن الحسن كان يقول : إن الحرم لا يمنع من حد^(١) الله ؛ لو أصاب حدًا في غير الحرم ، فلجأ إلى الحرم ، لم يمنع ذلك أن يُقام عليه الحد . ورأى قتادة ما قاله الحسن^(٢) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ . قال : كان ذلك في الجاهلية ، فأما اليوم

(١) في م ، س : « حدود » .

(٢) أخرجه الأزرقى في أخبار مكة ٣٦٨/١ من طريق يزيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٤/٢ إلى

عبد بن حميد ، وابن المنذر .

فإن سرق فيه أحدٌ قُطِعَ ، وإن قتل فيه قُتِلَ ، ولو قُدير فيه على المشركين قُتِلوا^(١) .

حدَّثنا سعيدُ بنُ يحيى الأمويُّ ، قال : ثنا عبدُ السلامِ بنُ حربٍ ، قال : ثنا خُصيفٌ ، عن مجاهدٍ في الرجلٍ يقتلُ ، ثم يدخلُ الحرمَ ، قال : يُؤخَذُ فيُخرجُ من الحرمِ ، ثم يُقامُ عليه الحدُّ . يقولُ : القتلُ .

حدَّثنا محمدُ بنُ المنثيِّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، عن شعبةٍ ، عن حمادٍ مثلَ قولِ مجاهدٍ .

حدَّثنا أبو كريبٍ وأبو السائبِ ، قالا : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : أخبرنا هشامٌ ، عن الحسنِ وعطاءٍ ، في الرجلٍ يُصيبُ الحدَّ ، ويلجأُ إلى الحرمِ : يُخرجُ من الحرمِ فيُقامُ عليه الحدُّ .

فتأويلُ الآيةِ على قولِ هؤلاءِ : فيه آياتٌ بيناتٌ مقامُ إبراهيمَ ، والذي دخله من الناسِ كان آمناً بها في الجاهليةِ .

وقال آخرونَ : معنى ذلك : ومن يدخله يكن آمناً بها . بمعنى الجزاءِ . كمنحو قولِ القائلِ : من قام لي أكرمته . بمعنى : من يقيم لي أكرمه . وقالوا : هذا أمرٌ كان في الجاهليةِ ، كان الحرمُ مفرغَ كلِّ خائفٍ ، وملجأً كلِّ جانٍ ؛ لأنه لم يكن يُهاج به ذو جريرةٍ ، ولا يُعرضُ الرجلُ فيه لقاتلِ أبيه وابنه بسوءٍ . قالوا : وكذلك هو في الإسلامِ ؛ لأن الإسلامَ زاده تعظيماً وتكريماً .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٧ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧١٢ (٣٨٥١) عن الحسن بن يحيى به . وأخرجه الأزرقى في أخبار مكة ١/٣٦٨ من طريق معمر ، عن قتادة ومجاهد .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ ، قَالَ : ثنا خُصَيْفٌ ، قَالَ : ثنا مُجَاهِدٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِذَا أَصَابَ الرَّجُلُ الْحَدَّ ؛ قَتَلَ أَوْ سَرَقَ ، فَدَخَلَ الْحَرَمَ ، لَمْ يُبَايَعْ وَلَمْ يُؤْوَى ، حَتَّى يَبْرَمَ فَيُخْرِجَ مِنَ الْحَرَمِ ، فَيَقَامَ عَلَيْهِ الْحَدُّ . قَالَ : فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : وَلَكِنِّي لَا أَرَى ذَلِكَ ، أَرَى أَنْ يُؤَخَذَ بِرُمَّتِهِ ^(١) ، ثُمَّ يُخْرِجَ مِنَ الْحَرَمِ ، فَيَقَامَ عَلَيْهِ الْحَدُّ ، فَإِنْ الْحَرَمَ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا شِدَّةً ^(٢) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَأَبُو السَّائِبِ ، قَالَا : ثنا ابْنُ إِدْرِيسَ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْمَلِكِ ، عَنْ عَطَاءٍ ، قَالَ : أَخَذَ ابْنُ الزُّبَيْرِ سَعْدًا مَوْلَى مَعَاوِيَةَ - وَكَانَ فِي قَلْعَةٍ بِالطَّائِفِ - فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ^(٣) مَنْ يُشَاوِرُهُ فِيهِمْ : إِنَّهُمْ لَنَا عَدُوٌّ ^(٤) . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَوْ وَجَدْتُ قَاتِلَ أَبِي لَمْ أُعْرِضْ لَهُ . قَالَ : فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ ^(٥) : أَلَا نُخْرِجُهُمْ مِنَ الْحَرَمِ ؟ قَالَ : فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَفَلَا قَبْلَ أَنْ تُدْخِلَهُمُ الْحَرَمَ ؟ زَادَ أَبُو السَّائِبِ فِي حَدِيثِهِ : فَأَخْرَجَهُمْ فَصَلَبَهُمْ ، وَلَمْ يُضْغِعْ ^(٦) إِلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ .

(١) الرُّمَّةُ : قِطْعَةٌ حَبْلٍ يُشَدُّ بِهَا الْأَسِيرُ أَوْ الْقَاتِلُ الَّذِي يُقَادُ إِلَى الْقِصَاصِ . يَنْظُرُ اللَّسَانُ (ر م م) .

(٢) عَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٥٤/٢ دُونَ آخِرِهِ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ ، وَأَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي مِصْنَفِهِ (١٧٣٠٦ ، ١٧٣٠٧) ، وَالْأَزْرَقِيُّ فِي أَخْبَارِ مَكَّةَ ٣٦٧/١ مِنْ طَرِيقِ طَاوُسٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِنَحْوِهِ .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : ت ٢ .

(٤) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عَرَقَ » وَفِي م : « عَيْنَ » ، وَفِي س : « عَوْنَ » .

(٥) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ : « تَنْطِقُ » ، وَفِي س : « يَحِقُّ » .

(٦) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي مِصْنَفِهِ (٩٢٢٥) عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ جَرِيحٍ بِهِ . وَعِنْدَهُ : سَعْدًا مَوْلَى عْتَبَةَ . =

/ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا حَجَّاجٌ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : مَنْ أَخَذَ حَدَّثًا فِي غَيْرِ الْحَرَمِ ثُمَّ لَجَأَ إِلَى الْحَرَمِ ، لَمْ يُعْرَضْ لَهُ ، وَلَمْ يُبَايَعْ ، وَلَمْ يُكَلَّمْ ، وَلَمْ يُؤَوَّ ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْحَرَمِ ، فَإِذَا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أَخَذَ فَأُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ . قَالَ : وَمَنْ أَخَذَ فِي الْحَرَمِ حَدَّثًا أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ^(١) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ [١/٤٣٤ و] بِنِصْرِ السَّلْمِيِّ ، عَنْ ابْنِ أَبِي حَبِيْبَةَ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ حُصَيْنٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ أَخَذَ حَدَّثًا ثُمَّ اسْتَجَارَ بِالْبَيْتِ ، فَهُوَ آمِنٌ ، وَلَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يِعَاقِبُوهُ عَلَى شَيْءٍ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ ، فَإِذَا خَرَجَ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ^(٢) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍ ، قَالَ : لَوْ وَجَدْتُ قَاتِلَ عَمْرٍ فِي الْحَرَمِ مَا هَجَّجْتُهُ^(٣) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَأَبُو السَّائِبِ ، قَالَا : ثنا ابْنُ إِدْرِيسَ ، قَالَ : ثنا لَيْثٌ ، عَنْ عَطَاءٍ ، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُثْبَةَ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ الْحَدَّ فِي الْحَرَمِ ، فَقَالَ لَهُ عُثْبَةُ بْنُ عُمَيْرٍ : لَا تُقِمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ فِي الْحَرَمِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَصَابَهُ فِيهِ^(٤) .

= وأصله عند الأزرقى فى أخبار مكة ١/٣٦٨ من طريق ابن جريج به . وعنده : سعدًا مولى عقبة .

(١) سقط من : ص .

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٥٥ ، إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٥٥ إلى المصنف .

(٣) أخرجه عبدالرزاق فى مصنفه (٩٢٢٩) ، والأزرقى فى أخبار مكة ١/٣٦٩ من طريق أبى الزبير

عن ابن عمر ، عندهما : « ندهته » ، بدل « هجته » .

(٤) ينظر البحر المحيط ٣/١٠ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَأَبُو السَّائِبِ ، قَالَا : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : أَخْبَرَنَا مُطَرِّفٌ ، عن عامرٍ ، قال : إِذَا أَصَابَ الْحَدَّ ثُمَّ هَرَبَ إِلَى الْحَرَمِ فَقَدْ أَمِنَ ، فَإِذَا أَصَابَهُ فِي الْحَرَمِ ، أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ فِي الْحَرَمِ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا مُؤَمَّلٌ ، قَالَ : ثنا سفيانُ ، عن فِرَاسٍ ، عن الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : مَنْ أَصَابَ حَدًّا فِي الْحَرَمِ أُقِيمَ عَلَيْهِ فِي الْحَرَمِ ، وَمَنْ أَصَابَهُ خَارِجًا مِنَ الْحَرَمِ ثُمَّ دَخَلَ الْحَرَمَ ، لَمْ يُكَلَّمْ ، وَلَمْ يُبَايَعْ ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْحَرَمِ فَيُقَامَ عَلَيْهِ .

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأَمَوِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَ : ثنا عطاءُ ابْنِ السَّائِبِ ، عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، وَعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ، عن عطاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ ، فِي الرَّجْلِ يَقْتُلُ ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْحَرَمَ ، قَالَ : لَا يَبِيعُهُ أَهْلُ مَكَّةَ ، وَلَا يَشْتَرُونَ مِنْهُ ، وَلَا يَسْقُونَهُ وَلَا يُطْعَمُونَهُ ، وَلَا يُؤْوَوْنَ - عَدَّ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً - حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْحَرَمِ فَيُؤْخَذَ بِذَنْبِهِ ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أَبِيهِ ، عن عطاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَصَابَ حَدًّا ثُمَّ دَخَلَ الْحَرَمَ ، أَنَّهُ لَا يُطْعَمُ ، وَلَا يُسْقَى ، وَلَا يُؤْوَى ، وَلَا يُكَلَّمُ ، وَلَا يُنَكَّحُ ، وَلَا يُبَايَعُ ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْهُ أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، قَالَ : ثنا حمادٌ ، عن عمرو بن دينارٍ ، عن

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٧٣٠٨) من طريق مطرف ، بنحوه مطولاً .

(٢) ينظر البحر المحيط ١٠/٣ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١١/٣ (٣٨٥٠) من طريق عطاء بن السائب به نحوه .

ابن عباس ، قال : إذا أخذت الرجل حدثاً ، ثم دخل الحرم ، لم يؤو ، ولم يُجالس ، ولم يُبايع ، ولم يُطعم ، ولا يُسقى ، حتى يخرج من الحرم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أمّا قوله : ﴿ وَمَنْ / دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ . فلو أن رجلاً قتل رجلاً ، ثم أتى الكعبة ، فعاذ بها ، ثم لقيه أخو المقتول ، لم يحل له أبداً أن يقتله ^(١) .

١٤/٤

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن دخله يكن آمناً من النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن مسلم ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا ^(٢) زريق ^(٣) بن مسلم الخزومي ، قال : ثنا زياد بن أبي عياش ^(٤) ، عن يحيى بن جعدة في قوله : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ . قال : آمناً من النار ^(٥) .

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول ابن الزبير ومجاهد والحسين ومن قال : معنى ذلك : ومن دخله من غيره ممن لجأ إليه عائداً به ، كان آمناً ما كان فيه ،

(١) ينظر البحر المحيط ٣ / ١٠ .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « هذا أخبرناه » .

(٣) في ص : « رريق » ، وفي م : « زريق » .

(٤) في ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « عياس » ، وفي م ، ت ١ ، س : « عياض » . والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم وتفسير ابن كثير .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣ / ٧١٢ (٣٨٥٦) من طريق أبي عاصم به ، وذكره ابن كثير في تفسيره

٦٦ / ٢ عن ابن أبي حاتم ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٥٥ / ٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

ولكنه يُخْرِجُ منه ، فيُقَامُ عليه الحدُّ إن كان أصاب ما يَسْتَوْجِبُهُ في غيرِه ثم لَجَأَ إليه ، وإن كان أصابه فيه أُقِيمَ عليه فيه .

فتأويلُ الآيةِ إذن : فيه آياتٌ بيِّناتٌ مَقَامُ إبراهيمَ ، وَمَنْ يَدْخُلُهُ مِنَ النَّاسِ مستَجِيرًا به ، يَكُنْ آمِنًا مِمَّا اسْتَجَارَ مِنْهُ مَا كَانَ فِيهِ ، حَتَّى يُخْرِجَ مِنْهُ .

فإن قال قائلٌ : وما مَنَعَكَ من إقامةِ الحدِّ عليه فيه ؟

قيل : لاتفاقِ جميعِ السَّلَفِ على أن مَنْ كانت جريئته في غيرِه ثم عاذ به فإنه لا يُؤَخَذُ بجريئته فيه . وإنما اختلفوا في صفةِ إخراجِه منه لأخذه بها ؛ فقال بعضهم : صفةُ ذلك منعه المعاني التي يُضْطَرُّ مع منعه وفقدِه إلى الخروجِ منه .

وقال آخرون : لا صفةٌ لذلك غيرُ إخراجِه منه بما أمكن إخراجِه من المعاني التي تُوصَلُ إلى إقامةِ حدِّ الله عليه معها . فلذلك قلنا : غيرُ جائزِ إقامةِ الحدِّ عليه فيه إلا بعدَ إخراجِه منه . فأما مَنْ أصاب الحدَّ فيه ، فإنه لا خلافَ بينَ الجميعِ في أنه يُقَامُ عليه فيه الحدُّ ، فكلتا المسألتينِ أصلٌ مُجمَعٌ على حكمِهما على ما وصفنا .

فإن قال لنا قائلٌ : وما دلائلك على أن إخراجِ العائذِ بالبيتِ إذا اتاه مستجيراً به من جريئةِ جرِّها ، أو من حدِّ أصابه ، من الحرمِ جائزٌ لإقامةِ الحدِّ عليه ، وأخذه بالجريرة ، وقد أَقَرَّرتْ بأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد جعلَ مَنْ دَخَلَهُ آمِنًا ، ومعنى الآمنِ غيرُ معنى الخائفِ ، فيما^(١) هما فيه مُخْتَلِفَانِ ؟

(١) في م : « فيما » .

قيل : قلنا ذلك لإجماع الجميع من المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن إخراج العائذ به من جريرة أصابها أو فاحشة أتاها ، وَجَبَتْ عليه بها عقوبةٌ ، منه ببعض معانى الإخراج ؛ لأخذه بما لزمه ، واجب على إمام المسلمين وأهل الإسلام معه .

وإنما اختلفوا فى السبب الذى يُخْرَجُ به منه ؛ فقال بعضهم : السبب الذى يجوزُ إخراجُه به منه تركُ جميع المسلمين مبايعته وإطعامه وسقيته وإيواءه وكلامه ، وما أشبه ذلك من المعانى التى لا قرار للعائذ به فيه مع بعضها ، فكيف مع جميعها !

وقال آخرون منهم : بل إخراجُه لإقامة من لزمه [١/٤٣٤ظ] من العقوبة واجبٌ ، بكل معانى الإخراج .

فلما كان إجماعًا من الجميع ، على أن حكم الله فى من عاذ بالبيت ، من حدِّ أصابه ، أو جريرة جرَّها - إخراجُه منه ؛ لإقامة ما فرض الله على المؤمنين إقامته عليه ، /ثم اختلفوا فى السبب الذى يجوزُ إخراجُه به منه - ١٥/٤ كان اللازمُ لهم وإمامهم إخراجُه منه بأى معنى أمكنهم إخراجُه منه ، حتى يُقيموا عليه الحدَّ الذى لزمه خارجًا منه إذا كان لَجَأً إليه من خارج ، على ما قد بيَّنَّا قبلُ .

وبعدُ ، فإن الله عزَّ وجلَّ لم يضع حدًّا من حدوده عن أحدٍ من خلقه ، من أجل بقعةٍ وموضعٍ صار إليها من لزمه ذلك ، وقد تظاهرت الأخبارُ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إني حرمتُ المدينةَ كما حرمتُ إبراهيمَ مكة »^(١) . ولا خلاف بين جميع الأمة ،

(١) أخرجه أحمد ٣٧٤/٢٦ (١٦٤٤٦) ، والبخارى (٢١٢٩) ، ومسلم (١٣٦٠) من حديث =

أن عائداً لو عاذ من عقوبة لزمته بحرم النبي ﷺ ، يُؤاخَذُ بالعقوبة فيه . ولولا ما ذكرتُ من إجماع السلفِ على أن حرم إبراهيم لا يقام فيه على من عاذ به من عقوبة لزمته حتى يخرج منه ما لزمه^(١) ، لكان أحقُّ البقاع أن تُؤدَّى فيه فرائضُ الله التي ألزمها عباده - من قتلٍ أو غيره - أعظمَ البقاعِ إلى الله ؛ كحرمِ الله ، وحرمِ رسوله ﷺ ، وليكنَّا أميرنا بإخراجِ مَنْ أمرنا بإخراجه من حرمِ الله لإقامة الحدِّ ؛ لما ذكرنا من فعلِ الأمةِ ذلك وراثته .

فمعنى الكلام إذ كان الأمرُ على ما وصَفنا : ومن دخله كان آمناً ما كان فيه . فإذا كان ذلك كذلك ، فمن لجأ إليه من عقوبة لزمته عائداً به ، فهو آمنٌ ما كان به حتى يخرج منه ، وإنما يصيرُ إلى الخوفِ بعدَ الخروجِ أو الإخراجِ منه ، فحينئذٍ هو غيرُ داخله ، ولا هو فيه .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

يعنى بذلك جلُّ ثناؤه : وفرضٌ واجبٌ لله على من استطاع من أهلِ التكليفِ السبيلَ إلى حجِّ بيته الحرامِ ، الحجِّ إليه .

وقد بيَّنا فيما مضى معنى الحجِّ ، ودلَّلنا على صحَّةِ ما قلنا من معناه ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضعِ^(٢) .

واختلف أهلُ التأويلِ في تأويلِ قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ، وما

= عبد الله بن زيد بن عاصم .

(١) ما لزمه : يعنى ما بقى فيه .

(٢) ينظر ما تقدم في ٢ / ٧١١ ، ٧١٢ .

السبيل التي يجبُ مع استطاعتها فرضُ الحجِّ ؟ فقال بعضهم : هي الزادُ والراحلةُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ بكرٍ ، قال : أخبرنا ابنُ جريجٍ ، قال : قال عمرُ بنُ الخطابِ رضي اللهُ عنه : ﴿ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ، قال : الزادُ والراحلةُ^(١) .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ بكرٍ ، قال : أخبرنا ابنُ جريجٍ ، قال : قال عمرو بنُ دينارٍ : الزادُ والراحلةُ^(٢) .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن أبي جَنَابٍ^(٣) ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ في قوله : ﴿ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ قال : الزادُ والبعيرُ^(٤) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ : والسبيلُ أن يَصِحَّ بدنُ العبدِ ويكونَ له ثمنُ زادٍ وراحلةٍ من غيرِ أن يُجَحِّفَ به^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٠/٤ من طريق ابن جريج ، عن عطاء ، عن عمر .

(٢) ذكره ابن عبد البر في الاستذكار ٦١/١٢ .

(٣) في م ، ت ١ : « حباب » ، وفي ت ٢ : « حيان » ، وفي س : « حباب » ، وغير منقوطة في ص . وهو أبو جَنَاب الكلبى . ينظر تهذيب الكمال ٢٨٤/٣١ .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٠/٤ عن وكيع به ، وأخرجه الترمذى (٣٣١٦) من طريق أبي جناب به مطولاً ، وأخرجه البيهقى ٣٣١/٤ من طريق عكرمة ، عن ابن عباس .

(٥) أخرجه البيهقى ٣٣١/٤ من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٦/٢ إلى ابن المنذر .

١٦/٤ / حَدَّثَنَا خَلَادُ بْنُ أَسْلَمَ ، قَالَ : ثنا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ ، قَالَ : سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ عَنْ قَوْلِهِ : ﴿ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مِنْ مَلَكٍ ثَلَاثَمِائَةِ دَرَاهِمٍ ، فَهُوَ السَّبِيلُ إِلَيْهِ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَثْمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَطَاءً يَقُولُ : السَّبِيلُ الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشُّدِّيِّ : أَمَا ﴿ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ : السَّبِيلُ : رَاحِلَةٌ وَزَادَ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى وَأَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَا : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا سَفِيَانُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوْقَةَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ : ﴿ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قَالَ : الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ ^(٣) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الرَّبِيعُ بْنُ صَبِيحٍ ، عَنْ الْحَسَنِ ، قَالَ : الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ الْحَسَنِ ، قَالَ : قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنَ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٩١/٤ من طريق النزال بن عمار ، عن ابن عباس .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٩١/٤ من طريق داود عن عطاء .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٨٩/٤ من طريق محمد بن سوقة به نحوه .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٠/٤ من طريق يونس وهشام ، عن الحسن .

فقال رجلٌ : يا رسولَ اللهِ ، ما السبيلُ ؟ قال : « الزادُ والراحلةُ »^(١) .

واعْتَلَّ قائلو هذه المقالةِ بأخبارِ رُوِيَتْ عن رسولِ اللهِ ﷺ بنحوِ ما قالوا في ذلك .

ذِكْرُ الرِوَايَةِ بِذَلِكَ عَنِ رَسولِ اللهِ ﷺ

حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ الخَوْزَمِيُّ ، قال : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبَّادِ بْنِ جَعْفَرٍ ، يَحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عَمْرٍو ، قال : قام رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال : ما السبيلُ ؟ قال : « الزادُ والراحلةُ »^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قال : ثنا أَبُو حذيفةَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن إبراهيمِ الخَوْزَمِيِّ ، عن محمدِ بْنِ عَبَّادِ ، عن ابنِ عَمْرٍو ، أن النبيَّ ﷺ قال في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قال : « السبيلُ إلى الحجِّ الزادُ والراحلةُ »^(٣) .

حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ ، قال : ثنا بشرٌ بْنُ المَفْضَلِ ، قال : ثنا يونسُ ، وحَدَّثَنِي يَعْقوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قال : ثنا [١/٤٣٥و] ابنُ عُليَّةَ ، عن يونسَ ، عن

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه - كما في نصب الراية ٨/٣ - من طريق منصور به .

(٢) أخرجه الترمذى (٢٩٩٨) عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق به .

(٣) أخرجه البيهقى ٤/٣٢٧ ، وفي الشعب (٣٩٧٤) من طريق أبي حذيفة به ، وأخرجه الدارقطنى ٢/٢١٧

(١٠) من طريق سفيان به ، وأخرجه الشافعى ١/٢٨٣ ، ٢٨٤ ، وابن أبى شيبة ٤/٩٠ ، وابن ماجه (٢٨٩٦) ،

والترمذى (٨١٣) ، وابن عدى ١/٢٢٨ ، والبيهقى ٤/٣٣٠ ، والبغوى (١٨٤٧) من طريق لإبراهيم بن يزيد

به ، وأخرجه ابن أبى حاتم في تفسيره ٣/٧١٣ (٣٨٦٠) ، والدارقطنى ٢/٢١٧ ، (١١) ، (١٢) من طريق

محمد بن عباد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٥٥ ، ٥٦ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

الحسن، قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾. قالوا: يا رسول الله، ما السبيل؟ قال: «الزاد والراحلة»^(١).

حدثنا أبو عثمان المُقَدَّمِيُّ والمُثَنَّى بنُ إبراهيم، قالوا: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا هلال بن عبد الله^(٢) مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي، قال: ثنا أبو إسحاق، عن الحارث، عن علي، عن النبي ﷺ، قال: «مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تَبْلُغُهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ، فَلَمْ يَحُجَّ، فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، وَذَلِكَ أَنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾»^(٣) الآية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، قال: بلغنا أن نبي الله ﷺ قال له قائل، أو رجل: يا رسول الله، ما السبيل إليه؟ قال: «مَنْ وَجَدَ زَادًا وَرَاحِلَةً»^(٤).

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي، قال: ثنا شاذ بن فياض البصري، قال: ثنا هلال^(٥) أبو هاشم، عن أبي إسحاق الهمداني، عن الحارث، عن علي بن أبي طالب، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً فَلَمْ

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥١٨ - تفسير)، وابن أبي شيبة ٩٠/٤، والدارقطني ٢١٨/٢، والبيهقي ٣٢٧/٤ من طريق يونس به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر. (٢ - ٢) في ص، م، ت ١: «عبيد الله». وينظر تهذيب الكمال ٣٠/٣٤٢.

(٣) أخرجه الترمذي (٨١٢)، والبيهقي في الشعب (٣٩٧٨) من طريق مسلم بن إبراهيم به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٦/٢ إلى ابن مردويه.

(٤) أخرجه البيهقي ٣٣٠/٤ من طريق سعيد به.

(٥ - ٥) في ص، م، ت ١، س: «بن هشام»، وفي ت ٢: «بن إسحاق بن هشام».

يُحِجُّ ، مات يهوديًا أو نصرانيًا ، وذلك أن الله يقولُ في كتابه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ الآية ^(١) .

حدثني أحمدُ بنُ حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا حمادُ بنُ سلمة ، عن قتادة وحميد ، عن الحسن ، أن رجلاً قال : يا رسولَ الله ، ما السبيلُ إليه ؟ قال : « الزاؤُ والراحلة » .

حدثنا محمدُ بنُ بشار ، قال : ثنا الحجاجُ بنُ المنهال ، قال : ثنا حمادُ ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن النبي ﷺ مثله .

وقال آخرون : السبيلُ التي إذا استطاعها المرءُ كان عليه الحجُّ ، الطاقةُ للوصولِ إليه .

قال : وذلك قد يكونُ بالمشي وبالركوبِ ، وقد يكونُ مع وجودِهما العجزُ عن الوصولِ إليه ، بامتناعِ الطريقِ مِنَ العدوِّ الحائلِ ، وبقلةِ الماءِ ، وما أشبه ذلك .

قالوا : فلا بيانُ في ذلك أئینُ مما بينه الله عزَّ وجلَّ ، بأن يكونَ مستطیعًا إليه السبيلُ ؛ وذلك الوصولُ إليه بغيرِ مانعٍ ولا حائلٍ بينه وبينه ، وذلك قد يكونُ بالمشي وحده ، وإن أعوزه الموكبُ ، وقد يكونُ بالمركبِ وغير ذلك .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا محمدُ بنُ بشار ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهدي ، قال : ثنا سفيانُ ، عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٣/٣ (٣٨٥٩) ، وابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير ٧٠/٢ - من طريق هلال أبي هاشم به .

خالد بن أبي كريمة ، عن رجل ، عن ابن الزبير قوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قال : على قدر القوة ^(١) .

حدثنا يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك في قوله : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قال : الزاد والراحلة ، فإن كان شابًا صحيحًا ليس له مال ، فعليه أن يُواجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقضى حجته . فقال له قائل : كلف الله الناس أن يمشوا إلى البيت ؟ فقال : لو أن لبعضهم ميراثًا بمكة ، أكان تاركه ؟ والله لا نطلق إليه ولو حبوا ، كذلك يجب عليه الحج ^(٢) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن بكر ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال عطاء : من وجد شيئًا يُبلغه فقد وجد سبيلًا ، كما قال الله عز وجل : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

حدثنا أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا أبو هانئ ، قال : سئل ^(٣) عامر عن هذه الآية : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قال : السبيل ما يسره الله .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٠/٤ عن ابن مهدي به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٤/٣ (٣٨٦٣) من طريق جويبر عن الضحاك قال : إن كان فقيرًا وهو صحيح شاب ، فليؤجر نفسه بالأكلة والعقبة حتى يحج .

وقوله : بأكله وعقبه : يعنى أن يجعل القاصد للحج - وليس معه نفقة وظهر يبلغه - نفسه أجيرًا عند غيره ، مقابل أن يطعمه ويحمله حتى يبلغ حجته ويقضيها .

(٣) في النسخ : « ثنا سهل بن » . وسيأتي على الصواب في ص ٦٢٢ .

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبَّادٌ ، عَنْ
الْحَسَنِ : مَنْ وَجَدَ شَيْئًا يَبْلُغُهُ فَقَدْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا^(١) .
وقال آخرون : السبيلُ إلى ذلك الصَّحَّةُ .

١٨/٤

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ وَالْمُتَنِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ،
قَالُوا : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِيُّ ، قَالَ : ثنا حَيْوَةُ بْنُ شَرِيحٍ وَابْنُ لَهْبَعَةَ ، قَالَا :
أَخْبَرَنَا شُرْحَبِيلُ بْنُ شَرِيكِ الْمَعْفَرِيُّ ، أَنَّهُ سَمِعَ عِكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ فِي هَذِهِ
الآيَةِ : ﴿ وَ لِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا ﴾ . قَالَ : السَّبِيْلُ
الصَّحَّةُ^(٢) .

وقال آخرون بما حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ
فِي قَوْلِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَ لِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ
سَبِيْلًا ﴾ ، قَالَ : مَنْ وَجَدَ قُوَّةً فِي النَّفَقَةِ وَالْجَسَدِ وَالْحُمْلَانِ . قَالَ : وَإِنْ كَانَ فِي
جَسَدِهِ مَا لَا يَسْتَطِيعُ الْحِجَّ ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ الْحِجُّ ، وَإِنْ كَانَ لَهُ قُوَّةٌ فِي مَالٍ ،
كَمَا إِذَا كَانَ صَحِيحَ الْجَسَدِ وَلَا يَجِدُ مَالًا وَلَا قُوَّةً ، يَقُولُونَ : لَا يُكَلِّفُ أَنْ
يَمَشِيَ .

وأولى الأقوالِ في ذلك عندنا بالصوابِ قولُ مَنْ قَالَ يَقُولِ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَعَطَاءُ :
إِنَّ ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ ؛ لِأَنَّ السَّبِيْلَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الطَّرِيقُ . فَمَنْ كَانَ وَاجِدًا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٣/٣ (٣٨٥٨) من طريق أبي بكر الحنفى به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٤/٣ (٣٨٦١) من طريق أبي عبد الرحمن المقرئ به .

طريقًا إلى الحجّ لا مانع له منه ؛ مِنْ زَمَانَةٍ ، أو عجزٍ ، أو عدوّ ، أو قِلَّةِ ماءٍ في طريقه ، أو زادٍ ، وضعفٍ عن المشي ، فعليه فرض الحجّ ، لا يُعْزِئُهُ إِلَّا أَدَاؤُهُ . فإن لم يكن واجدًا سبيلًا - أعنى بذلك : فإن لم يكن مُطيقًا الحجّ بتعدُّرِ بعضِ هذه المعانى التى وَصَفْنَاها عليه - فهو ممن لا يجدُ إليه طريقًا ولا يستطيعه ؛ لأن الاستطاعةَ إلى ذلك هو القدرةُ عليه . ومن كان عاجزًا عنه ببعضِ الأسبابِ التى ذَكَرْنَا أو بغيرِ ذلك ، فهو غيرُ مطيقٍ ولا مُسْتَطِيعٍ إليه السبيل .

وإنما قلنا : هذه المقالةُ أولى بالصحةِ مما خالفها ؛ لأن الله عزَّ وجلَّ لم يَخْصُصْ - [١/٤٣٥ظ] إذ أُلْزِمَ الناسَ فرضَ الحجّ - بعضَ مستطيعي السبيلِ إليه ، بسقوطِ فَرْضِ ذلك عنه . فذلك على كلِّ مستطيعٍ إليه سبيلًا بعمومِ الآية .

فأمَّا الأخبارُ التى رُوِيَتْ عن رسولِ الله ﷺ فى ذلك بأنه الزاؤُ والراحلةُ ، فإنها أخبارٌ فى أسانيدِها نظَّرُ ، لا يجوزُ الاحتجاجُ بمثلها فى الدين .

واختلف القراءَةُ فى قراءةِ «الحجّ» ، فقرأ ذلك جماعةٌ من قراءِ أهلِ المدينةِ والعراقِ بالكسرِ : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾^(١) .

وقرأ ذلك جماعةٌ أُخرى منهم بالفتحِ : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ)^(٢) . وهما لغتان معروفتان للعربِ ، فالكسرُ لغةُ أهلِ نجدٍ ، والفتحُ لغةُ أهلِ العاليةِ ، ولم نَرَ أحدًا من أهلِ العربيةِ ادَّعى فرقًا بينهما فى معنى ولا غيره ، غيرَ ما ذَكَرْنَا مِنْ اختلافِ اللغتين ، إِلَّا ما حَدَّثْنَا به أبو هشامِ الرَّفَاعِيُّ ، قال : قال

(١) وهى قراءة حمزة والكسائى وحفص عن عاصم . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٤ .

(٢) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وأبى بكر عن عاصم ، وابن عامر . المصدر السابق .

حسین^(١) الجُعْفِيُّ : الحَجُّ مفتوح : اسْمٌ ، والحجُّ مكسورٌ : عَمَلٌ .

وهذا قولٌ لم أرَ أهلَ المعرفةِ بلغاتِ العربِ ومعانى كلامِهِم يَعْرِفُونَهُ ، بل رأيتُهُم مُجْمِعِينَ على ما وَصَفْتُ من أَنهما لغتانِ بمعنَى واحدٍ .

والذى نقولُ به فى قراءةِ ذلك : إن القراءتينِ إذ كانتا مستفيضتينِ فى قراءةِ أهلِ الإسلامِ ، ولا اختلافٍ / بينهما فى معنَى ولا غيره ، فهما قراءتانِ قد جاءتا مجيءَ الحُجَّةِ ، فبأى القراءتينِ - أعنى بكسرِ الحاءِ من الحجِّ أو فتحها - قرأ القارئُ ، فمصيبُ الصوابِ فى قراءتهِ .

١٩/٤

وأما ﴿ مِنْ ﴾ التى مع قوله : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ ﴾ . فإنه فى موضعٍ خفيضٍ على الإبدالِ من ﴿ النَّاسِ ﴾ . لأن معنى الكلامِ : وللهِ على مَنْ استطاعِ مِنَ الناسِ سبيلاً إلى حجِّ البيتِ ، حجُّه . فلما تقدّم ذكرُ ﴿ النَّاسِ ﴾ قبلَ ﴿ مِنْ ﴾ ، بيّن بقوله : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ ، الذى عليه فرضُ ذلك منهم ؛ لأنَّ فَوْضَ ذلك على بعضِ الناسِ دونَ جميعِهِم .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٩٧) .

يعنى بذلك جُلُّ ثنائِهِ : وَمَنْ جحد ما أَلزَمه اللهُ مِنْ فرضِ حجِّ بيتهِ ، فَأَنكَرَهُ وكَفَرَ به ، فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عنه وعن حجِّهِ وعَمَلِهِ ، وعن سائرِ خلقِهِ مِنَ الجنِّ والإنسِ .

كما حدّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا عبدُ الواحدِ بنُ زيادٍ ، عن الحجاجِ بنِ أَرْطاةَ ، عن محمدِ بنِ أبى الجَالِدِ ، قال : سَمِعْتُ

(١) فى النسخ : « حسن » . وتقدم فى ١٧٢/١ .

مُقَسَّمًا ، عن ابن عباسٍ في قوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ . قال : مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَيْسَ بِفَرِضٍ عَلَيْهِ ^(١) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحَجَّاجُ ، عَنْ عَطَاءٍ ، وَجُوَيْرٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . قَالَا : مَنْ جَحَدَ الْحَجَّ وَكَفَرَ بِهِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، عَنْ الْحَجَّاجِ بْنِ أَرْطَاةَ ، عَنْ عَطَاءٍ ، قَالَ : مَنْ جَحَدَ بِهِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا عِمْرَانُ الْقَطَّانُ ، يَقُولُ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْحَجَّ لَيْسَ عَلَيْهِ ^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَيْنَانَ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ ، عَنْ عَبَّادٍ ، عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ، قَالَ : مَنْ أَنْكَرَهُ ، وَلَا يَرَى أَنَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَقًّا ، فَذَلِكَ كَفَرٌ ^(٤) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ قَالَ : مَنْ كَفَرَ بِالْحَجِّ .

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يَمَانَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يُونُسَ ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . قَالَ : مَنْ كَفَرَ بِالْحَجِّ كَفَرَ بِاللَّهِ ^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٥/٣ (٣٨٧١) من طريق عاصم بن أبي النجود عن ابن عباس بنحوه .

(٢) ينظر البحر المحيط ١٢/٣ .

(٣) ينظر تفسير البغوي ٧٤/٢ ، والبحر المحيط ١٢/٣ .

(٤) ينظر تفسير البغوي ٧٤/٢ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا يَعْلَى بْنُ أَسَدٍ ، قَالَ : ثنا خَالِدٌ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ ، عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَرَبُّكَ عَلَى النَّاسِ حَزِيمٌ أَلَيْسَتْ مِنْ أَسْطِطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ ﴾ . قَالَ : مَنْ لَمْ يَرَهُ عَلَيْهِ وَاجِبًا ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حذيفة ، قَالَ : ثنا شَيْبٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ قَالَ : بِالْحَجِّ .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ أَلَّا يَكُونَ مَعْتَقِدًا فِي ^(٢) حُجِّهِ أَنْ لَهُ الْأَجْرَ عَلَيْهِ ، وَلَا أَنْ عَلَيْهِ بِتَرْكِهِ إِثْمًا ، وَلَا عَقُوبَةً .

/ ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ /

٢٠/٤

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُثَيْمٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ قَالَ : هُوَ مَا إِنْ حَجَّ لَمْ يَرَهُ بَرًّا ، وَإِنْ قَعَدَ لَمْ يَرَهُ مَائِمًا .

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بِيَّانٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يُونُسَ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : هُوَ مَا إِنْ حَجَّ لَمْ يَرَهُ بَرًّا ، وَإِنْ قَعَدَ لَمْ يَرَهُ مَائِمًا ^(٣) .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا فِطْرٌ ^(٤) ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ نُفَيْعٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ وَرَبُّكَ عَلَى النَّاسِ حَزِيمٌ أَلَيْسَتْ مِنْ أَسْطِطَاعٍ إِلَيْهِ ﴾

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥١٧- تفسير) من طريق هشام بن حسان به .

(٢) بعده في ص : « عمله و » ، وبعده في ت ٢ : « عمله » .

(٣) أخرجه الشافعي ٩٣/٢ ، والبيهقي في معرفة السنن والآثار ٤٦٩/٣ من طريق ابن جريج به ، أخرجه

عبد الرزاق في تفسيره ١٢٨/١ ، وسعيد بن منصور في سننه (٥١٦- تفسير) ، والبيهقي ٣٢٤/٤ من طريق

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

(٤) في م : « مطر » .

سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ . فقام رجلٌ من هُذَيْلٍ ، فقال : يا رسولَ الله ، من تركه كفر؟ قال : « من تركه ولا يخافُ عقوبته ، ومن حجَّ ولا يرجو ثوابه ، فهو ذاك » ^(١) .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . يقولُ : مَنْ كَفَرَ بالحجِّ ، فلم يرَ حجَّه بَرًّا ، ولا تركه مأثمًا ^(٢) .

وقال آخرون : معنى ذلك : وَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : سألتُه عن قوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ [٤٣٦/١] فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . ما هذا الكفر؟ قال : مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهديٍّ ، قال : ثنا سفيانٌ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ في قوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ . قال : من كَفَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ^(٤) .

حدَّثنا يحيى بنُ أبي طالبٍ ، قال : أخبرنا يزيدٌ ، قال : أخبرنا جويبرٌ ، عن

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٥/٣ (٣٨٧٢) ، والبيهقي ٤/٣٢٤ ، من طريق أبي صالح به .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٥/٣ (٣٨٦٨) من طريق عبد الرحمن بن مهدي به .

الضْحَاكِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ . قَالَ :
لَمَا نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجِّ جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الْأَدْيَانِ كُلَّهُمْ ، فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا
النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْحِجَّ فَحُجُّوا » . فَأَمَنَتْ بِهِ مَلَّةٌ وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ
مَنْ صَدَّقَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَمَنَ بِهِ ، وَكَفَّرَتْ بِهِ خَمْسُ مِائِلٍ ، قَالُوا : لَا نُوْمُنُ بِهِ ، وَلَا
نُصَلِّيْ لَهُ ، وَلَا نَسْتَقْبِلُهُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ
الْعَالَمِينَ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو هَانِئٍ ، قَالَ :
سُئِلَ عَامِرٌ عَنْ قَوْلِهِ : ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ . قَالَ : مَنْ كَفَرَ مِنَ الْخَلْقِ ، فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
عَنْهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَيْنَانَ ، قَالَ : ثنا أَبُو حذيفة ، قَالَ : ثنا سفيان ، عن إبراهيم ،
عن محمد بن عباد ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ في قولِ اللَّهِ : ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ .
قَالَ : « مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أبو عاصم ، قَالَ : ثنا عيسى ، عن ابن أبي
نَجِيحٍ ، عن عكرمة مولى / ابن عباس في قولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ
دِينًا﴾ [آل عمران : ٨٥] . فَقَالَتِ الْمَلَلُ : نحن مسلمون . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلِلَّهِ
عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥١٥- تفسير) من طريق جوير به نحوه . وعزاه السيوطي في الدر
المنثور ٥٧/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) ينظر تفسير القرطبي ١٤٨/٤ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٤/٣ (٣٨٦٧) ، والبيهقي في الشعب (٣٩٧٤) من طريق أبي
حذيفة به .

الْعَلَمِينَ ﴿١﴾ . فَحَجَّ الْمُؤْمِنُونَ وَقَعَدَ الْكُفَّارُ ^(١) .

وقال آخرون : معنى ذلك : وَمَنْ كَفَرَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . فَقَرَأَ : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ [آل عمران : ٩٦] . فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ : ﴿ مِنْ أَسْطَعِ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ ﴾ . قَالَ : مَنْ كَفَرَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . لَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ : إِذَا لَمْ يَحُجَّ ، وَكَانَ غَنِيًّا ، وَكَانَتْ لَهُ قُوَّةٌ ، فَقَدْ كَفَرَ بِهَا . وَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ : فَإِنَّا نَكْفُرُ بِهَا وَلَا نَفْعُ . فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) .

وقال آخرون بما حدَّثني إبراهيم بن عبد الله بن مسلم ، قال : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو الضَّرِيرُ ، قَالَ : ثَنَا حَمَادٌ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي بَقِيَّةَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . قَالَ : مَنْ كَفَرَ بِالْبَيْتِ ^(٣) .

وقال آخرون : كَفَرَهُ بِهِ تَرْكُهُ إِتْيَاهَ حَتَّى يَمُوتَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنى أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن

(١) أخرجه البيهقي ٣٢٤/٤ ، ومعرفة السنن والآثار ٤٦٨/٣ ، ٤٦٩ (٢٦٥٢) من طريق ابن أبي نجیح به بنحوه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧/٢ إلى المصنف ، وعبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧/٢ إلى المصنف مختصراً .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

السُّدِّيُّ : أما ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ فَمَنْ وَجَدَ مَا يَحُجُّ بِهِ ، ثُمَّ لَا يَحُجُّ ، فَهُوَ كَافِرٌ ^(١) .
 وأولى التَّأْوِيلَاتِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ : مَعْنَى ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ :
 وَمَنْ جَحَدَ فَرَضَ ذَلِكَ وَأَنْكَرَ وَجُوبَهُ فَإِنَّ اللَّهَ غَنَى عَنْهُ وَعَنْ حُجِّهِ ، وَعَنْ الْعَالِمِينَ
 جَمِيعًا .

وإنما قلنا ذلك أولى به ؛ لأن قَوْلَهُ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ . بِعَقِبِ قَوْلِهِ : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى
 النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . بَأَنْ يَكُونَ خَبِيرًا عَنِ الْكَافِرِ بِالْحَجِّ ،
 أَحَقُّ مِنْهُ بِأَنْ يَكُونَ خَبِيرًا عَنْ غَيْرِهِ ، مَعَ أَنَّ الْكَافِرَ بِفَرْضِ الْحَجِّ عَلَى مَنْ فَرَضَهُ اللَّهُ
 عَلَيْهِ ، بِاللَّهِ كَافِرٌ ، وَأَنَّ الْكَفَرَ أَصْلُهُ الْجُحُودُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ جَاحِدًا ، وَلِفَرْضِهِ مُنْكَرًا ،
 فَلَا شَكَّ إِنْ حَجَّ لَمْ يَرْجُ بِحُجِّهِ بَرًّا ، وَإِنْ تَرَكَه فَلَمْ يَحُجَّ لَمْ يَرَهُ مَأْتَمًا .
 فهذه التَّأْوِيلَاتُ ، وَإِنْ اخْتَلَفَتِ الْعِبَارَاتُ بِهَا ، فَمَتَقَارِبَاتُ الْمَعَانِي .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى
 مَا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٩٨) .

يعنى بذلك : يا معشرَ يهودِ بنى إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ مَنْ يَنْتَحِلُ الدِّيَانَةَ بِمَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كِتَابِهِ ، مَنْ كَفَرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وَجَحَدَ نُبُوَّتَهُ : لَمْ تَجْحَدُونَ
 ﴿ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ ؟ يَقُولُ : لَمْ تَجْحَدُونَ / حُجَّجَ اللَّهُ الَّتِي آتَاهَا مُحَمَّدًا ﷺ فِي
 كِتَابِكُمْ وَغَيْرِهَا ، الَّتِي قَدْ ثَبَّتَتْ عَلَيْكُمْ بِصَدَقِهِ وَنُبُوَّتِهِ حُجَّتُهُ . وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ^(٢) .
 يَقُولُ : لَمْ تَجْحَدُونَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ صَدَقَهُ ؟ فَأَخْبِرْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٧٤/٢ بنحوه ، وذكره أبو حيان في البحر المحيط ١٢/٣ وفيه ، فهذا كفر
 معصية .

(٢) ليس هذا من الآية ، فتمام الآية : ﴿ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾ . ويمكن أن يكون المصنف أورد هذه
 العبارة من عنده ، أو اقتباسًا من الآيات الأخرى ؛ لاعتباره ذلك متسقا مع علم اليهود بصدق النبي ﷺ .

متعمدون الكفر بالله وبرسوله ، على علم منهم ومعرفة من كفرهم .

وقد حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدّي : ﴿ يَأْهَلُ الْكِنَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ : أما آيات الله فمحمد ﷺ .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : ثنا عباد ، عن الحسن في قوله : ﴿ يَأْهَلُ الْكِنَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ . قال : هم اليهود والنصارى ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ يَأْهَلُ الْكِنَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : يا معشر يهود بنى إسرائيل وغيرهم ممن يتنحل التصديق بكتب الله ، ﴿ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يقول : لم تُضِلُّوا عن طريق الله ومحجته التي شرعها لأنبيائه [٤٣٦/١ ظ] وأوليائه وأهل الإيمان ﴿ مَن ءَامَنَ ﴾ يقول : من صدق بالله ورسوله وما جاء به من عند الله ، ﴿ تَبِعُونَهَا عِوَجًا ﴾ يعنى : تبغون لها عوجًا .

والهاء والألف اللتان في قوله : ﴿ تَبِعُونَهَا ﴾ عائدتان على ﴿ سَبِيلِ ﴾ ، وأنتها لتأنيث السبيل .

ومعنى قوله : ﴿ تَبِعُونَهَا عِوَجًا ﴾ ^(٢) . من قول الشاعر ، وهو سُحَيْمُ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ ^(٣) :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٦/٣ (٣٨٨٠) من طريق أبي بكر به .

(٢ - ٢) كذا في النسخ ، ولعل الصواب : تبغونها عوجا : تطلبون لها عوجا .

(٣) تقدم تخريجه في ٥٠٢/٣ . (تفسير الطبرى ٤٠/٥)

بِعَاكَ وَمَا تَبَغِيهِ حَتَّى وَجَدْتُهُ كَأَنَّكَ قَدْ وَاَعَدْتَهُ أَمْسٍ مَوْعِدًا
يعنى : طَلَبْتُكَ وَمَا تَطَلَّبْتُهُ .

يقال : ابغى كذا . يُرَادُ : ابْتَغَاهُ لى . فإِذَا أَرَادُوا : أَعْنَى عَلَى طَلْبِهِ وَابْتِغَاهُ مَعَى .
قالوا : أَبِغْنِي . بفتح الألف . وكذلك يقال : اخليتنى . بمعنى : اكفنى الحلب .
وأخليتنى : أعنى عليه . وكذلك جميع ما ورد من هذا النوع فعلى هذا .

وأما العَوْجُ فهو الأَوْذُ والمَيْلُ . وإنما يعنى بذلك الضلالَ عن الهدى . يقولُ جلُّ
ثناؤُهُ : لَمْ تُصَدُّوا عَنْ دِينِ اللَّهِ مَنْ صَدَّقَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، تَبْغُونَ دِينَ اللَّهِ أَعْوَجَاجًا عَنْ
سُنَّتِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ .

وخرج الكلامُ على « السبيلِ » والمعنى لأهله . كأن المعنى : تَبْغُونَ لِأَهْلِ دِينِ
اللَّهِ وَلَنْ هُوَ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ ، ﴿ عَوْجًا ﴾ . يقولُ : ضلالًا عن الحقِّ ، وَرِيقًا عَنْ
الاستقامةِ على الهدى والمحنةِ .

والعَوْجُ بكسر أوله : الأَوْذُ فى الدينِ والكلامِ . والعَوْجُ بفتح أوله : المَيْلُ فى
الحائِطِ والقناةِ وكلِّ شَيْءٍ مُنْتَصِبٍ قَائِمٍ .

وأما قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ﴾ . فإنه يعنى : شهداء على أن الذى تُصَدُّون
عنه من السبيلِ حقٌّ ، تعلمونه وتجدونه فى كتبكم . ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .
يقولُ : ليس اللهُ بغافلٍ عن أعمالكم التى تَعْمَلُونَهَا / مما لا يَرْضَاهُ لعباده ، وغير^(١)
ذلك من أعمالكم ، حتى يُعَاجِلْكُمْ بالعقوبةِ عليها مُعَجَّلَةً ، أَوْ يُؤَخِّرْ ذَلِكَ لَكُمْ حَتَّى
تَلْقَوْهُ فَيُجَازِيَكُمْ عَلَيْهَا .

٢٣/٤

وقد ذُكِرَ أَنَّ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِنَانِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِبَايَاتِ

(١) فى ص ، ت ١ : « عن » .

اللَّهِ ﴿ وَالْآيَاتِ بَعْدَهُمَا ^(١) ، إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَأُولَئِكَ ^(٢) لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ . نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ ، حَاوَلَ الْإِغْرَاءَ بَيْنَ الْحَيَّتَيْنِ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ ، لِيُرَاجِعُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْبُغْضَاءِ ، فَعَنَّفَهُ اللَّهُ بِفَعْلِهِ ذَلِكَ ، وَقَبَّحَ لَهُ مَا فَعَلَ ، وَوَبَّخَهُ عَلَيْهِ ، وَوَعَّظَ أَيْضًا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْإِفْتِرَاقِ وَالْإِخْتِلَافِ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْإِجْتِمَاعِ وَالْإِثْلَافِ .

ذِكْرُ الرِّوَايَةِ بِذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ثنى الثَّقَةُ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، قَالَ : مرَّ شَأْسُ بْنُ قَيْسٍ - وَكَانَ شَيْخًا قَدِ عَسَا ^(٣) فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، عَظِيمَ الْكُفْرِ ، شَدِيدَ الضُّغْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، شَدِيدَ الْحَسَدِ لَهُمْ - عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ، فِي مَجْلِسٍ قَدْ جَمَعَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ ، فَعَاظَهُ مَا رَأَى مِنْ جَمَاعَتِهِمْ وَأُلْفَتِهِمْ ، وَصَلَّاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ ، بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ : قَدْ اجْتَمَعَ مَلَأُ بَنِي قَيْلَةَ ^(٤) بِهَذِهِ الْبِلَادِ ، لَا ^(٥) وَاللَّهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعَ مَلَأُ هُمْ بِهَا مِنْ قَرَارٍ . فَأَمَرَفْتِي شَابًا مِنْ يَهُودَ ، وَكَانَ مَعَهُ ^(٦) ، فَقَالَ : اعمِدْ إِلَيْهِمْ ، فَاجْلِسْ مَعَهُمْ ، وَذَكِّرْهُمْ يَوْمَ بُعَاثٍ وَمَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَنْشِدْهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنَ الْأَشْعَارِ . وَكَانَ يَوْمَ بُعَاثٍ يَوْمًا اقْتَتَلَتْ

(١) فِي ت ١ : « بَعْدَهُمَا » .

(٢ - ٢) فِي النُّسخِ : « فَأُولَئِكَ » . وَالمُثَبَّتِ قِرَاءَةُ الْآيَةِ .

(٣) فِي ص ، ت ١ : « عَسَا » . وَعَسَا وَعَسَا : أَسْنُ وَكَبِيرٌ وَوَلِيُّ . اللِّسَانُ (ع ت و ، ع س و) .

(٤) بَنُو قَيْلَةَ : الْأَنْصَارُ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ، وَقَيْلَةُ اسْمُ أُمِّ لَهُمْ قَدِيمَةٌ ، وَهِيَ قَيْلَةُ بِنْتُ كَاهِلٍ ، قَضَاعِيَّةٌ ، وَيُقَالُ :

بِنْتُ جَفْنَةَ . غَسَانِيَّةٌ . يَنْظُرُ اللِّسَانُ وَالتَّاجُ (ق ي ل) ، وَجَمْهَرَةُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ لِابْنِ حَزْمٍ ص ٣٣٢ .

(٥) سَقَطَ مِنْ : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٦) فِي سِيْرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : « مَعَهُمْ » .

فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ، ففعل . فتكلم القوم عند ذلك ، فتنازعوا وتفاخروا ، حتى تَوَاتَبَ رجلان من الحيين على الركب ؛ أوس بن قَيْظِي ، أحد بني حارثة بن الحارث ، من الأوس ، وجَبَّارُ بنُ صخر ، أحد بني سلمة من الخزرج ، فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم والله رَدَدْنَاهَا الْآنَ جَذَعَةً^(١) . وغضب الفريقان ، وقالوا : قد فعلنا ، السلاح السلاح ، موعدكم الظاهرة . والظاهرة الحرة . فخرجوا إليها ، وتَحَاوَزَ^(٢) الناس ، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض ، والخزرج بعضها إلى بعض ، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج إليهم في من معه من المهاجرين من أصحابه ، حتى جاءهم ، فقال : « يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدو الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بينكم ، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً ؟ فعرف القوم أنها نزعَةٌ من الشيطان ، وكيدٌ من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم ، وبكوا ، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيدَ عدوِّ الله شأس بن قيس وما صنع ، فأنزل الله في شأس بن قيس وما صنع : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ / يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴿٩٩﴾ الآية . وأنزل الله عز وجل في أوس بن قَيْظِي وجَبَّارِ بن

٢٤/٤

(١) أعدت الأمر جذعاً : جديداً كما بدأ . التاج (ج ذ ع) .

(٢) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «تحاور» ، وقد سقط هذا الحديث بطوله وبقرة بعده من «س» . وتحاوروا : تراجعوا الكلام بينهم ، وتجادلوا . وتَحَاوَزَ الفريقان في الحرب : انحاز كل واحد منهما عن الآخر . وواضح من هنا بُعْدُ معنى التحاور - بالراء - عن السياق وغرابته ، لذا أثبتناها بالزاي . وينظر التاج (ح و ر ، ح و ز) .

صخري ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا ، الَّذِينَ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا عَمَّا ^(١) أَذْخَلَ عَلَيْهِمْ شَأْسُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ يُرَدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ . إلى قوله : ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ^(٢) .

وقيل : إنه عَنَى بقوله : ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ﴾ [١/٣٧٧و٤] لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿جماعةً يهودَ بنى إسرائيلَ الذين كانوا بينَ أظْهُرِ مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَيَّامَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتِ ، وَالنَّصَارَى ، وَأَنْ صَدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَانَ بِإِخْبَارِهِمْ مَنْ سَأَلَهُمْ عَنْ أَمْرِ نَبِيِّ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : هَلْ يَجِدُونَ ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِمْ ؟ أَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ نَعْتَهُ فِي كِتَابِهِمْ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ : ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبَغُّوْنَهَا عِوَجًا﴾ : كانوا إذا سألهم أحدٌ : هل تجدون محمدًا ؟ قالوا : لا . فصدوا عنه الناس . وبغوا محمدًا عِوَجًا : هلاكًا ^(٣) .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿يَتَأْهَلُ

(١) في م : «مما» .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٥٥ - ٥٥٧ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧١٦ ، ٧١٨ (٣٨٧٨) ، ٣٨٩٣ من طريق سلمة به مختصرًا جدًا ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٥٧ ، ٥٨ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧١٧ (٣٨٨٤) من طريق أحمد بن الفضل به .

الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١﴾ . يقول : لَمْ تَصُدُّونَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَعَنِ نَبِيِّ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ فِيمَا تُقْرَعُونَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّ الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ غَيْرَهُ ، وَلَا يَجْزِي إِلَّا بِهِ ، تَجِدُونَهُ ^(١) مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ ^(٢) فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ^(٣) ؟

حَدَّثَنِي الْمُتَنِّي ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ نَحْوَهُ ^(٤) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ ، قَالَ : ثنا عَبَّادٌ ، عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . قَالَ : هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، نَهَاهُمْ أَنْ يَصُدُّوا الْمُسْلِمِينَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَغْدِلُوا النَّاسَ إِلَى الضَّلَالَةِ ^(٥) .

فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ عَلَى مَا قَالَه ^(٦) الشَّدِيُّ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، لَمْ تَصُدُّونَ عَنِ مُحَمَّدٍ ، وَتَمْتَعُونَ مِنْ أَتْبَاعِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ ؛ بِكُتْمَانِكُمْ صِفَتَهُ الَّتِي تَجِدُونَهَا فِي كِتَابِكُمْ . وَمُحَمَّدٌ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ هُوَ السَّبِيلُ . ﴿ تَبَغُّونَهَا عِوَجًا ﴾ : تَبْغُونَ مُحَمَّدًا هَلَاكًا .

وَأَمَّا سَائِرُ الرِّوَايَاتِ غَيْرِهِ ، وَالْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ نَحْوُ التَّأْوِيلِ الَّذِي بَيَّنَّاهُ

(١) فِي ت ٢ ، وَالدر المَشُور : « يَجِدُونَهُ » .

(٢) فِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وَالدر المَشُور : « عِنْدَهُمْ » .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧١٧/٣ عَقِبَ الْأَثَرِ (٣٨٨٣) مَعْلَقًا مَخْتَصِرًا ، وَعَزَاهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدر المَشُور ٥٨/٢ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧١٧/٣ (٣٨٨٣) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ نَحْوَهُ مَخْتَصِرًا .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧١٧/٣ مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرِ الْخَنْفِيِّ بِهِ مَخْتَصِرًا .

(٦) فِي ص ، ت ٢ : « قَالَ » .

قبل ، من أن معنى السبيل التي ذكرها في هذا الموضع الإسلام ، وما جاء به محمد من الحق من عند الله .

القول في تأويل قوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ (١٠٠) .

اختلف أهل التأويل في من عني بذلك ؛ فقال بعضهم : عني بقوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الأوس والخزرج ، وبـ ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ : شأس بن قيس اليهودي . على ما قد ذكرنا قبل من خبره عن زيد بن أسلم^(١) .

/ وقال آخرون في من عني بـ ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ مثل قول زيد بن أسلم ، غير ٢٥/٤ أنهم قالوا : الذي جرى الكلام بينه وبين غيره من الأنصار حتى هموا بالقتال ، ووجد اليهودي به معمرًا فيهم ، ثعلبة بن عَنَمَةَ^(٢) الأنصاري .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ : قال : نزلت في ثعلبة بن عَنَمَةَ^(٣) الأنصاري ؛ كان بينه وبين أناس من الأنصار كلام ، فمشى بينهم يهودي من قَيْنُقَاع ، فحمل بعضهم على بعض^(٣) ، حتى همت الطائفتان من الأوس والخزرج أن يحملوا السلاح فيقتاتلوا ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِن تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

(١) هو الأثر المتقدم في الصفحة السابقة .

(٢) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « عنمة » . بالغين . وينظر أسد الغابة ١ / ٢٩١ ، والإصابة ١ / ٤٠٦ .

(٣) حملت على بنى فلان : إذا أرشئت بينهم . التاج (ح م ل) . والمعنى هنا : الإيقاع والإفساد بينهم .

كُفْرِينَ ﴿١﴾ . يقول : إن حملتم السلاح فاقْتُلْتُمْ كفرتم^(١) .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا جعفر^(٢) بن سليمان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد في قوله : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ قال : كان جماع قبائل الأنصار بطنيين ؛ الأوس والخزرج ، وكان بينهما في الجاهلية حربٌ ودماءٌ وشنانٌ ، حتى من الله عليهم بالإسلام وبالنبي ﷺ ، فأطفأ الله الحرب التي كانت بينهم ، وألف بينهم بالإسلام . قال : فبينما رجلٌ من الأوس ورجلٌ من الخزرج قاعدان يتحدَّثان ، ومعهما يهودى جالسٌ ، فلم يزل يُذكِّرهما أيامهما ، والعداوة التي كانت بينهما ، حتى استبَّأ ، ثم اقتتلا . قال : فنادى هذا قومه ، وهذا قومه ، فخرجوا بالسلاح ، وصف بعضهم لبعض . قال : ورسول الله ﷺ شاهدٌ يومئذ بالمدينة ، فجاء رسول الله ﷺ ، فلم يزل يمشى بينهم إلى هؤلاء وإلى هؤلاء ؛ ليسكنهم^(٣) ، حتى رجعوا ووضعوا السلاح ، فأنزل الله عز وجل القرآن في ذلك : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(٤) .

فتأويل الآية : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، وأقروا بما جاءهم به نبيهم ﷺ من عند الله ، إن تطيعوا جماعةً ممن يتنحل الكتاب من أهل التوراة والإنجيل ، فتقبلوا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٨/٣ ، ٧١٩ ، ٧١٩ (٣٨٩٢ ، ٣٨٩٧) من طريق أحمد بن المفضل به مختصراً .

(٢) في تفسير عبد الرزاق : « معمر » خطأ . وينظر تهذيب الكمال ٤٣/٥ .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « فيسكنهم » ، وفي تفسير عبد الرزاق : « يسكنهم » . والمثبت موافق لما في تفسير ابن أبي حاتم .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٨ ، ١٢٩ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٩/٣ (٣٨٩٤) عن الحسن

منهم ما يأمرونكم به ، يُضِلُّوكُمْ فَيُزِدُّوكُمْ بَعْدَ تَصْدِيقِكُمْ رَسُولَ رَبِّكُمْ ، وَبَعْدَ إِقْرَارِكُمْ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ ﴿ كَافِرِينَ ﴾ . يقول : جاحدين لما قد آمنتم به وصدقتموه من الحق الذي جاءكم من عند ربكم . فنهاهم جل ثناؤه أن يتصحوهم ويقبلوا منهم رأياً أو مشورةً ، ويُعلمهم تعالى ذكره أنهم لهم منطون على غلّ وغشّ وحسد وبغضاء^(١) .

[٤٣٧/١ ظ] كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يُرِدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ : قد تقدّم الله إليكم فيهم كما تسمعون ، وحذركم وأنبأكم بضلاليتهم ، فلا تأمنوهم على دينكم ، ولا تتصحوهم على أنفسكم ، فإنهم الأعداء الحسدة الضلال ، كيف تأتمنون قوماً كفروا بكتابتهم ، وقتلوا رسلهم ، وتخيروا في دينهم ، وعجزوا عن أنفسهم ؟ أولئك والله هم أهل التهمة والعداوة^(٢) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله^(٣) .

/ القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدِ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١١١) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ أيها المؤمنون بعد إيمانكم بالله وبرسوله ، فترتدوا على أعقابكم ، ﴿ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ ﴾ . يعنى : حجج

(١) فى م : « بغض » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٨/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٩/٣ (٣٨٩٥) من طريق عبد الله بن أبى جعفر به .

اللَّهُ عَلَيْكُمْ الَّتِي أَنْزَلَهَا فِي كِتَابِهِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، ﴿ وَفِيكُمْ رَسُولٌ ﴾ حُجَّةٌ أُخْرِجَ عَلَيْكُمْ لِلَّهِ ، مع أي كتابه ، يدعوكم جميعاً ذلك إلى الحقِّ ، ويُصِرُّكم الهدى والرشادَ ، ويُنْهَاطكم عن الغيِّ والضلالِ . يقول لهم تعالى ذكره : فما وجه عذركم^(١) عند ربِّكم في جحودكم نبوةَ نبيِّكم ، وارتدادكم على أعقابكم ، ورجوعكم إلى أمرِ جاهليَّتكم ، إن أنتم راجعتم ذلك وكفرتُم ، وفيه هذه الحجج الواضحة ، والآيات^(٢) البينة على خطأ فعلكم ذلك إن فعلتموه .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ الآية : عَلَّمانِ بَيْنَانِ ؛ وَجَدَانِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ ، وَكِتَابِ اللَّهِ ؛ فَأَمَّا نَبِيُّ اللَّهِ فَمَضَىٰ ﷺ ، وَأَمَّا كِتَابُ اللَّهِ فَأَبْقَاهُ اللَّهُ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ، فِيهِ حَلَالُهُ وَحَرَامُهُ ، وَطَاعَتُهُ وَمَعْصِيَتُهُ^(٣) .

وأما قوله : ﴿ وَمَنْ يَعْصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . فإنه يعني : وَمَنْ يَتَعَلَّقْ بِأَسْبَابِ اللَّهِ ، وَيَتَمَسَّكْ بِدِينِهِ وَطَاعَتِهِ ، ﴿ فَقَدْ هُدِيَ ﴾ . يقول : فقد وُفِّقَ لطريقٍ واضحٍ ، ومحجَّةٍ مستقيمةٍ غيرِ مُعَوَّجَةٍ ، فيستقيمُ به إلى رضا الله ، وإلى النجاة من عذابِ الله ، والفوزِ بجنَّته .

كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ قوله : ﴿ وَمَنْ يَعْصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ ﴾ . قال : يؤمن بالله^(٤) .

(١ - ١) في ص : « وحد عدوكم » ، وفي ت ١ : « وجد عدوكم » .

(٢) في ص ، ت ١ : « الأيام » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٠/٣ (٣٨٩٩) من طريق شيبان ، عن قتادة ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٨/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٠/٣ (٣٩٠١) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٨/٢ إلى ابن المنذر .

وأصل العَصْمِ المنع . فكلُّ مانعٍ شيئاً فهو عاصِمْهُ ، والمُنْتَبِغُ به مُعْتَصِمٌ به . ومنه قولُ الفَرَزْدَقِ ^(١) :

أنا ابنُ العاصِمِينَ بنى تَمِيمٍ إذا ما أَعْظَمُ الحَدَثَانِ نَابَا
ولذلك قيل للحبيلِ : عِصَامٌ . وللسببِ الذي يَنْسَبُ به الرجلُ إلى حاجته :
عِصَامٌ . ومنه قولُ الأعشى ^(٢) :

إلى المَرْءِ قَيْسٍ أُطِيلُ الشَّرَى ^(٣) وَأَخْذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عُصْمٌ

يعنى بالعصمِ الأسبابُ ؛ أسبابُ الذمِّ والأمانِ . يقالُ منه : اعْتَصَمْتُ بحبيلٍ
من فلانٍ ، واعتصمْتُ حبلاً منه ، واعتصمْتُ به ، واعتصمته . وأفصحُ اللغتين
إدخالُ الباءِ ، كما قال عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ . وقد جاء :
اعتصمته . كما قال الشاعر ^(٤) :

/ إذا أَنْتَ جازَيْتَ الإِخَاءَ بِمِثْلِهِ وَأَسَيْتَنِي ثُمَّ اعْتَصَمْتَ حِبَالِيَا ٢٧/٤
فقال : اعتصمْتَ حِبَالِيَا . ولم يُدْخِلِ الباءَ . وذلك نظيرُ قولهم : تناولتُ
الحِطَامَ ، وتناولتُ بالخطامِ ، وتعلَّقتُ به ، وتعلَّقتُهُ . كما قال الشاعر ^(٥) :
تَعَلَّقْتُ هندا نَاشِئًا ^(٦) ذاتِ مِثْرَيرٍ وَأَنْتَ وَقَدِ قَارَفْتَ ^(٧) لَمْ تَدْرِ ما الحِلْمُ

(١) ديوانه ص ١١٥ .

(٢) ديوانه ص ٣٧ .

(٣) الشَّرَى : سيرُ الليلِ عامته ، وقيل : سيرُ الليلِ كله . يُذَكَّرُ وَيؤنَّثُ . اللسان (س ر ي) .

(٤) معاني القرآن للفراء ١/ ٢٢٨ .

(٥) معاني القرآن للفراء ١/ ٢٢٨ .

(٦) الناشئُ : فوقِ المحتلمِ ، وقيل : هو الغلامُ والجاريةُ وقد جاوزا حدَ الصغرِ ، وكذلك الأُنثى ناشئٌ .
التاج (ن ش أ) .

(٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فارقت » . وقارفت : قاربت . التاج (ق ر ف) .

وقد بيّنا^(١) معنى « الهدى » و« الصراط » ، وأنه معنيٌّ به الإسلام ، فيما مضى قبل بشواهد ، فكرهنا إعادته في هذا الموضوع^(٢) .

وقد ذُكر أن الذي نزل في سبب تحاؤز^(٣) القبيلين^(٤) ؛ الأوس والخزرج ، كان من^(٥) قوله : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا حسن بن عطية ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن الأغرّ ابن الصّباح ، عن خليفة بن حصين ، عن أبي نصر ، عن ابن عباس ، قال : كانت الأوس والخزرج بينهم حرب في الجاهلية^(٦) كل شهر^(٧) ، فبينما هم جلوس إذ ذكروا ما كان بينهم حتى غضبوا ، فقام بعضهم إلى بعض بالسلاح ، فنزلت هذه الآية : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ إلى آخر الآيتين ، ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ﴾ إلى آخر الآية^(٨) .

القول في تأويل قوله : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٩) .

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بينت » .

(٢) ينظر ما تقدم في ١٦٥/١ وما بعدها .

(٣) في النسخ : « تحاور » . وينظر ما تقدم في ص ٦٢٨ .

(٤) في م : « القبيلتين » . والقبيل : كالقبيلة . ينظر اللسان (ق ب ل) .

(٥) في م : « منه » .

(٦ - ٦) كذا في النسخ ، وفي تفسير ابن أبي حاتم : « كل شيء » ، وفي تفسير القرطبي : « قتال وشر » ، وفي

الدر المنثور : « بينهم شر » .

(٧) أخرجه الفريابي ومن طريقه الطبراني (١٢٦٦٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٠/٣ (٣٨٩٨) من

يعنى بذلك جل ثناؤه : يا معشر من صدق الله ورسوله ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ : خافوا الله وراقبوه بطاعته واجتناب معاصيه ، ﴿ حَقَّ تَقَاتِيهِ ﴾ : حق خوفه ، وهو أن يطاع فلا يُعصى ، ويُشكر فلا يُكفر ، ويُذكر فلا يُنسى ، ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ ﴾ أيها المؤمنون بالله ورسوله ﴿ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ لربكم ، مُذْعِنُونَ له بالطاعة ، مخلصون له الألوهة^(١) والعبادة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد [٤٣٨/١] الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، وحدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : / أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ٢٨/٤ زبيد ، عن مرة ، عن عبد الله : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِيهِ ﴾ . قال : أن يطاع فلا يُعصى ، ويُذكر فلا يُنسى ، ويُشكر فلا يُكفر^(٢) .

حدَّثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن زبيد ، عن مرة ، عن عبد الله مثله^(٣) .

= طريق قيس بن الربيع به نحوه ، وأخرجه البخارى فى الكبير ٧٦/٩ ، والطبرانى (١٢٦٦٧) من طريق الأغر ابن الصباح به بلفظ : كان بين الأوس والخزرج . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٨/٢ إلى ابن المنذر . وينظر تفسير القرطبي ١٥٦/٥ .

(١) فى م : « الألوهية » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٩ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٢/٣ (٣٩٠٨) من طريق عبد الرحمن به ، وأخرجه الطبرانى (٨٥٠٢) ، وابن مردويه فى تفسيره - كما فى تفسير ابن كثير ٧٢/٢ من طريق الفريايى وابن وهب عن الثوري ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٩/٢ إلى عبد بن حميد والفريايى وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٢/٣ (٣٩٠٨) من طريق عبد الرحمن به ، وابن المبارك فى الزهد (٢٢) عن شعبة به .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : ثنا شُعْبَةُ ، عَنْ زُيَيْدٍ ، عَنْ مَرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَأَبُو السَّائِبِ ، قَالَا : ثنا ابْنُ إِدْرِيسَ ، قَالَ : سَمِعْتُ لَيْثًا ، عَنْ زُيَيْدٍ ، عَنْ مَرَّةَ بْنِ شَرَّاحِيلَ الْبَكِيلِيِّ ^(١) ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مِثْلَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الْحِجَاجُ بْنُ الْمِنْهَالِ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ زُيَيْدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا مِشْعَرٌ ، عَنْ زُيَيْدٍ ، عَنْ مَرَّةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عَنْ الْمَسْعُودِيِّ ، عَنْ زُيَيْدِ الْإِيَامِيِّ ^(٤) ، عَنْ مَرَّةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ زُيَيْدٍ ، عَنْ مَرَّةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَيْنَانَ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى ، عَنْ ^(٦) سَفْيَانَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ : ﴿ اَتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ . قَالَ : أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى ، وَيُشْكَرَ

(١) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « الهمداني » . وكتاهما صواب ، ينظر تهذيب الكمال ٣٧٩ / ٢٧ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٢٩٧ / ١٣ ، ٢٩٨ عن ابن إدريس به .

(٣) أخرجه الطبراني (٨٥٠١) ، والحاكم ٢ / ٢٩٤ من طريق أبي نعيم به .

(٤) في ت ٢ : « اليامي » . وكتاهما صواب . ينظر تهذيب الكمال ٢٨٩ / ٩ .

(٥) أخرجه النحاس في ناسخه ص ٢٨١ من طريق المسعودي به .

(٦) في النسخ : « بن » . وينظر تهذيب الكمال ٣٢٣ / ٢٥ ، ٢٤٥ / ٣١ .

فلا يُكْفَرُ، ويُذَكَّرُ فلا يُنْسَى^(١).

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمونٍ نحوه.

حدَّثنا ابنُ المثنى، قال: ثنا يحيى بنُ سعيدٍ، قال: ثنا شعبةٌ، قال: ثنا عمرو بنُ مرةٍ،^(٢) عن مرةٍ^(٢)، عن الربيعِ بنِ خُثَيْمٍ^(٣) قال: أن يطاعَ فلا يُعْصَى، ويُشكَّرَ فلا يُكْفَرُ، ويُذَكَّرَ فلا يُنْسَى^(٤).

حدَّثنا المثنى، قال: ثنا أبو داودَ، قال: ثنا شعبةٌ، عن عمرو بنِ مرةٍ، قال: سَمِعْتُ مرَّةً الهَمْدَانِيَّ يُحَدِّثُ عن الرَّبِيعِ بنِ خُثَيْمٍ في قولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾. فذَكَرَ نحوه.

حدَّثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفةَ، قال: ثنا شبلٌ، عن قيسِ بنِ سعيدٍ، عن طاووسٍ: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾: أن يُطَاعَ فلا يُعْصَى^(٥).

حدَّثني محمدُ بنُ سِنَانٍ، قال: ثنا أبو بكرٍ الحَنْفِيُّ، قال: ثنا عَبَّادٌ، عن الحسنِ في قوله: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾. قال: حقُّ تَقَاتِهِ أن يُطَاعَ

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٢/٣ عقب الأثر (٣٩٠٨) معلقًا، وينظر تفسير ابن كثير ٧٢/٢.

(٢) - (٢) سقط من: م.

(٣) في م: «خثيم».

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٢/٣ عقب الأثر (٣٩٠٨) معلقًا.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٣/٣ (٣٩١٣) من طريق أبي حذيفة به.

فلا يُعصَى^(١) .

حدّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن الشّدّيّ : ثم تقدّم إليهم - يعنى إلى المؤمنين من الأنصارِ - فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ : أما حقُّ تقاتِهِ ؛ يُطاعُ فلا يُعصى ، ويُذكَرُ فلا يُنسى ، ويُشكَّرُ فلا يُكفَّرُ^(٢) .

حدّثني المثنى ، قال : ثنا حجّاجُ بنُ المنهالِ ، قال : ثنا همّامُ ، عن قتادة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ : أن يُطاعَ فلا يُعصى . قال : ﴿ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٣) .

وقال آخرون : بل تأويلُ ذلك كما حدّثني به المثنى ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ صالح ، قال : ثنى معاويةُ ،/ عن عليّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ . قال : حقُّ تقاتِهِ أن يجاهدَ^(٤) فى^(٥) اللهِ حقَّ جهادِهِ ، ولا يأخذَهُم^(٦) فى اللهِ لومةٌ لائمٌ ، ويقوموا^(٧) لله بالقسطِ ولو على^(٨) أنفسهم وآبائِهِم وآبائِهِم^(٨) .

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٢/٣ عقب الأثر (٣٩٠٨) .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٢/٣ عقب الأثر (٣٩٠٨) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

(٣) أخرجه النحاس فى الناسخ والمنسوخ ص ٢٨١ ، ٢٨٢ من طريق شيبان عن قتادة به .

(٤) فى م ، والدر المنثور : « يجاهدوا » ، وفى ت ١ : « تجاهدوا » ، والمثبت موافق لما فى تفسير ابن أبى حاتم والناسخ والمنسوخ ، وينظر الأثر الآتى فهو نفسه .

(٥) بعده فى م ، وتفسير ابن أبى حاتم : « سبيل » .

(٦) فى الناسخ والمنسوخ : « تأخذكم » ، وفى الدر المنثور : « تأخذهم » .

(٧) فى الناسخ والمنسوخ : « وتقوموا » .

(٨ - ٨) فى الناسخ والمنسوخ : « آبائكم وآبائكم » ، وفى الدر المنثور : « أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم » . =

ثم اختلف أهل التأويل في هذه الآية ؛ هل هي منسوخة أم لا ؟ فقال بعضهم : هي مُحْكَمَةٌ غيرُ منسوخة .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالح ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالح ، عن عليّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ : إنها لم تُنسخ ، ولكن حقّ تقاّته أن يُجاهد^(١) في الله حقّ جهاده . ثم ذكر تأويله الذي ذكرناه عنه آنفاً .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن قيس بنِ سعيد ، عن طاوسٍ : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ : فإن لم تفعلوا ولم تستطعوا فلا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون^(٢) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابنِ جريج ، قال : قال طاوسٌ : قوله : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . يقول : إن لم تتقوه ، فلا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون .

وقال آخرون : هي منسوخة ، نسخها قوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾

[التغابن : ١٦] .

= والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٢/٣ (٣٩١٠) ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٢٨٣ ، وابن الجوزي في نواسخه ص ٢٤٤ من طريق أبي صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٩/٢ إلى ابن المنذر . (١) في م : « تجاهد » .

(٢) تنمة الأثر المتقدم في ص ٦٣٩ ، وليس في الإسناد ذكر ابن أبي نجيح ، وكذا فيما سيأتي في ص ٦٤٣ ، وهو الموافق لما في تفسير ابن أبي حاتم . (تفسير الطبري ٤١/٥)

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ، قال : ثنا يزيدٌ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قوله : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ : ثم أنزل التحفيفَ واليسرَ، وعاد بعائِدته ورحمته على ما يعلَم من ضَعْفِ خَلْقِهِ، فقال : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ . فجاءت هذه الآية فيها تخفيفٌ وعافيةٌ ويسرٌ^(١) .

حدَّثني المنثى ، قال : ثنا الحجاجُ بنُ المنهالِ الأَمامطى ، قال : ثنا همامٌ، عن قتادةَ : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ . قال : نسختها هذه الآيةُ التى فى «التَّغَابِينِ» : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾ . وعليها بايَع رسولُ اللهِ ﷺ ؛ على السمعِ والطاعةِ فيما استطاعوا .

حدَّثني المنثى ، قال : ثنا إسحاقٌ ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، قال : لما نزلتْ : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ ، ثم نزل بعدها : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ . فنسخت هذه الآيةُ [٤٣٨/١ ظ] التى فى «آلِ عِمْرَانَ»^(٢) .

حدَّثنا محمدٌ ، قال : ثنا أحمدٌ ، قال : ثنا أسباطٌ ، عن السُّدى : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ : فلم يُطِقِ الناسُ هذا ،

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/٢٩٥ عن معمر ، عن قتادة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٥٩ إلى عبد بن حميد وأبى داود فى ناسخه والمصنف .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧٢٢ عقب الأثر (٣٩١١) من طريق ابن أبى جعفر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٥٩ إلى المصنف .

فَنَسَخَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فقال : ﴿ فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾^(١) .

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا / أَنْقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ . قال : جاء أمرٌ شديدٌ ، قالوا^(٢) : وَمَنْ يَعْرِفُ قَدْرَ هَذَا أَوْ يَتَلَعُّهُ ؟ فلما عَرَفَ أنه قد اشْتَدَّ ذلك عليهم ، نَسَخَهَا عَنْهُمْ ، وجاء بهذه الأخرى ، فقال : ﴿ فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ فنسخها .

وأما قوله : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . فإن تأويله كما حدَّثني المثنى ،

قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبلى ، عن قيس بن سعيد ، عن طاوس : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . قال : على الإسلام وعلى حرمة الإسلام^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وتعلّقوا بأسبابِ الله جميعًا . يريدُ بذلك تعالى ذكره : وتمسّكوا بدينِ الله الذى أمرَكم به ، وعهده الذى عهدته إليكم فى كتابه إليكم ، من الألفة والاجتماعِ على كلمة الحقِّ ، والتسليمِ لأمرِ الله .

وقد دلّلنا فيما مضى قبل على معنى الاعتصام .

وأما الحبلُ ؛ فإنه السببُ الذى يُوصَلُ به إلى البُعِيَةِ والحاجةِ . ولذلك سُمِّيَ الأمانُ حبلًا ؛ لأنه سببٌ يُوصَلُ به إلى زوالِ الخوفِ ، والنجاةِ من الجَزَعِ والذعرِ . ومنه قولُ أعشى بنى ثعلبة^(٤) :

(١) أخرجه ابن الجوزى فى نواسخه ص ٢٤٣ من طريق أحمد بن المفضل به ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٢/٣ عقب الأثر (٣٩١١) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قال » ، وفى س : « فقال » .

(٣) تنمة الأثر المتقدم فى ص ٦٣٩ ، وينظر ص ٦٤١ .

(٤) ديوانه ص ٢٩ .

وَإِذَا تَجَمَّزُواهَا حَبَالُ قَبِيلَةٍ أَخَذَتْ مِنَ الْأُخْرَى إِلَيْكَ حَبَالَهَا^(١)
 ومنه قول الله عز وجل: ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مَنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مَنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران:
 . [١١٢]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أَخْبَرَنَا الْعَوَّامُ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ،
 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ . قَالَ :
 الْجَمَاعَةُ^(٢) .

٣١/٤ / حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، عَنِ الْعَوَّامِ ، عَنِ
 الشَّعْبِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ . قَالَ : حَبْلُ اللَّهِ
 الْجَمَاعَةُ .

وقال آخرون : عني بذلك القرآن والعهد الذي عهد فيه .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله :
 ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ : حَبْلُ اللَّهِ الْمُتَيْنِ الَّذِي أَمَرَ أَنْ يُعْتَصَمَ بِهِ هَذَا

(١) كان من عادة العرب أن يُخيف بعضها بعضًا في الجاهلية ، فكان الرجل إذا أراد سفرًا أخذ عهدًا من سيد
 كل قبيلة ، فيأمن به ما دام في تلك القبيلة حتى ينتهي إلى الأخرى ، فيأخذ مثل ذلك أيضًا ، يريد به الأمان .
 اللسان (ح ب ل) والبيت فيه .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٢٠ - تفسير) ، والطبراني (٩٠٣٣) من طريق هشيم به ، وعزاه
 السيوطي في الدر المنثور ٦٠/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

القرآن^(١) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ في قوله : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ . قال : بعهدِ اللَّهِ وأمره^(٢) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريزٌ ، عن منصورٍ ، عن شقيقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : إن الصراطَ مُحْتَضَرٌ ، تحضُّره الشياطينُ ، ينادون : يا عبدَ اللَّهِ ، هلمَّ ، هذا الطريقُ ؛ ليضدُّوا عن سبيلِ اللَّهِ ، فاعتصموا بحبلِ اللَّهِ ، فإنَّ حبلَ اللَّهِ هو كتابُ اللَّهِ^(٣) .

حدَّثنا محمدٌ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، عن أسباطٍ ، عن الشدِّيِّ : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ : أمَّا حبلُ اللَّهِ ، فكتابُ اللَّهِ^(٤) .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ بِحَبْلِ اللَّهِ ﴾ : بعهدِ اللَّهِ^(٥) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن عطاءٍ : ﴿ بِحَبْلِ اللَّهِ ﴾ . قال : العهدُ^(٦) .

(١) أخرجه البغوى فى تفسيره ٧٨/٢ من طريق شيبان ومعمر عن قتادة به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٩ ، وأخرجه ابن حاتم فى تفسيره ٧٢٤/٣ (٣٩١٩) عن الحسن به .

(٣) أخرجه الطبرانى (٩٠٣١) من طريق سفيان عن منصور به ، وأخرجه الدارمى ٤٣٢/٢ ، وابن الضريس فى فضائله ص ٥٠ (٧٤) ، والبيهقى فى الشعب (٢٠٢٥) من طرق عن الأعمش عن شقيق به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٠/٢ إلى الفريابى ، وعبد بن حميد ، وابن الأبارى فى المصاحف وابن مردويه .

(٤) أخرجه البغوى فى تفسيره ٧٨/٢ من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٥) أخرجه البغوى فى تفسيره ٧٨/٢ من طريق مسلم بن خالد الزنجى عن ابن أبى نجيح به .

(٦) أخرجه البغوى فى تفسيره ٧٨/٢ من طريق ابن جريج به .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا وكيعٌ ، عن الأعمشِ ، عن أبي وائلٍ ، عن عبدِ اللهِ : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ ﴾ . قال : حبلُ اللهِ القرآنُ ^(١) .

حَدَّثَنِي المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زهيرٍ ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضحَّاكِ في قوله : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا ﴾ . قال : القرآنُ .

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يحيى ، قال : ثنا أسباطُ بنُ محمدٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبي سليمانَ العَرَزَمِيِّ ، ^(٢) « عن عطيةٍ » ، عن أبي سعيدِ الخدرِيِّ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « كتابُ اللهِ ، هو حبلُ اللهِ الممدودُ من السماءِ إلى الأرضِ » ^(٣) .

وقال آخرون : بل ذلك هو إخلاصُ التوحيدِ لله .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ في قوله : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا ﴾ . يقولُ : اعْتَصِمُوا بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ ^(٤) .

حَدَّثَنِي يونسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا ﴾ . وقال : ﴿ وَلَا

٣٢/٤

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥١٩ - تفسير)، والطبراني (٩٠٣٢) من طريق أبي وائل به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٠/٢ إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٢) سقط من النسخ، والمثبت من تفسير ابن كثير ٧٣/٢ ومصادر التخريج.

(٣) ذكره ابن كثير ٧٣/٢ عن المصنف، وأخرجه أحمد ٣٠٨/١٧ (١١٢١١)، وابن أبي عاصم في السنة (١٥٥٣)، وأبو يعلى (١١٤٠)، والطبراني (٢٦٧٨) من طريق عبد الملك بن أبي سليمان به، وأخرجه ابن

أبي شيبة ٥٠٦/١٠ - ومن طريقه ابن أبي عاصم في السنة (١٥٥٤) من طريق عطية به.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٤/٣ (٣٩١٨) من طريق ابن أبي جعفر به.

تَفَرَّقُوا ﴿١﴾ .

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ : ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذى عهد إليكم فى كتابه ، من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، والانتهاى إلى أمره .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ [١/٤٣٩] عَلَيْكُمْ ﴿ : إن الله عز وجل قد كره لكم الفرقة ، وقدم إليكم فيها ، وحذركموها ، ونهاكم عنها ، ورضى لكم السمع والطاعة ، والألفة والجماعة ، فازوضوا لأنفسكم ما رضى الله لكم إن استطعتم ، ولا قوة إلا بالله ^(٢) .

حدثنى المشنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ : لا تعادوا عليه . يقول : على الإخلاص لله ، وكونوا ^(٣) عليه إخواناً ^(٤) .

حدثنى المشنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، أن الأوزاعى حدثه ، أن يزيد الرقاشى حدثه ، أنه سمع أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن بنى إسرائيل أفرقت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن أمتى ستفرق على اثنتين وسبعين فرقة ، كلهم فى النار إلا واحدة » . قال : فقيل : يا رسول الله ،

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦١/٢ إلى المصنف .

(٢) ينظر التبيان ٥٤٦/٢ .

(٣) فى ص ، ت ١ : « تكونوا » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٤/٣ (٣٩٢١) من طريق عبد الله بن أبى جعفر به .

وما هذه الواحدة؟ قال : فقبض يده وقال : « الجماعة » ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ^(١) .

حدَّثني عبدُ الكريمِ بنُ أبي عُميرٍ ، قال : ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، قال : سَمِعْتُ الأوزاعيَّ يُحدِّثُ عن يزيدِ الرَّقاشيِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن النبيِّ ﷺ نحوه ^(٢) .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا المُحاريثُ ، عن ابنِ أبي خالِدٍ ، عن الشَّعبيِّ ، عن ثابتِ بنِ قُطَبةَ ^(٣) المُرَنيِّ ^(٤) ، عن عبدِ اللَّهِ ، أنه قال : يا أيها الناسُ ، عليكم بالطاعةِ والجماعةِ ، فإنها ^(٥) حبلُ اللَّهِ الذي أمر به ، وإنَّ ما تَكْرهون في الجماعةِ والطاعةِ ، هو خيرٌ مما تَشْتَجِبون في الفُرقةِ ^(٦) .

حدَّثنا عبدُ الحميدِ بنُ بيانِ السُكُريُّ ^(٧) ، قال : أخبرنا محمدُ بنُ يزيدٍ ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالِدٍ ، عن الشعبيِّ ، عن ثابتِ بنِ قُطَبةَ ^(٨) ، قال : سَمِعْتُ ابنَ مسعودٍ وهو يَخْطُبُ ، وهو يقولُ : يا أيها الناسُ . ثم ذَكَرَ نحوه ^(٩) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٣/٣ (٣٩١٥) من طريق أبي صالح عبد الله بن صالح به .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) من طريق الوليد بن مسلم عن أبي عمرو الأوزاعي عن قتادة عن أنس به .

(٣) في م ، س : « قُطَبة » . وينظر التاريخ الكبير ١٦٨/٢ .

(٤) في ص : « المرني » ، وفي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « المرى » . والمثبت موافق لما في طبقات ابن سعد

١٩٧/٦ ، وثقات ابن حبان ٩٢/٤ ، ونسبه في التاريخ الكبير : « المدني » .

(٥) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم : « فإنهما » . وينظر الأثر بعد الآتي .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٣/٣ (٣٩١٦) من طريق إسماعيل - وهو ابن أبي خالد - به .

(٧) في م : « البشكري » .

(٨) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٠٨/١ من طريق محمد بن يزيد به .

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَفْصِ الْأُبُلِيِّ ^(١) ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُنِيرِ أَبُو هِشَامٍ ، قَالَ : ثنا مجالدُ بْنُ سَعِيدٍ ، عن عامرٍ ، عن ثابتِ بْنِ قُطَيْبَةَ ^(٢) الْمُرْنِيِّ ^(٣) ، قَالَ : قال عبدُ اللَّهِ : عليكم بالطاعةِ والجماعةِ ، فإنها جبلُ اللَّهِ الذي أمر به . ثم ذكر نحوه ^(٤) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ .

/ يعني بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ : واذكروا ما أنعم الله به عليكم من الألفة والاجتماع على الإسلام .

واختلف أهل العربية في قوله : ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ ؛ فقال بعض نحويي البصرة في ذلك : انقطع الكلام عند قوله : ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ . ثم فسّر بقوله : ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ . وأخبر بالذي كانوا فيه قبل التأليف ، كما تقول : أمسك الحائط ^(٥) أن يميل .

وقال بعض نحويي الكوفة : قوله : ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ . تابع قوله : ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ . غير منقطعة منها .

والصواب من القول في ذلك عندي أن قوله : ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ . متصل بقوله : ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ . غير منقطع عنه .

وتأويل ذلك : واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم التي أنعم بها عليكم حين

(١) في م : « الآملي » ، وفي س : « الایلی » . وينظر تهذيب الكمال ٦٢ / ٣ .

(٢) في م ، س : « قطنة » .

(٣) في ص : « المرني » ، وفي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « المرى » .

(٤) أخرجه الآجری فی الشریعة فی (١٧) من طریق مجالد به ، وأخرجه الحاكم ٥٥٥ / ٤ من طریق أبي حصين عن عامر .

(٥) بعدها في ت ١ : « قبل » .

كنتم أعداءً، أى بشرِككم^(١)، يَقْتُلُ بعضُكم بعضًا عَصِيَّةً، فى غير طاعةِ اللهِ ولا طاعةِ رسوله، فألفَ اللهُ بالإسلامِ بينَ قلوبِكُمْ، فجعلَ بعضُكم لبعضٍ إخوانًا - بعدَ أن^(٢) كنتم أعداءً - تتواصلون بألفَةِ الإسلامِ، واجتماعِ كلمتِكُمْ عليه .

كما حَدَّثنا بشرٌّ، قال : ثنا يزيدُ، قال : حَدَّثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قوله : ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ : كنتم تذابحون فيها، يأكلُ شديدُكم ضعيفُكم، حتى جاء اللهُ بالإسلامِ، فأخى به بينكم وألفَ به بينكم، أما واللهِ الذى لا إلهَ إلا هو، إنَّ الألفَةَ لرحمةٌ، وإنَّ الفرقَةَ لعذابٌ^(٣) .

حَدَّثنى المنثى، قال : ثنا إسحاقُ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ فى قوله : ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ : يَقْتُلُ بعضُكم بعضًا، ويأكلُ شديدُكم ضعيفُكم، حتى جاء اللهُ بالإسلامِ، فألفَ به بينكم، وجمع جمعكم عليه، وجعلكم عليه إخوانًا^(٤) .

فالنعمَةُ التى أنعمَ اللهُ على الأنصارِ، التى أمرهم تعالى ذكره فى هذه الآية أن يذكروها، هى ألفةُ الإسلامِ، واجتماعُ كلمتهم عليها، والعداوةُ التى كانت بينهم، التى قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ . فإنها عداوةُ الحروبِ التى كانت بينَ الحيين من الأوسِ والخزرجِ فى الجاهليةِ قبلَ الإسلامِ، يزعمُ العلماءُ بأيامِ العربِ أنها تطاولت بينهم عشرين ومائةَ سنةٍ .

(١) فى ص : «شرككم» .

(٢) فى م : «إذ» .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦١/٢ إلى ابن المنذر وفيه زيادة مرسله إلى النبى ﷺ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٥/٣ (٣٩٢٥) من طريق ابن أبى جعفر به مختصراً .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : كانت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين ومائة سنة ، حتى قام الإسلام وهم على ذلك ، فكانت حربهم بينهم وهم أخوان لأب وأم ، فلم يُسمع بقومٍ كان بينهم من العداوة والحرب ما كان بينهم ، ثم إن الله عز وجل أطفأ ذلك بالإسلام ، وألف بينهم برسوله محمد ﷺ .^(١)

فذكرهم جل ثناؤه إذ وعظهم ، عظيم ما كانوا فيه في جاهليتهم من البلاء والشقاء ، بمعادة بعضهم بعضاً ، وقتل بعضهم بعضاً ، وخوف بعضهم [١/٤٣٩ظ] من بعض ، وما صاروا / إليه بالإسلام ، واتباع الرسول ﷺ والإيمان به ، وبما جاء به من الائتلاف والاجتماع ، وأمن بعضهم من بعض ، ومصير بعضهم لبعض إخواناً .

وكان سبب ذلك ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، قال : ثنا عاصم بن عمر بن قتادة المدني^(٢) ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : قديم سويد بن صامت ، أخو بني عمرو بن عوف ، مكة حاجباً أو معتمراً . قال : وكان سويد إنما يُسميه قومه فيهم الكامل ؛ لجلده وشعره ونسبه وشرفه . قال : فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به ، فدعاه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام ، قال : فقال له سويد : فلعل الذي معك مثل الذي معي . قال : فقال له رسول الله ﷺ : « وما الذي معك ؟ » قال : مَجَلَّةٌ لُقْمَان - يعني حكمة لقمان - فقال له رسول الله ﷺ : « اغرضها عليّ » . فغرضها عليه ، فقال : « إن هذا الكلام^(٣) حسنٌ ، معي أفضل من

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦١/٢ إلى المصنف مختصراً .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٣ ، س : « الكفري » ، وفي ت ٢ : « الكفري » .

(٣) في م : « الكلام » .

هذا ، قرآن أنزله الله عليّ ، هدى ونورٌ . قال : فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يعتد^(١) منه ، وقال : إن هذا القول حسنٌ ، ثم انصرف عنه ، وقدم المدينة ، فلم يلبث أن قتلتُه الخزرج ، فإن كان قومه ليَقُولون : قد قتل وهو مسلمٌ . وكان قتله قبل يوم بُعاث^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى الحُصَيْن^(٣) بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، أحد بني عبد الأشهل ، أن محمود بن لبيد^(٤) ، أحد بني عبد الأشهل ، قال : لما قدم أبو الحيسر^(٥) أنس بن رافع مكة ، ومعه فتية من بني عبد الأشهل ، فيهم^(٦) إياس بن معاذ ، يلتبسون الحلف من قريش على قوم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم ، فجلس إليهم ، فقال : « هل لكم إلى خير مما جئتم له ؟ » قالوا : وما ذاك ؟ قال : « أنا رسول الله ، بعثني إلى العباد ، أذعوهم إلى الله ، أن يعبدوا^(٧) الله ولا يُشركوا^(٨) به شيئاً ، وأنزل عليّ الكتاب » . ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، فقال إياس بن معاذ ، وكان غلاماً حدثاً : أي قوم ، هذا والله خير مما جئتم له . قال : فأخذ^(٩) أبو الحيسر^(١٠)

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يبعده » ، وفي س : « يتعده » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٤٢٥ - ٤٢٧ ، وأخرجه المصنف في تاريخه ٢/٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٣) في م ، ت ١ ، س : « الحسين » . وينظر تهذيب الكمال ٦/٥١٧ .

(٤) في م : « أسد » .

(٥) في ص ، م ، ت ١ : « أبو الجيش » ، وفي ت ٢ ، ت ٣ : « الحسين » ، والمثبت من تاريخ المصنف ، وسيرة ابن هشام .

(٦) في س : « منهم » .

(٧) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يعبدون » .

(٨) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يشركون » .

(٩) في تاريخ المصنف ، وسيرة ابن هشام : « يأخذ » .

(١٠) في ص ، م ، س : « الجيش » ، وفي ت ١ : « الحسن » ، وفي ت ٢ ، ت ٣ : « الحسين » .

أنس بن رافع حَفَنَةً مِنَ البطحاءِ فضربَ بها وجهَ إياسِ بنِ معاذٍ ، وقال : دَعْنَا مِنْكَ ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ جِئْنَا لَعِيرٍ هَذَا ، قال : فصَمَتَ إياسُ بنُ مُعَاذٍ ، وقام رسولُ اللَّهِ ﷺ عنهم ، وانصَرَفُوا إلى المَدِينَةِ ، وكانت وَقْعَةُ بُعَاثِ بْنِ الأوسِ والخزرجِ . قال : ثم لم يَلْبَثْ إياسُ بنُ معاذٍ أن هَلَكَ . قال : فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ إِظْهَارَ دِينِهِ ، وإِعْزَازَ نَبِيِّهِ ﷺ ، وإِنجَازَ موعِدِهِ له ، خَرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فِي (١) المَوسِمِ الَّذِي لَقِيَ فِيهِ النَفَرَ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَعَرَضَ (٢) نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ العَرَبِ ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي كُلِّ مَوسِمٍ ، فَبَيْنَا هُوَ عِنْدَ العَقْبَةِ ، إِذْ لَقِيَ رَهْطًا مِنَ الخَزْرَجِ أَرَادَ اللَّهُ لَهُمْ (٣) خَيْرًا ، قال ابنُ حميدٍ : قال سلمةُ : قال مُحَمَّدُ بنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عَمَرَ بنِ قَتَادَةَ ، عن أَشْيَاحٍ مِنَ قَوْمِهِ ، قالوا : لَمَّا لَقِيَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ قال لهم : « مَنْ أَنْتُمْ ؟ » قالوا : نَفَرٌ مِنَ الخَزْرَجِ . قال : « أَمِنْ مَوَالِي يَهُودَ ؟ » قالوا : نَعَمْ . قال : « أَفَلَا تَجْلِسُونَ حَتَّى أُكَلِّمَكُم ؟ » قالوا : بَلَى . قال : فَجَلَسُوا مَعَهُ ، فدَعَاهُمْ إلى اللَّهِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الإِسْلَامَ ، وتلا عليهم القرآنَ . قال : وكان مما صَنَعَ اللَّهُ لَهُمْ به في الإِسْلَامِ ، أن يَهُودَ كانوا / مَعَهُم بِيلاَدِهِمْ ، وكانوا أَهْلَ كِتابٍ وَعَليمٍ ، وكانوا أَهْلَ شَرِكِ أَصْحَابِ أوثانٍ ، وكانوا قد عَزَّوهم (٤) بِيلاَدِهِمْ ، فكانوا إِذا كانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قالوا لَهُمْ : إن نَبِيًّا الآنَ مَبْعوثٌ قد أَظَلَّ زَمَانَهُ ، نَتَّبِعُهُ وَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وإِرَمَ ، فلما كَلَّمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أولئك النَفَرَ ، ودَعَاهُمْ إلى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قال بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : يا قَوْمُ ،

(١) سقط من النسخ ، والمثبت من تاريخ المصنف وسيرة ابن هشام .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « يعرض » . وهو صحيح أيضا ، والمثبت موافق لما في مصدرى التخريج .

(٣) في تاريخ المصنف ، وسيرة ابن هشام : « بهم » .

(٤) في م ، وسيرة ابن هشام : « غزوهم » . وعزوهم : غلبوهم . اللسان (ع ز ز) .

تعلمون^(١) والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا^(٢) يَسْبِقُكُمْ إِلَيْهِ . فأجابوه فيما^(٣) دعاهم إليه بأن صدقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ولا قومَ بينهم من العداوة والشرِّ ما بينهم ، وعسى^(٤) الله أن يجمعهم^(٥) بك ، وستقدم^(٦) عليهم فتدعوهم^(٧) إلى أمرِك ، ونعرض^(٨) الذي أجبناك إليه^(٩) من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجلَ أعزُّ منك . ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم ، قد آمنوا وصدقوا ، وهم فيما ذكر لي ستة نفرٍ . قال : فلما قدموا المدينة على قومهم ، ذكروا لهم رسول الله ﷺ ، ودعَوْهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم يبقَ دأبٌ من دورِ الأنصارِ إلا وفيها ذكرٌ من رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان العامُ المقبل ، وافى^(١٠) الموسمَ من الأنصارِ اثنا عشرَ رجلاً ، فلقوه بالعقبة ، وهي العقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعَةِ النساءِ ، وذلك قبلَ أن يُفترَضَ عليهم الحربُ^(١١) .

(١) في م ، وسيرة ابن هشام : « تعلموا » ، وفي تاريخ المصنف : « تعلمن » .

(٢) في النسخ : « ولا » . والمثبت من تاريخ المصنف وسيرة ابن هشام .

(٣) في س : « إلى ما » .

(٤ - ٥) في م : « أن يجمعهم الله » .

(٥) في ص ، ت ١ : « ستقدم » .

(٦) في ت ١ : « فتدعوهم » .

(٧) في ص ، ت ١ ، وسيرة ابن هشام : « تعرض » .

(٨) بعده في ت ٢ : « الإسلام » .

(٩) في س : « عليه » .

(١٠) في ص ، ت ١ : « واتي » .

(١١) سيرة ابن هشام ٤٢٧/١ - ٤٣١ ، وأخرجه المصنف في تاريخه ٣٥٢/٢ - ٣٥٥ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، أَنَّهُ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَأَمَّنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ ، [١/٤٤٠] فَأَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ مَعَهُمْ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ بَيْنَ قَوْمِنَا حَرْبًا ، وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ جِئْتَ عَلَى حَالِكَ هَذِهِ الْأَيْتِيَاءَ الَّذِي تُرِيدُ . فَوَاعَدُوهُ ^(١) الْعَامَ الْمُقْبِلَ ، وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَذْهَبُ ، فَلَعَلَّ ^(٢) اللَّهُ أَنْ يُصْلِحَ تِلْكَ الْحَرْبَ . قَالَ : فَذَهَبُوا ففَعَلُوا ، فَأَصْلَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تِلْكَ الْحَرْبَ ، وَكَانُوا يُرَوِّنَ أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ ، وَهُوَ يَوْمُ بُعَاثٍ ، فَلَقُوهُ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ سَبْعِينَ رَجُلًا قَدِ آمَنُوا ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمُ ^(٣) النِّقْبَاءَ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ^(٤) نَقِيًّا ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ : ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ ^(٥) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : أَمَا ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ﴾ : فَفِي حَرْبِ سَمِيرٍ ^(٦) ، ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ . بِالْإِسْلَامِ ^(٧) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا أَبُو سَفِيَانَ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ عِكْرَمَةَ بِنَحْوِهِ ، وَزَادَ فِيهِ : فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ عَائِشَةَ مَا كَانَ ، فَتَشَاوَرَ ^(٨) الْحَيَّانَ ،

(١) فِي م : « فَوَاعَدُوهُ » .

(٢) فِي س ، وَتَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَاقِ : « لَعَلَّ » .

(٣) فِي تَفْسِيرِ عَبْدِ الرَّزَاقِ ، وَالِدْرُ الْمُنْتَوَرِ : « مِنْهُمْ » .

(٤) سَقَطَ مِنْ : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٥) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَاقِ ١/١٢٩ . وَعِزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٦١/٢ إِلَى ابْنِ الْمُنْذِرِ .

(٦) سَقَطَ مِنَ النُّسخِ ، وَالْمُثَبَّتُ مِمَّا سَيَأْتِي فِي الصَّفْحَةِ التَّالِيَةِ . وَيَنْظُرُ مَا تَقَدَّمَ فِي ٢/٢٠٨ .

(٧) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٣/٧٢٥ (٣٩٢٧) مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُفَضَّلِ بِهِ مُقْتَصِرًا عَلَى آخِرِهِ .

(٨) تَشَاوَرَا : تَوَاتَبَا . يَنْظُرُ التَّاجُ (ث و ر) .

فقال بعضهم لبعض : موعدكم الحرّة . فخرجوا إليها ، فنزلت هذه الآية : ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ الآية . فاتاهم رسول الله ﷺ ، فلم يزل يتلوها عليهم حتى اعتنق بعضهم بعضاً ، وحتى إن لهم لخينيناً^(١) ، يعني البكاء^(٢) .

وسُميرُ الذي زعم السديُّ أن قوله : ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ﴾ . عنى به حربُه ، هو سُميرُ بنُ زيد^(٣) بن مالك ، أحدُ بنى عمرو بن عوفٍ ، الذي ذكره مالكُ بنُ العجلانِ في قوله^(٤) :

٣٦/٤ / إِنَّ سُمَيْرًا أَرَى عَشِيرَتَهُ قَدْ حَدَبُوا^(٥) دُونَهُ وَقَدْ أَنْفَوْا^(٦)
إِنْ يَكُنِ الظَّنُّ صَادِقِي بِنِي النِّجَارِ لَمْ يَطْعَمُوا الَّذِي عُلِفُوا^(٧)

وقد ذكر علماء الأنصار أن مبدأ العداوة التي هيّجت^(٨) الحروب التي كانت بين قبيلتيها الأوس والخزرج وأولها ، كان بسبب قتل^(٩) مولى لمالك بن العجلان الخزرجي ، يقال له : الخُرُّ^(١٠) بن سُمير . من مُزَيْنَةَ ، وكان حليفاً لمالك بن

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « لخيننا » ، وفي س : « لنحيا » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦١/٢ إلى المصنف .

(٣) ذكره أبو الفرج في الأغاني ٤٠/٣ : « يزيد » ، وكذا ذكر أخاه درهم بن يزيد ، وفي نسخ منه في اسم أخيه « زيد » .

(٤) جمهرة أشعار العرب ٦٣٧/٢ ، والأغاني ٢٠/٣ ، والخزانة ٢٧٩/٤ .

(٥) حدب : تعطف وحنأ . ينظر التاج (ح د ب) .

(٦) في م : « أبقوا » .

(٧) في ص ، م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « علقوا » . وقال أبو الفرج في الأغاني : يقال : عُلِفوا الضميم : إذا أفروا به . أى : ظنى أنهم لا يقبلون الضميم .

(٨) في ص ، ت ، ١ ، س : « هاجت » .

(٩) في ص ، ت ، ١ : « قتلة » ، وفي س : « قبيلة » .

(١٠) كذا في النسخ ، وفي خزانة الأدب : « بجير » ، وفي شرح ديوان حسان ص ٨١ نقلا عن ابن الكلبي وغيره : « أبجر » .

العجلان ، ثم اتصلت تلك العداوة بينهم ، إلى أن أطفأها الله بنبيه محمد ﷺ .
فذلك معنى قول السدي : حربٌ سُمير^(١) .

وأما قوله : ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ . فإنه يعنى : فأصبحتم بتأليف الله عزَّ وجلَّ بينكم بالإسلام وكلمة الحقِّ ، والتعاونِ على نصرَةِ أهلِ الإيمانِ ، والتأزيرِ على مَنْ خالفكم من أهلِ الكفرِ ، إخوانًا متصادقين ، لا ضغائنَ بينكم ولا تحاسدَ .
كما حدَّثني بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله :
﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ : ذُكِرَ^(٢) لنا أن رجلاً قال لابنِ مسعودٍ : كيف أصبحتم ؟ قال : أصبحنا بنعمةِ الله إخوانًا .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ .
يعنى بقوله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾ : وكنتم يا معشرَ المؤمنين من الأوسِ والخزرجِ ، على حفرِ حفرةٍ من النارِ . وإنما ذلك مثلاً لكفرهم الذى كانوا عليه قبلَ أن يَهْدِيَهُمُ اللهُ للإسلامِ ، يقولُ تعالى ذكره : وكنتم على طرفِ جهنمِ بكفرِكُم الذى كنتم عليه قبلَ أن يُنْعِمَ اللهُ عليكم بالإسلامِ ، فتصيروا بائئلافكم عليه إخوانًا ، ليس بينكم وبينَ الوقوعِ فيها إلا أن تموتوا على ذلك من كفرِكُم ، فتكونوا من الخالدين فيها ، فَأَنْقَذَكُمْ اللهُ منها بالإيمانِ الذى هداكم له .
وشفا الحفرة طرُفُها وحرُفُها ، مثلُ شفا الرِّكِيَّةِ والبئرِ ، ومنه قولُ الراجزِ :

نحن حفرنا للحجيجِ سَجَلَهُ

نابتةٌ فوقَ شفاها بَقْلَهُ^(٣)

(١) فى م : « ابن سُمير » .

(٢) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « وذكر » .

(٣) لم نجد هذا الرجز ، وأقرب ما ورد إليه ما ذكره أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم ٣ / ٧٢٤ . تعريف =

(تفسير الطبرى ٤٢ / ٥)

يعنى : فوق حرفها . يقال : هذا شفا هذه الرِّكِيَّة ، مَقْصُورٌ ، وهما شفوَاها .

/ وقال : ﴿ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ . يعنى ^(١) : فَأَنْقَذَكُمْ مِنَ الْحَفْرَةِ . فردَّ الخبر إلى الحفرة ، وقد ابتدأ الخبر عن الشِّفَا ؛ لأن الشِّفَا مِنَ الْحَفْرَةِ ، فجاز ذلك ، إذ كان الخبر عن الشفا على السبيل التي ذكرها في هذه الآية خبراً عن الحفرة ، كما قال جرير بن عطية ^(٢) :

٣٧/٤

رَأَتْ مَرَّ السِّنِينَ أَخَذَنْ مَنِى كَمَا أَخَذَ السَّرَا ^(٣) مِنَ الْهَلَالِ
فذكر « مرَّ السنين » ، ثم رجع إلى الخبر عن السنين ، وكما قال العجاج ^(٤) :

طُولُ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي

طَوَّيْنَ طَوَّلِي وَطَوَّيْنَ عَرْضِي

وقد بيَّنتُ العلة التي من أجلها قيل ذلك كذلك فيما مضى قبل ^(٥) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك من التأويل قال أهل التأويل .

= سجلة فقال : بئر احتفرها قصى بمكة ، وقال :

أنا قصى وحفرت سجلة

تُزَوِي الْحَجِيجَ زُغْلَةً فُزْغَلَةً

وقيل : بل حفرها هاشم ، وهبها أسد بن هاشم لعدى بن نوفل ، وفي ذلك تقول خالدة بنت هاشم :

نحن وهبنا لعدى سجلة

تُزَوِي الْحَجِيجَ زُغْلَةً فُزْغَلَةً

(١) بعده في ص : « فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا » .

(٢) شرح ديوان جرير ص ٥٤٦ . وتفسير الآية ٣٣ من سورة الرعد .

(٣) السرار بكسر السين وفتحها : آخر ليلة من الشهر ، يستمر الهلال بنور الشمس . وينظر التاج (س ر ر) والمراد في البيت نقصان القمر حتى يبلغ أن يكون هلالا .

(٤) وكذا نسبه إليه سيبويه في الكتاب ١/٥٣ ، ونسبه أبو حاتم في المعمرين ص ١٠٨ ، وأبو الفرج في الأغاني

٢٨/٢١ إلى الأغلب المجلى ، وفي روايته اختلاف ، وينظر الخزانة ٤/٢٢٤ - ٢٢٦ .

(٥) ينظر ما تقدم في ٤/٢٤٧ ، ٢٤٨ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشرٌ، قال : ثنا يزيدٌ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادة قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ﴾ : كان هذا الحثي من العرب أذل الناس ذلاً ، وأشقاه عيشاً ، وأبيته ضلالةً ، وأعرأه جلوداً ، وأجوعه بطوناً ، مكعومين^(١) على رأس حجرٍ بين الأسدين فارس الروم ، لا والله ، ما فى بلادهم يومئذٍ من شىءٍ يُحسدون عليه ، من عاش منهم عاش شقيئاً ، ومن مات رُدَى فى النارِ ، يُؤكلون ولا يأكلون ، والله ما نعلم قبيلاً يومئذٍ من حاضر الأرض كانوا فيها أصغرَ حظاً وأدقَّ فيها شأنًا منهم ، حتى جاء الله عزَّ وجلَّ بالإسلام ، فوزَّثكم فيها [٤٤٠/١] به الكتاب ، وأحلَّ لكم به دارَ الجهادِ ، ووضعَ لكم به من الرزقِ ، وجعلكم به ملوكاً على رقابِ الناسِ ، وبالإسلامِ أعطى الله ما رأيتم ، فاشكروا نعمه^(٢) ، فإن ربكم مُنعمٌ يُحبُّ الشاكرين ، وإن أهلَ الشكرِ فى مزيدِ الله ، فتعالى ربُّنا وتبارك^(٣) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾ . يقولُ : كنتم على الكفرِ باللهِ ، ﴿ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ : من ذلك وهداكم إلى الإسلامِ .

/ حدثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن ٣٨/٤ السدى : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ : بمحمدٍ ﷺ . يقولُ :

(١) فى م : « معكومين » ، وكعم البعير : شدَّ فاه فى هياجه لئلا يعض أو يأكل ، وكعمه الخوف : أمسك فاه . اللسان (ك ع م) .

(٢) فى س : « نعمة الله » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٥٨١/٣ عن قتادة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٧٧/٣ إلى المصنف وابن المنذر وأبى الشيخ .

كنتم على طرفِ النارِ ، من مات منكم أوبق^(١) في النارِ ، فبعث الله محمداً ﷺ فاستنقذكم به من تلك الحفرة^(٢) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا حسن بن حنبل^(٣) : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ . قال : عصبية .

القول في تأويل قوله : ﴿ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ كَذَلِكَ ﴾ : كما بين لكم ربكم في هذه الآيات أيتها المؤمنون من الأوس والخزرج ، من غل^(٤) اليهود الذي يضمرونه لكم ، وغشهم لكم ، وأمره^(٥) إياكم بما أمركم به فيها ، ونهيه لكم عما نهاكم عنه ، والحال التي كنتم عليها في جاهليتكم والتي صرتم إليها في إسلامكم ، مُعْرِفَكُمْ^(٦) في كل ذلك مواقع نعمة قبلكم وصنائعه لديكم - فكَذَلِكَ بَيَّنَّ^(٧) سائر حُجَجِهِ لكم في تنزيله ، وعلى لسان رسوله ﷺ ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ يعنى : لتَهْتَدُوا إلى سبيل الرشاد وتَسْلُكُوهَا فلا تَضِلُّوا عنها .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ ﴾ أيها المؤمنون ﴿ أُمَّةٌ ﴾ . يقول :

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « وبقى » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٦/٣ (٣٩٣٠ ، ٣٩٣١) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٣) في م : « يحيى » . وينظر تهذيب الكمال ١٧٧/٦ .

(٤) في م : « علماء » .

(٥) في ص ، ت ، ١ ، س : « أمرهم » .

(٦) في م : « يعرفكم » .

(٧) بعده في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « لكم » .

جماعة ﴿ يَدْعُونَ ﴾ النَّاسَ ﴿ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ يَعْنِي : إِلَى الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ لِعِبَادِهِ ، ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ يَقُولُ : يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ (رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) ، وَدِينِهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ يَعْنِي : وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ ، وَالتَّكْذِيبِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، بِجِهَادِهِمْ بِالْأَيْدِي وَالْجَوَارِحِ حَتَّى يَتَّقَادُوا لَكُمْ بِالطَّاعَةِ .

وقوله : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . يعنى : الْمُتَّجِحُونَ عِنْدَ اللَّهِ ، الْبَاقُونَ فِي جَنَاتِهِ (٢) وَنَعِيمِهِ .

وقد دللنا (٣) على معنى الإفلاح فى غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته هاهنا (٤) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو نَعِيمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى بْنُ عَمْرٍو الْقَارِئُ ، عَنْ أَبِي عَوْنِ الثَّقَفِيِّ ، أَنَّهُ سَمِعَ صُبَيْحًا ، قَالَ : سَمِعْتُ عَثْمَانَ يَقْرَأُ : (وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَسْتَتَعِينُونَ اللَّهَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ) (٥) .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو نَعِيمٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عَيْنَةَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ يَقْرَأُ (٦) . فَذَكَرَ مِثْلَ قِرَاءَةِ عَثْمَانَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا قَبْلُ

(١ - ١) سقط من : م ، س ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) فى م : « جناته » .

(٣) بعده فى م : « فيما مضى » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٢٥٦/١ - ٢٥٨ .

(٥) أخرجه ابن أبى داود فى المصاحف ص ٣٩ من طريق عيسى بن عمر ، به . وذكره ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٤/٤٤٩ فى ترجمة صبيح ، وفيه : يهدون . بدلا من : يدعون . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٦٢ إلى عبد بن حميد وابن الأثير ، وهذه القراءة شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة ، وهى مخالفة لرسم المصحف .

(٦) فى ت ١ : « يقول » .

سواء^(١) .

حدَّثنا يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . قال : هم خاصة أصحاب رسول الله^(٢) ، وهم خاصة الرواة^(٣) .

٣٩/٤ /القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

يَعْنِي بِذَلِكَ عَزَّ وَجَلَّ : وَلَا تَكُونُوا يَا مَعْشَرَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴿ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، ﴿ وَاخْتَلَفُوا ﴾ فِي دِينِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ مِنْ حُجَجِ اللَّهِ ، فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَعَلِمُوا الْحَقَّ فِيهِ فَتَعَمَّدُوا خِلَافَهُ ، وَخَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ وَنَقَضُوا عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ جَرَاءَةً عَلَى اللَّهِ ، ﴿ وَأُولَئِكَ لَهُمْ ﴾ يَعْنِي : وَلِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ ﴿ عَذَابٌ ﴾^(٤) عِنْدَ اللَّهِ ﴿ عَظِيمٌ ﴾ .

يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : فَلَا تَفَرَّقُوا^(٥) يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي دِينِكُمْ تَفَرَّقَ هَؤُلَاءِ فِي دِينِهِمْ ، وَلَا تَفْعَلُوا فَعَلَهُمْ ، وَتَسْتَتُوا فِي دِينِكُمْ بِسِتِّهِمْ ، فَيَكُونَ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الْعَظِيمِ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ .

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٢١ - تفسير) ، وابن أبي داود في المصاحف ص ٨٢ ، ٨٣ من طريق ابن عيينة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦١ / ٢ ، ٦٢ إلى عبد بن حميد وابن الأباري .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الرسول » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٢ / ٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) بعده في م ، س : « من » .

(٥) في م : « تفرقوا » .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ . قال : هم أهل الكتاب ، نهى الله أهل الإسلام أن يتفرقوا ويختلفوا كما تفرقوا واختلف أهل الكتاب ، قال الله عز وجل : ﴿ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(١) .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴾ . ونحو هذا في القرآن : أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفُرقة ، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في [٤١/١] دين الله ^(٢) .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ . قال : هم اليهود والنصارى ^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ^(١٢١) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ^(١٢٢) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : أولئك لهم عذاب عظيم في يوم تبيض وجوه وتسود وجوه .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٢/٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٨/٣ (٣٩٤٥) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٨/٣ (٣٩٤٦) من طريق أبى بكر الحنفى به .

وأما قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾. فإن معناه: ٤٠/٤ فأما الذين أسودت / وجوههم فيقال لهم: أكفرتُم بعد إيمانكم فدورقوا العذاب بما كنتم تكفرون .

ولابدل «أما» من جواب بالفاء، فلما أسقط الجواب سقطت الفاء معه، وإنما جاز ترك ذكر «فيقال»، لدلالة ما ذكر من الكلام عليه .

وأما معنى قوله جل ثناؤه: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾. فإن أهل التأويل اختلفوا في من عني به؛ فقال بعضهم: عني به أهل قبلتنا من المسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهُهُمُ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُهُمُ﴾ الآية: لقد كفر أقوام بعد إيمانهم كما تسمعون، ولقد ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «والذي نفس محمد بيده، ليردَّن عليَّ الحوض ممن صجبنى أقوام، حتى إذا رُفِعوا إليَّ ورأيتهم، اختلجوا^(١) دُونِي، فلاقولنَّ: ربِّ، أصحابي، أصحابي. فليقالنَّ: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك». وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضتْ وُجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: هؤلاء أهل^(٢) طاعة الله^(٣) والوفاء بعهد الله، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٤).

حدَّثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهُهُمُ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُهُمُ فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ

(١) اختلجوا: اجتذبوا واقتطعوا. التاج (خ ل ج).

(٢) (٢ - ٢) في س: «الطاعة».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٠/٣ (٣٩٦٠) من طريق يزيد به، مقتصرًا على آخره. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٣/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد. دون المرفوع. والمرفوع أخرجه البخاري (٦٥٧٦)، ومسلم (٢٢٩٧) من حديث ابن مسعود.

إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١﴾ : فهذا من كفر من أهل القبلة حين اقتتلوا^(١) .

حدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن حمادِ بنِ سلمةَ والرَّبيعِ بنِ صبيح ، عن أبي غالب^(٢) ، عن أبي أمامةَ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ ﴾ . قال : هم الخوارج^(٣) .

وقال آخرون : عُني بذلك كلُّ من كفر بالله بعدَ الإيمانِ الذي آمن ، حينَ أخذَ اللهُ من صلبِ آدمَ ذريته ، وأشهدهم على أنفسهم^(٤) بما بينَ في كتابه^(٥) .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عليُّ بنُ الهيثم ، قال : أخبرنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالبيّة ، عن أبيِّ بنِ كعبٍ في قوله : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌُ وَسَوْدٌ وُجُوهٌُ ﴾ . قال : صاروا يومَ القيامةِ فريقين ؛ فقال لمن أسودَّ وجهه وعيَّرهم : ﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ . قال : هو الإيمانُ الذي كان قبلَ الاختلافِ في زمانِ آدمَ ، حينَ أخذَ منهم عهدهم وميثاقهم ، وأقرؤوا

(١) في س : « اختلفوا » . والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٠/٣ (٣٩٥٨) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) في النسخ : « مجالد » . والمثبت من مصادر التخريج . وينظر تهذيب الكمال ١٧٠/٣٤ .

(٣) أخرجه الطبراني (٨٠٣٤ ، ٨٠٣٧) من طريق حماد والربيع به مرفوعا .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٩/٣ (٣٩٥٥) من طريق أبي غالب به مرفوعاً أيضاً . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٣/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) في ص ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « نفسه » .

(٥) يشير المصنف إلى قوله جل وعز : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ . الآية ١٧٢ من سورة الأعراف .

كلهم بالعبودية ، وفطرهم على الإسلام ، فكانوا أمةً واحدةً مسلمين ، يقول : ﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ . يقول : بعد ذلك الذى كان فى زمانِ آدمَ . وقال فى الآخرين : الذين استقاموا على إيمانهم ذلك ، فأخلصوا^(١) له الدينَ والعملَ ، فبيّضَ اللهَ وجوههم ، وأدخلهم فى رضوانه وجنته^(٢) .

وقال آخرون : بل الذين عُنوا بقوله : ﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ . المنافقون .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنى محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفى ، عن عبّادٍ ، عن الحسنِ : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ / وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ الآية . قال : هم المنافقون ، كانوا أعطوا كلمة الإيمان بالستيم وأنكروها بقلوبهم وأعمالهم^(٣) .

٤١/٤

وأولى الأقوالِ التى ذكرناها فى ذلك بالصوابِ القولُ الذى ذكرناه عن أبيّ بن كعبٍ ، أنه غنى بذلك جميعَ الكفارِ ، وأن الإيمانَ الذى يُؤبّخون على ارتدادهم عنه هو الإيمانُ الذى أقرّوا به يومَ قيل لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف : ١٧٢] . وذلك أن اللهَ جلّ ثناؤه جعلَ جميعَ أهلِ الآخرةِ فريقين ؛ أحدهما سوداً^(٤) وجوهه ، والآخِرُ بيضاً^(٥) وجوهه ، فمعلومٌ إذ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان ، أن جميعَ الكفارِ داخلون فى فريقٍ من سُودٍ وجّهه ، وأن جميعَ المؤمنين داخلون فى فريقٍ من بيّضٍ وجّهه ، فلا وجهَ إذنَ لقولِ قائلٍ : غنى بقوله : ﴿ أَكْفَرْتُمْ

(١) فى ص ، ت ، ١ ، س : « وأخلصوا » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٣٠/٣ (٣٩٥٦ ، ٣٩٥٩) من طريق أبى جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٢٩/٣ (٣٩٥٣) من طريق أبى بكر الحنفى به .

(٤) فى م : « سوداء » .

(٥) فى م : « بيضاء » .

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿١٠٦﴾ بعضُ الكفارِ دونَ بعضٍ . وقد عمَّ اللهُ جُلَّ ثناؤه الخبرَ عنهم جميعهم ، وإذا دخل جميعهم في ذلك ، ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ثم ارتدوا كافرين بعدُ إلا حالةً واحدةً ، كان معلومًا أنها المرادُ بذلك .

فتأويلُ الآيةِ إذن : أولئك لهم عذابٌ عظيمٌ في يومٍ تبيضُّ وجوهُ قومٍ ^(١) ، وتسودُّ وجوهُ آخرين ؛ فأما الذين اسودَّت وجوههم فيقال : أجددتم توحيدَ اللهِ وعهدَه وميثاقَه الذي واثقتُموه عليه ، بالأُ تشرِكوا به شيئًا ، وتخلَّصوا له العبادة ﴿١٠٧﴾ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿١٠٨﴾ . يعنى : بعدَ تصديقكم به ، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ . يقولُ : بما كنتم تجحدون في الدنيا ما كان اللهُ قد أخذَ ميثاقكم بالإقرارِ به والتصديق .

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آتَيْنَتْهُمُ وُجُوهَهُمْ﴾ من ثبت على [١/٤٤١: ٤٤٢] عهدِ اللهِ وميثاقه ، فلم يُبدلْ دينه ، ولم يَتَّخِذْ على عَقَبِيَّته بعدَ الإقرارِ بالتوحيدِ ، والشهادةِ لرَبِّه بالألوهية ، وأنه لا إلهَ غيرُه ، ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ . يقولُ : فهم في رحمةِ اللهِ . يعنى : في جنَّته ونعيمها ، وما أعدَّ اللهُ لأهلها فيها ، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ . أى : باقون فيها أبدًا بغيرِ نهايةٍ ولا غايةٍ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾ .

يعنى بقوله ^(٢) جُلَّ ثناؤه : ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ : هذه آياتُ اللهِ .

وقد بيَّنَّا كيف وضعت العربُ «تلك» و «ذلك» مكانَ «هذا» و «هذه» في غيرِ هذا الموضعِ فيما مضى قبلُ ، بما أغنى عن إعادته ^(٣) .

(١) سقط من : ص ، ت ، ١ ، س .

(٢) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : «بذلك» .

(٣) ينظر ما تقدم فى ١/٢٢٨ - ٢٣١ .

وقوله : ﴿ ءَايَاتُ اللَّهِ ﴾ . يعنى مواعظَ اللّهِ وعِبره وحُجَجِه ، ﴿ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ ﴾ : نَقْرُوهَا عَلَيْكَ وَنَقُصُّهَا ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ . يعنى بالصدقِ واليقينِ .

وإنما يعنى بقوله : ﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ ﴾ : هذه الآياتُ التي ذَكَرَ فيها أمُورَ المؤمنين من أنصارِ رسولِ اللّهِ ﷺ وأمُورَ يهودِ بنى إسرائيلَ وأهلِ الكتابِ ، وما هو فاعلٌ بأهلِ الوفاءِ بعهدِهِ ، وبالمبدلين دينه ، والناقضين عهدَهُ بعدَ الإقرارِ به . ثم أخبر عزَّ وجلَّ نبيّه محمداً ﷺ أنه يتلو ذلك عليه بالحقِّ ، وأعلمه أن مَنْ عاقبَ ^(١) من خلقِهِ بما أخبر أنه معاقبه ؛ من تسويدِ وجهِهِ ، وتخليدِهِ فى أليمِ عذابِهِ ، وعظيمِ عقابِهِ ، ومَنْ جازاه منهم بما جازاه ؛ من تبييضِ وجهِهِ ، وتكريمِهِ ، وتشريفِ منزلتِهِ ^(٢) لديه ، بتخليدِهِ فى دائمِ نعيمِهِ ، فبغيرِ ظلمٍ منه لفريقٍ منهم ، بل بحقِّ ^(٣) استوجبوه ، وأعمالٍ لهم سَلَفَتْ ، جازاهم / عليها ، فقال تعالى ذكره : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .
 يعنى بذلك : وليس اللّهُ يا محمداً بتسويدِ وجوهِ هؤلاءِ ، وإذاقَتِهِم العذابِ العظيمِ ، وتبييضِهِ ^(٤) وجوهَ هؤلاءِ ، وتنعيمِهِ إياهم فى جَنَّتِهِ ، طالباً وضعَ شَيْءٍ مما فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ فى ^(٥) غيرِ موضِعِهِ الذى هو موضِعُهُ . إعلاماً بذلكِ عباده أنه لن يَصْلَحَ فى حكمته بخلقِهِ غيرُ ما وعدَ أهلَ طاعته والإيمانِ به ، وغيرُ ما أوعدَ ^(٦) أهلَ معصيته والكفرِ به ، وإنذاراً منه هؤلاءِ ، وتبشيراً منه هؤلاءِ .

٤٢/٤

(١) فى م : «عاقبه» .

(٢) فى ص ، ت ، ١ : «متوليه» .

(٣) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : «الحق» .

(٤) فى م : «تبييض» .

(٥) زيادة من : م .

(٦) فى ص : «وعد» .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (١١٩) .

يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ يُعَاقِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، بِمَا ذَكَرَ أَنَّهُ مَعَاقِبُهُمْ بِهِ ، مِنَ الْعَذَابِ الْعَظِيمِ وَتَسْوِيدِ الْوُجُوهِ ، وَتُيِّبُ^(١) أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ الَّذِينَ ثَبَتُوا عَلَى التَّصَدِيقِ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِمُ الَّتِي عَاهَدُوا عَلَيْهَا ، بِمَا وَصَفَ أَنَّهُ مُثَبِّهُهُمْ بِهِ ، مِنَ الْخُلُودِ فِي جَنَانِهِ^(٢) ، مِنْ غَيْرِ ظَلَمٍ مِنْهُ لِأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ فِيمَا فَعَلَ ؛ لِأَنَّهُ لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى الظُّلْمِ ، وَذَلِكَ أَنَّ^(٣) الظَّالِمَ إِنَّمَا يَظْلِمُ غَيْرَهُ لِيَزْدَادَ إِلَى عِزِّهِ^(٤) عِزَّةً بِظُلْمِهِ إِيَّاهُ ، وَإِلَى سُلْطَانِهِ سُلْطَانًا ، أَوْ^(٥) إِلَى مُلْكِهِ مُلْكًا ؛^(٦) أَوْ إِلَى نَقْصَانِ^(٧) فِي بَعْضِ أَسْبَابِهِ ، يُتِمُّمُ بِهَا^(٨) ظَلَمَ غَيْرِهِ فِيهِ مَا كَانَ نَاقِصًا مِنْ أَسْبَابِهِ عَنِ التَّمَامِ ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ جَمِيعُ مَا بَيْنَ أَقْطَارِ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ، وَمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَلَا مَعْنَى لظُلْمِهِ أَحَدًا ، فَيَجُوزُ^(٩) أَنْ يَظْلِمَ شَيْئًا ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَسْبَابِهِ شَيْءٌ نَاقِصٌ يَحْتَاجُ إِلَى تَمَامٍ ، فَيَتَمَّ ذَلِكَ بِظُلْمِ غَيْرِهِ ، تَعَالَى اللَّهُ عُلُوقًا كَبِيرًا . وَلِذَلِكَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَقِيبَ قَوْلِهِ : ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٢٨) .

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ .

(١) فِي ص : « ثَبَّت » ، وَفِي ت ١ ، ٢ ، ت ٣ : « ثَبَّت » ، وَفِي س : « ثَبَّتِ » .

(٢) فِي ت ١ ، ٢ ، ت ٣ : « جَنَانِهِ » .

(٣) سَقَطَ مِنْ : ص ، ت ١ ، ٢ ، ت ٣ ، س .

(٤) فِي م : « عِزَّتِهِ » .

(٥) فِي م : « وَ » .

(٦ - ٦) فِي م : « لِنَقْصَانِ » .

(٧) فِي م : « بِمَا » .

(٨) فِي س : « فَلَا يَجُوزُ » .

واختَلَفَ أهلُ العَرَبِيَّةِ فِي وَجِهٍ تَكَرَّرَ اللهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ اسْمُهُ مَعَ قَوْلِهِ : ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ . ظَاهِرًا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ اسْمُهُ ظَاهِرًا مَعَ قَوْلِهِ : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ؛ فَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ : ذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ الْعَرَبِ : أَمَّا زَيْدٌ فَذَهَبَ زَيْدٌ . وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(١) :

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا نَعَّصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا
فَأَظْهَرَ فِي مَوْضِعِ الْإِضْمَارِ .

وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْكُوفَةِ : لَيْسَ ذَلِكَ نَظِيرَ هَذَا الْبَيْتِ ؛ لِأَنَّ مَوْضِعَ الْمَوْتِ الثَّانِي فِي الْبَيْتِ مَوْضِعُ كِنَايَةٍ ؛ لِأَنَّهُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي الْآيَةِ ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ . خَبِرٌ لَيْسَ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فِي شَيْءٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ^(٢) مِنَ الْقَصْتَيْنِ مَفَارِقٌ مَعْنَاهَا مَعْنَى الْأُخْرَى ، مَكْتَفِيَةٌ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِنَفْسِهَا ، غَيْرُ مَحْتَاجَةٍ إِلَى الْأُخْرَى ، كَمَا^(٣) قَالَ الشَّاعِرُ : لَا أَرَى الْمَوْتَ . مَحْتَاجٌ إِلَى تَمَامِ الْخَبْرِ عَنْهُ .

وَهَذَا الْقَوْلُ الثَّانِي عِنْدَنَا أَوْلَى بِالصَّوَابِ ؛ لِأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا تُوجُّهُ^(٤) مَعَانِيهِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْبَيَانِ إِلَى الشَّوَادِ مِنْ الْكَلَامِ وَالْمَعَانِي ، وَلَهُ فِي الْفَصِيحِ مِنَ الْمُنْطَقِ وَالظَّاهِرِ مِنَ الْمَعَانِي الْمَفْهُومِ وَجْهٌ صَحِيحٌ مُوجُودٌ .

(١) الْبَيْتُ لَعْدَى بِنِ زَيْدٍ ، كَمَا فِي أَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ ١/٢٤٣ ، وَالخَزَائِنَةَ ١/٣٨١ . وَنَسَبَهُ فِي الْكِتَابِ ١/٦٢ ، وَاللِّسَانَ (ن غ ص) إِلَى ابْنِهِ سَوَادَةَ . وَفِي نَسَخَةٍ مِنَ الْكِتَابِ : سَوَادٌ . وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَعْدَى بِنِ زَيْدٍ ، فَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ ص ٦٥ ، كَمَا فِي حَاشِيَةِ النَّكْتِ لِلْأَعْلَمِ ١/١٩٨ .

(٢) فِي ص ، ت ١ ، س : «وَاحِدٌ» .

(٣) كَذَا فِي النَّسَخِ ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ : «وَمَا» .

(٤) فِي م ، ي ٢ ، ت ٣ : «تَوَخَّذْ» ، وَفِي ت ١ ، س : «يُوجَدُ» ، وَغَيْرُ مَنْقُوطَةٍ فِي ص . وَالْمَثْبُتُ مَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

وأما قوله : ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ . فإنه يعنى تعالى ذكره : إلى الله / مصيرُ أمرٍ جميعِ خلقه ؛ الصالحِ منهم والطالحِ ، والمحسنِ والمسيءِ ، فينجزى كلًّا على قدرِ استحقاقهم منه الجزاءَ ، بغيرِ ظلمٍ منه أحدًا منهم .

القولُ فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ .

اختلف أهل التأويلِ فى تأويلِ قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ؛ فقال بعضهم : هم الذين هاجروا مع رسولِ [١/٤٤٢] واللَّهِ ﷺ من مكة إلى المدينة ، وخاصةً من أصحابِ رسولِ اللّهِ ﷺ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن سِماكٍ ، عن سعيدِ بنِ جبَّير ، عن ابنِ عباسٍ ، قال فى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : هم الذين خرجوا معه من مكة ^(١) .

حدَّثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابنُ عليَّةٍ ^(٢) ، عن قيسٍ ، عن سِماكٍ ، عن عكرمة ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٢/١٥٥ ، وأحمد ٤/٢٧٢ (٢٤٦٣) ، والنسائي فى الكبرى (١١٠٧٢) ، والطبرانى (١٢٣٠٣) ، والحاكم ٢/٢٩٤ من طريق إسرائيل ، عن سماك به .
(٢) فى النسخ : « عطية » . وقد تقدم مرازا .

قال عمرُ بنُ الخطابِ : لو شاءَ اللهُ لقال : أنتم . فكنا^(١) كلُّنا ، ولكن قال^(٢) : ﴿ كُنْتُمْ ﴾ . في خاصيةٍ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ ، ومن صنَع مثلَ صنيعِهِمْ^(٣) ، كانوا خيرَ أمةٍ أُخْرِجَت للناسِ ، يأْمُرُونَ بالمعروفِ ويَنْهَوْنَ عن المنكرِ^(٤) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : قال عكرمةُ : نزلت في ابنِ مسعودٍ وسالمِ مولى أبي حذيفةَ وأبي بنِ كعبٍ ومعاذِ بنِ جبلٍ^(٥) .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا مصعبُ بنُ المقدمِ ، عن إسرائيلَ ، عن السديِّ ، عن حدِّثه ، قال عمرُ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَت لِلنَّاسِ ﴾ . قال : تكونُ لأولنا ولا تكونُ لآخرنا^(٦) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا إسرائيلُ ، عن سِمَاكِ بنِ حربٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَت لِلنَّاسِ ﴾ . قال : هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة^(٧) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ ، قال : ذكر لنا أن عمرَ ابنَ الخطابِ قال في حجةٍ حجَّها ورأى من الناسِ رعةً سيئةً^(٨) ، فقرأ هذه : ﴿ كُنْتُمْ

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « وكنا » .

(٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « ما صنعتم » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٢/٣ (٣٩٧٠) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٣/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٢/٣ (٣٩٦٩) من طريق إسرائيل به .

(٧) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٠ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٢/٣ (٣٩٦٨) عن الحسن بن يحيى به .

(٨) الرعة ههنا : الاحتشام والكف عن سوء الأدب ، أى : لم يحسنوا ذلك . النهاية ١٧٥ / ٥ .

خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴿ الآية . ثم قال : يا أيها الناس ، مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْكَمُ ^(١) الْأُمَّةِ ، فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللَّهِ مِنْهَا ^(٢) .

٤٤/٤ / حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جَوَيْبِرٌ ، عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قَالَ : هُمْ ^(٣) أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً . يَعْنِي : وَكَانُوا هُمُ الرُّوَاةُ الدُّعَاةُ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِطَاعَتِهِمْ ^(٤) .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، إِذَا ^(٥) كُنْتُمْ بِهَذِهِ الشَّرُوطِ الَّتِي وَصَفَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهَا . فَكَانَ تَأْوِيلُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، أُخْرِجُوا لِلنَّاسِ فِي زَمَانِكُمْ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . يَقُولُ : عَلَى هَذَا الشَّرْطِ ؛ أَنْ تَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوُا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ . يَقُولُ : لِمَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ ، كَقَوْلِهِ : ﴿ وَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٦) [الدخان : ٣٢] .

(١) في م : « تلك » ، وفي س : « هذه » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٣/٢ إلى المصنف .

(٣) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) تقدم في ص ٦٦٢ .

(٥) في م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « إذ » .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : يقول : كنتم خير الناس للناس ، على هذا الشرط ؛ أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله . يقول : لمن بين ظهره ، كقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَخَّرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَيَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الدخان : ٣٢] .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عن سفيان ، عن ميسرة ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : كنتم خير الناس للناس ، يجيئون بهم في السلاسل تَدْخِلُونَهُمْ ^(١) فِي الْإِسْلَامِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا عُيَيْدُ بْنُ أُسْبَاطٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية في قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : خير الناس للناس ^(٣) .

وقال آخرون : إنما قيل : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ؛ لأنهم أكثر الأمم استجابة للإسلام .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا عَنْ عَمَّارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . قال : لم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأمة ، فمن ثم

(١) في ت ١ ، ٢ ، ت ٣ ، س : « فدخلوا بهم » ، وفي صحيح البخاري : « حتى يدخلوا » .

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٥٧) ، والنسائي في الكبرى (١١٠٧١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٢/٣

(٣٩٧١) ، والحاكم ٨٤/٤ من طريق سفيان به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٦٤/٢ إلى الفريابي وعبد بن

حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٣/٣ (٣٩٧٥) من طريق عيسى بن موسى عن عطية به ، وعقب الأثر

(٣٩٧٢) معلقاً . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٦٤/٢ إلى عبد بن حميد .

قال : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ^(١) .

وقال بعضهم : عنى بذلك أنهم كانوا خير أمة أُخْرِجَتْ للناسِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في

قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . قال : قد كان ما تَسْمَعُ مِنَ الْخَيْرِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ . ٤٥/٤

حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول : نحن آخِزُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قال الحسن ؛ وذلك أن يعقوب

ابن إبراهيم حدَّثني قال : ثنا ابن عليه ، عن يهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « أَلَا إِنَّكُمْ وَقَيْتُمْ سَبْعِينَ أُمَّةً ، أَنْتُمْ خَيْرُهَا ^(٢) وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ ^(٣) » .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، [٤٤٢/١] قال : أخبرنا

(١) بعدها في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « واللّه أعلم » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٣/٣ (٣٩٧٣) من طريق ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب .

(٢) في ص ، م ، والمسند ، والمنتخب ، والموضع الثاني من سنن ابن ماجه : « آخرها » .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « الناس » .

والحديث أخرجه ابن ماجه (٤٢٨٨) من طريق ابن عليه به .

وأخرجه أحمد ٥/٣ ، ٥ (الميمنية) ، والدارمي ٢/٣١٣ ، وعبد بن حميد (٤٠٩-منتخب) ، وابن ماجه (٤٢٨٧) ، والطبراني ١٩/٤٢٢ (١٠٢٣) من طرق عن يهز به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٢/٦٤ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

معمرٌ ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جدّه ، أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : « أنتم تُتَمُّون سبعين أمةً ، أنتم خيرها وأكرمها على الله » ^(١) .

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال ذات يوم وهو مُسِنِدٌ ظهره إلى الكعبة : « نحن نُكْمِلُ يومَ القيامةِ سبعين أمةً ، نحن آخرها وخيرها » ^(٢) .

وأما قوله : ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ . فإنه يعنى : تأمرون بالإيمان بالله ورسوله والعمل بشرائعه ، ﴿ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . يعنى : وتنهون عن الشرك بالله وتكذيب رسوله ، وعن العمل بما نهى عنه .

كما حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . يقول : تأمرونهم بالمعروف ؛ أن يشهدوا ألا إله إلا الله ، والإقرار بما أنزل الله ، وتقاتلونهم عليه ، ولا إله إلا الله هو أعظم المعروف ، وتنهونهم عن المنكر ، والمنكر هو التكذيب ، وهو أنكر المنكر ^(٣) .

وأصل المعروف كل ما كان معروفًا ^(٤) فعله ، جميلًا مستحسنًا ^(٥) ، غير مستقبح في أهل الإيمان بالله ، وإنما سُميت طاعة الله معروفًا ؛ لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٣٠ ، ومن طريقه الترمذى (٣٠٠١) ، والحاكم ٤/ ٨٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٧٣١ (٣٩٦٧) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٦٤ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٣/ ٧٣٣ ، ٧٣٤ (٣٩٧٧ ، ٣٩٧٨) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٢٠٦) ، من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٦٤ إلى ابن المنذر .

(٤ - ٤) فى م : « ففعله جميل مستحسن » .

يَسْتَنْكِرُونَ فَعْلَهُ . وَأَصْلُ الْمُنْكَرِ مَا أَنْكَرَهُ اللَّهُ ، وَرَأَوْهُ قَبِيحًا فَعْلُهُ ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ
مَعْصِيَةُ اللَّهِ مُنْكَرًا ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ يَسْتَنْكِرُونَ فَعْلَهَا ، وَيَسْتَعْظِمُونَ رُكُوبَهَا .
وقوله : ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ . يعنى : وَتُصَدِّقُونَ بِاللَّهِ ، فَتُخْلِصُونَ لَهُ التَّوْحِيدَ
وَالْعِبَادَةَ .

فإن سأل سائلٌ فقال : وكيف قيل : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ . وقد زعمت أن
تأويل الآية أن هذه الأمة خير الأمم التي مضت ، وإنما يقال : كنتم خير أمة . لقوم
كانوا خيارًا فتغيروا عما كانوا عليه ؟

قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما ذهبت إليه ، وإنما معناه : أنتم خير أمة . كما
قيل : ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَائِلٌ ﴾ [الأنفال : ٢٦] . وقد قال فى موضع آخر :
﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثُرْكُمْ ﴾ [الأعراف : ٨٦] ، فإدخال « كان » فى
مثل هذا وإسقاطها بمعنى واحد ؛ لأن الكلام معروف معناه .

ولو قال أيضًا فى ذلك قائلٌ : ﴿ كُنْتُمْ ﴾ بمعنى التمام . كان تأويله :
خُلِقْتُمْ خير أمة ، أو : وُجِدْتُمْ خير أمة ، كان معنى صحيحًا .

وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى / ذلك : كنتم خير أمة عند الله فى اللوح
المحفوظ ، أُخْرِجَتْ للناس .

والقولان الأولان اللذان قلنا أشبهه بمعنى الخير الذى رَوَيْنَاهُ قَبْلُ .

وقال آخرون : معنى ذلك : كنتم خير أهل طريقة . وقال : الأُمَّةُ الطَّرِيقَةُ .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ
الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكره : ولو صدق أهل التوراة والإنجيل ، من اليهود

والنصارى ، بمحمد ﷺ وما جاءهم به من عند الله ، ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ عند الله في عاجل دنياهم وأجل آخرتهم ، ﴿ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ . يعنى : من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، المؤمنون المصدقون رسول الله ﷺ فيما جاءهم به من عند الله ، وهم عبد الله بن سلام وأخوه ، وثعلبة بن سَعْيَةَ^(١) وأخوه ، وأشباههم ممن آمنوا^(٢) بالله ، وصدقوا^(٣) برسوله محمد ﷺ ، واتبعوا ما جاءهم به من عند الله ، ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ يعنى : الخارجون عن دينهم ؛ وذلك أن من دين اليهود أتباع ما فى التوراة والتصديق بمحمد ﷺ ، ومن دين النصارى اتباع ما فى الإنجيل والتصديق به وبما فى التوراة ، وفى^(٤) الكتابين صفة محمد ﷺ ونعته ومبعثه ، وأنه نبي الله . وكلتا الفرقتين - أعنى اليهود والنصارى - مكذبة ، فذلك فسقهم وخروجهم عن دينهم الذى يدعون أنهم يدينون به ، الذى قال جل ثناؤه : ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

وقال قتادة بما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة :

﴿ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ : ذم الله أكثر الناس^(٥) .

[١١/ظ] القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أذى ﴾ .

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : لن يضرركم^(١) يا أهل الإيمان بالله

(١) فى م : « سعيد » . وينظر سيرة ابن هشام ٢/٢٣٨ ، ٢٤٥ .

(٢) فى ص ، ت ١ ، س : « آمن » .

(٣ - ٣) فى ص : « رسوله محمداً » .

(٤) بعده فى ص ، م : « كل » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧٣٤ (٣٩٨٢) من طريق يزيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٦٤ إلى عبد بن حميد .

* من هنا تبدأ قطعة من مخطوط جامعة القرويين ولعلها الجزء الحادى عشر ، وسيجد القارئ أرقام صفحاتها بين معقوفين .

(٦) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يضرركم » .

ورسوله ، هؤلاء الفاسقون من أهل الكتاب شيئا ، بكفرهم وتكذيبهم نبيكم محمدا ﷺ ، ﴿إِلَّا أَذَىٰ﴾ . يعنى بذلك : ولكنهم يُؤذونكم بشركهم وإسماعكم كفرهم ، وقولهم فى عيسى وأمه وعزير ، ودعائهم إياكم إلى الضلالة ، ولا يضرونكم^(١) بذلك .

وهذا من الاستثناء المنقطع الذى هو مخالف معنى ما قبله ، كما قيل : ما أشكى شيئا إلا خيرا . وهذه كلمة محكية عن العرب سماعا .
وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَىٰ﴾ . يقول : لن يضروكم إلا أذى تسمعونه منهم^(٢) .

٤٧/٤ /حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَىٰ﴾ . قال : أذى تسمعونه منهم^(٣) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَىٰ﴾ . قال : إشارتهم فى عزير وعيسى والصليب^(٤) .

حدثنى محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يضروكم » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٦٤ ، إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧٣٤ عقب الأثر (٣٩٨٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧٣٥ (٣٩٨٥) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج .

قوله: ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أذىٌ﴾ الآية . قال : تَشْمَعُونَ مِنْهُمْ كَذِبًا عَلَى اللَّهِ ،
يَدْعُونَكُمْ إِلَى الضَّلَالَةِ ^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله: ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يُوَلُّوكمُ الْآدْبَارَ ثُمَّ لَا
يُنصَرُونَ﴾ .

يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاهُ ^(٢) : وَإِنْ يُقَاتِلِكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى
يُهْزِمُوا عَنْكُمْ ، فَيُوَلُّوكُمْ أَدْبَارَهُمْ انْهَزَامًا .

فَقَوْلُهُ ^(٣) : ﴿يُوَلُّوكُمُ الْآدْبَارَ﴾ . كِنَايَةٌ عَنْ انْهَزَامِهِمْ ؛ لِأَنَّ الْمُنْهَزِمَ يُحَوِّلُ ظَهْرَهُ
إِلَى قَرْنِهِ ^(٤) الطَّالِبِ هَرْبًا إِلَى مَلْجَأٍ وَمَوْتِلٍ يَبْلُغُ إِلَيْهِ مِنْهُ ، خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ ، وَالطَّالِبُ
فِي أَثَرِهِ . فَذُبُّ الْمَطْلُوبِ حِينَئِذٍ يَكُونُ مُحَاذِي وَجْهِ الطَّالِبِ الْهَازِمِ .

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ . يَعْنِي : ثُمَّ لَا يُنصِرُهُمُ اللَّهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَلَيْكُمْ ؛
لِكَفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِيمَانِكُمْ بِمَا آتَاكُمْ نَبِيُّكُمْ مُحَمَّدًا ﷺ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
قَدْ أَلْقَى الرَّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ ^(٥) ، فَأَيْدِكُمْ ^(٦) أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِنصْرِكُمْ . وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى ذَكَرَهُ نَبِيُّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَهْلَ الْإِيمَانِ نَصْرَهُمْ عَلَى مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ .

وَإِنَّمَا رَفَعَ قَوْلَهُ : ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ . وَقَدْ جَزَمَ قَوْلَهُ : [٢/١١] ﴿يُوَلُّوكُمُ
الْآدْبَارَ﴾ . عَلَى جَوَابِ الْجَزَاءِ ، ائْتِنَافًا لِلْكَلامِ ؛ لِأَنَّ رُعُوسَ الْآيَاتِ قَبْلَهَا بِالنُّونِ ،
فَأَلْحَقَ هَذِهِ بِهَا ، كَمَا قَالَ : ﴿وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ﴾ [المرسلات : ٣٦] . رَفَعًا ، وَقَدْ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٤/٣ (٣٩٨٤) من طريق أبي بكر الحنفي به .

(٢) بعده في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ » .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وَأَمَّا قَوْلُهُ » .

(٤) في م : « جَهَةٌ » . وَالْقِرْنَ : الْكَفَاءُ وَالنَّظِيرُ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْحَرْبِ . اللَّسَانُ (ق ر ن) .

(٥) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قُلُوبِ » .

(٦) في م : « كَائِدِكُمْ » .

قال في موضع آخر^(١) : ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَومُوا ﴾ [فاطر : ٣٦] . إذ لم يكن رأس آية .

القول في تأويل قوله : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ ﴾ : الرِّموا الذلة . والذلة الفعلة من الذل .

وقد بينا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع^(٢) .

﴿ أَيْنَ مَا تُقِفُوا ﴾ . يعنى : حيثما لقوا . يقول جل ثناؤه : الرِّم اليهود المكذِّبون بمحمد ﷺ الذلة أينما^(٣) كانوا من الأرض ، وبأى مكان كانوا من بقاعها ، من بلاد المسلمين والمشركين ، ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ .

كما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هُوذَةُ ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن في قوله : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبِأَمْرٍ مِّنَ اللَّهِ وَبِأَمْرٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ . قال : أدركتهم هذه الأمة وإن المجوس لتجيبهم الجزية^(٤) .

/حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عباد ، عن ٤/٤٨ الحسن في قوله : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ

(١) بعدها في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « وقد قال » .

(٢) ينظر ما تقدم في ٢/٢٦ .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أين » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٣٥ (٣٩٨٧) من طريق هُوذة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور

٢/٦٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

النَّاسِ ﴿١﴾ . قال : أذلَّهم اللهُ ، فلا منعةَ لهم ، وجعلهم اللهُ تحت أقدامِ المسلمين^(١) .

وأما الحيلُ الذي ذكره اللهُ في هذا الموضع ، فإنه السببُ الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين ، وعلى أموالهم وذراريهم ، من عهدٍ وأمانٍ تقدَّم لهم عقده قبل أن يُثقفوا في بلادِ الإسلام .

كما حدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن مجاهدٍ في قوله جلَّ وعزَّ : ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ﴾ . قال : بعهدٍ ، ﴿وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾ . قال : بعهدهم^(٢) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾ . يقول : إلا بعهدٍ من اللهِ وعهدٍ من الناس .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة مثله^(٣) .

حدَّثنا حميدُ بنُ مسعدة ، قال : ثنا يزيدٌ ، عن عثمان بنِ غياثٍ^(٤) ، قال عكرمة : يقول : ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾ . قال : بعهدٍ من اللهِ وعهدٍ من الناس^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٥/٣ (٣٩٨٨) من طريق أبي بكر الخنفي به .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٧ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٠ .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « عتاب » .

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٥/٣ عقب الأثر (٣٩٩٠) معلقاً .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِّنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنْ النَّاسِ ﴾ . يقولُ : إِلَّا بعهدي مِنَ اللَّهِ وعهدي مِنَ النَّاسِ ^(١) .

حَدَّثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِّنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنْ النَّاسِ ﴾ . يقولُ : إِلَّا بعهدي مِنَ اللَّهِ وعهدي مِنَ النَّاسِ ^(٢) .

حَدَّثني محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا [٢/١١] أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ أَيَنْ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنْ النَّاسِ ﴾ : فهو عهدٌ مِنَ اللَّهِ وعهدي مِنَ النَّاسِ ، كما يَقُولُ الرجلُ : ذمَّةُ اللَّهِ وذمَّةُ رسوله ﷺ . فهو الميثاقُ ^(٣) .

حَدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال مجاهدٌ : ﴿ أَيَنْ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنْ النَّاسِ ﴾ . قال : بعهدي مِنَ اللَّهِ وعهدي مِنَ النَّاسِ لهم ^(٤) . قال ابنُ جريجٍ : وقال عطاءٌ : العهدُ حبلُ اللَّهِ ^(٥) .

حَدَّثني يونسٌ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ أَيَنْ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنْ النَّاسِ ﴾ . قال : إِلَّا بعهدي ، وهم يهودٌ . قال : والحبلُ العهدُ . قال : وذلك قولُ أبي الهيثمِ بنِ التَّيْهَانِ لرسولِ اللَّهِ ﷺ حين أتته الأنصارُ في العقبة : أيُّها الرجلُ ، إنا قاطعون فيك حبلاً بيننا وبين النَّاسِ . يقولُ : عهدودًا . قال : واليهودُ لا يَأْتَمون في أرضٍ مِنَ أرضِ اللَّهِ إِلَّا بهذا الحبلِ الذي قال

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٥/٣ عقب الأثر (٣٩٩٠) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٥/٣ عقب الأثر (٣٩٩٠) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٥/٣ (٣٩٩٠ ، ٣٩٩١) من طريق هارون بن عترة عن أبيه عن ابن

عباس ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٤/٢ إلى ابن المنذر .

(٤) تفسير مجاهد ص ٢٥٧ .

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٥/٣ عقب الأثر (٣٩٩٠) معلقًا .

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . وقرأ : ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران : ٥٥] . قال : فليس بلدٌ فيه أحدٌ من النصارى إلا وهم فوق
يهودٍ في "شَرْقٍ وَلَا غَرْبٍ" ، هم في البلدانِ كُلِّهَا مُسْتَدَلُّونَ ، قال اللهُ :
﴿ وَتَطَعَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا ﴾ [الأعراف : ١٦٨] . قال : يهودٌ ^(١) .

٤٩/٤ / حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قَالَ : ثنا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قَالَ :
سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ ﴾ . يَقُولُ : بَعْدِهِ
مِنَ اللَّهِ وَعَهْدِهِ مِنَ النَّاسِ ^(٣) .

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُوَيْرٌ ، عَنْ
الضَّحَّاكِ مِثْلَهُ .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْمَعْنَى الَّتِي جَلَبَ الْبَاءَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ
اللَّهِ ﴾ ؛ فَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْكُوفَةِ : الَّتِي جَلَبَ الْبَاءَ فِي ذَلِكَ ^(٤) فَعَلَّ مَضْمَرٌ قَدْ تَرِكَ
ذِكْرَهُ . قَالَ : وَمَعْنَى الْكَلَامِ : ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَمَا تُتَّقُوا إِلَّا أَنْ يَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ
مِنَ اللَّهِ . فَأُضْمِرَ ذَلِكَ . وَاسْتَشْهَدَ لِقَوْلِهِ ذَلِكَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ ^(٥) :

رَأْتَنِي بِحَبْلَيْهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً وَفِي الْحَبْلِ رَوْعَاءُ الْفُؤَادِ ^(٦) فَرُوقُ

(١ - ١) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٣ ، س : « فَسُوقٌ وَلَا غَيْرَهُمْ » ، وَفِي ت ٢ : « فَوْقٌ وَلَا غَيْرَهُمْ » .

(٢) يَنْظُرُ مَا تَقْدُمُ فِي ص ٤٥٥ .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٣٥/٣ عَقِبَ الْأَثَرِ (٣٩٩١) مَعْلَقًا .

(٤) فِي ص : « بِحَبْلِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ » ، وَفِي م : « قَوْلُهُ بِحَبْلِ » ، وَفِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قَوْلُهُ
بِحَبْلِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ » .

(٥) هُوَ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ الْهَلَالِيُّ ، وَالْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ ص ٣٥ . وَرَوَايَةُ الْبَيْتِ فِيهِ هَكَذَا :

فَجَعْتُ بِحَبْلَيْهَا فَفَرَدْتُ مَخَافَةً إِلَى النَّفْسِ رَوْعَاءُ الْجَنَانِ فَرُوقُ

(٦) رَوْعَاءُ الْفُؤَادِ : ذِكَايَةُ الْفُؤَادِ . يَنْظُرُ اللَّسَانَ (ر و ع) .

وقال : أراد : أَقْبَلْتُ بِحَبْلَيْهَا ^(١) . وبقول الآخر ^(٢) :

حَنْشَى حَائِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَانَتْ حَائِلٌ ^(٣) أَدْنُو ^(٤) لَصِيدٍ
^(٥) قَرِيبِ الْخَطْوِ يَحْسَبُ مِنْ رَأَى - وَلَسْتُ مُقَيَّدًا - أَنَى بِقَيْدٍ ^(٦)
^(٦) يريدُ : مقيدًا بقيدٍ ^(٦) .

فأوجب إعمال فعلٍ محذوفٍ وإظهارَ صلته ^(٧) وهو متروكٌ .

وذلك في مذاهب العربية ضعيفٌ ، ومن كلام العرب بعيدٌ . وأما ما استشهد به لقوله من الأبيات ، فغير دال على صحة دعواه ؛ لأن في قول الشاعر : رَأَتْنِي بِحَبْلَيْهَا . دلالةٌ بينةٌ في أنها رَأَتْهُ بِالْحَبْلِ مُمَسِّكًا . [٣/١١] ففي إخباره عنها أنها رَأَتْهُ بِحَبْلَيْهَا ، إخبارٌ منه أنها رَأَتْهُ مُمَسِّكًا بِالْحَبْلَيْنِ ، فكان فيما ظهر من الكلام مُسْتَعْنَى عَنْ ذِكْرِ الْإِمْسَاكِ ، وكانت الباءُ صلةً ^(٨) لقوله : رَأَتْنِي . كما ^(٩) قولُ القائل : أَنَا بِاللَّهِ . مكتفٍ بنفسه ومعرفة السامع معناه ، أن تكون الباءُ محتاجةً إلى كلامٍ يكون لها جالبًا غير الذي ظهر ، وأن ^(١٠) المعنى : أَنَا بِاللَّهِ مُسْتَعِينٌ .

وقال بعض نحويي البصرة : قوله : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِّنْ أَلَّةٍ ﴾ . استثناءً

(١) في ص ، س : « بحلها » .

(٢) هو أبو الطمحان القيني حنظلة بن الشرقى ، كما في المعمرين ص ٧٢ ، والمعاني الكبير ٣ / ١٢١٤ ، وقال أبو الفرج في الأغاني ٢ / ٣٥٧ : يقال : إنه لعدي بن زيد .

(٣) الخاتلة : مشى الصياد قليلاً قليلاً في خفية لئلا يسمع الصيد حسه . اللسان (خ ت ل) والبيت فيه .

(٤) في النسخ : « أحنو » . والمثبت من معاني القرآن للفراء ١ / ٢٣٠ ، فهذه مقاله ، وفي مصادر التخريج الأخرى : « يدنو » .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦ - ٦) سقط من النسخ ، والمثبت من معاني القرآن .

(٧) الصلة هنا : الجار والمجرور .

(٨) في م : « وصلة » .

(٩) بعده في م : « في » .

(١٠) بعده في الأصل ، ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كان » .

خارج من أول الكلام . قال : وليس ذلك بأشد من قوله : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلْمًا ﴾ [مریم : ٦٢] .

وقال آخرون من نحوئى الكوفة : هو استثناء متصل . والمعنى : ضربت عليهم الذلة أينما تُقفوا . أى : بكل مكان ، إلا بموضع جبل من الله . كما تقول : ضربت عليهم الذلة فى الأمكنة إلا فى هذا المكان .

وهذا أيضًا طلب الجزء^(١) ، فأخطأ المفصل ، وذلك أنه زعم أنه استثناء متصل ، ولو كان متصلًا كما زعم ، لوجب أن يكون القوم إذا تُقفوا بحبل من الله وحبل من الناس غير مضروبة عليهم الذلة^(٢) . وليس ذلك صفة اليهود ؛ لأنهم أينما تُقفوا بحبل من الله وحبل من الناس ، أو بغير حبل من الله وغير حبل من الناس ، فالذلة مضروبة عليهم ، على ما ذكرنا عن أهل التأويل قبل^(٣) . فلو كان قوله : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ ﴾ . استثناء متصلًا ، لوجب أن يكون القوم إذا تُقفوا بعهد وذمة ، ألا تكون الذلة مضروبة عليهم ، وذلك خلاف ما وصفهم الله به من صفتهم ، وخلاف ما هم به من الصفة ، فقد تبين أيضًا بذلك فساد قول هذا القائل أيضًا .

ولكن القول عندنا أن الباء فى قوله : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . أُذخلت لأن الكلام الذى قبل الاستثناء مقتضى فى المعنى الباء . وذلك أن^(٤) معنى قوله : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقْفُوا ﴾ : ضربت عليهم الذلة بكل مكان تُقفوا . ثم قال : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ ﴾ . على غير وجه الاتصال بالأول ، ولكنه على

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « الحق » . وهو من قولهم : إنك لتكثر الجزء وتخطئ المفصل . مثل يضرب لمن يجتهد فى السعى ثم لا يظفر بالمراد . ينظر نهاية الأرب ١١ / ٣ ، ومجمع الأمثال ٩٦ / ١ .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « المسكنة » .

(٣) فى ص ، ت ، ١ : « قيل » .

(٤) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « هو » .

الانقطاع عنه ، ومعناه : ولكن قد ^(١) يُثَقَّفُونَ بحبيلٍ من اللّهِ وحبيلٍ من الناس ، كما قيل : ﴿ وَمَا كَانِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾ [النساء : ٩٢] . فالخطأ وإن كان منصوبًا بما عمل فيما قبل الاستثناء ، فليس قوله باستثناء متصل بالأول بمعنى : إلا خطأ فإن له قتله كذلك . ولكن معناه : ولكن قد يقتله خطأ . فكذلك قوله : ﴿ أَيْنَ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ ﴾ . وإن كان الذي جلب الباء التي بعد ﴿ إِلَّا ﴾ الفعل الذي يقتضيها قبل ﴿ إِلَّا ﴾ ، فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل بالذي قبله ، بمعنى أن القوم إذا لقوا فالذلة زائلة عنهم ، بل الذلة ثابتة لهم ^(١) بكل حال ، ولكن معناه ما بيّنا آنفًا .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَبَاءُ وَعَضِبِ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا ﴾ [٣/١١] يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَبَاءُ وَعَضِبِ مِنَ اللَّهِ ﴾ : وتحمّلوا غضب اللّهِ فانصرفوا به مستحقّيه . وقد بيّنا أصل ذلك بشواهده ، ومعنى المسكنة ، وأنها ذلّ الفاقة والفقر وخشوعهما ، ومعنى الغضب من اللّهِ ، فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ^(٢) .

وقوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ . يعنى جلّ ثناؤه بقوله : ﴿ ذَلِكَ ﴾ أى : بؤءهم الذى باءوا به من غضب اللّهِ ، وضرب الذلة عليهم ، بدّل مما كانوا يكفرون بآيات اللّهِ . يقول : مما كانوا يجحدون أعلام اللّهِ وأدلته على صدق أنبيائه ، وما فرض عليهم من فرائضه ، ﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٦/٢ ، ٢٧ .

حَقِّ ۞ . يقول : وبما كانوا يقتلون أنبياءهم ورُسلَ الله إليهم ، اعتداءً على الله ، وجراءةً عليه بالباطل ، وبغير حقٍّ استحقُّوا منهم القتل .

فتأويلُ الكلام : ألزِموا الذلَّةَ بأيِّ مكانٍ تُقَوُّوا ، إلا بذمةٍ من الله وذمةٍ من الناس ، وانصرفوا بغضبٍ من / الله مُتَحَمِّلِيهِ ^(١) ، وألزموا ذلَّ الفاقةِ وخشوعِ الفقيرِ ، بدلاً مما كانوا يَجْحَدُونَ بآياتِ الله وأدليته وحججه ، ويقتلون أنبياءه بغيرِ حقٍّ ظلماً واعتداءً .

٥١/٤

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ .

يعنى ^(٢) تعالى ذكره : فعلنا بهم ذلك بكفرهم وقتلهم الأنبياء ومعصيتهم ربهم واعتدائهم أمره .

وقد بيَّنا معنى « الاعتداء » في غيرِ موضعٍ فيما مضى من كتابنا بما ^(٣) فيه الكفاية عن إعادته ^(٤) .

فأعلم ربنا جلَّ ثناؤه عباده ما فعل بهؤلاء القومِ من أهلِ الكتابِ ؛ من إحلالِ الذلَّةِ والخزى بهم في عاجلِ الدنيا ، مع ما ذخر لهم في الآجلِ من العقوبةِ والنكالِ وأليمِ العذابِ ، إذ تعدَّوا حدوده واستحلُّوا محارمه ؛ تذكيراً منه تعالى ذكره لهم ، وتنبهها على موضعِ البلاءِ الذي من قبله أتوا ، ليُنبئوا ويذكروا ، وعِظَةً منه لأمتنا ألا يستنثوا بسنتهم ويؤكِّبوا منهاجهم ^(٥) ، فيسلكَ بهم مسالكهم ، ويُحِلَّ بهم من نقمِ الله ومثلاته ^(٦) ما أحلَّ بهم .

(١) في الأصل : « محتمليه » .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يقول » .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بما » .

(٤) ينظر ما تقدم في ٣٢/٢ .

(٥) في ص : « منهاجهم » ، وفي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « منهاجهم » .

(٦) في س : « بلائته » .

فَقَوْلُهُ ^(١) : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . مرفوعةٌ بقوله : ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ .

وقد توهم جماعةٌ من نحوِّي الكوفة والبصرة والمتقدمين منهم في صناعتهم ^(٢) ، أن ما بعد ﴿ سَوَاءٌ ﴾ في هذا الموضع من قوله : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . ترجمةٌ عن ﴿ سَوَاءٌ ﴾ وتفسيرٌ عنه ، بمعنى : لا يستوى من أهل الكتاب أمةٌ قائمةٌ يثلون آياتِ اللهِ آناءَ الليلِ ، وأخرى كافرةٌ . وزعموا أن ذكرَ الفرقةِ الأخرى تُركَ اكتفاءً بذكرِ إحدى الفرقتين ، وهي الأمةُ القائمةُ ، ومثْلوه بقولِ أبي ذؤيبٍ ^(٣) :

٥٢/٤ /عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لِأَمْرِهَا سَمِيعٌ فَمَا أَدْرَى أُرْشِدُ طِلَابُهَا
ولم يُقَلْ : أم غيرُ رشدي . اكتفاءً بقوله : أُرْشِدُ . من ذَكَرٍ : أم غيرُ رشدي . وبقولِ
الآخرِ ^(٤) :

أَرَاكَ ^(٥) فَلَأَدْرِي أَهَمُّ هَمَمْتُهُ وَذُو الْهَمِّ قَدَمًا خَاشِعٌ مُتَضَائِلٌ
وهو مع ذلك خطأٌ عندهم قولُ القائلِ المرِيدِ أن يَقُولَ : سَوَاءٌ أَقَمْتَ أم قَعَدْتَ :
سَوَاءٌ أَقَمْتَ . حَتَّى يَقُولَ : أم قَعَدْتَ . وَإِنَّمَا يُجِيزُونَ حَذْفَ الثَّانِي فِيمَا كَانَ مِنَ
الكَلامِ مَكْتَفِيًا بِوَاحِدٍ ، دُونَ مَا كَانَ نَاقِصًا عَنِ ذَلِكَ ، وَذَلِكَ نَحْوُ : مَا أَبَالِي . أَوْ : مَا
أَدْرِي . فَأَجَازُوا فِي ذَلِكَ : مَا أَبَالِي أَقَمْتَ . وَهَمَّ يَرِيدُونَ : مَا أَبَالِي أَقَمْتَ أم قَعَدْتَ .
لَا كِتْفَاءً : مَا أَبَالِي . بِوَاحِدٍ ، وَكَذَلِكَ فِي ^(٦) : مَا ^(٧) أَدْرِي . وَأَبَوَا الْإِجَازَةَ فِي

(١) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قوله » .

(٢) ينظر معاني القرآن للفرء ١ / ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٣) تقدم تخريج البيت في ١ / ٣٤٤ .

(٤) معاني القرآن للفرء ١ / ٢٣١ .

(٥) في م : « أزال » .

(٦) بعده في ت ٢ : « ما أبالي أو » .

(٧) بعده في الأصل : « لا » .

« سواء » ، من أجل نقصانه ، وأنه غير مكثف بواحد . فأغفلوا في توجيههم قوله : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . على ما حكينا عنهم إلى ما وجهوه [١١/٤٤] إليه - مذاهبتهم في العربية ، إذ أجازوا فيه من الحذف ما هو غير جائز عندهم في الكلام مع « سواء » . وأخطئوا تأويل الآية ، ف﴿ سَوَاءٌ ﴾ في هذا الموضع بمعنى التمام والاكتماء ، لا بالمعنى الذي تأوله من حكينا قوله .

وقد ذكر أن قوله : ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . الآيات الثلاث نزلت في جماعة من اليهود أسلموا فحسب إسلامهم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سَعِيَّة^(١) ، وأسيد بن سَعِيَّة ، وأسد بن عبيد ، ومن أسلم من يهود معهم ، فآمنوا وصدقوا ، ورغبوا في الإسلام ، وتنحوا^(٢) فيه ، قالت أجباز يهود وأهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا أتبعه إلا أشرارنا ، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا / دين آبائهم وذهبوا إلى غيره . فأنزل الله ٥٣/٤ تبارك وتعالى في ذلك من قولهم : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَوْلِيكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(٣) .

(١) في ص ، ت ٢ ، س : « سعيد » .

(٢) في الأصل : « تنحوا » ، وبدون نقط في ص ، وفي ت ١ ، ت ٣ : « نجوا » ، وفي ت ٢ : « محرا » ، وفي م ، وتفسير ابن أبي حاتم : « منحوا » ، وفي سيرة ابن هشام : « رسخوا » . وتنحوا فيه : توجهوا له ، وصاروا في ناحيته ، وقصدوه . ينظر النهاية ٣٠/٥ ، والتاج (ن ح و) .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٥٧/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٧/٣ (٤٠٠٣) من طريق سلمة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٤/٢ إلى ابن المنذر .

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : ثنا يونسُ بْنُ (١) بكيرٍ ، عن محمدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ :
ثنى محمدُ بْنُ أَبِي محمدٍ مولى زيدِ بْنِ ثابتٍ ، قَالَ : ثنى سعيدُ بْنُ جبيرٍ ، أو عكرمةُ ،
عن ابنِ عباسٍ بنحوِهِ . (٢)

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قَالَ : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ الآية . يَقُولُ : ليس كلُّ القومِ هلكَ ، قد كان لله فيهم
بقيةٌ . (٣)

حَدَّثَنَا القاسمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قَالَ : ثنى حجاجُ ، قَالَ : قال ابنُ جريجٍ :
﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ : عبدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ ، وثعلبةُ بْنُ سَلامٍ أخوه ، وسَعيَةُ ومُبَشَّرٌ ، وأسيَدُ
وأَسَدُ ابنا كعبٍ . (٤)

وقال آخرون : معنى ذلك : ليس أهلُ الكتابِ وأُمَّةُ محمدٍ القائمةُ بحقِّ اللَّهِ
سواءً عندَ اللَّهِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عمرو ، قَالَ : ثنا أبو عاصمٍ ، قال ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي
نجيحٍ ، عن الحسنِ بْنِ يزيدَ (٥) العجلِيِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بْنِ مسعودٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي
قَوْلِهِ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . قَالَ : لَا يَسْتَوِي أَهْلُ الْكِتَابِ

(١) في النسخ : « عن » .

(٢) أخرجه الطبراني (١٣٨٨) من طريق أبي كريب به ، وأخرجه البيهقي في الدلائل ٥٣٣/٢ - ومن طريقه

ابن عساكر في تاريخه ١١٥/٢٩ - من طريق يونس به .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٤/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٥/٢ إلى المصنف .

(٥) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أبي يزيد » ، وفي س : « أبي زيد » . وينظر التاريخ الكبير ٣٠٨/٢ ،

والجرح ٤٢/٣ .

وأمة محمد ﷺ^(١) .

حدَّثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ الآية . يقول : ليس هؤلاء اليهود كمثل هذه الأمة التي هي قائمة^(٢) .

وقد بينا أن أولى [٥/١١] القولين بالصواب في ذلك قول من قال : قد تمت القصة عند قوله : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ . عن إخبار الله بأمر مؤمنى أهل الكتاب وأهل الكفر منهم ، وأن قوله : ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . خير مبتدأ عن مدح مؤمنيهم ، ووصفهم بصفتهم ، على ما قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج . ويعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ : جماعة ثابتة على الحق . وقد دللنا على معنى « الأمة » فيما مضى ، بما أغتنى عن إعادته^(٣) .

وأما « القائمة » ، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ؛ فقال بعضهم : معناها العادلة .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن منجهد : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . قال : عادلة^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٧/٣ (٤٠٠٠) من طريق ابن أبي نجيح به ، وستأتي بقيته في ص ٦٩٧ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٧/٣ (٤٠٠١) من طريق أحمد بن المفضل به ، وفيه : قانتة لله .

(٣) ينظر ما تقدم في ١/٢٢٤ .

(٤) تفسير مجاهد ص ٢٥٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨٦/٢ (١٢٢٣) تحقيق حكمت

بشير ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٦٥/٢ إلى عبد بن حميد .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنها قائمة على كتاب الله وما أمر به فيه .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . يقول : قائمة على كتاب الله وفرائضه وحدوده .

حدَّثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . يقول : قائمة على كتاب الله وحدوده وفرائضه ^(١) .

/حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . يقول : أمة مهتدية ، قائمة على أمر الله ، لم تنزع عنه وتتركه ، كما تركه الآخرون وضيعوه ^(٢) .

٥٤/٤

وقال آخرون : بل معنى ﴿ قَائِمَةٌ ﴾ : مطيعة .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ الآية . يقول : ليس هؤلاء اليهود كمثل هذه الأمة التي هي قائمة ^(٣) لله ، والقائمة ^(٤) المطيعة ^(٥) .

وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك ما قاله ابن عباس وقتادة ومن قال

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٨/٣ (٤٠٠٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٨/٣ (٤٠٠٤ ، ٤٠٠٥) عن محمد بن سعد به .

(٣) في م ، وتفسير ابن أبي حاتم : « قائمة » .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « القائمة » .

(٥) تقدم في الصفحة السابقة ، إلى قوله : قائمة .

بقولهما ، على ما روينا عنهم ، وإن كان سائر الأقوال الأخر متقاربة المعنى من معنى ما قاله ابن عباس وقتاده في ذلك ، وذلك أن معنى قوله : ﴿ قَائِمَةٌ ﴾ : مستقيمة على الهدى وكتاب الله وفرائضه وشرائع دينه ، بالعدل والطاعة ، وغير ذلك من أسباب الخير من صفة أهل الاستقامة على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ . ونظير ذلك الخبر الذي رواه النعمان بن بشير عن النبي ﷺ أنه قال : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم ركبوا سفينة » ^(١) . [١١ / ٥٥] ثم ضرب لهم مثلاً ، فالقائم على حدود الله هو الثابت على التمسك بما أمره الله به واجتناب ما نهاه الله عنه . فتأويل الكلام : من أهل الكتاب جماعة معتصمة بكتاب الله متمسكة به ، ثابتة على العمل بما فيه وبما ^(٢) سن لهم ^(٣) رسوله ﷺ .

القول في تأويل قوله : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ ^(١١٣) .

يعنى بقوله : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ : يقرءون كتاب الله آناء الليل . ويعنى بقوله : ﴿ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ : ما أنزل الله في كتابه من العبر والمواعظ . يقول : يتلون ذلك آناء الليل ^(٤) فيتدبرونه ويتفكرون فيه .

وأما ﴿ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ . فساعات الليل ، واحداً إنى ، كما قال الشاعر ^(٥) :

حُلُوٌّ وَمُرٌّ كَعَطْفِ الْقِدْحِ مِرَّتُهُ فى كُلِّ إِنْيِ حَذَاهُ ^(٦) اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ ^(٧)

(١) أخرجه الحميدى (٩١٩) ، وأحمد ٣١/٣٠ (١٨٣٦١) ، والبخارى (٢٤٩٣ ، ٢٦٨٦) ، والترمذى (٢١٧٣) .

(٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، وفى م : « ما » .

(٣) فى النسخ « له » . والمثبت ما يقتضيه السياق .

(٤) بعده فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يقول فى ساعات الليل » .

(٥) هو المتنخل الهدلى ، والبيت فى ديوان الهدليين ٢ / ٣٥ .

(٦) فى الأصل ، ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « من » .

(٧) فى م : « قضاة » .

(٨) كعطف القدح : يريد : طوى كما يطوى القدح . ومرثه : قتلته . ينتعل : يسرى فى كل ساحة من الليل =

وقد قيل إن واحد الآناء: إني مقصورٌ، كما واحد الأمعاء معي .
واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : تأويله : ساعات الليل .
كما قلنا .

ذكر من قال ذلك

٥٥/٤

حدَّثنا بشرٌ، قال : ثنا يزيدٌ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادة : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ
آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ : أي ساعات الليل^(١) .

حدَّثت عن عمارٍ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ، قال : آناء
الليل ساعات الليل^(٢) .

حدَّثنا القاسمُ، قال : ثنا الحسينُ، قال : ثنى حجاجٌ، قال : قال ابنُ جريجٍ :
قال عبدُ اللَّهِ بنُ كثيرٍ : سمعنا العرب تقولُ : آناء الليل ساعات الليل .
وقال آخرون : آناء الليل جوف الليل .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ، قال : ثنا أسباطُ، عن
السدِّي : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ : أمّا ﴿ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ : فجوف الليل^(٣) .
وقال آخرون : بل غنى بذلك قومٌ كانوا يُصلُّون العشاء الآخرة^(٤) .

= من هدايته . ينظر شرح أشعار الهذليين ٣/١٢٨٣ .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٣٩ عقب الأثر (٤٠١٣) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٣٩ عقب الأثر (٤٠١٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٣٨ عقب الأثر (٤٠١٠) من طريق عمرو، عن أسباط به .

(٤) في م : « الأخيرة » .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ^(١) الْعَجَلِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ ﴾ : صَلَاةُ الْعَتَمَةِ هُمْ يُصَلُّونَهَا ، وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَا يُصَلِّيَهَا^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، عَنْ عبيدِ اللَّهِ بْنِ زَحْرٍ ، عَنْ سَلِيمَانَ ، عَنْ زُرَّارِ بْنِ حُبَيْشٍ ، [٦/١١] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : احْتَبَسَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، كَانَ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِهِ أَوْ نِسَائِهِ ، فَلَمْ يَأْتِنَا لَصَلَاةِ الْعِشَاءِ حَتَّى ذَهَبَ لَيْلٌ ، فَجَاءَ وَمَنَا الْمُصَلِّيُّ وَمَنَا الْمُضْطَجِعُ ، فَبَشَّرْنَا وَقَالَ : « إِنَّهُ لَا يُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَاةَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ » . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾^(٣) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : ثنا عَلِيُّ بْنُ مَعْبُدٍ ، عَنْ أَبِي يَحْيَى الْخِرَاسَانِيُّ ، عَنْ نَصْرِ بْنِ طَرِيفٍ ، عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ زُرَّارِ بْنِ حُبَيْشٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ الْعِشَاءَ - يُرِيدُ الْعَتَمَةَ - فَقَالَ لَنَا : « مَا عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ يَنْتَظِرُ هَذِهِ الصَّلَاةَ فِي هَذَا الْوَقْتِ غَيْرُكُمْ » . قَالَ :

(١) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أَبِي يَزِيدَ » .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ الْكَبِيرِ ٣٠٨/٢ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٣٩/٣ (٤٠١٤) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّر الْمُنْتَوَّرِ ٦٥/٢ إِلَى الْفَرِيَابِيِّ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ . وَتَقَدَّمَ أَوَّلُهُ فِي ص ٦٩٢ ، ٦٩٣ .

(٣) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « وَ » .

(٤) أَخْرَجَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ ص ٨٨ مِنْ طَرِيقِ يُونُسَ بِهِ ، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (١٠٢٠٩) ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ ١٨٧/٤ مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ بِهِ .

(٥ - ٥) فِي س : « ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ » .

فَنَزَلَتْ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ الْيَلِّ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾^(١) .

وقال آخرون : بل غنى بذلك قوم كانوا يُصَلُّون فيما بينَ المغربِ والعِشاءِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ ، عن منصورٍ ، قال : / بَلَّغْنِي أَنهَا نَزَلَتْ - : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ الْيَلِّ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ - فيما بينَ المغربِ والعِشاءِ^(٢) .

٥٦/٤

وهذه الأقوال التي ذكرتها على اختلافها متقاربة المعاني ، وذلك أن الله تعالى ذكره وصف هؤلاء القوم بأنهم يتلون آيات الله في ساعات الليل ، وهي آناؤه ، وقد يكون تأليها في صلاة العشاء تألياً لها آناء الليل ، وكذلك من تلاها فيما بين المغرب والعشاء ، ومن تلاها جوف الليل ، فكلُّ تالٍ لها^(٣) ساعات الليل . غير أن أولى الأقوال بتأويل الآية قول من قال : غنى بذلك تلاوته^(٤) القرآن في صلاة العشاء ؛ لأنها صلاة لا يُصَلِّيها أحدٌ من أهل الكتاب ، فوصف الله جل ثناؤه أمة محمد ﷺ بأنهم يُصَلُّونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله .

وأما قوله : ﴿ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ . فإن بعض أهل العربية^(٥) زعم أن معنى

(١) أخرجه أحمد ٣٠٤/٦ (٣٧٦٠) ، والنسائي في الكبرى (١١٠٧٣) ، والبخاري (٣٧٥) ، وأبو يعلى (٥٣٠٦) ، وابن أبي حاتم ٧٣٨/٣ (٤٠٠٨) ، (٤٠٠٩) ، وابن حبان (١٥٣٠) ، والواحدى في أسباب النزول ص ٨٧ ، ٨٨ من طريق عاصم به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٦٥/٢ إلى ابن المنذر .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٣١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٩/٣ (٤٠١٢) من طريق الثوري به ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٦٥/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « له » .

(٤) في م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « تلاوة » .

(٥) هو الفراء في معاني القرآن ١/٢٣١ .

السجود في هذا الموضع اسمٌ للصلاة لا للسجود ؛ لأن التلاوة لا تكون في السجود ولا في الركوع ، فكأن معنى الكلام كان^(١) عنده : يتلون آيات الله آناء الليل وهم يُصلُّون .

وليس المعنى على ما ذهب إليه ، وإنما معنى الكلام : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل في صلاتهم ، وهم مع ذلك يشجّدون فيها . فالسجود هو السجود المعروف في الصلاة .

القول في تأويل قوله : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ [٦/١١] ﴾ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ .

يعنى بقوله : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ : يُصَدِّقُونَ بِاللَّهِ وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ مُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ ، وَلَيْسُوا كَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَجْحَدُونَ وَحِدَانِيَةَ اللَّهِ ، وَيَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ ، وَيُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ ، وَيُنْكِرُونَ الْمَجَازَةَ عَلَى الْأَعْمَالِ ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ .

وقوله : ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ . يقول : وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَصَدِيقِ مُحَمَّدٍ^(٢) وَمَا^(٣) جَاءَهُمْ بِهِ . ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . يَقُولُ : وَيَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْكَفْرِ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ ، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَهُوَ تَصَدِيقُ مُحَمَّدٍ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، ﴿ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ . يَقُولُ : وَيَسْتَدِرُّونَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ؛ خَشْيَةً أَنْ يُفَوَّتَهُمْ ذَلِكَ قَبْلَ مَعَاجِلَتِهِمْ مَنَائِمَهُمْ .

(١) سقط من : م ، ت ، ٢ ، ٣ .

(٢ - ٢) في الأصل : « بما » .

ثم أخبر جل ثناؤه أنّ هؤلاء الذين هذه صفتهم من أهل الكتاب ، هم من عداد الصالحين ؛ لأن من كان منهم فاسقاً قد باء بغضبٍ من الله ؛ لكفره بالله وآياته ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وعصيانه ربّه ، واعتدائه في حدوده .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ .

اختلّفت القراءة في قراءة ذلك ؛ فقرأته عامة قراءة الكوفة : ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ﴾ . بالياء^(١) جميعاً ، ردّاً على صفة القوم الذين وصفهم جل ثناؤه بأنهم يأْمرون بالمعروف ويَنْهون عن المنكر .

٥٧/٤

وقرأته عامة قراءة المدينة والحجاز وبعض قراءة الكوفة ، بالتاء في الحرفين جميعاً : (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ)^(٢) . بمعنى : وما تفعلوا أنتم أيها المؤمنون من خير فلن يكفركموه ربكم .

وكان بعض قراءة أهل البصرة يري القراءتين في ذلك جائزاً بالياء والتاء في الحرفين . والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ﴾ . بالياء في الحرفين كليهما ، يعنى بذلك الخبر عن الأمة القائمة ، التالية آيات الله . وإنما اخترنا ذلك لأن ما قبل هذه الآية من الآيات خبر عنهم ، فالحاق هذه الآية - إذ كان لا دلالة فيها تدل على الانصراف عن صفتهم - بمعاني الآيات

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص .

ينظر حجة القراءات ص ١٧٠ .

(٢) وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي عمرو البصري وعاصم في رواية أبي بكر عنه . ينظر السبعة لابن

قَبْلَهَا أُولَى مِنْ صَرَفِهَا عَنْ مَعَانِي مَا قَبْلَهَا .

وبالذی اخترنا من القراءة كان ابن عباس يقرأ .

[٧/١١] حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ التَّغْلِبِيُّ ، قَالَ ثنا القاسمُ بْنُ سَلَامٍ ، قَالَ : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : بلغني عن ابن عباس أنه كان يقرؤهما جميعًا بالياء^(١) .

فتأويل الآية إذن على ما اخترنا من القراءة : وما تفعل هذه الأمة من خير ، وتعمل من عمل لله فيه رضا ، فلن يكفروهم الله ذلك . يعنى بذلك : فلن يُبطلَ اللهُ ثواب عملهم ذلك ، ولا يدعهم بغير جزاء منه لهم عليه ، ولكنه يُجزلُ لهم الثواب عليه ، ويُسنى^(٢) لهم الكرامة والجزاء .

وقد دللنا على معنى « الكفر » فيما مضى قبل بشواهد ، وأن أصله تغطية الشيء^(٣) . فكذلك ذلك في قوله : ﴿ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ﴾ : فلن يُعطَى على ما فعلوا من خير ، فيتركوا بغير مجازاة ، ولكنهم يشكرون على ما فعلوا من ذلك ، فيجزلُ لهم الثواب منه .

وبنحو ما قلنا^(٤) من التأويل تأوّل من تأوّل ذلك من أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال ثنا سعيد ، عن قتادة : (وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ) . يقول : لن يُضَلَّ عنكم^(٥) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٥/٢ إلى المصنف .

(٢) يعنى : يزيد .

(٣) ينظر ما تقدم في ٢٦٢/١ .

(٤) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « في ذلك » .

(٥) عزاه السيوطي في الدر ٦٥/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثله ^(١) .

وأما قوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ . فإنه يقولُ تعالى ذكره : وَاللَّهُ ذُو عِلْمٍ بِمَن اتَّقَاهُ بَطَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ ، وَحَافِظُ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ حَتَّى يُثَبِّتَهُمْ عَلَيْهَا ، وَيَجَازِيَهُمْ بِهَا ؛ تَبَشِيرًا مِنْهُ لَهُمْ جَلٌّ ذِكْرُهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا ، وَحُضًّا لَهُمْ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنْ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي ارْتَضَاهَا لَهُمْ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

/وهذا وعيدٌ من الله جل ثناؤه للأمة الأخرى الفاسقة من أهل الكتاب ، الذين أخبر عنهم بأنهم فاسقون ، وأنهم قد باءوا بغضبٍ منه ، ولمن كان من نُظرائهم من أهل الكفر بالله ورسوله ، وما جاء به محمدٌ ﷺ من عند الله . يقولُ تعالى ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . يعنى : الذين جحدوا بُوءة محمدٍ ﷺ ، وكذبوا به ، وبما جاءهم به من عند الله ، ﴿ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ ، يعنى : لن تدفع أمواله التى جمعتها فى الدنيا ، وأولاده الذين ربَّاهم فيها ، شيئًا من عقوبة الله يوم القيامة ، إن أخرها لهم إلى يوم القيامة ، ولا فى الدنيا إن عجلها لهم فيها .

وإنما خصَّ أمواله وأولاده ؛ [٧/١١٦] لأن أولاد الرجل أقربُ أنسبائه إليه ، وهو على ماله أقدر ^(٢) منه على مال غيره ، وأمره فيه أجوزُ من أمره فى مال غيره ، فإذا لم يُغن عنده ولده لصلبه ، وماله الذى هو نافذُ الأمر فيه ، فغير ذلك من أقربائه وسائر

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٤٠/٣ (٤٠٢٠) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أقرب » .

أَنْسِبَائِهِ وَأَمْوَالِهِمْ ، أَبْعُدْ مِنْ أَنْ تُعْنَى عَنْهُ مِنَ اللَّهِ شَيْعًا .

ثم أخبر جلّ ذكره أنهم هم أهل النار الذين هم أهلها بقوله : ﴿ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ . وإنما جعلهم أصحابها ؛ لأنهم أهلها الذين لا يخرجون منها ولا يفارقونها ، كصاحب الرجل الذي لا يفارقه ، وقرينه الذي لا يُزايِلُه ، ثم وكّد ذلك بإخباره عنهم أنهم فيها خالدون : إِنَّ^(١) صُحْبَتَهُمْ إِثَّاهَا صَحْبَةٌ لَا انْقِطَاعَ لَهَا ، إِذْ كَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا يُفَارِقُ صَاحِبَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ ، وَيُزَايِلُهُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ صَحْبَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ النَّارَ الَّتِي أُضْلُوها ، وَلَكِنَّهَا صَحْبَةٌ دَائِمَةٌ لَا نِهَايَةَ لَهَا وَلَا انْقِطَاعَ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهَا ، وَمِمَّا قَرَّبَ مِنْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ .

القول في تأويل قوله : ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْ ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : سَبَهُ مَا يُنْفِقُ الَّذِينَ كَفَرُوا - أَيْ : سَبَهُ مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ الْكَافِرُ مِنْ مَالِهِ ، فَيُعْطِيهِ مَنْ يُعْطِيهِ عَلَى وَجْهِ الْقُرْبَى إِلَى رَبِّهِ ، وَهُوَ لَوْحْدَانِيَّةُ اللَّهِ جَاحِدٌ ، وَلِحَمْدِ نَبِيِّهِ ﷺ مُكْذِبٌ ، فِي أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ نَافِعِهِ مَعَ كُفْرِهِ ، وَأَنَّهُ مُضْمَحِلٌّ عِنْدَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ ، ذَاهِبٌ بَعْدَ الَّذِي كَانَ يَزْجُو مِنْ عَائِدَةٍ نَفَعِهِ عَلَيْهِ - كَسَبِهِ ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ يعنى : فِيهَا^٢ بَرْدٌ شَدِيدٌ ، ﴿ أَصَابَتْ ﴾ هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي فِيهَا الْبَرْدُ الشَّدِيدُ : ﴿ حَرْثَ قَوْمٍ ﴾ . يعنى : زَرْعَ قَوْمٍ ، قَدْ أَمَلُوا إِدْرَاكَهُ ، وَرَجَّوْا رَيْعَهُ ، وَعَائِدَةٌ نَفَعُهُ ، ﴿ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ . يعنى : أَصْحَابَ الزَّرْعِ ، عَصَبُوا اللَّهَ وَتَعَدَّوْا حُدُودَهُ ؛ ﴿ فَأَهْلَكَتْ ﴾ ، يَقُولُ : فَأَهْلَكَتِ الرِّيحُ الَّتِي فِيهَا الصِّرُّ زَرْعَهُمْ ذَلِكَ ، بَعْدَ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَمَلِ ، وَرَجَاءِ عَائِدَةٍ نَفَعِهِ عَلَيْهِمْ .

(١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢ - ٢) سقط من : م .

يقولُ تعالى ذكره : فكذلك فَعَلُ اللّهِ بنفقةِ الكافرِ وصدقتهِ في حياته حينَ يَلْقَاهُ ، يُنْطَلُ ثَوَابُهَا ، وَيُخَيَّبُ رَجَاءَهُ مِنْهَا .

وَخَرَجَ الْمَثَلُ لِلنَّفَقَةِ ، وَالْمَرَادُ بِالْمَثَلِ صَنِيعُ اللّهِ بِالنَّفَقَةِ ، يُبَيِّنُ ذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . فهو كما قد بَيَّنَّا في مثله من قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا ﴾ [البقرة : ١٧] . وما أشبه ذلك .

فتأويلُ الكلامِ : مَثَلُ إِبْطَالِ اللّهِ أَجَرَ مَا يُنْفِقُونَ في هذه الحياةِ الدنيا ، كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ . وإنما جاز/ تَزَكُّ ذِكْرُ إِبْطَالِ اللّهِ أَجَرَ ذَلِكَ لِدَلَالَةِ آخِرِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . ولمعرفةِ السامعِ [٨/١١] ذلكَ معناه .

واختلف أهلُ التأويلِ في معنى « النَّفَقَةِ » التي ذَكَرَهَا في هذه الآيةِ ؛ فقال بعضهم : هي النَّفَقَةُ المعروفةُ في الناسِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، فِي قَوْلِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ . قَالَ : نَفَقَةُ الْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلِ ^(٢) الَّذِي يَقُولُهُ بِلْسَانِهِ مِمَّا لَا يُصَدِّقُهُ قَلْبُهُ ^(٣) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٧٤١ (٤٠٢٤) من طريق ابن أبي نجيح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٦٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « ذلك قوله » .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٢ ، س : « بقلبه » .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المُفضَّل ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدِّي : ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ ﴾ . يقول : مَثَلُ مَا يُنْفِقُ^(١) فلا يُقْبَلُ منه كمثلِ هذا الزرع إذا زَرَعَهُ القَوْمُ الظالمون ، فأصابته ريحٌ فيها صِرٌّ ، أصابته فأهلكته . فكذلك أنفقوا ، فأهلكهم شِرُّكهم^(٢) .

وقد بيَّنا أولى ذلك بالصوابِ قبلُ .

وقد تقدَّم بيَّاننا تأويلَ : ﴿ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ . بما فيه الكفاية من إعادته في هذا الموضع^(٣) .

وأما الصِّرُّ فإنه شدة البرد ، وذلك بعُصوفٍ من الشمالِ في إحصارِ الطَّلِّ والأنداءِ ، في صبيحةٍ مُغمِمةٍ^(٤) بعقبِ ليلةٍ مُضحِيةٍ .

كما حدَّثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن عثمان بن غياث ، قال : سمعتُ عكرمة يقولُ : ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . قال : برِّدٌ شديدٌ^(٥) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال لي ابنُ جريج : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . قال : برِّدٌ شديدٌ وزمهريرٌ .

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يقول » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤١/٣ (٤٠٢٨) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٣) ينظر ما تقدم في ٢١٦/٢ ، ٦٠٥/٣ .

(٤) في م : « معتمة » . ومعنى الكلام في صبيحة لا يرى فيها شمس من شدة الدُّجْن ، تعقب ليلة انقشع عنها الغيم . اللسان (غ ي م ، ص ح و) .

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤١/٣ عقب الأثر (٤٠٢٥) معلقاً . (تفسير الطبري ٤٥/٥)

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثنا معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . يقولُ : بَرْدٌ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عن سفيانَ ، عن هارونَ بنِ عنترةَ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : الصَّرُّ البَرْدُ^(١) .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قَالَ : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . أي بَرْدٌ شديدٌ^(٢) .

حَدَّثْتُ عن عَمَّارٍ ، قَالَ : حدثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثله^(٣) .
حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أحمدُ ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عن الشدِّيِّ : « الصَّرُّ » :
البرْدُ^(٤) .

٦٠/٤ / حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عمي ، قَالَ : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . يقولُ : رِيحٌ فيها بَرْدٌ .

حَدَّثَنِي يونسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : ﴿ رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . قَالَ : صِرٌّ بَارِدَةٌ أَهْلَكَتْ حَرَّتَهُمْ . قَالَ : وَالْعَرَبُ تَدْعُوهَا الضَّرِيْبَ . تَأْتِي الرِّيحُ بَارِدَةً ، فَتُصْبِحُ ضَرِيْبًا قَدْ احْتَرَقَ الزَّرْعُ . تَقُولُ : ضَرِبَ اللَّيْلَةَ . أَصَابَهُ ضَرِيْبٌ ، تَلَّتْ الصَّرُّ الَّتِي أَصَابَتْهُ .

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٢٢ - تفسير)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤١/٣ (٤٠٢٥) من طريق عنترة به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٥/٢ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤١/٣ عقب الأثر (٤٠٢٥) معلقا.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤١/٣ عقب الأثر (٤٠٢٥) من طريق ابن أبي جعفر به.

(٤) بعده في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «الشديد».

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤١/٣ عقب الأثر (٤٠٢٥) من طريق عمرو بن حماد، عن أسباط به.

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا جُوزَيْمٌ ، عَنِ الضَّحَّاكِ : ﴿ رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . قَالَ : رِيحٌ فِيهَا بَرْدٌ^(١) .

[١١٨/٨] الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾^(١١٧) .

يعنى بذلك جلّ ثناءؤه : وما فعل الله بهؤلاء الكفار ما فعل بهم ، من إحباطه ثواب أعمالهم وإبطاله أجورها ؛ ظلماً منه لهم ، يعنى : وُضِعَ منه لما فعل بهم من ذلك فى غير موضعه ، وعند غير أهله ، بل وُضِعَ فعله ذلك فى موضعه ، وفعل بهم ما هم أهله ؛ لأن عملهم الذى عملوه لم يكن لله وهم له بالوحدانية دائنون ، ولأمره متبوعون ، ولرسليه مُصدّقون ، بل كان ذلك منهم وهم به مشركون ، ولأمره مخالفون ، ولرسليه مُكذّبون ، بعد تقدّم منه إليهم أنه لا يقبل عملاً من عاملٍ ، إلا مع إخلاص التوحيد له ، والإقرار بنبوة أنبيائه ، وتصديق ما جاءهم به ، وتوكيده الحُجَجَ بذلك عليهم ، فلم يكن بفعله ما فعل بمن كفر به ، وخالف أمره فى ذلك ، بعد الإعذار إليه ، من إحباط أجر^(٢) عمله ، له ظالماً ، بل الكافر^(٣) هو الظالم نفسه ، لإكسابها من معصية الله ، وخلاف أمره ، ما أوردها به نار جهنم ، وأصلاها به سعير سقر .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِيٰطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ .

يعنى بذلك جل ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، وأقرّوا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم ، ﴿ لَا تَتَّخِذُوا بِيٰطَانَةً ﴾ . يقول : لا تتخذوا أولياء وأصدقاء

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤١/٣ عقب الأثر (٤٠٢٥) معلقاً .

(٢) فى ص : « وفر » ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وافر » .

(٣) بعده فى الأصل : « و » .

لأنفسِكُمْ ﴿ مِّنْ دُونِكُمْ ﴾ . يقول : من دون أهل دينكم ومِلَّتِكُمْ . يعنى : من غير المؤمنين . وإنما جعل البطانةً مَثَلًا لخليل الرجل ، فَشَبَّهَهُ بما ولى بطنه من ثيابه ؛ لجلوله ^(١) منه فى اطلاعِه على أسرارِه وما يَطُويه عن أبعادِه وكثير من أقاربه ، مَحِلًّا ما ولى جَسَدَه من ثيابه .

فَنَهَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ به أن يتخذوا من الكفارِ به أُخِلَاءَ وَأَصْفِيَاءَ ، ثم عَرَفَهُمْ ما هم عليه لهم مُنْطَوُونَ ، من الغِشِّ والخِيَانَةِ ، وَبُغِيَّتِهِمْ ^(٢) إِيَّاهُمُ الْغَوَائِلَ ، مُحَذَّرَهُمْ بذلك منهم ومن ^(٣) مُخَالَتِهِمْ ، فقال تعالى ذكره : ﴿ لَا يَأْلُوكُمْ خَبَالًا ﴾ . يعنى : لا يستطيعونكم شَرًّا . من : أَلَوْتُ أَلُوًّا . يقال : ما أَلَا فلانٌ كذا . أى : ما استطاع ، كما قال الشاعر ^(٤) :

٦١/٤ /جَهْرَاءُ لَا تَأْلُو إِذَا هِيَ أَظْهَرَتْ بَصْرًا وَلَا مِنْ عَيْلَةٍ تُغْنِينِي
[٩/١١] يعنى : لا تستطيع عند الظهر إِبْصَارًا .

وإنما يعنى جلّ ذكره بقوله : ﴿ لَا يَأْلُوكُمْ خَبَالًا ﴾ . البِطَانَةُ التى نَهَى المؤمنين عن اتخاذِها من دونهم ، فقال : إن هذه البِطَانَةُ لا تُتْرَكُكُمْ طاقَتها خَبَالًا . أى : لا تَدْعُ جهدها فيما أَوْرَثَكُمْ الخَبَالَ .

وأصلُ الخَبَلِ والخَبَالِ الفسادُ ، ثم يُسْتَعْمَلُ فى معانٍ كثيرة ، يَدُلُّ على ذلك الخبرُ عن النبي ﷺ : « مَنْ أُصِيبَ بِخَبَلٍ أَوْ جِرَاحٍ » ^(٥) .

(١) فى الأصل : « لجلوله » .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بغيتهم » .

(٣) فى الأصل : « عن » .

(٤) هو أبو العيال الهذلى ، والبيت فى ديوان الهذليين ٢/٢٦٣ .

(٥) أخرجه أحمد ٢٦٦/٢٦٦ ، ٢٩٧ (١٦٣٧٥) ، والدارمى ١٨٨/٢ ، وأبو داود (٤٤٩٦) ، وابن ماجه

(٢٦٢٣) من حديث أبى شريح الخزاعى .

وأما قوله: ﴿وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ﴾ . فإنه يعنى : ودُّوا عنتكم . يقول : يَتَمَنُّونَ لكم العنتَ والشرَّ فى دينكم ، وما يسوءكم ولا يشترُّكم .

وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق منهم ، ويضافونهم المؤدَّة ، بالأسباب التى كانت بينهم فى جاهليتهم قبل الإسلام ، فنهاهم الله عن ذلك ، وأن يشتنصحوهم فى شىء من أمورهم .

ذكرُ «الخبيرِ بذلك»^(١)

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاق ، قال : قال محمدُ ابنُ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبَّيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان رجالٌ من المسلمين يواصلون رجالاً من يهودَ ؛ لما كان بينهم من الجوارِ والحلفِ فى الجاهلية ، فأنزل اللهُ تبارك وتعالى فيهم ، ينهاهم عن مباطئتهم ؛ تحوُّفَ الفتنة عليهم منهم : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِيَدَانَهُمْ دُونَكُمْ﴾ . إلى قوله : ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾^(٢) .

حدثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ الله تبارك وتعالى : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِيَدَانَهُمْ دُونَكُمْ لَا يَأْلُوْنَكُمْ خَبَالًا﴾ : فى المنافقين من أهلِ المدينة ، نهى اللهُ جل ثناؤه المؤمنين أن يتولَّوهم^(٣) .

(١ - ١) فى ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « من قال ذلك » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٥٨/١ ، وذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٨٨ عن ابن عباس معلقاً ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٣/٣ (٤٠٣٧) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد قوله . وعزه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٨ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٢/٣ (٤٠٣٤) ، وعزه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قَالَ : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ : نَهَى اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَدْخِلُوا الْمَنَافِقِينَ أَوْ يُؤَاخِوهُمْ ، أَوْ ^(١) يَتَوَلَّوْهُمْ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عَمِي ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ : هم المنافقون ^(٣) .

٦٢/٤ / حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه عن الربيعِ قوله : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ . يقولُ : لا تَسْتَدْخِلُوا الْمَنَافِقِينَ ، فَتَوَلَّوْهُمْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٤) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَيَعْقُوبُ بْنُ إِبرَاهِيمَ ، قالا : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشِبٍ ، عن الأزهريِّ بنِ راشدٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قَالَ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَسْتَضَيُّوْا بِنَارِ أَهْلِ الشُّرْكِ ، وَلَا تَنْتَقِشُوا فِي خَوَاتِمِكُمْ عَرِيَّتًا » . [٩/١١٧] قَالَ : فلم يَدْرُوا ما ذلكَ حتى أتوا الحسنَ فسألوه ، فقال : نعم ، أما قوله : « لَا تَنْتَقِشُوا فِي خَوَاتِمِكُمْ عَرِيَّتًا » . فإنه يقولُ : لَا تَنْتَقِشُوا فِي خَوَاتِمِكُمْ مُحَمَّدًا . وأما قوله : « وَلَا تَسْتَضَيُّوْا بِنَارِ أَهْلِ الشُّرْكِ » . فإنه يعني به المشركين ، يقولُ لَا تَسْتَشِيرُوهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِكُمْ . قَالَ : وقال الحسنُ : وتصديقُ ذلكَ في كتابِ اللَّهِ . ثم تلا هذه الآيةَ : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ ^(٥) .

(١) في ص ، ت ٢ : « أن » ، وفي م ، ت ١ ، س : « أي » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٣/٣ (٤٠٣٥) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٢/٣ (٤٠٣٣) عن محمد بن سعد به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٣/٣ عقب الأثر (٤٠٣٥) من طريق ابن أبي جعفر به ،

(٥) أخرجه بتمامه أبو يعلى - كما في تفسير ابن كثير ٨٩/٢ ، ومسدد - كما في المطالب العالية

(٢٤٧٩) - والبيهقي ١٠/١٢٧ ، وفي الشعب (٩٣٧٥) من طريق هشيم به ، وأخرجه أحمد =

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا [٤٤٧/١] أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أسباط ، عن الشَّدِيِّ : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنَخِذُوا بِطَانَةٍ مِّنْ دُونِكُمْ ﴾ : أما البِطَانَةُ ، فهم المنافِقون ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قوله : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنَخِذُوا بِطَانَةٍ مِّنْ دُونِكُمْ ﴾ الآية . قال : لا يَسْتَدخِلُ المؤمنُ المنافقَ دونَ أخيه .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قال ابنُ زَيْدٍ في قوله : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنَخِذُوا بِطَانَةٍ مِّنْ دُونِكُمْ ﴾ الآية . قال : هؤلاء المنافِقون ، وقرأ قوله : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ الآية .

واختلفوا في تأويلِ قوله : ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ ؛ فقال بعضهم : معناه : ودُّوا ما ضللتُم عن دينِكُم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ ، قَالَ : ثنا أسباط ، عن الشَّدِيِّ : ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ . يقولُ : ما ضللتُم ^(٢) .

وقال آخرون بما حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ . يقولُ : في دينِكُم ، يعني أنهم يودُّون أن تَعْتَتُوا في دينِكُم .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ . فجاء بالخبرِ عن البِطَانَةِ

= ١٨/١٩ (١١٩٥٤) ، والنسائي (٥٢٢٤) وغيرهما من طريق هشيم به - بدون ذكر تفسير الحسن

- وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٣/٣ عقب الأثر (٤٠٣٥) من طريق عمرو بن حماد ، أسباط به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٣/٣ (٤٠٤٠) من طريق أسباط به .

بلفظ الماضي في محل الحال والقطع ، بعد تمام الخبر ، والحالات لا تكون إلا بصور
الأسماء أو الأفعال المستقبلية ، دون الماضية منها ؟

قيل : ليس الأمر في ذلك على ما ظننت من أن قوله : ﴿ وَدُوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ حال
للبطانة^(١) ، وإنما هو خبر عنهم ثانٍ ، منقطع عن الأول ، غير متصل به .

وإنما تأويل الكلام : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة صفتهم كذا ، صفتهم
كذا . فالخبر عن الصفة الثانية غير متصل بالصفة الأولى ، وإن كانتا جميعاً من صفة
شخص واحد .

٦٣/٤ /وقد زعم بعض أهل العربية أن قوله : ﴿ وَدُوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ . من صلة
البطانة ،^(٢) وأن معنى ذلك : لا تتخذوا بطانة ودوا - أى : أحيوا - ما عنيتم .

وليس لهذا القول الذي قاله صاحب هذه المقالة وجه معروف ؛ وذلك أن
البطانة^(٣) قد وصلت بقوله : ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ . فلا وجه لصلة أخرى بعد تمام
البطانة بصلته ، ولكن القول في ذلك كما بينا قبل من أن قوله : ﴿ وَدُوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ .
خبر مبتدأ عن البطانة غير الخبر الأول ، وغير حال من البطانة ولا قطع منها .

القول في تأويل قوله : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكره : قد بدت بغضاء هؤلاء الذين نهيتكم أيها المؤمنون أن
تتخذوهم [١١/١٠] بطانة من دونكم ، لكم بأفواههم ، يعنى : بألسنتهم ، والذي بدا
لهم منهم بألسنتهم ، إقامتهم على كفرهم ، وعداوتهم من خالف ما هم عليه
مقيمون من الضلالة ، فذلك من أو كيد الأسباب في معاداتهم أهل الإيمان ؛ لأن ذلك

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « من البطانة » .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س ، وفي م : « و » .

عداوة على الدين ، والعداوة على الدين العداوة التي لا زوال لها إلا بانتقال أحد المتعديين إلى ملة الآخر منهما ، وذلك انتقال من هدى إلى ضلالة ، كانت عند المتقبل إليها ضلالة قبل ذلك ، فكان في إبدائهم ذلك للمؤمنين ومقامهم عليه ، أئبئ الدلالة لأهل الإيمان على ما هم عليه لهم ^(١) من البغضاء والعداوة .

وقد قال بعضهم : معنى قوله : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ : قد بدت بغضاؤهم لأهل الإيمان إلى أوليائهم من المنافقين وأهل الكفر ، بإطلاق بعضهم بعضا على ذلك .

وزعم قائلو هذه المقالة أن الذين عُتُوا بهذه الآية أهل النفاق ، دون من كان مُصْرِحًا بالكفر من اليهود وأهل الشرك .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ . يقول : قد بدت البغضاء من أفواه المنافقين إلى إخوانهم من الكفار ، من غشهم للإسلام وأهله ، وبغضهم إياهم ^(٢) .

حَدَّثَنَا عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ . يقول : من أفواه المنافقين ^(٣) .

وهذا القول الذي ذكرناه عن قتادة قول لا معنى له ، وذلك أن الله تعالى ذكره إنما نهى المؤمنين أن يتخذوا بطانة ممن قد عرفوه بالغش للإسلام وأهله والبغضاء ؛ إما

(١) سقط من : م .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٤/٣ (٤٠٤٢) من طريق شيبان ، عن قتادة ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٤/٣ عقب الأثر (٤٠٤٢) من طريق ابن أبي جعفر به .

بأدلة ظاهرة دالة على أن ذلك من صفتهم ، وإما بإظهار الموصوفين بذلك العداوة والشئان وبالمناصبية لهم ، فأما من لم يُثبتوه ^(١) معرفة أنه الذي نهاهم الله عز وجل عن مخالته ومباطنته ، فغير جائز أن يكونوا نُهوا عن مخالته ومصادقته ، إلا بعد تعريفهم إياهم ، إما بأعيانهم وأسمائهم ، وإما بصفات قد عرفوهم بها .

وإذ كان ذلك كذلك ، وكان إبداء المناققين بألسنتهم ما فى قلوبهم من بغضاء المؤمنين إلى إخوانهم من الكفار ، غير مُدرك به المؤمنون معرفة ما هم عليه لهم ، مع إظهارهم الإيمان بألسنتهم لهم ، والتؤدد إليهم ، كان بيّنا أن الذى نهى الله المؤمنين عن اتّخاذهم لأنفسهم بطانة دونهم ، هم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بألسنتهم ، على ما وصفهم الله تبارك وتعالى به ، فعرفهم المؤمنون بالصفة التى نعتهم الله بها ، وأنهم هم الذين وصفهم تعالى ذكره بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون ، ممن كان له ذمّة وعهد من رسول الله ﷺ وأصحابه ، من أهل الكتاب ؛ لأنهم لو كانوا المناققين ، لكان الأمر فيهم على ما قد بيّنا ، ولو كانوا الكفار [١٠/١١] من قد ناصب المؤمنين الحرب ، لم يكن المؤمنون متّخذينهم لأنفسهم بطانة من دون المؤمنين مع اختلاف بلادهم ، وافتراق أمصارهم ، ولكنهم الذين كانوا يبينن أظهر دور ^(٢) المؤمنين من أهل الكتاب ، أيام رسول الله ﷺ ، ممن كان له من رسول الله ﷺ عهد وعقد ، من يهود بنى إسرائيل .

٦٤/٤

والبغضاء مصدر ، وقد ذكر أنها فى قراءة ابن مسعود ^(٣) : (قَدْ بَدَأَ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) . على وجه التذكير ، وإنما جاز ذلك بالتذكير ولَفْظُهُ لَفْظُ الْمَوْثِ ؛ لأن المصادر تأنيثها ليس بالتأنيث اللازم ، فيجوزُ تذكيرُ ما خرج منها على لفظ

(١) لم يثبتوه : لم يعرفوه حق المعرفة .

(٢) سقط من : م .

(٣) معانى القرآن للقرآء ١ / ٢٣١ ، البحر المحيط ٣ / ٣٨ .

المؤث وتأنيثه ، كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ [هود : ٦٧] . وكما قال : ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٥٧] .
وفى موضع آخر : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ [هود : ٩٤] ، و ﴿ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ٧٣ ، ٨٥] .

وقال : ﴿ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ وإنما بدا ما بدا من البغضاء منهم ^(١) بألسنتهم ؛ لأن المعنى به الكلام الذى ظهر للمؤمنين منهم من أفواههم ، فقال : قد بدت البغضاء بألسنتهم من أفواههم .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بذلك : والذى تُخْفِي ﴿ صُدُورُهُمْ ﴾ . يعنى : صدور هؤلاء الذين نهاهم عن اتخاذهم بطانة ، فتخينته ^(١) عنكم أيها المؤمنون ، ﴿ أَكْبَرُ ﴾ . يقول : أكبر مما قد بدا لكم بألسنتهم من أفواههم من البغضاء وأعظم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ . يقول : وما تخفى صدورهم أكبر مما قد أبدوا بألسنتهم ^(٢) .

حدثت عن عمّار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ . يقول : ما تكفن صدورهم أكبر مما قد أبدوا بألسنتهم ^(٣) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : قد بيّنا لكم أيها المؤمنون ﴿ الْآيَاتِ ﴾ . يعنى بالآيات

(١) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، س .

(٢) فى م ، ت ، ٢ ، ٣ ، س : « فتخفيه » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٤/٣ (٤٠٤٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

العَبْرَ . يقول : قد بَيَّنَّا لكم من أمرِ هؤلاء اليهود الذين نَهَيْناكم أن تَتَّخِذُوهم بِطانَةً من دونِ المؤمنين ، ما تَعْتَبِرُونَ وتَتَّعِظُونَ به من أمرِهِمْ ﴿ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ . يعنى : إن كنتم تَعْقِلُونَ عن اللّهِ مَوَاعِظَهُ ، وأمره ونهيهِ ، وتعرفون مواقع نَفْعِ ذلك منكم ، ومَبْلَغِ عائدته عليكم .

[١١/١١] القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ هَاتِئُنَّ أَزْوَاجٌ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ .

يعنى بذلك جَلَّ ثناءؤه : ها أنتم أيها المؤمنون الذين ﴿ يُحِبُّونَهُمْ ﴾ . يقول : تُحِبُّونَ هؤلاء الكفار الذين نَهَيْتُكم/ عن اتِّخاذِهِم بِطانَةً من دونِ المؤمنين ، فتَوَدُّونَهُم وتواصلونَهُم ، وهم لا يُحِبُّونَكم ، بل يَنْطَوِّونَ^(١) لكم على^(٢) العداوة والغشِّ ، ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ .

٦٥/٤

ومعنى الكتابِ فى هذا الموضعِ معنى الجمعِ ، كما يقال : كثر الدُّرهمُ فى أيدي الناسِ . بمعنى : الدرهم . فكذلك قوله : ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ « إنما معناه : بالكتابِ كُلِّها ؛ كتابِكُم الذى أنزله اللّهُ تبارك وتعالى إليكم ، وكتابِهِم الذى أنزله إليهم ، وغير ذلك من الكتابِ التى أنزلها اللّهُ تعالى ذكره على عباده .

يقولُ جَلَّ ثناءؤه : فأنتم - إذ كنتم أيها المؤمنون تُؤْمِنُونَ بالكتابِ كُلِّها ، وتعلّمون أن الذين نَهَيْتُكم عن أن تَتَّخِذُوهم بِطانَةً من دونِكُمْ ، كفارًا بذلك كُلِّهِ ؛ بِجُحودِهِمْ^(٣) ما فى^(٣) ذلك كُلِّهِ ، من عهودِ اللّهِ إليهم ، وتبديليهم ما فيه من أمرِ اللّهِ ونهيهِ - أولى بَعْدَاوتِكُمْ إياهم ، وبِغضائِهِم وغشِّهِم ، منهم بَعْدَاوتِكُمْ وبِغضائِكُمْ ، مع جُحودِهِم بعضَ الكتابِ ، وتكذيبِهِم ببعضِها .

(١) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « ينظرون » ، وفى ت ١ : « ينظرون » .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣ - ٣) سقط من م ، س ، وفى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فى » .

كما حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلَمَةُ ، عن محمدِ بنِ إِسْحَاقَ ، قال : ثنى محمدُ بنُ أبي محمدٍ ، عن عِكْرَمَةَ ، أو عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ . أى : بكتابتِكُمْ وكتابتِهِمْ ، وبما مضى من الكتبِ قبلَ ذلك ، وهم يكفرون بكتابتِكُمْ ، فأنتم أحقُّ بالبغضاءِ لهم ، منهم لكم ^(١) .

وقال : ﴿ هَآتَيْتُمْ أَوْلاَءَ ﴾ . ولم يُقُلْ : هؤلاء ^(٢) أنتم . ففَرَّقَ بينَ « ها » و « أولاءِ » ، بكنايةِ اسمِ المخاطِبين ؛ لأنَّ العربَ كذلك تفعلُ فى « هاذا » ، إذا أرادت به التقريبَ ومذهبَ النُقْصانِ الذى يحتاجُ إلى تمامِ الخبرِ ، وذلك مثلُ أن يقالَ لبعضِهِمْ : أين أنت ؟ فيجيبُ المقولُ ذلك له : ها أنا ذا . ففَرَّقَ بينَ التَّنْبِيهِ ، و « ذا » ^(٣) بِمَكْنَى اسمِ نفسه ، ولا يكادون يقولون : هذا أنا . ثم يُنْتِنَى وَيُجْمَعُ على ذلك ، وربما أعادوا حرفَ التَّنْبِيهِ مع « ذا » ، فقالوا : ها أنا هذا . ولا يفعلون ذلك إلا فيما كان تقريبًا ، فأما إذا كان على غيرِ التَّقْرِيبِ والنُقْصانِ ، قالوا : هذا هو ، وهذا أنت . وكذلك يفعلون مع الأسماءِ الظاهرة ، يقولون : هذا عمرو قائمًا وإن كان « هذا » تَقْرِيبًا . وإنما فعلوا ذلك فى المكنى مع التقريبِ ؛ تَفَرُّقًا بينَ « هذا » إذا كان بمعنى الناقصِ الذى يحتاجُ إلى تمامٍ ، وبينه إذا كان بمعنى الاسمِ الصحيحِ .

وقوله : ﴿ يُحِبُّونَهُمْ ﴾ خبرٌ للتقريبِ .

وفى هذه الآيةِ إبانةٌ مِنَ اللَّهِ تعالى ذكره عن حالِ الفريقين - أعنى المؤمنين والكافرين - ورحمةِ أهلِ [١١/١١] الإيمانِ ورأفتِهِمْ بأهلِ الخلافِ لهم ، وقساوةِ قلوبِ أهلِ الكفرِ وغلظتِهِمْ على أهلِ الإيمانِ .

(١) سيرة ابن هشام ٥٥٨/١ ، وعراه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٢) فى الأصل ، ص ، ت ، ١ : « هذا » .

(٣) فى الأصل ، ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أولاءِ » .

كما حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ مُجْبُوْنِهِمْ وَلَا يُجْبُوْنَكُمْ وَتُؤْمِنُوْنَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ : فواللهُ ، إن المؤمنَ ليجبُ المنافقُ ، ويأوى له ويَرْحَمُه ، ولو أن المنافقَ يَقْدِرُ على ما يقْدِرُ عليه المؤمنُ منه ، لأبادَ خضراءَه^(١) .

حَدَّثَنَا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : المؤمنُ خيرٌ للمنافقِ من المنافقِ للمؤمنِ ، يَرْحَمُه ، ولو يَقْدِرُ المنافقُ من المؤمنِ على مثلِ ما يقْدِرُ المؤمنُ عليه منه ، لأبادَ خضراءَه^(٢) .

وكان مجاهدٌ يقولُ : نزلت هذه الآيةُ فى المنافقين .

٦٦/٤ / حَدَّثَنِي بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نجیح ، عن مجاهدٍ^(٣) .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَإِذَا لَقُوْكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه أن هؤلاء الذين نهى الله تبارك وتعالى المؤمنين أن يتخذوهم بطانةً من دونهم ، ووصفهم بصفيتهم ، إذا لقوا المؤمنين من أصحابِ رسولِ الله ﷺ ، أعطوهم بألسنتهم تقيّةً ؛ حذراً على أنفسهم منهم ، فقالوا لهم : قد آمنّا وصدّقنا بما جاء به محمدٌ . وإذا هم خَلَوْا فصاروا فى خلأى حيث لا يراهم المؤمنون ، عَضُّوا - على ما يَرَوْنَ من ائتلافِ المؤمنين واجتماعِ كلمتِهِم وصلحِ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٥/٣ (٤٠٤٧) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٨ .

ذات بينهم - أناملهم ، وهى أطراف أصابعهم ؛ تَعَيَّظًا مما بهم من المَوْجِدَةِ عليهم ،
 وأسَى على ظَهْرٍ يستندون إليه ؛ لِمُكَاشَفَتِهِم العداوةَ ، ومُنَاجَزَتِهِم المَحَارِبَةَ .
 وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا
 ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ : إِذَا لَقُوا الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا : آمَنَّا . لَيْسَ
 بِهِمُ إِلَّا مَخَافَةٌ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، فَصَانَعُوهُمْ بِذَلِكَ ، ﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ
 الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ . يَقُولُ : مِمَّا يَجِدُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغَيْظِ وَالْكَرَاهِيَةِ لِلَّذِي هُمْ
 عَلَيْهِ ، لَوْ يَجِدُونَ رِيحًا ^(١) لَكَانُوا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، فَهَمُّ كَمَا نَعَتَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ بِمَثَلِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ
 قَالَ : مِنَ الْغَيْظِ لِكِرَاهِيَةِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ . وَلَمْ يَقُلْ : لَوْ يَجِدُونَ رِيحًا . وَمَا بَعْدَهُ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : ثنا مُسْلِمٌ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ عَمْرٍو
 ابْنِ مَالِكِ التُّكْرِيِّ ^(٤) ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : كَانَ أَبُو الْجَوَازِ إِذَا تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَإِذَا
 لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ . قَالَ : هُمْ
 الْإِبَاضِيُّةُ ^(٥) [١١ / ١٢٠] .

(١) الريح هنا بمعنى الغلبة والقوة .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٤٦/٣ (٤٠٥٦) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٤٥/٣ عقب الأثر (٤٠٥٢) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « البكرى » . وينظر الأنساب ٥ / ٥٢٢ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٤٥/٣ ، ٧٤٦ (٤٠٥١ ، ٤٠٥٥) من طريق يحيى بن عمرو بن مالك به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد .

القول في تأويل قوله : ﴿الْأَنَامِلَ﴾

والأنامل جمع أئمة، ويقال: أئمة. وربما جمعت أئمة، قال الشاعر^(١):

أوفيكما^(٢) ما بَلَّ حَلْقِي رِيقِي وما حَمَلت كَفَّايَ أئِمِّي العَشْرَا
وهي أطراف الأصابع.

كما حدَّثنا بِشْرٌ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: الأنامل أطراف الأصابع^(٣).

/ حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ،^(٤) عَنْ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الرَّبِيعِ مِثْلَهُ^(٥).

٦٧/٤

حدَّثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن الشَّدِيِّ: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ﴾: الأصابع^(٦).

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل،^(٧) عن أبي إسحاق^(٨)، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قوله: ﴿عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾. قال: عَضُوا

= والإباضية: فرقة من الخوارج، وهم أصحاب عبد الله بن إباض التميمي، الذي خرج في أيام مروان بن محمد، ومن معتقداتهم أن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناحتهم جائزة، وموارثهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال، وما سواه حرام، ودار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان، فإنه دار بغى، ومرتكبي الكبائر موحدون لا مؤمنون. ينظر الملل والنحل ١/ ٢٤٤.

(١) البيت في اللسان والتاج (ك ف ف).

(٢) في الأصل: «أودبكما»، وفي ص: «أودكها»، وفي م: «أودكما»، وفي ت ١: «أودسكها»، وفي ت ٢: «أودفكما»، وفي س: «أوذيلها». والمثبت موافق لما في اللسان والتاج، وما في هذه النسخ تحريف عنه.

(٣) ذكره ابن كثير ٩٠/٢.

(٤ - ٥) في الأصل: «قال: ثنا أبو».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٦/٣ عقب الأثر (٤٠٥٤) من طريق ابن أبي جعفر به.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٦/٣ عقب الأثر (٤٠٥٤) من طريق عمرو عن أسباط به.

(٧ - ٨) سقط من: ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س. وينظر تهذيب الكمال ١٠٢/٢٢.

على أصابعهم^(١).

القول في تأويل قوله: ﴿قُلْ مَوْتُوُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١١٩﴾.

يعنى بذلك جلّ ثناؤه: قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين وصفت لك صفتهم، وأخبرتك أنهم إذا لقوا أصحابك قالوا: آمناً. وإذا خلوا عَضُوا عليكم الأنامل من الغيظ - ﴿مَوْتُوُوا بِغَيْظِكُمْ﴾. (٢) أى: موئوا بالغيظ^(٢) الذى بكم على المؤمنين؛ لاجتماع كلمتهم، وائتلاف جماعتهم.

وخرج هذا الكلام مخرج الأمر، وهو دعاء من الله تبارك وتعالى نبيه محمداً ﷺ بأن يدعوا عليهم بأن يهلكهم الله عز وجل كمدًا مما بهم من الغيظ على المؤمنين، قبل أن يروا فيهم ما يتمنون لهم من العنت في دينهم، والضلالة بعد هداهم، فقال لنبيه ﷺ: قل يا محمد: اهلكوا بغيظكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. يعنى بذلك: إن الله ذو علم بالذى فى صدور هؤلاء الذين إذا لقوا المؤمنين قالوا: آمناً. وما ينطوون عليه لهم من الغل والغمر^(٣)، ويعتقدون لهم من العداوة والبغضاء، وبما فى صدور جميع خلقه، حافظ على جميعهم ما هو عليه منطوي من خير وشر، حتى يجازي جميعهم على ما قدّم من خير وشر، واعتقد من إيمان وكفر، وانطوى عليه لرسوله وللمؤمنين من نصيحة أو غل وغمر.

القول في تأويل قوله: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهَمُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ﴿١٢٠﴾.

يعنى بقوله جل ثناؤه [١١/١٢٠ظ]: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهَمُمْ﴾: إن تنالوا أيها

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٧٤٦/٣ (٤٠٥٤) من طريق أبي إسحاق به، وعزه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى ابن المنذر.

(٢-٢) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س.

(٣) تفسير الطبرى ٤٦/٥

(٣) الغمر، بكسر الغين: الحقد. النهاية ٣/٣٨٤.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ سِرُّوًّا بظهورِكم على عدوِّكم ، وتتابعِ الناسِ في الدخولِ في دينِكم وتُصدِّقِ نبيِّكم ، ومُعاوَنِكم على أعدائِكم ، يَشُوْهُمُ^(١) فيَحْرَتُوا لذلك ، ويكتسبوا له ، ﴿ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ . يقولُ^(٢) . وَإِنْ تَنَلَّكُمْ مَسَاءَةٌ بِإِحْفَاقِ سَرِيَّةٍ لَكُمْ ، أَوْ بِإِصَابَةِ عَدُوِّكُمْ مِنْكُمْ ، أَوْ اخْتِلَافٍ يَكُونُ بَيْنَ جَمَاعَتِكُمْ ، يَفْرَحُوا بِهَا .

كما حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ وَإِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوَّاهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ : فَإِذَا رَأَوْا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَلْفَةً وَجَمَاعَةً وَظُهُورًا عَلَى عَدُوِّهِمْ ، غَاظَهُمْ ذَلِكَ وَسَاءَهُمْ ، وَإِذَا رَأَوْا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فُرْقَةً وَاخْتِلَافًا ، أَوْ أُصِيبَ طَرَفٌ مِنْ أَطْرَافِ الْمُسْلِمِينَ ، سَرَّهُمْ ذَلِكَ وَأَعْجَبُوا بِهِ وَابْتَهَجُوا بِهِ ،^(٣) فَهُوَ ذَأْبُهُمْ^(٤) ، كَلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ فِرْقٌ^(٥) أَكْذَبَ اللَّهُ أَحْدُوثَهُ ، وَأَوْطَأَ مَجَلَّتَهُ ، وَأَبْطَلَ حُجَّتَهُ ، وَأَظْهَرَ عَوْرَتَهُ ، فَذَلِكَ قِضَاءُ اللَّهِ فِي مَنْ مَضَى مِنْهُمْ ، وَفِي مَنْ بَقِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٥) .

٦٨/٤ / حَدَّثَنَا عَنْ عَمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿ وَإِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوَّاهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ . قال : هم المنافقون ، إِذَا رَأَوْا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ جَمَاعَةً وَظُهُورًا عَلَى عَدُوِّهِمْ ، غَاظَهُمْ ذَلِكَ غَيْظًا شَدِيدًا وَسَاءَهُمْ ، وَإِذَا رَأَوْا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فُرْقَةً وَاخْتِلَافًا ، أَوْ أُصِيبَ طَرَفٌ مِنْ أَطْرَافِ الْمُسْلِمِينَ ، سَرَّهُمْ ذَلِكَ وَأَعْجَبُوا بِهِ ، قال اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَأَ

(١) سقط من : ص ، ت ٢ ، س .

(٢ - ٢) سقط من ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣ - ٣) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فهم » .

(٤) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قرن » .

والفرق : الطائفة من الناس . اللسان (ف ر ق) .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٧/٣ (٤٠٦٠ ، ٤٠٦٢) من طريق يزيد به ، وعراه السيوطي أيضا

في الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد .

يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ . قال : إذا رأوا من المؤمنين جماعة وألفه ساءهم ذلك ، وإذا رأوا منهم فرقة واختلافا فرحوا ^(١) .

وأما قوله : ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ . فإنه يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن تصبروا وأياها المؤمنون على طاعة الله وأتباع أمره فيما أمركم به ، واجتناب ما نهاكم عنه ، من اتخاذ بطانية لأنفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصف الله جل ثناؤه صفتهم من دون المؤمنين ، وغير ذلك من سائر ما نهاكم ، وتتقوا ربكم ، فتخافوا التقدّم بين يديه فيما ألزمكم وأوجب عليكم من حقه وحق رسوله ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ . أى : كيد هؤلاء الذين وصف صفتهم .

ويعنى بـ ﴿كَيْدُهُمْ﴾ عوائلهم التى ^(٢) يبتغونها للمسلمين ، ومكرهم بهم ؛ ليضدوهم عن الهدى وسبيل الحق .

واختلفت القراءة فى قراءة قوله : ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ ؛ فقرأ ذلك جماعة من أهل الحجاز وبعض البصريين [١٣/١١] : (لَا يَضُرُّكُمْ) . مخففة بكسر الضاد ^(٣) ، من قول القائل : ضارنى فلان ، فهو يضيرنى ضيرا . وقد حكى سماعا من العرب : ما يتفنى ذاك ^(٤) ولا يضيرنى . فلو كانت قرئت على هذه اللغة لقليل : لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا . ولكنى لا أعلم أحدا قرأ به .

(١) ينظر البحر المحيط ٣/٤٣ .

(٢ - ٣) فى ص : «تعوبها للمسلمين» .

(٣) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٥ .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ س .

وقرأ ذلك جماعةً من أهل المدينة وعامة قرأة أهل الكوفة: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴿. بَضَمُ الضَّادِ وَتَشْدِيدُ الرَّاءِ^(١)، من قولِ القائلِ: ضَرَّنِي فلانٌ فهو يَضُرُّنِي ضَرًّا.

وأما الرفع في قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾. فمن وجهين؛ أحدهما على إنباع الراء في حركتها - إذ كان الأصل فيها الجزم، ولم يُمكن جزمها؛ لتشديدها - أقرب حركات الحروف التي قبلها، وذلك حركة الضَّادِ وهي الضمة، فأُلحِقَتْ بها حركة الراء لقرئها منها، كما قالوا: مُدَّ ياهذا. والوجه الآخر من وجهي الرفع في ذلك، أن تكون مرفوعةً على صحبة، وتكون «لا» بمعنى «ليس»، وتكون الفاء التي هي جوابُ الجزاءِ متروكةً؛ لعلم السامع بموضعها.

وإذا كان ذلك معناه، كان تأويلُ الكلام: وإن تَضَيَّرُوا وتَتَّقُوا فليس يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا. ثم تُرِكَتِ الفاءُ من قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾. وَوُجِّهَتْ «لا» إلى معنى «ليس»، كما قال الشاعر^(٢):

فإن كان لا يُزِضِيكَ حتى تُرَدِّدَنِي إلى قَطْرِي لا إِخَالِكَ راضِيًا
ولو كانت الراءُ مُحَرَّكَةً إلى الخفضِ والنصبِ كان جائزًا، كما قيل: مُدَّ ياهذا، ومُدَّ.

/وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. يقولُ جل ثناؤه: إن الله تبارك وتعالى بما يعمل هؤلاء الكفار في عبادته وبلاديه من الفسادِ، والصدِّ عن سبيله،

(١) وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي. السبعة لابن مجاهد ص ٢١٥.

(٢) في الأصل: «فلا».

(٣) هو سوار بن المضرب السعدي، والبيت في النوادر لأبي زيد ص ٤٥، ومعاني القرآن للفراء ١/٣٣٢،

والكامل للمبرد ١٠٢/٢.

والعداوة لأهل دينه ، وغير ذلك من معاصي الله جلَّ وعزَّ ، مُحِيطٌ بِجَمِيعِهِ ، حافظٌ له ، لا يَغْرُبُ عنه شيءٌ منه ، حتى يُؤَفِّيَهُمْ جَزَاءَهُمْ على ذلك كُلِّهِ ، ويُذِيقَهُمْ عِقَابَهُ عَلَيْهِ .

فهرس الجزء الخامس

تابع تفسير سورة البقرة

الموضوع	الصفحة
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿الشيطان يعدكم الفقر...﴾	٥.....
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿والله واسع عليم﴾	٨.....
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿يؤتى الحكمة من يشاء...﴾	٨.....
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وما يذكر إلا أولو الأبواب﴾	١٢.....
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وما أنفقتم من نفقة...﴾	١٣.....
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿إن تبدوا الصدقات فنعماً هي...﴾	١٤.....
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم﴾	١٧.....
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿والله بما تعملون خبير﴾	١٨.....
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ليس عليك هداهم...﴾	١٩.....
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله﴾	٢٢.....
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿الذين أحصروا فى سبيل الله﴾	٢٤.....
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿لا يستطيعون ضرباً فى الأرض﴾	٢٥.....
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء...﴾	٢٦.....
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿تعرفهم بسيماهم﴾	٢٧.....
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾	٢٩.....
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾	٣٢.....
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار﴾	٣٣.....

- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿الذین یأکلون الربا لا یقومون...﴾ ٣٧ ..
- القول فى تأویل قوله جل ثناؤه: ﴿ذلك بأنهم قالوا إنما البیع مثل الربا﴾ ٤٢
- القول فى تأویل قوله جل ثناؤه: ﴿وأحلّ الله البیع وحرم الربا...﴾ ٤٣
- القول فى تأویل قوله جل ثناؤه: ﴿یحقّ الله الربا ويربى الصدقات...﴾ ٤٥
- القول فى تأویل قوله جل ثناؤه: ﴿إن الذین آمنوا وعملوا الصالحات...﴾ ٤٨
- القول فى تأویل قوله جل ثناؤه: ﴿یا أيها الذین آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا...﴾ ٤٩
- القول فى تأویل قوله جل ثناؤه: ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب...﴾ ٥١
- القول فى تأویل قوله جل ثناؤه: ﴿وإن تبتم فلکم رءوس أموالکم﴾ ٥٣
- القول فى تأویل قوله جل ثناؤه: ﴿لا تظلمون ولا تظلمون﴾ ٥٥
- القول فى تأویل قوله جل ثناؤه: ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة...﴾ ٥٦
- القول فى تأویل قوله جل ثناؤه: ﴿وأن تصدقوا خیر لکم إن كنتم تعلمون﴾ ٦٣
- القول فى تأویل قوله جل ثناؤه: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله...﴾ ٦٧
- القول فى تأویل قوله جل ثناؤه: ﴿یا أيها الذین آمنوا إذا تدايبتم بدين...﴾ ٦٩
- القول فى تأویل قوله جل ثناؤه: ﴿فاكتبوه﴾ ٧٢
- القول فى تأویل قوله جل ثناؤه: ﴿وليكتب بينکم كاتب بالعدل...﴾ ٧٦
- القول فى تأویل قوله جل ثناؤه: ﴿فليكتب ولیملل الذى عليه الحق...﴾ ٨١
- القول فى تأویل قوله جل ثناؤه: ﴿فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفاً﴾ ٨٢
- القول فى تأویل قوله جل ثناؤه: ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالکم﴾ ٨٦

- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان...﴾ ٨٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾ ٨٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا﴾ ٩٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً...﴾ ١٠٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ذلكم أقسط عند الله﴾ ١٠٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وأقوم للشهادة﴾ ١٠٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وأذنى ألا ترتابوا﴾ ١٠٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿إلا أن تكون تجارة حاضرة...﴾ ١٠٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ ١٠٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ ١١١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وإن فعلوا فإنه فسوق بكم﴾ ١١٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله...﴾ ١٢٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وإن كنتم على سفر...﴾ ١٢٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً...﴾ ١٢٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ولا تكتموا الشهادة...﴾ ١٢٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿لله ما فى السماوات وما فى الأرض﴾ ١٢٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿والله على كل شىء قدير﴾ ١٤٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه...﴾ ١٤٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ ١٥٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ ١٥١

- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ ... ١٥٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ ١٥٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ ١٥٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ ١٥٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ ... ١٦١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ واعف عنا واغفر لنا ﴾ ١٦٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ وارحمنا ﴾ ١٦٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ ١٦٥
- تفسير سورة آل عمران ١٧٠
- القول فى تأويل قوله: ﴿ الهم . الله لا إله إلا هو ﴾ ١٧٠
- القول فى تأويل قوله: ﴿ الحى القيوم ﴾ ١٧٥
- القول فى تأويل قوله: ﴿ الحى ﴾ ١٧٦
- القول فى تأويل قوله: ﴿ القيوم ﴾ ١٧٧
- القول فى تأويل قوله: ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق ... ﴾ ١٨٠
- القول فى تأويل قوله: ﴿ وأنزل التوراة والإنجيل . من قبل هدى للناس ﴾ ١٨١
- القول فى تأويل قوله: ﴿ وأنزل الفرقان ﴾ ١٨٢
- القول فى تأويل قوله: ﴿ إن الذين كفروا بآيات الله ... ﴾ ١٨٤
- القول فى تأويل قوله: ﴿ إن الله لا يخفى عليه شىء ... ﴾ ١٨٥

- ١٨٦ ﴿ هو الذى يصوركم فى الأرحام ... ﴾ - القول فى تأويل قوله : ﴿ لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ١٨٧
- ١٨٨ ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب ... ﴾ - القول فى تأويل قوله : ﴿ هن أم الكتاب ... ﴾ ٢٠١
- ٢٠٢ ﴿ فأما الذين فى قلوبهم زيغ ﴾ - القول فى تأويل قوله : ﴿ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ ٢٠٤
- ٢١٢ ﴿ ابتغاء الفتنة ﴾ - القول فى تأويل قوله : ﴿ وابتغاء تأويله ﴾ ٢١٥
- ٢١٧ ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ... ﴾ - القول فى تأويل قوله : ﴿ والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ﴾ ٢٢٣
- ٢٢٥ ﴿ كل من عند ربنا ﴾ - القول فى تأويل قوله : ﴿ وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ ٢٢٧
- ٢٢٧ ﴿ ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ... ﴾ - القول فى تأويل قوله : ﴿ ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ... ﴾ ٢٣٣
- ٢٣٤ ﴿ إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ... ﴾ - القول فى تأويل قوله : ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم ... ﴾ ٢٣٤
- ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون - القول فى تأويل قوله : ﴿ إلى جهنم ... ﴾ ٢٣٨
- ٢٤١ ﴿ قد كان لكم آية فى فتين التقتا ... ﴾ - القول فى تأويل قوله : ﴿ يرونهم مثليهم رأى العين ﴾ ٢٤٤
- ٢٥٢ ﴿ والله يؤيد بنصره من يشاء ... ﴾ - القول فى تأويل قوله : ﴿ زين للناس حب الشهوات ... ﴾ ٢٥٣
- ٢٦١ ﴿ والحليل المسومة ﴾ - القول فى تأويل قوله :

- ٢٦٦ ﴿والأنعام والحرث﴾ : القول فى تأويل قوله :
 - القول فى تأويل قوله : ﴿ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن
 المآب﴾ ٢٦٧
 - القول فى تأويل قوله : ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا
 عند ربهم...﴾ ٢٦٨
 - القول فى تأويل قوله : ﴿الذين يقولون ربنا إنا آمنة فاغفر لنا...﴾ ٢٧١
 - القول فى تأويل قوله : ﴿الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين﴾ ٢٧٢
 - القول فى تأويل قوله : ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ ٢٧٣
 - القول فى تأويل قوله : ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو...﴾ ٢٧٥
 - القول فى تأويل قوله : ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ ٢٨٠
 - القول فى تأويل قوله : ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب...﴾ ٢٨٢
 - القول فى تأويل قوله : ﴿ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾ ٢٨٥
 - القول فى تأويل قوله : ﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله
 ومن اتبعن﴾ ٢٨٥
 - القول فى تأويل قوله : ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأمين
 أسلمتم...﴾ ٢٨٦
 - القول فى تأويل قوله : ﴿وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله
 بصير بالعباد﴾ ٢٨٨
 - القول فى تأويل قوله : ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين
 بغير حق﴾ ٢٨٨
 - القول فى تأويل قوله : ﴿ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس﴾ ٢٨٩
 - القول فى تأويل قوله : ﴿فبشرهم بعذاب أليم . أولئك الذين حبطت
 أعمالهم...﴾ ٢٩٢

- القول فى تأويل قوله: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب...﴾ ... ٢٩٢
- القول فى تأويل قوله: ﴿ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات﴾ ٢٩٦
- القول فى تأويل قوله: ﴿فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه...﴾ ٢٩٨
- القول فى تأويل قوله: ﴿قل اللهم﴾ ٢٩٩
- القول فى تأويل قوله: ﴿مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء﴾ ٣٠٢
- القول فى تأويل قوله: ﴿وتعز من تشاء وتذل من تشاء...﴾ ٣٠٤
- القول فى تأويل قوله: ﴿تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل﴾ ٣٠٤
- القول فى تأويل قوله: ﴿وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى﴾ ٣٠٧
- القول فى تأويل قوله: ﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾ ٣١٣
- القول فى تأويل قوله: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين...﴾ ٣١٥
- القول فى تأويل قوله: ﴿ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾ ٣٢٠
- القول فى تأويل قوله: ﴿قل إن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله...﴾ ٣٢٠
- القول فى تأويل قوله: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا...﴾ ٣٢٢
- القول فى تأويل قوله: ﴿ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد﴾ ... ٣٢٣
- القول فى تأويل قوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله...﴾ ٣٢٤
- القول فى تأويل قوله: ﴿قل أطيعوا الله والرسول...﴾ ٣٢٧

- القول فى تأويل قوله: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم...﴾ ٣٢٨ ..
- القول فى تأويل قوله: ﴿ذرية بعضها من بعض والله سميع
- عليم...﴾ ٣٢٩
- القول فى تأويل قوله: ﴿إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك
- ما فى بطنى محررا...﴾ ٣٣٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿فلما وضعتها قالت رب إنى
- وضعتها أنثى...﴾ ٣٣٦
- القول فى تأويل قوله: ﴿وإنى أعيدها بك وذريتها من الشيطان
- الرجيم﴾ ٣٣٩
- القول فى تأويل قوله: ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن وأنتها نباتا
- حسنًا﴾ ٣٤٤
- القول فى تأويل قوله: ﴿وكفلها زكريا﴾ ٣٤٥
- القول فى تأويل قوله: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد
- عندها رزقا﴾ ٣٥٣
- القول فى تأويل قوله: ﴿قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من
- عند الله...﴾ ٣٥٨
- القول فى تأويل قوله: ﴿هنالك دعا زكريا ربه...﴾ ٣٦٠
- القول فى تأويل قوله: ﴿فنادته الملائكة﴾ ٣٦٣
- القول فى تأويل قوله: ﴿وهو قائم يصلى﴾ ٣٦٦
- القول فى تأويل قوله: ﴿مصدقًا بكلمة من الله﴾ ٣٧٠
- القول فى تأويل قوله: ﴿وسيدا﴾ ٣٧٤
- القول فى تأويل قوله: ﴿وحصورًا ونبيا من الصالحين﴾ ٣٧٦
- القول فى تأويل قوله: ﴿قال رب أنى يكون لى غلام...﴾ ٣٨١

- القول فى تأويل قوله : ﴿ قال كذلك الله يفعل ما يشاء ﴾ ٣٨٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قال رب اجعل لى آية ﴾ ٣٨٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ﴾ ٣٨٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ واذا ذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإبكار ﴾ ٣٩٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ واذا قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك... ﴾ ٣٩٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ﴾ ٣٩٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ﴾ ٤٠٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ﴾ ٤٠٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ ٤٠٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه... ﴾ ٤٠٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾ ٤١٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين ﴾ ٤١١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قالت رب أنى يكون لى ولد... ﴾ ٤١٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾ ٤١٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكُم... ﴾ ٤١٨

- القول فى تأويل قوله : ﴿ أنى أخلق لكم من الطين
 ٤١٨ كهية الطير ... ﴾
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وأبرئ الأكمه والأبرص ﴾ ٤٢٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وأحى الموتى بإذن الله وأنبئكم
 ٤٢٤ بما تأكلون ... ﴾
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ ٤٣٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ومصدقا لما بين يدي من التوراة ... ﴾ ٤٣٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وجئتمكم بآية من ربكم ﴾ ٤٣٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فاتقوا الله وأطيعون . إن الله ربي
 ٤٣٣ وربكم ... ﴾
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إن الله ربي وربكم فاعبدوه ﴾ ٤٣٤
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ فلما أحس عيسى منهم
 ٤٣٥ الكفر ... ﴾
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا
 ٤٤٥ الرسول ... ﴾
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير
 ٤٤٦ الماكرين ﴾
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ إذ قال الله يا عيسى إني
 ٤٤٧ متوفيك ... ﴾
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين
 ٤٥٣ كفروا ... ﴾
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ ثم إلى مرجعكم فأحكم
 ٤٥٥ بينكم ... ﴾

- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ فَمَا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَبَهُمُ عَذَابًا شَدِيدًا ... ﴾ ٤٥٦
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ ٤٥٨
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ مِثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ... ﴾ ٤٥٩
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ .. ٤٦٣
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ... ﴾ ٤٦٥
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ... ﴾ ... ٤٦٧
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ... ﴾ ٤٧٣
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ... ﴾ ٤٨٠
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ... ﴾ ٤٨٣
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ... ﴾ ٤٨٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ... ﴾ ... ٤٨٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ ... ﴾ ٤٨٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ ٤٩١

- ٤٩٢ - القول فى تأويل قوله : ﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ﴾ ...
- ٤٩٤ - القول فى تأويل قوله : ﴿ وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾
- ٤٩٥ - القول فى تأويل قوله : ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا... ﴾ ...
- ٥٠٠ - القول فى تأويل قوله : ﴿ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم... ﴾
- ٥٠١ - القول فى تأويل قوله : ﴿ قل إن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء... ﴾ ..
- ٥٠٦ - القول فى تأويل قوله : ﴿ يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾
- ٥٠٧ - القول فى تأويل قوله : ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك... ﴾
- ٥٠٨ - القول فى تأويل قوله : ﴿ إلا ما دمت عليه قائما ﴾
- ٥٠٨ - القول فى تأويل قوله : ﴿ ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ﴾
- ٥١٠ - القول فى تأويل قوله : ﴿ ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾
- ٥١٣ - القول فى تأويل قوله : ﴿ بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين ﴾
- ٥١٤ - القول فى تأويل قوله : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا... ﴾
- ٥١٥ - القول فى تأويل قوله : ﴿ وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب... ﴾ ..
- ٥٢١ - القول فى تأويل قوله : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتیه الله الكتاب والحكم والنبوة... ﴾
- ٥٢٣

- ٥٢٦ القول فى تأويل قوله : ﴿ ولكن كونوا ربانيين ﴾
- ٥٣١ تدرسون ﴿
- ٥٣٣ والنبيين أرباباً... ﴿
- ٥٣٥ من كتاب... ﴿
- ٥٤٥ قالوا أقرنا ﴿
- ٥٤٦ القول فى تأويل قوله : ﴿ قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾
- ٥٤٦ القول فى تأويل قوله : ﴿ فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾
- ٥٤٨ من فى السماوات والأرض... ﴿
- ٥٥٣ وما أنزل على إبراهيم... ﴿
- ٥٥٥ منه... ﴿
- ٥٥٧ إيمانهم... ﴿
- ٥٦٣ كفرا... ﴿
- ٥٧٠ يقبل من أحدهم... ﴿

- القول فى تأويل قوله : ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون...﴾ ٥٧٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل...﴾ ٥٧٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك...﴾ ٥٨٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً...﴾ ٥٨٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿إن أول بيت وضع للناس...﴾ ٥٨٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿فيه آيات بينات﴾ ٥٩٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ ٦٠١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ولله على الناس حج البيت...﴾ ٦٠٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾ ٦١٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿قل يا أهل الكتاب لم تكفرون
- بآيات الله...﴾ ٦٢٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله...﴾ ٦٢٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن طيعوا فريقاً...﴾ ٦٣١
- القول فى تأويل قوله : ﴿وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله...﴾ ٦٣٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته...﴾ ٦٣٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ ٦٤٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ولا تفرقوا﴾ ٦٤٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً...﴾ ٦٤٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ ٦٥٧

- القول فى تأويل قوله: ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ ... ٦٦٠
- القول فى تأويل قوله: ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ﴾ ... ٦٦٠
- القول فى تأويل قوله: ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ﴾ ... ٦٦٢
- القول فى تأويل قوله: ﴿ يوم تبيضّ وجوه وتسود وجوه ﴾ ... ٦٦٣
- القول فى تأويل قوله: ﴿ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ﴾ ... ٦٦٧
- القول فى تأويل قوله: ﴿ ولله ما فى السماوات وما فى الأرض ﴾ ... ٦٦٩
- القول فى تأويل قوله: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ ... ٦٧١
- القول فى تأويل قوله: ﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم ﴾ ... ٦٧٧
- القول فى تأويل قوله: ﴿ لن يضروكم إلا أذى ﴾ ... ٦٧٨
- القول فى تأويل قوله: ﴿ وإن يقاتلونكم يولوكم الأديار ثم لا ينصرون ﴾ ... ٦٨٠
- القول فى تأويل قوله: ﴿ ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا ﴾ ... ٦٨١
- القول فى تأويل قوله: ﴿ وباءوا بغضبٍ من الله وضربت عليهم المسكنة ﴾ ... ٦٨٧
- القول فى تأويل قوله: ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ ... ٦٨٨
- القول فى تأويل قوله: ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ﴾ ... ٦٨٩
- القول فى تأويل قوله: ﴿ يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ ... ٦٩٥
- القول فى تأويل قوله: ﴿ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف ﴾ ... ٦٩٩
- القول فى تأويل قوله: ﴿ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ﴾ ... ٧٠٠
- القول فى تأويل قوله: ﴿ إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ﴾ ... ٧٠٢

- القول فى تأويل قوله : ﴿ مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا
 كمثل ريح ﴾ ٧٠٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ ... ٧٠٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة ... ﴾ ... ٧٠٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم ﴾ ٧١٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وما تخفى صدورهم أكبر ﴾ ٧١٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾ ٧١٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ها أنتم هؤلاء تحبونهم ولا يحبونكم ... ﴾ ... ٧١٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وإذا لقوكم قالوا آمنا ... ﴾ ٧١٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم
 بذات الصدور ﴾ ٧٢١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إن تمسكم حسنة تسؤهم ... ﴾ ٧٢١

تم بحمد الله ومنه

الجزء الخامس ، ويليه الجزء السادس

وأوله : القول فى تأويل قوله :

﴿ وإذا غدوت من أهلك ... ﴾